تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية

مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية
نصوص آبائية - ١٧٤ -

للقديس
يوحنا ذهبي الفم

مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسي
للدراسات الآبائية
بالقاهرة
نصوص آبائية
- ١٧٤ -

تفسير الرسالة
إلى أهل رومية

للقديس يوحنا ذهبي الفم

ترجمها عن اليونانية
د. سعيد حكيم يعقوب

طبعة أولى
في مجلد واحد
٢٠١٣م

القديس بولس الرسول

القديس يوحنا ذهبي الفم

قداسة البابا تواضروس الثاني
بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

فهرس المحتويات

مقدمة..٢٥
I ــ القديس يوحنا ذهبي الفم.. ٢٥
كتابات القديس يوحنا ذهبي الفم:....................................... ٢٧
التعاليم اللاهوتية في كتابات القديس يوحنا ذهبي الفم: ٢٩
إعجاب القديس يوحنا ذهبي الفم بشخصية القديس بولس..........................٣٩
ترجمة مبكرة لهذه العظات.. ٥٣
II ــ رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية.................................٥٥
أ ــ مَن أسس كنيسة رومية:.. ٥٥
ب ــ هدف الرسالة إلى رومية:.. ٥٧
التعاليم اللاهوتية في الرسالة:...٦٠
السلام الرسولي:.. ٦٨
الإصحاح السادس عشر:... ٧٠
آراء مُتباينة حول الإصحاح السادس عشر:.................................. ٧٠
III ــ تعليق على مقدمة القديس يوحنا ذهبي الفم لرسالة رومية...........٧٢
أ ــ تحديد زمن كتابة الرسالة:.. ٧٢
ب ــ الدافع لكتابة الرسالة:.. ٧٣
ج ــ فهم شخصية الكاتب:... ٧٣
مقدمة الرسالة للقديس يوحنا ذهبي الفم ٧٧
العظة الأولى :..٧٧

الإصحاح الأول

العظة الثانية:..٨٧
(رو ١:١) " بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولا المفرز... "......... ٨٧
(رو ٢:١) " الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدسة "............... ٩١
(رو ٣:١) " عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد "........... ٩١
(رو ٤:١) " وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة... "..........٩٢
(رو ٥:١) " يسوع المسيح ربنا الذي به لأجل اسمه قبلنا نعمة... "..........٩٣
(رو ٦:١) " الذين بينهم أنتم أيضًا مدعوو يسوع المسيح "................. ٩٥
(رو ٧:١) " إلى جميع الموجودين في رومية أحباء الله مدعوين... "...... ٩٥

العظة الثالثة:.. ٩٩
(رو ١:٨) " أولا أشكر إلهي بيسوع المسيح من جهة جميعكم أن ... "..... ٩٩
(رو ١:٩) " فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه، شاهد لي..."......١٠١
(رو ١:١٠) " متضرعًا دائمًا في صلواتي عسى الآن أن يتيسر..."........ ١٠٣
(رو ١:١١) " لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم "........................... ١٠٥
(رو ١:١٢) " لنتعزى بالإيمان الذي فينا جميعًا إيمانكم وإيماني"........... ١٠٦
(رو ١:١٣) " ثم لست أريد أن تجهلوا أيها الأخوة أنني مرارًا... "......... ١٠٧
(رو ١:١٤) " إني مديون لليونانيين والبرابرة والحكماء والجهلاء "........ ١١٠
(رو ١:١٥) " فهكذا ما هو لي مستعد لتبشيركم أنتم الذين في ..."......... ١١٠
(رو ١:١٦) " لأني لست استحي بإنجيل المسيح "........................ ١١١
(رو ١:١٧) " لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان. كما هو مكتوب..."..... ١١٢
العظة الرابعة:.. ١١٥
(رو ١:١٨) " لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور..."....... ١١٥
(رو ١:١٩) " إذ معرفة الله ظاهرة فيهم"...................................... ١١٧
(رو ١:٢٠) " لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم ..."........... ١١٧
(رو ١:٢١) " وأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل..."...... ١١٨
(رو ١:٢٢) " وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء "............. ١١٨
(رو ١:٢٣) " وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان... "..... ١١٩
(رو ١:٢٤) " لذلك أسلمهم الله أيضا في شهوات قلوبهم إلى ... "......... ١٢١
(رو ١:٢٥) " الذي هو مبارك إلى الأبد آمين "............................. ١٢٢
العظة الخامسة:.. ١٢٤
(رو ١:٢٦ـــ٢٧) " ولذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان لأن إناثهم..."...... ١٢٤
العظة السادسة:.. ١٣٣
(رو ١:٢٨) " وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم..."..... ١٣٣
(رو ١:٢٩) " مملوئين من كل اثم وزنا وشر وطمع "....................... ١٣٣
(رو ١:٣٠) " نمامين مفترين مُبغضين لله ثالبين مُتعظمين مُدعين ..."..... ١٣٤
(رو ١:٣١) " بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة "............ ١٣٤
(رو ١:٣٢) " الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه... "...... ١٣٥

الإصحاح الثاني

(رو٢:١) " لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان كل من يدين. لأنك ..."..... ١٤١
(رو٢:٢) " ونحن نعلم أن دينونة الله هي حسب الحق على الذين ..."... ١٤١
(رو٢:٣) " أفتظن هذا أيها الإنسان الذي تدين الذين يفعلون مثل..."..... ١٤٢
(رو٢:٤) " أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم... "... ١٤٣
(رو٢:٥) " لكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك..."... ١٤٤
(رو٢:٦) " سيجازي كل واحد حسب أعماله.."............. ١٤٤
(رو٢:٧) " أما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد ..."......... ١٤٥
(رو٢:٨) " وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق..."...... ١٤٥
(رو٢:٩) " سخط وغضب. شدة وضيق على كل نفس إنسان ..."......... ١٤٦
(رو٢:١٠) " ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح اليهودي ..."... ١٤٦
(رو٢:١١) " لأن ليس عند الله محاباة "........................ ١٤٩
(رو٢:١٢) " لأن كل من أخطأ بدون الناموس، فبدون الناموس... "....... ١٥٠
(رو٢:١٣) " لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرارًا عند الله"......... ١٥٠
(رو٢:١٤) " لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا ... "........ ١٥١
(رو٢:١٥ـ١٦) " الذين يظهرون عمل الناموس مكتوبًا في قلوبهم... " .. ١٥١
العظة السابعة:... ١٥٩
(رو٢:١٧ـ١٨) " هوذا أنت تسمى يهوديًا وتتكل على الناموس، ..."...... ١٥٩
(رو٢:١٩) " وتثق أنك قائد للعميان ونور للذين في الظلمة "............. ١٥٩
(رو٢:٢٠) " ومهذّب للأغبياء ومعلم للأطفال ولك صورة العلم ... "..... ١٦٠
(رو٢:٢١) " فأنت اذًا الذي تعلّم غيرك ألست تعلّم نفسك؟ "............ ١٦٠
(رو٢:٢١ـ٢٢) " فأنت اذًا الذي تعلّم غيرك ألست تعلّم نفسك؟... "....... ١٦٢
(رو٢:٢٣) " الذي تفتخر بالناموس أبتعدي الناموس تهين الله "........... ١٦٢
(رو٢:٢٤) " لأن اسم الله يُجدف عليه بسببكم بين الأمم كما ... "......... ١٦٢
(رو٢:٢٥) " فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس، ولكن إن كنت... "... ١٦٤
(رو٢:٢٦) " إذن إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس أفما..."........... ١٦٦
(رو٢:٢٧) " وتكون الغرلة التي من الطبيعة وهى تكمل الناموس..."...... ١٦٦
(رو٢:٢٨) " لأن اليهودى في الظاهر ليس هو يهوديًا ولا الختان... ".... ١٦٧
(رو٢:٢٩) " بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب... "........ ١٦٧

الإصحاح الثالث

(رو٣:١) " إذًا ما هو فضل اليهودى أو ما هو نفع الختان؟"............ ١٧١
(رو٣:٢) " إن الفضل كثير على كل وجه أما أولاً فلأنهم ..."......... ١٧٢
(رو٣:٣) " فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء أفلعل عدم أمانتهم ..."... ١٧٢
(رو٣:٤) " ليكن الله صادقا وكل إنسان كاذبًا"..................... ١٧٣
(رو٣:٥ـ٦) " ولكن إن كان إثمنا يبيّن بر الله فماذا نقول؟ ألعل ... ".... ١٧٤
(رو٣:٧) " فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده فلماذا ..."..... ١٧٤
(رو٣:٨) " أما كما يُفترى علينا وكما يزعم قوم أننا نقول لنفعل..."..... ١٧٥
العظة الثامنة:.. ١٧٩
(رو٣:٩ـ١٨) " فماذا إذًا أنحن أفضل (كيهود)؟ كلاّ البتة.لأننا قد... ".... ١٧٩
(رو٣:١٩) " ونحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس فهو يُكلم به الذين..."... ١٨٠
(رو٣:٢٠) " لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه... "....... ١٨١
(رو٣:٢١) " وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس "............... ١٨٢
(رو٣:٢٢) " بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل ..."........ ١٨٣
(رو٣:٢٣) " لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا "........................... ١٨٣
(رو٣:٢٤ـ٢٥) " متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذي بيسوع ... "........ ١٨٤
(رو٣:٢٦) " لأظهار بره في الزمان الحاضر ليكون بار ويبرّر.. "....... ١٨٥
(رو٣:٢٧) " فأين الافتخار. قد انتفى. بأى ناموس. أبناموس ... "......... ١٨٦
(رو٣:٢٨) " إذًا نحسب أن الإنسان يتبرّر بالإيمان بدون أعمال ... "...... ١٨٧
(رو٣:٢٩) " أم الله لليهود فقط أليس للأمم أيضًا بَلَى للأمم أيضًا "......... ١٨٨
(رو٣:٣٠) " لأن الله واحد الذي سيُبرر الختان بالإيمان والغرلة ..."...... ١٨٩
(رو٣:٣١) " أفنبطل الناموس بالإيمان. حاشا بل نُثبّت الناموس "........... ١٨٩

الاصحاح الرابع

العظة التاسعة:.. ٢٠٥
(رو٤:١) " فماذا نقول إن أبانا إبراهيم قد وجد حسب الجسد "............ ٢٠٥
(رو٤:٢) " لأنه إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر ولكن..."..... ٢٠٦
(رو٤:٣ـ٤) " لأنه ماذا يقول الكتاب؟ فآمن إبراهيم بالله فحسب... "...... ٢٠٧
(رو٤:٥) " وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر ..."........ ٢٠٧

(رو٤:٦ـ٨) " كما يقول داود أيضًا في تطويب الإنسان الذي ...".......... ٢٠٨
(رو٤:٩) " أفهذا التطويب هو على الختان فقط أم على الغرلة ...".... ٢٠٩
(رو٤:١٠) " فكيف حسب أو هو في الختان أم في الغرلة "............... ٢٠٩
(رو٤:١١) " وأخذ علامة الختان ختمًا لبر الإيمان الذي كان... "......... ٢١٠
(رو٤:١٢) " وأبًا للختان للذين ليسوا من الختان فقط بل أيضًا ..."....... ٢١١
(رو٤:١٣ـ١٤) " فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو... "......... ٢١٢
(رو٤:١٥) " لأن الناموس ينشئ غضبًا إذ حيث ليس ناموس ليس...".... ٢١٣
(رو٤:١٦) " لهذا هو من الإيمان كي يكون على سبيل النعمة..."......... ٢١٣
(رو٤:١٧) " كما هو مكتوب إني قد جعلتك أبًا لأمم كثيرة "............. ٢١٤
(رو٤:١٨) " فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكي يصير...".. ٢١٦
(رو٤:١٩) " وإذ لم يكن ضعيفًا في الإيمان لم يعتبر جسده وهو..."...... ٢١٦
(رو٤:٢٠) " ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله بل تقوى بالإيمان...".. ٢١٧
(رو٤:٢١ـ٢٢) " وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضًا..."........ ٢١٧
العظة العاشرة:.. ٢٢٨
(رو٤:٢٣ـ٢٤) " ولكن لم يُكتب من أجله وحده أنه حُسب له برًا..."..... ٢٢٨
(رو٤:٢٥) " الذي أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا ".......... ٢٢٨

الاصحاح الخامس

(رو٥:١) " فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع ... "..... ٢٣٣
(رو٥:٢) " الذي به أيضًا قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه ...".. ٢٣٣
(رو٥:٣) " وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضًا في الضيقات"................ ٢٣٥
(رو٥:٤ـ٥) " لأن الضيق يُنشئ صبرًا والصبر تزكية والتزكية ..."....... ٢٣٦
(رو٥:٦ـ٧) " لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت... "........ ٢٣٨
(رو٥:٨ـ١٠) " لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا..."............. ٢٣٨
(رو٥:١١) " وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضًا بالله بربنا يسوع ..."....... ٢٣٩
العظة الحادية عشر"... ٢٤٦
(رو٥:١٢) " من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى ... ".... ٢٤٦
(رو٥:١٣) " فإنه حتى الناموس كانت الخطية في العالم على ..."........ ٢٤٦
(رو٥:١٤) " ولكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على ...".... ٢٤٧

(رو١٥:٥) " ولكن ليس كالخطية هكذا أيضًا الهبة. لأنه إن كان..."...... ٢٤٨
(رو١٦:٥) " وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية لأن الحكم... "...... ٢٤٩
(رو١٧:٥) " لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد..."...... ٢٥٠
(رو١٨:٥) " فإذًا كما بخطية واحد صار الحكم إلى جميع الناس... ".... ٢٥١
(رو١٩:٥) " لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون..."....... ٢٥١
(رو٢٠:٥) " وأما الناموس فدخل لكى تكثر الخطية "....................... ٢٥٣
(رو٢١:٥) " حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك ..."......... ٢٥٤

الاصحاح السادس

(رو١:٦) " فماذا نقول أنبقى في الخطية لكى تكثر النعمة؟ حاشا "....... ٢٥٧
(رو٢:٦) " نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها ؟ "......... ٢٥٧
(رو٣:٦) " أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا..."..... ٢٥٨
(رو٤:٦) " فدُفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح..."....... ٢٥٨
العظة الثانية عشر:.. ٢٦٦
(رو٥:٦) " لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير..."..... ٢٦٦
(رو٦:٦) " عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل..."....... ٢٦٨
(رو٧:٦) " لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية "............................ ٢٦٨
(رو٨:٦) " فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضًا معه "...... ٢٦٨
(رو٩:٦) " عالمين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت ..."..... ٢٦٩
(رو١٠:٦) " لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة "........... ٢٦٩
(رو١١:٦) " كذلك أنتم أيضًا احسبوا أنفسكم أمواتًا عن الخطية ..."...... ٢٧٠
(رو١٢:٦) " إذًا لا تَملكنَّ الخطية في جسدكم المائت لكى تطيعوها..."... ٢٧٠
(رو١٣:٦) " ولا تقدموا أعضاءكم آلات اثم للخطية بل قدموا..."......... ٢٧١
(رو١٤:٦) " فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل..."... ٢٧٣
(رو١٥:٦) " فماذا إذًا أنخطئ لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت ..."..... ٢٧٤
(رو١٦:٦) " أنتم عبيد للذي تُطيعونه إما للخطية للموت أو للطاعة للبر "....... ٢٧٤
(رو١٧:٦) " فشكرًا لله إنكم كنتم عبيدًا للخطية ولكنكم أطعتم من ..."..... ٢٧٥
(رو١٨:٦) " وإذ أُعتقتم من الخطية صرتم عبيدًا للبر "................... ٢٧٦

العظة الثالثة عشر:... ٢٨٦
(رو٦: ١٩) " أتكلم إنسانيًا من أجل ضعف جسدكم. لأنه كما قدمتم..."... ٢٨٦
(رو٦: ٢٠) " لأنكم لما كنتم عبيدًا للخطية كنتم أحرارًا من البر"......... ٢٨٧
(رو٦: ٢١) " فأى ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التي تستحون..."...... ٢٨٧
(رو٦: ٢٢) " أما الآن إذ أعتقتم من الخطية وصرتم عبيدًا لله فلكم..."... ٢٨٨
(رو٦: ٢٣) " لأن أجرة الخطية هى موت. وأما هبة الله فهى حياة..."... ٢٨٩

الاصحاح السابع

(رو٧: ١) " أم تجهلون أيها الاخوة؟ لأنى أكلّم العارفين بالناموس ".... ٢٩٣
(رو٧: ٢ـ٣) " فإن المرأة التي تحت رجل هى مرتبطة بالناموس ..."..... ٢٩٤
(رو٧: ٤) " إذًا يا اخوتى أنتم أيضًا قد مُتم للناموس"................... ٢٩٤
(رو٧: ٥) " لأنه لما كنا في الجسد كانت أهواء الخطية التي ... "...... ٢٩٦
(رو٧: ٦) " وأما الآن فقد تحررنا من الناموس "......................... ٢٩٧
(رو٧: ٧) " حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف" أضاف... "....... ٢٩٩
(رو٧: ٨) " ولكن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية أنشأت ... ".... ٣٠٠
(رو٧: ٩) " أما أنا فكنت بدون الناموس عائشًا قبلاً "..................... ٣٠٣
(رو٧: ١٠) " فوجدت الوصية التي للحياة هى نفسها لى للموت "......... ٣٠٤
(رو٧: ١١) " لأن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية خدعتنى..."...... ٣٠٤
(رو٧: ١٢) " إذًا الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة "..... ٣٠٤
(رو٧: ١٣) " فهل صار لى الصالح موتًا حاشا بل الخطية. لكى..."...... ٣٠٦
العظة الرابعة عشر:... ٣١٥
(رو٧: ١٤) " فإننا نعلم أن الناموس روحى وأما أنا فجسدى مبيع..."..... ٣١٥
(رو٧: ١٥) " لأنى لست أعرف ما أنا فاعله"............................. ٣١٦
(رو٧: ١٦) " بل ما أبغضه. إياه أفعل. فإن كنت أفعل ما لست ... "..... ٣١٧
(رو٧: ١٧ـ١٨) " فالآن لستُ بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة ..."... ٣١٨
(رو٧: ١٩ـ٢٠) " لأني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر..."......... ٣١٩
(رو٧: ٢١) " إذًا أجد الناموس لى حينما أريد أن أفعل الحسنى ..."...... ٣١٩
(رو٧: ٢٢) " فإني أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن "............ ٣٢٠
(رو٧: ٢٣) " ولكننى أرى ناموس آخر في أعضائى يحارب... "........ ٣٢٠
(رو٧: ٢٤) " ويحي أنا الإنسان الشقي مَن يُنقذني من جسد هذا ..."..... ٣٢٢
(رو٧: ٢٥) " أشكر الله بيسوع المسيح ربنا إذا أنا نفسي بذهني..."........ ٣٢٢

الإصحاح الثامن

(رو٨: ١) " لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح ...."..... ٣٢٧
(رو٨: ٢) " لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني ..."..... ٣٢٧
(رو٨: ٣) " لأنه ما كان الناموس عاجزًا عنه في ما كان ضعيفًا ..."..... ٣٢٨
(رو٨: ٤) " لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب... "..... ٣٣١
(رو٨: ٥) " فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون ولكن... "..... ٣٣٢
(رو٨: ٦) " لأن إهتمام الجسد هو موت ولكن إهتمام الروح هو ..."..... ٣٣٢
(رو٨: ٧) " لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله "................................ ٣٣٢
(رو٨: ٨) " فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله "........... ٣٣٥
(رو٨: ٩) " وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح "...................... ٣٣٦
(رو٨: ١٠) " وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية... "........ ٣٣٨
(رو٨: ١١) " وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكنًا ..."....... ٣٣٩
العظة الخامسة عشر:... ٣٤٧
(رو٨: ١٢ــ١٣) " فإذًا أيها الاخوة نحن مديونون ليس للجسد ... "........ ٣٤٧
(رو٨: ١٤) " لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله "....... ٣٤٩
(رو٨: ١٥) " إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضًا للخوف بل أخذتم... "..... ٣٥٠
(رو٨: ١٦) " الروح نفسه أيضًا يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله "............ ٣٥٣
(رو٨: ١٧) " فإن كنا أولادًا فإننا ورثة أيضًا وورثة لله ووارثون... "..... ٣٥٤
(رو٨: ١٨) " فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد..."... ٣٥٥
(رو٨: ١٩ــ٢٠) " لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله. إذ... "..... ٣٥٧
(رو٨: ٢١) " لأن الخليقة نفسها أيضًا ستعتق من عبودية الفساد"......... ٣٥٩
(رو٨: ٢٢) " فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معًا إلى الآن "...... ٣٥٩
(رو٨: ٢٣) " وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح..."......... ٣٦٠
(رو٨: ٢٤) " لأننا بالرجاء خلصنا ولكن الرجاء المنظور ليس... "...... ٣٦١
(رو٨: ٢٥) " ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر "... ٣٦٢
(رو٨: ٢٦) " وكذلك الروح أيضًا يُعين ضعفاتنا لأننا لسنا نعلم... "...... ٣٦٣
(رو٨: ٢٧) " ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو إهتمام الروح..."..... ٣٦٤
العظة السادسة عشر:... ٣٧٦
(رو٨: ٢٨) " ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين... "...... ٣٧٦

(رو٨: ٢٩) " لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين...".. ٣٧٨
(رو٨: ٣٠) " والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضًا والذين... "........ ٣٧٨
(رو٨: ٣١) " فماذا نقول لهذا إن كان الله معنا فمن علينا "............... ٣٧٩
(رو٨: ٣٢) " الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف...".. ٣٨٠
(رو٨: ٣٣) " من سيشتكي على مختاري الله، الله هو الذي يُبرر "........ ٣٨١
(رو٨: ٣٤) " من هو الذي يدين المسيح هو الذي مات بل بالحري...".. ٣٨١
(رو٨: ٣٥ـ٣٦) " من سيفصلنا عن محبة المسيح أشدة أم ضيق أم...".. ٣٨٣
(رو٨: ٣٧) " ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا "........ ٣٨٥
(رو٨: ٣٨ـ٣٩) " فإني مُتيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا...".. ٣٨٦

الإصحاح التاسع

العظة السابعة عشر:.. ٣٩٣
(رو٩: ١) " أقول الصدق في المسيح. لا أكذب وضميري شاهد..."...... ٣٩٣
(رو٩: ٢ـ٣) " إن لي حزنًا عظيمًا ووجعًا في قلبي لا ينقطع..."........... ٣٩٣
(رو٩: ٤ـ٥) " الذين هم إسرائيليون لهم التبني والمجد والعهود..."......... ٣٩٥
(رو٩: ٦) " ولكن ليس هكذا حتى إن كلمة الله قد سقطت "........... ٣٩٦
(رو٩: ٧) " لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون..."...... ٤٠١
(رو٩: ٨) " أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد...".. ٤٠١
(رو٩: ٩) " لأن كلمة الموعد هي هذه أنا آتي نحو هذا الوقت..."...... ٤٠٢
(رو٩: ١٠) " وليس ذلك فقط بل رفقة أيضًا وهي حبلى من واحد...".... ٤٠٣
(رو٩: ١١ـ١٣) " لأنه وهما لم يُولدا بعد ولا فعلاً خيرًا أو شرًا..."....... ٤٠٥
(رو٩: ١٤) " فماذا نقول؟ ألعل عند الله ظلمًا حاشا "...................... ٤١٠
(رو٩: ١٥) " لأنه يقول لموسى إني أرحم من أرحم وأتراءف ..."...... ٤١٠
(رو٩: ١٦ـ١٧) " فإذًا ليس لمن يشاء أو لمن يسعى بل الله الذي..."..... ٤١١
(رو٩: ١٨ـ١٩) " فإذًا هو يرحم من يشاء ويُقسّي من يشاء. فستقول... "..... ٤١١
(رو٩: ٢٠) " بل من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله "............. ٤١١
(رو٩: ٢١) " ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا أم..."...... ٤١٢
(رو٩: ٢٢ـ٢٤) " فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ..."....... ٤١٤
(رو٩: ٢٥) " سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة...".... ٤١٧
(رو٩: ٢٦) " ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه لستم شعبي..."...... ٤١٧

(رو٩:٢٧) " وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ..."......... ٤١٨
(رو٩:٢٨) " لأنه مُتمم أمر وقاض بالبر. لأن الرب يصنع أمرًا..."...... ٤١٨
(رو٩:٢٩) " لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلاً لصرنا مثل سدوم..."..... ٤١٩
(رو٩:٣٠ــ٣١) " فماذا نقول إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر ..."... ٤١٩
(رو٩:٣٢) " لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان. بل كأنه بأعمال الناموس"...... ٤٢٠
(رو٩:٣٣) " فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة. كما هو مكتوب ... "..... ٤٢١

الإصحاح العاشر

العظة الثامنة عشر:... ٤٢٥
(رو١٠:١) " أيها الإخوة إن مسرة قلبي وطلبتي إلى الله لأجل..."....... ٤٢٥
(رو١٠:٢) " لأني أشهد لهم أن لهم غيرة لله ولكن ليس حسب ..."...... ٤٢٥
(رو١٠:٣) " لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله "............................... ٤٢٦
(رو١٠:٤) " لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل مَن يؤمن "........ ٤٢٦
(رو١٠:٥) " لأن موسى يكتب في البر الذي بالناموس "............... ٤٢٧
(رو١٠:٦ــ١٠) " وأما البر الذي بالإيمان فيقول هكذا لا تقل في..."..... ٤٢٨
(رو١٠:١١ــ١٣) " لأن الكتاب يقول كل من يؤمن به لا يُخزى..."....... ٤٣١
العظة التاسعة عشر:... ٤٤١
(رو١٠:١٤ــ١٥) " فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به. وكيف يؤمنون..".. ٤٤١
(رو١٠:١٦ــ١٧) " لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل. لأن..."......... ٤٤٢
(رو١٠:١٨) " لكنني أقول ألعلهم لم يسمعوا "............................ ٤٤٣
(رو١٠:١٩) " أنا أُغيركم بما ليس أمة بأمة غبيه أغيظكم "........... ٤٤٤
(رو١٠:٢٠) " ثم إشعياء يتجاسر ويقول وُجدتُ من الذين ..."........ ٤٤٥
(رو١٠:٢١) " أما من جهة إسرائيل فيقول طول النهار بسطتُ..."..... ٤٤٦

الإصحاح الحادي عشر

(رو١١:١) " فأقول ألعل الله رفض شعبه؟ حاشا "....................... ٤٤٩
(رو١١:٢) " لم يرفض الله شعبه ".. ٤٤٩
(رو١١:٣ــ٥) " أيها الرب إله الجنود، لقد قتلوا أنبياءك ونقضوا..."..... ٤٥٠
(رو١١:٦) " فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال. وإلاّ فليست..."..... ٤٥٣

العظة العشرون: ٤٦١
(رو ١١:٧) " فماذا. ما يطلبه إسرائيل ذلك لم ينله؟ ولكن ...".......... ٤٦١
(رو ١١:٨) " كما هو مكتوب وأعطاهم الله روح سبات "................ ٤٦١
(رو ١١:٩ـ١٠) " لتصر مائدتهم فخًا وقنصًا وعثرة ومجازاة لهم ...".... ٤٦٣
(رو ١١:١١) " ألعلهم عثروا لكي يسقطوا. حاشا "......................... ٤٦٤
(رو ١١:١٢) " فإن كانت زلتهم غنى للعالم ونقصانهم غنى للأمم..".... ٤٦٧
(رو ١١:١٣ـ١٤) " فإني أقول لكم أيها الأمم بما إني أنا رسول ...".... ٤٦٨
(رو ١١:١٥) " لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة العالم فماذا..."....... ٤٦٩
(رو ١١:١٦) " وإن كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين. وإن ...".... ٤٧٠
(رو ١١:١٧) " فإن كان قد قُطع بعض الأغصان "........................ ٤٧٠
(رو ١١:١٨) " فلا تفتخر على الأغصان "................................ ٤٧١
(رو ١١:١٩) " فستقول قُطعت الأغصان لأُطعم أنا "...................... ٤٧٢
(رو ١١:٢٠) " حسنًا من أجل عدم الإيمان قطعت وأنت بالإيمان..".... ٤٧٢
(رو ١:٢١) " لأنه إن كان الله لم يُشفق على الأغصان الطبيعة..".... ٤٧٣
(رو ١١:٢٢) " فهوذا لطف الله وصرامته. أما الصرامة فعلى... "....... ٤٧٣
(رو ١١:٢٣) " وهم إن لم يثبتوا في عدم الإيمان سيُطعمون"........... ٤٧٣
(رو ١١:٢٤) " لأنه إن كنت أنت قد قُطعت من الزيتونة البرية ...".... ٤٧٤
(رو ١١:٢٥) " فإني لست أريد أيها الاخوة أن تجهلوا هذا السر ... ".... ٤٧٥
(رو ١١:٢٦) " سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب ".... ٤٧٦
(رو ١١:٢٧) " وهذا هو العهد من قِبَلي لهم متى نَزعتُ خطاياهم"......... ٤٧٦
(رو ١١:٢٨) " من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم. وأما من... "....... ٤٧٧
(رو ١١:٢٩) " لأن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة "..................... ٤٧٧
(رو ١١:٣٠ـ٣١) " فإنه كما كنتم أنتم مرة لا تطيعون الله ولكن..."....... ٤٧٧
(رو ١١:٣٢) " لأن الله أغلق على الجميع معًا في العصيان لكي ...".... ٤٧٨
(رو ١١:٣٣) " يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما أبعد أحكامه ... ".... ٤٧٨
(رو ١١:٣٤ـ٣٥) " لأن من عرف فكر الربّ أو صار له مشيرًا ...".... ٤٧٩
(رو ١١:٣٦) " لأن منه وبه وله كل الأشياء"............................ ٤٧٩

الاصحاح الثاني عشر

العظة الواحدة والعشرون: ٤٨٥
(رو١٢:١) " فأطلب إليكم أيها الاخوة برأفة الله أن تقدموا..."............ ٤٨٥
(رو١٢:٢) " ولا تُشاكلوا هذا الدهر. بل تغيروا عن شكلكم بتجديد..".. ٤٨٩
(رو١٢:٣) " فإني أقول بالنعمة المعطاة لي لكل مَنْ هو بينكم أن... "... ٤٩١
العظة الثانية والعشرون: ٤٩٧
(رو١٢:٤ـ٥) " فإنه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ... "..... ٤٩٧
(رو١٢:٦) " ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة ..."...... ٤٩٨
(رو١٢:٧) " أم خدمة ففي الخدمة "........................ ٤٩٨
(رو١٢:٨) " أم الواعظ ففي الوعظ "........................ ٤٩٩
(رو١٢:٩) " المحبة فلتكن بلا رياء "........................ ٥٠٠
(رو١٢:١٠) " وادين بعضكم بعضًا بالمحبة الأخوية "............ ٥٠٢
(رو١٢:١١) " غير متكاسلين في الاجتهاد "........................ ٥٠٣
(رو١٢:١٢) " فرحين في الرجاء. صابرين في الضيق مواظبين ..."... ٥٠٤
(رو١٢:١٣) " مشتركين في احتياجات القديسين "........................ ٥٠٥
العظة الثالثة والعشرون : ٥١٠
(رو١٢:١٤) " باركوا على الذين يضطهدونكم. باركوا ولا تلعنوا "...... ٥١٠
(رو١٢:١٥) " فرحًا مع الفرحين وبكاءً مع الباكين "........................ ٥١١
(رو١٢:١٦) " مُهتمين بعضكم لبعض اهتمامًا واحدًا غير مُهتمين..."... ٥١٢
(رو١٢:١٧) " لا تُجَازوا أحدًا عن شرٍ بشرٍ "........................ ٥١٤
(رو١٢:١٨) " معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس. إن كان... "...... ٥١٤
(رو١٢:١٩) " لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل اعطوا مكانًا... "...... ٥١٥
(رو١٢:٢٠ـ٢١) " فإن جاع عدوك فأطعمه. وإن عطش فأسقه..."....... ٥١٥

الاصحاح الثالث عشر

العظة الرابعة والعشرون : ٥٢٣
(رو١٣:١) " لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة"........................ ٥٢٣
(رو١٣:٢) " حتى أن من يقاوم السلطان يُقاوم ترتيب الله"................ ٥٢٥
(رو١٣:٣) " فإن الحكام ليسوا خوفًا للأعمال الصالحة بل للشريرة"...... ٥٢٦
(رو١٣:٤) " لأنه خادم الله للصلاح"........................ ٥٢٦

(رو١٣:٥) " لذلك يلزم أن يُخضع له ليس بسبب الغضب فقط..."....... ٥٢٧
(رو١٣:٦) " فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضًا. إذ هم خدام الله..".. ٥٢٧
(رو١٣:٧) " فأعطوا الجميع حقوقهم الجزية لمن له الجزية..."........... ٥٢٩
(رو١٣:٨) " لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلاَّ بأن يُحب بعضكم ..."...... ٥٣٠
(رو١٣:٩) " لأن لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته..."...... ٥٣٠
(رو١٣:١٠) " المحبة لا تصنع شرًا للقريب. فالمحبة هي تكميل..."....... ٥٣١
العظة الخامسة والعشرون : ٥٣٧
(رو١٣:١١) " هذا وإنكم عارفون الوقت أنها الآن ساعة لنستيقظ ..."....... ٥٣٧
(رو١٣:١٢) " قد تناهى الليل وتقارب النهار"......................... ٥٣٨
(رو١٣:١٣) " لنسلك بلياقة كما في النهار"......................... ٥٣٩
(رو١٣:١٤) " بل البسوا الرب يسوع المسيح "............................ ٥٣٩

الإصحاح الرابع عشر

العظة السادسة والعشرون : ٥٥١
(رو١٤:١-٢) " مَن هو ضعيف في الإيمان فاقبلوه لا لمحاكمة..."....... ٥٥١
(رو١٤:٣) " لا يزدرِ من يأكل بمن لا يأكل"......................... ٥٥٣
(رو١٤:٤) " من أنت الذي تدين عبد غيرك"......................... ٥٥٣
(رو١٤:٥) " واحد يعتبر يومًا دون يوم، وآخر يعتبر كل يوم "........ ٥٥٤
(رو١٤:٦) " الذي يهتم باليوم فللرب يهتم والذي لا يهتم باليوم..."..... ٥٥٥
(رو١٤:٧-٨) " لأن ليس أحد منا يعيش لذاته ولا أحد يموت لذاته..."..... ٥٥٦
(رو١٤:٩) " لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يسود على..."... ٥٥٧
(رو١٤:١٠) " وأما أنت فلماذا تدين أخاك أو أنت أيضًا لماذا..."......... ٥٥٨
(رو١٤:١١ــ١٢) " لأنه مكتوب أنا حي يقول الرب إنه لي ستجثو..."... ٥٥٨
(رو١٤:١٣) " فلا نحاكم أيضًا بعضنا بعضًا. بل بالحري أحكموا ... "....... ٥٥٩
العظة السابعة والعشرون : ٥٦٩
(رو١٤:١٤) " إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء ..."..... ٥٦٩
(رو١٤:١٥) " فإن كان أخوك بسبب طعامك يُحزن فلستَ تسلك..."...... ٥٦٩
(رو١٤:١٦-١٧) " فلا يُفتَرَ على صلاحكم. لأن ليس ملكوت الله ..."...... ٥٧٠
(رو١٤:١٨) " لأن من خدم المسيح في هذه فهو مَرْضِيُ عند الله..."..... ٥٧٢
(رو١٤:١٩) " فلنعكف إذًا على ما هو للسلام وما هو للبنيان ..."........ ٥٧٢

(رو١٤: ٢٠) " لا تنقض لأجل الطعام عمل الله"........................... ٥٧٢
(رو١٤: ٢١) " حسن أن لا تأكل لحمًا ولا تشرب خمرًا ولا شيئًا ..."........ ٥٧٣
(رو١٤: ٢٢) " ألك إيمان؟ فليكن لك بنفسك أمام الله"...................... ٥٧٤
(رو١٤: ٢٣) " وأما الذي يرتاب فإن أكل يُدان"............................ ٥٧٤

الإصحاح الخامس عشر

العظة الثامنة والعشرون:... ٥٨٣
(رو١٥: ١) " أن نحتمل أضعاف الضعفاء"............................ ٥٨٣
(رو١٥: ٢) " فليرض كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان"............ ٥٨٤
(رو١٥: ٣) " لأن المسيح أيضًا لم يُرض نفسه"............................ ٥٨٤
(رو١٥: ٤) " لأن كل ما سبق فكُتب كُتب لأجل تعليمنا.."............... ٥٨٥
(رو١٥: ٥) " وليعطكم إله الصبر والتعزية أن تهتموا إهتمامًا.."........ ٥٨٦
(رو١٥: ٦) " لكي تمجدوا الله أبا ربنا يسوع المسيح بنفس واحدة.."... ٥٨٦
(رو١٥: ٧) " لذلك إقبلوا بعضكم بعضًا كما أن المسيح أيضًا قبلنا.."....... ٥٨٦
العظة التاسعة والعشرون:... ٥٩٢
(رو١٥: ٨) " وأقول إن يسوع المسيح قد صار خادم الختان من ..."..... ٥٩٢
(رو١٥: ٩) " وأما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة"..................... ٥٩٢
(رو١٥: ١٠ـ١٢) " كما هو مكتوب من أجل ذلك سأحمدك في ..."....... ٥٩٣
(رو١٥: ١٣) " وليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام في الإيمان.."..... ٥٩٤
العظة الثلاثون :... ٦٠٠
(رو١٥: ١٤) " وأنا نفسي أيضًا متيقن من جهتكم يا إخوتي أنكم أنتم.."........ ٦٠٠
(رو١٥: ١٥) " ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم جزئيًا أيها الأخوة"....... ٦٠١
(رو١٥: ١٦) " بسبب النعمة التي وُهبت لي من الله"، أضاف: ..."....... ٦٠٢
(رو١٥: ١٧) " فلي افتخار في المسيح يسوع من جهة ما لله"............. ٦٠٣
(رو١٥: ١٨ـ١٩) " لأني لا أجسر أن أتكلم عن شيء مما لم يفعله ..."... ٦٠٤
(رو١٥: ٢٠) " ولكن كنت محترصًا أن أبشر هكذا. ليس حيث سُمّي.."........ ٦٠٥
(رو١٥: ٢١) " بل كما هو مكتوب الذين لم يخبروا به سيُبصرون.."...... ٦٠٦
(رو١٥: ٢٢) " لذلك كنت أُعاق المرار الكثيرة عن المجئ إليكم"............ ٦٠٦
(رو١٥: ٢٣ـ٢٤) " وأما الآن فإذ ليس لي مكان بعد في هذه ..."......... ٦٠٨
العظة الواحدة والثلاثون :... ٦١٥

(رو١٥: ٢٥-٢٧) " ولكن الآن أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم..."............ ٦١٥
(رو١٥: ٢٨) " فمتى أكملت ذلك وختمت لهم هذا الثمر"................ ٦١٧
(رو١٥: ٢٩) " وأنا أعلم أني إذا جئت إليكم سأجي في ملء بركة..."........ ٦١٧
(رو١٥: ٣٠) " فأطلب إليكم أيها الأخوة بربنا يسوع المسيح ..."......... ٦١٨
(رو١٥: ٣١) " أن تجاهدوا معي في الصلوات من أجلي إلى الله..."..... ٦١٨
(رو١٥: ٣٢) " حتى أجئ إليكم بفرح بإرادة الله "........................ ٦١٩
(رو١٥: ٣٣) " إله السلام معكم أجمعين أمين"............................ ٦١٩

الإصحاح السادس عشر

(رو١٦: ١) " وأوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة للكنيسة..."..... ٦٢١
(رو١٦: ٢) " كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين"................. ٦٢١
(رو١٦: ٣) " سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معي في المسيح..."........ ٦٢٢
(رو١٦: ٤) " اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي"...................... ٦٢٢
(رو١٦: ٥) " وعلى الكنيسة التي في بيتهما"............................ ٦٢٣
العظة الثانية والثلاثون :.. ٦٢٩
(رو١٦: ٦) " سلّموا على مريم التي تعبت لأجلنا كثيرًا"................. ٦٣١
(رو١٦: ٧) " سلموا على أندورنِكوس ويونياس نسيبيّ "................. ٦٣٢
(رو١٦: ٨) " سلموا على أمبلياس حبيبي في الرب"...................... ٦٣٤
(رو١٦: ٩) " سلّموا على أوريانوس العامل معنا في المسيح"............... ٦٣٤
(رو١٦: ١٠) " سلّموا على أبلِس المزكي في المسيح"...................... ٦٣٤
(رو١٦: ١١) " سلّموا على هيروديون نسيبي. سلّموا على الذين هم ..."........ ٦٣٥
(رو١٦: ١٢) " سلّموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين في الرب"............. ٦٣٥
(رو١٦: ١٣) " سلّموا على روفس المختار في الرب وعلى أمه أمي"..... ٦٣٦
(رو١٦: ١٤) " سلّموا على أسينكريتس فليغون هرماس بتروباس ..."..... ٦٣٦
(رو١٦: ١٥) " سلّموا على فيلولوغس وجوليا ونيريوس وأخته..."........ ٦٣٦
(رو١٦: ١٦) " سلّموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة"................... ٦٣٦
العظة الثالثة والثلاثون :.. ٦٤٥
(رو١٦: ١٧-١٨) " وأطلب إليكم أيها الأخوة أن تلاحظوا الذين ..."...... ٦٤٥
(رو١٦: ١٩) " لأن طاعتكم ذاعت إلى الجميع"........................... ٦٤٧
(رو١٦: ٢٠) " وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعًا"...... ٦٤٧

(رو١٦:٢١) " يسلم عليكم تيموثاوس العامل معي"...................... ٦٤٨
(رو١٦:٢٢) " أنا ترتيوس كاتب هذه الرسالة أسلم عليكم في الرب".... ٦٤٨
(رو١٦:٢٣) " يسلم عليكم غايس مضيفي ومضيف الكنيسة كلها"....... ٦٤٩
(رو١٦:٢٤) " نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم أمين"............... ٦٤٩
(رو١٦:٢٥ــ٢٧) " وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلي والكرازة ..."......... ٦٥٦
فهرس لبعض الكلمات الواردة بالنص.. ٦٥٩
فهرس لبعض أسماء الأشخاص الواردة بالنص.. ٦٧٢
فهرس لبعض أسماء المدن الواردة بالنص... ٦٧٥
فهر للآيات الواردة بالنص.. ٦٧٦

مقدمة

سنتناول في هذه المقدمة شخصية القدس يوحنا ذهبي الفم وحياته، ثم نستعرض كتاباته، والرؤية اللاهوتية في تعاليمه بصفة عامة، وأخيرًا سنتحدث عن علاقته بالقديس بولس وتفسيره لرسائله وخصوصًا رسالة رومية التي أرسلها إلى أهل تلك المدينة العريقة، والتي سنكتب بالتفصيل عن كنيستها ومَن أسسها والهدف من كتابة الرسالة لها، والتعاليم اللاهوتية والرسالة... الخ. وأخيرًا سنعلّق على المقدمة التي كتبها القديس يوحنا ذهبي الفم في بداية شرحه لهذه الرسالة.

I - القديس يوحنا ذهبي الفم

وُلد القديس يوحنا ذهبي الفم في مدينة أنطاكية سنة ٣٥٤م، في عصر استشرى فيه الفساد وانتشرت فيه الآثام والمعاصي، حيث كانت تشيع فيه روح البذخ والتنعم والافتخار بالثروة، وامتلاك القصور والعبيد والإماء، والانهماك في الشهوات والملذات. وكان القديس يوحنا ذهبي الفم يراقب كل هذا عن كثب، وكان يرى أن هذا المناخ لن يُفرز إلا تقسيم للمجتمع على أساس طبقي، وتمييز بين الأغنياء والفقراء، وإتساع لمساحة الظلم الإجتماعي، ولذلك فقد جاهد لرفع هذا الظلم، وإزالة هذه الفوارق الإجتماعية المعيبة، وكرّس حياته لنشر كلمة الإيمان، وتحقيق حياة الفضيلة، والسعي في خلاص النفوس بلا فتور. وفي كل هذا لم يكن يخشى أحدًا مهما كانت مكانته، بل إنه هاجم أباطرة بسبب سلوكهم غير المستقيم، وأيضًا لم يكن يتردد لحظة في مقاومة الظلم مهما كلفه هذا من متاعب ولم يثنيه الاضطهاد عن التمسك بمبادئه والتشبث بالحق.

كان والده قائدًا للجيش، أما أمه وتدعى "أنثوسا" فقد ترملت في سن مبكر جدًا، وقد رفضت هذه الأرملة الشابة التقية الزواج مرة أخرى وكرّست كل حياتها لتربية يوحنا تربية روحية مستقيمة. وكان لهذه النشأة الروحية أكبر الأثر في حياته فيما بعد. فقد مارس حياة النسك فعليًا حتى

أثناء تواجده مع أمه، لكن بعد انتقالها، ترك منزله وتوجه إلى البرية ليقضى ٤ سنوات في النسك إلى جوار ناسك سوري، ثم قضى سنتين بمفرده في احدي المغائر في جبال أنطاكية. لكن تدهور حالته الصحية أجبره على العودة إلى المدينة (أنطاكية). وقد تعمق في العلوم اللاهوتية أثناء فترة تنسكه تعمقاً كبيرًا، ظهرت نتائجه في تعاليمه اللاهوتية حتى أنه لُقب بذهبي الفم[1].

في عام ٣٨١م رسم شماسًا بيد الأسقف ميليتيوس، وفي هذه الفترة كتب عدة كتب منها:

١. ضد اليهود،

٢. ضد يوليانوس والأمم،

٣. عن البتولية،

٤. رسالة تعزية إلى أرملة شابة،

٥. الدفاع عن الرهبنة،

٦. الزواج ينبغي أن يكون مرة واحدة،

٧. ثلاثة رسائل إلى الراهب ستاجيريوس[2].

وفي عام ٣٨٦م رسم كاهنًا، ومن هذه اللحظة بدأ خدمته الحقيقية ونشاطه المكثف، وصارت له شهرة واسعة، حيث ذاع صيته من خلال عظاته المتميزة وقدرته على الخطابة. ولم تقتصر خدمته فقط على عمله الوعظي والتبشيري، لكنه انشغل أيضًا وبشكل أساسي بأعمال الرحمة في خدمة الفقراء والمعوزين، ولهذا فقد كرّس جزءً كبيرًا من حياته في خدمة كل مَن له احتياج، الأمر الذي جعله محبوبًا جدًا في كل أنطاكية. وقد عاش حياة متقشفة، وكان ملبسه خشنًا ومأكله بسيطًا، وكان يدوام على افتقاد الفقراء في بيوتهم ويزور المرضى والمسجونين ليخفف من آلامهم، وقد أكد بهذا السلوك على أن الحياة التعبدية لا يمكن ولا ينبغي أيضًا أن تكون في عزلة عن الحياة العملية، وبمعنى آخر لم تكن التقوى عنده بديلاً عن العمل.

[1] Δ.Γ.Τσαμης. " Εκκλησιαστική Γραμματολογία ". Θεσλνίκη 1992, σελ.163-164.
[2] Palladuis 5.

في عام ٣٩٧م - وبأمر من الإمبراطور أركاديوس - ذهب إلى القسطنطينية، لتقلد الكرسي البطريركي، فقد أجمع القسوس وكل الشعب على تزكيته لهذا المركز الرفيع على غير رغبته. وقام برسامته البابا ثافيلوس الأسكندري سنة ٣٩٨م. ومنذ ذلك الحين عاد النظام إلى بطريركية القسطنطينية، فاعتنى بالحياة الروحية للمؤمنين وكثف من عمله التبشيري ونجح في ضم كثيرين من الهراطقة والوثنيين إلى الطريق الأرثوذكسي القويم . وبسبب استقامة رأيه وجرأته في الحق، تصادم مع كثيرين منهم الإمبراطورة أفذوكسيا والوزير الأول في الإمبراطورية أفتروبيوس. وقد وُجهت له اتهامات عديدة وأُجبر على النفي ولكن بسبب زلزال أصاب المدينة (القسطنطينية) ـ قال البعض إن هذا قد حدث بسبب نفيه ـ فأمرت الإمبراطورة بعودته من المنفى . لكن بعد شهرين من عودته اختلف مرة أخرى مع أفذوكسيا، وأُقتيد إلى المنفى، وكانت أول محطة له هي مدينة كوكوسوس الأرمنية، وبعد وقت قليل صدر أمر آخر بإرساله إلى مدينة بيتوندا في الضفة الشرقية للبحر الأسود. لكنه لم يصل إلى هناك لأن الطريق كان طويلاً وشاقاً. وبسبب المتاعب الكثيرة والمعاملة السيئة التي لاقاها، تنيح في الطريق سنة ٤٠٧م[٣].

وتحتفل الكنيسة بتذكار نياحته في ١٧ هاتور ٢٧ نوفمبر.

كتابات القديس يوحنا ذهبي الفم:

القديس يوحنا هو من أكثر الآباء إنتاجًا، حيث تقع مؤلفاته في ١٧ مجلدًا في مجموعة الآباء باللغة اليونانية (Π.Γ. 47-64). وقد تنوعت كتاباته بين:

عظات تفسيرية:

+ سفر التكوين: ٨ عظات، تشكل تفسيرًا شاملاً للسفر.

+ شرح المزامير: ٥٨ مزمورًا. + سفر إشعياء (٦ عظات).

+ إنجيل متى (٩٠ عظة)، تشكل تفسيرًا كاملاً.

[٣] المرجع السابق، ص١٦٥.

+ إنجيل لوقا (٧ عظات). + إنجيل يوحنا (٨٨ عظة).

+ أعمال الرسل (٦٣ عظة).

+ عظاته على رسائل القديس بولس وهى تشكل نصف عظاته تقريبًا وتشغل الرسالة إلى رومية النصيب الأكبر من هذه العظات.

كتابات عقائدية:

+ ضد الأنوميين ١٢ عظة خُصصت للحديث عن الطبيعة الإلهية غير المدركة (Ἀκατὰληπτο τῆς θείας φὺσης)

+ ١٢ عظة " للمعمدين الجدد". + ٨ عظات " ضد اليهود".

عظات في موضوعات متفرقة:

+ عن الرحمة. + عن المجد الباطل وكيفية تربية الأولاد.

+ ثم عظات عن الكهنوت (٦ كتب عن سمو الكهنوت والمواهب والواجبات التي ينبغي توافرها فيمَن يتقدمون لنوال سر الكهنوت).

+ عن الحياة الرهبانية . + عن الزواج والبتولية

عظات في الأعياد والمواسم:

+ عن ميلاد المخلّص. + عن الظهور الإلهي. + عن عيد الخمسين.

+ عن صلب المخلّص. + عن القيامة. + عن الصعود.

+ ثم عظة عن خيانة يهوذا.

مديح للشهداء والأبرار القديسين:

مثل أيوب، المكابيين، الشهداء الأساقفة القديسين، القديس بولس.

رسائل:

+ كتب ٢٣٦ رسالة ومعظمها أُرسلت من المنفى.

+ ١٧ رسالة إلى الشماسة أولمبيا والتي كانت تعاونه في خدمته.

التعاليم اللاهوتية في كتابات القديس يوحنا ذهبي الفم:

اهتم القديس يوحنا ذهبي الفم بتقديم كتابات تتسم بالعمق والبساطة والوضوح. وفي هذا المجال قدم سلسلة عظات تحمل رؤيته اللاهوتية في بعض الموضوعات التي تتعلق بالإيمان المسيحي. ورغم أنه قد انشغل بشكل أساسي بخدمة الفقراء والمعوزين والمحتاجين، وكرّس الجزء الأكبر من حياته لإنجاز هذه الخدمة، إلاّ أنه قد خصص وقتًا ليس بالقليل لمقاومة الهراطقة، وللرد على اليهود واليونانيين . ثم قدم مجموعة عظات عن جوهر الله غير المدرك، مكونة من ١٢ عظة، وهى مقسمة إلى قسمين كما يتضح من محتواها:

١ ـ ضد الأنوميين[4] (عظة ١ـ٦).

٢ ـ عن وحدة الجوهر الإلهي (عظة ٧ـ١٢).

وقد ألقاها في خريف سنة ٣٨٦ ومطلع سنة ٣٨٧ في مدينة أنطاكية، باستثناء العظتين الأخيرتين اللذين ألقاهما في مدينة القسطنطينية سنة ٣٩٨[5]. ونظرًا لخطورة الأفكار التي نادى بها الأنوميين على نقاوة العقيدة وسلام الكنيسة، فقد قام القديس يوحنا ذهبي الفم بتخصيص مجموعة من العظات للرد عليهم وتفنيد آرائهم المنحرفة وكشف مدى زيف هذه الآراء وخطورتها. ولكي يخصص القديس يوحنا ذهبي الفم سلسلة طويلة من العظات للرد عليهم، فهذا يشير إلى أن المشكلة التي أثاروها، كانت مشكلة خطيرة. فالبرغم من مرور أكثر من نصف قرن على إدانة الآريوسيين (من قِبل المجمع المسكوني الأول في نيقية سنة ٣٢٥) إلاّ أنها كانت موجودة بأشكال متنوعة، وتتسم بالغرابة والتناقض، ولأنه راعي أمين على رعيته، لم ينحصر في موقف الدفاع فقط، بل شن هجومًا شديدًا على خصومه،

---

[4] الأنوميين: مجموعة من الهراطقة خرجت من رحم الآريوسية، وكانت تتسم بالتطرف الشديد في أفكارها. وهى تنتسب إلى أفنوميوس وهو هرطوقي ظهر في القرن الرابع وقد نادى بأن الابن هو من جوهر مختلف أقل من جوهر الآب، وإن كان قد أخذ وجوده من جوهر الآب وبطريقة مماثلة قالوا إن جوهر الروح مختلف عن جوهر الآب وعن جوهر الابن. إلاّ أنه أتى من طاقة الابن، كأول وأعظم مخلوقاته. (κατά Ευνομίου PG. 30, 861 Δ)

[5] ιωάννου χρυσοστόμου, Εργα Δογματικά, Αθήνα 1975, σε 13.

وكان يهدف من وراء ذلك، ليس فقط دحض آراء خصومه المنحرفة، بل وأن يُقيم أولئك الذين سقطوا، كما عبّر هو نفسه عن ذلك، بأن هذا كان هو الهدف الذي كان يسعى لتحقيقه.

هذه العظات تقدم لنا القديس ذهبي الفم كمعلّم لاهوتي مقتدر، صاحب رؤية متميزة تستمد محتواها من تعاليم الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ومن تقليد الآباء . أيضًا كمعلّم قادر على كشف زيف الهراطقة وإدعائاتهم الباطلة.

ففي عظاته الخمس الأولى ينقض آراء الأنوميين الخاصة بإمكانية معرفة جوهر الله. لأنهم نادوا بأن الإنسان لديه الإمكانية لمعرفة جوهر الله، وهذا ما اعتبره القديس يوحنا ذهبي الفم تزييف وخداع. وقد استند في رؤيته على أقوال الأنبياء وعلى تعاليم القديس بولس. فيرى أن الأنبياء قد تحيروا في إدراك جوهر الحكمة الإلهية، وحكمة الله تأتي من جوهر الله، وطالما أن حكمة الله تظل غير مدركة، إذًا فالجوهر الإلهي، سيبقى على كل الأحوال أمر غير مُدرك. فإذا كنا نجهل طاقات الله (ενεργέιες του θεού) التي استُعلنت في الخليقة، والتي يدعوها القديس يوحنا ذهبي الفم (οικονομία)، فهل يمكن أن ندرك جوهر الله؟

وقد ادعى الأنوميون أيضًا " أن الإنسان يعرف الله معرفة جيدة، تمامًا كما يعرف الله ذاته " وقد رفض القديس يوحنا ذهبي الفم هذا الإدعاء، ويستند في هذا على أن الإنسان في ذاته هو (تراب ورماد) (تك١٨:٢٧). ولكنه كما يؤكد قد أخذ موهبة الحرية كتكريم له، وهذه الموهبة تُعطي له قيمة كبيرة . ومع هذا فلا ينبغي للإرادة الإنسانية أن تتباهى، بالإدعاء بأن لديها إمكانية لإدراك جوهر الله بالعقل. إن الإنسان ليس فقط لا يمكنه إدراك جوهر الله، بل ولا يمكنه إدراك جوهر ذاته، طالما أنه لا يعرف ماهية نفسه، ولا العلاقة بين النفس والجسد. ولذلك فعلى الإنسان أن يُسلّم ذاته لله

بلا شروط وبلا نقاش، إذًا ما أراد أن يأتي في علاقة مع الله[6] تمامًا مثل الإناء في يد الفخاري.

والدليل على عدم قدرة الإنسان على إدراك جوهر الله، هو جهله بالعالم الفوقاني. بيد أن جهل الإنسان، غير مرتبط بوجود الله، بل بماهية جوهر الله. بعد ذلك يشير إلى الكثير من رسائل القديس بولس، ليؤكد على أن الرسول بولس نفسه قد أكد على أن معرفته بالله، هى معرفة محدودة، فإن كان القديس بولس يُنكر على نفسه المعرفة التامة عن الله، كما جاء في رسالته إلى أهل فيلبي "أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت" (في٣:١٣)، فكيف يستقيم إدعاء الأنوميين حول إمكانية إدراك جوهر الله؟ إن الحقيقة لا يُعلّمها كلام بشري، بل سيُعلنها الله (في٣:١٥).

ثم يستطرد القديس يوحنا ذهبي الفم قائلاً إن الملائكة أيضًا لا يدركون جوهر الله. ومن المعروف أن الفرق بين البشر والملائكة فرق كبير، بقدر الفرق بين الأعمى والمبصر. بل أن الإنسان لا يستطيع أن يدرك جوهر الملائكة، ثم يتساءل وهل معرفة الإنسان هى معرفة كافية؟ يقول إن المعرفة الحالية تختلف عن المعرفة المستقبلية، على قدر اختلاف الإنسان الناضج الذي يعرف ماهية نفسه، مقارنةً بالمولود الذي يرضع (١كو١٣). فالمعرفة الحالية هى معرفة جزئية. على سبيل المثال أنني أُدرك أن الله حاضر في كل مكان، وهو بلا بداية وبلا نهاية. وأنه غير مولود، ويلد الابن، ومنه ينبثق الروح القدس، لكنني أجهل كيف يحدث كل هذا. فالله لا يُعبر عنه، لا يمكن إدراكه، وغير مرئي ويعلو على قدرات الإنسان الذهنية، لا يمكن فحصه حتى من الملائكة، ولا يُدركه الشاروبيم، ولا تستطيع الرئاسات والسلطات والقوات أن تفحصه، وأن الابن والروح القدس هما فقط مَن يعرفان الآب[7].

---

[6] ο.π, σελ. 14.
[7] κατα Ευνομίου, Λογος 5,1.

في العظة السادسة والتي ألقاها سنة ٣٨٦ قبل الاحتفال بعيد الميلاد بقليل، وهو العيد الذي يصفه بأنه (عيد الأعياد) لأن منه أخذت الاحتفالات الأخرى بدايتها (الظهور الإلهي - القيامة - الصعود - عيد الخمسين). يؤكد بأن تأنس المسيح هو سر يفوق الإدراك.

وفي **القسم الثاني من العظات (من ٧-١٢)** والذي يحمل عنوان **"وحدة الجوهر الإلهي"** نجد أن الموضوع يتغير في الفقرة الثانية من العظة السابعة ويبدأ بعبارة " إن كان الابن له نفس القوة ونفس السلطان وهو من نفس جوهر الآب " ويعلق بأن هذا الموضوع لا ينبغي أن يكون موضوع بحث، خاصةً وأن الكنيسة قد أخذت موقف رسمي في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م. لكنه حين يُناقش هذا الموضوع، بأن الابن هو واحد مع الآب في الجوهر، ولكي يُقنع المعارضين بهذه الحقيقة، فإنه يستند في ذلك **أولاً**. على الكتاب المقدس، **وثانيًا**، على رؤية البشر المشتركة، كيف أن ذاك الذي يلد هو واحد في الجوهر مع مَن ولده، **ثالثًا**: يلجأ إلى الطبيعة المشتركة للأشياء.

أما فيما يتعلق **بالعظة الثامنة** فهى من حيث المحتوى لا علاقة لها بهذا القسم من العظات، إذ يقول [لقد سبق هذا جدل مع الهراطقة، الذين أشاروا إلى (مت٢٠:٢٣) لكي يؤكدوا على أن المسيح ليس له نفس سلطان الآب. لكنه ينصح بدراسة مُدققة ومتأنية للكتاب المقدس، لأنهم في حالات كثيرة يسيئون التفسير. ومرة أخرى ينقض إدعاء خصومه من خلال نصوص الكتاب المقدس، وفي بقية العظة يُقدم تفسيره الشخصي للجزء المشار إليه (مت٢٠:٢١)، لكي يُزيل الشكوك التي ربما قد تكون طرأت على أذهان المستمعين.

وفي **العظة التاسعة** يُشير إلى قيامة لعازر، ويرد على الهراطقة الذين قالوا بأن المسيح قبل أن يُقيم لعازر صلّى إلى الآب، إذ قالوا " كيف يمكن لذاك الذي صلى أن يكون واحد في الجوهر مع مَن يصلي إليه " إذًا فالمسيح ليس واحدًا في الجوهر مع الآب. يرد القديس يوحنا ذهبي الفم ناقضًا هذا الإدعاء، بأسلوبه المعتاد متسلحًا بنصوص الكتاب المقدس، فيقول: [إن الصلاة لم

تكن لأجل القيامة، بل لأجل تعليم من كانوا حاضرين في تلك الساعة. فصلاة يسوع لا تمثل برهانًا على عدم وحدته في الجوهر مع الآب. لأنه كثيرًا ما كان يصلي، لكي يعلّم تلاميذه أن يصلوا. وهل هناك طريقة للتعليم أفضل من التعليم بالمثال؟ الصلاة بالنسبة للمسيح لا تعني نقصًا في القوة، والدليل على هذا أن المعجزات التي صنعها لم تكن يسبقها صلاة[8]].

وفي **العظة العاشرة** يقول إن تجسد الابن وليس الآب ليس دليلاً يُتخذ ضد ألوهية الابن. وحين صار أسقفًا للقسطنطينية في بدايات سنة ٣٩٨، ألقى العظتين الأخيرتين هناك (عظة١١ـ١٢)، وقد مرّت عشرة سنوات من تاريخ إلقائه للعظات (من ١ـ١٠) التي ألقاها في مدينة أنطاكية. إلاّ أنه قد واجه في القسطنطينية نفس المشاكل التي واجهها في مدينة أنطاكية، لأن الآريوسية كانت قد انتشرت هناك. وفي العظة ١١ تحدث عن العهدين القديم والجديد، وأكد على أنهما يتفقان فيما بينهما بشكل مطلق، ويتحدثان عن ألوهية الابن. أما في العظة ١٢ وهى تعتبر امتدادًا للعظة ١١، لأنها ألقيت في وقت قريب جدًا أى في الأحد اللاحق، فيتحدث فيها عن شفاء المقعد، ويُدلل بها على ألوهية المسيح، ويدعم هذا من الطريقة التي تحدث بها مع اليهود (يو٥ـ١٧). أما عن عظاته ضد اليهود، فإنه يُظهر فيها أبوة الراعي الذي يعتني بخلاص أبنائه ومصيرهم الأبدي. ثم يشرح موضوع الناموس وأن لا ضرورة له الآن، ولا معنى للتمسك بأحكامه، مشيرًا إلى ما كتبه الرسول بولس في هذا الصدد، حيث إن البار أمام الله هو الذي يحيا بالإيمان، وليس الذي يحيا بعمل الناموس. وأن ما دعاه لتقديم هذه السلسلة من العظات ضد اليهود، هو ما كان يستشعره من خطر جراء تمسك بعض المسيحيين الضعفاء بأحكام الناموس.

لذلك قدم أيضًا سلسلة عظات ضد اليهود، مكونة من ٨ عظات ألقيت سنة ٣٨٦. إذ يذكر في عظته الثانية ضد الأنوميين أن صراعه ضدهم قد

---

[8] ιωάννου χρυσοστόμου, Εργα Δογματικά, σελ.15.

تراجع، وأن صراعًا آخرًا ضد اليهود قد بدأ؛ وهو مُثقل به، حتى يسند الاخوة الضعفاء الذين سقطوا في الخداع اليهودي. إذ كان هناك بعض المسيحيين الذين اعتادوا أن يصوموا وأن يختلطوا باليهود. ففي **العظة الأولى** بدأ يشرح ويوضح أن الناموس كان ضروريًا حتى مجيء المسيح، وبعد مجيئه صار أمرًا زائدًا، فلا معنى للتمسك بأحكام الناموس، مُشيرًا إلى ما كتبه الرسول بولس " *بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه* " (رو٣:٢٠)، لا فرق في هذا بين اليهودي واليوناني "*لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني لأنه ربًا واحدًا للجميع غنيًا لجميع الذين يدعون به لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص* " (رو١٠:١٢). وأن في المسيح " *قد ظهر بر الله بدون الناموس مشهودًا له من الناموس والأنبياء بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون* " (رو٣:٢١-٢٢). هذا هو كلام القديس بولس، وكلامه يكتسب أهمية خاصة، بسبب أصله اليهودي. فهو كيهودي يعرف أهمية الختان، وأهمية الناموس بشكل عام. إذًا فالناموس يكتسب قيمة عندما يقود للمسيح، وحيث إن المسيح قد أتى، فهو إذًا بلا نفع كما يقول في **عظته الثانية**.

وفي **العظة الثالثة** يُشير إلى أولئك الذين يحتفلوا بالأصوام والبصخة على أساس اليوم الرابع عشر من شهر نيسان، سواء كان هذا اليوم هو يوم أحد أم لا. هذه المشكلة وجد لها المجمع المسكوني الأول سنة ٣٢٥م حلاً وأن عدم قبول البعض لقرارات الكنيسة، قد أثار الضعف داخلها. وبحسب رؤية القديس يوحنا ذهبي الفم، ليست هناك أهمية لعدد هؤلاء حتى ولو كان الرفض لقبول هذه القرارات هو من شخص واحد فقط، طالما أن الضعف موجود ويثير خطرًا. ويشرح بأننا بالطبع نصوم أربعين يومًا وهذا من أجل خطايانا، دون أن يرتبط الصوم بسر الآلام والصليب، لأن هذه ليست أحداث حزن، بل هي أحداث فرح، لأن بها خلُص الإنسان. ثم يستطرد قائلاً إن الشركة في الصوم اليهودي كان يُمثل خطوة أولى، تقود لسقوط المسيحي في شباك اليهودية. ويتساءل القديس يوحنا ذهبي الفم، كيف يحتفل اليهود

بالبصخة ويصوموا في أرض غريبة ووطن غريب، الأمر الذي يمنعه الناموس، وكان قاطعًا في هذه الجزئية (تث١٦:٥-٦). والأمر الأكثر غرابة بينما هم يخالفون الناموس، يركض المسيحيون نحوهم ويحاكونهم[9].

ويختم العظة الثالثة بدعوة المسيحيين (الإخوة الضعفاء) بأن يعودوا للمسيح، ويُصلي لأجل أن يسود الوفاق والوئام بين الاخوة. ويُشير إلى أنه في عصور أخرى كانت خطايا اليهود كثيرة، منها قتل الأبناء، السقوط في عبادة الأوثان، الجحود، ومع هذا لم يفقدوا رضى الله وحنوه، إلاّ أنهم الآن، لا يمكنهم أن يتمتعوا بهذا العطف بعد. لأنه يقول: " *لقد قتلتم المسيح وسفكتم دمه، وصرتم غير قابلين للإصلاح* ". هكذا فإن الكوارث التي حلّت بهم، جاءت نتيجة ترك الله لهم. وقد كان بين الذين يسمعون إليه، يهودًا، قد أراد أصدقاؤهم من المسيحيين أن يستمعوا إليه. ثم يوجه كلمته إلى المؤمنين أن ينتزعوا من المجمع، إخوتهم الضعفاء الذين ذهبوا مخدوعين إلى هناك. ويقول إن الناموس الذي اعتلى الشيب رأسه (أى الذي شاخ)، لا يمكنه أن يُصارع، ويعود إلى عبارة الناموس كيف أن العبادة هى في أورشليم فقط، وبالتحديد في الهيكل، وينتهي إلى نتيجة مفادها، أن هذه الأشياء غير موجودة الآن، لأنها دُمرت، وبناء عليه فهذه العبادة لا يمكن أن تصير في المجمع الآن، لأنها ستكون عبادة خارجة على ما يُقره الناموس.

ثم يتساءل عن مدى صحة الكهنوت اليهودي الآن، بعد مجيء المسيح، ويقول إن الكهنوت القديم قد انتهى، ونشأ كهنوت جديد على طقس ملكي صادق. لقد تراجع الكهنوت اليهودي، كما تراجع الناموس، لكي يُعطي مكانة للكهنوت المسيحي. إذًا لماذا هذا الاهتمام باليهود وبأعيادهم من قبل بعض المسيحيين؟ ويوجه لهم النصح بالابتعاد عن اليهود، أما بخصوص من سقط من الإخوة في الفخاخ اليهودية، فينصح بجذبهم مرة أخرى إلى حظيرة الإيمان. أما عن الأوصاف الثقيلة واللغة القاسية التي استخدمها ضد اليهود، فلأنه كان يرى الخطر الكبير المحدق بالمسيحيين

[9] ο.π, σελ. 16.

والذي كان يُهدد سلام الكنيسة ووحدتها، ولأنه راعي حقيقي، فقد شعر بالتزام تجاه حماية رعيته من هذا الخطر اليهودي[10]. أما عن كتاباته ضد اليهود واليونانيين الذين أنكروا ألوهية المسيح، فقد أكد القديس يوحنا ذهبي الفم بحجج قاطعة على ألوهية المسيح له المجد، وهذه الحجج على عكس ما يتوقع المرء، لم تستقى من الكتاب المقدس، بل إستندت إلى أحداث تحمل حقائق لا يستطيع أحد أن يتشكك فيها وهى:

١ ـ ما قام به المسيح له المجد من أعمال أثناء فترة حياته على الأرض، هى أعمال متفردة في التاريخ الإنساني، وتتجاوز كل القدرات الإنسانية، وهذا يُبرهن على ألوهيته.

٢ ـ موت المسيح على الصليب، لم يُشكّل نهاية لعمله الخلاصي، بل هو محطة وبداية جديدة في حياة الكنيسة التي أسسها بدمه. هذا الحدث غير المعتاد في تاريخ الإنسانية يُظهر قوة المسيح الفائقة.

٣ ـ لقد خرجت مدينة بيت لحم من دائرة عدم الاهتمام وصارت موضع للسجود والعبادة، وهذا حدث آخر لا تخطئه العين ويشهد على قوة المسيح الإلهية.

٤ ـ التحول الشامل الذي حدث في نفس القديس بطرس بعد القيامة، وأيضًا في نفوس التلاميذ الآخرين، والذي جعلهم مبشرين بالحقيقة وشهودًا لجراحات المسيح، يُشكّل أيضًا شهادة أخرى لألوهية المسيح.

٥ ـ تأسيس الكنيسة في مدة زمنية قصيرة، وفي مناخ مُحاط بالصعوبات والأخطار، في عذابات وميتات، من قبل ١٢ تلميذ مزدرى بهم، ثم اختيار الصليب الذي كان رمزًا للعنة ليكون أجمل ما في الكنيسة، وسندًا للمؤمنين، بما يشهد كل هذا، سوى بألوهية المسيح.

٦ ـ حدث آخر يفوق الفكر البشري بحسب رؤية القديس يوحنا ذهبي الفم، وهو أن التعاليم والعقيدة المسيحية، برغم الظروف الصعبة والمعقدة قد انتشرت في كل مكان، وليس هذا فقط بل وازدهرت بشكل فائق. ومن

[10] Ο.π, σελ. 174-176.

خلال التعاليم المسيحية انفتحت طرق حياة جديدة، وتغيرت العادات والتقاليد القديمة، وحلّت الفضائل محل الشهوات القديمة، وجذب الطريق الضيق والكرب الكثيرين إليه. هكذا تغير شكل العالم، وهكذا تجددت حياة الكنيسة، وهكذا شهد التاريخ أكبر وأعظم ثورة، ثورة النور ضد الظلام، ثورة الحياة ضد الموت، النعمة والبركة ضد لعنة الناموس[11].

بالإضافة إلى كل هذا، يعود القديس يوحنا ذهبي الفم، فيدلل على ألوهية المسيح من خلال النبوات أيضًا، والتي تمت جميعها بلا استثناء في شخصية المسيح. وبشكل خاص يذكر النبوات الخاصة بتأسيس الكنيسة، خراب أورشليم وهيكل سليمان والذي حدث كما هو معروف سنة ٧٠م عندما احتل الإمبراطور الروماني تيطس المدينة، ولم يتجاهل ذكر محاولة الإمبراطور يوليانوس الجاحد، إعادة بناء الهيكل، والتدخل الإلهي لوقف هذا العمل . من ناحية أخرى فإن كتّاب الأسفار المقدسة يُشكّلون بحسب القديس ذهبي الفم دليلاً قويًا جدًا، في مواجهة الرافضين لألوهية المسيح. فهم لا يسجلون فقط معجزات المسيح، بل أيضًا أصله المتواضع، وآلامه وصلبه، وهى أمور كان من الممكن جدًا، بسبب الامتنان والوقار الفائق لمعلّمهم، أن يَعبرُوا عليها ولا يذكرونها.

أخيرًا فيما يتعلق بنهجه اللاهوتي في مجال التعاليم الخريستولوجية فقد كان القديس يوحنا ذهبي الفم يؤكد دومًا على حقيقة المسيح الواحد. ورغم أنه أخذ جسدًا، إلاّ أنه لازال هو (**الله الكلمة**)، بلا انفصال أو اختلاط. فما حدث في التجسد هو إتحاد وليس امتزاج، فطبيعته لم تتحول إلى طبيعة أخرى، بل اتحدت بالأخرى.

ويُميز بين تعبير جوهر (ουσία) وطبيعة (φύση) ويقول إنها كلمات تعبر عن الطبيعة، وبين تعبير أقنوم (υπόσταση) وشخص (πρόσωπο) وهى كلمات تعبر عن الشخص. ويقول إن المسيح هو من

---

[11] Χριστου. κρικώνη " Η προσωπικότητα Ενός πολυπάθους Αγίου " θεσσαλονίκη 1996, σελ 235-240.

نفس جوهر الآب[١٢]. أما من جهة علاقة الابن بالآب، فهو يستخدم صيغة مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، في تفسيره للجزء الخاص بصلاة المسيح في بستان جثسيماني (مت٢٦: ٣٩). وقد واجه هرطقات كثيرة ظهرت في ذلك الحين ونادت بأن الابن لم يتجسد، بل كان هذا مجرد اعتقاد وخيال (ماركيون - ماني - وهرطقات أخرى). قال " إن هؤلاء شرعوا في هدم التعليم عن التدبير الإلهي. على الرغم من أن الآلام والموت والقبر الفارغ، أمور قد حدثت بالفعل.

+++++++

[٩] انظر مذكرة علم الآباء للكورسات المتخصصة (القديس يوحنا ذهبي الفم) د. نصحي عبد الشهيد.

إعجاب القديس يوحنا ذهبي الفم بشخصية الرسول بولس وإهتمامه وشغفه بتفسير رسائله:

للقديس يوحنا ذهبي الفم عظات احتفالية تحوى موضوعات خاصة بحياة القديسين وأعمالهم وجهادهم بعضها يخص شخصيات في العهد القديم مثل (أيوب، والمكابيين)، وبعضها خاص بشهداء مثل (رومانوس، ويوليانوس، وبرلعام، وبلاجية، يوفيندينوس ومكسيميانوس، لوكيانوس، ذورسيدا، ودومنينا فرنيكى وبروسدوكى)، وبعضها خاص بأساقفة مثل (أغناطيوس، فافيلاس، فيلوغونيوس، آفستاسيوس، ملاتيوس).

ضمن هذه المجموعة من العظات، تنفرد وتتميز عظاته السبع الرائعة عن القديس بولس[13]. وقد عبّر القديس يوحنا ذهبي الفم في هذه العظات عن تقديره البالغ واعجابه الشديد بشخصية الرسول بولس. في **العظة الأولى** يعرض الفضائل الكثيرة التي كان يتمتع بها الرسول بولس. وفي **العظة الثانية** أكد على أن القديس بولس قد أظهر من خلال حياته وأعماله إلى أي مدى من السمو يمكن أن تصل الطبيعة الإنسانية. وفي **العظة الثالثة** يصف العقبات الكثيرة والمشاكل المتعددة التي واجهها الرسول بولس بشجاعة نادرة، وأيضًا المحبة التي أظهرها تجاه كل مخدوميه. وفي **العظة الرابعة** يتحدث عن العودة من دمشق، والعمى الروحي الذي أصاب العبرانيين. أما في **العظتين الخامسة والسادسة** فيتحدث عن النصرة على الشهوات وعلى الخوف من الموت. في **العظة السابعة** والأخيرة يُقدِّم الرسول بولس كارزًا بالمسيح المصلوب ومفتخرًا بعلامة الصليب في كل مكان ذهب إليه.

لقد إهتم القديس يوحنا ذهبي الفم بدراسة رسائل القديس بولس دراسة مستفيضة ووافية، وقام بتفسير كل رسائله، ووجد فيها الكثير من التعاليم السامية النافعة لحياة المؤمنين ونموهم الروحي. وكان لتفاسيره العميقة أكبر الأثر في إنارة أذهان المؤمنين بالكثير من الحقائق الإيمانية والروحية التي شكّلت طريقة سلوكهم في هذه الحياة، وتمتعهم بالخلاص الذي أتمه

[13] P.G. 50, 473-514.

المسيح، وأيضًا بالإطلاع على أسرار ملكوت الله، وحياة الدهر الآتي، والمكانة العظيمة التي تنتظرهم في ملكوت الله، وغيرها من الأمور الروحية والإيمانية الهامة. وكان لهذه التفاسير أيضًا أثر كبير في توضيح وشرح بعض المواضع عسرة الفهم في هذه الرسائل. ولم يقتصر دور القديس يوحنا ذهبي الفم على مجرد توضيح معاني الرسائل، لكنه كان يتعرض أيضًا لموضوعات إيمانية وعملية من خلال شرحه لها.

وعلى الرغم من أنه قد درس الفلسفة عند أندراغاثيوس والخطابة عند ليبانيوس[١٤]، ونبغ فيهما إلاّ أن أسلوبه في التفسير كان يتميز بالبساطة والوضوح، وفي نفس الوقت يتسم بالرصانة والدقة. وقد تجنب ذهبي الفم استخدام المصطلحات الفلسفية المعقدة والعبارات اللاهوتية عسرة الفهم. كما أنه كان يميل إلى استخدام الأمثلة ليجعل معاني الجزء الذي يشرحه أكثر وضوحًا وأعمق فهمًا. ومن المحتمل أن يكون قد بدأ تفسير هذه الرسائل بحسب ترتيبها من البداية حتى النهاية.

وكانت غيرته لتفسير رسائل الرسول بولس غيرة قوية جدًا، وهذا راجع إلى إعجابه الشديد بشخصية هذا الكارز العظيم. وفي الواقع لا نجد أحد قد درس كتابات القديس بولس وارتبط بشخصه كما فعل ذهبي الفم. حتى أنه في تفسيره لرسالة رومية يقول: " كثيرًا ما اتخيله حاضرًا أمامي واعتقد أنني أراه يتكلم"[١٥] وقد كانت هناك بالفعل بعض أوجه الشبه بين القديس بولس والقديس يوحنا ذهبي الفم، فقد كان ذهبي الفم يحمل نفس كارزة كنفس القديس بولس، كما كانت لديه الغيرة عينها لخلاص النفوس مثل تلك التي كانت لمعلمه القديس بولس، كما كانت له نفس الجرأة في

[١٤] ليبانيوس (Λιβάνιος) فيلسوف سوري وُلد في أنطاكية سنة ٣١٥، ومات سنة ٣٩١ وعُرف عنه انه من الفلاسفة السوفسطائيين. عندما سُئل ليبانيوس وهو على فراش الموت أيًا من تلاميذه يستحق أن يخلفه؟ قال: " يوحنا لو لم يكن المسيحيون قد سرقوه منا " (د. نصحي عبد الشهيد، "الكتاب الشهري"، إصدار بيت التكريس لخدمة الكرازة، سنة ١٩٨٥م، ص٢٢).

[١٥] انظر مقدمة القديس يوحنا ذهبي الفم، ص ٧٢ .

مواجهة المتسلطين، وله ذات الرحمة بالفقراء والمحتاجين. أيضًا كان كل منهما قد قضى عدة سنوات في العزلة والتوحد، القديس بولس ذهب إلى صحراء العربية، والقديس يوحنا قضى في البرية مدة أربع سنوات، ثم متوحدًا لمدة سنتين[١٦].

يقع تفسير الرسالة إلى رومية في ٣٣ عظة، وهذه العظات تُشكّل، أروع تفسير لهذه الرسالة في العصر الآبائي[١٧]. وقد كتب القديس إيسيذورس الفرمي " أن القديس يوحنا ذهبي الفم في تفسيره لهذه الرسالة قد فتح كل كنوز حكمته وأفاض علينا منها، حتى أن القديس بولس نفسه لو أنه أراد تفسير هذه الرسالة ما كان له أن يفسرها بصورة أفضل من تفسير القديس يوحنا ذهبي الفم لها "[١٨].

يبدأ هذا التفسير وينتهي بمديح للقديس بولس، وفي الوسط تظهر عظمة القديس يوحنا ذهبي الفم كمفسر، وكراعي مهتم ليس فقط بأمور شعبه الروحية بل بطريقة سلوكهم المسيحي في المجتمع الذي يعيشون فيه.

وقد قدم القديس يوحنا ذهبي الفم تفسيره لهذه الرسالة في مجموعة عظات كانت قد أُلقيت بمدينة أنطاكية ربما في عام ٣٩٤م. وكان قد خصص الست عظات الأولى والجزء الأكبر من العظة السابعة للمقدمة ولتفسير الإصحاحين الأول والثاني.

+ **في العظة الأولى:** تعرض لزمن كتابة الرسالة بالإشارة إلى باقي رسائل الرسول بولس، وفيها أيضًا يؤكد على أن الجهل بالكتب المقدسة يثير كثير من المشاكل ويخلق كثير من الأزمات، ويُنهى العظة بحث المؤمنين على أداء مسئولياتهم من جهة الخدمة سواء بالتعليم أو بتصحيح أفكار كل مَن نعرفهم وبالأخص الزوجة والأولاد والأصدقاء والأقارب والجيران، مُقتدين

[١٦] عن كتاب "في الكهنوت أحاديث عن الزواج ..." منشورات النور بيروت ١٩٨٢، ص٩، ١٠.

[17] P.G. 60,391-682.

[18] (Eί πάυλος ο θεσπέσιος αττικήν είληφε γλῶτταν, ὤστε εαυτόν ερμηνεῦσαι οὐκ αν ἄλλως ηρμὴνευσεν ἤ ως ο εἰρημένος αοίδιμος ανὴρ. οὖτω καὶ ενθυμήμασι καὶ κάλλει καὶ κυριολεζία κεκόσμη ται ἠ ερμηνεὶα). Ο ισίδωρος ο πηλουσιώτης Επιστολή 5,32

في ذلك بالرسول بولس، ذلك الكارز العظيم الذي احتضن كل المسكونة وجال يبشر بخلاص المسيح المقدم مجانًا لكل البشرية.

+ **في العظة الثانية** (رو١:١٠-١٧): يتكلم عن محبة الله، وعن التبني، وعن هبات الله وأن هذه الهبات هي هبات ثابتة لا تتغير بل تبقى حتى بعد الموت، وعلى العكس من ذلك، يشير إلى الأمور الإنسانية التي هي بطبيعتها أمورًا مؤقتة ومتغيرة. ثم يحث المؤمنين على تجنب الشرور واقتناء الفضيلة.

+ **في العظة الثالثة** (رو١:١٧٨): يُشدد القديس يوحنا ذهبي الفم على ضرورة أن نقبل كل شيء بإيمان، وعلى أهمية أن ننفذ وصايا الله بدون أن نفحصها كثيرًا، بل أن نخضع لها خضوعًا تامًا، حتى ولو بدت هذه الوصايا غير مقبولة للفكر البشرى.

+ **في العظة الرابعة** (رو١:١٨-٢٥): يتوجه بكلامه للفلاسفة الوثنيين متحدثًا عن مراحم الله وطول أناته ويُنهى العظة بالحث على ضبط الإنفعالات وخاصةً الغضب والشهوة.

+ **في العظة الخامسة** (رو١:٢٦-٢٧): يُشير إلى مضاجعي الذكور والعقاب الذي يستحقونه، والعلاقات الشاذة سواء بين الرجال أو بين النساء، ثم يتحدث عن الدينونة وعن جهنم، ويعطى مثالاً بدينونة أهل سدوم وعمورة وما حدث فيها من تدمير، وذلك بسبب الشر الذي تزايد أمام الله. ويُنهى العظة بضرورة تجنب الحياة الرخوة، وأن نضع في قلوبنا مخافة الله على الدوام.

+ **في العظة السادسة** (رو١:٢٨-٢:١٦): يستكمل الحديث عن الدينونة وعن الجحيم، وعن كيفية الخلاص منهما، وفيها أيضًا يتحدث عن محبة الله الغنية لكل البشر.

+ **في العظة السابعة** (رو٢:١٧، ٣:٨): يتحدث عن معلّمي الناموس، وعن ضرورة أن يقترن التعليم بحياة الفضيلة، حتى ينجح العمل. وأيضًا يشير إلى المعنى الحقيقي للختان، وأن الختان في الظاهر في اللحم ليس ختانًا حقيقيًا،

بل أن ختان القلب بالروح هو الختان الحقيقي.

أما الاصحاحات من (٣ـ٧) فهي تشتمل على الجزء المتبقى من العظة السابعة حتى الجزء الأكبر من العظة الرابعة عشر، فالجزء المتبقى من العظة السابعة يحوي تفسير الجزء الأول من الاصحاح الثالث (رو٣: ١ـ٨) والذي يتحدّث فيه عن إحسانات الله تجاه اليهود والأمم على السواء. وفيه أيضًا ينتقد أولئك الذين قالوا " لنفعل السيئات لكي تأتي الخيرات"، واعتبر أن هذا جحود، وأن مَن يقول هذا الكلام يكون مستحقًا للدينونة، وبالأولى يستحق الدينونة كل مَن يترجم هذا الكلام إلى فعل. ثم تحدث عن العبودية للخطية، وضرورة تجنب الوقوع في الشر، حتى يصير المرء نافعًا للغير ولنفسه، وبهذا يتمتع بخيرات الدهر الآتي التي نترجاها جميعًا.

في العظة الثامنة يستكمل تفسير الاصحاح الثالث (رو٣: ٩ـ٣١)، يتكلّم عن الاحتياج للخلاص الذي نناله بالنعمة، طالما أن الناموس الطبيعي والناموس المكتوب كلاهما قد أضرا بأولئك الذين لم يستخدمونهما كما ينبغي. فمن جهة الأمم فإن الجميع أخطأوا، ومن جهة اليهود يقول بأنهم تعلّموا من الناموس شيئًا واحدًا هو معرفة الخطية وليس تجنبها. ولذلك فقد شدّد على البر الذي يأتي من الإيمان بالمسيح، وأنه لا يحق لليهودى أن يفتخر بأعمال الناموس بعد ذلك، لأنه قد أتى زمن النعمة. ثم أكد على أن الله للجميع، فهو ليس لليهود فقط، بل لليهود والأمم معًا. ثم تطرّق لموضوع المحبة والحسد، وأعمال الرحمة، وأهمية أن يحيا الإنسان بالمحبة، وأن تترجم هذه المحبة في أعمال واضحة، تتسم بالرأفة والرحمة والعطاء المستمر. أما الحسد فهو شر مُميت. ويصف الحاسد بأنه يرتدى قناع المحبة، لكنه يُشعل النار خفية.

في العظة التاسعة (تفسير رو٤: ١ـ٢٢) يقول إن الرسول بولس بعدما أوضح أن الجميع أخطأوا، وأن الخلاص لا يمكن أن يتم إلاّ عن طريق الإيمان، فقد برهن على أن الخلاص ليس سببًا يدعو للخجل، بل على العكس فهو يؤدى إلى مجد عظيم. وأن إبراهيم الذي كان أب الآباء عند اليهود، وله

علاقة وثيقة بالله، وهو الذى أُختتن أولاً، قد تبرّر بالإيمان وليس بأعمال الناموس. ولذلك فقد تحدث الرسول بولس عن بر الإيمان، "وإذا كان إبراهيم قد تبرّر بالأعمال فله فخر ولكن ليس لدى الله". ولأنه تبرّر بالإيمان فقد امتدحه الرسول بولس جدًا داعيًا إياه "أبانا" " فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكي يصير أبًا لأمم كثيرة. ولم يشكّ في وعد الله بل تقوّى بالإيمان"، ويدعو اليهود أن يقتدوا به في كل شيء. وينصح الجميع أن يُمجدوا الله بالإيمان وبالأعمال، وأن يتجنبوا كل خطية يُجدَّف بها على الله، ويؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم على أنه إن كان الله يطلب منا أن نُقدم له كل ما نملك من طاقات فهذا ليس لأنه في حاجة إليها، أو أنه يريد أن يتمجّد، لكن يطلبها لأجل خلاصنا طالبًا منا أن نسلك في خطى إبراهيم. ثم يقول إن كُنَّا لا نُسلّم أنفسنا للخطية، فلن يتجرأ الشيطان أن يقترب منا، وينهي عظته بالنصح من جهة التوقير الواجب للمائدة المقدسة (الافخارستيا).

في **العظة العاشرة** (رو٤: ٢٣-٢٥، رو٥: ١-١١) نجده بعدما تحدّث عن إيمان ابراهيم والبر الذي ناله بالإيمان، ينتقل إلى الكلام عنّا نحن وأنه ينبغي أن يكون لدينا إيمان راسخ حتى ننال نفس الكرامة التي نالها ابراهيم. وبعدما تكلّم عن الإيمان انتقل إلى الحديث عن محبة الله التي لا يُعبّر عنها تجاه البشر، والتي أُظهِرت بالصليب، إذ يقول " *الذي أُسلِمَ لأجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا* ".

وفي الجزء الثاني من هذه العظة (رو٥: ١-١١) يُكمّل حديثه عن التبرير بالإيمان، وأن هذا البر الذي بالإيمان سيحقق لنا السلام مع الله، بشرط أن نتبع ذاك الذي حقق البر والسلام أى المسيح له المجد. ويقول الرسول بولس أننا لا ينبغي أن نحزن ونتألم لفقدان خيرات العالم الحاضر، لكن علينا أن نضع رجاءنا في المسيح وحده، ذاك الذي من أجل محبته الفائقة مات لأجلنا ونحن بعد خطاة. وإن كان قد صالحنا بموته، فبالأولى كثيرًا الآن ونحن مصالحون نخلص بحياته.

العظة الحادية عشر (رو٥:١٢-٢١، رو٦:١-٤) يتكلم فيها عن كيفية دخول الموت إلى العالم وسيادته عليه، ويقول إن هذا قد حدث بخطية إنسان واحد (آدم). وإذا كان الموت قد دخل إلى العالم بموت إنسان واحد، هكذا أيضًا بالواحد (المسيح) قد صار البر للجميع . إذًا إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت، فإن فيض النعمة وعطية البر التي بالواحد يسوع المسيح قد وُهب لنا الكثير، وأُنقذنا من الجحيم، وابتعدنا عن الشر، ووُلدنا مرة أخرى من الله، وقد قمنا بعد أن دُفن إنساننا العتيق معه، وتبرّرنا وأصبحنا أبناءً وتقدّسنا وصرنا اخوة بالنعمة للابن الوحيد الجنس وورثة معه وصرنا جسدًا واحدًا معه. كل هذا دعاه الرسول بولس "فيض النعمة"، مُظهرًا هكذا أننا لم نحصل فقط على ما يُضمّد الجراح، لكن حصلنا على الشفاء والجمال والكرامة، وعلى مقام يفوق كثيرًا طبيعتنا الفانية.

وفي الجزء الثاني من هذه العظة (رو٦:١-٤) يتكلّم عن وجوب عدم الخضوع للخطية، وأنه ينبغي علينا أن نسلك بما يليق بالحياة الجديدة في المسيح. ثم يتكلّم عن طريقة الحياة الفاضلة والمرضية لله، ويقول إن كل مَن يحيا في الخطية هو متزعزع أو غير ثابت، ويتأثر بسهولة بالأفكار الشريرة، وأن كل مَن يُحرم من ممتلكاته ـ إن تحمل هذا الحرمان بشكر ـ فإنه سينال نفس المكافأة مع أولئك الذين أنفقوا ما لديهم على الفقراء.

أما العظة الثانية عشر (رو٦:٥-١٨) فإنه يُشير إلى الميتات المتنوعة التي يجوزها الإنسان في حياته. ويؤكد على أن الذي مات قد تحرر تمامًا من إمكانية أن يُخطئ طالما أنه ميت. هكذا أيضًا الذي تعمّد فلأنه مات مرة واحدة في المعمودية، ينبغي أن يبقى على الدوام ميتًا بالنسبة للخطية، لأن الخطية لن تسود علينا فيما بعد لأننا لسنا الآن تحت الناموس بل تحت النعمة. وإن فعلنا هذا سنحيا مع المسيح وسننال الحياة الأبدية. وفي هذه العظة أيضًا يواجه أولئك الذين يشتهون جمع المال، والذين يتصفون بالبخل، والطماعين.

وفي العظة الثالثة عشر (رو٦:١٩-٢٣، رو٧:١-١٣) يقول إن الرسول بولس يطلب من المؤمنين أن يكونوا يقظين حاثًا إياهم أن يكونوا أمواتًا عن العالم

وأن يبقوا ثابتين في مواجهة الخطايا، وأن يحيوا في البر والقداسة وأن يسلّموا أنفسهم بالكامل لحياة الفضيلة. وهذا هو ثمر أولئك الذين صاروا عبيدًا لله. ثم يؤكد على أنه إذا كان الموت هو أجرة الخطية، فإن الخضوع للنعمة هو هبة الحياة الأبدية.

وفي الجزء الثاني من هذه العظة (رو٧:١-١٣) يوضح أنه ليس الخطية فقط هى التي لن تسود علينا بل أن الناموس أيضًا لن يسود علينا، لأننا صرنا أمواتًا بالنسبة للناموس. فلقد بطُل الناموس بصليب المسيح وتحقق الخلاص من الموت بموت الرب. فبعد أن كنا نُثمر للموت حين كنا نسلك بالجسد، صرنا الآن نُثمر لله، بعدما مات ودُفن الإنسان العتيق الذي كنا ممسكين فيه. فنحن الآن في زمن النعمة، زمن الحياة الجديدة.

وأخيرًا يؤكد في العظة الرابعة عشر (رو٧:٤-٢٨، رو٨:١-١١) على أن الناموس "روحي" أى منزهًا عن الخطية، وهذا ما جعل الناموس هو المحذّر والمرشد والمصحح. أما الخطية فقد وجدت بسبب لامبالاة الخاضعين للناموس. وأن فعل الشر مرتبط بإرادتنا، فنحن الذين نختار الطريق الذي نسلكه. وأن التمييز الذي نعرف به الأمور الحسنة من الأمور الشريرة مغروس في داخلنا منذ البداية. كما يشرح القديس يوحنا ذهبي الفم رؤية الرسول بولس عن الدور الحقيقي الذي يقوم به الناموس، فهو لم يستطع أن يُخلّص، بينما المسيح قد خلّصنا. هكذا أراد أن يُظهر قوة المسيح وامتياز النعمة.

ثم يتناول في العظة الرابعة عشر موضوع الدينونة، ويؤكد على أنه لا توجد دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، أما إذا كان هناك شيء يسبينا إلى ناموس الخطية، بعد المعمودية المقدسة، فهذا راجع إلى عدم اهتمامنا، ولا مبالاتنا. لذلك يجب علينا أن نسلك بما يليق بهذه العطية العظيمة (عطية النعمة) بعد المعمودية. أى نسلك بحسب الروح وليس بحسب الجسد، لأن اهتمام الجسد هو موت، ويمثل عداوة لله، وهو الأمر الذي يُعد أسوء من الموت. أما الذي يحيا بالروح فإنه يركض بسهولة في طريق التقوى،

ولن يسود عليه الموت. وهذا ما أشار إليه القديس بولس بقوله: " أما الروح فحياة " لكي يبرهن على أنه يستطيع أن يهب الحياة للآخرين. **وبداية من الأعداد ١٢ـ ٣٩ (أي العظتين الخامسة عشر والسادسة عشر)** يتكلم عن الخليقة التي تئن وتتمخض إلى الآن، بل ونحن أيضًا الذين لنا باكورة الروح نئن في أنفسنا، إذ أننا قد تذوقنا بالفعل خيرات الدهر الآتي. وهذا يدفعنا أن نشتهي ما هو أفضل، أى شهوة المجد الإلهي. وهذا أيضًا قد أعلنه الرسول بولس بقوله: " *الذي سيُغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده* " (في٣:٢١). فإذا فقدنا هذا الرجاء، نكون قد فقدنا مجمل العطايا الخاصة بنا. هذا التطلع نحو الحياة الأبدية، واقتناء المجد الإلهي يسنده الروح، لأنه هو الذي يُعين ضعفاتنا، وبهذا الرجاء تهون كل المتاعب وكل المصاعب. ثم يتحدث عن عمل الرحمة تجاه الفقراء والمحتاجين، وأن مَن يقدم محبة لِمَن هم في احتياج، هو في الحقيقة يدّخر لنفسه في ملكوت الله، مجد وخيرات لا تُحصى. ثم يُشير إلى محبة المسيح الفائقة الوصف، والتي إحتوّت الجميع أبرار وأشرار، ومحبتنا نحن للمسيح " *من أجلك نُمات اليوم كله. قد حسبنا مثل غنم للذبح* " (مز٤٤:٢٢). ويؤكد ق. يوحنا ذهبي الفم على أنه لو وجدت خليقة أخرى، أيًا كان قدرها، سواء كانت مرئية أم غير مرئية، لا يمكن لها أن تفصلنا عن محبة المسيح. ويدعونا أن نتدبر أمورنا وأن نتيقن من أن هذه الحياة هى بطبيعتها حياة مؤقتة وزائلة، وأن الحياة اليومية تعلن لنا بجلاء وبشكل قوي جدًا أن الحياة الحاضرة هي كالعدم، بما تحمله من أشياء تستوجب السخرية. ويقول إنه ينبغي ألاّ نُسلّم أنفسنا لطغيان المال، لأن عمل الرحمة والرأفة يفوق بكثير قيمة المال. وهذا ما يعطينا دالة للوقوف أمام الله. لأنه لا يوجد شيء من الأشياء المرئية أو غير المرئية، يعادل قيمة الإنسان لدى الله.

أما في العظة السابعة عشر (رو٩:١ـ٣٣) فإنه يتحدث عن قصد الله حسب الاختيار، فالأمر لا يرتبط بالأعمال، بل بحسب بوعد الله الذي يدعو، ثم يتناول موضوع الإيمان والفضيلة، والقرابة الحقيقية، مؤكدًا على أن القرابة

الروحية، وليست القرابة الجسدية، هى القرابة الحقيقية. ثم يشير إلى أن الملكوت هو عطية الله، فهو ليس لمن يشاء أو لمن يسعى، ولذلك نجده يزدري بالتباهي ويقلل من شأنه، ويدعو المستمع، إلى الخضوع التام لإرادة الله. إذ هى إرادة صالحة دومًا، لأنه يريد للجميع معرفة الحق، ويدفع الخطاة الذين يرغبون في العيش بنقاوة، إلى طريق التوبة. وهو في هذا قد أظهر مراحم كثيرة وطول أناة على أولئك الذين ارتكبوا شرورًا كثيرة، حتى قدموا توبة حقيقية. لكن في نفس الوقت يؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم على أن الأمر لا يعتمد على إرادة الله وحده، لأنه لو حدث هذا، فلن يكون هناك شيئًا يمكن أن يعيق خلاص الجميع. والدليل على هذا أن البعض قد هلك، والبعض قد خلص. ثم يتحدث عن البر الذي أدركه الأمم دون أن يسعوا إليه، وأن الإسرائيليين لم يدركوا البر، برغم من أنهم قد حاولوا إدراكه. لكنه يؤكد أن العطية هى للجميع، وشرط التمتع بها، هو قبول الإيمان فقط.

و في **العظة الثامنة عشر** (رو١٠: ١ـ٢١)، يتناول موضوع الجهل ببر الله، إذ أراد اليهود أن يثبتوا بر أنفسهم، بالإعتماد على جهدهم الخاص وأتعابهم، وتجاهلوا بر الإيمان والذي يدعوه الرسول بولس "بر الله"، لأنه يعتمد بالكامل على نعمة الله. فأولئك الذين يقاومون عمل الروح القدس، ويرغبون في أن يتبرروا بالناموس، لا يمكن أن يأتوا إلى الإيمان. وهم لم يستطيعوا أن يتبرروا بالناموس، لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل مَن يؤمن. فالناموس لا يُخلّص، بينما النعمة تمنح البر الخاص بها، وبر الناموس أيضًا " *إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت* " (رو١٠: ٦ـ٩). ويُشير بعد ذلك إلى الشهوة التي تقود حتمًا للجحيم وهى شهوة المجد الباطل، ويعتبرها شهوة رديئة، لأنها تعوق سعي الإنسان نحو المجد الإلهي، ولا يأتي من ورائها أى ربح. أما مَن يحتقر هذا المجد الباطل، سينال مدحه من الله، لأنه وكما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم، بقدر البون الشاسع في المسافة بين المجد والإزدراء، هكذا يكون الفرق بين المجد الإلهي والمجد الإنساني الباطل.

ثم يواصل في **العظة الثامنة عشر** (رو ١٠:١-١٣)، ويستكملها **بالعظة التاسعة عشر** (رو١٠:١٤-٢١، ١١: ١- ٦) ويقول فيهما إن الله لم يرفض شعبه، ويستشهد بموقف إيليا النبي وما حدث آنذاك، إذ أبقى الله لنفسه في ذلك العصر سبعة آلاف نفس لم تنحنِ لبعل. لكنه يؤكد على أن الخلاص يتحقق بنعمة الله فقط، وليس بالناموس، لأن التمسك بأحكام ووصايا الناموس سيؤدي إلى حرمان المتمسكين به من نعمة الله. لذلك وحتى لا يبدو أن هذا كلامًا غريبًا، قال إن هناك سبعة آلاف قد خلصوا بالنعمة إذ يقول "*فكذلك في الزمان الحاضر أيضًا قد خلصت بقية بالنعمة* " (رو١١:٥) بل قال أيضًا "أبقيت لنفسي ". لكنه يؤكد أيضًا على أن النعمة تخلص فقط الذين يقبلونها، وليس الذين يتحولون عنها ويقاومونها . ثم يدعو الجميع لتقديم الشكر لله، لا بالكلام فقط، بل وبالعمل أيضًا، مهتمين بممارسة الفضيلة وحياة التقوى. ثم يتعرض لموضوع البر بالفقراء، وأنه ينبغي الاهتمام بعمل الرحمة، وتقديم ثرواتنا للفقراء قبل أن يداهمنا الموت، لأنه إن لم يحدث هذا، فإن هذه الثروة لن تُفيد موقفنا أمام الله في الدينونة الأخيرة.

وفي **العظة العشرون** (رو١١ : ٧: ٣٦) يتحدث فيها عن موقف الله من الشعب اليهودي، وأن مالم ينله إسرائيل، هذا قد ناله المختارون. لأن بزلتهم صار الخلاص للأمم . لأن الخلاص مرتبط بنعمة الله وليس بعمل الناموس. ثم يؤكد ق. بولس على أنه إذا كانت الباكورة مُقدسة فكذلك العجين. وأنه لاينبغى على الأممى أن يفتخر في مواجهة اليهودي، لأن الأغصان لا تحمل الأصل، بل الأصل هو الذي يحمل الأغصان. وأن الله أغلق على الجميع معاً في العصيان، لكي يرحم الجميع.

ثم يعقب هذا تفسير (الأصحاحات من ١٢ ـ ١٦) والتي تشتمل علي (العظات من ٢١-٣٣).

في العظة ٢١ (رو١٢: ١-٣). يؤكد علي محبة الله الفائقة نحو البشر، ويشير إلي صلاحه غير الموصوف، وأن علي الإنسان أن يظهر سلوكاً يليق

بهذه العطية. وأن علي المرء أن يحيا بتعقل ويبتعد عن الكبرياء والاعتداد بالذات، فمن يجهل ذاته لا يعرف الأمور الأسمى منه.

وفي العظة ٢٢ (١٢: ٤-١٣) تكلم عن الجسد الواحد وأننا أعضاء بعضنا لبعض، فليس من الحكمة أن يعزل العضو نفسه بالكبرياء، متصورًا أن له موهبة أفضل من باقي الأعضاء. لأن هذه المواهب معطاة من الله " كما قسم الله لكل واحد مقدار من الإيمان " كما يقول الرسول بولس. ولذلك فقد طلب منهم أن تكون لهم مشاعر الحنو الواحد نحو الأخر، كما يقول " وادين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية". أي أن تكون المحبة قوية وفعالة وحارة . ثم تحدث عن البر بالفقراء وأهمية هذا أمام الله، وكيف لذلك الذي يحتقر الفقراء أن يطلب رحمة من الله، وكيف تطلب غفرانًا لخطاياك، عندما تهين ذاك الذي لم يخطئ إليك، بل تعاقبه وتتركه فريسة للجوع.

في العظة ٢٣ (١٢: ١٤ ـ ٢١) حدد كيفية السلوك خارج الكنيسة بقوله "*باركوا ولا تلعنوا* " و "*باركوا علي الذين يضطهدونكم*"، فهو لم يقل لا تنسوا الإساءة ، بل ذهب إلي أبعد من ذلك بكثير، وهذه هي سمة الإنسان الحكيم. ثم يؤكد على أهمية أن نشتعل بالمحبة ، وأن نشارك في الفرح وفي الحزن، وألا نجازي أحداً عن شر بشر، بل يجب أن يكون المرء محباً للجميع، وهذا هو معني " *معتنيين بأمور حسنه قدام جميع الناس* ". ولذلك يقول الرسول بولس "*فإن جاع عدوك فأطعمه وإن عطش فأسقه*".

أما في العظة ٢٤ (١٣ : ١-١٠) فقد تناول فيها موضوع خضوع المواطنين للرؤساء وأهمية هذا على السلام الاجتماعي، حتى لا تسود الفوضى وتعم الاضطرابات. لأن "*مَن يقوم السلطان يقاوم ترتيب الله*" كما يقول الرسول بولس. وأيضاً "*أفتريد ألا تخاف السلطان أفعل الصلاح* ". وهكذا ينال الإنسان الذي يصنع هذا مجداً وكرامة من الله.

في العظة ٢٥ (١٣ : ١١-١٤) يطلب من المؤمنين اليقظة الروحية والتخلص من اللامبالاة "*لأن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا*"، وأيضًا "*قد تناهي الليل وتقارب النهار*"، أي يجب أن نودع النوم والتراخي لكي يُدركنا النهار ونحن مستعدين . فلنتجاوز الخيال، ولنتخلص من أوهام الحياة

الحاضرة، ولنترك النوم والكسل، ولنلبس الفضيلة ونبتعد عن ممارسة الشهوات الجسدية، بل يجب أن نصنع كل ما يليق بحياة العفة والفضيلة.

في العظة ٢٦ (١٤ : ١ـ ١٣) يطرح موضوع اليهود الذين آتوا إلي الإيمان، غير أنهم لم يتحرروا بعد من الضمير الناموسي، وهؤلاء ظلوا حتى بعد الإيمان متمسكين بالتمييز بين الأطعمة. فينصح الرسول بولس بمعاملة هؤلاء بحكمة وتعقل وهدوء، حتى لا يحدث ما هو غير مرغوب فيه، لأنه من الممكن في محاولة البعض إثناء هؤلاء عن الإهتمام بالأطعمة، أن يجعلوهم يخسرون الإيمان، فيبادروا إلي تصحيح كل شيء قبل الوقت المناسب. لذلك يقول لهم القديس بولس "*من هو ضعيف في الإيمان فاقبلوه لا لمحاكمة الأفكار*".

في العظة ٢٧ (١٤ : ١٤-٢٣) يتحدث القديس يوحنا ذهبي الفم عن توبيخ الذي يدين أخاه، وأن ليس هناك شيئاً نجساً بذاته، لكنه يصير كذلك بواسطة إرادة من يفصحه . هكذا يصبح نجساً بالنسبة له وحده. ثم يشرح قول الرسول بولس "*لأن تهلك ذاك الذي مات المسيح لأجله* " قائلاً إن كان المسيح لم يربح الجميع، لكنه مات لأجل الجميع، فهل تعرف أنت إنه بسبب الطعام تحرم أخاك من الأمور العظيمة. فملكوت الله ليس أكلاً وشرباً. وما هو أكثر أهميه من ذلك بكثير هو الإهتمام بما هو نافع للسلام والبنيان بعضاً لبعض.

العظة ٢٨ (١٥ : ١ـ ٧) يتناول فيها إحتمال ضعف الضعفاء، ويقول إن الرسول بولس بهذا الكلام قد أراد أن يحث القوي علي السلوك برأفة حتى يصلح مريضاً ضعيفاً، خاصةً ونحن أيضاً ضعفاء، ولكننا قد صرنا أقوياء بالنعمة. وهذا بحد ذاته يقود للبنيان. هكذا يشرح القديس بولس أن المسيح نفسه "*من أجلكم أفتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره*". ثم يقول إن هذا الوئام والإهتمام الواحد يُمجّد الله بقوة. فلنترفق بالغير لأن هذا قد يجعل الشرير بارًا والمسيء صالحًا، إذ هو علي كل حال هيكل للرب .

في العظة ٢٩ (١٥ : ٨ ـ ١٣). يتحدث عن عناية المسيح ومحبته الفائقة للبشر وكيف تخلي عن المجد اللائق به لأجل خلاصنا. ثم يتطرق لموضوع القادمين من الأمم، وأنهم مديونين لله بالأكثر، وإذا كان الأمر كذلك، فسيكون من العدل أن يحتملوا الضعفاء الذين آمنوا من اليهود. ثم تحدث عن أن المسيح قد أكمل الناموس بتحقيقه للوعود المكتوبة بالحرف وعندئذٍ فقد أُبطل الناموس.

في العظة ٣٠ (١٥ : ١٤ـ ٢٤). يركز القديس ذهبي الفم علي دعوة الرسول بولس للفضيلة بأنها صلاح. وكيف أنه قد أمتدح فيهم السلوك بالفضيلة، وأنهم مملئون من كل صلاح وعلم، وهذا يقود للسلوك بحكمة ووقار، ويحث علي معاملة الآخرين برأفة وترفق وحنو . ثم يتحدث عن زمن الروح القدس والمعجزات التي صارت بنعمة الروح، بقوله " بقوة آيات وعجائب ". ثم يشير لمحبة وحنو الرسول بولس نحو رعيته، إذ يقول إن [المحبة هي بالحقيقة ما ينبغي أن يتصف به المعلم قبل كل شيء، لهذا قال المسيح لبطرس "*أتحبني.. أرع غنمي*"، لأن من يحب المسيح يحب رعيته"].

العظة ٣١ (رو ١٥ : ٢٥ ـ ٣٣ رو ١٦ : ١ـ ٥) يتحدث فيها عن إشتياق الرسول بولس لرؤية أهل روما ثم يشرح قول الرسول أنه ينبغي عليهم أن "*يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين* " لأن الأمم صاروا شركاء في الروحيات، فينبغي عليهم أن يشاركوا في تسديد إحتياجات الفقراء من القديسين. بحسب قوله " أن يخدموهم". بل وطلب الصلوات من أجل أن تكون هذه التقدمة مقبولة لديهم. ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم إن الرسول بولس أراد شيئاً أخر من وراء ذلك، وهو أنه ليس كافياً مجرد إعطاء الصدقة حتى تصبح مقبولة، لأنه حين يقدِم شخص عن إضطرار من مال ظالم، قاصداً المجد الباطل، فإن الثمر يبطل. ثم يشير إلي إهتمام الرسول بولس بفيبي خادمة كنيسة كنخريا. ويقول أن الرسول بولس ذكرها قبل الجميع، وكما يحق للقديسين. وكيف أنه قد أمتدحها لأنها صارت مساعدة لكثيرين، بل وله هو أيضاً . ثم يتعرض للسلام الرسولي لعدد من

الشخصيات التي إمتدح فيهم تقواهم ومَحبتهم وخدمتهم وتضحياتهم، وبخاصة النساء اللائي أظهرن جرأة وتضحيات فاقت الرجال.

العظة ٣٢ (١٦ : ٦ ـ ١٦) يستكمل فيها عرضه وتحليله للسلام الرسولي وتركيزه علي كلمات الرسول بولس مثل "*باكورة أخائيه*" و "*نسيبي*" و "*حبيبي في الرب*" وأيضًا "*العامل معنا في المسيح*" و "*المزكي في المسيح*" و "*التاعبتين في الرب*" .

و"*المختار في الرب*". ثم يقول [إن البعض ممن يشعرون بمكانتهم، قد يتجاهلون هذا الجزء من الرسالة كما لو كان جزءاً زائداً وليس له أهمية كبيرة، إلا أن صانعي الذهب يهتمون بالبرادة الصغيرة] ثم يُكمل أنه من خلال هذه الأسماء البسيطة يمكن أن تحصل علي كنز عظيم . فلو أنك عرفت لماذا دُعِيَ إبراهيم بهذا الاسم وهكذا أيضاً بالنسبة لأسماء مثل سارة وإسرائيل وصموئيل، ستعرف من خلال هذا المدخل أمور تاريخيه كثيرة.

في **العظة ٣٣** (رو ١٦ : ١٧ ـ ٢٧) يستعرض النصح الذي قدمه الرسول بولس لأهل رومية، بشأن أولئك الذين يصنعون الشقاقات والعثرات، ويقول إن القديس بولس فَعَل هذا بوداعة وليس بسلطان، لأنه يدعوهم أخوة، قائلاً " أطلب إليكم أيها الأخوة ". لأن الإنقسامات كما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم هي التي تدمر الكنيسة وهذا هو سلاح الشيطان، وهذا يحول كل شيء إلي فوضي تامة. وهذه الإنقسامات تأتي من التعاليم المخالفة لتعاليم الرسل. ويحذر الرسول بولس من النفاق والمداهنة، لأنه يقول "*يخدعون قلوب السلماء بالكلام الطيب والأقوال الحسنة*". وأخيراً يوجه تحية لمدينة رومية ويعتبرها مدينة محبوبة لديه، لأنها سعيدة الحظ لأن الرسول بولس قد عاش فيها، وإليها كتب رسائل وأحب أهلها، وفيها إنتهت حياته. ولأنها أيضاً إحتضنت عامودي الكنيسة بولس وبطرس.

ترجمة مبكرة لهذه العظات

وفي محاولات القديس أغسطينوس كي يبرهن على أن القديس يوحنا ذهبي الفم لم يكن له أفكار بيلاجية[19] - كما ادعى خصومه - عرض أجزاء من العظة العاشرة من تفسيره لرومية، الأمر الذي يعنى أنه ربما كانت هناك ترجمة لاتينية لتفسير هذه الرسالة تمت في وقت لاحق[20]. وبالإضافة إلى التفسير الكامل للرسالة توجد خمسة عظات أخرى على بعض الشواهد المتفرقة من نفس الرسالة في مجموعة الآباء اليونانيين (PG51,155-208) .

+ + + + + + +

[19] **البيلاجية:** نسبة إلى بيلاجيوس وهو راهب بريطاني ذو ثقافة يونانية واسعة. وقد إنشغل بموضوع " الخطية الأصلية". وحاول أن يقدم لها شرح خاص، فبحسب رأيه فإن هذه الخطية لم تُحدِث في الطبيعة والإرادة الإنسانية أي تحول يذكر. فهي تشكل فقط نموذج سئ لسلوك الأجداد الأولين (آدم وحواء)، وبناء عليه لا يوجد أي وراثة للفساد والذنب. والمعمودية هي مجرد إعلان لتصحيح الأخطاء الشخصية لكل إنسان، والدور الأساسي في هذا التصحيح تلعبه إرادة الإنسان من خلال اقتفاء آثار المثال الروحي الذي هو المسيح.

[20] Adv.Julianum 1,27.

II ـ رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية

أ ـ مَن أسس كنيسة رومية:

غير معروف على وجه التحديد مَن الذي أسس كنيسة رومية، هناك رأى يقول بأن أكيلا وبرسكيلا هما اللذان نشرا المسيحية في روما، وكانا قد اكتسبا خبرة كبيرة في طريق الرب كما جاء بسفر الأعمال أنهما شرحا لأبولس ".. طريق الرب بأكثر تدقيق" (أع١٨: ٢٦-٢٧). وقد أقاما في روما زمنًا قبل أن يُصدر كلوديوس أمرًا بطرد اليهود من هناك، فتركا روما وجاءا إلى كورنثوس، وهذا ما يؤكده سفر الأعمال "وبعد هذا مضى بولس من أثينا وجاء إلى كورنثوس فوجد يهوديًا اسمه أكيلا بنطي الجنس قد جاء حديثًا من إيطاليا وبريسكلا امرأته لأن كلوديوس كان قد أمر أن يمضى جميع اليهود من رومية" (أع١٨: ١-٢). لكن بعد موت الإمبراطور كلوديوس سنة ٥٤م، عادا مرة أخرى إلى رومية، بعد أن التقيا بالرسول بولس، واستمرا يمارسان معًا عملهما التبشيري هناك. وهذا يعنى أنهما قد ساهما معًا في نشر المسيحية في روما.

هذا الرأي ضعيف ولا يستند إلى معلومات دقيقة، فعلى الأرجح أنهما بقيا في أفسس، عندما ذهبا إلى هناك مع الرسول بولس، وذلك بعد رحيله من كورنثوس (أع١٨: ١٨-٢٦، ٢تى٤: ١٩).

وهناك رأى آخر يقول بأن الرومانيين الذين كانوا ضمن جنسيات مختلفة مجتمعين في وقت حلول الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين، واستمعوا إلى عظة الرسول بطرس، هؤلاء هم الذين نشروا المسيحية في روما (أع٢: ١٠).

كما أن المؤرخ اللاتيني سوتونيوس (Σουτονιος) يخبرنا عن وجود مسيحيين في روما سنة ٤٩م، ويتضح هذا من خلال الأمر الذي أصدره كلوديوس بطرد اليهود من إيطاليا، حتى يوقف الاضطرابات التي حدثت فيما بينهم، والتي نشأت بسبب التبشير بالمسيح. هكذا ـ بعد صدور أمر كلوديوس ـ اضطر كثير من اليهود المسيحيين إلى ترك روما، لكنهم عادوا بعد موته سنة ٥٤م. وهذا يؤكد الرأي القائل بوجود كثير من المسيحيين في

روما في ذلك العصر[٢١].

الرأي الثالث ينادى بأن القديس بطرس هو مؤسس كنيسة رومية، وأصحاب هذا الرأي هم بشكل أساسي من الباحثين المنتمين لكنيسة روما الكاثوليكية، لكن هذا الرأي ما لبث أن رُفض حتى من الكاثوليك أنفسهم، لأن سفر الأعمال يُخبرنا بأن القديس بطرس بعد خروجه المعجزي من السجن قد ".. ذهب إلى موضع آخر" (أع١٢:٧). ومن المستبعد أن يكون هذا المكان الآخر هو روما. ومن ناحية أخرى لو أن القديس بطرس كان هناك، وقت أن أرسل الرسول بولس رسالته إلى كنيسة رومية لكان بالطبع قد أرسل له السلام، مثلما أرسل إلى أشخاص كثيرين وردت أسمائهم في الإصحاح السادس عشر. ولا يمكن أن يقال بأنه بشّر في روما قبل ذلك الوقت، وهذا يُفهم مما قاله الرسول بولس " كنت محترصًا أن أبشر هكذا ليس حيث سُمّى المسيح لئلا أبنى على أساس آخر" (رو١٥:٢٠). فقد اعتاد كما هو واضح أن يذهب إلى أماكن لم يُبشر فيها بالمسيح بعد، حتى يبنى على أساس جديد. والأرجح أن القديس بطرس قد ذهب إلى روما بعد سنتين من سجن الرسول بولس (٦١-٦٣م).

فمن غير المعروف على وجه التحديد، مَن أسّس كنيسة رومية . ومن الأمور الجديرة بالذكر، إشارة أحد المؤرخين اللاتين في القرن الرابع، والذي يمتدح أهل رومية المسيحيين لأنهم آمنوا بالمسيح " بدون أن يروا معجزة واحدة، ولا حتى واحد من رسل السيد له المجد"[٢٢]. إذًا فالرسالة إلى رومية موجهة إلى كنيسة لم يؤسسها القديس بولس.

هذه الرسالة تُعد من أهم رسائل القديس بولس من حيث المحتوى اللاهوتي، وأكبرها من حيث الحجم، وتوصف عادةً "بإنجيل القديس بولس". لقد أكد الرسول بولس في هذه الرسالة على أن البر هو بالإيمان

---

21 Ιωάννης καραβιδòπουλος. " Εισαγωγή Στην καινή Διαθήκη ". θεσ/νίκη 1991 σελ.282.

٢٢ المرجع السابق ص٢٨٣.

الذي بيسوع، وليس بأعمال الناموس، وهو الموضوع الذي سبق وكتبه إلى كنيسة غلاطية، قبل أن يكتب رسالته إلى رومية بعامين . لكنه في رسالته إلى غلاطية كانت نغمة الرسالة حادة في مواجهة اليهود، إلا أنه في رسالته إلى رومية كانت اللهجة هادئة.

لقد مهّد الرسول بولس بهذه الرسالة الطريق، للقيام بزيارته إلى روما. لأنه عرّف أهل رومية وشرح لهم الإنجيل الذي بشر به، وتطور الأحداث يشير إلى ذلك، لأن هدفه هذا قد تحقق بالفعل . فعندما قُبض عليه في أورشليم ذهب إلى روما لكي يُحاكم هناك، بحسب ما ورد في سفر أعمال الرسل، حيث يشير السفر إلى أن هناك اخوة من روما جاءوا لاستقبال الرسول بولس "ومن هناك لما سمع الاخوة بخبرنا خرجوا لاستقبالنا إلى فورن ابيوس والثلاثة الحوانيت" (أع٢٨:١٥). لقد تحقق اشتياقه لرؤية أهل رومية لأنه يقول: " لأني مشتاق أن أراكم لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم" (رو١:١١)، وكان مستعدًا لتبشير أهل رومية بكل ماله " فهكذا كل ما هو لي مستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية" (رو١:١٥).

ب- هدف الرسالة إلى رومية:

كما سبق وأشرنا كانت هناك بالفعل رغبة قوية لدى الرسول بولس لأن يذهب إلى روما، لرؤية المسيحيين هناك، لكي يمنحهم هبة روحية لثباتهم، وأيضًا لكي يحقق امتدادًا لخدمته في كل إيطاليا وإلى أسبانيا أيضًا " فمتى أكملت ذلك وختمت لكم هذا الثمر فسأمضى مارًا بكم إلى أسبانيا" (رو١٥:٢٨). وكان قد بشّر بالإنجيل في الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية، لكنه أراد تحقيق تلك الرغبة الملّحة بالتبشير في الجزء الغربي من الإمبراطورية، حتى يتمم الخدمة التي أُئتمن عليها من الله. والأكثر احتمالاً أنه أراد أن يجعل من روما مركزًا لخدمته هذه.

كتب الرسول بولس هذه الرسالة كتمهيد لزيارته المزمع القيام بها في أقرب وقت ممكن. وكان ينتظر الوقت الذي فيه تبدأ الرحلات البحرية حتى يتمكن من إرسالها . ولما كانت الشماسة فيبي مزمعة أن تسافر إلى

هناك في فصل الربيع، فقد طلب منها أن تحمل رسالته إلى كنيسة رومية[٢٣].

لقد أراد - بهذه الرسالة - أن يؤكد على أن البر الذي يتمتع به الإنسان يأتي من الإيمان بالمسيح فقط وليس بأعمال الناموس، وأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني فيما يختص بموضوع الخلاص، فالخلاص هو للجميع . وشدّد على روح المحبة التي ينبغي أن تسود بين الجميع - يهودًا وأممًا - وعلى الروابط الروحية التي تتجاوز الأمور الشكلية والممارسات التي تنتمي للعهد قديم.

ومع نجاح خدمته واتساعها كما يؤكد هو على ذلك " حتى إني من أورشليم إلى إلليريكون قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح " (رو١٥:١٩)، شعر بمسئولية مشتركة مع آخرين مما خدموا معه على التأكيد على موضوع وحدة الكنيسة الجامعة . ففي أورشليم كان هناك تمسك بوصايا وأحكام الناموس من قِبل بعض أعضاء الكنيسة، وفي الغرب كانت كنيسة رومية تلعب دورًا مهمًا في هذه المنطقة، وكان الحضور اليهودي فيها قويًا وأهم ما كان يميّز هؤلاء اليهود هو حفظهم لأحكام الناموس بكل تدقيق . هذا الضمير الناموسي كان سببًا في زرع الخوف في نفوسهم، بإعتبار أن عدم التدقيق في ممارسة أحكام الناموس، قد يُعرّضهم للعقاب الإلهي . هذا ما جعله يكتب لهم على أنه "بأعمال الناموس كل ذى جسد لا يتبرر أمامه" (رو٣:٢٠). وأن البار أمام الله هو الذي يحيا بالإيمان، ولا فرق في هذا بين اليهودي واليوناني " لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني لأن ربًا واحدًا للجميع غنيًا لجميع الذين يدعون به لأن كل مَن يدعو باسم الرب يخلص" (رو١٠:١٢). وأنه لا يوجد أحد خارج نطاق الوعود الإلهية. وأن بطلان الناموس الموسوي، لا يعنى نقضًا للوعود الإلهية.

ومن أجل هذا يتوجه إلى أبناء أمته الذين يتمسكون بالحرف ويخضعون لأحكام الناموس ويفتخرون بهذا في مواجهة الجميع قائلاً: " إن لي حزنًا

[23] J.Holzner " παύλος " μετάφραση Τ. ιερωνύμου Αρχιεπισκόπου Αθηνών και πάσης ελλάδος, Αθήνα 1996, σελ.349.

عظيمًا ووجعًا في قلبي لا ينقطع ... لأجل اخوتي أنسبائي حسب الجسد" (رو٩:٣). لأنهم لم يدركوا بعد حقيقة أن البر غير مرتبط بأعمال الناموس، لكنه هبه أُعطيت للجميع مجانًا " متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح" (رو٣:٢٤). إذًا فهو يريد أن يؤكد على أنه الآن في المسيح " قد ظهر بر الله بدون الناموس مشهودًا له من الناموس والأنبياء بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون" (رو٣:٢١ـ٢٢). فغاية الناموس "هى المسيح للبر لكل مَن يؤمن" (رو١٠:٤). وكان يهدف من وراء ذلك إلى تحرير أذهان الكل من هذا الخلط في التعليم، ليجعل من شخص المسيح له المجد، المركز الذي تتمحور حوله، حياة الجميع في كل العالم، لأن به " قد صار لنا الدخول بالإيمان (وليس بأعمال الناموس) إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله" (رو٥:٢). ولذلك يطلب من الاخوة هناك أن يلاحظوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافًا للتعليم الذي تعلموه وأن يعرضوا عنهم (رو١٦:١٧).

من جهة أخرى نجد أن ارتباط الرسول بولس بكل الكنائس التي أسسها خلال فترة خدمته الممتدة كل هذه السنين الطويلة، كان ارتباطًا روحيًا قويًا لا ينفك، كما أنه كان دائم التواصل معهم سواء عن طريق الرسائل أو بتفقده الشخصي لأحوال الرعية التي ائتمنه الله على خدمتها، أو بتغطية احتياجات الكنائس من جهة الأمور المادية . لكنه في بعض الأحيان كان لديه احساس داخلي بأن تقدماته إلى أورشليم لن تكون مقبولة من القديسين، بالطريقة التي كان يتمناها، بل كان لديه شعور بأنه ذاهب نحو "فم الأسد" واضعًا في إعتباره ما سوف يلاقيه من غير المؤمنين، لذا نجده يطلب من المؤمنين قائلاً: " *فأطلب إليكم أيها الاخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معي في الصلوات من أجلي إلى الله لكي أُنقذ من الذين هم غير مؤمنين في اليهودية. ولكي تكون خدمتي لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين*" (رو١٥:٣٠ـ٣١).

كما أنه كان قد شعر باقتراب الشيخوخة، وأنها الأوقات الأخيرة التي

يستطيع فيها أن يترك لكل الكنائس المسيحية تعاليمه اللاهوتية الواضحة، وأن يؤمّن حصاده الروحي من أي تعاليم أخرى زائفة ومضللة، بعد هذه الرحلة الطويلة المليئة بالمتاعب والمشقات. فقد بشرّ الجميع بطرق الله المعلنة وغير المعلنة من أجل الخلاص، هذا الخلاص الذي كان في قصد الله قبل الأزمنة الأزلية.

التعاليم اللاهوتية في الرسالة:

تعاليم هذه الرسالة والتي تُعَد بمثابة تعاليمًا لاهوتية خاصة بالموضوع المحوري في الحياة المسيحية، والذي هو المكانة الجديدة للإنسان عند الله، التي تأسست بتجسد المسيح، يعلن فيها الرسول بولس رفضه التمسك بأحكام الناموس.

لقد جمع الرسول بولس حوله أصدقائه المقربين والمخصصين للخدمة، عند كتابة هذه الرسالة، وهؤلاء كان ينبغي أن يكونوا حاضرين، خاصةً وهو يخرج كل ما في نفسه، من أجل تأصيل الحقائق الإيمانية لمواجهة أي انحرافات في التعليم من الممكن أن تهدد سلام الكنيسة ووحدتها فيما بعد. وقد نال ترتيوس أحد تلاميذ الرسول بولس، شرفًا عظيمًا بأن يكون هو مَن أملاه الرسول بولس رسالته هذه، وقد سجل هو نفسه هذا الأمر بكل افتخار في نهاية الرسالة " أنا ترتيوس كاتب هذه الرسالة أسلم عليكم في الرب" (رو١٦: ٢٢).

وبعد هذه المقدمة، يُعلن الرسول بولس أمرًا له الأهمية القصوى في حياة المسيحيين، وهو أن إنجيل المسيح هو قوة الله للخلاص " *لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل مَن يؤمن* " (رو١: ١٦). ومثلما كانت حياة القديس بولس مُقسمة إلى مرحلتين، مرحلة ما قبل معرفة المسيح، ومرحلة ما بعد إيمانه بالمسيح، هكذا فإنه يرى أن تاريخ الإنسانية مُقسّم إلى قسمين، مرحلة ما قبل التجسد، ومرحلة ما بعد التجسد الإلهي. ففي مرحلة ما قبل المسيح، كانت البشرية بلا خلاص، ثم تمتعت بهذا الخلاص بعد تجسد

المسيح، الذي رد لها مكانتها الأولى." *لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيرًا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح*" (رو٥:١٧).

لقد كان الجميع، سواء اليهود أو الأمم، تحت غضب الله" *لأن غضب الله مُعلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم الذين يمزجون الحق بالإثم*" (رو١:١٨). ولم تستطع الحضارات المختلفة ولا التيارات الثقافية والفلسفية ولا التقدم الاجتماعي والأخلاقي، أن يوقف سقوط الإنسان وانحداره نحو الخطية.

فقد كان لدى الوثنيين، الناموس الطبيعي الذي يمكّنهم من معرفة الله، وكان لديهم أيضًا تلك الهبة الممنوحة من الله للجميع، أي العقل، والذي به يستطيع الإنسان إدراك الحقائق، المرئية منها وغير المرئية. هؤلاء عرفوا الله، لكنها كانت معرفة نظرية وعقيمة، فالعقل والضمير أُعطيا للإنسان كأداة لمعرفة الله، والطبيعة أيضًا تُمثل مرآه يستطيع الإنسان أن يرى فيها الحضور الإلهي، ويمكنه من خلالها أن يختبر قوة هذا الحضور. ومع ذلك " *لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم واظلم قلبهم الغبي. وبينما يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء*" (رو١:٢١).

كان الرسول بولس يعرف المحاولات الحثيثة للفلاسفة، للبحث عن ماهية الله والوصول إلى معرفته . لكن هذه المعرفة النظرية لم تستطع أن تُغيّر شيئًا من طبيعة الإنسان، فلا ينبغي أن نعرف الله فقط، بل علينا أن نعترف به أيضًا، فمعرفة الله لا تنحصر في مجرد العلم ببعض الأشياء عنه، بل يجب أن نؤمن به وأن نقدم له الإكرام والسجود والمحبة. لأن معرفة الله هي معرفة اختبارية، فيها يتذوق الإنسان جمال الحضور الإلهي داخله . لكن العالم الوثني اتبع طرقًا خدّاعة وسلوكًا آثمًا، وأقاموا من عناصر الطبيعة، من نجوم وحيوانات وتماثيل، آلهة لهم . هذا هو السبب الذي من أجله، رفع الله عنهم نعمته المُرشدة، وأولئك هم الذين " *لم يستحسنوا أن يبقوا الله في*

معرفتهم لذلك أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق" (رو١ :٢٨).

وقد أدان القديس بولس بكل قوة هذا الفكر وهذا السلوك الآثم. ويستطيع المرء أن يتفهم حجم هذه الإدانة، إذا ما نظر إلى الظلام الذي ساد الفكر الإنساني في تلك الفترة . حيث انتشرت عبادة إلهة العالم السفلى ذو المائة ثدي في أسيا الصغرى، وتماثيل البعل ذو الأعضاء التناسلية في سوريا، والمعابد المصرية بحيواناتها المخيفة، وأسرار معابد ايلفسينا[٢٤] بممارساتها الشاذة، وتأليه الرموز والآثار الخاصة بالمذابح المقدسة للإله أبيوس[٢٥]. هكذا صارت حكمة العالم حماقة، لأنهم *" أبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى والطيور والدواب والزحافات"* (رو١ :٢٣). كل هذا قد عرفه الرسول بولس، وكان أمام عينيه كل يوم، إذ أنه كان يكرز في كل مكان، مُبشّرًا بالإله الحي. ولأن العبادة الوثنية هي ـ في الأصل ـ نتاج الخطية، فقد كانت تلد الخطية باستمرار، بل إنها قادت الناس خطوة خطوة نحو ظلام العقل، ونحو إضعاف الحس الأخلاقي لديهم. وقد اتضح هذا من خلال سلوكهم الجنسي المنحرف والشاذ سواء بين النساء أم بين الرجال *" لأن إناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة وكذلك الذكور ... اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكورًا*

---

٢٤ ايلفسينا: ἐλευσινα هى من أكبر مراكز العبادات اليونانية القديمة التي اتخذت الشكل الرسمى، وكانت تُمارس فيها تلك العبادات منذ القرن الـ ١٥ قبل المسيح واستمرت حتى سنة ٣٩٣م، وكانت هذه العبادات تؤدى بشكل منتظم. حتى جاء الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير وأبطل العبادة الوثنية.
θρησκευτική και ηθική εγκυκλοπαίδεια, τόμος 5, Αθήνα 1964, σελ. 575-577.

٢٥ تأسست عبادة هذا الإله في منطقة بوليبونيسوس في جنوب اليونان. وكان التمثال الذي يُجسد الإله أبيوس عند اليونانيين القدماء يأخذ شكل ذئب متوحش، وعندما أسس البطالمة مملكتهم في مصر، حمل بطليموس الأول هذه العبادة إلى أرض مصر، حيث أسس معبد سيرابيس (السيرابيوم) ودعى هذا الإله باسم زفس ــ سيرابيس (Ζεύς - Σάραπις). وهذه العبادة تقابل عبادة الثور أبيس عند المصريين القدماء. هذا الثور المقدس الذي كان رمز الاخصاب كان يُعبد في منطقة منف، وكان إله هذه المدينة هو بتاح. وسرعان ما اقترن أبيس بذلك الإله وصار رمزه (روحه المباركة) ثم استعار ذلك الثور قرص الشمس من رع وحمله بين قرنيه. انظر:
θρησκευτική και ηθική εγκυκλοπαίδεια, τόμος 2, Αθήνα 1964, σελ. 1055-1058.

بذكور ونائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المحق" (رو ١:٢٦ـ٢٧).

يرى القديس بولس أن هناك ثلاثة خطوط عامة شكّلت وأثرت في تلك العبادات الوثنية كالكذب، والانحدار الاجتماعي، وعدم الثبات الداخلي، وغياب المحبة. وبالتالي فإنه كان يعرف أن عبارات مثل " لطف الله ـ أو محبة اللّه للبشر" ستكون جديدة وغريبة على الأسماع.

أما بالنسبة لليهود، فقد وجّه لهم الرسول بولس، إتهامًا آخرًا لأنه بالإضافة إلى العقل الذي منحه الله للجميع، كان لديهم أشياء أخرى كان من الممكن أن تقودهم إلى معرفة الله معرفة حقيقية، وهى:

١ ـ الإعلان الإلهي. ٢ ـ الناموس.

٣ ـ الأنبياء. ٤ ـ الكتب المقدسة.

٥ ـ الوعود المسيانية.

إلاّ أنهم شعروا بأن كل هذا يعطيهم الحق في التفاخر، باعتبار أن كل هذه الامتيازات، هي خاصة بجنس اليهود دون غيرهم من باقي الأمم. لكن الرسول بولس لم يعترف لهم بأي امتياز فيما يختص بموضوع الخلاص لذلك يقول " *فأين الافتخار قد انتفى... إذًا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس. أم الله لليهود فقط. أليس للأمم أيضًا. بلى للأمم أيضًا"* (رو٣:٢٧ـ٢٩).

لقد لجأ اليهود إلى وصايا الناموس، ظانين أن فيها خلاصهم. وتمسكوا بممارسات شكلية بلا محتوى روحي، لذلك سقطوا في هوة البر الذاتى، ولم يخضعوا للبر الإلهي: " *لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم لم يخضعوا لبر الله"* (رو١٠:٣)، ولم يفهموا أن البر هو بالإيمان فقط.

قد يستطيع الإنسان أن يربح كل شيء جميل وعظيم في هذا العالم بمحاولاته الفردية سواء كان ذلك في العلوم أو الفنون أو في المناصب الاجتماعية أو في الثقافات المتنوعة، ويستطيع أن يفتخر بهذه الإنجازات التي يحققها، لكن في الأمور الخاصة بملكوت الله، لا يستطيع أن يحقق أية إنجازات بمعزل عن عطية الله. فالعلاقة الحيّة بالله، بأن تكون ابنًا لله،

يمكن أن تحصل عليها فقط كمنحة محبة من الله. لأن الخلاص ونعمة الله، أُعطيا للإنسان دون أن يقدم من جانبه أي شيء " الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح من أجلنا" (رو٥:٨). في شخص المسيح أنقضى كل زهو وكل افتخار من الإنسان على أخيه الإنسان. لأن كل شيء قد صار جديدًا في شخص المسيح، والإيمان بهذه الحقيقة هو الذي يبرر الإنسان ويحرره ويقوده نحو هذه الحياة الجديدة . لكن هذا الإيمان ليس هو أمر يعتمد على قدرات العقل، بل هو عطية الروح القدس .

هذا التعليم عن التبرير بالإيمان، الذي يوجهه الرسول بولس إلى اليهود، يعتمد فيه على التاريخ المملوء بنماذج حية للإيمان، فقد أشار إلى إبراهيم ليؤكد من خلال إيمان إبراهيم على أهمية هذا التعليم:" *فآمن إبراهيم بالله فحسب له برًا*" (رو٤:٣)، " *وأخذ علامة الختان ختمًا لبر الإيمان الذي كان في الغرلة ليكون أبًا لجميع الذين يؤمنون وهم في الغرلة كي يُحسب لهم أيضًا البر وأبًا للختان للذين ليسوا من الختان فقط. بل أيضًا يسلكون في خطوات إيمان أبينا إبراهيم الذي كان وهو في الغرلة. فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو نسله أن يكون وارثًا للعالم بل ببر الإيمان*" (رو٤:١١ـ١٣).

ثم تحدث إلى الأمم عن موت المسيح وقيامته وعن فيض النعمة وعطية البر التي بالمسيح، وعن الخبرة المسيحية الباطنية، وعن شهادة الروح القدس.

إذن فالتركيز عنده هو على الإيمان بشخص المسيح، والإنسان ينال هذا البر بإيمانه بالمسيح فقط، وليس بأعمال الناموس كي لا يفتخر أحد. ويُشير الرسول بولس إلى أن عمل المسيح يشمل كل الخليقة المرئية وغير المرئية، وهو بالأساس عمل تصالحي " *لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه*" (رو٥:١٠). ويقول في رسالته إلى كولوسي " *وأن يُصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات*" (كو١:٢٠).

إن رؤية القديس بولس بشأن سقوط الإنسان تتسع لتشمل الكون كله،

فقد حدث شرخ في الكون كله، ولذلك يكتب أن " *كل الخليقة تئن وتتمخض معًا إلى الآن*" *وأنها* " *ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله*" (رو٨:٢١). إذًا فالإنسان والطبيعة يتوجهان معًا إلى الله بالصلاة. لذلك فهو ينظر للإنسان في خضوعه لعمل روح الله داخله، ليراه رافعًا يديه متضرعًا إلى الله ومترجيًا إياه أن يحرره من عبودية الفساد والموت . وهذا لن يتأتى إلاّ بالإيمان بصليب المسيح وموته وقيامته وبعمل الروح القدس المحيي، هذا هو الذي يعطى للإنسان الدخول إلى الحياة الجديدة في المسيح ولا يستطيع الناموس أن يصنع ذلك لأنه قد" *مات الذي كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف*" (رو٧:٦).

ولهذا فهو يفرق بين حالة الإنسان تحت الناموس، وحالته تحت النعمة. ويشير إلى حالة التشتت الداخلي التي تصيب الإنسان في صراعه ضد الخطية، وصولاً إلى التمتع بالخلاص الممنوح مجانًا للجميع " *ويحي أنا الإنسان الشقي مَن ينقذني من جسد هذا الموت*" (رو٧:٢٤). هذا تعبير عن خبرة داخلية، والرسول بولس هنا يضع نفسه كنموذج ينوب عن شعبه الذي يعيش تحت الناموس، ويُعبر عن الفترة التي عاشها قبل أن يعرف المسيح، لكنه يجد الحل في ساحة الحرية الحقيقية، تلك التي يمنحها روح الله للإنسان لأن" *ناموس روح الحياة للمسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت*" (رو٨:٢). وقد أراد الرسول بولس بهذه الرسالة أن يؤكد على أن هناك رباطًا قويًا يجمع الكل معًا سواء كانوا من اليهود أو من الأمم، وهو رباط الروح القدس، وهو بهذا يدفع عن نفسه تهمة التعاطف مع المسيحيين من الأمم، وأنه بدافع الرغبة في هذا التعاطف، أراد أن يحرم اليهود من بركة الوعود الإلهية.

إن ما أصاب نفس الرسول بولس من حزن كان بسبب أن هؤلاء اليهود والذين هم إسرائيليون ولهم التبني، والمجد، والعهود، والاشتراع، والعبادة، والمواعيد، ومنهم المسيح بالجسد (رو٩:٤-٧)، يفقدون خلاصهم الآن" *لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد*" (رو٤:١٤).

ولا يمكن أن يُساء استخدام اسم الله من أجل أهداف قومية ضيقة، ولا يستطيع أحد أن يحد نهر محبة الله الذي يتدفق بقوة، في قناة قومية ضيقة. الوعود الإلهية لا تسرى على إسرائيل بحسب الجسد (κατα σάρκα ισραήλ) بل تسرى على إسرائيل الله (τον ισραήλ του θεού).

وقد استخدم الله عدم إيمانهم، لكي يُخلّص الأمم، لكن بعد ذلك سيخلص جميع إسرائيل " فإني لست أريد أيها الاخوة أن تجهلوا هذا السر. إن القساوة قد حَصَلَت جزئيًا لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم وهكذا سيخلص جميع إسرائيل" (رو١١:٢٥-٢٦). وهذا الخلاص سيتم بالطبع على المستوى الفردي وليس على مستوى الأمة كلها. وقد تأثر الرسول بولس بهذا القصد الإلهي الفائق الوصف، والذي كان في فكر الله قبل الدهور، فيقول: " *يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه*" (رو١١:٣٣).

ثم يختم الجزء العقيدى لهذه الرسالة بدعاء قائلاً: " *لأن منه وبه وله كل الأشياء*" (رو١١:٣٦). وهذا الدعاء كان الرسول بولس يستخدمه في رسائله باستمرار كما جاء في رسالته إلى أهل كورنثوس " *لكن لنا إله واحد الآب الذي فيه جميع الأشياء ونحن له*" (١كو٥:٦)، وفي رسالته إلى كولوسي " *الكل به وله قد خلق*" (١:١٦)، وإلى أهل أفسس " *إله وأب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم*" (٤:٦)، وإلى العبرانيين يقول: " *لأنه لاق بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد*" (٢:١٠).

ثم يوجه لهم بعض النصائح الأخلاقية، ويبيّن لهم بأن النتائج المرجوة من هذا السلوك المستقيم، تنبع من الروح الجديدة للإيمان، ويفسر عبارة القديس يوحنا " *الساجدون الحقيقيون يسجدون لله بالروح والحق* " (يو ٤:٢٣)، عندما يشير إلى العبادة العقلية" *فأطلب إليكم أيها الاخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية*" (رو١٢:١). هذا المعنى الفريد الخاص بالعبادة، نجده يتكرر مرة واحدة في الرسالة الأولى للقديس بطرس" *... لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع*

المسيح" (١بط٢:٥). السلوك المستقيم إذًا لا يعتمد على مُسلّمات موجودة، بل هو سلوك ينبع من الروح الجديدة للمحبة " المحبة فلتكن بلا رياء... وادين بعضكم بعضًا بالمحبة الأخوية مقدمين بعضكم بعضًا في الكرامة" (رو١٢:٩ـ١٠).

لقد بدأ عصر جديد، تحدّد فيه موقف المسيحي من الدولة، حيث كان الفكر اليهودي الرؤيوي، يعتبر أن السلطة الزمنية، محصورة في الشر. ولذلك أخذوا موقف سلبي تجاه الدولة. أما الرسول بولس فقد كان أول مَن أظهر موقف إيجابي تجاه الدولة الرومانية، على الرغم من موقفه الواضح من أمور هذا العالم الحاضر. سلطة الدولة هي سلطة خادمة لله، ودور الحاكم هو أن يُحِد من تفشى الفساد وانتشار الشر " لأنه خادم الله للصلاح. ولكن إن فعلت الشر فخف. لأنه لا يحمل السيف عبثًا إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر" (رو١٣:٤). وعندما كتب الرسول بولس هذه العبارات الودية، كان العالم الروماني في عامه الرابع تحت حكم نيرون[٢٦]. وعندما تغيّر موقف الدولة الرومانية تجاه المسيحيين وبدأت فترة اضطهادات، لم يغير الرسول بولس موقفه تجاه الدولة، لأنه يقول " لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة. ليس سلطان إلاّ من الله والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله". وفي رسالته الأولى إلى تيموثاوس يقول: " *فاطلب أول كل شيء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس. لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب لكي نقضى حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار"* (١تى٢:١). وفي رسالته إلى تيطس يقول: " *ذكّرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح"* (تى٣:١).

وهو هنا يعكس تعاليم المسيح له المجد الذي قال " اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" هكذا قال الرسول بولس " *اعطوا الجميع حقوقهم. الجزية لمن له الجزية، الجباية لمن له الجباية والخوف لمن له الخوف والإكرام*

[26] J.Holzner " παύλος " μετάφραση Τ. ιερωνύμου Αρχιεπισκόπου Αθηνών και πάσης ελλάδος, Αθήνα 1996, σελ.359.

لمن له الإكرام" (رو١٣:٧). لقد تأسست مملكة جديدة، مغايرة لمالك هذا العالم، هي مملكة الروح فملكوت الله هو" *بر وسلام وفرح في الروح القدس"* (رو١٤:١٧).

ثم يختم رسالته بدعاء وتمجيد قائلاً:" *وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح حسب اعلان السر الذي كان مكتومًا في الأزمنة الأزلية، ولكن أظهر الآن واعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الله الأزلي لإطاعة الإيمان. لله الحكيم وحده بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد آمين"* (١٦:٢٥-٢٧).

وبنظرة سريعة على الإصحاحين الأخيرين نجد أن الرسول بولس قد استخدم أربع عبارات كختام لرسالته، هي كالآتي:

١ـ" *إله السلام معكم أجمعين آمين"* (١٥:٣٣).
٢ـ" *نعمة ربنا يسوع المسيح معكم آمين"* (١٦:٢٠).
٣ـ" *نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم آمين"* (١٦:٢٤).
٤ـ" *لله الحكيم وحده بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد أمين"* (١٦:٢٧).

السلام الرسولي:

أرسل الرسول بولس سلامه إلى ٢٦ شخص في نهاية الرسالة، سواء بذكر أسمائهم أو بدون أن يذكر، وهؤلاء الذين لم يذكر أسمائهم لهم علاقة مباشرة بهذه الأسماء المشار إليها. مثل (وعلى أمه أمي) (وعلى أخته) (وعلى جميع القديسين الذين معهم). وقد تساءل البعض من الباحثين في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، من أين للرسول بولس بكل هذه العلاقات؟ وهل حقًا كان يعرف كل هؤلاء الأشخاص الذين وردت أسمائهم بالإصحاح السادس عشر من الرسالة؟ خاصةً وهو يكتب لكنيسة لم يقم بزيارتها بعد[٢٧]. والواضح أن التعبيرات المكتوبة تُشير إلى متانة العلاقة التي تربط بينه وبينهم، مثل" *سلموا على أمبلياس حبيبي في الرب"* (١٦:٨)، "

[٢٧] المرجع السابق ص ٣٥٩ـ٣٦٠.

سلموا على هيروديون نسيبي" (١٦: ١١)، *"وعلى أمه أمي"* (١٦: ١٣). أيضًا فإن أكيلا وبرسكيلا *" اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي"* (١٦: ١٣)، لم يكونا هناك في ذلك الوقت، كما نعرف من خلال مواضع أخرى في العهد الجديد. حيث يُشير سفر الأعمال إلى أن الرسول بولس *"لبث أيضًا أيامًا كثيرة ثم ودع الاخوة وسافر في البحر إلى سورية ومعه بريسكلا وأكيلا. فأقبل إلى أفسس وتركهما هناك"* (أع١٨: ١٨ـ٢٨).

في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يكتب *"تسلم عليكم كنائس أسيا. يُسلم عليكم في الرب كثيرًا أكيلا وبريسكلا مع الكنيسة التي في بيتهما"* (١كو١٦: ١٩).

ويكتب إلى تيموثاوس *"سلم على فرسكا وأكيلا وبيت أنيسيفورس"* (٢تى٤: ١٩). كما أن الشخصين اللذين يوجه لهما الرسول بولس سلامه: *" اندرونيكوس ويونياس نسيبي المأسورين معي"* (١٦: ٧)، من المرجح أن لهم علاقة بالأسر في أفسس. كما أن ما جاء بالأعداد من (١٧ـ٢٠)، يشير إلى أنه يتوجه إلى كنيسة تربطه بها علاقة ود ومعروفة جدًا لديه: "الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافاً للتعليم الذي تعلمتموه" أي أن هناك تعليم قد تلقوه قبل كتابة هذه الرسالة.

+ + + + + + +

الإصحاح السادس عشر:

آراء مُتباينة حول الإصحاح السادس عشر:

١ ـ أن الإصحاح السادس عشر هو رسالة خاصة وجهها الرسول بولس إلى كنيسة أفسس، وأن سجل الأسماء الوارد بهذا الإصحاح ينتمي لكنيسة أفسس حيث توجد علاقة محبة وود شديد يربط بينهم وبين الرسول بولس.

٢ ـ الرأي الآخر يقول إن الشماسة فيبي حاملة هذه الرسالة وهى في طريقها إلى روما، عبرت بأفسس وتركت نسخة من الرسالة إلى رومية تشتمل على الإصحاح السادس عشر، حيث السلام الرسولي، ثم نسخة أخرى حملتها إلى روما من إصحاح ١ـ١٥. وبحسب هذا الرأي فإن الشكل الأوّلي للرسالة كان مكونًا من نسختين نسخة لكنيسة أفسس من ١ـ١٦ وأخرى لكنيسة رومية من ١ـ١٥.

٣ ـ الرأي الثالث يقول إن هذه الرسالة هي رسالة دورية وكانت تُرسل إلى كنائس رومية، أفسس، تسالونيكى، وكنائس أخرى. لكنها كانت تحمل فقط عنوان الرسالة إلى رومية، ثم أُضيف إليه الختام الخاص بالنسخ الأخرى.

٤ ـ الرأي الأخير يقول إن الرسالة بالكامل من الإصحاح ١ـ١٦ موجهة إلى كنيسة رومية، وأن كل الأشخاص الوارد أسمائهم بالإصحاح السادس عشر كانوا موجودين في ذلك الوقت في روما، وقد ذكرهم الرسول بالاسم لكى يؤكد على قوة العلاقة التي كانت تربطه بهم، وهم أعضاء الكنيسة التي كان ينوى زيارتها بعد وقت قليل من وصول الرسالة إليهم[٢٨].

تلك هي الآراء الخاصة بالإصحاح السادس عشر من هذه الرسالة وقد أوردناها هنا، لكي يطّلع القارئ على الآراء المختلفة التي قيلت بشأن السجل الخاص بالأسماء التي وردت بهذا الإصحاح، وهل حقًا كل هؤلاء الأشخاص كانوا في روما وقت وصول الرسالة إلى هناك، أم أنهم كانوا في أفسس

---

[28] Ιωάννης καραβιδόπουλος. " Εισαγωγή Στην καινή Διαθήκη ". θεσ/νίκη 1991 σελ.287-289.

كما يرى البعض.

وأخيرًا نستطيع القول بأنه لا توجد رسالة أخرى قد لعبت دورًا هامًا في تاريخ المسيحية في الغرب مثلما لعبت الرسالة إلى رومية، لأن فيها قد ظهر بوضوح موقف الرسول بولس اللاهوتي الخاص بموضوع البر الحقيقي، وأن هذا البر يناله الإنسان عن طريق الإيمان بالمسيح فقط وليس بأعمال الناموس حسب اعتقاد اليهود في ذلك الوقت أي أن الإيمان بالمسيح قد أوجد حالة سلام دائم مع الله من خلال التبرير الذي نلناه بالشركة في موت المسيح وقيامته. لقد نلنا الغفران وتحررنا من عبودية الفساد والموت، والآن صار لنا الدخول إلى الحياة الجديدة، والتمتع بكل عطايا الله في المسيح.

+++++++

III. تعليق على مقدمة القديس يوحنا ذهبي الفم لرسالة رومية

ليس من المعتاد في كتابات الآباء التفسيرية وجود مقدمة للنص الذي يفسرونه، إلاّ أن القديس يوحنا ذهبي الفم قد بدأ تفسيره لرسالة رومية بمقدمة وافية واضعًا دراسة متميزة لهذا النص الكتابي.

ومن الجدير بالملاحظة أن ما فعله القديس يوحنا ذهبي الفم في القرن الرابع الميلادي، قد صار منهجًا لعلماء الكتاب المقدس فيما بعد. فقد بدأ القديس يوحنا ذهبي الفم مقدمته هذه بوضع أسس ارتكز عليها منهجه التفسيري ورؤيته للنص. ومن هذه الأسس:

أ- تحديد زمن كتابة الرسالة:

لقد حاول القديس يوحنا ذهبي الفم تحديد زمن كتابة الرسالة مستعينًا ليس فقط بما جاء في هذه الرسالة، بل أيضًا ما ورد في نصوص الرسائل الأخرى للقديس بولس. وقد أوضح هو نفسه الأهمية الشديدة لتحديد زمن كتابة الرسالة وعلاقة ذلك بتفسير النص إذ يقول: [ونرجو ألا يعتبر أحدكم أن هذا العرض السابق هو أمر غير مهم، أو هو نوع من الإسترسال الذي يتجاوز موضوع البحث في هذه الرسالة، لأن زمن كتابة الرسالة يساعدنا كثيرًا في موضوعنا هذا] [٢٩].

فهو يرى أن زمن كتابة الرسائل يؤثر في الطريقة التي يكتب بها الرسول بولس عن موضوع معين، مثلما حدث مثلاً عندما كتب إلى أهل كولوسي وأهل رومية عن موضوعات واحدة، ومع ذلك كتب لكل منهم بطريقة مختلفة. لهذا يلاحظ القديس يوحنا ذهبي الفم أن هناك نبرة ود في كلام القديس بولس عندما يكتب لأهل رومية. هذا الود يتحول إلى شدة عندما يكتب إلى أهل كولوسي عن نفس الموضوعات ويُرجع القديس يوحنا ذهبي الفم هذا الإختلاف إلى زمن كتابة الرسالة، إذ يقول: [وأنا لا أجد سببًا آخر

[٢٩] انظر مقدمة القديس يوحنا ذهبي الفم، ص ٧٦.

للإختلاف إلاّ زمن كتابة هذه الرسائل][30].

ب ـ الدافع لكتابة الرسالة:

نقطة أخرى حاول القديس يوحنا ذهبي الفم أن يجد لها إجابة، وكانت عاملاً مساعدًا له في تفسيره، ليس فقط لهذه الرسالة، بل ولرسائل الرسول بولس الأخرى، هي محاولة إكتشافه الدافع لكتابة هذه الرسائل. ولذلك نجده يتساءل: ما هو الدافع لكتابة هذه الرسائل؟[31].

ج ـ فهم شخصية الكاتب:

بجانب العلاقة الروحية الحميمة التي كانت تجمع القديس يوحنا ذهبى الفم بالرسول بولس كما سبق وأشرنا، إلاّ أنه حاول أيضًا في ختام هذه المقدمة أن يُلخص لنا ملامح وأبعاد هذه الشخصية والخدمة الكبيرة التي قامت بها . لقد كان ينظر إلى الرسول بولس كمثال يُحتذى به في الخدمة وفي محبته للجميع بغض النظر عن الحدود والأوطان، ودون الإهتمام بالأتعاب الجسدية أو الأخطار أو الآلام التي من الممكن أن يتعرض لها المرء. ولهذا فقد وصفه قائلاً: [لقد احتضن القديس بولس كل المسكونة وحمل الجميع داخله. واعتبر أن الإتحاد بالله هو أهم وأعظم بكثير من أي قرابة أخرى. لقد أظهر أحشاء رأفه أكثر من أي أب جسدي ... ومن أجل محبته للجميع، صار مثل طائر يتنقل من مكان لآخر دون أن يبقى في مكان واحد][32].

لقد أراد القديس يوحنا ذهبي الفم أن يسلّط الضوء على رغبة الرسول بولس الشديدة في أن يتصور المسيح في الجميع، وأنه قد أخذ على عاتقه أن يُتمم هذا الهدف في كل مكان ذهب إليه . وهو كأب للجميع كان يُتابع أحوال المؤمنين ونموهم الروحي، وذلك عن طريق رسائله، وتصحيح ما قد يستجد من أوضاع قد يُثار حولها سوء فهم معين في أمور تخص الإيمان. كان

---

[30] المرجع نفسه، ص٧٦.

[31] المرجع نفسه، ص٤٩.

[32] المرجع نفسه، ص٤٩.

إحساسه بالمسئولية نحو مخدوميه ومحبته الكبيرة لهم، أمرًا لا يمكن إهماله. وقد ركز القديس يوحنا ذهبي الفم على هذا البُعد ليكشف عن ملامح شخصية هذا الكارز العظيم.

أرجو أن يستخدم المسيح إلهنا هذا الكتاب لمجد إسمه القدوس، لبنيان شعبه، بصلوات الرسول بولس والقديس يوحنا ذهبي الفم وجميع الآباء القديسين، وصلوات قداسة البابا تواضروس الثاني والمجد والتسبيح والسجود للآب والابن والروح القدس الآن وإلى الأبد آمين.

د. سعيد حكيم يعقوب

+++++++

مقدمة للقديس يوحنا ذهبي الفم

مقدمة الرسالة
للقديس يوحنا ذهبي الفم

العظة الأولى :

١ـ نسمع دائمًا أن رسائل المُطوّب بولس تُقرأ مرتين، وفي مرات كثيرة ثلاث أو أربع مرات في الأسبوع الواحد، وذلك عند الإحتفال بتذكار الشهداء القديسين.

وبكل تأكيد يمتلكني فرح عظيم وأنا أستمع لهذا الصوت الروحاني ـ صوت القديس بولس ـ وأشعر بالسمو وبدفء الروح وكثيرًا ما أتخيله حاضرًا أمامي، وأعتقد أنني أراه يتكلم. ولكنني في الوقت نفسه ينتابني حزن وألم، لأن هذا الرجل لا يعرفه الكثيرون حق المعرفة. كما أن البعض يجهله بشكل كبير، بل إنهم لا يعرفون ولا حتى كم تكون عدد رسائله. وهذا يحدث لأنهم لا يرغبون في الإنشغال بهذا القديس.

ونحن إن كنا نعرف عنه بعض الأشياء، فهذا لا يرجع إلى قدرات الذهن ويقظته، بل لأننا باستمرار كان أمامنا هدف، هو التواصل مع هذا الرجل العظيم، فقد إنشغلنا به زمانًا طويلاً. والذين يحبون أشخاصًا يشتاقون دائمًا لمعرفة أمورهم، لأن هذه الأمور تعنيهم. وهذا بالضبط ما يعلنه لنا الرسول بولس اذ يقول لأهل فيلبي " كما يحق لي أن **أفتكر من جهة جميعكم، لأني حافظكم في قلبي وفي وثقي** وفي المحاماة عن الإنجيل وتثبيته أنتم الذين جميعكم شركائي في النعمة"[٣٣].

ولهذا اذا توخيتم الدقة في قراءتكم، فلن يكون لديكم احتياج لأي شيء آخر. صادقة هي كلمة المسيح الذي قال" *اسألوا تُعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يُفتح لكم*"[٣٤]. لكن لأن الكثيرين من المجتمعين هنا معنا، تعهدوا

---

[٣٣] في ١: ٧.

[٣٤] مت٧: ٧.

مسئولية تربية الأولاد والاهتمام بالزوجة والعناية بشئون الأسرة، فإنهم لن يستطيعوا أن يكرسوا كل جهدهم لهذا العمل.

ولهذا إذا أردتم أن تتمتعوا بما يعرفه الآخرون، اعتنوا جيدًا أن تُظهروا اهتمامًا لسماع الأقوال الإلهية، على قدر ما تهتمون بجمع واكتناز الأموال، على الرغم من أنه ليس من المفترض أن أطلب منكم أن تفعلوا ذلك، لأنه سيكون أمرًا مفرحًا أكثر، لو أنكم أبديتم من أنفسكم اهتمامًا أوفر. فالواقع هو أنه بسبب الجهل بالكتب المقدسة، قد نتجت شرور لا حد لها، ولنفس السبب أيضًا كانت تلك النتائج المدمرة للهرطقات الفاسدة. وهذا راجع لعدم المبالاة والجهد الضائع في أمور لا فائدة منها.

فالذين حُرموا من نعمة البصر لا يستطيعون السير بشكل طبيعي، هكذا أيضًا أولئك الذين لا يتطلعون نحو بهاء الكتب المقدسة، فإنهم يسقطون حتمًا في خطايا كثيرة، لأنهم يسيرون في ظلام مخيف . ولكي لا يحدث كل ذلك، علينا أن نفتح عيون أذهاننا نحو شعاع الكلمة الرسولية. لأنه بالحقيقة قد أشرقت كلمة الرسول بولس أكثر من الشمس، وحُسِب أفضل من الجميع من جهة تعاليمه، ونال نعمة الروح القدس بوفرة، إذ أنه قد تعب أكثر من جميعهم، وهذا يظهر لا من خلال رسائله فقط، بل أيضًا من خلال سفر أعمال الرسل، لأنه عندما كانت تسنح له الفرصة بالكلام، لم يكن يتردد في إعطاء كلمة، إذ كان لديه دائمًا ما يقدمه.

ولهذا، فقد اعتبره أهل لسترة أنه هرمس (Ερμάς)[٣٥] لأنه كان المتقدم في الكلام " فكانوا يدعون برنابا زفس وبولس هرمس إذ كان هو المتقدم في الكلام "[٣٦].

---

[٣٥] هرمس ــ حسب المعتقدات الوثنية ــ هو إله اليونانيين القدماء الذي كان يقوم بتوصيل رسائل مفهومة من الآلهة إلى البشر والمزارعين والمسافرين والرياضيين والأدباء والعلماء والفنانيين.

[٣٦] أع١٤:١٣.

٢ـ لكن لأن الأمر هنا يتعلق بالرسالة إلى أهل رومية، فهناك احتياج أن نحدد زمن كتابتها، لأنها ليست مكتوبة قبل الرسائل الأخرى كما يظن البعض، لكنها كتبت قبل تلك الرسائل التي كُتبت من روما. لأن الرسالتين إلى أهل كورنثوس، أُرسلتا قبل رسالة رومية، وهذا واضح مما كتبه في نهاية الرسالة قائلاً: " *ولكن الآن أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين. لأن أهل مكدونية وأخائيه استحسنوا أن يصنعوا توزيعًا لفقراء القديسين الذين من أورشليم* "[٣٧]. وفي رسالته إلى أهل كورنثوس يقول" *وإن كان يستحق أن أذهب أنا أيضًا فسيذهبون معي* "[٣٨]. قال ذلك لأولئك الذين أحضروا المساعدات إلى هناك . إذًا فمن الواضح أنه عندما كتب الرسالة إلى أهل كورنثوس كان في رحلته هذه. وعليه تكون رسالة رومية قد كتبت بعد رسالتي كورنثوس. ومن الواضح أيضًا أن الرسالة إلى أهل تسالونيكي قد كتبت قبل الرسالة إلى أهل كورنثوس، لأنه تكلم عن أعمال الرحمة عندما قال" *وأما المحبة الأخوية فلا حاجة لكم أن أكتب إليكم عنها لأنكم أنفسكم متعلّمون من الله أن يحب بعضكم بعضًا*"[٣٩]. ووقتها كتب إلى أهل كورنثوس موضحًا هذا الأمر قائلاً: " *لأني أعلم نشاطكم الذي افتخر به من جهتكم لدى المكدونيين أن أخائية مستعدة منذ العام الماضي. وغيرتكم قد حرّضت الأكثرين*" [٤٠].

إذن، بينما رسالة رومية تعتبر لاحقة على هذه الرسائل، إلاّ أنها سابقة على الرسائل التي كتبت من روما، لأنه لم يكن قد انتقل بعد إلى روما عندما كتبت هذه الرسالة وهذا يوضحه قائلاً: " *لأني مشتاق أن أراكم لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم* "[٤١]. ومن روما كتب إلى أهل فيلبي،

[٣٧] رو١٥:٢٥.
[٣٨] ١كو١٦:٤.
[٣٩] ١تس٤:٩.
[٤٠] ٢كو٩:٢.
[٤١] رو١:١١.

ولهذا يقول" *يسلّم عليكم جميع القديسين ولاسيما الذين من بيت قيصر*" [٤٢]، وإلى العبرانيين كتب يقول: "*سلّموا على جميع مرشديكم وجميع القديسين، يسلّم عليكم الذين من إيطاليا*" [٤٣]. والرسالة الثانية إلى تيموثاوس أرسلها من روما، بينما كان مسجونًا، وهذه الرسالة كما يتضح لي قد كتبت آخر الرسائل وهذا واضح من نهايتها " *فإني أنا الآن أسكب سكيبًا ووقت انحلالي قد حضر*" [٤٤]. وفيما يتعلق بأمر انتهاء حياته هناك، فهذا أمر واضح وأكيد للجميع.

أيضًا الرسالة إلى فليمون، تُعد من الرسائل الأخيرة، لأنه كان قد كتبها وهو في سن متقدم جدًا ولهذا يقول: " *من أجل المحبة أطلب بالحري إذ أنا إنسان، هكذا نظير بولس الشيخ والآن أسير يسوع المسيح أيضًا*" [٤٥]. لكنها كانت سابقة على الرسالة إلى كولوسي، وهذا واضح من ختام الرسالة إلى كولوسي "جميع *أحوالي سيعرفكم بها تيخيكيس الأخ الحبيب والخادم الأمين والعبد معنا في الرب الذي أرسلته اليكم لهذا عينه ليعرف أحوالكم ويعزي قلوبكم مع أنسيمس الأخ الحبيب الذي هو منكم. هما سيعرفانكم بكل ما ههنا*" [٤٦]. وأنسيمس هو الشخص الذي من أجله كُتبت الرسالة إلى فليمون. وأنسيمس ليس شخصًا يحمل اسم آخر، وهذا واضح من أرخبس، الذي أخذه الرسول بولس مساعدًا له. وهو يوجه له النصح عندما يكتب إلى أهل كولوسي قائلاً: " *وقولوا لأرخبس انظر إلى الخدمة التي قبلتها في الرب لكي تتمها*" [٤٧].

ويتضح لي أيضًا أن رسالة غلاطية سابقة على الرسالة إلى أهل رومية.

---

[٤٢] اتي٤: ٢٢.
[٤٣] عب١٣: ٢٤.
[٤٤] ٢تيمو ٤: ٦.
[٤٥] فليمون١: ٩.
[٤٦] كو ٤: ٧ـ٩.
[٤٧] كو ٤: ١٧.

لكن إن كانت هذه الرسائل لها ترتيب آخرَ مختلف، فهذا لا يعتبر أبدًا شيئًا غريبًا. فالأنبياء الاثني عشر على الرغم من أنهم زمنيًا لا يأتون الواحد بعد الآخر، بل يفصل بينهم مسافات زمنية بعيدة، نجد أنهم يأتون في الترتيب الواحد بعد الأخر. فحجي وزكريا وآخرون تنبأوا بعد حزقيال ودانيال وكثيرون بعد يونان وصفنيا والأنبياء الآخرين، ومع هذا فهم في وحدة واحدة مع أولئك الذين تفصلهم عن بعضهم البعض مسافات زمنية بعيدة.

٣ـ ونرجو ألا يعتبر أحدكم أن هذا العرض السابق هو أمر غير مهم، أو هو نوع من الإسترسال الذي يتجاوز موضوع البحث في هذه الرسالة، لأن زمن كتابة الرسائل يساعدنا كثيرًا في موضوعنا هذا. لأنه عندما يكتب إلى أهل رومية وإلى أهل كولوسي عن نفس الموضوعات، فإنه لا يكتب بالأسلوب نفسه. فهو عندما يكتب إلى أهل رومية نلاحظ نبرة الود الشديد في كلامه، فنجده يقول: " من هو ضعيف في الإيمان فاقبلوه لا لمحاكمة الأفكار. واحد يؤمن أن يأكل كل شيء، وأما الضعيف فيأكل بقولا "[٤٨]. بينما نجده وهو يكتب إلى أهل كولوسي عن نفس الموضوعات، أن هناك نبرة متشددة في كلامه فيقول: " *إذًا إن كنتم قد قمتم مع المسيح عن أركان العالم. فلماذا كأنكم عائشون في العالم تفرض عليكم فرائض لا تمس ولا تذق ولا تجس التي هي جميعها للفناء في الاستعمال حسب وصايا وتعاليم الناس التي لها حكاية حكمة بعبادة نافلة، وتواضع وقهر الجسد ليس بقيمة من جهة إشباع البشرية* "[٤٩].

وأنا لا أجد سببًا آخر لهذا الاختلاف في الكلام، إلاّ زمن كتابة هذه الرسائل ورده على تساؤلات خاصة، ويمكن للمرء أن يجد أن الرسول بولس يصنع هذا الأمر في مواضع أخرى من رسائله.

هذا أيضًا ما يفعله كل من الطبيب والمعلم. فالطبيب لا يعامل مرضاه الذين هم في بداية المرض بنفس الطريقة مع مرضى آخرين، قد اقتربوا من

---

[٤٨] رو ١٤: ١ـ٢.

[٤٩] كو ٢: ٢٠ـ٢٣.

مرحلة الشفاء. ولا المعلّم أيضًا يتعامل مع الأولاد الراغبين في تعلّم الحروف الأولى، بنفس الطريقة مع أولئك الذين لهم احتياج لتعاليم أكمل . ولذلك فالمطوّب بولس عندما يكتب نجد أن لديه دافعًا لكى يكتب، لكن ما هو الدافع لكتابة رسائله؟ هو نفسه يوضح هذا وهو يكتب لأهل كورنثوس قائلاً: " *وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها* "[٥٠]، بينما لأهل غلاطية يكتب عن نفس الأمور من بداية الرسالة إلى نهايتها، أما بالنسبة لأهل رومية، فلأي سبب ولأي هدف كتب إليهم؟ ولماذا يؤكد لهم أنهم مملوءون من كل صلاح ومن كل معرفة، وقادرون على تقديم النصح للآخرين؟

لأي سبب إذًا كتب الرسالة؟ بسبب نعمة الله إذ يقول: " *ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم جزئيًا أيها الأخوة، كمذّكر لكم بسبب النعمة التي وهبت لي من الله حتى أكون خادمًا ليسوع المسيح* "[٥١].

ولهذا قال منذ البداية: " *وإني مديون لليونانيين والبرابرة، للحكماء والجهلاء. فهكذا ما هو لي مستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية أيضًا* "[٥٢].

لقد أراد، أن يقدم النصح للآخرين، لكن في الوقت نفسه كان من الضروري أن يصحح الأوضاع عن طريق رسائله، لأنه لم يكن قد وصل بعد إلى روما. فهو يقدم النصح لهم على رجاء حضوره الشخصي فيما بعد.

لقد احتضن الرسول بولس كل المسكونة وحمل الجميع داخله. واعتبر أن الاتحاد بالله هو أهم وأعظم بكثير من أي قرابة أخرى. إذ كان هدفه أن يلدهم جميعًا من أجل أن يتصور المسيح فيهم. هكذا أحبهم، حتي أنه أظهر أحشاء رأفة أكثر جدًا من أي أب جسدي.

هذه هى نعمة الروح القدس التى تنتصر على الآلام الجسدية وتظهر شوقًا روحيًا ملتهبًا. وهذا ما يراه المرء بشكل خاص جدًا في شخص الرسول بولس

[٥٠] ١كو٧: ١.

[٥١] رو١٥: ١٥.

[٥٢] رو١: ١٤ـ ١٥.

الذي من أجل محبته للجميع، صار مثل طائر يتنقل من موضع إلى آخر دون أن يبقى في مكان واحد. لأنه سمع المسيح يقول لبطرس "أتحبني. ارع خرافي"[٥٣] وأخذ على عاتقه هذا الأمر كأعظم قانون للمحبة، وقدمه بأسلوب فاق الجميع.

٤ـ ومادمنا نسير على خطى هذا المحب، دعونا أن يصحح كلٌ منا ـ لا أقول مسيرة الكون كله أو مدن أو أمم بأكملها ـ لكن على الأقل بيته وزوجته وأولاده وأصدقاءه وجيرانه. ولا يقل لي أحد أنه عاجز أو أنه إنسان بسيط، فلا يوجد مَن هو عديم العلم أكثر من بطرس أو مَن هو أبسط من الرسول بولس. هو نفسه اعترف ولم يخجل أن يقول: " إن كنت عاميًا في الكلام فلست في العلم "[٥٤]. لكن هذا البسيط والآخر غير المتعلم انتصرا على فلاسفة كبار وأفحما العديد من الخطباء، وتفوقا في كل شيء، بضميرهما النقي، وبعمل نعمة الله داخل نفسيهما.

وأي جواب سنعطي إن كنا لا نقدم عونًا لأحد ولا حتى لعشرين شخصًا، ومادمنا غير نافعين حتى للمقيمين معنا؟ فالتذرع بالجهل أو بالبساطة هي إذًا أمور لا مبرر لها، لأن عدم التعليم ونقص الثقافة لن يُعيق الكلمة، ما يعوقها هو الكسل والخمول وعدم اليقظة، وطالما قد نفضنا عن أنفسنا هذا الكسل واهتممنا برعاية الآخر، سنتمتع بالهدوء والسلام الداخلي، وسنصحح مسيرة أحبائنا بمخافة الله، حتى نتمتع في الحياة الأبدية بخيرات لا تحصى بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي له المجد مع الآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

---

[٥٣] يو ٢١:١٥.

[٥٤] ٢كو ١١:٦.

الأصحاح الأول

الإصحاح الأول

العظة الثانية:

" بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولا المفرز لإنجيل الله. الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدسة " (١:١-٢).

١- بينما كتب موسى النبي خمس أسفار، إلاّ أننا لا نجد ما يشير إلى أنه هو كاتب أي من هذه الأسفار الخمسة، وهذا أيضًا ما فعله الكتّاب الذين أتوا بعده وكتبوا الأسفار اللاحقة. أيضًا لا متى ولا مرقس ولا لوقا أو يوحنا أشاروا إلى أسماءهم على أنهم هم الذين كتبوا هذه الأناجيل. لكننا نجد المطوّب بولس يضع اسمه في مقدمة رسائله، إذًا ما هو السبب؟ السبب أن هؤلاء كتبوا إلى أناس عاشوا بينهم، واعتبروا أن كتابة أسمائهم يعد أمرًا زائدًا لا مبرر له. لكن الرسول بولس قد أرسل كتاباته من أماكن بعيدة ومتفرقة علي شكل رسائل، ولهذا كان من الضروري إضافة اسمه في هذه الرسائل.

غير أنه لم يكتب اسمه في الرسالة إلى العبرانيين، والسبب في ذلك يرجع إلى أنهم كانوا يقاومونه، فلكي يتجنب معارضتهم ومقاومتهم اذا ما وجدوا اسمه في مقدمة الرسالة، فقد لجأ إلى عدم كتابة اسمه حتى يسمح لكلمته أن تنتشر وتجد لها صدى لدى المستمعين إليها من العبرانيين، ولو أن بعض الأنبياء وسليمان كانوا قد وضعوا أسماءهم على كتاباتهم، فهذا أمر أتركه لكم لكي تفحصوه وتبحثوا لأي سبب وضع بعض الأنبياء أسماءهم ولم يضع البعض الأخر أسماءهم. لأنه لا ينبغي أن أخبركم بكل شيء بل يجب أن تتعبوا وتبحثوا من أجل المعرفة.

" *بولس عبد ليسوع المسيح* " دعنا نعرف السبب الذي لأجله غيّر الله اسم شاول ودعاه بولس، السبب أن الله أراد لبولس ألاّ ينقصه شيئًا عن باقي الرسل حتى في الاسم، لكي ينال ما حظي به أحد التلاميذ المختارين وأكبرهم[٥٥]، وبذلك يكون لديه دافع لمحبة أكبر. أمر آخر نلاحظه وهو أن

[٥٥] يقصد القديس بطرس الذي قال له السيد المسيح " أنت سمعان بن يونا، أنت تدعى صفا الذي تفسيره بطرس " (يو ١ :٤٢).

بولس لم يدع نفسه " *عبد ليسوع المسيح* " هكذا مصادفة، لأنه في الحقيقة توجد طرق كثيرة للعبودية، منها على سبيل المثال، أننا كائنات مخلوقة " *لأن الكل عبيدك* "[٥٦] وأيضًا يقول إرميا النبي " *هأنذا أرسل فأخذ كل عشائر الشمال يقول الرب وإلى نبوخذ نصر عبدي ملك بابل* "[٥٧]، لأن المخلوق هو عبد لخالقه. هناك طريقة أخرى للعبودية تأتي من الإيمان والتي بحسبها يقول " *فشكرًا لله أنكم كنتم عبيدًا للخطية، ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التي سمعتموها، واذ أعتقتم من الخطية صرتم عبيدا لله*"[٥٨] وعندما يقول الرب " *موسى عبدى قد مات*"[٥٩]، فهذه العبودية كانت بسبب فرادة موسى، لأنه وإن كان كل اليهود عبيدًا، لكن موسى على وجه الخصوص هو الذي تميز عنهم بنشأته وتربيته.

وفقًا لكل هذه المعاني كان الرسول بولس عبدًا، وبدلاً من أن يعطى لنفسه أعظم الرتب قال " *بولس عبد ليسوع المسيح* " ثم أخذ يستعرض الأسماء الخاصة بالتدبير الإلهي، صاعدًا من أسفل إلى أعلى لأن اسم يسوع قد أحضره الملاك من السموات عندما بشّر العذراء. وسُميَ بالمسيح من المسح، والذي كان يحصل للجسد أيضًا . وقد يتساءل المرء وبأي زيت مُسِحَ؟ إنه لم يُمسح بالزيت لكنه مُسح بالروح. وأين دُعوا هؤلاء الذين لم يمسحوا بالزيت مسحاء، عندما قال "*لا تمسوا مسحائي ولا تسيئوا إلى أنبيائي* "[٦٠] لأن وقتها أيضًا لم يكن إجراء المسح يتم بالزيت؟

" ***المدعو رسولا*** " في كل موضع يصف القديس بولس نفسه "بالمدعو" مظهرًا شكره وامتنانه للمسيح، لأنه لم يَسْعَ ولم يبحث عن المسيح، بل إن المسيح نفسه هو الذي دعاه، أما بولس فقد أطاعه لأن الدعوة هي من الله. بل إن المؤمنين أيضًا يدعوهم القديس بولس هكذا " *مدعوين قديسين*". غير أن

---

[٥٦] مز ١١٩: ٩١.

[٥٧] إر ٢٥: ٩.

[٥٨] رو ٦: ١٧ــ١٨.

[٥٩] انظر يش ١: ٢.

[٦٠] مز ١٠٥: ١٥.

دعوة هؤلاء هي أن يصيروا مؤمنين، أما هو فقد استأمنه المسيح على عمل آخر. أي على العمل الرسولي المليء بالخيرات السمائية غير المحدودة وبكل المواهب وبالسمو اللائق. وما هو الإحتياج لأن أتكلم أكثر؟ سأشير فقط لما تكلم به المسيح عندما أتى، وعندما سلّم الرسل عمل الخدمة وتركهم قائلاً لهم: "*اذهبوا إلى العالم أجمع اكرزوا بالإنجيل إلى الخليقة كلها*"[٦١]، وكان عليهم أن يتمموا خدمتهم. هذا هو أيضًا ما يعلنه الرسول بولس، مُرفّعا رتبة الرسل قائلاً: "*إذ نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا*"[٦٢].

"*المفرز لإنجيل الله*" ومثلما يحدث داخل البيت الواحد، أن لكل شخص عمل معين يقوم به، هكذا داخل الكنيسة توجد خدمات متنوعة، لكن يبدو لي هنا أن الرسول بولس لا يشير فقط لاختياره ضمن خدامه لأجل عمل الخدمة، بل لاختياره الإلهي منذ البداية لهذا العمل الكرازي. هذا بالضبط ما جاء بإرميا النبي "*وقبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما* خرجت من *الرحم قدستك. جعلتك نبيًا للشعوب*"[٦٣].

والرسول بولس عندما يكتب "*المفرز لإنجيل الله*" هو يعلن أنه يكتب إلى أهل رومية الذين يتباهون ويتفاخرون بأنفسهم، مما دفعه لأن يُبين للجميع أن تعيينه للخدمة أتى من الله نفسه. لأن الله هو الذي دعاه والله هو الذي أفرزه. وهو يشير إلى هذا لكي يجعل رسالته أكثر قبولاً وتصديقًا لديهم.

"*لإنجيل الله*" فكما أن متى ومرقس ليسا فقط من الإنجيليين، بل هما أيضًا من الرسل، هكذا فإن بولس ليس رسولاً فقط بل هو إنجيلي أيضًا، إذ هو مفرز "*لإنجيل الله*". ولذلك يصف عمله وخدمته بأنها بشارة مفرحة أي "*إنجيل*". ليس فقط لأجل الخيرات التي أُستعلنت، بل أيضًا لأجل الخيرات التي ستستعلن في الدهر الآتي. لكن كيف يقول إنه يبشر بالله عندما يقول "*المُفرز*"، "*لإنجيل الله*"؟ ذلك لأن (الله) كان ظاهرًا قبل أن يُبشر به، ومع أنه كان ظاهرًا لليهود، لكنه لم يكن ظاهرًا للأمم. وحتى في ظهوره

---

[٦١] مر١٦:١٥.

[٦٢] ٢كو٥:٢٠.

[٦٣] إر١:٥.

لليهود لم يكن ظاهرًا كما ينبغي، لأنهم لم يعرفوا أنه هو الآب، وتخيلوا أمور لا تليق به. لهذا أشار المسيح إلى أن الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، وأن "*الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له*"[٦٤]. وفي ملء الزمان عُرف الآب مع ابنه في كل المسكونة، لأن هذا ما شهد به المسيح "*أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته*"[٦٥] ولذلك وصف الرسول بولس كرازته بأنها "*إنجيل الله*"، وذلك لكي يبعث الفرح في نفوس المستمعين منذ البداية. لأنه لم يأتِ لكي يبشر بظلال كما صنع الأنبياء، أو ليتحدث عن مآسي أو عن مراثي، بل لكي يعلن أخبارًا مفرحة عن الله، وعن عطايا لا تحصي وخيرات أكيدة لا تنتهي، تلك التي وعد الله بها أنبياءه في الكتب المقدسة. لأنه يقول "*الرب يعطي كلمة المبشّرات بها جند كثير*"[٦٦]. وأيضًا "*ما أجمل على الجبال قدمي المبشّر المخبر بالسلام المبشّر بالخير*"[٦٧].

٢ـ أرأيت كيف يشير العهد القديم بشكل صريح ومحدد للدعوة الخاصة بهذه البشارة والطريقة التي ستتم بها؟ وهكذا يؤكد الرسول بولس أيضًا على أن الكرازة بالإنجيل لم تكن بالكلام فقط، لكن بالأعمال أيضًا، فالعمل هو عمل إلهي ومعجزي ويفوق كل قدرات البشر. ولأن البعض يدّعون أن "البشارة" بالإنجيل هو أمر مستحدث نقول لهم إن "البشارة" بشخص المسيح هي أقدم من عبادات الوثنيين، وكيف أن الأنبياء قد تكلموا عن "البشارة" في أسفارهم. لكن لو أن الإنجيل أي البشارة المفرحة بشخص المسيح لم تعط منذ البداية، فهذا راجع إلى ردود أفعال أولئك الذين لم يريدوا قبوله، لكن الذين قبلوه رأوا وسمعوا. هكذا يقول رب المجد "*أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح*"[٦٨] وإلاّ فكيف يقول: "*إن أنبياء وأبرارا كثيرين اشتهوا*

---

[٦٤] يو ٤:٢٣.

[٦٥] يو ١٧:٣.

[٦٦] مز ٦٨:١١.

[٦٧] إش ٥٢:٧، انظر أيضًا ناحوم ١:١٥.

[٦٨] يو ٨:٥٦.

أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا"[٦٩].

وأنت يجب عليك أن تنتبه، منذ متى قيل هذا الكلام؟ لأنه حقاً عندما يريد الله أن يُعِد لأمر عظيم، فإنه يتحدث عنه قبل ذلك بسنوات عديدة، لكي يهيئ السامعين لقبوله.

" الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدسة " (٢:١).

فالأنبياء لم يتكلموا فقط، لكن سجلوا هذا الذي تكلموا به، ولم يكتبوا فقط، بل أعلنوه بأعمالهم، مثلما فعل إبراهيم، عندما قاد اسحق للذبح، ومثلما رفع موسى الحيّة في البرية ورفع يديه في مقابل عماليق، وذبح خروف الفصح.

" عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد " (٣:١).

ماذا تفعل يا بولس؟ لقد ارتفعت بنفوسنا إلى أعلى وجعلتنا نتطلع لأمور عظيمة فائقة، وتحدثت ليس فقط عن الإنجيل، بل إنجيل الله، وقدمت لنا أعمال الأنبياء، وكيف أن جميعهم كرزوا منذ سنوات بعيدة بهذا الذي سوف يحدث في أجيال لاحقة، إلاّ أنك تهبط بنا مرة أخرى إلى داود. أخبرني عن أي إنسان أنت تتحدث وكيف تتساوى هذه الأمور في القيمة مع كل ما قيل؟ نعم تتساوى وبشكل كامل، لأنه يقول إن الكلمة المتجسد ليس هو إنسان عادي ولهذا فقد أضاف "من جهة الجسد"، مشيرًا إلى أن هناك ميلاد أزلي له. لكن لأي سبب بدأ بعبارة "من جهة الجسد" وليس من الميلاد الروحي؟ ولماذا لم يبدأ من أعلى وبدأ من أسفل؟ لأن متى ومرقس ولوقا أيضًا بدأوا من ميلاده الجسدي، حيث أن هذا الميلاد الجسدي هو الذي يقود إلى السماء. فقد كان هناك احتياج وضرورة أن يقود الجميع من أسفل إلى أعلى.

فالبشر رأوا المسيح في البداية كإنسان على الأرض، لكنهم عرفوه كإله. كما أعلن هو عن ذاته. هكذا أيضًا فإن التلميذ (بولس) قد تبع نفس الطريق الذي يقود إلى أعلى. لذلك فهو يتحدث عن الميلاد الجسدي، لا لأنه كان أولاً، بل لأن الميلاد الجسدي لكلمة الله يقودنا لمعرفة ميلاده (الأزلي).

---

[٦٩] مت١٣:١٧.

" وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات. يسوع المسيح ربنا " (١: ٤).

بعدما قال " *من نسل داود من جهة الجسد* " يقول " ***وتعين ابن الله*** " هذا الامر أضحى غير واضحٍ بسبب تداخل الكلمات، ولذلك فالضرورة تفرض علينا أن نحلل ونشرح هذا الأمر. كونه آتي من نسل داود من جهة الجسد هو أمر واضح. لكن من أين يظهر أن هذا الذي صار إنسانًا، هو ابن الله ؟

أولاً: من الأنبياء، ولهذا قال " *الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدسة* " وهذا الدليل يسمى بالدليل العادي البسيط.

ثانيًا: من خلال طريقة الميلاد ذاتها، لأن ميلاده فاق قوانين الطبيعة.

ثالثًا: من خلال المعجزات التي صنعها، وهذا ما يعنيه بكلمة **(تعين بقوة)**.

رابعًا: من خلال الروح الذي أعطاه لأولئك الذين آمنوا به، لأن من خلاله صاروا قديسين. ولهذا يقول " ***من جهة روح القداسة*** " فالله وحده هو القادر أن يمنح هذه العطية.

خامسًا: من خلال قيامة السيد لأنه هو فقط أول من قام. فهو الذي قال " *انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه* "[٧٠] وأيضًا " *متى رفعتم الإنسان فحينئذٍ تفهمون أني أنا هو* "[٧١] وقال لهم " *جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له إلاّ آية يونان النبي* "[٧٢]. إذًا فماذا تعني كلمة " **تعيّن**"؟ تعني ذاك الذي أُستعلن، الذي اعترف به الجميع، وتنبأ عنه الأنبياء، ووُلِدَ بشكل معجزي كإنسان، وتأيد بقوة صنع المعجزات، وأعطى الروح القدس الذي بواسطته منح القداسة لآخرين، وأخيرًا أُستعلن من خلال قيامته التي بها أبطل سلطان الموت.

" يسوع المسيح ربنا الذي به لأجل اسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان في جميع الأمم " (١: ٥).

انتبه إلى امتنان العبد (بولس) الذي لا يريد أن ينسب لنفسه أي شيء، بل

---

[٧٠] يو ٢: ١٩.

[٧١] يو ٨: ٢٨.

[٧٢] مت ١٢: ٣٩.

هو يؤكد على أن كل الأشياء هي من الله. خاصة وأن الروح القدس هو عطية الله. ولهذا يقول السيد له المجد " *إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع فيتكلم به ويخبركم بأمور آتية* "[٧٣].

وأيضًا " *قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل*"[٧٤] وفي رسالة الرسول بولس إلى أهل كورنثوس يقول " *فإنه لواحد يُعطي بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد*"[٧٥] وأن " *هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسمًا لكل واحد بمفرده كما يشاء*"[٧٦] ويقول لقسوس أفسس " *احترزوا اذًا لأنفسكم ولجميع الرعية التي اقامكم الروح القدس فيها أساقفة*"[٧٧].

هل لاحظت أن الرسول ينسِب للابن ما يُنسَب للروح، وما يُنسَب للروح يُنسَب للابن، ويقول: " ***قبلنا نعمة ورسالة*** " أي أننا لم نَصِرْ رسلاً بواسطة إمكانياتنا، ولم نَصِرْ رُسلاً لأننا عانينا كثيرًا وتعبنا، ولكن لأننا أخذنا نعمة، وهذه الإمكانيات هى نتيجة العطية الإلهية التي تهدف " **لإطاعة الإيمان**".

٣ـ وعليه فليس الرسل هم الذين تمكنوا من نشر الرسالة، ولكن النعمة هى التي مهدت الطريق. لأن عملهم كان أن يجولوا وأن يكرزوا وأن يقنعوا، لكن نعمة الله هى التي عملت معهم، كما يقول القديس لوقا " *ففتح ذهنهم*"[٧٨] وفي موضع آخر يقول " *لكم قد أعطى أن تعرفوا أسرار ملكوت الله*"[٧٩] وهذه المعرفة هى "لإطاعة الإيمان" ولم يقل للبحث وأداء العمل، ولكن

---

[٧٣] يو١٦:١٢.
[٧٤] أع١٣:٢.
[٧٥] اكو١٢:٨.
[٧٦] اكو١٢:١١.
[٧٧] أع٢٠:٢٨.
[٧٨] لو٢٤:٤٥.
[٧٩] لو٨:١٠.

"لإطاعة" لأنه لم يرسلنا لكي نجمع مجموعة من الناس، بل لكي ينتشر عمل الله الذي استؤمنا عليه. وعندما يقول الرب شيئًا، ينبغى على أولئك الذين يسمعون أن يقبلوه ببساطة، بدون أن يفحصوا ويبحثوا في هذا القول بارتياب، وكذلك لا يضيفوا شيئًا من أنفسهم. فالرسل قد أُرسلوا لأجل هذا، أى لكى ينقلوا ما سمعوه، ثم بعد ذلك لكي نؤمن نحن. وأتساءل بأي شيء نؤمن؟ وأقول نؤمن باسمه، ولا ننشغل بأمور تفوق العقل، بل نؤمن باسمه فقط. لأن باسم يسوع المسيح صارت المعجزات " *باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش*"[80] هذه الأمور تحتاج إلى إيمان، فلا يوجد شيء من هذه الأمور كلها يمكن أن نفهمها بالمنطق فقط.

ويضيف قائلاً: ***لإطاعة الإيمان في جميع الأمم***". هل كرز الرسول بولس لكل الأمم؟ لقد جال من أورشليم حتى خليج إلليريكون، ومن هناك وصل حتى أقاصي الأرض، وهذا الأمر واضح من خلال ما كتبه إلى أهل رومية بقوله "*لإطاعة الإيمان في جميع الأمم*" فهو لا يتكلم عن نفسه فقط، ولكن عن الاثنى عشر رسولاً، وكل من بشّر بكلمة الإنجيل من بعدهم. كما يُلاحظ أنه يسمو بهذه العطية (أن الإيمان وصل إلى جميع الأمم)، ويظهرها أنها عطية عظيمة وأسمى بكثير من العطية القديمة السابقة. فلو كانت العطايا القديمة قد صارت لأمة واحدة، فإن هذه النعمة الجديدة تمثل دعوة لكل المسكونة.

ولاحظ من فضلك أن للقديس بولس نفسًا نقية لا تعرف التملق أو المداهنة. فعلى الرغم من أنه يكتب لأهل رومية تلك المدينة التي تمثل المركز الحضارى لكل المسكونة في ذلك الوقت، فإنه لم يفضّلهم عن باقي المسكونة. ولم يقل أنهم متميزون عن غيرهم في الروحيات، أو أنهم يسودون لأنهم يمتلكون القوة، لكنه يقول، كما نكرز بالإيمان لجميع الأمم، هكذا نكرز لكم. فهو يتحدث إليهم كما يتحدث إلى السكيثيين وإلى أهل ثراكي، معتبرًا إياهم مثل غيرهم من الأمم من جهة الدعوة والإيمان،

---

[80] أع٣:٦.

ولهذا نجده يخاطبهم قائلاً:

" الذين بينهم أنتم أيضًا مدعوو يسوع المسيح " (٦:١).

أي أن مع هؤلاء الذي دعاهم من بين الأمم، هم أيضًا (أهل رومية) مدعوين لهذا. لم يقل إنه دعي الآخرين (الأمم) معهم. حتى لا يشعروا بتميزهم على الآخرين وبقوله "*أنتم أيضًا مدعوو يسوع المسيح*" وقد أراد أن يوضح بذلك أنه لا يوجد عبد ولا حر، الجميع في المسيح واحد، فبالأولى كثيرًا لا يوجد فرق بين ملك ومواطن عادي، لهذا فأنتم وهؤلاء قد دعيتم ولم تأتوا من تلقاء أنفسكم.

" إلى جميع الموجودين في رومية أحباء الله مدعوين قديسين. نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح " (٧:١).

لاحظ كيف أنه باستمرار يستخدم عبارة "*المدعو*"، فيقول "*المدعو رسولاً*"، وأيضًا "*الذين بينهم أنتم أيضًا مدعوون*"، ثم "*إلى جميع الموجودين في رومية أحباء الله مدعوين*" وهو لا يفعل هذا بدون هدف يخدم كرازته، لكنه يريد أن يذكّرهم بالدعوة الموجهة للجميع. لأنه كان طبيعيًا أن يوجد بين المؤمنين قوم في رتب عسكرية، ونبلاء، وفقراء، ومواطنين بسطاء، وقد فعل ذلك لكي ينزع جذور التمييز بين الرتب والمناصب . فهو يكتب في رسالته تحية واحدة موجهة للجميع . فإن كان في الأمور الأكثر أهمية، أي في الأمور الروحية، كل شيء مشترك بين العبيد والأحرار، مثل محبة الله، الدعوة، البشارة المفرحة، والتبني، والنعمة، والسلام، والقداسة، وكل الأمور الأخرى، فكيف لا يكون التمييز بين الناس على أساس الأمور الأرضية دليلاً على الحماقة الشديدة، خصوصًا إن كان الله قد وحدّهم وجعلهم متساوين في منحهم العطايا الأكثر سموًا؟ لذلك نجد أن المطوّب بولس ـ منذ البداية ـ يُبعد هذا المرض المخيف ويقود الجميع نحو الاتضاع الذي هو أساس كل صلاح. فهذه المساواة في الأمور الروحية قد جعلت العبيد يشعرون بالإرتياح والرضا، لأنهم أدركوا أنهم لن يتضرروا من كونهم عبيدًا، طالما قد امتلكوا الحرية الحقيقية. وأيضًا جعلت السادة الأحرار معتدلين، لأنهم أدركوا أن أعمال الإيمان لابد وأن تسبق الحرية، وإلاّ فإنهم

لن يحققوا أية فائدة من وراء تلك الحرية، وهو يعرف كيف يختار أقواله بشكل واضح ومحدد. ولذلك فإنه لم يوجه رسالته إلى جميع الذين في روما، لكن بالتحديد إلى "*أحباء الله*"، وهذا هو أفضل تحديد، إذ يُظهر أيضًا من أين تأتي القداسة.

٤ـ حسنًا فمن أين تأتي القداسة؟ تأتي من المحبة، لهذا قال "*أحباء الله*" وحينئذٍ أضاف "***مدعوين قديسين***" موضحًا أن من خلال المحبة نقتني كل الخيرات وكل صلاح. وهو يدعو كل المؤمنين قديسين "***مدعوين قديسين نعمة لكم وسلام***" هذه هى المحبة التي تحمل خيرات غير محدودة، وهذه هى التحية التي طلب المسيح من الرسل أن يقولوها عندما يدخلوا البيوت، ولهذا فإن الرسول بولس كان على الدوام يبدأ بهذه التحية، أي بالنعمة والسلام. لأن المسيح لم يبطل حربًا صغيرة، لكن حربًا طويلة الأمد متعددة الأشكال والأساليب وأتى لنا بالسلام، ولذلك فإن هذا السلام لا يأتى بجهادنا نحن، لكن من خلال نعمته.

إذن فما دامت المحبة قد منحت النعمة، والنعمة منحت السلام، فقد تمني لهم أن يقيموا فيها دومًا وبثبات، لكي لا تنشب الحرب مرة أخرى. ثم يترجى من ذاك الذي أعطى النعمة والسلام أن يحفظهما على الدوام بقوله: "*نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح*". وهنا هو يطلب من الآب وابنه يسوع المسيح معًا. لأنه لم يقل لتكن لكم النعمة والسلام من الله الآب من خلال ربنا يسوع المسيح، لكن قال من الله الآب والرب يسوع المسيح . عجيبة هي محبة الله القوية. فالأعداء، والفجّار صاروا قديسين وأبناء. وعندما يدعو المسيح قائلاً إن الله ابيه، فإن هذا يمثل إعلانًا عن بنوته لله، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن تعبير "أبناء" يكشف عن عمق غنى صلاح الله.

إذن فلنتبع السلوك الحسن بالنعمة ولنحفظ السلام والقداسة. لأن الرتب والمناصب الأخرى هي وقتية وستختفي مع الحياة الحاضرة، بل وتُشتَرى بالمال. وعليه فإن كيان الشخص الحقيقي لن يأتي بتقلد المناصب، لأن الرتب والمناصب لها فقط قوة في الزي، وفي تملق الحراس، بينما النعمة والسلام، لأنهما قد أعطيا من الله، فلن يستطيع ولا حتى الموت أن يوقفهما. النعمة

والسلام يجعلاننا في حالة بهاء هنا في هذه الحياة، وترافقانا في الدهر الآتي أيضًا . لأن الذي يحافظ على عطية التبني والقداسة بكل تدقيق، هو حقًا مشرق وأكثر سعادة من ذاك الذي يرتدي التيجان وله الرداء الملوكي . بل إنه في هذه الحياة الحاضرة أيضًا يتمتع بهدوء عظيم، متمسكًا بالرجاء الصالح، دون أن يتملك عليه القلق والاضطراب، كما أنه ينعم بالفرح والشكر على الدوام. لأن المسرة والفرح لا تجلبهما ـ عادةً ـ السلطة الكبيرة، ولا الأموال الكثيرة، ولا حجم المُلك، ولا قوة الجسد، ولا المأكولات الشهية والملابس المزينة، أو أي شيء من هذه الأمور العالمية الأرضية، بل فقط النمو الروحي والضمير الصالح هما اللذان يمنحان هذا الفرح وهذه المسرة. كما أن ذاك الذي يحمل ضميرًا نقيًا، حتى وإن كان يرتدي ملابس رثة ويتضور جوعًا، فهو أكثر سعادة من أولئك الذين يحيون في غنى فاحش، وبالعكس فمن يحمل ضميرًا شريرًا، حتى ولو إمتلك كل الأموال فهذا يكون الأكثر تعاسة من الجميع.

ولهذا فإن القديس بولس على الرغم من أنه عاش زاهدًا، وفي عوز مستمر وتجرد، وكان يعاني من الآلام بشكل يومي، إلاّ أنه كان فرحا أكثر من ملوك عاشوا في عصور سابقة، وأعني آخاب على سبيل المثال. فعلى الرغم من أنه كان ملك وعاش في غنى كثير ووافر، لكن لأنه صنع الشر، فقد أصيب بالاكتئاب والضيق، وكان وجهه حزينًا قبل وبعد الخطية. إذًا فلو أردنا أن نتمتع بالفرح، فيجب علينا ـ قبل كل شيء ـ أن نتجنب الشر وأن نسعى نحو الفضيلة. فبدون هذا لن نستطيع أن نشترك في هذا الفرح الروحي. ولهذا فان الرسول بولس يقول في موضع آخر إن " *ثمر الروح هو محبة فرح سلام*"[٨١]. هذا الثمر يجب أن نبتغيه ونغذي به أنفسنا حتى نتمتع بفرح هذه الحياة، ونقتني الملكوت الآتي بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي له المجد مع الآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

---

[٨١] غلا٥:٢٢.

العظة الثالثة:

" أولا أشكر إلهي بيسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم يُنادى به في كل العالم " (١:٨).

١ـ يبدأ الرسول حديثه بشكر لله قبل أى حديث آخر، وهذه البداية تليق بتلك النفس الطوباوية التي للرسول بولس، وهو قادر أن يعلّم الجميع أن يقدموا أعمالهم الصالحة، وأقوالهم وباكوراتهم لله، وأن لا يفرحوا فقط لأجل ما حققوه لأنفسهم، بل أيضًا لأجل الغرباء، لأن هذا الأمر يُنقي النفس من الفساد والكلام البذيء، ويجلب عطف الله على أولئك الذين يشكرونه. ولهذا فإنه يقول في موضع آخر " *مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية*"[٨٢]. والشكر لله ليس واجب على الأغنياء فقط، بل الفقراء أيضًا، وليس على الأصحاء فقط، بل المرضى أيضًا، وليس فقط المتيسرين، بل المعوزين أيضًا. فالأمر ليس بمستغرب عندما يشكر المرء وهو في حالة متيسرة، بل الشكر واجب أيضًا حين تواجه القارب أمواج عاتية ويكون مُعرَّض للغرق، وقتها يظهر البرهان الكبير على الصبر والامتنان. ولهذا فإن أيوب بسبب هذا الصبر تُوِّج إذ سد فم الشيطان، وبرهن بكل وضوح على أنه لم يشكر الله عندما كان غنيًا وذا أموال كثيرة، بل كان يشكره دومًا بسبب محبته الكبيرة لله.

لاحظ ما هي الأسباب التي لأجلها يشكر الرسول بولس، الله؟ لا لأجل الأمور الأرضية الفانية، ولا لأجل السلطة والمُلك والمجد. لأن لا شيء من كل هذا يستحق الإهتمام . لاحظ أيضًا كيف يشكر. لأنه لم يقل "أشكر الله" لكن "أشكر إلهي" وهو أمر قد فعله الأنبياء، اذ جعلوا الله خاصتهم أو إلههم. وهل يعد أمرًا غريبًا لو فعل الأنبياء هذا، لأن الله ذاته كان يدعو نفسه إله إبراهيم واسحق ويعقوب؟

" **إن إيمانكم ينادى به في كل العالم**" ماذا إذًا؟ هل كل العالم كان قد سمع بإيمان أهل رومية؟ نعم لقد سمع الجميع عن إيمان أهل رومية من

---

[٨٢] أف ١:٣.

الرسول بولس، وهذا يعد أمرًا منطقيًا. لأن مدينة روما كانت مشهورة ومعروفة جدًا، ومكانتها كانت تبدو من جميع الجوانب كما لو كانت فوق قمة عالية. وأرجو أن تُلاحظ قوة الكرازة وقوة الكلمة، وكيف أنه في مدة زمنية بسيطة ساد العشارون والصيادون على هذه المدينة التي هي قمة المدن، وكيف صار رجال سوريون معلّمين ومرشدين لأهل رومية[٨٣]. إذًا فقد حقق أهل رومية إنجازين:

١ـ أنهم آمنوا.

٢ـ وأن إيمانهم قد أُستعلن مجاهرة وبلا خوف، حتى أن شهرتهم امتدت إلى كل الأرض لأنه يقول: " *لأن إيمانكم ينادي به في كل العالم*".

إن الإيمان هو الذي يُنادىَ به، وليست المعارك الكلامية، ولا المناقشات، ولا الأفكار. لقد ساد الإيمان على الرغم من أن معوقات الكرازة كانت كثيرة، لأن أهل رومية كانوا قد سادوا المسكونة قبل ذلك بقليل، أي قبل إيمانهم، مفتخرين، عائشين في الغنى والمتع . ثم قام صيادون يهود من أمة منبوذة، بتبشيرهم بالمسيح، ودعوهم أن يسجدوا للمصلوب الذي عاش في اليهودية، ومن خلال الإيمان بدأ المعلّمون يَعِظون الناس ويحثونهم على حياة الزهد، وهم الذين تعودوا أن يعيشوا في رفاهية، ويشتهون الخيرات الأرضية بشكل كبير. مع أن هؤلاء الذين بشروا أهل رومية، كانوا أناسًا فقراء وبسطاء ومجهولين، ومن آباء مجهولين، لكن لا شيء من كل هذا أعاق طريق الكرازة . بل إن قوة المصلوب كانت عظيمة جدًا، حتى أنها نقلت البشارة إلى كل مكان، ثم قال إن إيمانهم "*ينادى به في كل الأمم*" ولم يقل إنه "**ظهر**"، لكن "**ينادى**" كما لو كان إيمانهم على كل الألسنة. هذا ما أكده أيضًا لأهل تسالونيكي عندما كتب يقول: " *لأن من قِبَلكم قد أذيعت كلمة الرب ليس في مكدونية وأخائية فقط بل في كل مكان أيضًا قد ذاع إيمانكم بالله حتى ليست لنا حاجة أن نتكلم شيئًا*"[٨٤] لأن التلاميذ

---

[٨٣] يقصد هؤلاء الذين بشروا أهل رومية بالإنجيل.

[٨٤] ١تس١:٨.

أخذوا مكانة المعلمين، مُعلّمين الجميع بكل مجاهرة، وجاذبين الكل إليهم. لأن البشارة لم تتوقف في مكان ما، لقد كانت أقوى من النار، ووصلت إلى كل المسكونة. وحسنًا قال عن الإيمان إنه "*يُنادى به*" فظهر أنه لا يجب أن يضيف أو ينزع شيئًا مما أعلنته الكرازة. لأن عمل المبشر هو نقل الرسالة فقط، ولهذا فإن الراعي يسمى مبشرًا، لأنه لا يعلن عن نفسه أو تعاليمه هو، ولكنه يعلن عن مَن يرسله.

" فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه، شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم متضرعًا في صلواتي " (١:٩).

٢ـ هذا الكلام خارج من أحشاء الرسول المملوءة رأفة، ويكشف عن روح تتمتع بالرعاية والأبوة. لكن ما معنى هذا الذي قاله ولأي سبب يدعو الله شاهدًا؟ لقد أراد أن يُعبّر لهم عما بداخله، ولأنه لم يكن قد رآهم حتى ذلك الوقت، فإنه لم يدع أي إنسان لكى يكون شاهدًا، ولكن دَعى ذاك الذي يفحص القلوب، شاهد.

إذن بعدما قال إنهم محبوبون، أراد أن يدلّل على هذا، لذا قال إنه يصلي لهم بلا انقطاع، وأنه يأمل أن يأتي إليهم، ولما كانت هذه الدلائل غير معلنة، فإنه لجأ إلى شهادة أمينة. وهنا يمكن أن نتساءل هل يستطيع أحد منكم أن يَزعُم بأنه يتذكر كل ملء الكنيسة عندما يصلي في بيته؟ لا أعتقد، لكن القديس بولس يصلي إلى الله، لا لأجل مدينة واحدة، بل لكل المسكونة، وهذا حدث لا مرة واحدة أو مرتين أو ثلاث مرات، لكن بلا انقطاع. ولن يحدث أن يتذكر المرء إنسانًا معينًا، إلاّ اذا كانت هناك محبة كبيرة تربطه به، ولهذا يذكره دوما في صلواته. أرأيت إن صلواته هذه هي دليل واضح على محبته الكبيرة تجاه الجميع.

وعندما يقول إن الله هو " *الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه*" يوضح لنا تواضعه تحت نعمة الله، لأن نعمة الله سمحت له بأمر عظيم جدًا، وهو أن يُبشر، ويُظهر هذا التواضع بوضوح، لأنه ينسب كل شيء لمعونة الروح، لا لإمكانياته الخاصة. واستخدامه تعبير " *إنجيل ابنه*" قصد به إظهار نوع

الخدمة. وبالحقيقة إن طُرق الخدمة كثيرة ومتنوعة، تمامًا مثل طُرق العبادة. تمامًا كما في حالة الممالك، فالجميع خاضعون لواحد فقط هو الذي يملك، ولا يقدمون جميعهم نفس الخدمات، لكن واحد يهتم بخدمة وإدارة الجيوش، وواحد يدبر المؤن، وآخر يحفظ أموال الخزانة، هكذا أيضًا في الأمور الروحية؛ واحد يعبد الله بأن يخدم ويُدبر حياته حسنًا، وآخر يتعهد خدمة الغرباء، وآخر يقوم برعاية من لهم احتياج. ومثل هذا الأمر نجده في حالة الرسل أنفسهم، هؤلاء الذين كانوا مع استفانوس ويخدمون الله، البعض في رعاية الأرامل، وآخرون في التعليم. ومن بين الرسل أيضًا كان الرسول بولس يخدم الله بواسطة كلمة الإنجيل. وهذا كان أسلوب خدمته ولهذه الخدمة أُرسل.

ولذلك فإنه لا يدعو الله شاهدًا فقط، لكنه يتكلم عن خدمته التي تعهد بها، موضحًا أن قيامه بهذه الخدمة العظيمة، لا يجعله يدعو ذاك الذي استأمنه على هذه الخدمة شاهدًا، إن لم يكن لديه هذا اليقين وهذه الثقة. بل أراد، أن يوضح أن محبته ورعايته لهم هو أمر ضروري. ولكي لا يقولوا له مَن أنت ومن أين أتيت، وكيف تقول أنك تعتني بمدينة كبيرة، ولها مكانة قيادية بين المدن، نجد أنه أوضح أن قيامه بمثل هذه الرعاية وهذا الإهتمام هو أمر مُلّح بالنسبة له. إذ كانت الضرورة موضوعة عليه، لكي يكرز هناك بالإنجيل. وكان يشعر باحتياج أن يذكر هؤلاء الذين كرز لهم بلا انقطاع.

"*الله الذي أعبده بروحي*" هذه العبادة هى أسمى بكثير من العبادة الوثنية والعبادة اليهودية. لأن العبادة الوثنية هى عبادة كاذبة وجسدية، بينما العبادة اليهودية هى عبادة حقيقية، لكنها هى أيضًا جسدية، لكن العبادة الكنسية هى عكس العبادة الوثنية، وأسمى بكثير من العبادة اليهودية. لأن عبادتنا ليست بذبائح وعجول ودخان ورائحة شواء، لكن هى عبادة روحية. هذا ما أعلنه لنا المسيح قائلاً: "*الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق*

ينبغي أن يسجدوا "[٨٥].

ثم يقول: " *في إنجيل ابنه* " لقد قال سابقًا " *المفرز لإنجيل الله (الآب)* "، هنا يقول "إنجيل ابنه" أي أن هذا الإنجيل هو إنجيل الابن. لأنه تعلّم من السيد له المجد أن كل ما للآب هو للابن وكل ما للابن هو للآب. لأن المسيح يقول " *كل ما هو لي فهو لك. وما هو لك فهو لي* "[٨٦].

" ***كيف بلا انقطاع أذكركم متضرعًا في صلواتي*** ": هذا دليل محبة حقيقية. وما يقوم به الرسول بولس هو أمر واحد له عدة جوانب: "أنه يذكرهم" وهو يذكرهم "بلا انقطاع"، وهذا التذكّر هو محور "صلاته" وأخيرًا هو يفعل هذا، لأجل أمور عظيمة.

" متضرعًا دائمًا في صلواتي عسى الآن أن يتيسر لي بمشيئة الله أن آتي إليكم. لأني مشتاق أن أراكم " (١٠:١).

هكذا نري أنه يشتاق لرؤيتهم ولا يريد أن يحدث هذا بدون مشيئة الله، بل أن تكون هذه الرغبة مقترنة بمخافة الله. لقد أحبهم وكان متعجلاً للذهاب إليهم، لكنه لم يُرد أن يراهم بدون أن يتأكد أن هذه هي مشيئة الله، وهو في هذا مدفوع بمحبته لهم، هذه هى المحبة الحقيقية، وليست كالمحبة التي يكون الأنا فيها، هو مركزها، أقصد أن هناك مسارين للسلوك فيما يختص بأسلوب محبتنا:

١ـ فإما أن لا نحب أحدًا،

٢ـ أو عندما نحب فإننا نحب بطريقة مضادة لمشيئة الله[٨٧].

والحالتين هما ضد الناموس الإلهي. لكن لو كان مجرد الكلام عن المحبة يثير في نفس المستمع ضيقًا، فهذا يعنى أن ممارسة هذه المحبة ستسبب له ضيقًا أكثر.

٣ـ ويمكن للمرء أن يتساءل كيف نحب ويكون هذا بعكس مشيئة الله؟ يحدث ذلك، عندما نغض البصر عن المسيح الذي يتضور جوعًا، بينما

---

[٨٥] يو ٤:٢٤.

[٨٦] يو ١٧:١٠.

[٨٧] يقصد المحبة التي يكون مصدرها الأنا وليست مشيئة الله.

نعطي لأولادنا ولأصدقائنا ولأقاربنا أكثر مما يحتاجونه. هنا الأمر يتطلب أن نسترسل في حديثنا أكثر من ذلك، لأنه لو فحص كل واحد منا ضميره جيدًا، لوجد أن هذا الأمر واردًا في أمور كثيرة، لكن المطوّب بولس لم يكن هكذا، لكنه عرف وتعلّم كيف يُحب، وأن تكون محبته كما ينبغي، وكما يليق. لاحظ إذًا أن مخافة الله والاشتياق لرؤية أهل رومية، موجودين بشكل كبير في قلب القديس بولس، لأن صلاته لهم بلا انقطاع، ودون توقف، هي دليل محبته الكبيرة، كما أن استمرار خضوعه لمشيئة الله في محبته لهم، هو دليل على تقواه العظيمة . تلك التقوى التي اتضحت في موضع آخر عندما تضرع إلى الرب ثلاث مرات لكي تفارقه شوكة الجسد، ومع هذا لم يُستجب له، وبالرغم من ذلك، فقد شكر الله كثيرًا لأنه لم يسمع له[88]. وهكذا نجده في كل الأمور كان ينظر نحو الله ويخضع لمشيئته. لكن هنا نجد أن الله قد سمع له، ليس عندما طلب، ولكن الإستجابة آتت فيما بعد. وهذا يوضح أن عدم إستجابة الله لطلبه في الحال لم يسبب له أى ضيق.

هذه الأمور أقولها، لكي لا نتضايق عندما لا تُستجاب صلواتنا في الحال. لأننا لسنا أفضل من الرسول بولس الذي يشكر في الحالتين، وهو إذ يصنع هذا يفعل حسنًا جدًا. لأنه وضع نفسه في يد ضابط الكل، وتحت سلطانه بخضوع كامل، مثل الطينة اللينة في يد صانعها، مُسلّمًا قيادة حياته لله . وبعدما قال إنه يصلي لكي يراهم، يوضح سبب هذا الاشتياق لرؤيتهم. وما هو هذا السبب؟ السبب كما يقول:

" لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم " (۱:۱۱)

فالقديس بولس لم يقم برحلات بلا هدف أو بلا معنى، كما يصنع الكثيرون الآن، لكن لضرورات ولأجل موضوعات ملّحة جدًا. وهو لم يُرِد أن يوضح سبب رحلته، لأنه لم يقل لكي أُعلمكم أو أعظكم أو أكمّل ما نقص، لكن قال "*لكي أمنحكم هبة روحية*" موضحًا أنه لا يعطيهم شيئًا

---

[88] انظر ٢كو١٢: ٨.

مما له، لكنه يهبهم ما قد أخذه من الله. وقد فعل هذا من أجل ثباتهم.

فثباتهم وعدم إهتزازهم هو من عمل النعمة. وعندما تسمع عن عمل النعمة، فلا تظن أن أجر تعب الخدمة قد ضاع، بسبب ذكر عمل النعمة، إذ أنه أراد فقط أن يقضى على الإفتخار بتعب الخدمة والتباهى به. فالحديث عن النعمة، لا يعني احتقار جهد الرغبة في الخدمة، وما أراده فقط، هو أن يقضي على الافتخار والزهو غير المقبول. إذًا يجب ألا تعتمد على قوتك، لأن الرسول بولس دَعَى هذا التعب في الخدمة بالموهبة أو العطية. لأنه يعترف وبتواضع أن تعب الخدمة لا يرجع إلى إمكانياته الشخصية، بل إلى الموهبة المعطاة له، لأن هذه المواهب تحتاج إلى دعم وسند من الله. غير أنه بقوله "لثباتكم" أراد أن يوضح بشكل غير معلن أنهم محتاجون إلى تقويم. فما أراد أن يقوله هو: إننى كنت أصلي ومشتاق أن أراكم، لا لسبب آخر، إلا لأن أسندكم وأقويكم وأثبّتكم في مخافة الله باستمرار، لكي لا تتزعزعوا. وبالتأكيد هو لم يتكلم هكذا لكي يجرح مشاعرهم، لكنه بأسلوب آخر يشير إلى هذا المعنى بدون تشديد أو تأكيد على هذا، إذ أنه عندما يقول "*لثباتكم*" فإنه يقصد هذا المعنى المشار إليه.

ثم بعد ذلك ـ لأن قوله كان ثقيلاً على نفوسهم ـ لاحظ كيف يجعل قوله مقبولاً، وحتى لا يقولوا ماذا إذًا؟ هل نحن مهتزين، ألسنا ثابتين، هل نحن في حاجة إلى كلامك لكي نثبت؟ لذا نجده يضيف قائلاً "*لنتعزى بينكم بالإيمان الذي فينا جميعًا إيمانكم وإيماني*" وبهذه الإضافة فإنه يزيل أي ارتياب يعتريهم. كما لو كان يقول لهم لا ترتابوا، فأنا أتكلم لا لكي أتهمكم، فكلامي لا يحمل هذا المعنى. لكن ما أريد أن أقوله هو إنكم عانيتم كثيرًا من المضايقات والاضطهادات والعذابات من قِبل الحكّام والولاة، لذلك أردت أن أراكم لكي أعزيكم، بل من الأفضل أن أقول، لا لكى أعزيكم فقط، لكن لكي أتعزى أنا أيضًا معكم.

٤ـ أرأيت حكمة المعلم؟ قال أولاً "*لثباتكم*" ولأنه يعرف أن هذا ثقيل ويضايق تلاميذه، فإنه أضاف "*لنتعزى*"، ولم يكتفِ بهذا فقط، لكنه يقدم علاجًا أكبر قائلاً:

" لنتعزى بالإيمان الذي فينا جميعًا إيمانكم وإيماني " (١٢:١).

يا لعظمة الإتضاع. لأن الرسول بولس بقوله هذا، يوضح أنه هو نفسه في احتياج لهم، وليس هم الذين كانوا في احتياج إليه. إنه قد وضع التلاميذ في موضع المعلّم، دون أن يحتفظ لنفسه بأي امتياز، بل إنه أكد أيضًا على المساواة الكاملة بينه وبينهم، لأن الربح سيكون مشترك، وذلك بقوله: إنه محتاج إلى تعزيتهم كما أنهم محتاجون إلى تعزيته.

وبأي وسيلة يتم هذا "*بالإيمان الذي فينا جميعًا إيمانكم وإيماني*" فكما أنه من الممكن أن يجمع المرء أكثر من شعلة لكي يوقدها ليحصل على نار أشد، هكذا أيضًا بالنسبة للمؤمنين. فكما أنه عندما نوجد متفرقين في أماكن مختلفة، فإننا نكون حزانى أو متضايقين، لكن حينما يرى الواحد منا الآخر ونتعانق، فإننا نتعزى تعزية كبيرة. ولذلك يجب ألاّ تقارن ما يحدث الآن بما كان يحدث فيما قبل، فالآن توجد شركة بين المؤمنين في كل مدينة وقرية، بل وفي الصحراء حيث انتشرت التقوى وتلاشي غضب الله. لكن تأمل في ذاك العصر عندما كان يرى المعلّم تلاميذه، وأيضًا الأخوة يرون أخوة لهم آتين من مدن أخرى بعيدة، كم كانت فرحة اللقاء عظيمة.

ولكي أجعل ما أقوله أكثر وضوحًا، سأتكلم بمثال، فلو حدث أن ذهبنا إلى بلاد الفرس أو إلى السيكيثيين أو بلاد البربر، وتوزعنا اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة في هذه البلاد، ثم بعد انقضاء فترة من الزمن، رأينا فجأة شخص قد أتى من هناك، تخيل كم تكون التعزية التي سنحصل عليها. ألا ترون كيف أن المسجونين عندما يرون أحد أقاربهم، يمتلئون حيوية وفرح؟ فلو أننا شبهنا الظروف التي عاش فيها أهل رومية بالسجن والآسر، فيجب عليك ألا تندهش، لأنهم عانوا أمورًا أكثر مرارة وقسوة مما يحدث في هذا السجن وهذا والآسر. لقد عانوا التشرد والاضطهاد، عانوا الجوع والحروب، وتعرضوا للموت كل يوم، والشك فيهم من قبل أصدقاء، ومعارف وأقارب، وعاشوا كغرباء في بلادهم. ولهذا قال "*لثباتكم، لنتعزى بينكم بالإيمان الذي فينا جميعًا*". كما أنه قال هذا الكلام، لا لأنه يحتاج إلى مساعدتهم، فهذا الأمر كان مستبعد تمامًا. لأنه كيف يحتاج مَن هو عمود الكنيسة،

ومَن كان في إيمانه أقوى من الحديد والصخر، ومَن كان روحيًا أصلد من الماس، ومَن كان يملك قوة لحكم وإدارة مدن كثيرة؟ ولكن قال إنه هو أيضًا محتاجًا لتعزيتهم، كي لا يجعل كلمته قاسية وشديدة . ولو تساءل أحدكم قائلاً: طالما أن الرسول بولس مشتاق لرؤية أهل رومية، وأنه يصلي ويتضرع إلى الله من أجل ذلك، وأنه سيتعزى هو نفسه وسيعزيهم، فما هو العائق الذي يمنعه أن يذهب إلى هناك؟ وهل أراد أن يرد على هذا التساؤل بما أضافه قائلاً:

" ثم لست أريد أن تجهلوا أيها الأخوة أنني مرارًا كثيرة قصدت أن آتي إليكم ومنعت حتى الآن " (١٣:١).

أرأيت مثل هذا الخضوع الكبير ودليل الامتنان العظيم. يقول أنه مُنع، لكن لأي سبب مُنع؟ هو لا يجيب، وذلك لأنه لا يفحص أمر الرب، لكنه يخضع له فقط، وإن كان من الطبيعي أن نتساءل بدهشة كيف يمنعه الله عن الذهاب إلى مدينة مثل رومية تتمتع بحظ وافر من سبل الراحة والرفاهية، وعظيمة جدًا، كما أن نظر كل المسكونة كان يتجه إليها. أقول لقد منعه الله من الذهاب، حتى لا تتمتع هذه المدينة المتشامخة بمثل هذا المعلم العظيم.

وهو لم يهتم بأى شيء، بل سلّم نفسه لعناية الله غير المحدودة، مظهرًا بذلك تقوى وحكمة، ومعلّمًا إيانا ألاّ نُحمّل الله مسئولية ما يحدث حولنا، حتى وإن كان ما يحدث يبدو أنه يسبب ضيق للكثيرين.

لأن عمل الله هو أن يعطي وصايا، وعمل العبيد هو الطاعة ولهذا فهو يقول لا تسألني عن قرار أو فكر الله " *بل مَن أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله. ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا* "[89] إذن لأي سبب تطلب أن تعرف؟ ألا تعرف أن الله يعتني بكل شيء وأنه كلّى الحكمة، وأن عمله دائمًا بتدبير وليس بلا سبب، أو بدون هدف؟ وأنه يحبك محبة فائقة الوصف، وهذه المحبة تتجاوز رعاية الأب، وحنان الأم بكثير. يجب عليك الآن ألاّ تطلب أكثر من ذلك، لأن هذا الأمر يكفي للعزاء. لأنه حتى مطلب

[89] رو٩: ٢٠.

أهل رومية آنذاك كان قد تم تدبيره بحكمة كبيرة.

فعدم معرفة طُرق الله في تعامله مع أبنائه، لا يدعو للتذمر، بل إن ذلك يبعث على الإيمان، بمعنى أن يقبل المرء الكلام عن تدبير الله، على الرغم من أنه غير مدرك لطريقة التدبير.

٥- وقد تمكّن الرسول بولس من توضيح قصده، بمعنى أنه مُنع، على الرغم من رغبته في رؤيتهم والإشتياق الشديد إليهم، ولم تكن هذه مجرد رغبة عابرة، فقد أكد لهم على أن إشتياقه لرؤيتهم يفوق بكثير إشتياقهم لرؤيته. وقد بيّن محبته لهم من خلال أمور أخرى كثيرة، فلم يتوقف عن محاولته الذهاب إليهم على الرغم من أنه مُنع، وكان دومًا يحاول الذهاب إليهم، ومع ذلك كان يُمنع، لكنه لم يتوقف أبدًا عن المحاولة، وهو في هذا لم يقاوم إرادة الله، فقد كان يحمل لهم محبة كبيرة على الدوام . وهو بهذه النية أيضًا في محاولاته المستمرة الذهاب إليهم، قد أظهر محبته نحوهم، كما أنه أظهر محبة كاملة لله عندما أُعيق عن الذهاب، ولم يقاوم إرادة الله .

"*ليكون لي ثمر فيكم*" وعلى الرغم من أنه كان قد أعلن سبب اشتياقه إليهم كما سبق الاشارة، لكنه هنا يُركّز على إيضاح هذا السبب، لكي يزيل أي شكوك في نفوسهم. لأن مدينتهم كانت ذات شهرة ومتميزة في كل المسكونة، فكان الكثيرون يتكالبون على زيارة هذه المدينة فقط.

ولكي يزيل أي ظن في نفوسهم أو أي شك من نحوه، وأن زيارته لهم لم تكن بسبب شهرة المدينة وتميّزها، بل بسبب اشتياقه لهم وارتياحه لمسيرتهم الإيمانية، فكان دائمًا يُذكّرهم بسبب اشتياقه لهم.

وكما سبق وقال لهم "*لأني مشتاق أن أراكم لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم*" هنا أيضًا يقول لهم بكل وضوح "*ليكون لي ثمر فيكم كما في سائر الأمم*" بمعنى أن الثمر هو للجميع. فبرغم كل الإنتصارات العظيمة والغنائم الكثيرة، ورغم الرتب والمناصب التي كانت للنبلاء، فإنه لا يفرّق بين الرؤساء وبين المواطنين البسطاء، وهو محق في هذا لأن عطية الإيمان

عندما توهب، لا يكون هناك فرق بين يوناني وبربري، ولا بين مواطن وأجنبي، الكل متساوون وفي نفس المرتبة السامية. لاحظ كيف يتكلم الرسول بولس باعتدال، لأنه لم يقل لكي أعلّمكم أو لكي أعظكم، لكن "*ليكون لي ثمر فيكم*"، وهو لم يقل فقط ثمر بل "ثمر فيكم". هنا لم يعظّم من شأنه، وأيضًا لم يعظّم من شأن أهل رومية. لأنه يقول "*كما في سائر الأمم*" أي لا لأنهم أغنياء أو لأنهم على ثراء أكثر من الآخرين، يُبدي لهم اهتمامًا أكثر من الآخرين، لأنه لا يطلب منهم غنى، بل يطلب إيمانًا فقط. ولعلنا نتساءل أين تأثير فلاسفة اليونان الآن، الذين كان لهم لَحَى كثيفة، ويرتدون ملابس ثمينة، ويفتخرون كثيرًا بأنفسهم؟ إن كل بلاد اليونان وكل بلاد البربر قد قادها الخيّام (بولس) إلى حظيرة الإيمان. بل إن أفلاطون الذي نال شهرة واسعة وحاز ثناء الكثيرين، عندما أتى إلى صقلية ليس لمرة أو مرتين بل لثلاث مرات، وكان الجميع متلهفين لسماع كلماته، لم يستطع أن يؤثر في أي حاكم مستبد، بل رحل عنهم وهو يجر أذيال الخيبة والمهانة[٩٠]. وعلى العكس نجد أن الخيّام (بولس) قام بالتبشير ليس فقط في صقلية وإيطاليا، بل وفي بلاد كثيرة. والجدير بالذكر أنه عندما كرز، لم يتوقف عن عمله، بل إنه استمر في نشاطه كصانع للخيام. وعمله هذا لم يقف حجر عثرة أمامه في كرازته للنبلاء، فلا الحِرَف ولا المهن المختلفة هي التي تقلل من شأن المعلّمين، لكن الذي يجعلهم بلا قيمة هو الكذب والتعاليم المضلة.

وبينما يلتف أهل أثينا حول هؤلاء المعلّمين الكذبة، نجد أن الرسول بولس يذهب إلى البربر والغير متعلمين والبسطاء، لأن الكرازة هي للجميع. وهو لم ينظر إلى الرتب المختلفة، ولا لأجناس متميزة ولا شيء من كل هذا، بل هو يحتاج فقط إلى إيمان، لا إلى الأفكار الفلسفية.

ولذلك فإن كرازته تستحق كل الإعجاب، ليس فقط لأنها أتت بثمر

---

[٩٠] لقد زار أفلاطون (٤٢٧ ــ ٣٤٧ ق.م) مدينة صقلية وطالب أهلها بإصلاحات سياسية، لكن دون أن يحقق نجاح يذكر.

وقادت إلى الخلاص، بل لأنها بسيطة وسهلة ويفهمها الجميع، هذه الكرازة هي ثمر عناية الله الذي يغدق على الجميع بلا حدود. وهذه العناية نجدها في خلق القمر والأرض والبحر والأشياء الأخرى، فعطايا الله ليست للأغنياء فقط، بل للفقراء أيضًا، فالجميع يتمتعون بخليقة الله بنفس القدر. هكذا أيضًا دبر الله الكرازة للجميع. إذ أن الكرازة هي أكثر أهمية من هذه الأمور.

ولهذا نجد المطوب بولس يقول باستمرار " *في سائر الأمم*". ثم بعد ذلك يوضح لهم، كيف أنه لم يقدم لهم أي شيء من عنده، لكنه ينفذ وصية الرب فقط ويشكر الله من جهة جميعهم ويقول:

" إني مديون لليونانيين والبرابرة والحكماء والجهلاء " (١٤:١).

وما يكتبه هنا إلى أهل رومية قد كتبه أيضًا إلى أهل كورنثوس. وفي كل الحالات يعترف بهذا الدين لله.

" فهكذا ما هو لي مستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية أيضًا" (١٥:١).

٦ـ كم هى عظيمة خدمة القديس بولس، إذ أنه وضع على عاتقه عمل ضخم ملىء بأخطار كثيرة، أخطار بحار، تجارب متنوعة، هجوم، ومواجهات عنيفة. وكان من الطبيعي أن يعبر على هذه التجارب الكثيرة، ما دام قد عقد النية على الكرازة في هذه المدينة الكبيرة التي إفتقرت إلى التقوى. هذا وقد انتهت حياته في هذه المدينة واستشهد بقطع رأسه على يد الإمبراطور نيرون"[٩١].

وعلى الرغم من أنه عانى ولاقى عذابات كثيرة، إلاّ أنه لم يحاول تجنب هذه الآلام مطلقًا. ومع كل هذه الآلام لم تخر عزيمته، ولم يتوان عن كرازته، بل كان دائمًا مستعدًا للبشارة. ولهذا يقول: "*ما هو لي مستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية*"[٩٢].

---

[٩١] غير معروف على وجه الدقة تاريخ استشهاد ق. بولس لكن بحسب تقليد الكنيسة، قد استشهد في زمن اضطهاد نيرون (٦٤ــ٦٨).

[٩٢] أو بحسب النص اليوناني " ومن هنا كانت رغبتي في أن أبشركم ".

" لأني لست استحي بإنجيل المسيح " (١٦:١).

ماذا تقول يا بولس؟ لأنه كان ينبغي أن تقول " *إني افتخر وأزهو* " لكنه قال: " *لست استحي* " إذًا لأي سبب تكلم هكذا وما معنى ذلك؟ ومع أنه كان يفرح لأجل الإنجيل، فقد كتب إلى أهل غلاطية قائلاً " *أما من جهتي فحاشا لي أن افتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح* "[٩٣]. إذًا فلأي سبب هنا يقول " *لست استحي* " ولا يقول إني افتخر؟ السبب أن أهل رومية كانوا محصورين في أمور هذا العالم الحاضر، بسبب الغنى الذي كانوا يتمتعون به، وبسبب السلطة والانتصارات الكثيرة، هذا بالإضافة إلى أنهم اعتبروا ملوكهم مساوين للإلهة، ولهذا أيضًا بنوا لهم هياكل ومذابح، وقدموا لهم الذبائح. ولأنهم كانوا يفتخرون بوضعهم هذا، ولأن الرسول بولس كان ينوي أن يبشر بيسوع الذي اعتقدوا أنه ابن النجار الذي تربى في اليهودية في منزل بسيط، بلا حراس حوله ولا تبدو عليه علامات الثراء، بل إنه مات وأُدين مع لصوص، وصبر على أمور كثيرة مُهينة. من أجل هذا كله كان من الطبيعي أن يشعروا نحوه بالخجل، طالما أنهم لم يكونوا قد عرفوا بعد أي شيء عن الأمور السامية التي لم تُستعلن لهم بعد. ولهذا قال " لست أستحى" معلّمًا إياهم، خطوة خطوة، ألا يستحوا، لأنه يدرك أنه إذا تحقق هذا، فإنهم سوف يتقدمون سريعًا وسيصلون إلى مرحلة الإفتخار.

وأنت أيضًا إن سمعت أحد يقول لك، هل تسجد للمصلوب؟ لا تخجل ولا تنظر إلى أسفل، بل يجب أن تفتخر وتزهو وتعترف بإيمانك برأس مرفوعة ولا تستحى. ولو قالوا لك هل تسجد للمصلوب؟ أجبهم إننى لا أسجد لشخص زانى، ولا قاتل لأبيه، ولا قاتل لأبنائه، لأن هذه الأمور تصنعها آلهتهم. لكن المسيح أسكت الشياطين وأعوانهم بصليبه، وقضى على أعمالهم المضللة. لأن الصليب بالنسبة لنا هو عمل محبة الله نحو البشر، تلك المحبة التي لا يُعبّر عنه. فالصليب هو رمز العناية الغير محدودة بنا. ولأن أهل رومية افتخروا بصناعة الكلام جدًا، وانتفخوا بالحكمة العالمية، أتى الرسول بولس

---

[٩٣] غلا٦:١٤.

يبشرهم بالصليب وهو لا يخجل من ذلك.

لأن الإنجيل هو " *قوة الله للخلاص* " كما أنه هو قوة الله للدينونة. لأن الله عندما عاقب المصريين قال "*جيشي العظيم الذي أرسلته عليكم*"[٩٤]. وأيضًا يقول: " *خافوا بالحرى من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم*"[٩٥]. ولهذا يقول لهم الرسول بولس، بأنني لم آت لأبشركم بالأمور الخاصة بالدينونة، لكن لأبشركم بالأمور المختصة بالخلاص. ماذا إذًا؟ ألم يبشر الإنجيل بهذه الأمور الخاصة بالدينونة؟ بلا، فالإنجيل يخبرنا أيضًا عن الدينونة. وإن كانت هناك دينونة، فكيف يقول إذًا إن الإنجيل هو "*قوة الله للخلاص*". اسمع ما يقوله فيما بعد "*لكل من يؤمن لليهودي أولاً ثم لليوناني*". إذًا فالإنجيل ليس للجميع بشكل عام، ولكن لكل من يقبله. لأنه لو أنك يوناني، ولو فعلت كل شر، أو أنك سكيثي، أو بربري، ولو أنك ملء بكل جهالة، محمل بخطايا كثيرة، فعندما تقبل البشارة بالصليب والمعمودية، فإن كل هذه الأمور سوف تختفي.

لكن لماذا قال هنا " *لليهودي أولاً ثم بعد ذلك لليوناني؟*" ماذا يريد بهذا الترتيب؟ فعلى الرغم من أنه في مواضع كثيرة قال: "*لا الختان ينفع شيئًا ولا الغرلة*" فكيف يُميز هنا، واضعًا اليهودي أولاً ثم بعد ذلك اليوناني؟ وماذا يعني هذا؟ الترتيب هنا هو ترتيب شرفي فقط، فهذا لا يعني أن اليهودي حاصل على نعمة أكثر لأنه أولاً، لأن نفس العطية أُعطيت لليهودي واليوناني. كما في حالة المعمدين، فإن الجميع يذهبون للمعمودية، لكن ليس في الوقت نفسه، بل إن واحدًا يذهب أولاً والآخر بعده. لكن الأول لا يأخذ نعمة أكثر من الثاني، بل الجميع يتمتعون بنفس النعمة. إذن فكلمة (الأول) هنا هي كلمة شرفية، وليس المقصود بها نعمة أكثر.

بعد ذلك، عندما قال "*إنه قوة الله للخلاص*" فإنه يعني أن العطية تتزايد، مظهرًا أنه لا يتحدث عن الأمور الحاضرة، لكنه فقط يشير إلى أمور الدهر

---

[٩٤] يوئيل ٢٥:٢.

[٩٥] مت ٢٨:١٠.

الآتى. لأن هذا قد أوضحه قائلاً:

" لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان. كما هو مكتوب أما البار فبالإيمان يحيا" (١٧:١).

فهذا الذي صار بارًا بالإيمان، سيحيا ليس فقط في هذا الدهر، ولكن في الدهر الآتي أيضًا. كما أنه يشير إلى شيء آخر، وهو أن هذه الحياة هى حياة مشرقة وممجدة. لأنه من الممكن أن يُنقَذ المرء وهو غير مستحق، مثلما يُنقَذ الكثيرون ولا يتعرضون لعقاب بسبب إحسان الملك لهم، ولكي لا يتشكك أحد في هذا عندما يسمع عن الخلاص، يضيف كلمة "البر" والبر ليس برًا ذاتيًا، لكنه البر الذي من الله، مشيرًا إلى أن هذا البر يمنح بإغداق. وبكل تأكيد، فإن المرء يحصل على هذا البر لا بجهد وتعب، بل كمنحة من الله. وهذه المنحة التي يقدمها الله هى عطية الإيمان.

وعندما يتحدث عن الزناة، ومضاجعى الذكور، ونابشي القبور، والمخادعين، بأنهم سينجون من العقاب، وليس هذا فقط، بل أنهم سيصيرون أبرارًا وفي أعلى درجات البر، فإن حديثه هذا يبدو صعب التصديق. ولهذا فإنه يؤكد كلامه باستخدام شواهد من العهد القديم بقوله: " *كما هو مكتوب أما البار فبالإيمان يحيا*"[٩٦] ونراه هنا يُحيل المستمع لتدبير الله الذي اتضح في العهد القديم، ثم يشرحه بكل حكمة، عندما يكتب أيضًا إلى العبرانيين، موضحًا كيف أن الأبرار والخطاة، آنذاك قد تبرروا. ولهذا أشار إلى راحاب وإبراهيم. وهو لم يشر إلى ذلك فقط، لكنه أكد كلماته أيضًا من أقوال الأنبياء، لأنه أشار إلى حبقوق في حديثه الذي نادى وقال " *والبار بإيمانه يحيا*". إذًا لأن هذه الأمور التي يمنحها الله تتجاوز كل منطق، فإننا في احتياج إلى إيمان.

فليسمع الهراطقة هذا الصوت الروحاني. لأن طبيعة أفكارهم تشبه طُرقات مظلمة، كما أن أقوالهم معقدة، ولا يوجد فيها ما يبني، فهى تبدأ بالتعالي والزهو، لأنهم يشعرون كما لو أن قبول الإيمان يجلب الخجل،

---

[٩٦] حبقوق ٢:٤.

ويعتقدون أنهم لا يعرفون شيئًا عن الأمور السمائية، وهم في ذلك يلقون بأنفسهم في سحابة كثيفة من غبار الأفكار الزائفة. أيها التعس والبائس، المستحق البكاء عليك لو سألك أحد، كيف صارت السماء؟ وكيف جاءت الأرض؟ ولماذا أتكلم عن السماء والأرض؟ كيف وُلدتَ أنت نفسك؟ وكيف تربيت وكبرت، ألا تخجل لجهلك؟ وإذا جاء حديث عن الابن الوحيد الجنس، فإنه بسبب خجلك من قبول الإيمان بالمسيح، فإنك تُلقي بنفسك إلى حافة الهلاك، وهل تظن أن عدم معرفتك بكل الأشياء، هو أمر لا يستحق منك الاهتمام؟ لكن ما لا يستحق الاهتمام، هو الرغبة في المشاجرة والانشغال بموضوعات عديدة وغريبة في وقت غير مناسب.

ولماذا أتحدث عن الأمور الإيمانية؟ لأننا لن نتخلص من شرور هذه الحياة الحاضرة إلاّ بالإيمان. ولهذا فقد تميّز كل مَن عاش بالإيمان، إبراهيم واسحق ويعقوب، وهكذا أُنقذت راحاب الزانية، وهؤلاء الذين وردت أسماءهم في العهد القديم، وأيضاً الذين وردت أسماؤهم في العهد الجديد. لأنه يقول: " *بالإيمان راحاب الزانية لم تهلك مع العصاه إذ قبلت الجاسوسين بسلام*"[٩٧]. ولم تفكر في نفسها، كيف سيستطيع هؤلاء الأسرى والمنفيون والمهاجرون الذين يعيشون حياة ترحال "حياة البدو"، أن ينتصروا علينا نحن الذين نملك مدينة وأسوار وأبراج؟ لأنها لو قالت هذا، لدمرت نفسها وهؤلاء معًا، الأمر الذي كابده أجداد هؤلاء عندما أُنقذوا آنذاك. لأن الجواسيس ـ في القديم ـ بسبب عدم الإيمان، عندما رأوا أناس طوال القامة وعمالقة، انهزموا بدون حرب، لأنهم قالوا "*لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشد منا. فأشاعوا مذمة الأرض التي تجسسوها في بني إسرائيل قائلين الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هى أرض تأكل سكانها. وجميع الشعب الذي رأيناه في هذه الأرض هم أناس طوال القامة فكنا في أعيننا كالجراد وهكذا كنا في أعينهم*"[٩٨]. أرأيت كيف أن هوة عدم الإيمان، هى سحيقة بهذا

[٩٧] عب١١: ٣١.
[٩٨] عد١٣: ٣١ـ٣٣.

القدر، وكيف أن سور الإيمان هو عظيم للغاية؟ لأن عدم الإيمان أهلك الآلاف، بينما الإيمان لم يُنقِذ راحاب فقط، بل جعلها أيضًا حامية لكثيرين.

ولأنكم تعرفون هذه الأمور بل وأكثر منها، فلا ينبغي لنا أن نطلب من الله مسئوليته عن هذه الأمور التي تحدث، بل يجب أن نقبل ما يأمر به، لا أن نُحلله ونفحصه كثيرًا، حتى لو كان الأمر يبدو كأنه غير معقول بالنسبة للفكر البشرى . لأنه هل يوجد أمر يبدو غير معقول أكثر من أن يذبح الأب ابنه الوحيد؟ لكن إبراهيم البار عندما أُمر، لم يفحص هذا كثيرًا، لكنه قَبِلَ وأطاع، وعندما أمر شخص آخر أن يضرب أحد الأنبياء في وجهه، ولم يخضع، فقد عوقب بالموت[99]، لأنه فحص هذا الأمر ورأى أن هذا المطلب هو أمر غير معقول، بينما الآخر الذي أطاع وضربه شعر بالفرح. وعندما أنقذ شاول أناس بغير إرادة الله، خسر مملكته وعانى من أمراض غير قابلة للشفاء[100].

وأمثلة أخرى كثيرة يستطيع المرء أن يجدها. ولذلك ـ من خلال كل ما تعلمناه ـ علينا ألاّ نطلب سبب أو دافع لتنفيذ أوامر الله، بل يجب أن نسمع ونخضع فقط. كما أنه من الخطورة أن نحلل الأوامر التي يأمر بها، إذ أن أولئك الذين يدققون كثيرًا في أوامر الله، سيتعرضون لعقاب أشد. وبالحرى أولئك الذين يفحصون أمورًا تفوق قدرات العقل البشري، أى كيف تم ميلاد الابن وبأي طريقة وما هو جوهره، أي دفاع سيقدمون عن أنفسهم وقتها؟ ولأننا نعلم هذه الأمور، فلنقبل الإيمان الذي هو تاج كل الفضائل، بكل امتنان وشكر، حتى أننا كمثل من يبحر في ميناء هادئ، نحفظ الإيمان المستقيم، ونقود حياتنا في أمان، وننال الخيرات الأبدية بالنعمة ومحبة البشر اللواتى لربنا يسوع المسيح الذي يليق به المجد والقوة والكرامة مع الآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

---

[99] انظر عد٢٠:٣٥ـ٣٦.

[100] اصم١٥:٩ـ١١.

العظة الرابعة:

" لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم " (١٨:١).

١ـ لاحظ الطريقة التي يتكلم بها الرسول بولس، فبعدما نصح هؤلاء بممارسة الأمور الأكثر نفعًا، تحول بحديثه إلى الأمور المخيفة. لأنه بعدما قال إن البشارة هى سبب الخلاص والحياة، كما أنها إعلان لقوة، الله وأنها تقود إلى الخلاص وإلى البر، نجده يتكلم عن الأمور التي من الممكن أن تسبب خوفًا لأولئك الذين لا يحترسون . لأن العديد من الناس في كثير من الأحيان لا ينجذبون إلى حياة الفضيلة عن طريق الوعد بالخيرات الآتية ولا عن طريق الترهيب من الأمور المخيفة والمحزنة، بل إن ما يجذبهم فقط هو كلا الأمرين معًا . وبهذا فإن الله لم يَعِد البشر بالملكوت فقط، بل حذّر بالعقاب في جهنم . وهكذا تكلم الأنبياء إلى اليهود مُشيرين إلى الأمرين معًا، فدائمًا ما كانوا يذكرون الخيرات والدينونة. ولذلك ليس مصادفة أن يغيّر الرسول بولس أسلوب حديثه، وقد فعل ذلك بترتيب ولياقة، لأنه يذكر **أولاً** الأمور النافعة، **ثم بعد ذلك** يتحدث عن الأمور المحزنة، موضحًا أن الأمور النافعة تأتي من الله. بينما الأمور المحزنة تأتي من المتهاونين المتغافلين، هكذا أيضًا نجد أن إشعياء النبى يشير أولاً إلى الخيرات ثم بعد ذلك إلى الأمور المحزنة قائلاً: " *إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض. وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم*"[١٠١]. وهو ما أشار إليه القديس بولس أيضًا (عندما تحدث أولاً عن الخيرات ثم تبع ذلك بالحديث عن الدينونة). لاحظ أن المسيح أتى لكى يهب الغفران والبر والحياة، لا بالكلام، بل بصليبه. إذن فالأمر العظيم والذي يدعو إلى الإعجاب، ليس أنه قدم كل هذه العطايا، بل لأنه عانى آلام الصليب.

فلو إنكم ازدريتم بهذه العطايا، فإنكم ستُدانون. وانتبه كيف يواصل حديثه إذ يقول "*لأن غضب الله مُعلن من السماء*". فغضب الله يمكن أن

[١٠١] إش١: ١٩ــ٢٠.

يُستعلن مرات كثيرة هنا في الحياة الحاضرة، مثلما يحدث في المجاعات، والأمراض، والحروب، حيث يُعاقَب الجميع، بشكل فردى وجماعى أيضًا. وهل في هذا ما يدعو للدهشة؟ إن العقاب فيما بعد سيكون أكبر وأشمل، فما يحدث الآن يهدف إلى التصحيح والتقويم، لكن فيما بعد يكون العقاب، الأمر الذي عرضه الرسول بولس قائلاً: "*ولكن إذ قد حكم علينا نؤدب من الرب لكي لا ندان*"[102]. وإن كان بعض الناس الآن يعتقدون أن أمورًا كثيرة محزنة تحدث في الحياة، بسبب سلوك الناس السيئ، وليس بسبب غضب الله. لكن في الدينونة الأخيرة سيكون عقاب الله علني، عندما يأمر الديان المخوف الجالس علي عرشه، بطرح البعض في البحيرة المتقدة بالنار، والبعض إلى الظلمة الخارجية، وآخرين لعقوبات أخرى أشد وأصعب.

ولماذا لم يتكلم القديس بولس بوضوح ويقول إن ابن الله سيأتي مع ملائكة كثيرين، ويجازي كل أحد بحسب أعماله؟ بل قال: "*لأن غضب الله معلن*". لأن المستمعين إليه كانوا من المعمدين الجدد. ولهذا فإنه يوجههم أولاً من خلال الأمور التي آمنوا بها وقبلوها. وأيضًا يبدو لى أنه يتوجه بكلامه كذلك إلى الوثنيين، ولذلك فمن هنا يبدأ كلامه عن (غضب الله المعلن). بينما فيما بعد يوجه كلامه إلى موضوع الدينونة فيقول "*على جميع فجور الناس واثمهم الذين يحجزون الحق بالاثم*" هنا يوضح أن طرق الاثم كثيرة، بينما طريق الحقيقة واحد، لأن الخداع متنوع ومتعدد الأشكال وغير واضح، بينما الحقيقة هي واحدة.

ولما كان قد تكلم عن الأمور الخاصة بالإيمان، نجده الآن يتكلم عن أمور هذا العالم، مشيرًا لفجور الناس وظلمهم. لأن الظلم أيضًا كان كثير ومتنوع. بعضه متعلق بالمال، مثلما يحدث عندما يظلم أحد قريبه ويسلب هذا المال، والبعض الآخر يتعلق بالنساء، حينما يترك الرجل امرأته ويقوض زواج الآخر، بأن يطمع في زوجته. وهذا يسميه الرسول بولس طمع قائلاً: "*أن لا*

---

[102] ١كو ١١: ٣٢.

يتطاول أحد ويطمع على أخيه في هذا الأمر لأن الرب منتقم لهذه كلها"[103]، والبعض الآخر يتعلق بالنساء والمال معًا، وهم بهذا يدمرون حياة القريب. وهذا يعد ظلمًا، لأنه بالحقيقة "*الصيت أفضل من الغنى العظيم والنعمة الصالحة أفضل من الفضة والذهب*"[104]. لكن البعض يقول إن هذا أيضًا (أي الحديث عن الظلم الذي يقع على الناس)، قد تكلّم عنه الرسول بولس من جهة الأمور الإيمانية، لكن لا يوجد ما يمنعه أن يتكلم عن هذا من جهة الأمور الإيمانية والعملية. ومعنى قوله "*يحجزون الحق بالإثم*" توضحه الآية اللاحقة "*لأن معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم*" لكن هذا المجد (الخاص بمعرفة الله باطنيًا) نسبوه إلى الخشب والحجارة.

٢ـ مثل ذاك الذي استؤمن على أموال الملك، ولديه أوامر أن ينفقها لأجل مجد الملك، فلو أنه أنفقها على لصوص، ونساء ساقطات، وأناس مخادعين وجعلهم في مظهر مبهر بهذه الأموال الملك، فإنه يُعَاقَب لأنه بسلوكه الشائن هذا، يكون قد ظلم الملك جدًا. هكذا هؤلاء أيضًا قد اقتنوا معرفة الله ومجده، ثم بعد ذلك نسبوها إلى الأوثان، وبالظلم يحجزون الحق، فهؤلاء قد صنعوا الظلم، لأنهم لم يستخدموا المعرفة في الأمور التي كان ينبغي لهم أن يستخدموها فيها. إذًا ما معنى كل هذا؟ يعني أن معرفة الله قد وضعها الله في البشر منذ البداية، لكن هذه المعرفة نسبها عبدة الأوثان لخشب وحجارة، وهكذا حجزوا الحق، لأن الحقيقة تظل ثابتة، لأن مجدها أيضًا ثابت غير متغير. فمن أين عرفت يا بولس أن الله قد وضع معرفته فيهم؟ لأنه يقول:

" إذ معرفة الله ظاهرة فيهم " (رو١٩:١)

غير أن هذا لا يعتبر دليل، بقدر ما يمثل دينونة عليهم. لكن بيّن لي كيف أن معرفة الله كانت ظاهرة فيهم، وأنهم بإرادتهم قد احتقروها، فمن أين يتضح أنها كانت ظاهرة؟ هل نادى إليهم من السموات؟ لم يحدث هذا،

[103] اتس٦:٤.

[104] أم١:٢٢.

لكن الله الذي استطاع أن يجذب هؤلاء بواسطة أقواله، قد وضع أمامهم الكون، حتى أن الحكيم والجاهل، السكيثي والبربري، يستطيع أن يرى بعيونه ويفهم جمال الأشياء المرئية. وهذا كله يقوده إلى معرفة الله ولهذا قال:

" لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته " (٢٠:١).

إن كان النبي قد نطق قائلاً: " *السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه*"[١٠٥]. فماذا سيقول إذًا عبدة الأوثان يوم الدينونة الأخيرة؟ هل سيقولون إننا لم نكن نعرفك؟ أو إننا لم نُصغِ لصوت السماء حينما تحدثت بمجد الله؟ إنه صوت النظام الكونى المتناسق، الذي ينادى بقوة أعظم من صوت النفير. ألم تروا قوانين الليل والنهار، فهى باقية في ثبات وبشكل مستمر، ونظام الشتاء والربيع والصيف والخريف الذي هو ثابت وغير متحرك؟ ألا يُسبّحه البحر بكل هذه الأمواج؟ إن كل شيء يتم في نظام، وبجمال وعظمة لتمجيد الخالق . كل هذا وأكثر منه، يُلخصّه الرسول بولس قائلاً: " *لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم، مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر*". وعلى الرغم من أن الله لم يخلق الكون لهذا الهدف (أى لكى يُعلن عن وجوده)، إلاّ أن هذا الهدف قد تحقق، أيضًا لم يمنحهم المعرفة الكثيرة لكى يحرمهم من كل عذر، بل الهدف هو أن يعرفوه جيدًا . ثم بعد ذلك يوضح كيف أنهم (أى عبدة الأوثان) فقدوا كل عذر فيقول لهم:

" وأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم" (٢١:١).

إنها أول مخالفة، حيث أن عبدة الأوثان لم يمجدوا الله وهذا إثم عظيم، والثانية أنهم سجدوا للأوثان، والتي بسببها اتهمهم إرميا قائلاً: " *هذا الشعب عمل شرّين. تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آبارًا مشققة لا*

---

[١٠٥] مز ١:١٩.

تضبط ماء"[١٠٦]. ثم بعد ذلك يقدم دليلاً على أنهم عرفوا الله، لكنهم لم يستخدموا هذه المعرفة كما ينبغي. ولذلك فإنه يقدم الدليل على أنهم عرفوا آلهة أخرى. ومن أجل هذا أضاف "*لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه*".

ويشير إلى السبب في ذلك، أي السبب الذي لأجله سقطوا في الحماقة. وما هي هذه الحماقة؟ هي إنهم أخضعوا كل شيء لأفكارهم. ثم بعد ذلك، وجّه لهم ضربة قوية، لأنه قال:

" حمقوا في أفكارهم واظلم قلبهم الغبي ".

وكما يحدث في ليلة غير مقمرة لو شرع شخص في السير في طريق غير معروف، أو في أن يصارع أمواجًا، فإنه لن يصل إلى هدفه بل بالحري يضيع تمامًا. هؤلاء أيضًا بعدما شرعوا في السير في الطريق الذي يقود إلى السماء، أطفأوا النور بأنفسهم، وتخلّوا عن الله، ووثقوا في أنفسهم، أي أنه بدلاً من الثقة في الله خضعوا لأفكارهم غير المستقيمة، لأنهم حاولوا أن يحصروا الغير جسدي في أشكال وتماثيل، والغير محدد في شكل معين، وضعوا له أشكال محددة[١٠٧]. ولذلك سقطوا في هوة سحيقة. وبالإضافة إلى كل ما ذكره، يشرح سبب آخر لرؤيتهم الخاطئة قائلاً:

" وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء " (١:٢٢).

لأنهم تخيلوا أنفسهم في وضع عظيم، ولم يقبلوا أن يسيروا في الطريق الذي حدده الله لهم، واستسلموا لأفكارهم الغبية. ثم بعد ذلك يشرح ويصف الأنواء والاضطرابات، كيف أنها مخيفة، وأن المتسببين فيها سيُحرمون من الغفران قائلاً:

" وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى والطيور والدواب والزحافات " (١:٢٣).

٣ـ أول مخالفة أنهم لم يعرفوا الله،

والثانية أنهم لم يعرفوه رغم أن الشواهد على وجوده كثيرة وواضحة،

---

[١٠٦] إر ٢:١٣.

[١٠٧] ربما يقصد الأوثان التي أقامها البشر لأنفسهم ثم عبدوها.

والثالثة أنهم لم يعرفوه على الرغم من أنهم وصفوا أنفسهم بأنهم حكماء،

والرابعة أنهم لم يكتفوا بعدم معرفته، بل أنزلوه إلى مستوى التماثيل والخشب والحجارة .

وهنا نجد أن الرسول بولس قد قضى على افتخارهم ـ كما في الرسالة إلى أهل كورنثوس ـ وإن لم يكن بنفس الأسلوب لأنه في تلك الرسالة قال: "*لأن جهالة الله أحكم من الناس*"[١٠٨] أما هنا فبدون أي مقارنات، يسخر من حكمتهم هذه، مُظهرًا أنها تافهة وسخيفة وتدل على تكبرهم وافتخارهم.

ولكي تعلم أنه على الرغم من أن معرفة الله ظاهرة فيهم، إلاّ أنهم خانوا هذه المعرفة، إذ يقول "**أبدلوا**"، وهذا يعنى أنه كان لديهم شيئًا أرادوا إبداله بشيء آخر، فهم إذًا قد أرادوا أن يحصلوا على شيء أكثر، ولم يقبلوا النواميس التي أعطيت لهم، ولهذا خسروا هذه النواميس، لأنهم ارتأوا أمورًا أخرى بعيدة عن الحق الإلهي.

إن مثل هذه الأفعال، منتشرة بين الفلاسفة اليونانيين، فقد كانوا مقاومين بعضهم لبعض، فأرسطو وقف في وجه أفلاطون، والرواقيون غضبوا من أفلاطون، والواحد صار عدوًا لغيره، وبناء عليه لا ينبغي أن نُعجب بهم من أجل ما ينادون به من حكمة بشرية، بل ينبغي أن نُدير لهم ظهورنا . لأن أولئك الذين وثقوا في منطق هؤلاء الفلاسفة وأفكارهم وحكمتهم، صاروا حمقى وعانوا كل هذه المعاناة . إذ أن الذين يبدّلون "*مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى والدواب والزحافات*" هؤلاء يستحقون السخرية. فبأي شيء أبدلوا مجد الله، ولمَن نسبوا هذا المجد؟ لقد تخيلوا أن المادة إله وأنها ضابط الكل، وخالقهم، وهى تهتم بهم وترعاهم.

أرأيت لمَن نسبوا هذا المجد؟ ليس للبشر، بل لتماثيل بشبه صورة الإنسان الذي يفنى. ولم يقفوا عند هذا الحد بل وصلوا إلى مستوى الحيوانات المتوحشة أو بمعنى أفضل إلى صور هذه الحيوانات . لكن انتبه من فضلك

---

[١٠٨] ١كو١:٢٥.

إلى حكمة الرسول بولس، حيث أشار إلى الطرفين المتباعدين تمامًا، ونعني حديثه عن الله غير الموصوف الذي لا يُعبّر عنه، وحديثه عن الزحافات، لكى يُبيّن إلى أى حد وصل جنونهم وحماقتهم. لأن المعرفة التي كان ينبغي عليهم اقتناؤها عن ذاك الذي لا يقارن بأي شيء في الوجود، قد نسبوها للمخلوقات الدنيئة.

وقد يتساءل المرء ما هى علاقة هذه الأمور بالفلاسفة؟ العلاقة واضحة حيث أن كل الأمور التي ذكرناها، مرجعها نظريات الفلاسفة . لأن هؤلاء الفلاسفة اتخذوا المصريين الذين علّموا بعبادة الأوثان معلّمين لهم. حتى أفلاطون الذي يبدو أنه الأفضل، كان مولعًا بهذه الأمور، وكان معلّمه[١٠٩] متأثرًا بهذه الأوثان. لأنه هو الذي نصح بأن تقدم ذبيحة من الطيور في معبد الأسكليبيوس[١١٠].

إن المرء يستطيع أن يرى في هذا المعبد أيقونات لحيوانات متوحشة وزحافات، بل إنهم كانوا يقدمون العبادة لكل من أبوللو، وديونيسيوس مع هذه الزواحف، كما أن بعض الفلاسفة رفعوا من مكانة الثيران والعقارب وحيوانات أسطورية أخرى إلى مستوى الآلهة . وهكذا نجد في كل مكان أن الشيطان يهتم بأن يُسقط البشر في عبادة تماثيل وصور الزحافات، بل وأن يخضعهم لهذه الحيوانات غير العاقلة، مع أن هؤلاء البشر، هم الذين أراد الله

---

[١٠٩] معلّم أفلاطون هو الفيلسوف اليوناني المعروف سقراط الذي وُلد سنة ٤٦٩ قبل الميلاد. ويُعد سقراط هو مؤسس "علم الأخلاق" كما يقول أرسطوتاليس، وأول مَن وضع عدة تساؤلات حول "ماهية الفضيلة" و"من أى شئ يتألف الصلاح". وقد تعلّم أفلاطون في مدرسة سقراط لمدة تسعة سنوات كاملة.
" θρησκευτική καὶ ηθική εγκυκλοπαίδεια " Αθῆνα 1963, τομος 11,σελ 618-621.

[١١٠] أسكليبيوس (ασκληπιός) هو إله الطب عند اليونان. وكان طبيب بارع ومتميز في عمله. وقد أُقيم لهذا الإله العديد من المعابد في كل أنحاء اليونان وخارجها أيضًا، حيث كانت توجد في آسيا الصغرى في مدينتى سميرنا، وبرغامس، وفي إيطاليا أيضًا وخاصةً في مدينتى تارندا وروما. وكانت الاحتفالات تقام في هذه المعابد بتقديم الذبائح تكريمًا لهذا الإله. بالإضافة إلى ممارسة مهنة الطب فيها، والأرجح أن هذه الممارسة كانت تتم في غرف ملحقة بالمعبد، كان يقيم فيها المرضى طوال فترة علاجهم.
" θρησκευτική καὶ ηθική εγκυκλοπαίδεια " Αθῆνα 1963, τομος 3, σελ 379.

أن يرفعهم أعلى من السموات، وليس هنا فقط، بل في مواضع أخرى، سترى أن هذا الفيلسوف (أفلاطون) ـ الذي يُعَد الأفضل بين الفلاسفة ـ هو مسئول عن هذه الأمور التي ذُكرت . وهو (أى أفلاطون) عندما يستشهد بأقوال الشعراء، وينادى بضرورة أن يؤمن الإنسان بأفكارهم عن الله، لأن لديهم معرفة كبيرة وجيدة ـ حسب رأيه ـ فهو لا يقدم شيئًا آخر سوى حماقة هؤلاء الشعراء. وهذه الأمور المضحكة، يطالبنا بأن نعتبرها أمورًا حقيقية.

" لذلك أسلمهم الله أيضا في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم " (رو١:٢٤)

ما يذكره الرسول بولس هنا، يُظهر أن الإفتقار إلى التقوى، قد صار سببًا للإنحراف ولمخالفة قوانين الطبيعة. وكلمة "*أسلمهم*" هنا تعني **تركهم**. فكما أن قائد الجيش إذا ترك جنوده في الساحة التي يشتد فيها وطيس المعركة، فإنه بهذا يسلمهم إلى الأعداء، لا لأنه هو الذي دفعهم بين أياديهم، بل لكونه قد حرمهم من مساعدته. هكذا أولئك الذين لا يقبلوا كل ما لله، فإنه يحرمهم من عطاياه . فهو قد منحهم عقلاً وفكرًا وفهمًا، يستطيعون من خلاله إدراك الصواب، غير أنهم لم يستخدموا شيئًا من كل هذا لأجل خلاص نفوسهم، بل استخدموا هذه المنح في أمور غير لائقة بالمرة.

إذن هل كان هناك شيء ينبغى على الله أن يفعله، ولم يفعله؟ هل كان من المفروض أن يجذبهم إليه بعنف وقوة؟ هذا لا يفعله ولا حتى البشر الأتقياء . لكنه تركهم، وهو الأمر الذي حدث بالفعل حتى يتجنبوا على الأقل هذه الحماقة، كي يتعلموا من خبراتهم الشهوانية السيئة . فلو قرر ابن للملك أن يعيش مع قطّاع طرق، وقتلة، ونابشي قبور، مهينًا بهذا أباه ومفضلاً غنائمهم عن خيرات بيت أبيه، فإن أباه سيتركه حتى يستطيع ـ من خلال هذه الخبرة السيئة ـ أن يدرك حجم ما اقترف من حماقة.

٤ـ ولكن لماذا لم يشر الرسول بولس إلى خطية أخرى مثل القتل، والشراهة، وباقي الخطايا المشابهة، لكنه أشار فقط إلى النجاسة بقوله: "*وأسلمهم الله أيضًا في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين*

ذواتهم"[111]. يبدو لى أنه يقصد المتلقين للرسالة والمستمعين إليها في ذلك الوقت . ثم يقول " *لإهانة أجسادهم بين ذواتهم*" لاحظ كيف يهاجم بقوة أمورًا أخرى، إذ أنهم اشتهوا النجاسات التي سلمها لهم الأعداء، هذه فعلوها لإهانة ذواتهم. ثم بعد ذلك يفحص السبب ويقول: "*الذين استبدلوا حق الله بالكذب وعبدوا المخلوق دون الخالق*"[112].

لاحظ أن الأمور التي تُثير السخرية يُصنفّها بحسب نوعها، بينما تلك التي يعتبرها أكثر وقار من تلك الأمور، يشير إليها بشكل شامل، وفي كل هذا يُظهر أن الإنسان الذي يعبد " المخلوق دون الخالق" هو متأثر بالأعراف اليونانية . انتبه لطريقة عرضه، لأنه لم يقل فقط "*عبدوا المخلوق*" لكنه أضاف " *دون الخالق*" مُشددًا في كل موضع على خطيتهم هذه، ويستبعدهم بهذه العبارة من نوال الصفح.

" الذي هو مبارك إلى الأبد آمين " (رو١:٢٥)

هنا يقول إن الله لا يناله أى أذى، ولا يطاله شيء مما يفعله البشر، لأنه مبارك في كل الدهور. الله لا يدافع عن نفسه، فحتى لو أنهم تصرفوا وسلكوا بشكل مهين، فإن الله لا يُهان، ولا يفقد شيء من مجده، بل يظل مباركًا على الدوام.

فإن كان الإنسان الذي يسلك بحكمة لا يُصاب بأي أذى من قِبل الذي يُهين، فبالأولى لا يمكن تصور أن الخالق يُهان من أمور مثل هذه . فمجد الله ثابت غير مُتغير ودائم، والبشر الحكماء يصيرون مشابهين لله في هذا الشأن، إذ هم أيضًا لا يعانون شيئًا عندما يُسَاء إليهم، ولا تلحق بهم الإهانة عندما يُشتَمون، ولا يُصَابوا بأي أذى من الهجوم عليهم، ولا يصيرون مُحتَقرين عندما يحتقرهم الآخرون.

وقد يتساءل المرء كيف يحدث هذا؟ بالطبع يحدث هذا وأكثر منه عندما لا نتضايق أو نحزن من هذه الإهانات، وكيف يمكن ألاّ يتضايق

[111] رو١:٢٤.

[112] رو١:٢٥.

الإنسان؟ أخبرني هل تعتبر تجاوز ابنك في حقك إهانة؟ أبدًا، وهكذا ينبغي أن نسلك بمحبة تجاه القريب، وعندما نسلك هكذا فلن يُصيبنا أى ضرر أو ضيق . لأن المُسيئين هم حمقى، ولا ينبغى أيضًا أن نطالبهم بالكف عن إهانتنا، وعند احتمالنا لهذه الإهانات نكتسب فخرًا وكرامة واكليلاً يتوج هاماتنا. ألا ترى أن الماس لا يُخدش عند احتكاكه بشيء صلب؟ فهذه هى طبيعته وخاصيته، وأنت تستطيع أن تصير مثل هذا الماس بإختيارك وبكامل إرادتك الحرة . ألم تر الفتية الثلاثة في آتون النار وهم لا يحترقون؟ ودانيال الذي لم يُصب بأي أذى في جب الأسود؟ فبالأولي جدًا أن يحدث أمر مثل هذا الآن. فإنه يوجد بالقرب منا أسود مخيفة، أي الغضب والشهوة، ولها أسنانًا قوية تفتك بذاك الذي يسقط فريسة لها . فلتكن مثل دانيال، ولا تسمح للشهوات أن تخدش نفسك الثمينة . لكن قد يقول قائل إن دانيال كانت ترافقه نعمة الله، هذا صحيح، لكن رغبته وإرادته النقية كانت قد سبقت هذه النعمة. وبناء عليه لو أردنا أن نصير مثل دانيال، فإن النعمة ستكون حاضرة الآن أيضًا، حتى ولو كانت الوحوش جائعة فلن تقترب منا. فإذا كانوا قد احترموا جسد العبد (دانيال)[١١٣]، فبالحرى لن تقترب منا، لأننا صرنا أعضاء جسد المسيح. لكن لو حدث وهاجمتنا الأسود، فهذا يرجع إلى إرتكاب الآثام، لأن هناك أناس ارتبطوا بنساء ساقطات وقوضوا زيجات، ومن أجل هذا لاقوا انتقام الأعداء، لكن هذا لم يحدث لدانيال، ولن يحدث لنا إن أردنا، فالأسود لم تُصب دانيال بأذى، ونحن أيضًا لو كنا نحيا في الروح، فإن إهانة أولئك الذين يَضمرون لنا الشر وظلمهم سيعود بالفائدة علينا.

وهكذا صار الرسول بولس أكثر شهرة من أولئك الذين أرادوا أن يصيبوه بضرر وأضمروا له الأذى، وأيوب أيضًا تجاوز التجارب الكثيرة التي ألمّت به، وإرميا جاز الجب المملوء قذارة، ونوح أُنقذ من الطوفان، وهابيل

---

[١١٣] إذ أن دانيال عاش قبل تجسد المسيح الذي حررنا من العبودية ووهبنا نعمة التبنى وصيّرنا أعضاء في جسده.

صار معروفًا من خلال المكيدة التي دُبرت له وأدت إلى قتله، وموسى النبى أيضًا تحمّل تذمر وعصيان اليهود، كما أن إليشع وكل هؤلاء الأنبياء العظام لم يلبسوا الأكاليل المشرقة كنتيجة للراحة والتمتع، لكنهم جازوا ضيقات وتجارب كثيرة. ولهذا قال السيد المسيح لتلاميذه " *في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم* "[114]. فيجب علينا إذًا أن نُصارع مع التجارب حتى المنتهى، والله قادر أن يسند الجميع ويمد يده لخلاص الكل، ولنتمتع بإشراقة المنتصرين، لننال الأكاليل الأبدية بالنعمة ومحبة البشر اللواتى لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

+++++++

[114] يو ١٦:٣٣.

العظة الخامسة:

" ولذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان. لأن إناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة. وكذلك الذكور أيضًا تاركين استعمال الأنثى الطبيعي اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكورًا بذكور" (١: ٢٦-٢٧).

١- إن كل الشهوات الفاسدة هى بالتأكيد أمور مستهجنة، وبشكل خاص "الولع بالرجال". لأن النفس الخاطئة تعاني كثيرًا وتشعر بخجل وإرهاق أكثر مما تعانيه من أمراض الجسد. انظر كيف أنه هنا أيضًا يقرر بأن هذه الأمور لا يصفح عنها، تمامًا مثلما حدث في الأمور الإيمانية (عندما عبدوا المخلوق دون الخالق)، فقد أشار إلى أن هذه الخطايا تُحرِم مرتكبيها من الصفح. هكذا أيضًا فإن النساء: "*استبدلن الإستعمال الطبيعي*" ولا يمكن للمرء أن يقول كيف وصلوا إلى هذا الحد، ولا كيف انتهوا إلى هذا الداء الغريب، لأن هؤلاء الشواذ لم يُتمّموا رغباتهم بشكل طبيعى، فالذي يمارس الشذوذ، يُصبح هذا التصرف شيمة له. هذا ما قاله الرسول من جهة الأمور الخاصة بالإيمان أيضًا "*الذين استبدلوا حق الله بالكذب*"[١١٥]. وللرجال أيضًا يقول نفس الشيء: "*تاركين الإستعمال الطبيعي للأنثى*" ومثل النساء، كذلك الرجال أيضًا قد حُرموا من كل تبرير أو دفاع عن هذا السلوك الشائن، متهمًا إياهم ليس فقط من جهة الشهوة، بل أيضا لأنهم أهانوا الإستعمال الطبيعي للأنثى، وسعوا وراء الشذوذ.

فالسلوك الشاذ هو أكثر صعوبة وأكثر تعاسة، حتى أن المرء لا يستطيع أن يقول إن لديهم لذة. لأن اللذة الحقيقية هى اللذة التي وضعها الله في الإنسان. فعندما يتركنا الله، تصير كل الأمور في اضطراب وعدم انتظام. ولهذا لم تكن مبادئهم هى فقط التي من الشيطان، بل إن حياتهم أيضًا كانت منقادة بواسطة الشيطان.

---

[١١٥] رو ١: ٢٥.

فعندما تكلم الرسول بولس عن الأمور الخاصة بالإيمان أشار إلى الكون بكل ما فيه وإلى عقل الإنسان، حتى أنه لم يجد لهم عذرًا "*لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر*"[116]. ويقول إنه من خلال العقل الذي وهبه الله للإنسان كان من الممكن أن يعرفوا الخالق من خلال تلك الأمور التي ينظرونها، لكن لأنهم لم يريدوا أن يفعلوا ذلك فقد صاروا خارج نطاق الصفح.

والملاحظ هنا أنه بدلاً من أن يتكلم عن العالم المرئي، فإنه يتحدث عن الشهوة التي وضعها الله في الإنسان، التي كان يمكن أن يتمتعوا بها بحرية أكثر، واستمتاع أكبر، وكان من الممكن أيضًا أن يتخلصوا من كل خجل، لكنهم لم يريدوا. ولذلك فلن يُصفَح عنهم، طالما أنهم قد أهانوا الطبيعة نفسها أي طبيعتهم، والأمر الأكثر إهانة من هذا، هو إقدام النساء على ممارسة العلاقات الجسدية الشاذة فيما بينهن، وكان ينبغي عليهن الخجل منها أكثر من الرجال . وهنا ينبغي أن نُعجب بالأسلوب الذي تناول به القديس بولس هذا الأمر، فهو بحسب الظاهر وقع بين أمرين متناقضين، إلاّ أنه قد نجح في عرض الأمرين بمنتهى الدقة وذلك عندما أراد أن يتكلم بوقار، وفي الوقت نفسه يستفذ المستمع إليه . هذان الأمران لا يجتمعان معًا، فإن أردت أن تتكلم بوقار، فلن تستطيع أن تستفذ المستمع إليك، ولو أردت أن تستفذه، فلابد أن يكون هذا الإستفذاذ بتعبيرات تتسم بالحكمة. ولهذا فإن الرسول بولس بكل حكمة وتعقل، استطاع أن يطرح الأمرين معًا بدقة متناهية، من خلال الاشارة إلى الطبيعة البشرية، ووجوب السلوك بوقار وتقوى نحوها . وبعد التحدث عن مخالفات النساء يأتي إلى الحديث عن الرجال قائلاً: "*وكذلك الذكور أيضًا تاركين استعمال الانثى الطبيعي*". إن هذا الشذوذ يعد دليلاً على السلوك المشين، وهو يوضح أن هذا التصرف بعيدًا عن كل القيم الأخلاقية. فالرجل الذي تعيّن أن يكون رأسًا للمرأة، وهذه المرأة التي أُمرت أن تصير مُعينًا للرجل، نجدهما يصنعا أمورًا غير لائقة.

---

[116] رو ١: ٢٠.

انظر كيف يستخدم الرسول الكلمات بتدقيق، لأنه لم يقل إن الواحد يحب الآخر، أو أن الواحد يشتهي الآخر فقط، بل "*اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض*". أرأيت أن الشهوة تأتي من الشراهة. لأن هذه الشهوة لم تحتمل أن تبقى داخل حدودها الطبيعية. لأن كل شيء يتجاوز القوانين التي وضعها الله، يقود إلى أمور شاذة وغريبة، لكن لو تساءلت، ما الذي يجعل هذه الشهوة تسيطر؟ أقول الإبتعاد عن الله. والإبتعاد عن الله من أين يأتي؟ يأتي من الخطايا التي يرتكبها أولئك الذين ابتعدوا عنه وهم " *فاعلين الفحشاء ذكورًا بذكور*".

٢ـ وعندما تسمع، أنهم "اشتعلوا" بشهوتهم فلا تظن أن هذا يعود إلى الشهوة فقط، لأن الجزء الأكبر من هذه الشهوة يعود إلى عدم مبالاتهم التي أشعلت هذه الشهوة . ولهذا لم يقل إنهم انجذبوا أو أنهم كانوا محصورين بالشهوة، الأمر الذي قاله في موضع آخر، لكنه قال " *فاعلين*" واعتبر الخطية عمل، وليس فقط عمل عادى، بل هو عمل مدروس. ولم يقل شهوة بل قال "*الفحشاء*" بالمعنى الحصرى. لأنهم بالحقيقة أخجلوا الطبيعة وداسوا على القوانين. ولاحظ أن هذا السلوك الشاذ لم يمارس بين الرجال فقط، بل بين النساء أيضًا، فقد صارت الأمور على غير طبيعتها فيما بينهم، وصاروا أعداء لأنفسهم ودخلوا في حرب مخيفة تجاوزت حتى الحروب الأهلية، حرب كثيرة الأشكال ومتعددة الأساليب، لأنهم قسّموا هذه المعركة إلى أربعة أنواع تتسم بالحماقة والمخالفة. لأن هذه الحرب لم تكن معركتين أو ثلاث بل هى أربع معارك كما سنوضح فيما يلى.

لأنه من الطبيعي أن الرجل والمرأة هما واحد، إذ يقول الكتاب "*ويكونان جسدًا واحدًا*". الله جمع الجنسين فيما بينهما، غير أن الشيطان دمر هذه الوحدة، وغيّرها إلى أسلوب آخر، لقد فصل الجنسين فيما بينهما، وجعل الواحد يصير اثنين، بعكس القانون الالهي. لأنه يقول: "*ويكونان جسدًا واحدًا*"[117] بينما نجد أن الشيطان قسّم الواحد إلى اثنين. هذه هى الحرب

[117] تك٢:٢٤.

الأولي وأيضا هذان الاثنان (الرجل والمرأة) قد جرهم إلى حرب ضد أنفسهم وحرب فيما بينهما. لأن النساء أهانوا بعضهن البعض، وليس فقط الرجال، والرجال أهانوا بعضهم البعض وأيضًا أساءوا إلى جنس النساء، تمامًا كما لو كانت معركة في ظلام الليل، في كل هذه الحروب التي أوردناها، نجد أنهم قد خالفوا الطبيعة نفسها. إذن عندما رأى الشيطان إن إرادة الله تجمع الاثنين في واحد، اهتم أن يدمر هذه الوحدة. ويقطع هذه الرابطة، حتى يقضي على الجنس الإنساني، ليس فقط بألا يتكاثر الناس بشكل قانوني، بل من خلال جذبهم إلى حرب فيما بينهم.

" نائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المحق ".

لاحظ كيف أنه يعود مرة أخرى إلى ذكر مصدر الشر، أي الضلال الذي يأتي من السلوك المنحرف، قائلاً إن هذا الجزاء يأتي كنتيجة لهذا السلوك . ولأنه يتحدث عن جهنم وعن الجحيم، فقد صار هذا السلوك مثارًا للسخرية لهؤلاء المضلين الذين فضلوا أن يعيشوا بهذه الطريقة الشهوانية، لذلك فهو يبيّن كيف أن الجحيم هو في هذه الشهوة، وفي هذه اللذة المنحرفة. وتتحير وتندهش عندما تراهم يبتهجون بما يفعلون، لأنهم فاقدوا الحس . فأولئك الذين يتملّكهم ولع الشهوة، وأولئك الذين يعانون من هوس عقلى، الذين يَظلمون أنفسهم ويَصنعون تصرفات شائنة، والتي لأجلها يحزن البعض، إلاّ أنهم يبتهجون ويستمتعون بهذه الأشياء المخجلة. ولذلك نقول ـ إنه لهذا السبب تحديدًا ـ ينالون عقابًا شديدًا لأنهم لا يميّزون الحالة التي يحيون فيها. إذن يجب علينا أن نتوجه إلى الأصحاء لا إلى المرضى لكي نقرر ماذا نفعل. هذه العلاقات الشائنة والشاذة كانت تبدو في عصور قديمة على أنها أمرًا قانونيًا، وقد حدد أحد مُشرعيهم بأنه لا يجوز للعبيد أن يمارسوا التدريبات الرياضية، ولا أن يصيروا مضاجعي ذكور، فهذه الممارسات كانت مقصور فقط على المواطنين الأحرار[١١٨]. والواقع أنها ليست إلاّ حماقة. لكنهم لم يعتبروا أن هذه الحياة الشاذة هى حماقة، لأنهم قد فُتِنوا بها

[١١٨] انظر بلوتارخوس في كتابه حياة سولونا، الفصل الأول.

كأمر حسن لا يستحقه العبيد، ولذلك فقد سمحوا بها للمواطنين الأحرار فقط.

هذا الأمر قد صنعه فلاسفة أثينا، والعظيم بينهم سولونوس، ويستطيع المرء أن يجد كتب أخرى للفلاسفة مليئة بهذه الأفكار المريضة . ومع ذلك فإننا لا نقول إن هذا السلوك هو أمر قانونى، بل نؤكد على أن كل مَن سلك هكذا هو من التعساء الذين لا يستحقون إلاّ الرثاء على أحوالهم . لأن ما أصاب النساء الساقطات، يعاني منه أيضًا الرجال أو من الأفضل أن نقول إنهم يعانون أكثر منهم. لأن ـ بالنسبة للنساء الساقطات ـ لو كانت العلاقة الجسدية بالرجل هى علاقة غير قانونية إن تمت خارج الزواج، إلا أنها في نهاية الأمر هى علاقة بين رجل وامرأة . لكن العلاقة الشاذة هى علاقة مخالفة وتأتي ضد الطبيعة. فإن لم يكن هناك عذاب في جهنم أو تهديد بالعقاب، لكان هذا السلوك في حد ذاته هو أسوأ عقوبة. فلو إنني رأيت شخصًا يجري وجسده قذرًا، ثم بعد ذلك يرفض ارتداء ملابسه، بل ويفتخر بهذا التصرف، فإنني سأشمئز من تصرفاته، بل بالأكثر سأرثي لحاله لأنه لا يشعر بقبح فعله . إن أولئك الذين يصنعون هذه الأمور هم أسوأ من القتلة، فالقاتل يفصل النفس عن الجسد، بينما من يسلك بطريقة غير مشروعة فإنه يدمر النفس مع الجسد. وإذا تحدثت عن أي خطية أخرى فلن تجد هناك خطية أكثر مخالفة وسوءً من هذه الخطية. ولو أن هؤلاء الذين يصنعون هذه الأمور، يشعرون بمدي خطورتها علي حياتهم، لكانوا قد قبلوا حكم الموت مرات عديدة، حتى لا يجوزوا في هذه المعاناة.

٣ـ هكذا فإنه لا توجد حماقة ولا شيء يثير الفزع أكثر من هذه المهانة . فإن كان القديس بولس قد تكلم عن الزنا قائلاً: " *اهربوا من الزنا. كل خطية يفعلها الإنسان هى خارجة عن الجسد، لكن الذي يزني يخطئ إلى جسده*"[١١٩]، فماذا نقول نحن عن هذا الهوس، الذي يعد أسوأ بكثير من الزنا. لأنني لا أقول فقط إنك صرت مثل المرأة، بل أيضًا فقدت خاصية الرجولة،

---

[١١٩] ١كو٦:١٨.

فلا أنت اكتسبت طبيعة النساء، ولا احتفظت بخاصية الرجوله التي فقدتها، بل إنك وُجدت خائنًا للطبيعتين ومستحق أن تدان وأن تُرجم من الرجال ومن النساء، لأنك ظلمت الجنسين معًا، ولكي تعلم كيف أن هذا السلوك هو أمر شائن جدًا، أقول لك لو أتى إنسان ووعدك أن يحولك من إنسان إلى حيوان ألا تتجنبه كمجرم؟ لقد ارتكبت ما هو أكثر مهانة من التحول إلى حيوان، لأن الحيوان له استخدام مناسب لطبيعته، لكن ذاك الذي هو مشابه للزانية، لا يصير نافعًا لأي شيء. أخبرني لو أن شخصًا ما هدد بأن يجعل الرجال يلدون بدلاً من النساء وأن يصلوا إلى حالة النفاث، ألا نغضب منه ونثور عليه؟

والآن ها هم البعض يفعلون أمورًا مخيفة ضد أنفسهم، أولئك الذين يرغبون في ممارسات شاذة ومخالفة للطبيعة بهوس شديد . لأنه هناك فرق بين أن يُغيّر الرجل جنسه ويصير امرأة، وبين أن يفعل وهو رجل ما تفعله النساء الساقطات . فإنه من الإنصاف أن نقول إنه ليس رجلا وليس امرأة. ولو أردت أن تعرف مقدار هول هذا الشر، فلنسأل لأي سبب عاقب المشرعون أولئك الذين يجعلون من البعض خصيان، وستعرف أنه لا لأي شيء إلاّ لأنهم يقطعون جزء طبيعى. على الرغم من أنهم لم يفعلوا ظلمًا كبيرًا، لأن الخصيان في كثير من الأحيان لهم نفع حتى بعد خصيهم، ولا يوجد شيء بلا نفع أكثر من الإنسان الشاذ، لأنه ليس النفس فقط هى التي تعانى، بل الجسد أيضًا يعانى من تلك الأمور الشائنة. أي جحيم سيستوعب هؤلاء، لكن لو أنك تسخر عندما تسمع عن الجحيم ولا تؤمن، فلنتذكر النار التي أحرقت أهل سدوم[١٢٠]. لأننا رأينا بالحقيقة في هذه الحياة الحاضرة صورة للجحيم . ولأن الأمر يتعلق بكثيرين لا يؤمنون بما سيحدث بعد القيامة، أي عندما يسمعون عن النار التي لا تطفأ، فإن الله يعاقبهم في الحياة الحاضرة . هذا العقاب، هو ما حدث بالفعل لأهل سدوم، وقد شاهد أولئك الذين

---

[١٢٠] تك١٩: ١٢ـ ٣٠.

كانوا حاضرين ورأوا عقاب الله المرسل على المدينة وكيف أمطرت السماء نارًا وكبريتًا.

تأمل كم كانت خطية أهل سدوم وعمورة عظيمة، حتى أنهم رأوا وكأن الجحيم قد أُستعلن قبل وقته. ولأن الكثيرين ازدروا بالكلام[١٢١]، وكنتيجة لأفعالهم وتزايد شرورهم، فإن الله أظهر الجحيم بطريقة جديدة. لأن هذا المطر الذي نزل على المدينة كان غريبًا، لأن العلاقات الجسدية بين الناس كانت غريبة. وهذا المطر ملأ الأرض، لأن الشهوة المنحرفة ملأت نفوسهم. ولهذا كان المطر بعكس المطر المعتاد. وقد جعل الأرض ليست فقط غير صالحة لإنتاج الثمار، بل أيضًا غير صالحة لاستقبال البذور. هذه الخطية كانت هى العلاقات الجسدية الشاذة بين الرجال في منطقة سدوم، وهل هناك ما هو أكثر بشاعة وأكثر حماقة من الرجل الزاني الشاذ؟ أعتقد أنه لا يوجد. ولهذا نقول كم أنتم أغبياء وأقل عقلاً حتى من الحيوانات غير العاقلة، لأنه لا توجد علاقات على هذا المستوى بين الحيوانات، بل إن الطبيعة تعرف جيدًا قوانينها، لكنكم بسلوككم المهين هذا تجعلون الإنسان أكثر مهانة من الحيوانات. إذن من أين نشأت هذه الشرور؟ نشأت من حب اللذة ومن عدم معرفة الله، لأنه عندما يتجاهل البعض خوف الله، فإنهم يرتكبون كل الشرور.

٤. ولكي لا يحدث هذا ينبغي أن نضع خوف الله أمام أعيننا، لأنه لا يوجد شيء يدمر الإنسان أكثر من فقدانه لمعونة الله، ولا شيء يقود لخلاصه سوى الالتزام بالتقوى والعيش في مخافة الله باستمرار. فإن كُنا نتردد كثيرًا في فعل خطية ما أمام الناس، وفي كثير من الأحيان نذوب خجلاً أمام الآخرين فلا نفعل شيئًا مخالفًا، فبالحرى يجب أن نفكر في مقدار السلام الذي سنتمتع به، عندما نضع الله أمام أعيننا.

لأنه عندما نسلك هكذا لن يقوى الشيطان على مهاجمتنا، وتعبه سيكون بلا هدف. لكن إذا رآنا مطروحين إلى خارج سالكين بلا ضابط،

[١٢١] أى كلام لوط الذي أخبر أهله بأن الرب مهلك المدينة (تك١٩: ١٤)

سيكون في مقدوره أن يخدعنا وينتصر علينا. وكما يحدث في السوق عندما يجني البسطاء من العبيد نتيجة أعمالهم، وينالون عقابًا من أسيادهم، وذلك عندما يتركون الخدمات الضرورية التي أرسلهم سادتهم من أجلها، ويكرسون جهودهم في أفعال لا طائل من ورائها، وبلا معنى وينشغلوا بالعابرين بالسوق، وينفقون أوقاتهم في هذه الأمور، هكذا نَجني نحن أيضًا نفس النتيجة، عندما نبتعد عن وصايا الله. وعندما ننبهر بجمال الجسد وغناه، وكل الأمور الأخرى التي ليست لها أي علاقة بنا، أكرر أننا سنكون تمامًا مثل أولئك العبيد الذين يتركون أعمالهم ويلاحظون المتسولين المحترفين الذين لا يريدون أن يعملوا، وعندما يَصلوا متأخرين إلى منازلهم فإنهم ينالون أسوأ العقوبات من سادتهم. وهذا هو حال الكثيرين الذين ابتعدوا عن طريق الله وسلكوا طرقًا أخرى وصنعوا أمورًا شائنة كثيرة . لأنه حقًا إن أردت أن تشغل نفسك، فهناك الوصايا الإلهية التي ينبغي أن تفتخر بها وتكرّس لها كل وقتك. وتكريس الوقت لتنفيذ وصايا الله لا يستحق السخرية، لكن يستحق منا الثناء والمديح الكثير. وما يستحق الانتقاد هو الابتعاد عن وصايا الله . ولكي لا نعاني مثلما عانى أولئك الذين ابتعدوا عن وصايا الله، لذا ينبغي علينا التمسك بها.

ولماذا تقف أمام الغنى منبهرًا وفاقدًا للعقل؟ أي مناظر مبهرة تقدر أن تجذب نظرك؟ هل الخيول المزينة والعبيد من البربر والخصيان، هل هى الملابس غالية الثمن أم هى النفس التي صارت متزعزعة بهذه الأمور؟ أم أن تعبيرات الوجه العابس، والإنحرافات، والضجيج الكثير، ومثل هذه الأمور، هى التي تُثير هذا الإنبهار؟ وما هى الأمور التي تستحق الإعجاب في كل هذا؟ وفي أي شيء يختلف هؤلاء عن المتسولين الذين يرقصون ويتسكعون في الأسواق؟ فهؤلاء لأنهم يفتقرون للفضيلة فإنهم يرقصون بصورة مثيرة للضحك، وهم يذهبون هنا وهناك متجولين تارة حول موائد عامرة بالأطعمة الشهية، وتارة في بيوت نساء ساقطات، وتارة بالنفاق يعيشون عالة على الآخرين. وحتى لو أنهم لبسوا ملابس مذهبة، فإنه لهذا السبب تحديدًا هم تعساء، لأن تلك المظاهر تُعَد بالنسبة لهم مطلب هام وأمرًا مرغوب فيه.

من أجل هذا أرجو ألا تنظر إلى هذه الملابس المذهّبة، بل انظر إلى نفوسهم العارية، ولاحظ أنها ربما تكون مليئة بجروح كثيرة، وفي حقيقتها خاوية ولا تستر أصحابها. إذن ما هو المكسب الذي يناله الوثنيون من هذا الهوس؟ فمن الأفضل حقًا أن يعيش المرء فقيرًا ويحيا بالفضيلة، على أن يعيش ملكًا ويحيا في الرذيلة. لأن الفقير ربما يتمتع في داخله بكل الصحة النفسية، ولا يشعر مطلقًا بفقره الخارجي، وذلك بسبب غناه الداخلي، بينما مَن يملك المال مع أنه يتمتع بكل الغنى الخارجى، فإنه ينسى الاهتمام بنفسه التي هى أثمن من كل شيء، متجاهلاً أنه سيقف في يوم الدينونة العظيمة أمام الله، وسيدان مثله مثل الفقراء. ولأننا نعرف كل هذا فلنخلع الملابس المذهبة ولنلبس الفضيلة، ونقتني الفرح الذي نناله بسببها. وهكذا فإننا ـ سواء في هذه الحياة الحاضرة أم في حياة الدهر الآتي ـ سنتمتع بشكل فائق بالخيرات الكثيرة التي وعدنا الله بها، بالنعمة ومحبة البشر اللواتى لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

+ + + + + + +

العظة السادسة:

" وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق " (١:٢٨).

١ـ ولكي لا يظهر أنه يشير إلى ما يفعله هؤلاء فقط، مُركّزًا حديثه على العلاقات الشاذة فيما بينهم، فإنه يأتي فيما بعد على ذكر أنواع أخرى من الخطايا. يفعلها قوم آخرون. ولأن الرسول بولس قد تعوّد دائمًا أن يُحدّث المؤمنين عن الخطايا، وأنه ينبغي عليهم تجنّبها، فإنه يُشير إلى الأمم كمثال، إذ يقول "*لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله* "[122]. وأيضًا "*لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم* "[123]. وهنا يشير لخطايا هؤلاء الأمم، ولأجل ذلك يرى أن هؤلاء قد حرموا أنفسهم من كل صفح. ويقول إن هذه الخطايا، ليست نتيجة جهل، لكنهم يُصرون على فعلها. ولهذا تحديدًا لم يقل، لأنهم لم يعرفوا الله لكن "*وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم* " مؤكدًا كيف أن هذه الخطية تأتي من رؤية فاسدة، مظهرًا أن هذه الخطايا لا تأتي من الأعضاء الجسدية كما يدَّعي بعض الهراطقة، لكن من الذهن ومن الرغبة الخبيثة، وأن مصدر الشرور هو الذهن. وحيث أن الذهن قد صار فاسدًا بلا نفع، فقد بطل كل شيء، طالما أن مصدر التوجيه (الذهن) قد فسد وصار بلا قيمة.

" مملوءين من كل اثم وزنا وشر وطمع " (١:٢٩).

لاحظ كيف يُشدد على كل ما يقوله. لأنه يقول كيف أنهم "*مملوءين من كل*" وبعدما تكلم عن الشر بشكل عام، أتى إلى تفاصيله قائلاً: "***مشحونين حسدًا وقتلاً***" لأن القتل يأتي من الحسد، كما ظهر في حالة هابيل وقصة يوسف. ثم بعد ذلك يقول "***مملوءين خصامًا ومكرًا وسوًا*** ". ثم يضع هذه الخطايا في ترتيب، تلك التي تبدو للبعض بلا أهمية، ثم يتصاعد بالإدانة حتى وصل إلى تحديد أقصى درجات الشرور قائلاً: "***ثالبين متعظمين***"

---

[122] اتس٤:٥.

[123] اتس٤:١٣.

لأنه من بين الخطايا الأكثر رعبًا أن يكون المرء متعظمًا وهو مخطئ. ولهذا أدان أهل كورنثوس قائلاً: " *أفأنتم منتفخون*"[١٢٤]. إذن فإن كان الشخص الذي يفتخر بإنجازاته، يفقد كل شيء عند موته، فكم سيكون عقاب ذلك الذي يفتخر بالخطية، شديدًا؟ لأن هذا الإنسان لن يستطيع أن يقدم توبة فيما بعد.

ثم يقول:

" نمامين مفترين مُبغضين لله ثالبين مُتعظمين مُدعين مبتدعين شرورًا" (١:٣٠).

هنا يُظهر أنهم لم يكتفوا بالخطايا التي يقترفونها، بل إنهم ابتدعوا خطايا أخرى. إن هذا الأمر يكشف أيضًا عن أن هؤلاء الناس يعرفون ماذا يفعلون، وليسوا مجرد أناس قد تأثروا بالآخرين وانجذبوا إلى الخطية . وبعدما استعرض الخطايا والشرور التي إرتكبوها ـ عندما أظهر كيف ثاروا ضد الوضع الطبيعي في إطاعة الوالدين ـ حين قال " **غير طائعين للوالدين**"، نجده بعد ذلك يتقدم نحو بيان جذور هذه البلايا الكثيرة، داعيًا هؤلاء أنهم "**بلا عهد ولا حنو**"، أي ليس لديهم محبة حانية . وهذه الخطية قد قال عنها المسيح له المجد بأنها سبب للشر بقوله: " *ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين*"[١٢٥]. هذا بالضبط ما أعلنه الرسول بولس هنا، داعيًا هؤلاء بإنهم :

" بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة " (١:٣١)

مظهرًا أنهم بهذا قد خانوا هذه العطية التي وُهبت للطبيعة الإنسانية . لأننا نملك عاطفة حسب طبيعتنا، حتى الحيوانات المتوحشة فيما بينها، وهي أيضًا تملكها فيقول: " *كل حيوان يحب شبيهه وكل إنسان يحب قريبه*"[١٢٦]. لكن هؤلاء قد صاروا بما فعلوا أكثر وحشية من الحيوانات.

لقد عرض لنا القديس بولس من خلال كل هذه الأمور، المرض الذي تَفشّى في المسكونة نتيجة الإنحرافات الشنيعة، وأظهر بكل وضوح بأن كل

---

[١٢٤] ١كو٥:٢.

[١٢٥] مت١٢:٢٤.

[١٢٦] حكمة سيراخ ١٥:١٣.

مرض هو ناتج عن ما يبديه البشر من اللامبالاة والتهاون . ثم بعد ذلك يُظهر كيف أن هؤلاء قد حرموا من المسامحة، ولهذا قال:

" الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت لا يفعلونها فقط بل أيضًا يُسَرّون بالذين يَعمَلون " (١:٣٢).

ومع أن القديس بولس يشير هنا إلى أمرين متباينين، إلاّ أنه قد نقض هذا التباين في الحال، إذ يطرح التساؤل الآتى: هل تجهل ما ينبغي عليك أن تفعله؟ وحتى لو أنك لا تعرف، فأنت نفسك السبب، لأنك ابتعدت عن الله، الذي هو مصدر معرفتك بكل هذه الأمور. لكن الآن قد ظهر ببراهين كثيرة أنك تعرف (حكم الله بشأن مَن يفعل الخطية)، وأنك تخطئ بكامل إرادتك، بل وتنجذب من الشهوة، لأنك تفعل هذا مع آخرين وتُسّر بهم أيضًا، لأنه يقول " لا يفعلونها فقط بل أيضًا يسرون بالذين يعملون".

إذن فقد ذكر القديس بولس الخطية البشعة ـ لأن ذاك الذي يُسر بالخطية هو أكثر بشاعة من ذاك الذي يُخطئ ـ والتي لا يُصفح عنها، بهدف أن يمتنع الناس عن فعلها.

+ + + + + + +

الأصحاح الثاني

الإصحاح الثاني

وبعدما قال هذا، يكرر نفس الكلام أيضًا وبأكثر شدة، ليضيّق الخناق عليهم قائلاً:

" لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان كل من يدين. لأنك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك " (رو٢:١).

١ـ وهنا يوجه الرسول بولس كلامه هذا إلى الرؤساء، لأن المدينة (أي روما) آنذاك، كانت قد تولّت حكم المسكونة. وبناءً على ذلك، فهو يبدأ الكلام بضرورة أن لا يتحصن أحد بالأعذار، أيًا كانت مكانته، لأنه فيما يدين المرء شخصًا زانيًا، ربما يزنى هو نفسه، حتى ولو لم يحكم عليه أحد من البشر، وعندما يدين غيره عن خطأ، فإنه يصدر حكمًا ضد نفسه. " لأنك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور عينها".

" ونحن نعلم أن دينونة الله هي حسب الحق على الذين يفعلون مثل هذه " (رو٢:٢).

وهو يقول هذا، لأن ما يحدث هنا على الأرض لا يحدث عند الله، لكى لا يتذرع أحد قائلاً: إنني في السابق قد أفلّت من العقاب. ولأن في حياتنا الأرضية يمكن أن يدان الواحد بينما لا يدان الآخر، مع أن الاثنين يكونا قد اقترفا نفس الفعل. لكن هناك في الدهر الآتي لا يحدث هذا . كما أن الديان يعرف البار من الأثيم. لكن كيف يعرف؟ لا يشير أحد إلى ذلك، لأن السؤال عن هذا الأمر يُعَد شيئًا فضوليًا ويتخطى حدود القدرات البشرية.

ويُشير الرسول بولس إلى أمرين يعكسان حالة الجحود، إذ أن الإنسان برغم معرفته لله، إلاّ أنه سلك بجحود. ومن أين أتت هذه المعرفة؟ أتت من خلال الكون الذي يُعلن عن وجود الله . وإذ لم يكن مُعلن للجميع، أشار إلى السبب في ذلك، ولأن معرفة الله المدركة بالمصنوعات، هى مسألة معروفة، لذا فإنه قد تجاوز الحديث عنها هنا. لكن عندما يقول إنه "ديان الجميع" فإنه لا يتوجه فقط إلى الرؤساء، بل أيضًا إلى العامة والمواطنين البسطاء.

٢ـ فالواقع يُشير إلى أن البشر يدينون الذين يخطئون، حتى ولو لم يكن لديهم عروشًا أو سلطانًا، ويحدث هذا سواء في مناقشات أو اجتماعات

عامة، أو داخل ضمائرهم. ولن يتجرأ أحد أن يقول إن الزاني غير مستحق للعقاب. هكذا يقول الرسول بولس إن بعض الذين يُدينون غيرهم، لا يدينون أنفسهم. ولهذا السبب تحديدًا فإنه يتوجه إليهم بكل حدَّة قائلاً:

" أفتظن هذا أيها الإنسان الذي تدين الذين يفعلون مثل هذه وأنت تفعلها، أنك تنجو من دينونة الله " (رو٢:٣).

إذن، فهو يشير إلى أن خطية البشر هي خطية ثقيلة، ليس فقط من جهة الأمور المختصة بالإيمان، بل من جهة سلوكهم الأخلاقى المشين. وعلى الرغم من أنهم كانوا محبين للحكمة، وأن الخليقة التي أمامهم كان يمكن أن تقودهم إلى معرفة الحق، إلاّ أنهم هجروا معرفة الله. ليس هذا فقط، بل إنهم فضّلوا صورًا وتماثيلاً للزواحف، واحتقروا الفضيلة، وانحرفوا نحو الشرور، حيث إن ميولهم قادتهم إلى ما هو شاذ، فسلكوا بخلاف الطبيعة. ثم بعد ذلك يدلّل لهم على أن أولئك الذين يفعلون مثل هذه الأعمال الشريرة، يُعَاقَبون ولن ينجوا من دينونة الله العادلة. وقد أشار إلى العقاب الذي يستحقونه عندما تكلم عن هذا الفعل الشائن، إذ قال: " *نائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المحق*"[127]. ولكن لأنهم لم يشعروا بهذا الجزاء، أشار إلى عقاب آخر يخافونه جدًا. هذا العقاب قد أشار إليه سابقًا عندما قال: " *إن دينونة الله هي حسب الحق* "[128]. وحيال أفعال أخرى مشابهة يشير إلى نفس المصير أيضًا، قائلاً: " *أفتظن هذا أيها الإنسان الذي تدين الذين يفعلون مثل هذه وأنت تفعلها أنك تنجو من دينونة الله*". فإن لم تتجنب إدانة نفسك، فهل تعتقد أنك تنجو من دينونة الله؟ ومَن يستطيع أن يقول هذا؟ وإن كنت لم تشفق حتى على نفسك (إذ قد أُدينت)، فكيف يكون الحال بالنسبة لله، وهو الذي بلا خطية، البار بما لا يُقاس، ألا يدينك بالحرى؟ وإذ كنت قد أدنت نفسك (بسبب دينونتك لغيرك)، فهل تظن أن الله سيقبلك وسيمتدحك؟ وكيف يمكن أن يكون لهذا تبرير؟

---

[127] رو١:٢٧.

[128] رو٢:٢.

من أجل هذا، فإنك مستحق لعقاب أكثر من ذاك الذي تدينه. لأنه لا يمكن مقارنة مَن يخطئ خطأً بسيطًا، بذلك الذي بعدما يدين غيره عن خطية ما، يرتكب نفس هذه الخطية التي أدانها من قبل . فلو أنك تدين من يخطئ خطية بسيطة، ألاّ يدينك الله بالأولى، أنت يا من أخطأت بالأكثر؟ ألاّ يدينك بصورة أشد، لأنك بالفعل قد أدنت نفسك بأفكارك هذه!. ومع أنك تقول إنني أعرف بالتأكيد إني مستحق للعقاب، إلاّ أنك تتهاون بسبب طول أناة الله . ولأنك لم تُعاقَب على الفور، فإنك تتجرأ وتتمادى في فعل الخطية، بينما كان ينبغي عليك أن تخاف وترتعب، فالله لا يؤجل العقاب، لكنه يوقع عقابًا أشد لو أنك ظللت في خطاياك. ولهذا يضيف الرسول بولس قائلاً:

" أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة " (رو٢:٤).

وبعدما مجّد الله لطول أناته، مظهرًا أن الاستفادة من لطف الله وامهاله هو أمر عظيم جدًا لأولئك الذين يهتمون بخلاص أنفسهم، وأن أناة الله كانت هي الدافع في قيادة خطاة كثيرين إلى التوبة، نجده يحذر بالأكثر الذين يتهاونون بمراحم الله. لأنه كما أن أولئك الذين استفادوا من طول أناة الله، وكان ذلك سببًا لخلاصهم، هكذا فإن أولئك الذين ازدروا بها، هم معرضين لعقاب أشد. لأن كل هذا يرجع إلى الاعتقاد الخاطئ الذي يقول إن الله لا يُعاقِب، لأنه صالح وطويل الأناة. لكن عندما تقول هذا، فإن ذلك يعنى أنك تزيد من شدة العقاب. لأن الله يُظهر صلاحه، لكي تتخلص من خطاياك، لا كي تتمادى في الخطية وتضيف لحسابك المزيد من الخطايا. فإن لم تفعل هذا وتتخلص من خطاياك، فإن العقاب سيكون مخيفًا. ومن أجل هذا لا يجب أن نخطئ، مستغلين طول أناة الله، ولا أن نجعل الإحسان سببًا للجحود. لأنه وإن كان الله طويل الأناة، إلاّ أنه في الوقت نفسه ديان وعادل. وكيف يُستدل على هذا؟ يُستدل عليه من الكلام اللاحق. فلو أن الشر كثير، والأشرار لم يُعَاقَبوا في هذه الحياة، إلاّ أنهم بكل تأكيد

سيُدانون في يوم الدينونة العتيدة. ومادام البشر لا يتغاضون عن أخطاء غيرهم، فكيف يتغاضى الله عنها؟ وبناءً على ذلك تحدث الرسول بولس عن الدينونة. لأنه وضّح أولاً كيف أن الكثيرين يتحملون المسئولية عن خطاياهم، إن لم يتوبوا. وحتى وإن لم يُعَاقَبوا هنا في هذه الحياة، إلاّ أنهم سيتعرضون للدينونة العتيدة على أية حال وذلك بقوله:

" لكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبًا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة " (رو٢:٥).

عندما لا يتجاوب المرء مع صلاح الله، ولا يرجع حتى بالترهيب عن سلوكه المنحرف. فهل توجد قسوة قلب أكثر من هذا؟ وبعدما أوضح الرسول بولس محبة الله للبشر، فإنه يتحدث عن العقاب أيضًا، وكيف أنه لا مفر من العقاب لَمن لا يقدم توبة. لاحظ كيف يستخدم الكلمات بكل دقة، لأنه يقول: " *تذخر لنفسك غضبًا في يوم الغضب* "، مبينًا أن الدينونة ستحدث على أية حال، وأن السبب فيها، ليس الله الذي يدين، بل الذي يُدان، أى الإنسان الخاطئ، إذ يقول: " *تذخر لنفسك*"، أي أنت الذي تذخر لنفسك الغضب، وليس الله هو الذي يذخره لك. لأن الله فعل ما ينبغي فعله، وخلقك قادرًا أن تميز بين الخير والشر، وأظهر لك طول أناة، وأنذرك باليوم المخيف، وكل هذا لكي يقودك إلى التوبة. فلو أنك تماديت في عنادك فإنك "*تذخر لنفسك غضبًا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة* ". ولكي لا تعتقد عند سماعك لكلمة "**غضب**" إنه يوجد لدى الله بُغضة، فإنه يضيف عبارة "*دينونة الله العادلة*". وحسنًا قال " ***استعلان***"، لأن وقتها يُستعلن هذا " *الغضب* "، عندما سينال كل واحد ما يستحقه. فإن كان في هذا الدهر يوجد أناس يتوّعدون غيرهم، ويتآمرون عليهم وهم في ذلك يخالفون القوانين، إلاّ أنه في الدهر الآتي لا تحدث مثل هذه الأمور. لأن الله:

" سيجازي كل واحد حسب أعماله.. " (رو٢:٦).

٣ـ ولأن كلام الرسول بولس صار قاسيًا عليهم، إذ كان يتكلم عن الدينونة وعن الجحيم الآتي، نجده بعد ذلك مباشرة لا يذكر العقاب عندما

يتكلم عن الرجاء المبارك، فيحوّل كلمته نحو الأمور المَفرحة، أي نحو المجازاة بالخيرات، قائلاً:

" أما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء[١٢٩] فبالحياة الأبدية " (رو٢:٧).

هنا هو يرفع من شأن أولئك الذين سقطوا في التجارب، ويوضح أنه لا يجب أن نقتني شجاعة في الإيمان فقط، بل وفي الأعمال، لأن الديان يفحص الأعمال أيضًا. لكن لاحظ كيف يتكلم الرسول بولس عن أمور الدهر الآتي، فهو لا يتكلم مباشرة عن خيرات الدهر الآتى، لكن ما يقوله هو "*مجد وكرامة*"، لأن هذه الخيرات تفوق الأمور المرئية، وليس لديه هنا في هذه الحياة صورة مماثلة لخيرات الدهر الآتي، لكي يُبيّنها . لكنه يقدم لنا أمور الدهر الآتى كما ينبغي من خلال الأشياء التي نعتبرها أمورًا مشرقة بالنسبة لنا، أي المجد والكرامة في هذه الحياة الحاضرة . لكن خيرات الدهر الآتي، ليست فقط مجد وكرامة، بل أفضل بكثير من هذه الأمور التي نراها، فهي خالدة ولا يعتريها فساد. أرأيت كيف أنه يفتح أمامنا أبواب قيامة الأجساد، قائلاً "*البقاء*" (أى عدم الفناء)، لأن مصطلح "عدم الفناء" يرتبط بالجسد، لأن الجسد هو الذي يفنى وليست النفس. ثم بعد ذلك، ولأن هذا لم يكن كافيًا، أضاف قائلاً: " *المجد والكرامة*". لأننا جميعنا سنقوم بلا فساد، لكن ليس الجميع في مجد، فالبعض في الجحيم والبعض في مجد.

" وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون للإثم " (رو٢:٨).

فهم الذين يعيشون في الإثم، والذين يُحرَمون من الصفح . ويوضح هنا أنهم يسقطون في الإثم بسبب الرغبة في المشاحنة، وأيضًا بسبب عدم الاهتمام بخلاص نفوسهم.

وها هو يوجه لهم اللوم مرة أخرى. إذ أنه قد سبق وأشار إلى حالتهم بقوله:

---

[١٢٩] البقاء في النص اليونانى هى (αφθαρσία) وهى تعنى عدم الفناء.

"*من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبًا يوم الغضب*". وعليه فأي مبرر يمكن أن يعطيه ذاك الذي يتجنب النور ويُفضل الظلام؟ ونلاحظ أنه لم يقل أولئك "الذين أُجبروا"، لكنه تكلم عن أولئك الذين "يطاوعون الإثم"، لكي ندرك أن السقوط في الخطية ناتج عن رغبة إرادية، فالإنسان لا يُجبر على ارتكاب الخطية.

" سخط وغضب. شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر" (رو٢:٩).

حتى ولو كان ثريًا، أو كان من النبلاء، أو حتى مَلَكًا، فالكلام عن الدينونة لا يُخجل أحدًا، لأن هذه المناصب ليس لها أي اعتبار في يوم الدينونة.

وبعدما أظهر حجم المرض وسببه، بمعنى أنه يأتي من لامبالاة المرضى، تحدث عن المصير الذي ينتظرهم وهو الفناء. لأن الفرصة التي أُعطيت لليهودى بواسطة تعاليم الناموس كى يتوب ولم يستغلها، ستؤرقه حتى في الجحيم. ولهذا قال:

" يفعل الشر اليهودي أولاً ثم اليوناني ".

إن مَن توافرت له تعاليم أكثر، ويخالف هذه التعاليم يكون مستحقًا لأن يلاقي عقابًا أشد، لأن مَن يعرف أكثر يُدان أكثر، فلو أنك غني، سيُطلب منك أكثر مما يطلب من الفقير، وإن كنت أكثر فهمًا، سيُطلب منك طاعة أكثر، ولو كنت صاحب سلطان، سيُطلب منك أعمالاً أعظم. وفي كل الأحوال ستقدم على قدر قوتك وإمكانياتك.

" ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح اليهودي أولاً ثم اليوناني" (رو٢:١٠).

أي يهودي يقصد هنا؟ وعن أي يوناني يتحدث؟ بالتأكيد عن أولئك الذين عاشوا قبل تجسد المسيح. لأن كلامه لم يصل بعد إلى أزمنة النعمة، لكنه مازال يتحدث بعد عن الأزمنة السابقة على التجسد، مؤكدًا على عدم وجود فرق بين اليهودي واليوناني، ممهدًا بذلك لأزمنة النعمة، حتى أنه عندما يتحدث عن عدم وجود أى فرق بين اليهودى واليونانى في أزمنة النعمة، لا

يظهر وكأنه يقصد شيئًا جديدًا ومقلقًا. فإن كان في الأزمنة السابقة، عندما لم تكن النعمة قد إستُعلنت بشكل كامل، وعندما كانت أمور اليهود لها مكانة عند الجميع ومعروفة ومشرقة، لم يظهر أي اختلاف، فأي شيء يمكن أن يقال فيما بعد، بعدما إستُعلنت النعمة بوضوح وقوة؟ لهذا تحديدًا فقد اعتنى جدًا بتوضيح هذه الحقيقة، لأنه بعدما يعرف المستمع أن هذا (أي عدم وجود فرق بين اليهودي واليوناني)، قد ساد في الأزمنة السابقة، فبالأولى جدًا سيقبل هذا بعد دخوله إلى الإيمان. واليونانيون الذين يشير إليهم الرسول بولس ليسوا هم عبدة الأوثان، لكنهم الأتقياء الذين خضعوا للناموس الطبيعي، والذين حفظوا كل ما من شأنه أن يقود إلى التقوى. وأيضًا من الأتقياء أولئك الذين كانوا مع ملكي صادق، وكذلك أيوب، وأهل نينوى، وأيضًا من هؤلاء كان كرنيليوس. إذن، فمن ذي قبل (أى قبل أزمنة النعمة) بدأت تنحصر بالفعل الفروق بين الختان والغرلة، ومنذ زمن بعيد تلاشى هذا الفرق، حتى أن القديس بولس يفعل هذا بجرأة، أى يتدرج بهم من الوضع القديم حتى يصل بهم إلى أزمنة النعمة، ثم يقودهم بالضرورة إلى هذا المفهوم، الأمر الذي يمثل دائمًا ملمحًا مميزًا في فهمه للحقائق الإلهية. لكن لو أنه أوضح أن هذه الفروق قد أُزيلت في أزمنة النعمة فقط، لكان حديثه غير دقيق، وعندما أشار إلى سيادة الشر في العالم باعتبار أن " الجميع زاغوا وفسدوا " وأن هذا قد شمل الاثنين معًا (اليهودى واليونانى)، فهو هنا يؤكد على أنه لا يوجد فرق بين اليهودى واليونانى.

٤ـ وإذ لم يكن الكلام عن الدينونة العتيدة، هو فقط هدف الرسول بولس، فقد أراد أن يوضح كيف أن اليهودي لا يملك شيئًا أكثر يُمكّنه أن يفتخر به أمام هذا اليونانى التقى. لكن لاحظ أنه قد أخاف المستمع، إذ ذكّره باليوم المخوف، وقال كم هو أمر سيء أن يسلك المرء بالمكر، وأوضح أنه لا أحد يخطئ بدون معرفة، ولن يفلت من العقاب، وإن لم يكن قد أُدين بعد، لكنه سيُدان ـ على كل حال ـ يوم الدينونة الأخيرة. وهكذا أراد أن يُبرهن لهم على أن تعاليم الناموس لم تكن من الأمور الحتمية، لأن

المهانة والكرامة يوجدان في الأعمال، وليس في الختان والغرلة . وهو بهذا يُدلل على أن اليوناني سيُدان ويكرم بحسب أعماله، واعتبر أن هذا أمرًا طبيعيًا. إذن فالاشارة للناموس والختان بعد ذلك، يُعد أمرًا زائدًا، هو هنا يقاوم اليهود على وجه الخصوص (وليس الناموس)، لأن هؤلاء كانوا محبين للنزاع أكثر من غيرهم. **أولاً** بسبب إحساسهم بالتميّز، بإعتبار أنهم لن يُحصوا مع الأمم. **ثانيًا** لأنهم يسخرون من القول، بأن الإيمان يمحو الخطايا. ولذلك فقد أدان اليونانيين، إذ قال في الفصل السابق: " *إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم. لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر* "[١٣٠]، حتى يستطيع فيما بعد أن يصل إلى اليهود ويكلمهم جهارًا ويصير كلامه غير قابل للشك . وبعدما وصل إلى الكلام عن الجحيم، أوضح كيف أن اليهودي، لا ينتفع مطلقًا بالناموس، بل ويتثقل به أيضًا ، إن لم يسلك بإستقامة . وهذا قد بينّه من قبل. فلو أن اليوناني الذي لم يصر أفضل، هو بلا عذر، بإعتبار أن معرفة الله ظاهرة فيه، لأن الله أظهرها له، فبالأولي جدًا سيكون اليهودي بلا عذر أيضًا ، لأنه بالإضافة إلى الناموس الطبيعى، فقد أخذ تعاليم الناموس المكتوب. وبعدما أشار إلى أخطاء الآخرين (الأمم)، فقد صار إقناع اليهود أكثر سهولة. وبهذا صار حديثه عن خطايا اليهود أمرًا مقبولاً ، ولذلك نجده يحثهم على فعل الأمور الأكثر صلاحًا بقوله: " *مجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح لليهودي أولاً ثم اليوناني* "، لأنه هنا في هذه الحياة أيًا كان مقدار الأمور الحسنة التي يقتنيها المرء، فإنه يقتنيها بأتعاب كثيرة، حتى لو كان ثريًا أو قائدًا أو ملكًا. و يقول عن السلام إنه في مرات كثيرة يثور الإنسان، إن لم يكن في مواجهة الآخرين، فعلى الأقل في مواجهة نفسه، ويتعرض لحروب داخلية. لكن هناك في الدهر الآتي، لا يحدث شيء مثل هذا ، بل إن كل شيء يتسم بالهدوء وعدم الاضطراب ويسود عليه السلام الحقيقي. هكذا يتضح أن أولئك الذين هم بلا ناموس،

---

[١٣٠] رو ١:١٩ـ٢٠.

سيتمتعون بنفس الأمور التي يتمتع بها اليهود (أي بالعطايا الإلهية). ثم يضيف قائلاً:

" لأن ليس عند الله محاباة " (رو٢:١١).

وعندما يقول الرسول بولس إن اليهودى واليونانى يُدانان عندما يخطئان، فإن الأمر لا يحتاج إلى تفكير، لكن عندما يقول إن اليونانى يُكرم ـ الأمر الذي سوف يشير إليه فيما بعد ـ فيجب عليه أن يقيم الدليل على صحة كلامه. فبالحقيقة يبدو أمرًا مدهشًا وغريبًا، أن يُكرّم ذاك الذي يفعل الصلاح مع أنه لم يسمع تعاليم الناموس والأنبياء.

لقد أراد هنا أن يدرب أسماعهم على قبول هذه الحقيقة، أن الإنسان ينال التكريم من الله إذا فعل الصلاح، وفي هذا لا فرق بين اليهودى واليونانى، الأمر الذي ذكره فيما سبق عندما أشار إلى أزمنة ما قبل النعمة . وهكذا استطاع أن يقنعهم مع دخولهم في الإيمان، أن يقبلوا بأن الجميع واحد أمام الله، لا فرق بين اليهودى واليونانى. لأنه بعدما قال: " *مجد وكرامة وسلام لكل مَن يفعل الصلاح اليهودى أولاً ثم اليونانى*" أضاف: "*لأن ليس عند الله محاباة*". وفي إيضاحه لموقف الله تجاه كل من اليهودى واليونانى، نجده بعدما أشار إلى أن الله سيعاقب اليهودى أولاً ثم اليونانى، وأنه سيُكرّم اليهودى أولاً ثم اليونانى، ولكى لا يعتقد أحد أن في هذا تمييز لأحدهم عن الآخر أمام الله باعتبار أنه ذكر اليهودى أولاً، وأن هذا التمييز يتم وفقًا لإرادة الله، نجده يضيف قائلاً: " *لأن ليس عند الله محاباة*"، وهو بذلك يكون قد نفى عن الله صفة المحاباة، لأن الله لا يحابي الوجوه، لكنه ينظر إلى أعمال كل أحد . هذا التوضيح يؤكد على أن اليهودى لا يختلف عن اليونانى في شيء سوى المظهر الخارجى فقط، أما من جهة الأعمال، فإنهما واحد أمام الله، مَن يفعل الصلاح ينال المجد والكرامة والسلام، ومَن يفعل الشر يتعرض للسخط والغضب والشدة والضيق . وإن كان متوقعًا في هذا السياق أن يقول إنه ليس بسبب أن الواحد يهودى والآخر يونانى، لهذا يُكرّم الأول ويُدان الثانى، بل إن الاثنان يُدانان بحسب أعمالهما. ومع هذا لم يتكلم

هكذا. لأنه بهذه الصياغة كان سيثير غضب اليهودى. لكنه يشير إلى شيء آخر أبعد من ذلك، أى إلى أن طريقة تفكيرهم في أنفسهم وفي الآخرين يجب أن تكون باتضاع أكثر حتى يتقبلوا أمرًا ضروريًا، وما هو هذا الأمر؟ إنه يظهر من الكلام اللاحق:

" لأن كل من أخطأ بدون الناموس، فبدون الناموس يهلك وكل من أخطأ في الناموس فبالناموس يُدان " (رو٢:١٢).

هنا هو يكرر ما قاله سابقًا، لأنه يُظهر ليس فقط المُساواة بين اليهودي واليوناني، لكن يوضح كيف أن الناموس قد صار حِملاً بالنسبة لليهودى. أما بالنسبة لليونانى، فلكونه سيُدان بدون الناموس، سيكون عدم تثقّله بالناموس أمرًا مفرحًا له. وهذا ما يقصده هنا، أن الأممى يُدان فقط وفق النواميس الطبيعية. لكن اليهودي يُدان على أساس الناموس، وهذا يعني أنه بالإضافة للناموس الطبيعى الذي يسرى على كل البشر، هناك الإدانة بالناموس المكتوب. لأن على قدر قبوله لتعاليم الناموس، على قدر ما سيكون مدانًا بحسب هذه التعاليم.

٥ـ أرأيت كيف أنه يوضح احتياج اليهود المُلّح لأن يركضوا نحو النعمة؟ لأنهم قالوا إنهم لا يحتاجون إلى النعمة، وإنهم يخلصون بالناموس فقط. فأوضح أنهم محتاجون للنعمة أكثر من اليونانيين، طالما أنهم سيُدانون أكثر. ثم بعد ذلك، لكى يؤكد ما قاله يضيف تعليمًا آخر قائلاً:

" لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرارًا عند الله" (رو٢:١٣).

وحسنًا أضاف "*عند الله*" لأنهم ربما يظهرون أمام الناس أنهم مستحقون للتقدير بسبب سماعهم للناموس، ويفتخرون بهذا كثيرًا. لكنهم أمام الله تتكشف حقيقتهم تمامًا. لذا نراه يذكر مَن هم الذين سيُبَرَرون بقوله:

" بل الذين يعملون بالناموس هم يُبرَرون ".

وبعدما تكلم عن أن الأبرار عند الله ليسوا هم الذين يسمعون الناموس، فإنه الآن يتكلم عن أن الأبرار هم الذين يعملون بالناموس.

أرأيت كيف أنه تكلم بفيض وغنى لكي ينتقل بكلمته لاتجاه

عكسي؟ يقول القديس بولس، إذن إن كنت تعتقد بأنك سوف تخلص بسبب اتباعك للناموس، فإن اليونانى يُعد أفضل منك أمام الله، لأنه كما هو واضح قد عمل بالمكتوب. وكيف يمكن أن يعمل بالناموس ذاك الذي لم يسمع الناموس؟ بل أقول لك، إنه من الممكن أيضًا، عندما يسمع اليهودى الناموس ألاّ يعمل به. ولقد ذكر الرسول بولس نفس هذا المعنى فيما بعد بأكثر تشديد بقوله: "*فأنت إذا الذي تعلّم غيرك ألست تعلّم نفسك*"[١٣١].

" لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم " (رو٢:١٤).

والرسول بولس هنا لا يرفض الناموس، بل على العكس هو يُبرر الأمم من خلال الناموس أيضًا. أرأيت كيف أنه يُقوض مجد اليهودية، ولا يستطيع أحد أن يشتكى عليه، باعتبار أنه يسيء إلى الناموس؟ لكن على العكس، فإنه يُظهر كل الأشياء كما هى، فيرفع من شأن الناموس ويُظهر فضله. وعندما يقول "بالطبيعة" يقصد الأفكار الفطرية، ويُظهر كيف أن البعض أفضل من هؤلاء اليهود . والأمر الأكثر أهمية بالنسبة له، إنهم صاروا أفضل مع أنه لم يكن لديهم الناموس، الذي يفتخر به اليهود على الأمم، ولهذا تحديدًا يقول إن الأمم مستحقون للتقدير، لأنهم لم يتسلموا الناموس، ومع ذلك عملوا بكل وصاياه. وعبّروا عن أفكارهم بأعمالهم وليس بالكلام فقط. لأنه يقول:

" الذين يظهرون عمل الناموس مكتوبًا في قلوبهم شاهدًا أيضا ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة. في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح " (رو٢:١٥-١٦) .

أرأيت كيف أنه يشير أيضًا إلى يوم الدينونة، ويجعله قريبًا، وينذرهم، موضحًا كيف أنه ينبغي تكريم أولئك الذين اهتموا بأن يعملوا بوصايا الناموس بدون الناموس؟ لكن ما ينبغي أن نُعجب به بشكل خاص هو رؤية الرسول بولس، وهذا ما يستحق أن نتكلم عنه الآن . لأنه بعدما أظهر

---

[١٣١] رو٢:٢١.

بالدليل، كيف أن اليوناني هو أسمى من اليهودي، لم يشر إلى هذا كنتيجة مُجملة مُسلم بها، حتى لا يثير سخط اليهودي. ولكي يكون قولى أكثر وضوحًا، سأشير إلى كلامه هو نفسه حيث قال: "***لأنه ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرارًا عند الله، بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون*** ". وقد كان متوقعًا أن يقول: "*لأن الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس*" هؤلاء هم أفضل بكثير من أولئك الذين لديهم الناموس. غير أنه لم يقل هذا، لكنه توقف عند مدح اليونانيين، ولم يواصل كلمته، فقد عقد أولاً تلك المقارنة (بين مَن يسمع الناموس وبين مَن يعمل بالناموس) حتى يقبل اليهودي هذا الكلام. لذلك اكتفى بأن يقول: "*لأن الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم، الذين يظهرون عمل الناموس مكتوبًا في قلوبهم شاهدًا أيضا ضميرهم* ".

لأنه يكفي في مقابل العمل بالناموس، العمل بحسب الضمير والفكر. لقد أظهر الرسول بولس بهذا الكلام أيضًا، كيف أن الله خلق الإنسان قادرًا على اختيار الفضيلة وتجنب الشر.

فلا تتحير لأنه أظهر هذا الأمر عدة مرات، لأن هذا الأمر الهام كان يُعَد بالنسبة له، أمرًا مُلحًا، تجاه أولئك الذين تساءلوا لماذا أتى المسيح الآن؟ وأين كانت عناية الله في الأزمنة السابقة؟ وهو يرد على هؤلاء مبينًا لهم إنه في الأزمنة السابقة وقبل إعطاء الناموس، كان الجنس البشري يتمتع بعناية الله بصورة كاملة، فما أعلنه الله من قبل، كان واضحًا لهؤلاء، بل إنهم أيضًا قد عرفوا ما هو الخير وما هو الشر، وكانت معرفتهم هذه سببًا في أنهم أدانوا الآخرين. ولهذا تحديدًا اتهمهم وقال: "*فيما تدين غيرك تحكم على نفسك*"، لكن في حالة اليهود بالإضافة إلى كل ما طُرح، فإنهم قد تسلموا الناموس، أى أنه بالاضافة للعطية الإلهية الممنوحة لكل البشر وهى العقل والضمير، فإنهم أيضًا قد نالوا تعاليم الناموس. لكن لأي سبب أشار إلى أن "*أفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة*"؟ السبب في ذلك أنه لو كان

عندهم الناموس المكتوب ويظهرون عمله، فهل يكون هناك مجال للفكر أن يشتكي؟ وعندما يقول "مشتكين" فإنه لا يقصد أن الأفكار فقط هى التي تشتكي عليهم (أي تتهمهم)، بل إن كل الطبيعة تشتكى عليهم أيضًا[١٣٢]. وهذا اتهام كافٍ لدينونتهم.

ثم بعد ذلك، لكى يزيد من خوفهم من يوم الدينونة، فإنه لم يُشر إلى خطايا البشر المعلنة فقط، لكنه أشار إلى "سرائر الناس أيضًا". وهنا نرى أن دينونة الله هى أكثر دقة من دينونة البشر، باعتبار أن الناس يحكمون على الأمور الظاهرة فقط، وهو يُشير إلى "*سرائر الناس*"، كى لا تتعرض لنفس الدينونة التي بها تدين غيرك حتى وإن كنت تدينه بأفكارك، ومن أجل هذا قال "*أفتظن هذا أيها الإنسان الذي تُدين الذين يفعلون مثل هذه وأنت تفعلها أنك تنجو من دينونة الله* "؟. ثم أكمل أن في يوم الدينونة هذه "*سيُدين الله سرائر الناس حسب إنجيلى بيسوع المسيح* " وهنا نلاحظ أنه على الرغم من أنه تكلم فيما سبق عن الله الآب فقط، فإنه هنا يتكلم عن المسيح[١٣٣].

٦ـ أرأيت كيف أنه بهذه الحكمة، قد قاد الجميع ودعاهم إلى بشارة المسيح المفرحة ، وأظهر أن نتائج أعمال الإنسان، لا تنحصر في هذه الحياة فقط، بل تمتد إلى حياة الدهر الآتى أيضًا، وهذا يتضح مما سبق وقاله: " *تذخر لنفسك غضب في يوم الغضب* "[١٣٤]، أما في هذه الآية فيقول أيضًا: " *اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس* " إذن فينبغى على كل واحد أن يفحص ضميره من جهة خطاياه، ويطالب نفسه ـ بكل تدقيق ـ بمسؤلياتها لكى لا يُدان يوم الدينونة العتيدة. لأن تلك المحاكمة رهيبة، وذلك العرش مخوف، ومسئوليات النفس عن أعمالها مرعبة، والنار تجري كالنهر " *والأخ لن يفدي الإنسان فداءً، ولا يُعطى الله كفارة عنه*"[١٣٥]. فتذكّر إذن هذه

---

[١٣٢] حيث انهم أساءوا إلى الطبيعة كلها. (انظر رو ١:٢٣ـ٣٢).

[١٣٣] هنا يُشير إلى أن الابن هو ديان أيضًا، وهذا ما نردده في قانون الإيمان " الذي يأتى في مجده ليدين الأحياء والأموات ".

[١٣٤] رو ٢:٥.

[١٣٥] مز ٤٩:٧.

الأمور التي قيلت في الإنجيل عن الملائكة الذين يروحون ويجيئون، والنار التي لا تُطفأ، والحجال الذي أُغلق، وقوات الشر التي تُجَّر إلى أتون النار. فتخيل إذن، لو أن شخصًا منا أظهر اليوم أمام الكنيسة أمرًا خفيًا، كيف أنه يتمنى أن يختفي وتبتلعه الأرض، على أن يكون هناك شهود كثيرون على خطاياه؟ كم بالحرى سيكون الألم في ذاك الوقت، عندما تُعرض كل هذه الأمور أمام المسكونة كلها في مثل هذا المحفل المنير، لأن كل شيء سيكون حينئذٍ مكشوفًا ومعلنًا أمام الجميع.

لكن لماذا اضطررت أن أنذركم؟ فعلت ذلك بدافع المحبة لكم، وكان ينبغي عليَ أن أفعل هذا وأشدّد على ضرورة مخافة الله وإظهار دينونته العادلة. أخبرني كيف سنكون وقتها (أي يوم الدينونة)، عندما تُصرُّ أسناننا وننقاد إلى الظلمة الخارجية؟ أو من الأفضل أن نتساءل: ماذا سنفعل عندما نقاوم إرادة الله، الأمر الذي هو أكثر رعبًا من كل شيء؟ لأن الشخص الذي لديه حس وإدراك يُمكنه من الآن أن يشعر بما سيعانيه في الجحيم، إلى أن يقف أمام الله في يوم الدينونة العتيدة. أما مَن ليس له هذا الحس وذلك الإدراك فسيكون مصيره الجحيم. لأنه بالحقيقة كان ينبغي علينا أن نتألم لا عندما نُدان، ولكن عندما نُخطئ. اسمع الرسول بولس وهو يحزن ويئن، لأجل خطايا لن يُدان عنها: " *لست أهلاً لأن أُدعى رسولاً لأني اضطهدت كنيسة الله*"[١٣٦]. اسمع داود أيضًا. لأنه اعتقد أنه سلك ضد إرادة الله، طلب أن يُدان قائلاً: " *فلتكن يدك عليَّ وعلى بيت أبي*"[١٣٧]. لأن مقاومة إرادة الله هو أمر أكثر فزعًا من الدينونة، وهذا يعكس حالة البؤس التي نحياها، فإن لم يكن هناك خوف من الجحيم، فلن نسرع إلى فعل الصلاح وهذا أمر غير مقبول أمام الله. ولهذا تحديدًا سنكون مستحقين لهذا الجحيم، لأننا نخاف من الجحيم أكثر من مخافة المسيح، ولننظر إلى المُطوب بولس الذي سلك في مخافة الله على الدوام. أما من جهتنا فنحن نسلك بشكل مختلف،

---

[١٣٦] ١كو١٥: ٩.

[١٣٧] ٢صم٢٤: ١٧.

فالخوف من الجحيم هو الذي يدفعنا لفعل الصلاح، لهذا يُحكم علينا بالجحيم، وسنعرف لو أننا حقاً نحب المسيح كما ينبغي لنا أن نحبه، وسندرك أيضًا أن الأكثر فزعًا من الجحيم هو معاندة ذاك الذي نحبه. لكن لأننا لا نحبه، فنحن لا ندرك مقدار الاثم الذي نفعله. وهذا ما يجعلني على كل حال أحزن وأئن.

لكن هل هناك شيئًا لم يفعله الله لأجل خلاصنا، لكي لا نحبه؟ وما الذي لم يدبره بصلاحه لخيرنا؟ وما الذي لم يفكر فيه لأجلنا؟ لقد ازدرينا به، على الرغم من أنه أعطانا هبات كثيرة، وأنعم علينا بخيرات وفيرة لا توصف. لقد انصرفنا عنه بالرغم من أنه دعانا وجذبنا نحوه من كل صوب، ومع هذا، لم يُعَاقِبنا، بل ركض نحونا وعضدّنا، في الوقت الذي فيه تركناه ورفضناه، وقبلنا مشورة الشيطان. ورغم هذا الموقف الرافض، إلاّ أنه أرسل كثيرين من الأنبياء، والملائكة، والآباء لدعوتنا مرة أخرى، ولم نقبل الدعوة وليس هذا فقط، بل إننا قد أسأنا إلى هؤلاء الذين أرسلهم، ومع كل ذلك لم يتركنا، فقد أُسئ إليه وقَبِل الإساءة، وقد احتمل هذا من أجل أن يأتي بالجميع إليه ممن في السماء وممن على الأرض، لقد فعل ذلك باختياره لأجل خاصته. واقترب هو نفسه من أولئك الذين انصرفوا عنه، مبشرًا هؤلاء الذين كانوا يَصمون آذانهم عن كل شيء. لأنه يقول: " *يا شعبى ماذا صنعت بك وبماذا أضجرتك. اشهد عليَّ*"[١٣٨]، غير أننا بعد كل ذلك، قتلنا الأنبياء، ورجمناهم، وسببّنا لهم متاعب لا تُحصى. ماذا فعل الله تجاه كل هذا؟ لم يُرسل بعد أنبياء ولا ملائكة ولا آباء، لكن أرسل ابنه الوحيد. وعندما أتى ابن الله ذاق الآلم وجاز الموت، ومع كل هذا لم تنقص محبة الآب، ولازال يدعو الجميع حتى بعد موت ابنه، ويترجى أن نفعل كل ما نستطيع حتى نرجع إليه. ولهذا فإن الرسول بولس يصرخ قائلاً: " *إذ نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله*"[١٣٩].

---

[١٣٨] ميخا٦:٣.

[١٣٩] ٢كو٥:٢٠.

٧- ومع أننا لم نتصالح مع الله، إلاّ أنه لم يتركنا، ولم يتغير موقفه تجاهنا. بل إنه لكى يجذبنا نحوه، قد توعدنا بالعقاب ووعدنا بملكوت السموات. ومع كل هذا فإننا قد سلكنا بلا شعور. فهل يوجد أقسى من هذه الوحشية؟ فلو أن إنسانًا قد فعل بنا خيرًا، ألا نصير أسرى محبته هذه؟ أما حين يصنع الله معنا كل هذه الأمور، فإننا ننصرف عنه. أليس هذا جحودًا وعدم مبالاة!. نحن دومًا نرتكب الخطايا والشرور، ولو حدث مرة وفعلنا شيئًا صالحًا، فإننا نفعله واضعين أمام أعيننا الأمور المادية، مثلما يفعل الخدم الجاحدون، حاسبين ذلك المقابل المادى بكل دقة. لكن تكون المكافأة أعظم، لو أنك تعمل دون أن تنتظر مقابلاً لما تفعله. لأن هذا السلوك وهذه الحسابات الخاصة بانتظار المقابل، هو سلوك يخص بالأكثر كل مَن يعمل من أجل المكافأة، وليس سلوك خادم يشعر بالإمتنان لسيده . إذن ينبغي أن نفعل كل شيء لا من أجل المكافأة المادية، بل من أجل الإتحاد بالمسيح حتى ننعم بالخيرات في بملكوت السموات . فمحبة الله في حد ذاتها هى أعظم مكافأة، فهى الملكوت الحقيقي، ورفض هذه الحقيقة هو الجحيم ذاته. لذلك ينبغى علينا أن نحبه كما أحبنا هو أولاً، **لأنه هو الملكوت، وهو الفرح، وهو المتعة، وهو المجد والكرامة، وهو النور والسعادة غير المحدودة، ذاك الذي لا يُعبَّر عنه، غير الموصوف وغير المدرك.**

أنا لا أعرف كيف انجذبت لهذا الحديث، لكني أهدف إلى حث أولئك الذين ينشغلون بمجد وسلطان هذا العالم الحاضر، على احتقار هذه الأمور لأجل ملكوت الله.

إن أغلبية الرجال العظماء، الجسورين، قد وصلوا إلى هذا القدر من المحبة . لقد اشتعل الرسول بطرس بالمحبة نحو المسيح، مفضلاً إياه عن نفسه وحياته وعن كل شيء آخر، وعندما أنكره، لم يبكِ خوفًا من الجحيم، بل لأنه أنكر ذاك الذي أحبه جدًا، وهذا الأمر كان يُعَد بالنسبة له أقسى من الجحيم . فقد كان باستمرار مداومًا على أن يسأل الرب يسوع قائلاً: "*أين*

تذهب"[140]، وأيضًا "*إلى مَن نذهب*"[141]، و"*إني مستعد أن أمضي معك حتى إلى السجن*"[142]. لأن المسيح كان كل شيء بالنسبة للتلاميذ، ولم يكن الدافع لمحبتهم للمسيح هو انتظار أية مكافأة. ودعني أسأل لماذا تندهش من سلوك بطرس؟ اسمع ما يقوله النبي: "*ما لي في السماء ومعك لا أريد شيئًا على الأرض*"[143]. إن ما يقصده هو الآتي: **أنه لا** يتمنى شيئًا لا من الأمور السمائية، ولا من الأمور الأرضية، لا شيء يتمناه سوى الله. هذه هي المحبة، هذا هو العشق الإلهي. فلو أننا نحب هكذا، فإن هذه المحبة لن تقارن على الاطلاق بأية أمور أرضية أو حتى أمور مستقبلية، وسنربح ملكوت السموات منذ الآن، متمتعين بمحبته. وقد يتساءل المرء كيف سيحدث هذا؟ نجيب: لو أننا أدركنا كم مرة أسأنا إليه، بينما هو لا يزال يدعونا ويقدّم لنا خيرات لا تحصى. كم مرة تجاهلناه، بينما هو لا يتجاهلنا أبدًا، بل ويركض نحونا ويجذبنا إليه ويقودنا بالقرب منه. لو أننا فكرنا في كل هذا، وأمور أخرى مشابهة، سنستطيع أن نلتهب بالشوق إليه، مثلما يحدث لو أحب إنسان بسيط ملكًا، ألا يُقدّر هذا الملك هذا الحب؟ بالتأكيد سيقدره كثيرًا جدًا. لكن عندما يحدث العكس، ويكون مَن يحبنا ذو جمال وغنى ومجد لا يُعبّر عنه، بينما نحن المحبوبين غير جديرين بمحبته، فكيف لا نكون ـ نحن غير المستحقين ـ أهلا للجحيم، عندما نصير محبوبين بهذا القدر الكبير من المحبة، من ذاك العظيم العجيب، ولا نبالي بمحبته؟ فالحقيقة أنه بالرغم من عدم مبالاتنا، فإن الله لا يتوقف على أن يقدم لنا كل محبة.

نحن في احتياج كبير لمحبته، وبالرغم من ذلك لا ندرك أهمية وغنى هذه المحبة. لكننا نُفضّل الأشياء المادية، وصداقات الناس، وراحة الجسد، والسلطة والمجد، بينما هو لا يريد أي شيء آخر منا، سوى خلاص نفوسنا فقط، إذ أنه لم يشفق على ابنه وحيد الجنس لأجل خلاصنا. ومع هذا كله

---

[140] يو ١٣:٣٦.

[141] يو ٦:٦٨.

[142] لو ٢٢:٣٣.

[143] مز ٧٣:٢٥.

فإننا نُفضّل أمورًا أخرى كثيرة على محبته.

هل بعد كل ذلك لا يوجد جحيم؟ ماذا نستطيع أن نقول، عندما نفضّل أفكار الشيطان على نواميس المسيح، وعندما لا نبالي لخلاصنا، ونفضّل أن نسلك في الشر على أن نتحد بذاك الذي جاز الآلام لأجلنا؟ وأى عذر يمكن أن يقدم عن كل هذا؟ وأى تبرير؟ بالقطع لا يوجد.

ومادمنا نفكر في كل هذا، فلنتوجه بالحديث نحو المتغافلين، لعلنا نستفيق، فلنعطي المجد للمسيح من خلال أعمالنا. لأنه لكي نتمتع بمجده لا يكفي أن نمجده بمجرد الكلام. لأننا جميعًا نتمنى أن نتمتع ببهاء مجده، بالنعمة ومحبة البشر اللواتى لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

+++++++

العظة السابعة:

" هوذا أنت تسمى يهوديًا وتتكل على الناموس، وتفتخر بالله وتعرف مشيئته وتميز الأمور المتخالفة متعلمًا من الناموس " (رو٢: ١٧ـ١٨).

١ـ بعدما قال إن اليونانى لا ينقصه شيء لأجل خلاصه، لو أنه سلك بحسب الناموس، أي متى سلك بما هو في الناموس بحسب الطبيعة، وبعدما قدّم تلك المقارنة المدهشة (بين مَن يسمع الناموس ومَن يسلك بحسب الناموس)، فإنه يشير فيما بعد إلى تلك الأمور التي جعلت اليهود يفكرون بأنهم متميزون (كجنس) عن اليونانين. أول شيء هو الاسم نفسه، أى أنهم دُعيوا "يهودًا" إذ أن هذا الاسم كان له أهمية كبيرة جدًا، تمامًا مثل المسيحية الآن. لأنه بالحقيقة كان التمييز يعتمد في ذاك الوقت على التسمية، لهذا نجده يبدأ بذكر الاسم أولاً. ولاحظ كيف أنه يبطل فكرة الانتماء لجنس اليهود، كأمر يميّزهم عن غيرهم . لأنه لم يقل "أنت يهودى"، لكن " *تسمى يهوديًا.. وتفتخر بالله*" أى أن الله أحبك، وتميّزت عن أناس آخرين، وأُعطيت هذا الاسم . لاحظ كيف أنه يسخر منهم في هدوء، لأجل حماقتهم، ولأجل محبتهم الكبيرة للمجد، لأنهم استخدموا هذه العطية[١٤٤]، لا لأجل خلاصهم، ولكن لكى يثيروا فتنة ضد الآخرين ويحتقرونهم.

" **وتعرف مشيئته وتميّز الأمور المتخالفة متعلمًا من الناموس**". إن هذه المعرفة التي تُميّز الأمور المتخالفة تبدو على أنها ميزة، لكنها رذيلة (لأنها معرفة بدون عمل)، ولهذا فهو يذكرها بالتحديد. لأنه لم يقل تصنع مشيئته، لكن " تعرف وتميز"، وليس تعمل وتتمم.

" وتثق أنك قائد للعميان ونور للذين في الظلمة " (رو٢: ١٩).

وأيضًا هنا لم يقل إنك بالفعل قائد للعميان، بل " تثق أنك قائد للعميان " وهكذا تفتخر . ولأن جنون العظمة لدى اليهود، كان كبيرًا، فلهذا نجد أن الرسول بولس هنا يعكس ما ورد في الأناجيل من عبارات تدل على افتخارهم بأنفسهم عندما قالوا للمولود أعمى: " *في الخطايا وُلدت أنت بجملتك وأنت*

---

[١٤٤] أى عطية أنهم يدعون يهودًا ولهم الناموس والأنبياء والعهود والاشتراع.

تعلّمنا"[١٤٥]. فقد كانوا دائمي الافتخار بأنفسهم أمام الجميع، هذا بالضبط ما أراد الرسول بولس أن يفحصه ويصححه، فنجده يرفع من شأن أولئك اليونانيين، مقابل وضع هؤلاء اليهود. وكأنه بهذا أراد أن يفضح افتخارهم الكاذب، ويجعل دينونتهم أثقل. ولهذا استمر في كشف زيف افتخارهم بقوله:

" ومهذّب للأغبياء ومعلم للأطفال ولك صورة العلم والحق في الناموس " (رو٢: ٢٠).

مرة أخرى لم يقل: لك صورة العلم والحق "**في الضمير**" و"**في الأعمال**" و"**في الانجازات**"، لكن " *في الناموس*". وبعدما قال هذه الأمور، فإن ما ذكره عندما أشار إلى الأمم بقوله "*لأنك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك*"[١٤٦]، يكرره هنا تقريبًا:

" فأنت اذًا الذي تعلّم غيرك ألست تعلّم نفسك؟ " (رو٢: ٢١).

غير أنه عندما كان يشير إلى الأمم، كان حديثه أكثر حدة، أما هنا فحديثه يتسم بالرقة، إذ لم يهددهم بأنهم يستحقون عقابًا أكثر نتيجة فعلهم هذا، بل يخاطبهم قائلاً: " فأنت اذًا الذي تعلّم غيرك ألست تعلّم نفسك؟" فعلى الرغم من ثقتهم فيك "كمعلّم" لأمور كثيرة، فإنك لم تنتفع شيئًا من كل هذه الأمور كما ينبغي، وهذا هو معنى سؤاله بقوله: " *فأنت إذن الذي تعلّم غيرك ألست تعلّم نفسك*"؟ لكن أرجو أن تُلاحظ، رؤية الرسول بولس في موضع آخر، حيث يشير إلى تميّز اليهود والذي لم يكن راجعًا لأعمالهم التي مارسوها بأنفسهم، ولكن راجع إلى فعل النعمة الإلهية فيهم، ويبيّن كيف أنه (أي الناموس) لم يكن فقط بلا نفع لهم مادامو قد أهملوه، لكنهم أيضًا قد جلبوا على أنفسهم عقابًا آخر، فليس هو إنجاز خاص بهم أن يُدعوا يهودًا، ولا لأنهم أخذوا الناموس، ولا للأمور التي ذكرها فيما سبق، بل لأجل النعمة الإلهية. فبينما يقول في البداية إن مجرد

---

[١٤٥] يو٩: ٣٤.

[١٤٦] رو٢: ١.

سماع الناموس لا يفيد إطلاقًا إن لم يقترن بالعمل " *لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله*"[147]. نجده الآن يوضح أنه ليس السماع فقط هو المهم، لكن الذي يُعَد أكثر أهمية من السماع هو التعليم. ولا حتى التعليم يستطيع أن يساعد المعلّم عندما لا يعمل به. وليس هذا فقط أن التعليم نفسه لن يُعينه، بل بالحرى سيدينه.

وحسنًا يستخدم القديس بولس الكلمات بكل دقة، لأنه لم يقل " أخذت الناموس"، لكن "*تتكل على الناموس*". لأن اليهودى لم يتعب في أن يذهب هنا وهناك وأن يطلب معرفة الأمور التي ينبغى أن يفعلها، لكن كان لديه الناموس الذي أظهر له بسهولة الطريق الذي يقود إلى الفضيلة . فبالرغم من أن الأمم الذين سلكوا بالناموس الطبيعى، قد وُجِدوا في حالة أفضل من هؤلاء اليهود، لأنهم فعلوا كل شيء بدون الناموس المكتوب، إلاّ أن الطريق نحو الفضيلة، كان أسهل بالنسبة لليهود، باعتبار أن لديهم الناموس. لكن لو أن اليهودى قال: إننى لا أسمع فقط، لكن أُعلّم أيضًا، لكان هذا سيزيد من هول إدانته. إذن لأنه افتخر كثيرًا بأن لديه الناموس، فمن أجل هذا يوضح لهم، كيف أنهم مستحقون للسخرية عندما يقول: " *وتثق أنك قائد للعميان .. ومهذب للأغبياء ومعلّم للأطفال*". هو يقصد تكبّرهم ـ لأنهم كانوا يستغلون الجهل بالناموس لدى الذين اهتدوا إلى الإيمان حديثًا ـ معطيًا إياهم هذه الصفات، ومع أن هذا الكلام يبدو وكأنه مدح لهم، إلاّ أنه في حقيقة الأمر هو سبب قوي لدينوتهم.

٢ـ " ***ولك صورة العلم والحق في الناموس***" إن مَن يفعل هذا يكون تمامًا مثل شخص يرسم لوحة واضعًا أمامه صورة ملوكية، غير أن ما يرسمه لا يتوافق إطلاقًا مع هذه الصورة، بينما أولئك الذين لم يكن لديهم الأصل، رسموها بكل دقة.

وبعدما ذكر المزايا التي أخذوها من الله، ذكر عيوبهم، والتي بسببها أدانهم الأنبياء، واضعًا هذه الإدانات أمامهم بقوله:

---

[147] رو ٢: ١٣.

" فأنت اذًا الذي تعلّم غيرك ألست تعلّم نفسك؟ الذي تكرز أن لا يسرق أتسرق. الذي تقول إن لا يزنى أتزني الذي تستكره الأوثان أتسرق الهياكل " (رو٢: ٢١-٢٢).

لأنه أن تُمّس الأموال التي توجد داخل المعابد الوثنية، فهذا كان من الأعمال المجرَّمة، ويُحظر حظرًا تامًا، بل إن هذا العمل كان أمرًا مكروهًا جدًا. لكن طغيان محبة المال أقنعكم أن تدوسوا هذا الناموس. بعد ذلك فإن الأمر الأصعب جدًا يضيفه في النهاية قائلاً:

" الذي تفتخر بالناموس أبتعدي الناموس تهين الله " (رو٢: ٢٣).

هنا يذكر اتهامين ضدهم أو من الأفضل أن نقول ثلاثة اتهامات، **أولاً:** أنهم أهانوا غيرهم، **ثانيًا:** أنهم أهانوا تلك الأمور التي كُرّموا بها، **ثالثًا:** أنهم أهانوا ذاك الذي كرّمهم، الأمر الذي كان يعد أسوأ أشكال الجحود.

فيما بعد ـ لكى لا يبدو أنه يدينهم بحسب رؤيته ـ أشار إلى النبي كإدانة لهم، أولاً بكلام قليل وسريع ومختصر، لكن بعد ذلك تكلم بإسهاب أكثر. فقد ذكر إشعياء أولاً ثم بعد ذلك داود، وبالتالى صارت أمورهم مكشوفة بالأكثر. إذن فهو يُشير إلى هذه الأمور، لا باعتباره أنه هو الذي يدينهم، لكن اسمع ماذا يقول إشعياء:

" لأن اسم الله يُجدف عليه بسببكم بين الأمم كما هو مكتوب "[١٤٨] (رو٢: ٢٤).

وها هو اتهام مزدوج، لأنه يشير إلى أن هؤلاء لا يجدّفون فقط على اسم الله، لكن يدفعون آخرين أيضًا على التجديف على اسم الله، بسبب سلوكهم المزدوج، فبينما يُعلّمون الآخرين، لا يسلكون هم أنفسهم وفق هذه التعاليم. وكأنه يخاطبهم قائلاً: إذن فما هو نفع التعليم، عندما لا تُعلّمون أنفسكم؟ وكان هذا ما سبق أن خاطبهم به من قبل عندما قال: " *فأنت إذًا الذي تعلّم غيرك ألست تعلّم نفسك* "، غير أن لكلامه هنا هدف آخر. لأنه يقول إن الأمر لم يقتصر فقط على عدم تعليم أنفسكم، لكن أيضًا لم تعلّموا

---

[١٤٨] إش٥٢: ٥.

الآخرين، تلك الأمور التي ينبغى أن يفعلوها . إن الأمر الأكثر فزعًا ليس فقط هو أنكم لا تعلّمون وصايا الناموس، بل إنكم تعلّمون بعكس وصايا الناموس. فيجدفون على اسم الله بسببكم.

ثم بعد ذلك يتحدث عن الختان ويقول إنه أمر عظيم وأنا أعترف به، حين يكون لدى المرء الختان الداخلى (أي ختان القلب بالروح). انتبه إلى حكمة الرسول بولس، كيف أنه في اللحظة المناسبة تكلم عن الختان، وكيف أنه لم يبدأ مباشرة بالحديث عن موضوع الختان، إذ أن مكانته كانت عظيمة جدًا عند اليهود . وبعدما أوضح أن هؤلاء اليهود، مسئولون عن التجديف على اسم الله، وأن المستمع لكلامه بدأ يُدين سلوكهم، وأيضًا بعدما جردهم من مكانتهم المتميزة، حينئذٍ تكلم عن الختان، متمنيًا أن لا يستهجن أحد الختان إذ يقول " *فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس*" على الرغم من أنه كان ممكنًا، أن يستخدم أسلوبًا آخر يُمكّنه من تجاهل موضوع الختان، لو أنه قال ما هو الختان؟ أو هل هو مجرد فعل يتممه المختتن؟ هل هو برهان على إرادته الصالحة، حيث أن الختان يصير في سن مبكر جدًا؟ بالإضافة إلى ذلك فإن أولئك الذين كانوا في الصحراء، جميعهم ظلوا بلا ختان لسنوات عديدة، ليس هذا فقط، بل من خلال شواهد كثيرة يستطيع المرء أن يتحقق بأن الختان ليس أمرًا ضروريًا، ومع هذا لم يرفض الرسول بولس الختان بدون إبداء أسباب، لكنه رفضه مشيرًا إلى حالة إبراهيم الذي أخذ علامة الختان ختمًا لبر الإيمان . حيث أن الوعد لإبراهيم ولنسله أن يكون وارثًا للعالم، كان ببر الإيمان. وعندما يبرهن القديس بولس على أن الختان هو بلا نفع، بعد أن كان محل تقدير بالنسبة لهم، فهذا أمرًا مهمًا. ومع أنه كان يستطيع أن يقول إن الأنبياء دَعوا اليهود بغير المختتنين (لأنهم لم يسلكوا بما يتفق وختانهم)، إلاّ أن هذا لا يُعَد بأى طريقة أمرًا يعيب الختان، لكنه أمرًا يعيب أولئك الذين يتحدثون عنه وهم يجهلون المعنى الحقيقي للختان . فهدف القديس بولس، هو أن يُظهر كيف أن الختان ليس له أى قوة في زمن النعمة. وهذا بالضبط ما بيّنه فيما بعد.

فبعدما أوضح عدم نفع الختان من خلال شواهد أخرى، لم يُشر فيها إلى

إبراهيم، إلاّ أنه قد ذكره أخيرًا عندما تكلم عن الإيمان قائلاً: " *فكيف حُسب أهو في الختان أم في الغرلة*"[149]. وهنا نجد أن الرسول بولس لم يُرِد أن يقول شيئًا عن الختان الذي كان يمثل عثرة بالنسبة للأممي غير المختتن، وذلك كى لا يكون حديثه مزعجًا بالنسبة لهم . أما عندما يتعلق الأمر بالإيمان، نجده يتكلم عن الختان بأكثر حدة، وذلك عكس ما حدث عندما تكلم عن الختان والغرلة، إذ واصل حديثه بأسلوب هادئ قائلاً:

" فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس، ولكن إن كنت متعديًا للناموس فقد صار ختانك غرلة " (رو٢:٢٥).

إذن فهو يقصد هنا غرلتين وختانين كما يقصد ناموسين. وكما يوجد الناموس الطبيعى والناموس المكتوب، يوجد أيضًا ناموس آخر بينهما، هو ناموس الأعمال. لاحظ كيف أنه يُظهر هذه النواميس الثلاثة، ويعرضها أمامهم بقوله: " *لأن الأمم الذين ليس عندهم الناموس*"[150]، أخبرنى عن أى ناموس يتكلم؟ إنه يتكلم عن ناموس الأعمال، ثم يكمل " *إذ ليس لهم ناموس*" وهنا أيضًا أى ناموس يقصد؟ يقصد الناموس المكتوب، ويضيف " *هم ناموس لأنفسهم*" كيف؟ من خلال الناموس الطبيعى. ومع ذلك فهم - أى الأمم - " *يُظهرون عمل الناموس* " وأى ناموس هذا الذي يظهرونه؟ نقول ناموس الأعمال. لأن الناموس المكتوب لم يُعطَ للأمم، بينما الناموس الطبيعى "يوجد داخلهم" كبشر، والناموس الثالث يظهر في الأعمال.

فالناموس الأول هو من خلال النص المكتوب، والثانى أي الطبيعي، تُمليه طبيعة البشر، والثالث أي ناموس الأعمال يظهر في الأعمال.

إذن فهناك احتياج لهذا الناموس الثالث والذي لأجل تحقيقه، يوجد الإثنان الآخران أي الناموس الطبيعى والناموس المكتوب . فإذا لم يتحقق هذا الناموس أي ناموس الأعمال فلا يوجد أي نفع من هذين الناموسين أي الناموس الطبيعى والناموس المكتوب، بل سيوجد ضرر كبير جدًا . وقد

---

[149] رو٤:١٠.

[150] رو٢:١٤.

أوضح القديس بولس هذا الضرر في حديثه عن الناموس الطبيعي بالنسبة للأمم قائلاً: "*لأنك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك*"[151]. وأيضًا في حديثه عن الناموس المكتوب بقوله: " *الذي تكرز ألا يُسرَق أتسرقُ*"[152]. وهكذا أيضًا توجد غرلتان، الواحدة طبيعية والأخرى نتيجة للتعدى على وصايا الناموس من أولئك الذين اختتنوا بالجسد حسب الناموس. أيضًا لا يوجد ختان واحد الذي يتم في الجسد، لكن هناك ختان آخر يأتى من الإرادة. ماذا أريد أن أقول؟ لو أن شخصًا مارس الختان في اليوم الثامن، فهذا هو الختان الجسدي، ولو أن شخصًا آخر نفّذ كل وصايا الناموس، فهذا هو ختان النفس، وهذا ما يطلبه الرسول بولس بشكل خاص أو من الأفضل أن نقول إن هذا هو ما يطلبه الناموس.

٣. لاحظ إذن كيف يبدو وكأنه قد قَبِل الختان عندما تحدث عنه، غير أنه عمليًا قد أبطله . فهو لم يقل إن الختان هو أمر زائد وأنه بلا نفع وبلا فائدة، لكن ماذا قال؟ "*فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس*". ولم يكن لديه مانع من قبوله مشيرًا إلى أنه ليس هو أمر سيئ، لكن متى؟ يجيب عندما يقترن بحفظ الناموس. يقول " *ولكن إن كنت متعديًا للناموس فقد صار ختانك غرلة*" ولاحظ أنه لم يقل إن الختان لا يفيد بعد، لكى لا يبدو وكأنه يحتقره،لكن بعدما أوضح حقيقة العلاقة بين الختان وسلوك اليهودى، وقتها تصدى له، الأمر الذي لا يُعَد بعد احتقارًا للختان، لكنه ازدراءً من ذاك الذي فَقَد المعنى الحقيقى للختان، بسبب لامبالاته . تمامًا مثل أولئك الذين لهم رُتب عالية في المجتمع، ثم بعد ذلك يُقبض عليهم من أجل جرائم خطيرة، فبعدما ينزع عنهم القضاة كرامة رتبهم، حينئذٍ يعاقبونهم . هكذا فعل الرسول بولس لأنه عندما قال: "*لو كنت متعديًا للناموس*"، فإنه أضاف "*فقد صار ختانك غرلة* "، وعندما برهن على أن هذا اليهودى هو غير مختتن من الداخل أدانه وبلا تردد بقوله:

---

[151] رو ٢:١.

[152] رو ٢:٢١.

" إذن إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس أفما تحسب[153] غرلته ختانًا "؟ (رو٢:٢٦).

لاحظ ماذا يقول الرسول بولس؛ فإنه لم يقل إن الغرلة تتفوق على الختان، لأن هذا القول كان سيُعَد أمرًا مؤسفًا لمستمعيه في ذلك الوقت، بل قال إن الغرلة صارت مثل الختان، ويتحدث عن معنى الختان ومعنى الغرلة، ويشير إلى أن الختان هو عمل حسن، والغرلة أمر سيئ . فبعدما ذكر أن غير المختتن يُعَد في الواقع مختتن بسبب أعماله الحسنة، وبعدما اعتبر المختتن هو أغرل، بسبب أنه عاش في التعدى، أعطى الأفضلية لغير المختتن إذ قال: أفما تتحول غرلته ختانًا؟ ولم يقل سنُعتبر لكن ستتحول، وفي هذا كان واضحًا كل الوضوح إذ سبق وقال " *ختانك صار غرلة* "، ولم يقل حُسب غرلة[154]. أرأيت أنه يشير إلى غرلتين؛ الطبيعية والاختيارية؟

" وتكون الغرلة التي من الطبيعة وهى تكمل الناموس تدينك " (رو٢:٢٧).

إنه هنا يذكر الغرلة الطبيعية، ولا يتوقف عند هذا، لكنه يضيف "*أنت الذي في الكتاب والختان تتعدى الناموس*". لاحظ حكمته فهو لم يقل إن الغرلة الطبيعية ستدين الختان، لكن حين ينجح المرء في تنفيذ الوصية، فإنه يذكر الغرلة، وحينما يدين الختان، فإنه لا يُشير إلى الختان نفسه، بل إلى اليهودى الذي أُعطيَ له الختان. ولم يقل أنت الذي عندك الناموس والختان، لكنه أيضًا وبهدوء يقول "*أنت الذي في الكتاب والختان تتعدى الناموس* ".

أى أن هذه الغرلة ويقصد الختان (الروحى)، قد صارت مساعدًا للناموس. لأن هذه الغرلة التي كانت محتقرة في السابق، تحصل الآن على غلبة ظاهرة. وحينما لا يُدان اليهودى من اليهودى، لكن من الأممى غير المختتن تتقرر الغلبة، تمامًا مثلما يقول الكتاب: " *رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه*"[155]. وهكذا نرى من خلال كل ما قاله إنه لا يقصد أن يهين

---

[153] هنا يستخدم القديس يوحنا ذهبى الفم الفعل (μετατραπεί) ويعنى "تتحول"، وليس بمعنى "تُحسب".

[154] رو٢:٢٥.

[155] مت١٢:٤١.

الناموس ـ إذ هو يُقدّره كثيرًا ـ لكن يقصد اليهودى الذي يحتقر الناموس.

وبعدما أظهر هذه الأمور بوضوح ـ نجده بكل شجاعة ـ يحدد مَن هو اليهودى، ويوضح كيف أنه لا يرفض اليهودى ولا الختان، لكنه يرفض ذاك الذي ليس هو يهودى بالحق، أى الذي ليس له الختان الروحى. ومع أنه يبدو وكأنه يدافع عن الختان، لكنه في الحقيقة يرفع عنه ما كان له من تقدير وفخر عند اليهود، مُستندًا في ذلك على أن اليهود المختتنين يخالفون وصايا الناموس، ويوضح أنه لا يوجد أى فرق بين اليهودى وغير المختتن، وليس هذا فقط، لكن كيف أن الأممى غير المختتن هو أسمى لو أنه لاحظ نفسه، وأن اليهودى الحقيقي هو ذاك الذي يلاحظ نفسه:

" لأن اليهودى في الظاهر ليس هو يهوديًا ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختانًا " (رو٢: ٢٨).

هنا هو يدين هؤلاء اليهود، لأنهم يفعلون كل شيء علانية، من أجل محبة المجد الباطل.

" بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذي مدحه ليس من الناس بل من الله " (رو٢: ٢٩).

٤ـ هذه الأقوال تؤكد على أنه يرفض كل الأمور الظاهرية. مثل الختان الذي يُمارس ظاهريًا في الجسد، وحفظ السبوت، وتقديم الذبائح، والتطهيرات. كل هذه الأمور أشار إليها بكلمة واحدة قائلاً: "*لأن اليهودى في الظاهر ليس هو يهوديًا*". لكن لأن الحديث عن الختان كان طويلاً، فبالطبع كان الحديث عن حفظ السبت قليلاً. ثم يتكلم بعد ذلك عن ختان القلب بالروح ويُمهد الطريق لحياة الشركة وحياة الإيمان، حيث أن هذا الإيمان صار بعمل الروح القدس في القلب، والله نفسه يمتدح هذا الإيمان. ولماذا لم يُبيّن كيف أن الأممى الذي يحفظ الناموس ليس بأقل من اليهودى الذي يحفظه، بل أظهر كيف أن الأممى الذي يحفظه هو أسمى من اليهودى الذي يخالفه؟ لقد فعل ذلك لكى يجعل الغلبة لغير المختتنين، أمرًا مؤكدًا. إذن عندما يصير هذا الأممى مقبولاً، فبالضرورة يصير ختان الجسد مرفوضًا. وهكذا يتضح في كل موضع أن الأمر يحتاج إلى السير في طريق

الحياة المستقيمة. لأنه عندما يخلص الأممى- بدون هذه الأمور الخاصة بالناموس، بينما يدان اليهودى بها، فاليهودية تصير إذًا بلا نفع. لكنه أيضًا لا يقصد بالأممى، ذلك الذي يعبد الأوثان، لكن ذاك المتقى الله، السالك بالفضيلة، والمتحرر من أحكام الناموس.

+++++++

الأصحاح الثالث

الإصحاح الثالث

" إذا ما هو فضل اليهودى أو ما هو نفع الختان؟" (رو٣:١)

قال هذا لأن اليهودى تنصَّل من كل شيء، من السمع، والتعليم، وتبعيته للجنس اليهودى، ومن الختان، ومن كل الأمور الأخرى، وذلك لأنه كان يسلك حسب الظاهر. ويتضح هذا من خلال قول الرسول بولس بإن " *اليهودى في الظاهر ليس يهوديًا .. بل اليهودى في الخفاء هو اليهودى* " ويرى فيما بعد أن هناك تعارض ما ينشأ، ويتوقف عنده. لكن ما هو هذا التعارض؟ يتمثل في أن هذه الأمور لا تُفيد مطلقًا، فلماذا دُعيوا الأمم، ولأى سبب أُعطى الختان؟ إذًا فماذا يفعل وكيف يجد حلاً لهذا التعارض؟ إن الحل يكمن في الأمور التي سبق الاشارة إليها. فهو لم يمدحهم أو يُثني عليهم، لكنه تكلم عن احسانات الله، وليس عن مفاخرهم أو مآثرهم، لأنه أن يُدعى أحد يهوديًا ويعرف إرادة الله ويُميّز الأمور المتخالفة، فإن هذا لا يرجع لإمكانيات خاصة به، بل إلى نعمة الله، الأمر الذي أشار إليه النبي متهمًا هؤلاء اليهود بقوله: " *لم يصنع هكذا باحدى الأمم. وأحكامه لم يعرفوها* "[١٥٦]. ويقول موسى أيضًا " *لأنه مَن هو من جميع البشر الذي سمع صوت الله الحى يتكلم من وسط النار مثلنا وعاش* "[١٥٧]. هذا ما فعله (القديس بولس) هنا أيضًا.

وبالمثل عندما تكلّم عن الختان، فهو لم يقل إن الختان لا يصبح مفيدًا على نحو مطلق بدون حياة مستقيمة، بل يقول إن فائدة الختان تظهر عندما يقترن بأسلوب حياة نقية، مُظهرًا نفس الشيء ولكن بصورة هادئة ونغمة أكثر رقة، وأيضًا يقول " *إن كنت متعديًا الناموس* " هنا لم يقل أيها المختتن إن الختان لا ينفعك بشيء، ولكنه قال " *فقد صار ختانك غرلة* ". وبعد هذا أيضًا يقول " *ستدينك الغرلة* " وليس الختان، ولكنها تدينك أنت " *المتعدى الناموس* ". إذن فهو ينظر لوصايا الناموس نظرة تقدير ويوجه هذا الكلام لليهود، هكذا فعل هنا أيضًا. فقد وضع اليهودي في مواجهة مع نفسه قائلاً " *إذًا ما هو فضل اليهودى أو ما هو نفع الختان؟* " يقول:

---

[١٥٦] مز١٤٧: ٢٠.

[١٥٧] تث٥: ٢٦.

" إن الفضل كثير على كل وجه أما أولاً فلأنهم استأمنوا على أقوال الله " (رو٣:٢).

هل اتضح لك ما تكلمت عنه سابقًا، وكيف أنه لا يُعَدّد أبدًا المفاخر والمآثر الخاصة بهم، لكنه يذكر احسانات الله؟ بالإضافة إلى هذا ماذا يقصد بكلمة "أُستأمنوا"؟ يقصد أن هؤلاء أخذوا الناموس، وأن الله اعتبرهم مستحقين كي يستأمنهم على الوصايا السمائية . إننى أعرف بالطبع أن عبارة "الأمانة" يُرجعها البعض إلى أمانة اليهود أنفسهم لا إلى الناموس عينه، وهذا يعنى أن أقوال الله غير أمينة. إلاّ أن الكلام اللاحق لا يجعلنا نعتقد في ذلك. **أولاً** لأنه قال هذه الأمور بهدف إدانتهم، ولكى يُبرهن على أنهم تمتعوا بإحسانات جزيلة من قبل الله، وعلى الرغم من ذلك فقد أظهروا جحودًا كبيرًا. وقد أظهروا هذا الجحود فيما بعد، ويتضح هذا من الكلام اللاحق، حيث أضاف " *فماذا إن كان قومًا لم يكونوا أمناء* ".

ولكن إذا كانوا قد أظهروا عدم إيمان، فكيف يَدّعى البعض، أنهم استأمنوا على أقوال الله؟ ماذا يقصد إذًا؟ يقصد أن الله استأمن هؤلاء على هذه الأقوال، وليس أن هؤلاء قد آمنوا بهذه الأقوال. لأنه كيف يمكن تبرير الكلام اللاحق؟ لأنه أضاف:

" فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء أفلعل عدم أمانتهم يُبطل أمانة الله. حاشا " (رو٣:٣).

إذن ما قد استأمنوا عليه هو الذي يُعلن عن إحسانات الله، أرجو أن تُلاحظ رؤية الرسول بولس هنا، حيث إن إدانتهم لا تأتى منه هو، بل من المخالفة (أي مخالفة الناموس). إنه يتحدث كما لو كان يسألك: " هل ستقول وما هو نفع الختان، إن كانوا لم يستخدموه (الختان) كما ينبغى، وإن كانوا استأمنوا على الناموس وأظهروا عدم إيمان "؟ ومع أنه في البداية لم يوجه لهم إدانة قاسية، إلاّ أنه بعد ذلك وجه كل الإدانات لهؤلاء اليهود، فقد أراد أن ينأى بالله عن هذه الإدانات.

ثم لماذا تدينهم بأنهم أظهروا عدم إيمان؟ وأي علاقة تربط بين هذا الموقف وبين الله؟ وهل جحود أولئك الذين نالوا إحسانات من الله، يُبطل إحسان الله

ويجعل الكرامة تُفقَد؟ هذا ما يعنيه بقوله "*أفلعل عدم أمانتهم يُبطل أمانة الله؟*". مثل هذا الفكر يعد أمرًا مُستبعدًا. مثلما لو أن أحد قال أنا أكرمت فلانًا، ولكنه إذا لم يقبل الكرامة، فهذا لا يُشكل إدانة بالنسبة لى، ولا يلاشى محبتى للناس، بل الشيء الوحيد الذي يُبرهن عليه هو عدم تقديره للمحبة وعدم إحساسه بها. لكن الرسول بولس لم يقل هذا فقط، بل قال ما هو أكثر، بمعنى أن عدم أمانتهم هذه ليست فقط لا تُنسب إلى الله، لكنها تظهر عِظم كرامته ومحبته للبشر، عندما يؤكد على أنه يُكرّم ذاك الذي يرغب في أن يزدرى به.

٥ ـ أرأيت كيف جعلهم مسئولين عن تلك المخالفات التي كانوا يفتخرون بها؟ وعلى الرغم من أن الله تعَامَلَ مع هؤلاء بقدر كبير من الكرامة، إلاّ أنهم إزدروا بالذي أكرمهم من خلال نفس الأشياء التي كُرّموا بها، ثم أصبح من الواضح بعد ذلك أن الجميع أظهروا عدم أمانة لأنه قال "*فماذا إن كان قومًا لم يكونوا أمناء*". ولكى لا يبدو أيضًا أنه يوجه لهم إدانة شديدة ويظهر كعدو لهم، يشير إلى الحقيقة الواضحة كرؤية ونتيجة قائلاً:

" ليكن الله صادقا وكل إنسان كاذبًا " (رو٣:٤).

بيد أن الرسول بولس بقوله هذا كان يعني الآتي: أنه لا يقصد أن البعض أظهروا عدم إيمان، بل أن الجميع قد أظهروا في الواقع عدم أمانة. وهو هنا يبرز العمل الحقيقى كنتيجة، لكى يبدو مَرنًا وحتى لا يكون كلامه موضع شك.

لأنه هكذا يتبرر الله بالحقيقة. ماذا تعنى كلمة يتبرر؟ تعنى أننا لو نظرنا بحكمة وفحص إلى الأعمال التي صنعها الله مع اليهود في مقابل أعمالهم أمامه، فلابد أن يتضح عندئذ أن الله صادق وبار تمامًا وبشكل مطلق.

وبعدما أوضح هذا بجلاء ـ من خلال كل ما أورده سابقًا ـ استعرض كلمات النبى التي تتفق مع ما قاله، لأن النبي يقول "*لكى تتبرر في أقوالك وتغلب متى حوكمت*"[158]. أى أن الله قدّم كل ما لديه، ومع ذلك فإن هؤلاء

[158] مز ٥١:٤.

لم يتغيروا إلى الأفضل. ثم بعد ذلك يعرض أيضًا مخالفة أخرى تتضح مما سبق عرضه إذ يقول:

" ولكن إن كان إثمنا يبيّن بر الله فماذا نقول؟ ألعل الله الذي يجلب الغضب ظالم. أتكلم بحسب الإنسان. حاشا فكيف يُدين الله العالم إذ ذاك " (رو٣:٥ـ٦).

بعد ذلك يجد حلاً للأمور التي تبدو متناقضة. ولأن هذا غير واضح، أرى أن هناك احتياج أن أعرض ما قاله الرسول بولس بصورة أكثر وضوحًا كالآتى: ما معنى الكلمات التي قالها؟ معناها أن الله كرّم اليهود، أما هم فقد ازدروا به. وهذا يكشف عن محبته الكبيرة للبشر، وهذا قد ظهر بمنتهى الوضوح، لأنه كرّمهم على الرغم من أنهم ازدروا به . وبناء عليه يقول (أى اليهودى) لقد غلب الله وظهر بره مشرقًا، لأننا ازدرينا به وظلمناه فلأى سبب أُدان إذًا طالما أنا الذي أظهرت صدق الله من خلال الأمور التي احتقرتها؟ كيف يشرح الرسول بولس هذا؟ يشرحه بطريقة أخرى، أى بطريقة غير معتادة . فلو إنك صرت سببًا لاستعلان صدق الله، ثم أُدنت فهذا يُعَد ظلمًا. ولكن لو أن الله ليس بظالم، وأنت في موضع دينونة، فأنت لا تصير أبدًا سببًا لغلبته. وعليك أن تلحظ ورع الرسول بولس، لأنه بعدما قال "*ألعل الله الذي يجلب الغضب ظالم* " أضاف "*أتكلم بحسب الإنسان*"، لأن دينونة الله العادلة تفوق بكثير تلك الأمور التي تبدوا لنا أنها عادلة. ثم كرّر نفس الكلام أيضًا للمرة الثانية لأنه لم يكن واضحًا، وذلك بقوله:

" فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده فلماذا أُدان أنا بعد كخاطئ " (رو٣:٧).

إذن فلو كان الله (كما يقول القديس بولس) هو محبًا للبشر وبارًا وصالحًا، وهذا واضح من خلال إعلان تلك الأمور التي لم توقرها أنت، فلا ينبغى فقط ألا تُدان، بل يجب أيضًا أن تتمتع بالإحسان . ولكن لو أن صدق الله قد ازداد بكذبى، لكان هناك تناقض، لأن هذا يعني أن الأمور الحسنة تأتى من الأمور السيئة. وأن الأمور السيئة هى السبب في ظهور الأمور الحسنة، وهذا ما قاله الكثيرون، فالمهم في رأيهم أن يحدث أحد هذين

الأمرين: إما أن يبدو الله ظالم عندما يُدين، أو أن يغلب بسبب شرورنا، وذلك عندما لا يُعَاقِب، وكلا الأمرين غير معقول . لقد أظهر الرسول بولس نفسه هذا الأمر، مشيرًا إلى المعلّمين اليونانيين المبتدعين، معتبرًا كيف أنه يكفي لإدانة هؤلاء، إظهار نوعية أو صفات أولئك الأشخاص الذين يقولون هذا الكلام. أيتهكمون علينا ويقولون لنفعل السيئات لكى تأتى الخيرات؟ من أجل ذلك فقد ذكر هذا الأمر بوضوح قائلاً الآتى:

" أما كما يُفترى علينا وكما يزعم قوم أننا نقول لنفعل السيئات لكى تأتى الخيرات. الذين دينونتهم عادلة " (٣:٨).

ولأن الرسول بولس قال: "*حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدًا*"[١٥٩] يتهكمون عليه، وبنية خبيثة، يحوّلون كلمته عن مسارها الصحيح، ويقولون إنه ينبغى أن نسعى نحو السيئات، لكى نتمتع بالخيرات. لكن القديس بولس لم يقل هذا. ولذلك فإنه وضّح في موضع آخر ما يقصده، بقوله: "*فماذا نقول أنبقى في الخطية لكى تكثر النعمة. حاشا*"[١٦٠]. وتحدث عن هذا السلوك المشين الذي كان يحدث في الأزمنة السابقة، وهو يذكره لا لكى يجعله عادة، فهذا الفكر يعتبر أمرًا مستبعدًا تمامًا، لأنه أكد فيما بعد بأننا "*نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها*"[١٦١].

٦ ـ يتضح مما سبق أنه كان سهلاً عليه أن يُدين اليونانيين لأن حياتهم بالفعل كانت قد فسدت جدًا. أما بالنسبة لليهود، فعلى الرغم من أن حياتهم كانت تتسم باللامبالاه كما اتضح، لكن كانت لديهم عدة دعائم يستندون إليها وهى: الناموس، والختان، وأن الله كلّمهم، وأنهم معلّمون للجميع. ولذلك فقد جرّدهم من كل هذه الأمور، وقد أفصح بأنهم سيُدانون من جهة هذه الأمور التى ختم بها كلمته هنا. فلو كانوا لا يُدانون، عندما يصنعون كل هذه الأمور المشينة، لكان من الممكن أن يُقال هذا القول المجدّف، أى "*لنفعل السيئات لكى تأتي الخيرات*". ولأن هذا يُعَد جحودًا،

---

[١٥٩] رو٥:٢٠.

[١٦٠] رو٦:١ـ٢.

[١٦١] رو٦:٢.

وأن كل مَن يقول به سيُدان كما سبق وأوضحه قائلاً: " الذين دينونتهم عادلة " فمن الواضح جدًا أنهم سيُدانون. فإذا كان مَن يقول: "*لنفعل السيئات لكى تأتي الخيرات* "، يكون مستحقًا للدينونة، فبالأولى كثيرًا، كل مَن يصنع هذا. وهم قد استحقوا الدينونة لأنهم قد أخطئوا بالفعل. إن الذي يُدين ليس هو مجرد إنسان، حتى يوضع حكمه موضع الشك، ولكنه هو الله الذي يحكم على كل شيء بعدل. فلو أنهم بعدل يُدانون فإنه من العبث أن ينسبوا إلينا هذا القول: "*لنفعل السيئات لكى تأتي الخيرات* "، تلك العبارة التي قالها أولئك الذين يتهكمون علينا. لأن الله خلق كل شيء بعناية كاملة ومازال يخلق لكى يُنير طريقنا ويُصححه من جميع الجوانب. إذن ينبغي ألا نبالي بهذا الكلام، لأننا بهذا سنتمكن من أن نُبعد اليونانيين عن الخداع. ولكن إن كنَّا أتقياء بالكلام فقط، بينما بالعمل أشرار، فكيف سيكون موقفنا أمامهم؟ وبأى لغة سنحدثهم عن المبادئ المستقيمة؟ لأنهم سيقولون لكل واحد منَّا، إذا كنت لم تتمكن من أن تُتمم الأمور الصغيرة، فكيف تكون مستحقًا لأن تُعلّم الأمور الكبيرة؟ أفأنت يا مَن لم تتعلّم بعد أن الجشع يُعد شرًا كيف تُعلّم بالأمور السمائية؟ لكن هل تعرف أن الجشع شر؟ فإن كنت تعرف، فإن الجرم يكون أكبر لأنك مازلت تصر على الجشع على الرغم من معرفتك بأنه يُعَد شرًا . ولماذا أتكلم عن اليوناني؟ السبب هو أن نواميسنا لا تسمح لنا أن نتمتع بهذه الجرأة، عندما تكون حياتنا فاسدة . إذ يقول الله للخاطئ "*وأنت .. ألقيت كلامي خلفك*"[١٦٢].

ذات مرة أُقتيد اليهود إلى السبى، وعندما اضطهدهم الفرس وأُعطُوا الفرصة أن يرنموا الترانيم الإلهية قالوا: " *كيف نُرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة*"[١٦٣].

إذن فلو أنهم قد فقدوا الرغبة في أن يترنّموا بكلام الله في بلد كان يتسم بالسلوك البربري، فبالأولى جدًا ألاّ يُسمح للنفس البربرية أن تترنم

---

[١٦٢] مز ٥٠:١٦.

[١٦٣] مز ١٣٧:٤.

بكلام الله. لأن البربرية هى وصف للنفس المُتقسّية. فلو أن الناموس جعل الذين كانوا أسرى صامتين (لا يترنموا)، وقد صاروا عبيدًا في بلد بربري، فبالأولى كثيرًا وهذا عدل، أن يستد أفواه أولئك الذين هم عبيدًا للخطية، الذين يحيون بطريقة شاذة .

وعلى الرغم من أنهم كانوا يملكون آلات موسيقية آنذاك، لأنه يقول: "*علقنا أعوادنا*"[١٦٤] وذلك على الصفصاف الذي كان يوجد في هذا البلد (فارس)، لكنهم لم يستطيعوا الترنم بالرغم من وجود هذه الآلات الموسيقية. وبناء عليه فنحن أيضًا حتى ولو كان لدينا فمًا ولسانًا ـ وهى أعضاء للكلام ـ لا نستطيع أن نتكلّم بجرأة إذا ما بقينا عبيدًا للخطية، التي تعتبر أكثر قسوة من كل البربر. أخبرني ماذا ستقول لليوناني عندما تكون سارقًا وطماعًا؟ هل ستقول له ابتعد بعيدًا عن عبادة الأوثان، واعرف الله جيدًا ، ولا تقترب من الفضة ومن الذهب؟ فهو إن سمع منك هذا سيبتسم ساخرًا ويقول، قل لنفسك هذه الأمور أولاً؟ لأنه ليس هو نفس الأمر، أن يعبد اليونانى الأوثان، وأن يرتكب المسيحي نفس الخطية.

كيف سنتمكّن أن نُبعد الآخرين عن عبادة الأوثان، دون أن نُبعد أنفسنا نحن عن هذه العبادة؟ لأننا نحن أقرب لنفوسنا منها للقريب. فعندما لا نستطيع أن نُقنع أنفسنا ، كيف سنتمكن من إقناع الآخرين؟ لأن ذاك الذي لا يُدبر بيته حسنًا ، لن يستطيع أن يعتني بالكنيسة. وكيف يمكن لذاك الذي لا يستطيع أن يعتني بنفسه، أن يُصحّح مسيرة الآخرين؟ إذن لا تقل لى أنك لا تسجد لتمثال من ذهب، لكن بَرهن لي على أنك لا تصنع تلك الأمور التي تحركها شهوة الثروة. لأنه بالحقيقة توجد طرق مختلفة لعبادة الأوثان، فهناك واحد يعتبر الثروة ربًا ، وأخر يعتبر البطن إلهًا ، بينما ثالث يدعو شهوة أخرى ـ أكثر رعبًا من باقى الشهوات ـ إلهًا له. مع أنه لا يقدم ذبائح أبقار لهذه الآلهة كما يصنع اليونانيون . لكنك بهذا السلوك أنت تذبح نفسك، وهو الأمر الذي يُعد مفزعًا أكثر من أى شيء آخر. وإن كنت لا تركع ولا

---

[١٦٤] مز ١٣٧: ٢.

تسجد، إلاّ أنك تصنع كل شيء تأمرك به بطنك، وتحركك إليه شهوة الغنى، وتشتعل فيك نار الشهوة، وأنت تفعل كل هذا في خضوع وطاعة. لقد سلك اليونانيون طريق الإنحراف، لأنهم جعلوا الشهوات آلهة لهم، فدعوا الشهوة "أفروذيتى"، والغضب "آرى"، والثمالة "ديونيسيوس"[١٦٥]. ومع أنك لم تصنع لنفسك أوثانًا، كما يصنع اليونانيون، لكنك تخضع برغبة جارفة لنفس الشهوات، جاعلاً أعضاء المسيح أعضاء زنا وأغرقت نفسك في تعدّيات أخرى. لذلك فإنى أترجاكم، طالما أنكم قد فهمتم حجم الخطية وخطورتها، أن تتجنبوا عبادة الأوثان، لأن القديس بولس يطلق على الطمع عبادة الأوثان[١٦٦]. ولكن ليس فقط الطمع في المال هو ما ينبغي تجنبه، بل أيضًا الطمع في شهوة الزنا، وفي اقتناء الملابس، والمأكولات وكل الأمور الأخرى. لأننا سنُدان دينونة عظيمة، إن لم نخضع لناموس الرب. لأن "*العبد الذي يَعلَم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته فيُضرب كثيرًا*"[١٦٧]. إذًا لكى نتجنّب هذا العقاب ولكى نصير نافعين للآخرين، ولأنفسنا ليتنا نقتلع كل شر من نفوسنا، ولنسلك بالفضيلة. لأننا بذلك سنتمتّع بخيرات الدهر الآتي التي نترجاها جميعًا، بالنعمة ومحبة البشر اللواتى لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

---

[١٦٥] ديونيسوس هو إله الخمر، المختص بالعناية بزراعات الكروم وصناعة النبيذ، ورمز القوة المخصبة والمنتجة.

[١٦٦] كو٣:٥.

[١٦٧] لو١٢:٤٧.

العظة الثامنة

" فماذا إذًا أنحن أفضل (كيهود)؟ كلاّ البتة. لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية. كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد. ليس مَن يفهم. ليس مَن يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معًا. ليس مَن يعمل صلاحًا ليس ولا واحد. حنجرتهم قبر مفتوح بألسنتهم قد مكروا. سم الأصلال تحت شفاههم. وفمهم مملوء لعنة ومرارة. أرجلهم سريعة إلى سفك الدم. في طرقهم اغتصاب وسحق وطريق السلام لم يعرفوه. ليس خوف الله قدّام عيونهم "[١٦٨] (رو٣:٩ـ١٨).

١ ـ لقد اشتكى الرسول بولس على كل من اليونانيين، واليهود، فكان متوقعًا أن يتكلّم فيما بعد عن البر الذي يأتي من الإيمان. مادام الناموس الطبيعي لم ينفع، ولا الناموس المكتوب صنع شيئًا أكثر، لكن كلاهما أضرّا بأولئك الذين لم يستخدمونهما كما ينبغي، وأظهروا أنهم مستحقين لدينونة أكبر، إذن كان هناك احتياجًا للخلاص الذي نناله نتيجة النعمة. ولكنه لا يخاطر بالحديث عن النعمة، لأنه ارتاب في شجاعة اليهود، ووجّه كلمته مرة أخرى إليهم ليُدينهم. فاستشهد أولاً بداود الذي قال هذا الكلام بإسهاب وأفاض فيه، الأمر الذي صنعه إشعياء أيضًا ولكن في إيجاز . وهو بهذا قد وضع لجامًا على أفواه هؤلاء اليهود، وذلك حتى لا يضل أحد من المستمعين أو يهجر الفضيلة أو يتشدق بالحديث عنها، مع أنه لا يمارسها، لأنه سيكون قد أهين بالقدر الكافي من خلال الإدانات التي وجهها الأنبياء. لأن هناك ثلاث إدانات قد أوردها النبي في الحقيقة وهي:

١ـ أن الجميع قد فعلوا الشر،

٢ـ وأنهم لم يمزجوا الصلاح بالشرور، لكنهم انشغلوا فقط بالشرور،

٣ـ وقد صنعوا هذا بكل مغالاة. ثم بعد ذلك، ولكي لا يقولوا إن هذه الأمور لا تُقال لآخرين غير اليهود، أضاف الرسول بولس:

---

[١٦٨] انظر مز ١٤: ٣، ٥٣: ٣، ٥: ٩، ١٤٠: ٣، ١٠: ٧، أم١: ١٦، إش٥٩: ٧، مز ٣٥: ١.

" ونحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس فهو يُكلم به الذين في الناموس" (رو٣:١٩).

ولهذا فبعد إشعياء تحديدًا ـ والذي بشهادة الجميع كان يتوجه (بكلامه) لهؤلاء اليهود ـ أضاف كلام داود النبي لكي يُدلّل على أنهما متفقان في ذات الأمر. لأنه يقول ما هى الحاجة لأن يدين النبي آخرين وقد أُرسل من أجل إصلاحنا وتقويمنا؟ لأن الناموس لم يُعط لآخرين، بل أُعطيَ لكم . ولكن لماذا لم يقل الرسول بولس "ونحن نعلم" أن كل ما يقوله النبى، بل قال " كل ما يقوله الناموس"؟ ذلك لأنه قد اعتاد أن يطلق كلمة الناموس على العهد القديم كله. فهو في موضع آخر يقول: " *ألستم تسمعون الناموس فإنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان* "[١٦٩]. وهنا يُسمي المزامير ناموسًا، قائلاً: " *ونحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس فهو يُكلم به الذين في الناموس* ".

بعد ذلك يُبين كيف أن هذه الأمور لم تُقل من أجل الإدانة فقط، بل قيلت لكي يُمهد الناموس الطريق إلى الإيمان أيضًا. إن توافق العهد القديم مع العهد الجديد هو أمر مهم، فقد وُجّهت الإدانات والإنتقادات، لكى يُفتح باب الإيمان ببهاء أمام أولئك الذين يسمعون . أما اليهود فقد ظلّوا وفسدوا، بسبب إفتخارهم الأمر الذي أوضحه فيما بعد قائلاً: "*لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم لم يخضعوا لبر الله*"[١٧٠].

لقد حجَّم الناموس والنبي ـ منذ البداية ـ أفكار اليهود، ووضعا ضوابط لتعاليمهم، حتى أنهم عندما يفهمون خطاياهم، ويهجروا حماقاتهم، ويدركون بأنهم مُعرّضين للخطر، عندئذٍ سيركضون بشوق جارف نحو ذاك الذي يهبهم غفران الخطايا، ويقبلون النعمة من خلال إيمانهم. هذا ما يقصده الرسول بولس هنا بقوله:

" ونحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس فهو يكلم به الذين في الناموس لكى يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله ". هنا يُظهر كيف أنهم مجردين من

[١٦٩] غل٤:٢١ـ٢٢.
[١٧٠] رو١٠:٣.

الأعمال الصالحة الظاهرة، وأنهم يفتخرون بالكلام فقط، وبأسلوب عديم الحياء. ولهذا فقد استخدم الكلمة على سبيل الحصر قائلاً: " **لكى يستد كل فم** " مُظهرًا عدم حياء أولئك الذين يُفاخرون ويتباهون بهذه الطريقة، وبذلك يستد كل فم بالحقيقة. لقد انطلق لسانهم، تمامًا مثل نهر جارف، ولكن النبي قد سده . إلاّ أنه عندما يقول الرسول بولس "*لكى يستد كل فم*" فهو لا يعني أنهم أخطأوا لكي يستد فمهم، ولكنهم بُكّتوا ـ لأنهم أرادوا أن يثبتوا بر أنفسهم ـ حتى لا يتجاهلوا هذا الأمر عندما يصنعون هذه الخطية تحديدًا.

يقول: "يصير كل العالم تحت قصاص من الله " وهو هنا لم يشر إلى اليهودي فقط، بل إلى كل العالم. لكنه عندما يقول "*لكى يستد كل فم* " فهو يقصد اليهود فقط، وإن لم يقل هذا بوضوح، حتى لا يكون قاسيًا في كلامه، بينما " *أن يصير كل العالم تحت قصاص من الله*" فهذا يشمل اليهود واليونانيين معًا.

وهذا ليس أمرًا هينًا لكبح افتخارهم، وذلك عندما لا يكون لديهم ما يُميزهم عن اليونانيين في هذه الحالة، أما في موضوع الخلاص فليس لأحد فضل، إذ قُدم مجانًا. والذي يُدافع عن نفسه ـ هو بصفة خاصة ـ الذي لا يستطيع أن يعتمد على قدراته من أجل الدفاع (عن نفسه)، لكنه يحتاج لمساعدة آخر، مثلما يحدث في كل ما يعنينا، طالما أننا فاقدين لتلك الأمور التي تساهم في خلاصنا.

" لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه لأن بالناموس معرفة الخطية " (رو٣:٢٠).

ومرة أخرى يحذر من الناموس، لكن في حدود، لأن الكلام الذي سبق الإشارة إليه لم يكن لإدانة الناموس، بل كان القصد منه، التركيز على لا مبالاة اليهود . لأنه حاول هنا أن يُظهر كيف أنه (أي الناموس) ضعيفًا جدًا، لأن حديثه كان مُتّجهًا إلى الكلام عن الإيمان. إذن لو أنك تفتخر بالناموس، فإن هذا يخجلك بالأكثر. فالناموس يكشف خطاياك الدنيئة

يقول: " .. *لم أعرف الخطية إلاّ بالناموس... لأن بدون الناموس الخطية ميتة*"[171]. لم يتكلم هنا بقسوة شديدة، لكنه يعود مرة أخرى ليتكلم بلهجة هادئة "*لأن بالناموس معرفة الخطية*"، وعليه فإن العقاب سيكون أكبر، ولكن لليهود. لأن الناموس قد عرّفك بالخطية، بيد أنه يمكنك بعد ذلك أن تتجنبها، وطالما أنك لا تتجنبها، فإنك تجلب على نفسك الدينونة، فالناموس أصبح بالنسبة لك سببًا لدينونة أكبر.

٢ ـ وعندما زاد من الترهيب والتخويف، أضاف تلك الأمور المتعلقة بالنعمة بعد أن جعل غفران الخطايا أمرًا مرغوبًا فيه جدًا، بقوله:

" وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس " (رو٣:٢١).

ما يقوله هنا يعتبر كلامًا عظيمًا، ولكنه يحتاج لدليل قوى. فلو أن أولئك الذين عاشوا تحت وصايا الناموس، ليس فقط لم يتجنبوا الدينونة، بل بالأكثر قد عاشوا في معاناه، فكيف يكون ممكنًا ـ بدون الناموس ـ ليس فقط أن يتجنب المرء الدينونة بل أن يتبرر أيضًا؟ إن الرسول بولس هنا يتحدث عن كل من التبرير، وتحقيق الخيرات بدون ناموس. ولهذا لم يتكلم عن البر فقط، لكنه تكلّم عن "بر الله" مظهرًا، من حيث إستحقاق الشخص، أن العطية أكبر، والوعد أقوى، لأن كل شيء هو ممكن لدى الله. ولم يقل أُعطيَ، بل "**ظهر**" لكى ينزع عن هذا "البر" وصفه بأنه جديد، لأن هذا الذي ظهر، أخذ يظهر باعتبار أن له وجود من قبل، ولكنه لم يكن مُعلنًا.

ليس هذا فقط، بل أن الكلام اللاحق يُظهر أن هذا البر ليس جديدًا. لأنه، بعدما قال: " *ظهر*" أضاف " **مشهودًا له من الناموس والأنبياء**" إذن لا تضطرب، لأنه أُعطيَ الآن، ولا تقلق، كما لو كان هذا البر جديدًا أو غريبًا، لأن الناموس والأنبياء تنبأوا عن أنه يأتي من الله. وقد أوضح كل شيء من خلال هذا الدليل، فعندما تحدث الرسول بولس سابقًا عن إنجيل المسيح، باعتبار أن فيه " مُعلن بر الله"، فقد أشار إلى إبراهيم بقوله: "*البار*

---

[171] رو٧:٧ـ٨.

بالإيمان يحيا"[١٧٢]. أما عن الأمور اللاحقة فإن إبراهيم، وداود، قد سبقا وتكلما عنها. لأنه بالحقيقة كان كلامهما تجاه اليهود بإسهاب، الأول كان بطريركًا ونبيًا، بينما الآخر كان ملكًا ونبيًا، وقد أُعطيت الوعود لهذين الشخصين.

ولهذا فإن القديس متى البشير يبدأ إنجيله بهذين الشخصين أولاً، ثم بعد ذلك يذكر الأجداد. لأنه عندما قال: " *كتاب ميلاد يسوع المسيح* "[١٧٣]، لم يذكر بعد ذلك مباشرةً إبراهيم واسحق ويعقوب معًا، ولكنه ذكر داود مع إبراهيم . والأهم أنه وضع داود قبل إبراهيم، قائلاً: "*أين داود ابن إبراهيم* " ثم بعد ذلك بدأ يذكر اسحق ويعقوب ومن جاءوا بعدهما. لذلك فإن الرسول بولس هنا يذكر هؤلاء ويقول إن: " *بر الله .. مشهودًا له من الناموس والأنبياء* " لكى لا يقول أحد، وكيف نخلص بدون (الناموس والأنبياء) باعتبار أنهما يُساعدان على نوال الخلاص؟ ومع هذا فنحن الذين نساهم كثيرًا في هذا، ولكن بالإيمان. ثم أضاف:

" بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون " (رو٣:٢٢).

وهنا أيضًا ينزعج اليهودي، إذ أنه لا يتميّز بشيء عن الآخرين، فهو مثله مثل سائر البشر الذين في العالم. ولأن الرسول لا يشعر بهذا التميّز فهو يحاصره بالتخويف مرة أخرى، مُضيفًا:

" لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا " (رو٣:٢٣).

لا تقل لي إذًا، إن هذا يوناني، وآخر سكيثي، وغيره من أهل ثراكي، لأن الجميع يرتكبون نفس الخطايا. أما أنت فعلى الرغم من أنك قد أخذت الناموس فإن شيئًا واحدًا تعلّمته من الناموس، هو معرفة الخطية وليس تجنبها، ولكى لا يقولوا بعد ذلك رغم أننا أخطأنا، فلسنا مثل هؤلاء (الأمم)، فقد أضاف " **وأعوزهم مجد الله**". وعليه فلو أنك لم تُخطئ مثل

---

[١٧٢] رو ١٧:١.

[١٧٣] مت ١:١.

الآخرين، فإنه يعوزك "**مجد الله**" بنفس القدر، لأنك واحد من هؤلاء الذين عاندوا الله . إلاّ أن ذاك الذي عاند، ليس من بين أولئك الذين نالوا "المجد"، بل ينتمي لأولئك الجاحدين. وكأن بولس يقول إني قد قلت لكم هذه الأمور، لا لكي أقودكم لليأس، بل لكي أُظهر محبة الله الفائقة للبشر. ولهذا أضاف:

" متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السابقة بإمهال الله " (رو٣:٢٤-٢٥).

لاحظ كيف أنه يُدلّل على ما سبق وأشار إليه.

أولاً: من خلال استحقاق الشخص. لأن الذي يهب البرّ ليس إنسانًا لكنه الله الذي يستطيع كل شيء، فالرسول بولس يصف هذا البر بأنه " *برّ الله* "،

ثانيًا: من خلال شهادة الناموس والأنبياء. إذن لا تخاف عندما تسمع قوله "*بدون الناموس*"، لأن هذا ما يُعلنه الناموس نفسه.

ثالثًا: من خلال الذبائح التي صارت في العهد القديم. ولهذا قال: "*بدمه*"، مُذكّرًا هؤلاء بالخراف والأبقار (الذبائح).

إذن فلو أن الذبائح الحيوانية تمنح غفرانًا للخطايا كما يقول الرسول بولس، فبالأولى كثيرًا جدًا فإن دم المسيح يهب هذا الغفران، وهو لم يقل بالعتق، لكن "بالفداء"، كما لو كان الأمر يتعلق بعدم العودة مرة أخرى لذات العبودية. ولذلك فقد دُعيّ المسيح "**كفارة**"، لكى يُبيّن أنه إذا كان المثال يحمل هذا القدر من القوة، فبالأولى كثيرًا ستُظهر الحقيقة نفس الشيء وأكثر، موضحًا مرة أخرى أن هذا ليس بالأمر الجديد، ولا أنه يُسمع لأول مرة، وهذا يتضّح من قوله: " *قدمه الله*" مظهرًا أن هذا الإنجاز يتعلق "بالآب"، ونفس الأمر يذكره على أنه يتعلّق "بالابن". بالتأكيد الآب قدمه (أى قدّم الابن)، لكن المسيح تمّم كل شيء بدمه.

" **لإظهار برّه**" ماذا يعنى " **إظهار البر**"؟ **إظهار البر مثل إظهار الغنى، وهذا يعنى ألاّ يكون الله وحده هو الغني، بل أن هذا الغنى هو لآخرين أيضًا، لكى يجعلهم أغنياءً، ومثل إظهار الحياة، والذي يعني أنه ليس فقط هو**

الحياة، لكنه أيضًا يُقيم الأموات، ومثل إظهار القوة ﻓ ألاّ يكون ذاك هو القوى وحده، لكنه يجعل الضعفاء أقوياءًا. هكذا فإن إظهار البرّ هو، ألاّ يكون ذاك هو البار فقط، لكنه يجعل أولئك الذين فسدوا بالخطية أبرارًا، على الفور، ولتفسير ذلك أضاف شارحًا معنى الإظهار:

" لأظهار بره في الزمان الحاضر ليكون بار ويبرّر مَن هو من الإيمان بيسوع " (رو٣:٢٦).

٣ ـ لا تَشك إذًا ﻓ أن البر يأتى من الإيمان وليس من الأعمال (أى أعمال الناموس)، ولا تخشى الإقتراب من "بر الله"، فإن صلاحه مضاعف، ولأنه ميسورًا، فإن الجميع يستطيعوا الوصول إليه. ولا تشعر بالعار ولا تخجل، فإذا كان المسيح قد ظهر ليهبك بره، فيمكنك أن تعلن هذا وأن تفتخر وتتباهى، فكيف تتوارى وُتخفي وجهك من هذا الذي به تمجّد سيدك؟ وإذا كان قد سَمَا بالمستمع، بقوله إن هذه الأمور التي حدثت هى لإظهار بر الله، فإنه يحث ـ مرة أخرى من خلال التخويف ـ ذاك الذي يتردّد ويتجنّب الاقتراب، قائلاً: "من أجل الصفح عن الخطايا السالفة" أرأيت كيف أنه يذكّرهم دائمًا بالخطايا؟ لأنه قال سابقًا "*لأن بالناموس معرفة الخطية* " ثم بعد هذا يقول " *الجميع أخطأوا* "، بينما هنا يوضّح الأمر أكثر، لكنه لم يقل من أجل الخطايا، بل " *من أجل الصفح* " بمعنى "الصفح" عنالخطايا التي تقود إلى الموت، لأن رجاء شفاء النفس هو ﻓ الله، تمامًا مثل الجسد المقعد الذي احتاج إلى عون من الله، هكذا أيضًا النفس التي ماتت، والسبب الذي يذكره دائمًا يثير شعورًا بالخوف، هو أن الإدانة ستكون أعظم. وما هى هذه الإدانة؟ هى تلك المرتبطة بالصفح الذي صار بإمهال الله. لأنه يقول لا يمكنكم أن تزعموا أنكم لم تتمتعوا بإمهال الله وصلاحه " ﻓ الزمان الحاضر "، ومرة أخرى يُظهر الإمهال الكثير ومحبه الله الفائقة للبشر . لأنه يقول عندما يئسنا، وكان زمن الدينونة، وازدادت الشرور وتفاقمت، تجلّت قدرة الله عندئذ، لكي تعلم مقدار فيض البرّ الإلهى، وهذا الأمر لم يكن له أن يُثير الدهشة والإعجاب، إن كان قد حدث من البداية، مقارنة بظهوره الآن حيث تأكد الشفاء الكامل (بالنعمة).

" فأين الافتخار. قد انتفى. بأى ناموس. أبناموس الأعمال كلا بل بناموس الإيمان " (رو٣:٢٧).

عظيم هو جهاد الرسول بولس، فقد أراد أن يبرهن على أن الإيمان قد حقق الكثير، وهو ما لم يستطيع الناموس أن يتخيّله أبدًا. إذن بعدما قال إن الله يُبرّر الإنسان من جهة إيمانه، ينشغل مرة أخرى بالناموس، ولم يقل أين هى إنجازات اليهود، أين هى أعمالهم البارة، بل قال " أين الافتخار"، مبينًا في كل موضع أنهم يفتخرون بالكلام فقط، كما لو كانوا يمتلكون شيئًا أكثر من الآخرين، على الرغم من أنهم لم يقدموا أى عمل . وبعدما قال " أين الافتخار"؟ لم يقل اختفى وانتهى، بل قال "انتفى"، الأمر الذي يُبيّن عدم موافقة أو ملائمة الوقت، لأنه لا يوجد زمن بعد. تمامًا مثلما يأتي وقت الدينونة، فإن أولئك الذين يرغبون في التوبة، لن يكون لديهم وقتًا . هكذا أيضًا عندما يصدر الحكم فيما بعد وعندما يتعلّق الأمر بفنائهم جميعًا، ثم يأتي ذاك الذي يُزيل كل هذه الأمور المخيفة بنعمته، فإن أولئك لن يكون لديهم وقتًا للتوبة أو تقديم مبررات وأعذار.

إذن لو كان يحق لهم أن يدّعوا هذا، لكان ينبغي عليهم أن يفعلوا ذلك قبل مجيء المسيح . لكن عندما أتى ذاك الذي يُخلّص بالإيمان، اختفى فيما بعد زمن الإفتخار بالأعمال (أي أعمال الناموس). ولأن الجميع مُدانون (لأنهم زاغوا وفسدوا)، لهذا فقد خلّصهم بالنعمة. ولذلك فقد أتى الآن حتى لا يقولوا إنه كان ممكنًا أن يخلصوا بالناموس وبأتعابهم وإمكانياتهم لو أنه أتى من البداية. مُلجّمًا سفاهاتهم أو عدم حيائهم هذا. وقد انتظر زمنًا طويلاً، حتى بعدما اتضح جليًا من خلال كل الشواهد، أنهم لا يستطيعون أن يساعدوا أنفسهم، أتى في ذلك الزمان لكى يخلّصهم بنعمته. ولهذا بعدما قال سابقًا "لإظهار بره" أضاف " *في الزمان الحاضر*". لكن لو أن البعض يجادلون، فإنهم يشبهون تمامًا شخصًا سقط في زلّات كثيرة ولم يستطع أن يقدم تبرير عما فعل أمام المحكمة، ثم بعدما أُدين وكان ينتظر تنفيذ العقوبة، تُرك حرًا بواسطة عفو ملكى. فإذا تفاخر بعد هذا العفو وقال إنه لم يصنع أي خطأ أو زلة، فسيكون عديم الحياء.

إذن كان من الممكن أن يُستعلن الله الكلمة قبل زمن النعمة، ولكن بعدما أتى، فلا يحق لأحد أن يفتخر . هذا بالضبط ما حدث بالنسبة لليهود. لأن إعتمادهم كان على أنفسهم، ولذلك كانوا مُدانين، وقد أتى كلمة الله لكي يقضي على افتخارهم بحضوره . لأن ذاك الذي يقول إنه معلّم الأطفال ويفتخر بالناموس، ويدعو نفسه مهذب الأغبياء، مثل هذا يكون في احتياج لمعلّم ومُخلّص، وبذلك لا يكون لديه مبرر للافتخار. ومادام الرسول بولس قد بيّن أن الختان قد صار غرلة قبل مجيء المسيح، فبالأولى كثيرًا الآن، لأنه قد أُستُبعدَ من العهدين . وبعدما قال "انتفى" أوضح الوسيلة، وكيف انتفى، يقول "*بأى ناموس. أبناموس الأعمال، كلاّ بل بناموس الإيمان*".

٤ ـ وها هو يدعو الإيمان ناموسًا، حرصًا منه على إختيار الكلمات المعبّرة، حتى يفرحهم بهذا التجديد الواضح . ولكن ما هو ناموس الإيمان؟ هو أن يخلص الإنسان بالنعمة. لاحظ أن القديس بولس يُظهر هنا قوة الله، لأنه ليس فقط قد خلّص، لكنه أيضًا قد برّر، وقاد إلى الإفتخار الحقيقي دون الحاجة إلى أعمال الناموس، بل إلى الإيمان فقط. وهو يقول هذه الأمور، لكي يُعَد اليهودى الذي آمن ليكون متواضعًا، ولكي يُقَوِّمْ ذاك الذي لم يؤمن، بهدف أن يدعوه (للإيمان). وسيكتشف ذاك الذي خَلُص ـ إذا كان يفتخر بالناموس ـ إن الناموس قد أغلق فمه، وأدانه وحرمه من الخلاص، ومنع افتخاره . أما الذي لم يؤمن، فطالما أنه اتضّع عن طريق تلك الأمور، فيمكن أن يُقَاد إلى الإيمان. أرأيت مقدار الغنى الذي للإيمان وكيف أن القديس بولس إجتاز بهم الأمور السابقة (الخاصة بالناموس)، ولم يسمح لهم أن يفتخروا بها.

" إذًا نحسب أن الإنسان يتبرّر بالإيمان بدون أعمال الناموس " (رو٣:٢٨).

وعندما أوضح أن الذين هم من الإيمان هم أسمى من اليهود، تكلّم عن الإيمان بعد ذلك بكل جرأة، مقدمًا الشفاء مرة أخرى لذاك الذي يُثير صخبًا، لأن اليهود كانوا قد انزعجوا من أمرين:

الأول، أنه كان ممكنًا أن يخلص البعض بدون أعمال الناموس، لأن الذين تمموا أعمال الناموس لم يخلصوا.

والثانى، أنه ليس من العدل أن يتمتع غير المختتنين بنفس المزايا مع أولئك الذين عاشوا كل هذا الزمان تحت الناموس، وهذا قد أزعجهم أكثر من الأمر الأول.

وبعدما أوضح هذا، تحدّث بعد ذلك عن ما أثار حنق اليهود، لدرجة أنهم أدانوا القديس بطرس، بسبب كرنيليوس وما حدث معه[١٧٤]. فماذا يقول؟ "*إذًا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس* " لم يقل اليهودى أو ذاك الذي يحيا بوصايا الناموس، لكنه جعل كلمته أكثر اتساعًا، وفتح أمام العالم كله أبواب الخلاص، عندما استخدم تعبير " *الإنسان*" أي ما يخص الطبيعة الإنسانية كلها. ثم إتخذ من ذلك دافعًا ليقضي على الاعتراض الذي لم يُذكَر. بمعنى أنه كان طبيعيًا لليهود الذين سمعوا أن الإيمان يُبرر كل إنسان، أن يحزنوا ويتعثروا، ولذلك أضاف " **أم الله لليهود فقط**" كما لو أنه يقول، لماذا يبدو لك أن خلاص كل إنسان يُعَد أمرًا غير معقول أو غير ملائم؟ هل الله لبعض الناس دون البعض الآخر؟ مبينًا بهذا أنهم يريدون الإساءة إلى الأمم، ويَحجِبون بالأكثر مجد الله، عندما لا يقبلون أن يكون إلهًا للجميع . وإذ أن الله هو إله الجميع، فهو يعتني بالجميع. وعندما يهتم بالجميع بطريقة واحدة فإنه يخلّصهم من قِبل إيمانهم. ولهذا قال:

" أم الله لليهود فقط أليس للأمم أيضًا بَلَى للأمم أيضًا " (رو٣:٢٩).

إن الله ليس لبعض الناس فقط، مثل الذي تُصوّره أساطير اليونانيين، بل إنه واحد للجميع . ولهذا أضاف: " **لأن الله واحد**" أى أن الله بذاته هو لهؤلاء ولأولئك، لكن إن كنت تحدثني عما حدث في الماضى، فإن عناية الله كانت واحدة (تجاه الجميع)، على الرغم من انها إتخذت أسلوبًا متنوعًا. لأن الناموس المكتوب قد أُعطَي، والناموس الطبيعي قد أُعطيَ لأولئك، ولم

[١٧٤] وذلك عندما قَبِل كرنيليوس الإيمان، واستدعى القديس بطرس ليشرح له الرؤيا التي رآها، والحوار الذي دار بينه وبين القديس بطرس، انظر أع١٠:١ــ١١، ١٨.

يكن هؤلاء في وضع أقل (من اليهود) ولو أنهم أرادوا لاستطاعوا أن يصبحوا في وضع أسمى. ولهذا فقد أضاف قاصدًا هذا المعنى تمامًا قائلاً.

" لأن الله واحد الذي سيُبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان" (رو٣:٣٠).

مُذكرًا هؤلاء بالأمور التي قالها سابقًا عن الغرلة والختان، كيف أنه لا يوجد أى اختلاف بينهما، فإذا لم يكن هناك إختلاف آنذاك، فبالأولى كثيرًا الآن، الأمر الذي أظهره بكل وضوح، مبينًا أن كل واحد لديه نفس الاحتياج للإيمان قائلاً:

" أفنبطل الناموس بالإيمان. حاشا بل نُثبّت الناموس " (رو٣:٣١).

أرأيت مثل هذه الرؤية في تعدّد جوانبها وصعوبة وضعها؟ لأن بقوله "نُثبّت"، هو هنا يوضّح كيف أن الناموس لم يعد ساريًا، الآن بل أُلغى. ولاحظ مقدار القوة التي للرسول بولس، وكيف أنه يُبرهن على ما يريد قوله، بهذا القدر من السهولة. لأنه أظهر هنا أن الإيمان ليس فقط لا يُبطل الناموس، بل يساعده بنفس الطريقة التي بها يمهد الناموس الطريق إلى الإيمان . لأنه كما قال سابقًا إن الناموس يشهد للإيمان، فهو يقول: "مشهودًا له من الناموس والأنبياء"، هكذا فإن الإيمان يُثبّت الناموس. وكيف يثبّته؟ وما هو عمل الناموس؟ ولأى سبب سعى الناموس ليتمم كل شيء؟ كانت غاية الناموس تبرير الإنسان، ولكنه لم يستطع أن يحقق هذا. لأنه يقول "الجميع أخطأوا"، لكن عندما أتى الإيمان، حقق (البر)، لأن الإنسان آمن وتبرر في آن واحد وثبّت فيه روح الناموس، وحقق الإيمان كل ما كان يسعى إليه الناموس بكافة الطرق . وعليه، فهو لم يُبطله، لكن كمّله . لقد أظهر هنا ثلاثة أمور:

١ـ إنه من الممكن أن يتبرّر المرء بدون الناموس .

٢ـ إن الناموس لم يستطع أن يحقق ذلك البر .

٣ـ الإيمان لا يحارب الناموس .

ونظرًا لأن اليهود قد أثاروا ـ بصفة خاصة ـ أي أن الإيمان هو ضد

الناموس، فقد أظهر أكثر مما أراد اليهود أن يسمعوه، بقوله إن الإيمان ليس ضد الناموس، بل إنه مساعد ومعين له، الأمر الذي اشتهوا أن يسمعوه .

٥ ـ لأنه بعد هذه النعمة، التي تبرّرنا بها، فإن الأمر يحتاج لأسلوب حياة مناسب، فلنُظهر محاولة تليق بهذه العطية، لتطبيق مثل هذا الأسلوب، ولنعتنى أن نحفظ المحبة التي هى تاج كل الخيرات، وأن نُظهرها ولو بمحاولات كثيرة . لأن المحبة لا تعني الكلام فقط، ولا المحاضرات الكثيرة، ولكنها تكمن في مساعدة الآخر، إذ أنها تَظهر في الأعمال، وعلى سبيل المثال يتجلّى عمل المحبة عندما يقلل أحد من حالات الفقر، أو يُعين المرضى، أو يُبعد الأخطار، أو يقف إلى جوار الذين يواجهون مواقف صعبة، أو يبكي مع الباكين، ويفرح مع الفرحين. وعلى الرغم من أن الفرح مع الفرحين يبدو أمرًا بسيطًا، إلاّ أنه يعد عملاً عظيمًا للغاية، ويحتاج إلى فكر حكيم. فمن الممكن أن نرى كثيرين قد حققوا أمورًا صعبة المنال، ولكنهم لا يستطيعون أن يعيشوا المحبة التي تفرح بفرح الآخرين، لأن الكثيرين يبكون مع الباكين، لكنهم لا يفرحون مع الفرحين، إذ نجدهم يذرفون الدموع عندما يفرح الآخرين، وهذا هو الحسد والحقد.

إذن كون الإنسان يشارك أخاه في فرحه، فهذا ما يُعَد إنجازًا عظيمًا، وهو أكبر ليس فقط من أن يبكى مع الباكين، بل أيضًا من أن يقف إلى جوار أولئك الذين يتعرّضون للمخاطر . لقد خاطر كثيرون مع أولئك الذين تعرضوا للخطر، وعندما ابتهج هؤلاء، تضايقوا هم، هذا هو مرض الحسد ، فعلى الرغم من أن الأول (البكاء) ينتج عنه تعب وحزن، بينما الثانى (الفرح) يأتى نتيجة اختيار وقرار فقط، فإن الكثيرين يحتملون ما هو أصعب ويتركوا ما هو أسهل، فنجدهم يئنوا ويحزنوا جدًا عندما يرون الآخرين يفرحون، وأيضًا عندما يرون أن الكنيسة كلها تنتفع، سواء بالكلمة أو بأى طريقة أخرى. وهل يوجد أسوأ من هذا؟ لأن مثل هذا الإنسان، لا يحارب اخوة فقط، بل يقاوم إرادة الله أيضًا. إذن يجب عليك عندما تدرك هذا، أن توقف هذا المرض (أى الحسد)، وإن لم تستطع أن تقبل قريبك، فعلى الأقل

حاول أن تخلّص نفسك من شرور كثيرة (تنتج عن هذا الحسد).

ولماذا تسمح بالحرب أن تخترق أفكارك؟ لماذا تملأ نفسك بالضجيج؟ لماذا تتسبب في الكوارث؟ لماذا تُثير القلق والإرتباك؟ كيف يمكنك أن تطلب غفرانًا للخطايا عندما تصنع كل هذا؟ فإن كان الله لا يغفر لأولئك الذين لا يغفرون خطايا الآخرين، فكم بالحرى أولئك الذين يحاولون أن يظلموا أُناسًا لم يرتكبوا أى ظلم في حقهم. وأى غفرانًا سينالونه؟[١٧٥] هذا يُعَد برهانًا على ممارسة أسوأ أنواع الشرور. هؤلاء الظالمون إنضموا إلى الشيطان في محاربة الكنيسة، بل ربما بصورة أسوأ بكثير. لأنه من الممكن أن نحترس من الشيطان، لأننا لا نجهل حيله، لكن هؤلاء الأشرار وهم يرتدون قناع المحبة، فإنهم يشعلون النار خفيةً. إن هذا الأمر لا يمكن أبدًا أن يدعو للشفقة، بل هو مثار للسخرية أيضًا. أخبرنى إذًا، لماذا يقفهر وجهك وترتعش وتقف مرتعبًا؟ وما هو الشر الذي حدث؟ هل لأن أخاك قد صار مشهورًا، ممجدًا وناجحًا؟ إن هذا يدعوك أن تتهلل وتفرح وتمجد الله، فإن أحد أعضائك صار مشهورًا ومُمجدًا، إلاّ أنك في الحقيقة تتألم بسبب أن الله قد تمجد في أبنائه.

أرأيت إلى أين تقود هذه الحرب؟ وإن كان أي يهودي يدّعي بأنه لا يتألم لأن الله يتمجّد، لكنه يتألم حين يرى أن الأخ قد تمجَّد. إن مجد الله يُستعلن من خلال مجد الأخ، وبناءًا عليه، فأنت الذي تقود هذه الحرب . ومع هذا تقول إن هذا الأمر لا يضايقني، وما أريده فقط هو أن يتمجد الله من خلالك. كان ينبغي عليك أن تفرح عندما يفرح أخاك، تمامًا كما تفرح عندما يتمجد الله من خلالك، عندئذ سيقول الجميع مبارك الله الذي لديه مثل هؤلاء الخدام المتحررين من كل حسد، والفرحين بكل الأمور الحسنة التي تسود فيما بينهم. ولماذا أتكلّم عن الأخ؟ لأنه لو كان الذي تمجّد الله من خلاله خصمًا وعدوًا، فينبغي عليك لأجل هذا السبب أن تجعله صديقًا لك، ولكنك تجعل الصديق عدوًا، لأن الله قد تمجد بتقدمه ونجاحه . فلو أن

---

[١٧٥] ولذلك نصلى في الصلاة الربانية، ونقول " اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا".

شخصًا ما قد ساهم في شفاء جسدك المتألم فسوف تعتبره فيما بعد من أصدقائك المقرّبين، حتى ولو كان عدوًا، بينما ذاك الذي يُزين جسد المسيح، أى الكنيسة، وهو صديق لك، فأنت تعتبره عدوًا . وهل توجد طريقة أخرى أسوأ من ذلك تُحارب بها المسيح؟ ولهذا فحتى لو صنع المرء معجزات، أو سلك طريق البتولية أو مارس الصوم أو النوم على الأرض، ووصل بفضيلته إلى مستوى الملائكة، لكنه يحمل هذا العيب (أى الحسد) سيعتبره الجميع مريضًا، وأشّر جدًا من الزاني، والعاهر، والسارق، ونابش القبور.

٦ - ولكى لا يتهمني أحد بالمبالغة في القول، فسوف أسألكم، لو أن شخصًا ما أخذ نارًا وأدوات هدم، وقام بهدم وحرق هذه الكنيسة ودمر هذا المذبح، ألا يرميه كل أحد من الموجودين هنا بحجر كدنس ومُدان؟ ماذا إذًا، لو أحضر شخص، هذا اللهب المشتعل جدًا، أي الحسد، والذي لا يهدم فقط مبنى مشيدًا بالحجارة، ويُدمر مذبحًا من الذهب، بل يهدم ما هو أثمن وأقيم بكثير من الحوائط ومن المذبح، يدمر البناء الروحى الذي أقامه المعلّمين، فأى غفرانًا يمكن أن يناله؟ ولا يقل لى أحد، إنه حاول مرات كثيرة أن يتخلّص من هذا الداء (أى الحسد) ولم ينجح، لأن كل الأمور يُحكم عليها من جهة الإرادة. لأن شاول أُعتبر أنه قتل داود، على الرغم من أنه لم يتمكن من ذلك.

أخبرني، هل لا تعلم أنك تتآمر على خراف المسيح، تحارب الراعى والخراف التي بذل المسيح دمه من أجلها وأوصانا أن نجوز الآلام وأن نعمل بكل اجتهاد من أجلها؟ ألا تتذكر أن سيدك طلب من الآب مجدًا لك ولم يطلب لنفسه، بينما أنت لا تطلب مجد الرب، بل مجدك الذاتي، على الرغم من أنه لو طلبت مجد الرب، فستنال عندئذٍ مجدك الشخصي. أمّا إن طلبت المجد الذاتي قبل مجد الرب، فلن تتمتع أبدًا بهذا المجد. فما هو طريق الشفاء إذًا؟ نصلي معًا ونرفع جميعًا صوتًا واحدًا من أجل هؤلاء كما لو كانوا مرضى، لأنه هؤلاء بالحقيقة قد سلكوا بشكل أكثر سوءًا من الذين سلكوا بشهوة جامحة. لأن هذا المرض (الحسد) يحتاج صلوات وتضرعات

كثيرة، فالذي لا يُحب أخاه، لن يحقق-أي شيء، حتى لو أنفق أموالا كثيرة، وحتى لو أُفرز للشهادة. تأمل حجم العقوبة التي يمكن أن ينالها الذي يُحارب أخاه دون أن يكون ذاك قد ظلمه أبدًا، إنه يُعَد أسوأ من الوثنيين.

إذن لو أننا نحب أولئك الذين يحبوننا، فلن نتميّز عنهم بشيء . أخبرني أين سيقف ذاك الذي يحسد أولئك الذين يحبونه، عندما يمثل أمام الله يوم الدينونة العتيدة؟ لأن الحسد يُعتبر حقًا أشر من الحرب، لأن العداوة بين المتحاربين تزول بزوال أسباب الحروب، بينما الحاسد لا يمكن أن يصير صديقًا لآخر . والأول (أى المحارب) يُعلن عن معركته بينما الثانى (أى الحاسد) يُخفيها، الأول يستطيع أن يذكر في مرات كثيرة مبررات شن الحروب، بينما الثانى لا دوافع لديه سوى الحماقة والرغبة الشيطانية. إذن بأى شيء يستطيع المرء أن يقارن هذه النفس؟ بأى شيء فاسد؟ بأي وسيلة دفاع؟ بأي حشرة؟ بأي دويبة؟ لأنه لا يوجد شيئًا يُثير الإشمئزاز أكثر من هذه النفس. لأن مرض الحسد يقود بالحقيقة إلى فوضى في الكنائس، وقد ولّد الخطايا، ووضع سلاحًا في يد الأخ، وجعل اليد اليمنى ترتوى بدم البار، دمر نواميس الطبيعة، فتح أبواب الموت، وقد تسبب في اللعنة[١٧٦]، ولم يترك قايين البائس أن يتذكر آلام الوضع، ولا حالة الوالدين وحزنهم على فراق ابنهما، ولا أى شيء آخر، لكن هذه اللعنة جعلته مشتّتًا، وقادته إلى هذا الجنون، وبرغم من تحذير الله، الذي سبق فقال له " *عند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها*"[١٧٧]، إلا أنه لم يتراجع . فالشفاء من هذا المرض (أى الحسد)، يعد أمرًا صعبًا، حتى ولو أُعطيَ المريض أدوية كثيرة، الحسد يُفجر الفساد (أي فساد الحاسد).

إذن لماذا تتألم وتقود نفسك إختياريًا لأن تُصبح أكثر بؤسًا من الجميع؟ هل لأن الله تمجّد؟ إن هذا الأمر يكشف عن سيادة الشيطان على النفس. هل لأن أخاك صار أفضل منك؟ إنك تستطيع أيضًا أن تتفوق عليه وتصير

---

[١٧٦] عندما قال الله لقايين "ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك" (تك٤: ١١).

[١٧٧] تك٤: ٧.

أفضل . وبناء على ذلك، فلو أردت أن تفوز ينبغي ألا تذبح وألا تقتل، بل يجب أن تتركه ليحيا لكى يبقى لديك دافعًا للجهاد، وتنتصر الحياة، لأنه بذلك سيكون تاجك منيرًا. لكنك بهذا الفعل تكون قد هُزمت شر هزيمة، بل وأعلنت قرارك بالهزيمة. لكن لأى سبب تحب المجد بهذا القدر مع أنك ستبقى وحيدًا؟ إن قايين وهابيل هما فقط اللذان كانا يعيشان في هذه الأرض. لكن ولا هذا أيضًا قد جعل قايين يضبط مشاعره، بل أفرغ نفسه من كل صلاح، وأخذ موقفًا وقتل أخاه بتحريض من الشيطان، لأن الشيطان كان بالفعل هو القائد آنذاك، إذ لم يكن كافيًا للشيطان أن الإنسان قد صار فانيًا، لكنه حاول أيضًا أن يجعل الكارثة أكبر، عن طريق القتل، فأقنع قايين بأن يقتل أخاه . لأن ذاك الذي لا يشبع مطلقًا من ممارستنا للشرور، قد تَعجّل وكان مُتلهفًا أن يرى قرار القتل وقد تحقق، تمامًا مثل شخص، رأى عدوه محبوسًا، وأن حكمًا بالاعدام قد صدر ضده، فيكون متعجلاً لرؤية تنفيذ حكم الاعدام داخل المدينة قبل أن يخرج منها، ولا ينتظر الوقت المحدد لتنفيذ الحكم، هكذا صنع الشيطان آنذاك، فعلى الرغم من أنه قد سمع أن الإنسان سيعود إلى الأرض[١٧٨] إلاّ أنه كان مُتلهفًا أن يرى المزيد، أن يموت الابن قبل الأب، والأخ يقتل أخاه، وبأسلوب بشع وعنيف.

٧ ـ أرأيت حجم أو كم الخدمات التي يُقدمها الحاسد للشيطان؟ وكيف أنه أشبع رغباته التي لا تَشبع، إذ قدّم له مائدة غنية على قدر ما يشتهي، ليتنا نتجنب هذا المرض . لأنه بالحقيقة من غير الممكن أن نتجنب تلك النار التي أُعدت للشيطان وأعوانه، إن لم نتخلّص من هذا المرض (أي الحسد)، لكننا سوف نتخلّص منه لو أدركنا أن المسيح قد أحبنا وأعطانا وصية أن نُحب بعضنا بعضًا. وكيف أحبنا؟ لقد أحبنا حين سفك دمه الكريم لأجلنا، على الرغم من أننا كنا أعداءًا، وصنعنا شرورًا كثيرة.

---

[١٧٨] عندما قال الله لآدم " ملعونة الأرض بسببك.. بعرق وجهك تأكل خبزًا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها " (تك٣:١٧، ١٩).

فلتصنع أنت نفس الأمر تجاه أخاك، لأن المسيح أمرنا قائلاً: " *وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم*"[١٧٩]. أو من الأفضل أن نقول إن الأمر يتجاوز مجرد محبتنا بعضنا لبعض، لأن المسيح فعل هذا لأجل أعدائه. ومع هذا فأنت لا تريد أن تبذل نفسك لأجل أخاك. لكن لماذا إذًا تسفك دمه مخالفًا الوصية؟ فما صنعه المسيح، لم يصنعه كدين عليه، لكن أنت عندما تفعل ذلك، فأنت تُسدد دينك. لأن ذاك أيضًا الذي أخذ عشرة آلاف وزنة، وطالب بالمائة دينار من العبد المديون، لم يُدان فقط من أجل هذا، أي لأنه طالب بما له، ولكن لأنه لم يصر أفضل، لا بفعل الاحسان، ولا أنه صنع كما صنع سيده معه في البداية، ولا أعاد الدين. لأن هذا الدين مُلقى على عاتق العبد وعليه أن يسدده[١٨٠]. إن كل ما نفعله، نفعله لكي نُسدد دينًا. ولأجل هذا قال المسيح: "*متى فعلتم كل ما أُمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون. لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا*"[١٨١]، حتى عندما نُظهر محبة، أو نُعطى أموالاً للمحتاجين، فإننا في الحقيقة نسدد دينًا، ليس فقط لأن ذاك قد بدأ بالإحسان، لكن لأننا نُعطي مما له، هذا لو حدث مرةً وأعطينا.

لماذا إذًا تحرم نفسك من تلك الأمور التي بها يريد الله أن يجعلك سيدًا؟ طالما أنه لأجل هذا أوصاك أن تقدّم محبة للآخر، لكي تحصل عليها أنت أيضًا . لأن كل ما تقتنيه لنفسك فقط لن تتملكه، ولكنه سيكون لك عندما تُعطي للآخر. ترى، هل هناك ما هو مساويًا أو مشابهًا لهذه المحبة؟ إن المسيح سفك دمه لأجل الأعداء، بينما نحن لا نُعطى أموالاً حتى لأجل خيرنا. ذاك سفك دمه بينما نحن لا نُعطي ولا حتى الأموال التي ليست لنا. ذاك أعطى أولاً، لكننا لم نقدّم أي شيء بعد ذلك. وبرغم أن ذاك قدّم نفسه لأجل خلاصنا، إلاّ أننا لم نفعل أي شيء، حتى وإن كان لأجل منفعتنا. فما قدّمناه لا يتعدى مجرد أعمال الرحمة الإنسانية، رغم أن كل الأشياء ستؤول

[١٧٩] يو١٣:٣٤.

[١٨٠] انظر مت١٨:٢٣ـ٣٥.

[١٨١] لو١٧:١٠.

في النهاية لنا . ولهذا فقد أُعطانا وصية المحبة، حتى تكون لنا هذه المحبة.

تمامًا كما لو أن شخصًا أعطي مالاً لطفل صغير وأمره أن يمسك به جيدًا، أو أعطاه لخادم لكى يحفظه، حتى لا يستطيع مَن يطمع فيه أن يخطفه، هذا بالضبط ما صنعه الله. وأنت أيضًا إعطي لَمن له إحتياج، لكي لا يأتي آخر ويسلبه منك، مثل السارق أو الشيطان . إن الموت سيخطفه في نهاية الأمر، لذلك حتى وإن احتفظت بهذه الأموال، فلن تحتفظ بها في أمان. ولكنك إذا قدمتها إلى الله، من خلال عطائك للفقراء، فإنه سوف يحفظها لك في أمان، وسوف يردها لك وبوفرة وفي الوقت المناسب، لأن الله لا يأخذها لكي ينزعها منك، بل لكي يزيدها، ولكي يحفظها في أمان أكثر، لكي يحفظها لذلك الزمان الذي يختفي فيه مَن يُقرض أو مَن يقدم عمل رحمة للآخرين.

إذن بعد كل هذه الوعود هل هناك مَن هم أكثر قسوة منَّا، عندما نرفض أن نُعطي لله أو أن نقرضه؟ ما ينبغي إدراكه أننا سوف نذهب إلى الله مجردين من كل شيء، بل وفقراء دون أن نحتفظ بشيء مما قد استأمنا هو عليه، لأننا لم نودعه عند ذاك الذي يستطيع أن يحفظه بأمانة أكثر من الجميع. ولهذا فإننا سنُعَاقَب أشد عقاب. ماذا نستطيع أن نقول إذًا عندما سُندان بسبب تقصيرنا في العطاء. وأى تبرير سنُقدم؟ ولأى سبب لم نُعطِ؟ ألا تثق بأنك سوف تأخذ ما قدّمته مرةً أخرى؟ وكيف يمكن أن يكون لهذا مُبرر؟ لأن الله أعطى بسخاء لذاك الذي لم يعطِ شيئًا، فكيف لا يعطي الإنسان أكثر بكثير بعدما أخذ مجانًا؟ وهل الأخذ دون عطاء يسبب لك فرحًا؟ لأجل هذا ينبغي عليك أن تعطي بوفرة، فإن هذه العطايا ستجعلك تفرح أكثر في الحياة الأخرى، هناك حيث لا يستطيع أحد أن ينزعها منك، ولكن إن احتفظت بها لنفسك الآن، فإنك ستعاني شرورًا كثيرة. ومثلما يفعل الكلب الذي يريد أن يخطف قطعة خبز من يد طفل وهو ممسك بها، هكذا يفعل الشيطان في هجومه على الأغنياء.

فلنعطي هذه الأموال لله، وعندما يرى الشيطان هذا العطاء، فإنه

سينسحب بكل تأكيد، وعندما ينسحب، فإن الله وقتها سيعطيك كل ما قدّمت، وسيُعوضك في حياة الدهر الآتى عن هذا العطاء أضعافًا، حيث لا يستطيع الشيطان أن يُسبب أى إزعاج . فالأغنياء الآن لا يختلفون على الإطلاق عن الأطفال الذين ينزعجون من بعض الكلاب عندما تعوى جميعها حولهم، والشياطين أيضًا تحاول أن تفترس البشر بإستعبادهم للشهوة، وبالنهم، وبالسكر، وبالنفاق، وبالفجور. وعندما تكون هناك حاجة لكي نُقرض، فإننا ندقق في أولئك الذين أعطوا كثيرًا، ونفحص جيدًا فاعلى الإحسان (حتى نرى حجم العطاء)، نحن هنا نصنع بعكس ما يفعله الله، فالله الذي يُحسن بفيض، والذي يعطى ليس فقط مائة، لكن مائة ضعف، نتركه، ونسعى نحو أولئك الذين لن يردوا حتى أصل المال.

٨ ـ ودعني أتساءل: ماذا يَفضُل عنَّا بعد الأكل بشراهة؟ فضلات ورائحة نتنة. أو دعني أقول ما هو المجد الباطل؟ بغضة وفساد. وماذا عن البخل؟ إهتمام زائد بالمال ومحبة كبيرة له. وماذا عن الفجور؟ جهنم وحشرات ضارة، لأن المديونيين للأغنياء هم الذين يدفعون الفوائد التي لأصل المال، أى الشرور الحاضرة، والكوارث المنتظرة (التي سيجنيها الأغنياء). أخبرني إذًا، هل ستُقرض هؤلاء وتُربح كل هذه العقوبات ولا تعطى بثقة كل هذه للمسيح (أي للفقراء والمحتاجين) الذي يَعِد بملكوت السموات وبالحياة الأبدية وبالخيرات التي لا تُوصف؟ وإذا لم نُقدم لمَن هم في إحتياج فأي تبرير سنُعطي؟ ولأي سبب لا نعطي كل ما نملك للمسيح الذي سيعطيك حتمًا، وسيعطيك بوفرة؟ هل لأنه يعطي بعد زمن طويل أي في الدهر الآتي، على الرغم من أنه من المؤكد، أنه يعطينا خيرات أيضًا في هذه الحياة، فالذي قال: " *اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم*"[١٨٢]، لا يكذب. هل رأيتم محبة أكثر من هذه؟ إذ أن الأمور المختصة بملكوت الله محفوظة لك ولن تنقص، أما الأمور الأرضية، فهو يعطيها لك على كل حال وبوفرة.

وفوق كل هذا، فإنك ستربح بعد حين، غنى أوفر، لأن الربح وقتها

---

[١٨٢] مت٦:٣٣.

سيصير أعظم . هذا ما يفعله المقرضون تجاه المقترضين، طالما أنهم يُقرضون برغبة قوية لأولئك الذين يسدّدون بعد زمن طويل، لأن ذاك الذي يرد الدين يُعتق على الفور من دفع الفوائد، لكن ذاك الذي يحتفظ بالمبلغ لزمن أطول، فإنه يعمل به لفترة أكبر (ويقدم عنه فائدة أكثر)، علينا ألاّ نحزن إذا تأجل دفع الدين، بل ويجب أن نبرره حتى لو طالت فترة التأجيل. أما بالنسبة لله فيجب أن لا نسلك بصغر نفس ونتردد فنُصاب بالحيرة والخوف بالرغم من أنه - كما سبق وأشرنا - يُقدم عطايا وفيرة في هذه الحياة، وأيضًا يدّخر لك شيئًا أكبر وأعظم في الحياة الأخرى لأن مقدار وجمال العطايا التي يهبها الله في حياة الدهر الآتى، يفوق تفاهة الحياة الحاضرة. وبكل تأكيد أننا لا نستطيع أن نقبل تلك التيجان الخالدة في هذا الجسد الفانى، وأيضًا لا يمكننا أن نتمتع بهذا الميراث الثابت غير المتغيّر في هذه الحياة الحاضرة المليئة بالقلاقل والاضطرابات، والتي تسودها تغييرات كثيرة.

وعليك أن تفكر لو أن شخصًا ما كان مديونًا لك بأموال، وأنت متغرب في بلد أجنبي، وتعهّد برد هذا الدين، ولم يكن لديك خَدَم ولا تستطيع أن تحمل هذه الأموال إلى بيتك، فإنك ستترجاه بإلحاح ألاّ يدفعها لك في بلد غريب، بل تُفضّل أن يسدّدها لك في وطنك، ومع أنك تفعل هذا في أموالك، إلاّ أنك فيما يختص بالأمور الروحية والخيرات الغير الظاهرة، تطلب أن تأخذها هنا في هذه الحياة الحاضرة. هل يوجد دليل على الحماقة أكثر من هذا؟ لأنك إذا حصلت عليها هنا في هذه الحياة فستأخذها بكل تأكيد، ولكنها ستنتهي، أما إذا انتظرت حياة الدهر الآتي فسيعوضك الله بالخيرات التي لا تفنى. لو أخذت هنا فإنك تأخذ معدنًا ثقيلاً لا ثمن له، أما إذا أخذت هناك فإنك تأخذ ذهبًا نقيًا. ومع هذا لن يحرمك الله من الأمور الأرضية - لأنه مع الوعد بملكوت الله - أضاف أمرًا آخر، قائلاً إن مَن يشتهي ملكوت الله وبره، سيأخذ مائة ضعف في هذه الحياة، وسيرث الحياة الأبدية.

ولكن لو أننا لم نأخذ مائة ضعف في هذه الحياة، فالسبب يرجع لنا لأننا لم نُعطِ لله الذي يستطيع أن يُعطينا بغنى . لأن أولئك الذين أعطوا، قد

أخذوا الكثير، على الرغم من أنهم أعطوا القليل. أخبرني ما هو الشيء العظيم والثمين الذي أعطاه القديس بطرس، ألم يعطي شبكة ممزقة، وسنارة، وحربة؟ لكن الله فتح أمامه كل بيوت المسكونة، وجال الأرض والبحر، ودعاه الجميع في بيوتهم. والشيء الرائع أنهم باعوا ممتلكاتهم وأحضروها تحت أقدامه، دون أن يضعوها في يده (لأنهم لم يجرؤوا على هذا) ناسبين إليه السخاء والإكرام . وقد يقول قائل إن ذاك كان بطرس. لكن هل هذا يعني شيئًا بالنسبة لك؟ إن الله لم يَعِد بطرس فقط بملكوت الله، ولم يقل أنت يا بطرس ستأخذ مائة ضعف، بل قال " *وكل مَن ترك بيوتًا أو اخوة أو اخوات .. يأخذ مائة ضعف*"[١٨٣] لأنه لا يحابي الوجوه، بل إن وعوده هى للجميع.

ربما يقول قائل إن لديه أولادًا كثيرين، ويتمنى أن يتركهم أغنياء. وتقول له لماذا تريد أن تجعلهم فقراءًا (أي بهذا السلوك الخالي من المحبة)؟ إذا تركت لهم كل شيء، فإنك تُعطي كل مالك وأنت ترجو لهم الأمان. لكنه أمان غير مؤكد. أما عندما تنجح في أن تجعل الله وريثًا معهم، ووصيًا عليهم تكون قد تركت لهم كنوزًا لا حد لها. مثلما يحدث عندما يريد أحد أن ينال منا، فإذا ما دافعنا عن أنفسنا فإن الله لا يُعيننا، ولكن عندما نترك لله الأمر كله، فستصير النهاية أفضل مما نتوقع. وهذا ما يحدث بالنسبة للمال، لو أننا اهتممنا به، فإنه سينسحب ولن يعتني به، أما إذا وضعنا كل شيء تحت عناية الله، فهذا المال، والأولاد أيضًا سيحفظهم هو في أمان كامل. ولماذا تندهش لو أن هذا يحدث في حالة تعاملنا مع الله؟ فبالنسبة للبشر يستطيع المرء أن يرى مثل هذا الأمر. لأنه إن لم تترجى أحد أقربائك في أيام حياتك الأخيرة، لكى يعتني بأولادك، فلن يقوم بهذا العمل من تلقاء نفسه، بل يخجل ويتردد كثيرًا في تعهد هذا الأمر، ولكنك إذا وضعت رجاءك في الله لكي يتعهدهم بالرعاية، باعتبار أنك تُكرّمه بأعظم ما تكون الكرامة، فإنه سيعوّضك بأعظم مجازاة.

---

[١٨٣] رو ١٠:٣٧.

٩ ـ إذن إذا أردت أن تترك غنى وافرًا لأولادك، اتركهم للعناية الإلهية. فالله قد خلق النفس والجسد ومنح الحياة دون أن تُقَدِم أنت أي شيء. لذلك عندما يرى أنك تظهر نُبلاً، وتُسلّم له كل ما يتعلق بالأولاد، بل تُسلّم الأولاد أنفسهم، فكيف لا يغدق عليهم بكل الغنى؟ فإيليا قد أكل الفطيرة التي أعدتها له المرأة بقليل من الدقيق، وعندما رأى الله أنها فضلّته على ابنها، فإنه ملأ غرفة الأرملة بأجران دقيق وبراميل زيت[١٨٤]، وعندما تتأمل في مقدار اللطف الذي أظهره إله إيليا، فإنه لا ينبغي أن نهتم بحجم الغنى الذي نتركه لأبنائنا، بل نعتنى بالأحرى أن نترك لهم الفضائل. لأنه لو وضع الأولاد ثقتهم في الغنى والمال، فلن يعتنوا بأي شيء آخر، وسيحاولون أن يحجبوا صفاتهم السيئة بواسطة أموالهم الكثيرة. ولكن إذا رأوا أن عزاءهم لا يتحقق بواسطة الغنى، فسيفعلون كل شيء، حتى أنهم سينالون عزاءً بالفضيلة، وحتى في حالة الفقر والاحتياج.

إذن اهتم بأن تترك لهم الفضيلة على أن تترك لهم الأموال، لأنه بالحقيقة هو دليل على الغباء الشديد، عندما نحرم الأبناء السيادة على كل ما لنا أثناء حياتنا، بينما عندما نموت، نمنحهم حرية أوسع على الرغم من أنه عندما نكون أحياءًا، ستكون لدينا الفرصة أن نحمّلهم بمسئوليات، وأن نُهذبهم ونضبطهم عندما يسيئون استخدام الأمور المادية. لكن عندما نموت فإن غيابنا، بالإضافة إلى إندفاع الشباب، يُعطى الفرصة للتسلط الذي يأتي من المال، وبهذا ندفعهم إلى الحزن والشقاء وإلى انحدار شديد، بل ونضع نارًا فوق نار، ونلقي بزيت فوق سعير النار المخيف. وبناء عليه فإذا أردت أن تترك لهم غنى وأمنًا حقيقيًا، اتركهم في عناية الله التي تنفعهم، وسلّم إلى الله كل ما لهؤلاء الأبناء، لأنهم لو أخذوا هذه الأموال فلن يُميّزوا إلى مَن سيعطونها وسيقعون ضحية لكثيرين من الفاسدين والجاحدين. ولكن إذا سبق أقرضت هذه الأموال لله، فسيبقى الكنز مُحصنًا فيما بعد، وسوف تسترده مرة أخرى بصورة سهلة جدًا. لأن الله يُسّر للغاية، عندما يمنحنا

[١٨٤] ١مل١٧: ٧ـ١٦.

أكثر مما قدمنا، وينظر إلى قارضيه بفرح كبير، أكثر من أولئك الذين لم يقرضوه، وينظر إلى دائنيه نظرة محبة وتقدير.

وبناء عليه، فإذا أردت أن يكون الله رفيقًا لك على الدوام، ينبغي أن تجعله مدينًا بالكثير. رغم أن المقرض لا يفرح هكذا عندما يكون لديه مدينين، كما يفرح المسيح عندما يكون لديه مُقرضين، وهؤلاء الذين لا يدين لهم بشيء، يتجنبهم، بينما أولئك الذين يدين لهم، فإنه يركض نحوهم بشكل خاص . إذن فلنفعل كل شيء لكي نجعله مدينًا لنا. لأن هذا الوقت هو وقت للإقراض، والآن هو في حالة احتياج (وهو يقصد هنا كل من له إحتياج). ولو لم تعطه الآن، فلن يحتاج لك بعد موتك. لأنه هنا هو عطشان، هو جوعان، وهو عطشان لأجل خلاصك. ولهذا صار طالبًا للصدقة، وصار يتجول عريانًا، وهو يُعِد لك حياة أبدية. لا ينبغي إذًا أن تزدري به، لأنه لا يريد أن يُميت بل أن يقوت، لا يريد أن يلبس، لكن أن يُلبس الآخرين ويصنع لك ذلك الزي الذهبي، والرداء الملوكي.

ألا ترى الأطباء المجتهدين هم أنفسهم يغتسلون عندما يصنعون حمامًا للمرضى، وإن كانوا ليسوا في حاجة لهذا؟ هكذا يصنع المسيح، يفعل كل شيء من أجلك أنت أيها المريض . لذلك فلكي يعطيك المجازاه، لا يطلبك بالإجبار، لكي تعلم أنه يبحث عنك، لا لأنه في احتياج لك، بل لكي يُسدد احتياجك أنت. يأتي إليك باسطًا يده اليمنى بتواضع شديد . وحتى لو أعطيته فلسًا واحدًا، فلن يردك، وحتى لو ازدريت به فلن يبتعد عنك، لكنه سيقترب منك مرة أخرى . لأنه يشتهي خلاصنا جدًا.

إذن فلنحتقر المال، لكي لا يتركنا المسيح، لنحتقر المال، لكي نفوز بهذا المال. لأننا لو تمسكنا بهذا المال هنا في هذه الحياة، فسوف نخسره في هذه الحياة، وفي الدهر الآتى أيضًا. ولكننا إن وزعناه بكل سخاء وكرم، فسنتمتع بغنى وفير في هذه الحياة وفي حياة الدهر الآتى.

فذاك الذي يريد أن يصير غنيًا، فليصر فقيرًا، لكى يصير غنيًا، لينفق (على الفقراء)، لكي يجمع (هبات وعطايا من الله)، ليهب الآخرين، لكي يحصل (على غنى سمائى). لكن لو أن هذه الأمور تُعَد جديدة وغريبة عليك،

فلتلاحظ الفلاح الذي يزرع، وفكّر أن هذا الفلاح لن يجمع (حصادًا) بطريقة اخرى، إن لم ينثر ما لديه، وإن لم يُلقي البذور الجاهزة في الأرض . لنبذر نحن أيضًا ، ونزرع للسماء، لكى نحصد بوفرة ونحصل على الخيرات الأبدية بالنعمة ومحبة البشر اللواتى لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة، الان وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

+++++++

الأصحاح الرابع

الاصحاح الرابع

العظة التاسعة

١ـ " فماذا نقول إن أبانا إبراهيم قد وجد حسب الجسد " (رو٤:١).

بعدما قال إن العالم صار تحت دينونة الله، وأن الجميع أخطأوا وأنه لا يمكن أن نخلص إلاّ عن طريق الإيمان، حاول بعد ذلك أن يُبرهن على أن الخلاص ليس سببًا يدعو للخجل، بل على العكس هو سبب لمجد عظيم، هذا المجد هو أعظم من المجد الذي يأتى بسبب الأعمال. ولأن الخلاص الذي يصاحبه خجل يعكس جبن وخوف، فإن الرسول بولس يُبطل هذه الريبة فيما بعد. على الرغم من أنه ألمح إلى ذلك، متكلمًا ليس فقط عن الخلاص، بل عن البر قائلاً "*لأن فيه مُعلن بر الله*"[١٨٥]. فذاك الذي يخلص هكذا، يخلص لأنه بار (بالإيمان) وبشكل علني. ولم يكتفِ بالإشارة إلى تعبير البر فقط، لكنه ذكر أن هذا البر معلن. والله أعلنه للممجّدين وللمتبررين وللعظماء. لكنه قد برهن على أن هذا البر هو للأحباء أيضًا، مكملاً حديثه بالتساؤلات، الأمر الذي تعود أن يفعله، وهذا يظهر في وضوح وجرأة كلامه. هذا ما فعله سابقًا بقوله: " *إذًا ما هو فضل اليهودي؟*"[١٨٦]، وأيضًا " *فماذا إذًا أنحن أفضل؟*"[١٨٧]، وقوله "*أين الافتخار قد انتفى؟*"[١٨٨]. وهنا يقول "*فماذا نقول إن أبانا إبراهيم..*"؟ والحقيقة أن اليهود كانوا يصوبوا تفكيرهم في إتجاه خاص، وهو إبراهيم، أب الآباء وخليل الله، قد اختتن أولاً، ولذلك فقد أراد الرسول بولس أن يُبرهن لهم أن إبراهيم قد تبرر بالإيمان وليس بالأعمال، وهذا يعد انتصارًا عظيمًا. وليس هذا فقط بل ويفتخر بهذا، لأنه أمرًا غير طبيعى بالنسبة لليهودي أن يتبرر بالإيمان، وهذا ما يستحق الإعجاب، الأمر الذي يُظهر بشكل خاص قوة الإيمان. ولهذا فقد تكلّم عن بر الإيمان، متجنبًا الحديث في أي أمور أخرى. ودعى إبراهيم أبًا حسب الجسد، لكى يحرم اليهود من القرابة الحقيقية له، ولكي يُمهد للأمم طريق القرابة له . ثم

---

[١٨٥] رو١:١٧.

[١٨٦] رو٣:١.

[١٨٧] رو٣:٩.

[١٨٨] رو٣:٢٧.

بعد ذلك يقول:

" لأنه إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر ولكن ليس لدى الله" (رو٤:٢).

إذن بعدما قال إن الله يُبرر اليهودي والأممي بالإيمان، وبعد أن برهن ـ بالإشارة إلى ما سبق ـ على هذه الأمور بشكل مُقنع، فإنه يُظهر نفس الأمر مع إبراهيم، ولكن بدرجة أكبر مما وُعد به، وقد جاهد إبراهيم بالإيمان مقابل الأعمال، وناضل من أجل البر. ولهذا فقد امتدحه الرسول بولس جداً داعيًا إياه " أبانا "، ويدعو هؤلاء اليهود إلى الإقتداء به في كل شيء . ولذلك لا تحدثني عن اليهودي، ولا تذكر لى فلانًا أو غيره لأننى سأتجاوز كل شيء وأعود إلى حيث بدأ الختان. *"لأنه إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر ولكن ليس لدى الله"*. هذا الكلام غير واضح، وبناء عليه، فهناك إحتياج لأن أشرحه أكثر. لأن هناك افتخاران واحد بالأعمال والآخر بالإيمان. مادام قد قال: " *إن كان قد تبرر بالأعمال فله فخر. لكن ليس لدى الله*"، وهكذا فإنه يوضح أن هناك افتخار يأتى من الإيمان، وأن هذا الافتخار أفضل بكثير من الافتخار بالأعمال.

لقد ظهرت قدرة الرسول بولس العظيمة في هذا الأمر على وجه الخصوص، إذ حوَّل الأمر كله في اتجاه يخالف المألوف. وإن كان للخلاص عن طريق الأعمال من افتخار وجرأة، فقد أوضح كيف أن هذا يتعلق بالأكثر بالإيمان. لأن ذاك الذي يفتخر بالأعمال يمكن أن يُشير إلى أتعابه، وأما ذاك الذي يفتخر بإيمانه بالله، فيكون لديه دافعًا قويًا للافتخار، لأنه ينسب المجد لله . فتلك الأمور (الخاصة ببر الإيمان) والتي لم تظهرها له طبيعة الأشياء المرئية، هذه الأمور طالما قد قبلها من خلال إيمانه بقدرة الله، فإنه يكون قد أظهر محبة حقيقية لله، وأعلن عن قوته بصورة مضيئة.

هذا الإيمان هو سمة لنفس تتصف بالشجاعة، ونية تتسم بالحكمة، وفكر ناضج. لأن الامتناع عن السرقة أو القتل يمكن أن يحققه الناس العاديون، أما الإيمان بأن الله قادر على كل شيء، فإن هذا يحتاج إلى نفس

تقية وإلى تكريس هذه النفس بالكامل لله. لأن هذا يُعَد دليلاً على المحبة الحقيقية. والمؤكد أن الله يُكرّم ذاك الذي يحفظ وصاياه، بيد أنه يُكرّم بالأكثر ذاك الذي بالإيمان يسلك بحكمة ووقار. لأن الأول يخضع لله، أما الآخر فهو الذي يكتسب الرؤية الصحيحة التي ينبغي أن تكون عن الله، وينسب المجد لله من أجل أعماله العظيمة. إذن فالافتخار بالأعمال يخص ذاك الذي يُنجز عملاً، أما الافتخار بالإيمان فيعني تمجيد الله، وأن يُنسب إليه كل شيء . لأننا نفتخر بكل ما من شأنه أن يُعلِن عن عظمة الله ومجده.

ولهذا فإن الذي يفتخر بالإيمان يكون لديه سببًا للافتخار أمام الله، وليس هذا فقط، بل هناك سببًا آخر يجعله يفتخر، فالمؤمن يفتخر أيضًا ليس فقط لأنه أحب الله بالحقيقة، بل لأنه نال منه كرامة ومحبة كبيرة . فكما أنه أحب الله وفكّر من جهته في أمور عظيمة (وهذا دليل محبة)، هكذا فإن الله قد أحبه، على الرغم من مسئوليته عن تلك الخطايا العديدة التي ارتكبها، والله لم يخلّصه من العقاب فقط، بل برّره أيضًا. إذًا فلديه سبب لأن يفتخر، لأنه صار مستحقًا لمحبة الله الغنية.

" لأنه ماذا يقول الكتاب؟ فآمن إبراهيم بالله فحسب له برًا. وأما الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين " (رو٤:٣ـ٤).

إذن هل الذي يعمل يُعَد أعظم؟ لا على الإطلاق. لأن البر يُحسب للإنسان من حيث إنه آمن بالله. إلاّ أن هذا الإيمان لا يُحسب له برًا إذا لم يقدم شيئًا.

٢ ـ إن الله يُكرم ذلك الإنسان أيضًا، ولكن لا من أجل أمور تافهة، بل لأجل أمور عظيمة وهامة. ولأنه أعلن عن رؤية مستنيرة، وفكر روحي متميّز، فإنه لم يتحدث فقط عن ذاك الذي يؤمن، بل قال:

" وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فإيمانه يُحسب له برًا " (رو٤:٥).

تأمل كم هو عظيم أن يؤمن المرء بأن الله قادر ليس فقط على أن يُخلّص من العقاب ذاك الذي يعيش في الفجور ـ وبصورة مفاجئة ـ لكنه قادر أيضًا أن يبرره وأن يحكم بأنه مُستحق لكرامة الحياة الأبدية. لا تظن ـ كما يبدو

لك ـ أن الأجرة تأتى على سبيل العمل وليست على سبيل النعمة، وأن ذاك الذي يحيا في الخطية ويؤمن بالذي يُبرر الفاجر، هو أقل من الذي يعمل. ولأجل هذا تحديدًا فإن الإيمان هو الذي يجعل المؤمن مُشرقًا، وأن تمتعه بهذا القدر الكبير من النعمة يرجع إلى أنه أظهر مثل هذا الإيمان. وانتبه، فإن مكافأة هذا الإيمان ستكون أعظم، لأن الذي يعمل ستُعطى له مكافأة، أما الذي يؤمن سينال البر. **لكن يجب أن نعلم أن البر هو أعظم بكثير من المكافأة، لأن البر هو التعويض الذي يشمل مكافآت كثيرة.**

إذن بعدما أظهر حقيقة البر الذي بالإيمان، بدايةً من إبراهيم، أشار بعد ذلك إلى داود الذي تذوق كل ما سبق الإشارة إليه. ماذا قال داود، ومَن هو الإنسان الذي يُطوّبه؟ هل هو الإنسان الذي يفتخر بالأعمال، أم ذاك الذي تمتع بالنعمة، ونال الغفران والعطية؟ وعندما أتكلم عن الطوبى أو السعادة، فإننى أقصد تاج كل الخيرات. لأنه كما أن البر هو أعظم من الأجر، هكذا فإن الغبطة أعظم من البر. وبعدما أظهر عظمة البر، ليس فقط من حيث إن إبراهيم قد ناله، بل لأن البر أعظم من الأفكار (أي تلك التي تعتمد على العمل الذاتى). لأنه كما يقول الرسول بولس إن العمل قد يدعو للفخر " ولكن ليس لدى الله "، أيضًا يُقدم البر على أنه أكثر أهمية، لكن بطرق أخرى، مشيرًا إلى داود الذي تذوقه قائلاً:

" كما يقول داود أيضًا في تطويب الإنسان الذي يحسب له الله برًا بدون أعمال طوبى للذين غُفرت آثامهم وسُترت خطاياهم طوبى للرجل الذي لا يحسب له الرب خطية "[189] (رو٤: ٦-٨).

من الواضح أنه لم يُشر إلى شهادة مقبولة، لأنه لم يقل طوبى لمن حُسب له إيمانه برًا. وهو يفعل هذا لا عن جهل، ولكن لكي يظهر عظمة الامتياز. فإن كانت الطوبى تُنسب للإنسان الذي نال غفرانًا بالنعمة، فبالأولى جدًا، ستكون الطوبى لذاك الذي تبرّر، وذاك الذي أظهر إيمانًا. وحيثما يوجد تطويب يختفي كل خجل وتظهر عظمة المجد الإلهي. لأن الطوبى أسمى من

---

[189] مز ٣٢: ١.

الأجر ومن المجد، فما يُعد ميزة لذاك الذي يعمل، يذكره دون إشارة إلى الكتاب قائلاً: "*أما الذي يعمل فلا تُحسب له الأجرة على سبيل نعمة...*" أما من جهة تميّز المؤمن، فإنه يُظهرها (أي الطوبى) مستشهدًا بالكتاب قائلاً على فم داود: " طوبى للذي غُفر اثمه وسُترت خطيته ". ولهذا يتساءل لماذا تظن أنك أخذت الغفران على سبيل دين وليس على سبيل نعمة؟ إذن فالذي يؤمن، هو ذاك الذي يُطوَّب، ولم يكن الرسول ليُطوِب داود، لو لم يرى كيف أنه يتمتع بمجد عظيم، ولم يقل إن هذا الغفران يتعلق باليهودي. فلنرى ماذا قال:

" أفهذا التطويب هو على الختان فقط أم على الغرلة أيضًا "؟ (رو٤:٩).

ها هو يفحص لمن يكون هذا التطويب، أهو لليهودي أم للأممي .

انتبه إلى هذا الامتياز. لأنه يُظهر أن هذه الطوبى لا تتجاوز الأممي، بل إنها تأتي إليه قبل اليهودي. لأن ذاك الذي يطوبه داود، كان أيضًا مُختتنًا، وكان يتحدث إلى مختونين. لاحظ كيف حاول الرسول بولس أن يوجه حديثه إلى الأممي، فبعدما ربط البر بالطوبى في وحدة واحدة معًا، وبعدما أظهر كيف أن الاثنين كانا واحد، يشرح كيف تبرّر إبراهيم، لأنه إذا كان التطويب يتعلق بالبار، وقد تبرّر إبراهيم، إذ يقول " لأننا نقول إنه حسب لإبراهيم الإيمان برًا"، فلنرى كيف تبرّر...

يقول: " فكيف حسب أو هو في الختان أم في الغرلة " (رو٤:١٠).

يقول: إنه قد تبرر بالإيمان لكن "*ليس في الختان بل في الغرلة*" ولهذا سبق فقال عنه " *ولأننا نقول إنه حسب لإبراهيم الإيمان برًا* " . هذا ما سبق وذكره الكتاب عنه حينما قال " *فآمن إبراهيم بالله فحُسب له برًا* "، ولأن الرسول بولس يميّز هنا بين المختون والأغرل، فقد بيّن كيف أن البر قد صار للأغرل.

ثم بعد ذلك يقدم حلاً للتباين الذي نتج عن كل ما سبق عرضه. ويتساءل إن كان إبراهيم قد تبرر عندما كان أغرل، فلماذا أشار إلى الختان؟ قائلاً:

" وأخذ علامة الختان ختمًا لبر الإيمان الذي كان في الغرلة " (رو٤:١١).

أرأيت كيف أظهر الرسول بولس هؤلاء اليهود، مثل الطفيليين؟ وكيف

أن غير المختتنين قد وصلوا إلى نفس مكانة اليهود؟ لأنه إذا كان إبراهيم قد تبرر وتوّج عندما كان أغرل، ثم بعد ذلك اختتن، وبعد ذلك قَبِل اليهود الختان، فيكون إبراهيم أولاً أبًا للذين كانوا في الغرلة، وهؤلاء هم أقرب له بسبب الإيمان، ثم صار بعد ذلك أبًا للختان، إذن فهو أب مزدوج . أرأيت كيف أنه يعطي أهمية عظيمة للإيمان؟ لأن إبراهيم لم يتبرر قبل أن يؤمن . أرأيت كيف أن الغرلة لا تعوق التبرير مطلقًا؟ لأنه كان أغرل ولم يعوقه هذا عن نوال البر. وبناء عليه فالإيمان يسبق الختان .

٣ ـ ولماذا تشك في حقيقة أن الختان يأتي بعد الإيمان، طالما أنه يأتي بعد الغرلة؟ وهو ليس فقط بعد الإيمان، بل أنه أدنى بكثير من الإيمان، بمقدار ما يكون الرمز أقل من العلامة الأصلية التي أُخذ منها، على سبيل المثال هو أدنى، بقدر ما يكون الختم الذي يحمل صورة جندى أدنى من الجندى نفسه.

ولكن لماذا احتاج إبراهيم إلى ختم؟ إنه لم يكن في احتياج لختم (الختان). فلأى سبب قَبِله؟ لقد قَبِله " **ليكون أبًا لجميع الذين يؤمنون**"، ليس فقط للذين ليسوا من الختان، بل ليكون أبًا للختان أيضًا. ولهذا أضاف: " ***لجميع الذين يؤمنون وهم في الغرلة كي يُحسب لهم أيضًا البر***". إذًا فلو كان أبًا للذين هم في الغرلة ـ ليس لكونه أغرل ـ على الرغم من أنه تبرر عندما كان في الغرلة، بل لأنهم سلكوا في خطوات إيمان إبراهيم، وبالأولى جدًا لا يعتبر أبًا للذين هم في الختان ـ بسبب الختان ـ بل بسبب الإيمان فقط . وقد أخذ الختان، حتى يكون أبًا لكلاهما (للختان وللغرلة)، وأيضًا حتى لا يحتقر الذين هم في الغرلة أولئك الذين هم في الختان.

أرأيت كيف كان أولاً أبًا لأولئك الذين هم في الغرلة؟ وطالما أن الختان هو أمر هام ـ لأنه يُخبر عن البر ـ فإن الغرلة لها قيمة عظيمة، إذ أنها تعلن عن البر الذي يسبق الختان. عندئذٍ يُمكنك أن تقول بأن إبراهيم هو أب لك، عندما تقتفى خطوات إيمانه، ودون أن تتشاجر أو تثور عندما تتكلم عن الناموس. أخبرنى أى إيمان هذا الذي يجب أن تتبعه؟ الإيمان " الذي كان وهو في الغرلة"

" وأبًا للختان للذين ليسوا من الختان فقط بل أيضًا يسلكون في خطوات إيمان أبينا إبراهيم الذي كان وهو في الغرلة " (رو٤:١٢).

ومرة أخرى يضبط ويُحجّم افتخار اليهود، مُذكّرًا إياهم بزمن البر. وحسنًا قال: " يسلكون في خطوات "، وذلك لكى تؤمن بقيامة الأموات على شبه إيمان (الذي آمن بالمواعيد وحيّاها من بعيد). لأن إبراهيم من جهة هذا الأمر، أظهر إيمانًا. وبناء على ذلك فإن كنت ترفض الغرلة فلتعلم جيدًا، أنك لن تحصد أي مكسب، ولا حتى من الختان. إذًا فإن لم تتبع خطوات الإيمان، فلن تكون ابنًا لإبراهيم، وحتى لو أختتنت آلاف المرات، إذ أنه أخذ الختان ختمًا لبر الإيمان، لكي لا يرفضك الأغرل. إذًا لا تطلب من الأغرل أن يختتن، لأن هذا الأمر (أي الختان) قد صار لك عونًا، وليس للأغرل.

بيد أن الرسول بولس يقول إن الختان هو علامة للبر. وهذا قد صار من أجلك، إلاّ أنه (أي الختان) قد انتفى الآن ولم يعد له وجود. لأنه في ذلك الزمان كنت تحتاج لعلامة جسدية، لكن الآن لا يوجد أي احتياج لذلك. فهل كان ممكنًا من جهة الإيمان أن نتعرف على فضيلة ما في نفسه؟ من المؤكد أن هذا كان ممكنًا، لكنك كُنتَ بحاجة لمثل هذه الإضافة (أي الإيمان). ولأنك لم تتذوق الفضيلة، ولم تستطع أن تحياها، فقد أُعطي لك الختان الجسدى، حتى عندما تمارس هذا الختان الجسدى، تُقَاد خطوة خطوة نحو الحكمة، وطالما أنك تستطيع أن تقتنيها بمحاولات كثيرة ـ كأمر له أهمية كبيرة ـ فلتتعلّم أن تسير في خطوات إبراهيم. وهذا لم يفعله الله بالنسبة للختان، بل بالنسبة لكل الأمور الأخرى، مثل الذبائح، والسبوت، والاحتفالات . إذًا فقد أخذ إبراهيم الختان لأجلك، واسمع ماذا يقول؟ لأنه بعدما قال، أخذ علامة، وختمًا، أضاف السبب وراء ذلك قائلاً: " *لكى يصير أبًا للختان* " أبًا لأولئك الذين يقبلون الختان الروحى، لأنه لو أخذت الختان الجسدى فقط، فلن تنتفع بأي شيء آخر أكثر من هذا.

لذلك فإن الختان كان آنذاك بمثابة علامة، وذلك في الوقت الذي كانت هذه العلامة تتمم فيه كرمز لأمر واضح بالنسبة لك، وهو الإيمان . وهكذا فإن لم يكن لديك إيمان فإن هذه العلامة ستفقد قيمتها ومعناها، لأنه لأي

شيء سترمز تلك العلامة، وهذا الختم، إن لم يوجد الإيمان الذي يُختم لأجله؟ كما لو كنت قد أريتنا حافظة عليها ختم، ولكنها لا تحتوى على أي شيء داخلها. ولذلك فالختان سيكون مدعاة للسخرية، عندما لا يلازمه الإيمان. لأنه لو كان الختان علامة للبر، فلن يكون لديك برًا ولا علامة. ولهذا السبب تحديدًا قد وُضِعت علامة (الختان)، لكي تطلب بإلحاح، الأمر الذي لأجله وُضعِت هذه العلامة، (وهو الإيمان). لأنه لو أن الأمر يتعلق بطلب الإيمان، دون العلامة، فلن تحتاج للعلامة. لكن الختان لا يُعلّم عن البر فقط، بل يُعلّم أيضًا بأنه ليس هناك حاجة للختان وللناموس:

" فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثا للعالم بل ببر الإيمان لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد " (رو١٣:٤ـ١٤).

لقد أظهر أن الإيمان هو ضرورة، وأنه سابق على الختان، وأنه أقوى من الناموس، وهو يثبّت الناموس. إذًا فطالما أن الجميع أخطأوا، فالإيمان هو ضرورة. ومادام إبراهيم قد تبرّر وهو في الغرلة، فالإيمان أسبق، وطالما أنه قد بات واضحًا من خلال الناموس أن الإيمان هو الأقوى، وطالما أن الناموس يؤكده، وهو يثبّت الناموس، فلا يوجد تعارض، بل تآلف وتعاون. وقد بيَّن الرسول بولس في موضع آخر، أنه من غير الممكن أن نصير ورثة بالناموس، وأيضًا يقارن بين الإيمان والناموس، قائلاً: "*لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطل الإيمان* ". ولكى لا يقول أحد أنه من الممكن أن يكون لديه إيمانًا، وأن يحفظ الناموس في الوقت نفسه، فقد أكد على استحالة تحقيق هذا الأمر. ولهذا قال: " *فقد تعطل الإيمان* " بمعنى أنه إذا حدث ذلك فإنه لا حاجة للخلاص كنعمة، ولا يمكن أن تُستعلن قوة الإيمان، وحينئذٍ يبطل الوعد. ربما يستطيع اليهودي أن يقول ما حاجتي للإيمان؟ باعتبار أنه يحفظ الناموس، إلاّ أنه إذا تعطل الإيمان فحتمًا سيبطل الوعد.

٤ ـ لاحظ أن الرسول بولس يُقاومهم، وهو يرجع إلى البداية أي إلى زمن إبراهيم. وإذ أظهر أن البر مرتبط بالإيمان منذ ذلك الحين، فهو بهذا يوضح أن الوعد مرتبط (بالإيمان) بنفس الطريقة. لكي لا يقول اليهودي: وماذا

يعنيني إن كان إبراهيم قد تبرر بالإيمان؟ يقول الرسول بولس لكن الوعد بالميراث ـ وهو الأمر الذي يهمك ـ لا يمكن أن يتحقق بدون الإيمان، وهذا الأمر يُسبب قلقًا وخوفًا كبيرًا لليهود. لكن عن أي وعد يتكلم؟ الوعد بأن يصير ذاك وارثًا للعالم، وأن بواسطته سيتبارك الجميع . وكيف بطل هذا الوعد؟ يقول الرسول بولس:

" لأن الناموس ينشئ غضبًا إذ حيث ليس ناموس ليس أيضًا تعدّ" (رو٤:١٥).

فإذا كان الناموس ينشئ غضبًا، ويجعل الناس مسئولين عن المخالفات التي يرتكبونها، فمن الواضح جدًا أنه جاء للّعنة. لذلك فإن أولئك المخالفون الذين استحقوا اللعنة والعقاب، ليسوا مستحقين أن يصيروا ورثة، بل أن يُدانوا وأن يُستبعدوا من الميراث. ماذا حدث إذًا؟ الذي حدث هو أن الإيمان أتى بالنعمة، لكي يتحقق الوعد. لأنه حيث توجد النعمة يوجد غفران، وحيث يوجد غفران، لا توجد أى إدانة. وعندما تبطل الإدانة ثم يأتى بعد ذلك البر الذي بالإيمان، عندئذٍ لا يوجد أي شيء يمكن أن يُعيقنا عن أن نصير ورثة للوعد الذي يأتي بواسطة الإيمان. لذلك يقول الرسول بولس:

" لهذا هو من الإيمان كى يكون على سبيل النعمة ليكون الوعد وطيدًا لجميع النسل ليس لمَن هو من الناموس فقط بل أيضًا لمَن هو من إيمان إبراهيم الذي هو أب لجميعنا " (رو٤:١٦).

أرأيت كيف أن الإيمان لا يُدّعم الناموس. وليس هذا فقط، بل ولا يُكذّب وعود الله، بل على العكس فإن الناموس يُبطل الإيمان، وذلك عندما يُحَفظ في وقت غير مناسب فيبطل الوعد؟ إن هذا كله يُظهر كيف أن الإيمان هو أمر هام وضروري جدًا، حتى أنه لا يمكن أن نخلص بدونه. فمن المؤكد أن الناموس يُنشيء غضبًا، طالما أن الجميع خالفوه، بينما الإيمان لا يترك مجالاً ليسود فيه الغضب، لأن الرسول بولس يقول: "*إذ حيث ليس ناموس ليس أيضًا تعد*".

أرأيت كيف أنه لم يتحدث عن محو أو إزالة الخطية (عن طريق الناموس)، وليس هذا فقط، بل ولم يترك مجالاً للحديث عن أن الوعد

يمكن أن يكون نتيجة العمل بالناموس؟ ولهذا قال "*على سبيل النعمة*". لكن لماذا قال على سبيل النعمة؟ قال هذا لا لكي نخجل، بل "***ليكون الوعد وطيدًا لجميع النسل***". وهنا يشير الرسول بولس إلى الخيرات، حيث إن الوعد بالخيرات هو أمر مؤكد، وأن هذه الخيرات ستُعطى لجميع النسل، وتشمل أولئك الذين يأتون من الأمم، ويُدلّل على أن اليهود سيكونوا خارج هذه الوعود إذا قاوموا الإيمان، لأن هذا الوعد هو أكثر ضمانًا من الناموس. فلا تحتج أو تُعارض من جهة أهمية الإيمان لتحقيق الوعد، لأن الإيمان لا يسبب لك ضررًا، بل على العكس عندما تتعرض لخطر من الناموس، فإن الإيمان ينقذك ويحفظك من هذا الخطر. لأنه قال بعد ذلك: "***لجميع النسل***"، وهو يُحدد إلى أى نسل: "***لَمن هو من إيمان إبراهيم***"، مشيرًا إلى القرابة التي صارت للأمم، ومبينًا أنه لا أحد يستطيع أن يفتخر بإيمان إبراهيم إلاّ الذين يسلكون في خطوات إيمان إبراهيم. وها هو أمر ثالث قد صنعه الإيمان، أي جعل القرابة إلى إبراهيم البار أكثر تأكيدًا، وجعله أبًا لنسل كثير. ولهذا لم يقل فقط " إبراهيم " ولكن " أبو المؤمنين، أى أنه أبًا لجميعنا ". ثم بعد ذلك يؤكد على ما سبق وقاله، من خلال شهادة كتابية قائلاً:

" كما هو مكتوب إنى قد جعلتك أبًا لأمم كثيرة "[190] (رو٤:١٧).

أرأيت كيف تم إعداد كل هذا منذ البداية بواسطة العناية الإلهية؟ ماذا لو أن كل ذلك قد قاله للإسماعيليين أو لعماليق أو للهاجريين؟ هذا الإيمان ظل يظهره بكل وضوح، بمعنى أن الإيمان لم يُقدّم لهؤلاء، لكنه تعجّل أولاً أن ينتقل لأمر آخر أظهر به نفس الشيء من خلاله هذه القرابة، وقد أظهر ذلك برؤية ثاقبة. ماذا قال إذًا؟ قال: "*أمام الله الذي آمن به*". وما يقوله يعنى الآتي:

تمامًا كما أن الله ليس هو إله للبعض فقط، لكنه أب للجميع، فهكذا إبراهيم أيضًا. وكما أن الله ليس هو أبًا، وفقًا للقرابة الطبيعية (البشرية)، لكنه أب وفقًا للقرابة التي بالإيمان، هكذا إبراهيم أيضًا، لأن خضوعه لله

[190] تك١٧:٥.

(بالإيمان)، جعله أبًا لجميعنا.

ولأن اليهود اعتبروا أن قرابة الإيمان ليست لها أهمية، طالما أن لهم صلة القرابة الطبيعية (بإبراهيم)، فقد أظهر الرسول بولس أن القرابة بالإيمان هى أكثر أهمية، حيث إنه يتكلّم عن عطية الله، بالإضافة إلى ذلك فقد أوضح أن إبراهيم قد نال المكافأة بسبب الإيمان . وبناء على ذلك فإن لم يكن هناك إيمان، فحتى لو كان إبراهيم أبًا لجميع البشر في كل الأرض، فإن عبارة "أمام الله" ليس لها أهمية، بل وتكون عطية الله قد انقطعت، لأن كلمة "أمام" تعني أن الجميع متساوون أمامه، إذ أنه (لا يُحابي أحدًا). أخبرني ما هو العجيب في أن يكون إبراهيم أبًا لكل مَن ينحدر منه؟ لأن هذا ما يتعلق بكل البشر، فكل إنسان له أصل ينحدر منه. إذًا فالعجيب هو أن كل مَن لم ينحدر منه بحسب القرابة الطبيعية، قد صار قريبًا له بواسطة نعمة الله.

٥ ـ ولذلك، فلو أردت أن تعرف كيف كُرِّم إبراهيم، فاعلم أن هذا قد حدث بسبب إيمانه، لأنه آمن بأنه سيكون أبًا للجميع. وعندما ذكر عبارة: " *أمام الله الذي آمن به* " لم يتوقف عند هذا الحد، بل أضاف: "***الذي يُحيى الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة***"، مُشيرًا إلى القيامة العتيدة أن تحدث. وفي هذه الحالة كان الأمر مفيدًا له. لأنه طالما أن في إمكان الله أن يُعطي حياة للموتى، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة، بهذا يصير من الممكن أيضًا أن يجعل لإبراهيم أولادًا لم يولدوا من صلبه. ولهذا لم يقل الذي أحضر للوجود الأشياء غير الموجودة، ولكن " الذي يدعو " فيوضح مدى السهولة التي يخلق بها الله الأشياء. فكما أنه من السهل بالنسبة لنا أن نُشكّل الأشياء الموجودة، هكذا فإنه من السهل بالنسبة لله، بل وأكثر سهولة، أن يعطى كيانًا للأشياء غير الموجودة. لكن بعدما قال أن عطية الله عظيمة ولا يُعبّر عنها، وبعدما تحدث عن قوة الله، بيَّن كيف أن إيمان إبراهيم جعله مستحقًا للعطية، لكي لا تتصور أن إبراهيم قد كُرّم بدون سبب . وبعدما حث المستمع ألا يُثير قلقًا، ولكى لا يشك اليهودي ويقول كيف يكون أن الذين ليسوا هم أولاده، يصيروا أولاده، ينتقل بحديثه

مرة أخرى إلى إبراهيم، ويقول:

" فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكى يصير أبًا لأمم كثيرة كما قيل هكذا يكون نسلك " (رو٤: ١٨).

كيف وهو على خلاف الرجاء قد آمن على الرجاء؟ هذا يعنى: أنه آمن على خلاف الرجاء الإنسانى، إذ أنه وضع رجائه في الله. هنا يُبيّن عظمة هذا الأمر ولا يترك مجالاً للشك في هذا الكلام، فالأمر يحمل تناقضًا (بمعنى أن الذين ليسوا أولادًا قد صاروا أولادًا) إلاّ أنه قد وحّدهم معًا بالإيمان . لكنه لو تكلّم عن نسل إسرائيل، لكان هذا الحديث أمرًا زائدًا. لأن هؤلاء اليهود كانوا أولادًا لا بالإيمان بل بالطبيعة.

ثم يشير إلى اسحق وكيف كان إبراهيم متشككًا في إمكانية إنجابه من امرأة عاقر، وليس من جهة أنه سيصير أبًا لأمم كثيرة. إذًا هى مكافأة أن يصير أبًا لأمم كثيرة، وواضح كيف صار أبًا لأمم كثيرة، إذ آمن لأجلهم، وهذا ما يوضحه الكلام الآتي:

" وإذ لم يكن ضعيفًا في الإيمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتا إذ كان ابن نحو مئة سنة ولا مُماتية مستودع سارة " (رو٤: ١٩).

أرأيت كيف يذكر العوائق ورغبة البار (أي إبراهيم) الشديدة في أن يتغلّب على كل شيء؟ فهو قد نال الوعد على خلاف الرجاء، وكان هذا أول عائق. لأن إبراهيم لم يستطع أن يرى مثالاً آخر أى شخص قد أنجب ولدًا بهذه الطريقة. فالذين أتوا بعد إبراهيم قد رأوا تحقيق هذا الأمر في شخص إبراهيم، بينما هو نفسه لم يرى هذا في أي شخص آخر، بيد أنه رأى إمكانية تحقيقه بالثقة، بالإيمان فقط، ولذلك قال " على خلاف الرجاء ". ثم بعد ذلك كان العائق الثانى وهو أن جسده كان مماتًا، وأيضًا مماتية مستودع سارة، وهذا يُمثل عائق ثالث ورابع أيضًا.

" ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله بل تقوى بالإيمان معطيًا مجدًا لله " (رو٤: ٢٠).

لأن الله لم يعطِ برهانًا ولا صنع معجزة، وما قدمه هو فقط كلامًا

بسيطًا، لكنه كان يحمل وعودًا لم تستطع الطبيعة أن تَعِد بها. لأجل هذا يقول الرسول بولس إنه: " لم يرتاب " ولم يقل لم يؤمن، لكنه قال " *ولا بعدم إيمان ارتاب* " أى أنه لم يتردد ولا تشكك، على الرغم من أن العوائق كانت كثيرة.

إن ذلك كله يعلّمنا أن الله حتى وإن أعطى وعودًا لا حصر لها وتبدو مستحيلة ولم يقبلها الذي يسمعها، فإن الضعف لا يرتبط بطبيعة الوعود، بل بحماقة الذي لم يقبلها. ثم يقول الرسول بولس عن إبراهيم:

" *بل تقوى بالإيمان*". أرأيت حكمة القديس بولس، فلأن الكلام كان موجهًا إلى أولئك الذين يعملون (بالناموس) والذين يؤمنون، فإنه يُبين أن ذاك الذي يؤمن يجاهد ويحتاج لقدرات أكبر وقوة أكثر من الذي يعمل. لأنهم بالحقيقة قد احتقروا الإيمان وقالوا إن ليس فيه ألم. إذًا لأجل هذا الهدف يوضح أنه ليس فقط ذاك الذي يجاهد من أجل العفة أو أى شيء آخر مشابه يحتاج لقوة، بل ذاك الذي يُظهر إيمانًا أيضًا في حاجة للقوة . لأنه كما أن ذاك الذي يقاوم أفكار الفسق أو الفجور هو في حاجة إلى قوة، هكذا مَن يؤمن يحتاج أيضًا إلى نفس صلْبة، لكي يستطيع أن يقاوم أفكار هى ضد الإيمان .

إذن كيف صار إبراهيم قويًا؟ يقول الرسول بولس: بالإيمان، وبدون أن يترك إبراهيم هذا الأمر للأفكار، لئلا يفقد شجاعته. وكيف حقق هذا الإيمان؟ حققه " معطيًا مجدًا لله "، ويتابع القديس بولس كلامه عنه بقوله:

" وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضًا لذلك أيضًا حُسب له برًا" (رو٤: ٢١-٢٢).

وبناء عليه ينبغي ألاّ نفحص وعد الله، كثيرًا، لأن قبول الوعد هو تمجيد لله، لكن ما يُعَّد بالحقيقة خطية، هو الفحص في وعود الله كثيرًا. فإذا كنا لا نتمجَد عندما نفحص كلامه بفضول، وعندما نسعى لطلب الأمور الأرضية، فبالأولى كثيرًا ينبغي ألاّ ننشغل بكيفية ميلاد الرب، لأننا سنُعاني كثيرًا إذا اتبعنا هذا السلوك غير المستقيم. وإن كان لا ينبغي أن نفحص الشكل أو النموذج الذي ستكون عليه القيامة، فبالأولى كثيرًا لا

ينبغي أن نفحص تلك الأمور الفائقة التي لا يُعبّرَ عنها. ولم يقل الرسول بولس إن إبراهيم كان واثقاً، لكنه قال "تيقن" لأن هذا هو الإيمان، فهو أكثر وضوحًا من برهان الأفكار وله قوة إقناع، فليس هناك فكرًا يستطيع أن يتوغل ويؤثر على هذا اليقين. لأن ذاك الذي يقتنع برأي عند سماعه لكلام مجرد، يمكن أن يغيّر رأيه، بينما ذاك الذي يقتنع بصورة مطلقة من خلال الإيمان، فإنه يقيم سدًا أو سياجًا حول سمعه لصد أى كلام يمكن أن يؤثر في الإيمان. إذًا بعدما قال إن إبراهيم تبرر بالإيمان، أوضح أنه تقوّى بالإيمان معطيًا مجدًا لله، الأمر الذي يُعد ملمحًا خاصًا ومميزًا لطريقة الحياة الصحيحة. يقول: "*فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات*"[١٩١]. ومن الواضح أن هذا السلوك له علاقة وثيقة بالإيمان. وهكذا فكما أن الأعمال تحتاج إلى قوة، فإن الإيمان أيضًا يحتاج إلى قوة. فبالنسبة للأعمال، نجد أن الجسد كثيرًا ما يشترك في الجهاد، أما فيما يتعلق بالإيمان فالأمر يختص بالنفس فقط. وعليه فإن الألم أو التعب يكون أكبر عندما لا يكون لدى المؤمن ما يُعضد به النفس في جهادها.

٦ ـ أرأيت كيف أظهر الرسول بولس أن كل تلك الأمور، التي هى نتائج للأعمال، قد أُضيفت ببركة وفيرة للإيمان، وأن الشخص يمكنه أن يبتهج بهذا أمام الله، عندما يكون محتاجًا إلى قوة ومثابرة، وأنه يُمجد الله أيضًا؟ وهذا واضح مما قاله: "*إن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضًا*" يبدو لى أنه يُنبئ بالأمور المستقبلية. لأن الله لم يَعِد فقط بالأمور الحاضرة بل بالأمور المستقبلية، إذ أن الأمور الحاضرة هى مثال لأمور الدهر الآتى. وبناء على ذلك فإن عدم الإيمان هو ملمح للنفس المريضة والضئيلة والبائسة. حتى عندما يُديننا البعض بسبب الإيمان، يحق لنا أن ندينهم لعدم إيمانهم، كأناس بائسين، وحمقى، ومرضى، وصغار النفوس، ولا يسلكون بطريقة أفضل من البهائم غير العاقلة. لأنه بالضبط كما أن الإيمان هو سمة النفس التقية

[١٩١] مت٥:١٦.

والعظيمة، هكذا فإن عدم الإيمان هو ملمح للنفس التي تتسم بالغباء الشديد، النفس التافهة التي انحدرت إلى مستوى الحيوانات غير العاقلة.

ولذلك عندما نهجر هؤلاء (أي عديمي الإيمان)، يجب أن نسلك في خطى إبراهيم، ولنمجد الله تمامًا كما مَجَّده هو. لكن ما معنى مَجَّد الله؟ معناه أنه أدرك بره وقوته غير المحدودة، وطالما أنه أدرك ذلك كما ينبغي، عندئذٍ نال الوعود. إذًا فلنُمجد الله نحن أيضًا ـ بالإيمان وبالأعمال ـ لكي ننال المكافأة، بأن نُكَرَّم من الله، لأنه يقول "*فإني أُكرم الذين يكرمونني*"[١٩٢]. وحتى لو لم يكن هناك أي مكافأة، فمجرد أن نكون مستحقين لأن نُمجد الله، فهذا تحديدًا هو الإكرام. لأن الناس عندما يمدحون الملوك فإن هذا بحد ذاته يجعلهم يفتخرون، حتى لو لم يوجد أي شيء آخر يربحونه، تأمل في مقدار المجد الذي نناله عندما يُمجَّد الله بواسطتنا. إنه بكل تأكيد، يريد هذا المجد لنا، لأن الله ليس في احتياج لهذا المجد.

إذن هل لك أن تتصور مدى الفروق التي بين الله وبين البشر؟ هل هي بمقدار الفروق بين البشر والحشرات الدقيقة؟ إلى الآن لم أقل شيء لأوضح هذه الفروق، ولو أنني مُدرك مقدارها الضخم، لأنه من المستحيل أن يُحدد المرء مقدار هذه الفروق. فهل يا تُرى سترغب في أن تقتني لك مجدًا مشرقًا وعظيمًا من خلال الحشرات الدقيقة؟ لا على الإطلاق. إذًا فلو أنك، يا مَن تشتهي المجد بكل هذا الاشتياق، لن ترغب في أن تطلب مجدًا من الحشرات، فكيف يكون ذاك الذي هو متحرر من هذه الشهوة (شهوة المجد) والذي هو أعلى وأسمى من كل شيء، في إحتياج لأن تُمجده ؟ لكنه وإن لم يكن في حاجة للمجد، إلاّ أنه يريده لك. فلو أنه قَبِلَ أن يصير عبدًا من أجلك، فلماذا تندهش لو أنه احتمل الأمور الأخرى لنفس السبب ؟ لأنه لا يستطيع مَن هو غير مستحق في ذاته، أن يقودنا إلى خلاص نفوسنا. وإذ نعرف كل هذا، فلنتجنب كل خطية تؤدي إلى إهانة الله. "*اهرب من الخطية هربك من الحية فإنها إن دَنوت منها لدغتك*"[١٩٣]. فإن الخطية لا تأتي إلينا، بل

[١٩٢] ١صم٢:٣٠.

[١٩٣] حكمة يشوع بن سيراخ ٢١:٢.

نحن نسعى إليها.

إذن فقد صنع الله هذا وأتى إلينا، حتى لا ينتصر الشيطان ويسود، لأن بدون معونة الله لا يستطيع أحد أن يُقاوم قوته. لهذا فقد أبعده الله كلص وكمستبد. فهو بخداعه واحتياله، لن يتجرأ على مهاجمة أحد، إلاّ إذا كان وحيدًا. وإذ يرانا ونحن نسير في الجدب، فهو يتشجع على الاقتراب منا. لأن الجدب أو القفر هو أيضًا مكان الشيطان، وهذا الجدب ليس سوى الخطية. نحن في احتياج لدرع الخلاص، وسيف الروح، ليس فقط لكي لا نُصاب بأذى، لكن أيضًا لكي نقطع رأس الشيطان، وإذا ما أراد أن يهاجمنا ينبغي أن نُصلى دومًا لكي يُسحق تحت أقدامنا. لأنه يتصف بعدم الحياء والخسة، فهو يهاجم مُنطلقًا من أمور الدنيا التي لا سمو فيها، وهكذا ينتصر. والسبب في هذا النصر هو أننا لا نُحاول أن نكون في وضع أعلى من أن تطولنا ضرباته، لأنه ليس في وضع يسمح له بالوقوف كثيرًا، لكنه يَنسحب إلى أسفل. فهو لا يملك أرجل يقف عليها، لأنه مثل الحية، إذ هي المثال الذي يرمز للشيطان. فلو أن الله ـ منذ البداية ـ قد حدّد له هذا الوضع، فبالأولى الآن. فإذا كنت لا تعرف ماذا يعني أن يحارب الشيطان مُنطلقًا من الأمور الدنيا فسأحاول أن أشرح لك أسلوب أو طريقة حربه. إنه يوجه الضربات مُزيّنًا للإنسان مدى روعة وجمال الأمور الأرضية، أي اللذة والغنى، وكل الأمور الحياتية الأخرى. ولهذا لو أنه رأى شخصًا ينطلق نحو السماء (أي يسمو على الأمور الأرضية)، فهو لن يستطيع أن يقفز نحوه، هذا أولاً. أما الأمر الثاني فإنه حتى ولو حاول ونجح فإنه سيسقط سريعًا، لأنه لا يملك أرجل، لذلك لا تخاف منه إذ لا أجنحة له، ولا ترتعب أمامه لأنه يزحف فوق الأرض، ومرتبط بالأمور الأرضية. إذن ينبغى أن تسمو فوق كل الأمور الأرضية المادية، وإذا حدث ذلك فلن تتعرض لأي أذى. لأنه لا يعرف أن يحارب مواجهة، لكنه مثل الحية يختفى بين الأشواك ويتربص باستمرار مختفيًا في خداع الغنى أو الثروة. ولو أنك أزلت الأشواك سيرحل سريعًا، لأنه جبان، ولو أنك تعرف أن تستخدم القوة الإلهية، وهى اسم ربنا يسوع المسيح، وقوة الصليب . فسيخرج على الفور لأنه يوجد لدينا قوة روحية، هذه القوة، ليست

فقط قادرة على أن تُخرج الحيّة من وكرها، وتلقيها في النار، بل وتشفي الجروح الناتجة عن لدغها أيضًا.

٧ ـ لكن لو قال كثيرون إنهم لم يُشفَوْن، فهذا يرجع إلى ضعف إيمانهم. لأن كثيرين دفعوا المسيح بقوة (بسبب تزاحمهم عليه) ولمسوه من كل جانب، ولم يربحوا شيئًا، لكن المرأة نازفة الدم، قد شُفيت بعد أن عانت طويلاً من مرضها، رغم أنها لم تلمس جسده، بل لمست فقط هدب ثوبه[١٩٤]. إن اسم ربنا يسوع المسيح هو مُخيف للشياطين ويُحرر من الشهوات ويبرئ من الأمراض. فلنفتخر بهذا الاسم إذًا ونحصن أنفسنا به[١٩٥]. وهكذا صار بولس عظيمًا على الرغم من أنه يحمل نفس طبيعتنا، إلاّ أن إيمانه جعله متميزًا عنا تمامًا، وكم كانت عظيمة تلك القوة التي كان يتصف بها[١٩٦]. إذًا كيف يكون لدينا القدرة لندافع عن أنفسنا، عندما لا تقدر صلواتنا أن توقف ولا حتى الشهوات، بينما كانت ظلال وملابس (بطرس وبولس) تقيم الموتى؟ إذًا ما هو السبب؟ السبب يرجع إلى تلك الفروق الكبيرة جدًا في الرغبة الداخلية، **فالعطايا الطبيعية الخاصة بالإنسان هى واحدة ومشتركة بين الجميع، طالما أنه (أى الرسول بولس) ولد مثلنا، ونمى وعاش على نفس الأرض، وتنفس من نفس الهواء، إلا أنه كان أعظم وأفضل منا في الأمور الأخرى، أى في النية الحسنة وفي الإيمان والمحبة.** فلنسلك إذًا كما سلك الرسول بولس، ولنسمح للمسيح أن يتكلم معنا. إن المسيح يشتهي أن نسلك بالروح، بل وأكثر جدًا مما نشتهيه نحن لأنفسنا، ولهذا خلق لنا هذه الأداة (أي العقل)، فهو لا يريد له أن يبقى بلا فائدة أو في تواني، إنما يريدنا أن نستخدمه على الدوام. فكما أن الآلة الموسيقية عندما تكون أوتارها غير مُعدة أو مرتخية، تصير

---

[١٩٤] مت٩: ٢٠ـ٢٢، لو٨: ٤٣ـ٤٨.

[١٩٥] كما يقول الكتاب " اسم الرب برج حصين يركض إليه الصديق ويتمنع " (أم١٨: ١٠). هذا ما توضحه وتؤكد عليه كنيستنا القبطية في إبصالية السبت: " أعطى فرحًا لنفوسنا تذكار اسمك القدوس يا ربي يسوع المسيح مخلصي الصالح .. أنت وحدك مستحق أن نباركك .. أنت مستحق المجد والكرامة.. تسبح اسمك القدوس كل قبائل الأرض .. الخ. الابصلمودية السنوية حسب ترتيب آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مطرانية بني سويف، سنة ١٩٩١، ص٢٥١ـ٢٥٦.

[١٩٦] أع١٩: ١٢.

بلا نفع ولا يستطيع العازف أن يستخدمها، هكذا أيضًا ينبغي علينا أن نُشدّد أعضاء النفس ونحفظها بالملح الروحى. لأنه لو رآها الله منسجمة هكذا فيما بينها، فلابد أن يُسمع صوت المسيح من داخل نفوسنا. وعندما يحدث هذا، سترى الملائكة ورؤساء الملائكة والشاروبيم وهى تطير فرحًا. إذن لنصير مستحقين لرفع أيادي بلا عيب، ولنترجاه أن ينبض بقوته داخل قلوبنا، ومن الأفضل القول بأنه لا يحتاج إلى أن نترجاه، لكي يفعل هذا، لأنه يحتاج فقط أن تُهيئ له القلب كما ينبغي وحينئذٍ سيركض نحوك ويلمس قلبك.

فإن كان يركض من أجل ضمان الأمور المستقبلية (لأنه سبق وأعد لبولس المديح اللائق به، قبل أن يصير رسولاً للأمم)، فإنه يبذل كل شيء عندما يرى شخصًا كاملاً، أما عندما نسمع لصوت المسيح، فإن الروح القدس سيُحلّق حولنا حتمًا، وسنصير أفضل من السمائيين، ولن يُرى النور فقط داخلنا، بل أن خالق النور والملائكة هو الذي يسكن ويتجول في داخلنا . أقول هذا، لا لكي نُقيم أمواتًا، ولا لكى نُطهر بُرصًا، **ولكن لكي نُظهر المعجزة الأعظم من كل هذه الأمور وهى المحبة. لأنه حيث توجد المحبة، سيوجد على الفور الابن مع الآب وستحل نعمة الروح القدس من السماء.** لأنه يقول: " *حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون في وسطهم*"[١٩٧]. هذا دليل رغبة مؤكدة، وسمة يتميّز بها أولئك الذين يُحِبون بكل قدرتهم، بمعنى أنهم سيلتقون بكل مَن يُحبون، سيلتقون بالله الذي يحبونه، ويلتقون أيضًا بآخرين يَكّنون لهم كل محبة.

ومَن هو ذلك البائس الذي لا يريد حلول المسيح في الوسط؟ لأنه إن لم يحل المسيح في الوسط، فكيف ستُحَل المشاكل بيننا. ومَن سيكون السبب في هذا؟ ربما سيتهكم عليَّ أحد قائلاً: ماذا تقول؟ هل نحن الذين نجتمع تحت سقف كنيسة واحدة ونتمتع بوفاق وسلام، هل لا توجد حروبًا بيننا، رغم أننا نتحدث ونتفاهم معًا ونحن تحت رعاية راعى واحد، ونسمع التعليم معًا،

---

[١٩٧] مت١٨:٢٠.

ونرفع الصلوات معًا إلى فوق، هل نسيت ما حدث من مشاحنات وثورات؟ لم أنسى، ولست مخبولاً ولا فقدت عقلي. لأنني من المؤكد أرى تلك الأمور وأعرف كيف أننا نوجد تحت سقف نفس الكنيسة، وتحت رعاية نفس الراعى، ولهذا السبب تحديدًا أشعر بالحزن لأننا نتشاجر على الرغم من أن هناك أمورًا كثيرة يمكن أن توحّدنا . وقد يسألني البعض وأى نزاعًا ترى هنا؟ أقول، هنا لا يوجد نزاعًا، ولكن عندما نتفكك، وعندما يُدِين أحد غيره، وهذا يُدِين ذاك، ويُهين آخر علنًا، وعندما يصير آخر حسودًا وطماعًا وخاطفًا، وآخر يستخدم العنف منهجًا له، وآخر يُعلن عن عطفه بطريقة سيئة، وآخر يحيك مكائد ودسائس لا حصر لها. هنا يُستعلن النزاع والشجار والمشاحنة، فإذا تمكّنتم من اكتشاف حقيقة أنفسكم، عندئذٍ ستستطيعون أن ترون كل هذا بدقة وستدركون أننى لست مخبولاً.

٨ ـ ألا ترون كيف أن الجنود في حالة السلم يتركون الأسلحة ويعبرون إلى المعسكرات مُجردين من الأسلحة، بينما يختلف المشهد في حالة الحرب عندما يكونوا مُسلحين وحراسًا، فتكون هناك مقدمة للجيش، وتبدأ الخدمات الليلية، وتوقد النار بصفة دائمة، الأمر الذي لا يُعلن عن حالة سلام، بل عن حالة حرب. ومن الممكن أن يرى المرء نفس هذا النهج يحدث بيننا. حيث يحترس الواحد من الآخر، ويسود الخوف، ويتكلم كل واحد مع قريبه بالهمس، وعندما نرى أحدًا يقترب نصمت ونوقف الكلام دون أن يكتمل، الأمر الذي لا يعتبر سمة لأُناس شجعان، بل أناس يتوجسون من الآخر. ولهذا أحزن، لأننا بينما نحيا بين اخوة، فإننا نلجأ إلى الحرص الزائد، مُشعلين نارًا كثيرة، واضعين حراسًا، وكأننا في معسكر حرب مع أعداء، والسبب في ذلك هو الكذب الكثير، والخداع الكثير وغياب المحبة الواضح، والسلوك العدواني. ولهذا تحديدًا فمن الممكن أن يجد المرء الكثيرين من عبدة الأوثان لديهم شجاعة أكثر من المسيحيين. كم من المهانة تستحق مثل هذه الأمور؟ وكم تستحق الكثير من البكاء عليها والرثاء لها؟ وقد يقول أحدكم وماذا أفعل ألا تَرى أن ذلك الإنسان هو سيء السلوك وخبيث؟ أقول له: وأين هو احتمالك؟ ألا تقض القوانين الرسولية بأن

يحتمل الواحد أثقال الآخر؟ لأنه إن لم تعرف كيف تسلك بصورة صحيحة تجاه أخيك، فمتى سيمكنك أن تسلك بمحبة تجاه الغريب؟ وإذا كنت لا تعرف أن تتعامل مع العضو الذي يُسبب لك متاعب، فمتى ستتمكن أن تجذب ذاك الذي هو خارج الكنيسة، وأن تجعله واحدًا مع نفسك؟ وأمام كل ما يحدث فإني أتساءل عما يمكنني فعله؟ وأجد صعوبة كبيرة جدًا في أن إسكب الدموع، لأننى سأسكب ينابيع دموع غزيرة من عينيّ. إن إرميا النبى عندما رأى الأعداء وهم يبدأون هجومًا، قال: "*أحشائى توجعني*"[١٩٨] وأنا أرى في تلك الساحة (التي تجمع المؤمنين معًا أى الكنيسة) حروبًا كثيرة، وهى أكثر رعبًا من هذه الحروب التي أشار إليها إرميا. وبينما أنتم تحت قيادة قائد جيش واحد (أي المسيح)، إلاّ أنكم تثورون، الواحد ضد الآخر، ويأكل بل ويفترس الواحد أعضاء الآخر، البعض من أجل المال، والبعض من أجل المجد، كما يسخر آخرون منكم بدون سبب ويهزءون، فأنتم تُحدِثون إصابات كثيرة فيما بينكم، وينتج عن ذلك أن يسقط قتلى نتيجة هذه الإصابات المفزعة، بل إن عدد القتلى يفوق ما يسقط في الحروب، وكلمة "أخوة" تصير مجرد كلمة عادية، لذلك لا أستطيع أن أفكر في عمق الأنين الذي يُعبّر عن هذه المأساة.

إذن ينبغي عليكم أن تحترموا هذه المائدة (أي مائدة الافخارستيا) التي تشتركون فيها جميعًا، وأن تُقدّروا عمل المسيح الذي ذُبح لأجلنا، ولتوقّروا هذه الذبيحة الموجودة فوق هذه المائدة . إن اللصوص الذين يأكلون خبزًا وملحًا مع آخرين، ليسوا بعد لصوصًا بالنسبة لأولئك الذين يأكلون معهم، فالمائدة تُغيّر من صفاتهم، وكذلك أيضًا الذين كانوا أكثر وحشية من الوحوش أنفسهم، تجعلهم المائدة (مائدة الافخارستيا) أكثر وداعة من الحملان، بينما نحن ـ على الرغم من أننا نشارك في مثل هذه المائدة ونأكل نفس الطعام ـ نتسلح الواحد ضد الآخر، بينما كان ينبغي علينا أن نتسلح ضد الشيطان الذي يحاربنا جميعًا. ولهذا السبب عينه فنحن نصير أكثر

---

[١٩٨] إر ٤: ١٩.

ضعفًا يومًا فيوم، بينما هذا (الشيطان)، يصير قويًا. لأننا لا نساند بعضنا البعض في مواجهته، لكننا نقف صفًا واحدًا معه، الواحد ضد الآخر ويصير هو قائدنا في مثل هذه الأحداث في الوقت الذي فيه كان من المفترض، بل من الواجب علينا أن نحاربه. إلاّ أننا نترك مقاومته ونوجه سهامنا الآن ضد اخوتنا. وأى سهامًا نطلقها؟ إنها السهام التي تنطلق من اللسان والفم. لأنه ليس الرماح والسهام الحقيقية هى فقط التي تُسبب إصابات، لكن الكلام الردئ أيضًا يترك جراحات أكثر مرارة من السهام.

وكيف ستتمكن من إنهاء هذه الحرب؟ يحدث هذا عندما تُدرك أنك تتكلم بالسوء على أخيك، وتُخرج كلامًا بذيئًا من فمك، وأيضًا لو أدركت أنك تشي بعضو من أعضاء جسد المسيح، وأنك تنهش أيضًا في جسدك، ولتعلم أن السهم لا يقتل ذاك الذي يُصاب به، بل يقتلك أنت الذي تُطلقه. ولكن هل ظلمك أحد وصنع بك شرًا؟ إذا حدث ذلك لا تتكلّم بالسوء، بل ابكي لا من أجل أنك ظُلمت، لكن لأجل هلاكه، كما صنع سيدك وبكى على يهوذا، لا لأنه سلّمه للصلب، لكن لأن ذاك قد خانه. هل أهانك أحد وسخر منك؟ فلتترجى الله سريعًا أن يُغدق على هذا الإنسان من رحمته. إنه أخوك وولد معك من نفس الرحم (أى المعمودية). إنه عضو من أعضائك ومدعو لنفس المائدة. لكنك تقول إنه يُهينني كثيرًا. فإن احتملته سيكون أجرك أكبر وأكثر، ولهذا فإنه من العدل أن تترك عنك الغضب، وتدرك أن الشيطان قد أصابه بضربة مميتة (لأنه نجح أن يدفعه لإهانتك).

٩ ـ إذن لا تُضيف إليه ضربة أخرى، ولا تنطلق من نفس المستوى الذي يتحرك منه، لأنه على قدر ما تكون قائمًا مرتفعًا، يمكنك أن تُنقذه، بينما إذا دمرته ورددت له الإهانة، فمَن سيرفعك فيما بعد؟ فهو الذي جُرح، إن ذاك لن يستطيع أن يُعينك، طالما أنه مطروح أسفل. وهل تستطيع أنت يا مَن سقطت معه أن تقدم أى مساعدة؟ وكيف ستتمكن أن تُساعد الآخر، طالما أنك لا تستطيع أن تُعين نفسك؟ إذًا قف بشجاعة وضع أمامك الدرع واجذب أخيك من المعركة، إذ هو ميت (روحيًا)، وكن طويل الأناة. ألم يُصيبه الغضب؟ فلا تجرحه أنت أيضًا، بل عليك أن تُخرج منه السهم الذي أصابه.

لأنه لو سادت بيننا المحبة سنصير أصحاءً سريعًا . وعندما نستخدم الأسلحة الواحد ضد الآخر، فلن تكون هناك حاجة لتدخل الشيطان، حتى نهلك. لأن الحرب بصفة عامة هى شيء مخيف، وبشكل خاص الحروب الأهلية. لكن هذه الحرب (بين الاخوة) هى أكثر فزعًا من الحروب الأهلية، على قدر ما تكون الحقوق المطالب بها كبيرة، كما يظهر من سلوكنا أو كما يظهر من أى شيء له علاقة بهذا السلوك . هذا ما حدث حين قتل قايين أخاه هابيل، وسفك دم مَن كان تربطه به قرابة جسدية، هذا الأمر يعتبر أكثر جُرمًا من قتل الغريب، وبقدر ما تكون القرابة الروحية قوية، على قدر ما يكون الموت مُخيفًا. لأن قايين قد أصاب الجسد، ولكنك أنت قد أعددت السيف لتُصيب به نفس أخيك. ألم يُصبك الأذى أنت أولاً حين تفعل الشر؟ إن الأذى الحقيقي الذي يُصب المرء، هو في فعل الشر، وليس في المعاناة من عمل الشر الذي يناله . ولكن انتبه، لقد ذَبَحَ قايين، وذُبِحَ هابيل، فمَن الذي مات؟ هل هو ذاك الذي صرخ بعد الموت (أى هابيل)، لأن الكتاب يقول: " *صوت دم أخيك صارخ إلىّ من الأرض*"[199]. أم هو قايين الذي ارتعب وخاف أثناء حياته؟ فهو الذي صار بالحقيقة أكثر بؤسًا من كل مائت.

أرأيت أنه من الأفضل أن يقبل المرء الظلم، حتى لو وصل إلى مرحلة الموت؟ يجب أن تعلم كيف أنه عندما يُظلم المرء، فإن هذا يُعَد أمرًا سيئًا. إن قايين قد ضرب وقتل أخاه، لكن واحدًا تُوّج، والآخر أُدين. لقد قُتِل هابيل، وذُبح بدون وجه حق، ولكنه بموته قد أدان وسبَى، بينما الآخر على الرغم من أنه عاش، إلاّ أنه صمت وشعر بالخجل وسُبِىَ، وأعد لنفسه عكس ما تمنى. لأنه قتل أخاه، إذ رآه محبوبًا، آملاً أن يُبعده عن المحبة، لكنه بهذا الفعل جعل المحبة تزداد أكثر، وعندما مات، طلبه الله أكثر قائلاً: " *أين هابيل أخوك*"[200]، لأن حسده لم يستطع أن يُطفئ شوق هابيل إلى الله، لكنه قد أشعله بصورة كبيرة، لم يقلل من كرامة أخيه بالذبح، بل عظّمه أكثر. لأن

[199] تك٤: ١٠.

[200] تك٤: ٩.

الله كان قد أخضعه قبل ذلك له، ولكن لأنه قتله، فسيُدينه الله، على الرغم من أنه مات (روحيًا). إذًا مَن هو الذي أُدين؟ مَن الذي عَاقَب ومن الذي عُوقِب؟ ومَن نال بكرامة عظيمة من الله، ومَن سُلم لعقاب جديد ومُخيف؟ أنت لم تُخيفه عندما كان حيًا، فهل ستخفيه الآن بعدما مات، لم ترتعب عندما اعتزمت أن تستخدم السيف، والآن سيسود عليك رعب دائم، بعد سفك الدم. وعندما كان حيًا كان خاضعًا لك ولم تحتمل مثل هذا الأمر، لذلك الآن حتى بعد موته، قد صار سيدًا مخيفًا لك.

فلنفكر في كل هذا، ولنترك الحسد، ولنطفئ الشر ولنحيا بالمحبة بعضنا نحو بعض، حتى نربح الخيرات في هذا الدهر وفي الدهر الآتى بالنعمة ومحبة البشر اللواتى لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس، المجد والقوة والكرامة إلى دهر الدهور آمين.

+++++++

العظة العاشرة

" ولكن لم يُكتب من أجله وحده أنه حُسب له برًا بل من أجلنا نحن أيضًا الذين سيحسب لنا الذين نؤمن بمَن أقام يسوع ربنا من بين الأموات" (رو٤: ٢٣-٢٤).

بعد أن قال أمورًا كثيرة وعظيمة عن إبراهيم، من جهة إيمانه وبره، والكرامة التي نالها من الله، فإنه يعود بالحديث ليتكلم عنَّا، حتى لا يقول مَن يسمعه: ما علاقة كل هذا بنا، إذ أن ابراهيم هو الذي تبرر بالإيمان؟ كم هى عظيمة قوة الكلمات الروحية. لأن الذي أتى من الأمم، ودخل إلى الإيمان منذ وقت قليل، والذي لم يفعل أى شيء، لديه إيمانًا لا يقل فقط عن إيمان اليهودي، بل ولا يقل عن إيمان إبراهيم، وإن أردنا أن نقول شيئًا مثيرًا للإعجاب، نقول إنه يملك إيمانًا أكثر جدًا مما كان لليهودي، حتى أن إيمانه يُعد نموذج لإيماننا . وهو لم يقل طالما أن إيمان ابراهيم قد حسب له برًا، فمن الطبيعي سيُحسب لنا، حتى لا يجعل هذا أمرًا منطقيًا، لكنه تكلم عن النواميس الإلهية التي ليست هى محل شك، وقدم هذا كله على أنه حكم الكتاب المقدس (أى أن الأمر لا يتعلق بالمنطق). إذًا لماذا يقول إن هذا لم يُكتب إلاّ لكى نعلم أننا نحن أيضًا نتبرر هكذا؟ لأننا آمنا بنفس الإله ومن أجل نفس الأمور، وإن كان الأشخاص ليسوا هم نفس الأشخاص. وبعدما تكلم عن إيماننا، ذكر محبة الله التي لا يُعبّر عنها تجاه البشر، والتي يشير إليها دائمًا، إذ قد أشار إلى الصليب، الأمر الذي يذكره الآن قائلاً:

" الذي أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا " (رو٤: ٢٥).

انظر كيف أنه بعدما أورد سبب الموت، يفعل نفس الشيء، ويقدّم برهان القيامة. لأنه إن كان هو خاطئًا فكيف قام؟ وإن كان قد قام فمن الواضح جدًا أنه لم يكن خاطئًا . ولكن لو لم يكن خاطئًا فكيف صُلب؟ وتقول إنه صُلب من أجل الآخرين، فإذا كان قد صُلب من أجل الآخرين، فمن المؤكد أنه قام . إذًا لكى لا تقول وكيف يمكن أن نتبرر، بينما نحن

مسئولون عن خطايانا الكثيرة؟ أشار إلى ذاك الذي محى كل الخطايا، ولكي يؤكد كلامه يُشير إلى إيمان إبراهيم، الإيمان الذي به تبرّر، ثم يُشير إلى الإيمان بالآلام المُخلِّصة، تلك التي بها تَخلَّصنا من كل الخطايا. وبعدما أشار إلى موت المسيح، أشار إلى قيامته. لأنه لم يمت، لكي يقف أمامه أناس يستوجبون العقاب ومحكوم عليهم، بل لكي يُقدم لهم العون. لهذا مات وقام لأجل تبريرنا.

+ + + + + + +

الأصحاح الخامس

الاصحاح الخامس

" فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح " (رو٥:١).

١ ـ ماذا تعنى عبارة " لنا سلام"؟ يقول البعض إن " لنا سلام" تتعلق بالالتزام بأعمال الناموس، إلاّ أنه يبدو لى وكما هو واضح من الكلام، أنه يتحدث عن كيفية السلوك. لأنه قد تكلم كثيرًا عن الإيمان والبر الذي بالأعمال، لذلك نجده هنا يبدأ بالكلام عن السلام. ولكى لا يظن أحد أن هذا الكلام ليس له أهمية، يقول: " لنا سلام" وهذا يعنى أنه لا ينبغى أن نُخطئ بعد، ولا أن نعود للأمور السابقة، لأننا إن فعلنا هذا نكون مقاومين لمشيئة الله. وكيف نستطيع ألاّ نخطئ أبدًا؟ أُجيب، ألم نحصل على السلام من قبل؟!! لأنه وإن كنّا مسئولين عن هذا القدر الكبير من الخطايا، إلاّ أننا قد تخلّصنا منها كلها بالمسيح، ولهذا بالأولى جدًا الآن سيمكننا بالمسيح أن نبقى في ذلك الوضع (أى حالة البر) التي كانت لنا في الماضى.

لأن اكتساب السلام الذي لم يكن موجودًا، والاحتفاظ بالسلام الذي أُعطي لنا لا يعتبرا شيئًا واحدًا، لأنه من المؤكد أن اكتسابه هو أكثر صعوبة من الاحتفاظ به. بيد أن ما هو أكثر صعوبة، صار سهلاً وقد تحقق. وبناء على ذلك فإن الأكثر سهولة، سيكون سهلاً أكثر فأكثر بالنسبة لنا لو أننا تبعنا ذاك الذي حقق لنا البر والسلام . لكن يبدو لى هنا أنه لا يقصد فقط الأمر الأسهل، بل أيضًا الأمر المنطقى أو الصحيح، لأنه إن كان المسيح قد صالحنا ونحن بعد أعداء، فمن المنطقى أن نحافظ الآن على استمرارية هذا الصلح، وأيضًا أن ننسب الفضل فيما تم للمسيح، حتى لا يبدو أن أولئك الذين صالحهم مع الآب لازالوا قساة وجاحدين.

" الذي به أيضًا قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون" (رو٥:٢).

إذن إن كنا ونحن بعيدين قد جعلنا قريبين، فبالأكثر جدًا سيُثبتنا فيه، إن بقينا بالقرب منه.

٢ ـ لكن لاحظ كيف أن الرسول بولس يُشير في كل موضع إلى الأثنين،

إلى الأمور الخاصة بالله، وتلك الأمور الخاصة بنا . بيد أنه من المؤكد أن الأمور الخاصة بالله هى متنوعة وكثيرة، لأنه مات لأجلنا وصالحنا، وجعلنا قريبين منه، ووهبنا نعمة لا يُعبر عنها، هذا ما قدّمه هو لنا، أما ما قدمناه نحن، فهو الإيمان فقط، ولهذا قال " *بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون*". أخبرنى، عن أى نعمة يتحدث؟ إنه يتحدث عن نعمة إستحقاق معرفة الله، ونعمة الخلاص من الخداع، ومعرفة الحقيقة جيدًا، ونوال على كل الخيرات بواسطة المعمودية. لقد قادنا نحو البر، لكى نحصل على كل هذه العطايا، ومن المؤكد بالطبع أن كل هذا لم يصر لمجرد الغفران والتخلص من الخطايا فقط، بل لكى نتمتع بامتيازات لا تُحصى. ولم يتوقف عند الوعد بهذه الخيرات، لكنه وعد بخيرات أخرى غير مُعلنة، والتي تفوق كل فكر وكل لغة، ولا تستطيع التعبير عنها.

ولهذا عينه أشار إلى الاثنين. لأنه عندما يتحدث عن "النعمة" فهو يقصد الخبرات الحاضرة التي حصلنا عليها، ولكن عندما يقول: " *ونفتخر على رجاء مجد الله*" فإنه يكشف عن غنى خيرات الدهر الآتى. وحسنًا قال "*التي نحن فيها مقيمون*". لأن هكذا تكون نعمة الله، لا نهاية لها، ولا تعرف التوقف عند حد معين، لكنها تقود دومًا نحو الأمور الأسمى، الأمر الذي هو خارج قدرات البشر . بمعنى أنه يمكن أن يكتسب شخص ما مبادئ معينة ومجدًا وسلطة، إلاّ أنه لا يستطيع أن يُقيم فيها على الدوام، لأنه سيفقدها سريعًا، حتى لو لم ينزعها منه إنسان، لأن الموت عندما يأتى سينزعها منه على كل حال . بيد أن الخيرات الإلهية لا تخضع لمثل هذه التحولات، فلا يستطيع الإنسان ولا الزمن ولا الظروف العارضة ولا الشيطان نفسه ولا الموت عندما يأتي أن يُبعدنا عن هذه الخيرات، بل عندما ننتقل من هذا العالم سنملك المزيد من هذه الخيرات وسنتمتع بها أكثر .

وبناء على ذلك ينبغي ألاّ ينتابك أي شك من جهة خيرات الدهر الآتي، لأنها أُستعلنت بالفعل في الخيرات التي نلناها في هذه الحياة الحاضرة. لذلك قال: " *ونفتخر على رجاء مجد الله*". هذا لكي تعرف ماهية الحالة الروحية

التي ينبغي أن يكون عليها المؤمن . لأننا تأكدنا ليس فقط من جهة الخيرات التي أُعطيت لنا ، بل أيضًا من جهة الخيرات التي ستُعطي لنا في الدهر الآتى كما لو كانت قد أُعطيت بالفعل، لأن الإنسان يفتخر بتلك التي أُعطيت بالفعل. إذًا طالما أن الرجاء في خيرات الدهر الآتى هو أمر مؤكد وواضح، تمامًا مثلما تحقق الرجاء في الخيرات التي أُعطيت لنا في الحياة الحاضرة، فلذلك يجب أن نفتخر بهذا الرجاء (أى المتعلق بخيرات الدهر الآتى) بطريقة مشابهة، ولهذا فإنه أطلق كلمة مجد على هذه الخيرات. فإن كانت هذه الخيرات تُساهم في اعلان مجد الله، فمن المؤكد أنها ستتحقق، وإن لم يكن لأجلنا فقط بل أيضًا لحساب مجد الله . ماذا أقول، هل أن خيرات الدهر الآتى هى فقط التي تستحق الافتخار؟ بالطبع لا ، بل أن الضيقات الحاضرة قادرة أيضًا على أن تجعلنا نفتخر بها ونزهو بسببها. ولهذا فقد أضاف:

" وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضًا في الضيقات" (رو٥:٣).

تأمل إذًا ، كم ستكون خيرات الدهر الآتي، عظيمة ومهمة، وذلك عندما نفتخر بتلك الأمور التي تبدو أنها محزنة ، لأن عطية الله هى عظيمة ولا يوجد فيها أى شيء مُحزن. لأن الجهاد فيما يختص بأمور هذا العالم الحاضر، يحمل مشقة وألم وتعب، لكن فيما يختص بالأمور الروحية، لا يحدث نفس الشيء، بل إن الجهاد بالنسبة لنا ، ليس أقل بهجة من المكافآت . فالتجارب آنذاك كانت كثيرة، ومع هذا فقد تجلّى الملكوت بالرجاء الذي فينا ، وكان يُنظر للخيرات على رجاء تحقيقها في الدهر الآتي، مع أن الضيقات أيضًا كانت حقيقة واقعة، وهذا ما جعل الضعفاء يتشددون . هكذا يُقدم الرسول بولس فعليًا ، المكافآت قبل التتويج، بقوله: " إنه ينبغي أن نفتخر في الضيقات ". ومن الملاحظ أنه لم يقل يجب أن تفتخروا ، لكنه قال "نفتخر"، مقدمًا النصح لشخصه أيضًا.

ثم بعد ذلك لأن الكلام يبدو أنه غير مُعتاد وغريب على الآذان ـ إذ يجب أن يفتخر كل مَن يُصارع الجوع، والمقيد، والذي يُعذب، وأيضًا مَن يُحتقَر

ويُستهزئ به ـ ولذلك فهو يقدم شرحًا لهذا المفهوم فيما بعد. والأمر المهم هنا هو أن ما يستحق الافتخار ليس هو فقط خيرات الدهر الآتى التي تنتظرنا، بل وخيرات الحياة الحاضرة أيضًا، فالضيقات نفسها هى أمرًا صالح. ولماذا تعتبر أمرًا صالحًا؟ لأنها تُنشيء صبرًا. ولهذا تحديدًا، فبعدما قال " نفتخر في الضيقات"، أضاف السبب (الذي من أجله، نفتخر في الضيقات)، قائلاً: " **عالمين أن الضيق يُنشئ صبرًا** ".

انظر إلى إصرار الرسول بولس، فإنه يحول كلمته مرة أخرى في الاتجاه الآخر. لأن الضيقات جعلت هؤلاء يتعبون، فعلى الرغم من أنهم كانوا يترجون خيرات الدهر الآتي، إلاّ أنها قادتهم لليأس، فيقول لهم إنه يجب من جهة هذه الضيقات أن نتحلى بالشجاعة ولا نيأس لأن خيرات الدهر الآتى هى أمر مؤكد:

" **لأن الضيق يُنشئ صبرًا والصبر تزكية والتزكية رجاء والرجاء لا يخزى" (رو٥:٤ـ٥).**

فالضيقات إذًا لا تستطيع أن تَمحي هذا الرجاء بل على العكس فإنها تُزيده. لأنه من المؤكد أن الضيق له ثمر عظيم، حتى قبل الحصول على خيرات الدهر الآتى، هذا الثمر هو الصبر الذي يجعل مَن يتذوقه إنسانًا كاملاً، بل ويُساهم أيضًا في التطلع نحو خيرات الدهر الآتي، طالما أنه يجعل الرجاء يزدهر داخلنا. لأنه لا يوجد شيئًا يجعلنا نترجى خيرات الدهر الآتي أكثر من الضمير الصالح.

٣ ـ ولا يوجد أحد ممن عاشوا في حياة مستقيمة يمكن أن يشك في خيرات الدهر الآتي، تمامًا كما أن هؤلاء الذين أهملوا وتهاونوا كثيرًا في حياتهم، إذ قد صاروا مأسورين من جهة ضميرهم الشرير، فإنهم لا يريدون أن تكون هناك دينونة ولا مجازاة . إذًا ماذا يحدث؟ هل ما ننتظره من خيرات يتحقق بالرجاء؟ من المؤكد أنه يتحقق بالرجاء، لكن ليس في الرجاء الإنساني، لأنه رجاء كاذب. وكثيرًا ما تخيب آمال مَن وضع رجائه في إنسان، فقد يحدث أن يفارق الحياة ذاك الذي كان يُنتظر منه تحقيق هذا الرجاء، أو قد يغير رأيه وهو لا يزال على قيد الحياة . إلاّ أن الخيرات التي

تنتظرنا ليست هكذا، إذ الرجاء فيها مؤكد وثابت. لأن ذاك الذي وعد هو حي على الدوام، أما من جهتنا نحن الذين سنتمتع بهذه الخيرات، حتى وإن متنا، إلاّ أننا سنقوم مرة أخرى. وبشكل عام لا يوجد شيء يمكن أن يُخزينا، كما لو أننا قد تباهينا بلا داعٍ في أمور لا طائل من ورائها.

إذن بعدما أزال الرسول بولس كل شك فيما يتعلق بالخيرات الإلهية كما أوضح في كلامه السابق، فإنه لم يكتفِ بالحديث عن خيرات الحياة الحاضرة، بل أخذ يتكلّم مرة أخرى عن خيرات الدهر الآتي، لأنه يعرف أن الضعفاء في الإيمان يطلبون أمور الحياة الحاضرة، لكنهم لا يكتفوا بها. ولذلك يؤكد على تحقيق خيرات الدهر الآتي من خلال الخيرات التي أُعطيت في هذه الحياة بالفعل. ولكي لا يقول أحد، ماذا لو أن الله لم يُرد أن يمنحنا هذه الخيرات؟ لأنه من حيث إنه يستطيع وإنه باقٍ، وأنه حي (إلى الأبد)، فهذا نعرفه جميعًا، لكن ما الذي يجعلنا مُتيقنين من أنه يريد أن يهبنا هذه الخيرات؟ نستطيع أن نتيقن من هذا الأمر، من خلال الخيرات التي أُستعلنت لنا بالفعل. وأين أُستعلنت؟ أُستعلنت في المحبة التي أظهرها لنا. وهل ما يقوله يفعله؟ بالطبع لأن هذا ظاهر من خلال وعده بعطية الروح القدس. ولهذا فبعدما قال: "*والرجاء لا يُخزى*" أضاف الدليل على ذلك بقوله: "***لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا***". ولم يقل أُعطيت، لكن "*انسكبت في قلوبنا*"، لكى يُظهر فيض هذه المحبة. لأن تلك العطية العظمى التي وهبها ليست هى السماء والأرض والبحر، بل هى أكثر غنى من كل هذه الأمور، إذ جعل من البشر ملائكة، وأولادًا لله، وإخوة للمسيح. وما هى هذه العطية؟ هى عطية الروح القدس. لأنه إن كان لا يشاء أن يهبنا تيجانًا مُنيرة بعد كل الأتعاب، لما كان قد أعطانا خيرات وفيرة قبل هذه الأتعاب. والآن هو يظهر دفء محبته في الحياة الحاضرة، لأنه لم يكرمنا رويدًا رويدًا، وقليلاً قليلاً، لكنه سكب كل الخيرات التي صارت لنا قبل أن نجتاز الجهاد الروحي.

وبناء على ذلك حتى وإن كنت غير مستحق، لا تيأس، لأن لديك مُدافعًا عظيمًا، والذي هو محبة الديان. ولهذا بعدما قال: "*الرجاء لا يخزى*"، نسب

كل شيء لمحبة الله، وليس لإمكانيات خاصة بنا. لكنه بعدما أشار إلى عطية الروح القدس، ينتقل مرة أخرى إلى الكلام عن الصليب قائلاً الآتي:

" لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المعين لأجل الفجار. فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضًا أن يموت لكن الله بيّن محبته لنا " (رو٥:٦ـ٧).

إن ما يقوله هنا يعنى إن كان من أجل إنسان صالح لا يُفضّل أحد أن يموت على الفور، فانظر إلى محبة الرب الذي صُلب لا من أجل أتقياء، بل من أجل خطاة وأعداء . وبعد هذا قال:

" لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا. فبالأولى كثيرًا ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب. لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه. فبالأولى كثيرًا ونحن مصالحون نخلص بحياته" (رو٥:٨ـ١٠).

قد يبدو هذا الكلام وكأنه نفس الكلام السابق، إلاّ أنه يبدو مختلف بالنسبة للشخص المدقق الذي يفحص المعنى بعناية. انتبه، فهو أولاً يريد أن يؤكد لهم على الخيرات التي تنتظرهم في الدهر الآتي. ويوضح كيف كان إبراهيم البار ينظر إلى إمكانية حصوله على تلك الخيرات، قائلاً إنه "*تيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضًا*"[٢٠١]، وهذه الخيرات قد تحققت بعد ذلك من خلال النعمة التي أُعطيت لنا، ثم من خلال الضيقات، لأنها تقودنا إلى الرجاء، وأيضًا من خلال عمل الروح القدس الذي أخذناه. لكنه برهن فيما بعد على هذا الأمر، من خلال الحديث عن الموت الذي ملك علينا وخطايانا السالفة. الواضح ـ وهو الأمر الذي أشرت إليه سابقًا ـ أن الكلام يحمل بُعدًا واحدًا، لكنه في الحقيقة يحمل أبعاد ثانية وثالثة وأكثر من ذلك.

أولاً: أنه مات.

ثانيًا: أنه مات لأجل الخطاة.

ثالثًا: أنه صالحنا وخلصنا وبررنا وجعلنا أبناءً وورثة.

الواضح أيضًا أننا لن نكون أقوياءً فقط في مواجهة الموت، بل نحن أقوياء

---

[٢٠١] رو٤:٢١.

بواسطة هذا الذي أَعطيَ لنا بالموت . وإن كان من المؤكد أننا ونحن بعد خطاة قد مات المسيح لأجلنا، فهذا في حد ذاته يُعَد دليلاً على محبة الله التي لا توصف، أما من حيث أنه مات ونحن بعد خطاة وأعطى عطايا لا يُعبّر عنها، فإن هذه العطايا تفوق كل امتياز وتقود إلى الإيمان، حتى بالنسبة لمَن فقد الحس تمامًا. لأن الذي خلّصنا، ليس سوى ذاك الذي أحبنا بشكل فائق، على الرغم من أننا كنَّا خطاة، حتى أنه قدّم نفسه للموت لأجلنا. أرأيت كم يُساهم هذا الكلام المشار إليه في التطلع نحو خيرات الدهر الآتي؟ لأنه قبل أن يتحقق هذا، كان هناك أمران يتسمان بالصعوبة يعوقان نوالنا الخلاص، لقد كنا خطاة، وكان ينبغي أن يموت الرب عنا لكي نخلص، وهذا يعنى أن الخلاص كان يستحيل إتمامه بالفعل قبل (موت الرب)، وأن الخلاص كان يحتاج لمحبة غامرة، فإن كان كل هذا قد تحقق فما تبقى هو أمر سهل التحقيق، فلن يسود علينا الموت فيما بعد، لأننا صرنا محبوبين جدًا.

إذن فذاك الذي قهر الأعداء وأذلهم، ألا يُقدم لنا العون؟ الآن وقد صرنا محبوبين وحيث لا توجد حاجة بعد لأن يُسلّم ابنه للموت ثانيةً، فنحن نرى أن المرء لا يُقدِم على إنقاذ الآخر، لاعتبارات كثيرة، إما لأنه لا يريد، أو لأنه لا يستطيع حتى ولو أراد، وهى أمور لا نستطيع بالطبع أن ننسبها لله، لأنه قد سلم ابنه (للموت). فمن حيث إنه يستطيع، فهذا ما أظهره لأنه قد بررّنا ونحن بعد خطاة . إذًا هل هناك عائق يمكن أن يمنعنا بعد ذلك أن نتمتع بخيرات الدهر الآتي؟ لا يوجد.

ثم بعد ذلك أيضًا، ولكى لا تشعر بالخجل في المستقبل، إذ أنك قد سمعت كلمات مثل خطاة، وأعداء، وضعفاء، وجاحدين، فاسمع ما يقول:

" وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضًا بالله بربنا يسوع المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة " (رو٥:١١).

ماذا يعني بعبارة "وليس ذلك فقط"؟ يعني أننا لم ننل فقط الخلاص، بل أننا نفتخر أيضًا بهذا الخلاص، وتحديدًا بالخلاص الذي قد يتصور البعض أننا نخجل منه هذا هو ما نفاخر به. لأنه وبينما نحن نسلك في كل هذه

الشرور وهذا، إلا أنه قد منحنا الخلاص، وهذا دليل قوي جدًا على أن محبة ذاك الذي خلّصنا، هي محبة تفوق الوصف (وهذا ما يدعو للافتخار). لأنه لم يخلّصنا بملائكة أو رؤساء ملائكة، بل بابنه وحيد الجنس[٢٠٢]. وليس هذا فقط، بل إنه قد ضفّر لنا تيجان افتخار كثيرة جدًا بدم ابنه. لأنه لا يوجد شيئًا يعادل ـ إذا ما تحدثنا عن سبب المجد والافتخار ـ حقيقة محبة الله لنا، ومحبتنا نحن لذاك الذي أحبنا. فهذا الحب، جعل الملائكة والرئاسات والقوات في بهاء، وهذا الحب هو أعظم من مجرد التمتع بالملكوت. ولذلك فإن الرسول بولس قد وضعه قبل الملكوت. ومن أجل هذا فإنى أطوّب القوات غير المرئية، لأنهم يُحبون الله ويخضعون له في كل شيء. ولهذا السبب أيضًا فإن النبي قد أُعجب بهم، قائلاً: " *باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره*"[٢٠٣]. ولهذا أيضًا فإن إشعياء النبي قد امتدح خدمة مشيرًا إلى فضيلتهم العظيمة من حيث إنهم يقفون بالقرب من العرش الإلهى، الأمر الذي يُعَد دليلاً على المحبة الكبيرة.

٤ ـ إذن فلنتبع نحن أيضًا القوات السمائية، ولنهتم ليس فقط بأن نقف بالقرب من العرش، بل أن نحمل داخلنا ذاك الذي يجلس فوق العرش، لأنه أحب حتى الذين أبغضوه ومازال يُحبهم إذ أنه: " *يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويُمطر على الأبرار الظالمين*"[٢٠٥]. إلاّ أنه ينبغي عليك أنت أن تحبه، على الأقل طالما أنه أحبك. لكن كيف يستطيع ذاك الذي يحب أن يُهدد بجهنم والجحيم والعقاب؟ يهدد بهذا من أجل المحبة ذاتها. لأنه يريد أن يجتث خطيتك بالترهيب الذي يستخدمه كلجام يضبط به اندفاعك نحو الأمور الأكثر سوءًا، وهو يصنع كل شيء لكي يضبط سلوكك ويوجهك نحو الطريق المستقيم، سواء عن طريق الوعد بالخيرات أو بالتحذير من الانحدار

---

[٢٠٢] هذا ما تصلّيه الكنيسة في صلاة الصُلح: " لا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا رئيس آباء ولا نبي إئتمنتهم على خلاصنا، بل أنت بغير استحالة تجسدت وتأنست .. " (القداس الغريغوري).

[٢٠٣] مز١٠٣: ٢٠.

[٢٠٤] إش٦: ١ــ٧.

[٢٠٥] مت٥: ٤٥.

إلى الأمور المحزنة، فيعود بك إلى الطريق المؤدى إليه حتى يُبعدك عن كل الشرور التي هى أكثر فزعًا من الجحيم ذاته.

لكن لو أنك تسخر مما أقوله، وتريد أن تحيا في الخطية على الدوام اعتمادًا على مجرد إدانتك لنفسك يومًا واحدًا، فهذا لا يُعَد أمرًا غريبًا على الإطلاق. إنه بالحقيقة دليل على إرادة تفتقر للكمال، وعلى غياب الوعي، وعلى مرض غير قابل للشفاء. لأن الأطفال الصغار عندما يرون الطبيب وهو يكوي جرحًا[٢٠٦]، أو يقوم بإجراء عملية، فإنهم يهربون مبتعدين عن المكان وهم يصرخون صرخات قوية مُفضلين بالأكثر أن يعانوا باستمرار من تلك الآلام التي ألمت بجسدهم، على تدّخل الطبيب، حتى وإن أدى تدخله إلى الشفاء والتمتع بصحة جيدة، طالما أنهم قادرون على احتمال الألم مؤقتًا. لكن أولئك الذين لديهم إدراك، يعرفون جيدًا أن المرض هو أكثر رعبًا من الجراحة، تمامًا كما أن الخطية هى أكثر سوءًا من العقوبة. إذًا فأحد الأمرين يعنى الشفاء والصحة، بينما الآخر يعنى البلية والمرض المستمر.

أما من حيث إن الصحة هى أفضل من المرض، فهذا أمر واضح للجميع. كما أنه يحق لنا أن نُرثي اللصوص، لا عندما يمزقون جيوبهم، بل عندما ينقبون الحوائط ويقتلون. فإن كانت النفس هى أفضل من الجسد وهى هكذا بالفعل، فإذا ما فسدت، يكون أمرًا مبررًا أن نتنهد ونحزن عليها، لكن لو أنها لم تشعر بأنها فسدت، فإنه لهذا السبب تحديدًا يجب أن نحزن عليها بالأكثر. لأنه ينبغي حقًا أن نحزن بالأكثر على أولئك الذين يرغبون في ممارسة الفجور والفسق، وأولئك الذين يسكرون. وقد يتساءل المرء لماذا نفضل هذه الأمور (الفسق والفجور)، إذا كانت هى الأكثر فزعًا؟ لأنه وفقًا للنموذج الشائع فإن بعض الناس يُعجبون بالأمور المشينة ويفضلونها، ويحتقرون الأمور الصالحة ويُرذلونها. هذا الأمر من الممكن أن نراه في كل شيء، في المأكولات، وفي محاكاة أساليب حياة معينة، وفي الاستمتاع بالشهوة، وعند النساء، وفي البيوت، وعند المقيدين، وفي الحقول، وفي كل

[٢٠٦] كان هذا من الإجراءات الطبية المألوفة في ذلك الوقت (القرن الرابع).

الأمور الأخرى.

أخبرنى، أيهما أكثر سعادة، هل هى العلاقة الجنسية مع نساء أم مع رجال؟ وأيهما أفضل أن تكون العلاقة مع نساء أم مع حيوانات؟ لكننا نجد أن الكثيرين يحتقرون النساء ويأتون في علاقات جسدية مع حيوانات ومع رجال مثلهم، مع أنه من المؤكد أن العلاقات الطبيعية هى أكثر سعادة من العلاقات الشاذة . ومع هذا فإن الكثيرين يسعون نحو هذه الأمور المدانة، والمنفّرة، والمثيرة للسخرية، كما لو كانت تجلب لهم سعادة أكثر، وهم بذلك يَجلبون على أنفسهم العقاب . فهذه الأمور الفاضحة تبدو لهؤلاء على أنها مُفرحة، من أجل هذا هم تعساء، لأنهم يعتقدون أن الأمور التي ليست بالمفرحة، هى مُفرحة . هكذا يعتبرون أن الدينونة هى أشر من الخطية، والأمر ليس كذلك، بل هو على العكس تمامًا، إذ أن الخطية هى أكثر فزعًا من أي عقوبة . لأنه إن كان العقاب شرًا لأولئك الذين يخطئون، فلن يضيف الله شرًا على شرورهم (بواسطة عقابه)، ولن يجعلهم أكثر شرًا. لأن ذاك الذي فعل كل شيء لكي يمحو الشر، لا يمكن أن يكون سببًا في زيادته. وبناء عليه فإن العقوبة ليست شرًا لذاك الذي يخطئ، بيد أن الشر هو ألاّ يُعَاقَب الخاطئ في الحالة التي يوجد فيها، لأن هذا يشبه تلك الحالة التي فيها نُوصي بألاّ يُشفى المريض من مرضه.

إذن لا يوجد أشر من الشهوة الفاسدة. وعندما أقول الفاسدة أقصد شهوة اللذة، وشهوة المجد الباطل، وشهوة السلطة، وبشكل عام شهوة كل الأمور غير النافعة وغير الضرورية. لأن مثل هذا الإنسان الذي يحيا في اللذة أو حب الشهوة وفي حياة الرخاوة يعتقد أنه أكثر سعادة من الجميع، إلاّ أنه في الحقيقة هو أكثر تعاسة من الجميع، وقد جعل نفسه مُثقّلة بآلام مخيفة. ولذلك فإن الله جعل هذه الحياة الحاضرة صعبة، لكى يُخلّصنا من تلك العبودية (عبودية الشهوة)، ويقودنا إلى الحرية الكاملة. ومن أجل هذا فقد هدّد بالعقاب، وربط حياتنا بالأتعاب، لكى يقضى على خمولنا وتوانينا. هكذا فإن اليهود الذين كانوا مُخصصين لصناعة الأوانى الفخارية

والأرميد، وقد كانوا أبرارًا، ويُصلّون إلى الله بشكل مستمر، إلا أنهم عندما نالوا الحرية، تذمروا وأغضبوا الله وأصابوا أنفسهم بشرور كثيرة.

إذن بماذا تصف هؤلاء الذين يُغيّرون آرائهم مرات كثيرة بسبب الضيقات؟ نقول إن التغيير ليس بسبب الآلام، لكن بسبب ضعف أو مرض فيهم . لأنه إن كان هناك مرضًا ما قد أصاب معدة شخص، ورفض أن يتناول دواءًا مر المذاق، كان من الممكن أن يشفيه، فتدهورت حالته، فإننا لن نتهم الدواء، بل المرض الذي أصاب العضو المريض، وهذا أيضًا ينطبق على إلقاء اللوم على سذاجة الفكر. فإن مَن يغيّر رأيه بسهولة بسبب الضيقات، سيعانى الضيقات بصورة أكثر سهولة، حتى في حالة الراحة والرخاء، إذ أنه يسقط مُقيدًا بالخطية (هذا هو الضيق)، وبالأكثر جدًا سيسقط صريعًا، لو أنه وهو في حالة الضيق قد غيرّ رأيه، لأنه سيُغير رؤيته بالأكثر عندما يكون في حالة رخاوة وكسل . وقد يقول المرء كيف يمكنني أن أثبت على رأيي عندما أكون في حالة ضيق؟ يمكنك أن تكون ثابت الرأى، لو أدركت أنك ستعاني الضيق أو الآلام سواء أردت أم لم تُرِد، فلو أنك تجوز الآلام بشكر، ستربح الكثير، لكن لو كنت تعاني هذه الآلام متأففًا، وفي حالة يأس وانزعاج وتجديف، فلن تجعل الضيقة أو النكبة أقل، بل ستغرق أكثر في الضيقات والمتاعب.

فلنفكر إذًا في كل هذه الأمور ولنجعل ما يأتي نتيجة اضطرار، يكون بالإختيار . ما أقصده هو الآتي: قد يفقد شخص ما ابنه، وآخر يخسر كل ثروته، فنقول: إن أدركا استحالة تصحيح ما حدث، إلاّ أنهما من الممكن أن يربحا شيئًا من وراء هذه النكبة التي لا شفاء منها، بأن يحتملان هذه الكارثة بشجاعة، وبدلاً من كلام التجديف، يعطيان المجد لله، عندئذٍ فإن الضيقات التي ألمت بهما ستصير سبب عزاء عندما يقبلانها بالشكر. هل شاهدت موت إبنك وهو صغير السن؟ لتقل: "*الرب أعطى الرب أخذ*"[٢٠٧]. هل فُقَدتَ ثروتك؟ لتقل "*عريانًا خرجت من بطن أمي وعريانًا أعود إلى هناك*"[٢٠٨].

---

[٢٠٧] أي١:٢١.

[٢٠٨] أي١:٢١.

وإن رأيت الأشرار وهم ينعمون، بينما الأبرار يتألمون ويعانون ضيقات لا حصر لها، ولا تعرف كيف تجد سببًا لكل ما يحدث لتقل " *صرت كبهيم عندك ولكن دائمًا معك*"[٢٠٩].

فإذا كنت تبحث عن السبب، فكّر في أن الله قد عيَّن يومًا فيه يدين كل المسكونة، وسينزع كل ريبه، لأنه في ذلك الوقت سينال كل أحد ما يستحقه (عن أعماله التي عملها) تمامًا مثل لعازر والغنى . تذكّر الرسل لأنهم بينما جُلِدوا وطُرِدوا وجازوا ضيقات وآلام لا حصر لها، إلاّ أنهم كانوا فرحين لأنهم حُسبوا مستحقين أن يهانوا من أجل اسم المسيح . وأنت أيضًا لو أنك مرضت فليكن قبولك للألم برضى وشجاعة، ولتشكر الله على كل حال، وهكذا ستأخذ نفس المكافأة مع أولئك الذين تألموا من أجل اسمه . لكن كيف يحدث بينما أنت مريض وتعاني، يمكنك أن تشكر الله؟ يمكنك أن تفعل ذلك لو أنك تحبه بالحقيقة. لقد أُلقوا الثلاثة فتية في أتون النار، وآخرون عانوا آلامًا كثيرة داخل السجون، ومع هذا لم يتوقفوا عن شكرهم لله، فبالأولى كثيرًا أولئك الذين يعانون من أمراض شديدة ينبغي أن يشكروا الله.

لأن رغبة الإنسان القوية تستطيع أن تنتصر على كل شيء. فالشوق الإلهى عندما يلتهب فى داخلنا، فإنه يتفوق على كل شيء، ولن يعوق هذه الرغبة أى شيء، لا نار ولا قيود، ولا فقر، ولا مرض، ولا موت . وطالما أن الإنسان يحتقر كل الأشياء، فسيرتفع إلى السماء، ولن يكون أقل من الساكنين هناك، ولن ينظر لأي أمرٍ آخر، لا سماء ولا أرض ولا بحر، لأن نظره يكون معلّقًا بأمر واحد فقط، وهو جمال المجد السمائى. إن الأمور المحزنة أيضًا لا يمكنها أن تُثبّط من عزيمة الإنسان وهو يسلك في هذه الحياة الحاضرة، ولا الأمور المادية ستجعله يتباهى ويفتخر . فليكن لدينا شوق لهذا العشق الإلهي، الذي لا يُعادله شيئًا، من خيرات هذه الحياة أو الخيرات المستقبلية، ومن الأفضل أن نقول قبل كل هذا إنه لا يوجد شيء يعادل طبيعة هذا العشق

---

[٢٠٩] مز٧٣: ٢٢.

الإلهى. لأننا ـ بهذا العشق الإلهي ـ سننجو من عقوبات الحياة الحاضرة، وعقوبات الدهر الآتي وسنتمتع بملكوت الله. وقبل ذلك نقول إن لا الخلاص من جهنم، ولا التمتع بالملكوت يعتبر أمرًا ذي قيمة كبيرة إذا ما قورن بذاك الذي سنراه في الدهر الآتى. لأن الأعظم من كل هذا هو محبة المرء للمسيح، وتمتعه بمحبته. لو ساد ذلك على حياة البشر، فهذا أسمى من كل اعتبار. وعندما يتحقق هذا فأي حديث وأي فكر يمكن أن يُعبّر عن طوباوية هذه النفس؟ فليس هناك ما يُساوي اختبار تذوق هذه السعادة.

ومادمنا قد هجرنا كل شيء لا يُرضى صلاح الله، سنصل إلى إدراك مذاقه هذا الفرح الروحى، والحياة الطوباوية، وكنز الخيرات التي لا تُحصى، فلنكرس أنفسنا للسلوك بمحبة من أجل سعادتنا، وإعلان مجد الله الذي نشتهيه، لأنه يليق به المجد والقوة مع ابنه وحيد الجنس والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

+ + + + + + +

العظة الحادية عشر

" من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع " (رو١٢:٥).

١ ـ تمامًا كما يصنع الأطباء الأكفاء الذين يفحصون دومًا وبعمق جذور المرض ويَصلون إلى السبب المباشر لظهوره، هكذا يصنع الطوباوى بولس. فعندما قال إننا تبررنا، وبعدما أظهر أن هذا البر استعلن في إيمان إبراهيم بالروح القدس، وبموت المسيح، لأنه مات لكى يبررنا، نجده يبرهن بعد ذلك وبأسلوب آخر على تلك الأمور التي سبق وأظهرها بدلائل كثيرة من خلال الموت والخطية . وقد حاول أن يشرح كيف وبأي طريقة دخل الموت إلى العالم وساد عليه، ويقول إن هذا حدث بخطية الإنسان الواحد (أى آدم). وماذا يعني بقوله: "وفي شخصه اجتاز الموت إلى جميع الناس؟" يعني أن الموت قد اجتاز إلى الجميع لأنه (أى آدم) سقط في الخطية، وأولئك الذين لم يأكلوا من الشجرة جميعهم صاروا في شخصه مائتين.

" فإنه حتى الناموس كانت الخطية في العالم على أن الخطية لا تحسب إن لم يكن ناموس " (رو١٣:٥).

لقد تصوَّر البعض أن عبارة " فإنه حتى الناموس" (أي حتى أُعطَي الناموس)، تعني ذلك الزمن الذي يسبق إعطاء الناموس، أي زمن هابيل، وزمن نوح، وزمن إبراهيم، وحتى ولادة موسى، غير أنه لابد وأن نسأل ما هى الخطية التي وجدت في ذلك الزمان؟ يقول البعض إن الرسول بولس يُشير إلى الخطية التي حدثت في الفردوس، طالما أنها لم تكن قد بَطُلَت بعد، بل أن ثمرها قد أينع، حيث أن هذه الخطية قد حملت الموت للجميع، وقد ساد الموت واستبد. لكن لأى سبب أضاف " *على أن الخطية لا تحسب إن لم يكن ناموس*" لقد أضاف ذلك، لمواجهة اليهود، فإذا لم تكن هناك خطية، عندما لم يكن هناك ناموس، فكيف ساد الموت على جميع الذين عاشوا قبل الناموس؟ يبدو لى أن هذه العبارة لها علاقة بالأكثر بما كان في فكر الرسول بولس، وما كان يريد قوله. وما هو هذا الذي كان يريد قوله؟ أراد

أن يقول إن الخطية وُجدت في العالم حتى ذلك الحين الذي أُعطيَ فيه الناموس، من الواضح أن هذا هو ما يقصده، فبعدما أُعطيَ الناموس، سادت الخطية أتت من المعصية. لأنه يقول إن "الخطية لا تُحسب إن لم يكن ناموس". فلو أن هذه الخطية قد جلبت الموت بسبب مخالفة الناموس فكيف مات كل الذين عاشوا قبل الناموس؟ لأنه إن كان الموت يأتى من الخطية، وإذا كانت الخطية لا تُحسب إن لم يكن ناموس، فكيف ساد الموت قبل إعطاء الناموس؟

وبناء عليه يكون من الواضح أن الخطية لم تأتِ بسبب مخالفة الناموس، لكن بسبب خطية آدم، وهذه الخطية هى التي أدت إلى هلاك كل شيء. وما هو الدليل على ذلك؟ الدليل أن الجميع ماتوا قبل الناموس، لأنه يقول:

" ولكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم الذي هو مثال الآتي " (رو٥:١٤).

وكيف ملك الموت؟ "على شبه تعدى آدم". ولهذا فإن آدم هو مثال للمسيح. وكيف يقول إنه مثال المسيح؟ لأنه كما أن أولئك الذين أتوا من آدم على الرغم من أنهم لم يأكلوا من الشجرة، إلاّ أن الموت قد ملك عليهم، وهكذا صار آدم سببًا للموت الذي دخل إلى العالم، بسبب الأكل من الشجرة، هكذا أيضًا فإن أولئك الذين انحدروا من المسيح، على الرغم من أنهم لم يعملوا أعمالاً بارة، إلاّ أن المسيح صار سببًا للبر الذي منحه للجميع بواسطة صليبه.

لذلك فقد اهتم الرسول بولس بالتركيز على عبارة "بالواحد"، وهذا ما يُشير إليه باستمرار قائلاً: " *كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم*" وأيضًا "*لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون*" و"*ليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية*" وأيضًا "*لأن الحكم من واحد للدينونة*" و"*إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد*".

وفي كل هذا لم يبتعد القديس بولس عن استخدام عبارة "الواحد"، حتى أنه عندما يسألك يهودي كيف أنه ببر واحد أى بر المسيح، قد خَلُصَت البشرية؟ سيُمكنك أن تُجيب وكيف أُدينت البشرية كلها بينما من خالف

الوصية هو واحد؟ مع الوضع في الاعتبار وهذا أمر مؤكد، أن الخطية ليست مثل الهبة، وأن الموت ليس كالحياة، وأيضًا من المستحيل أن يوضع الشيطان في مقارنة مع الله، لأن الفروق غير محدودة ولا تُحصى.

إذن هذا قد حدث بالنظر إلى قدرة ذاك الذي فعل كل هذه الأشياء، ووفقًا لخطة الله من جهة خلاص البشرية ـ لأن ما يليق بالله بالأكثر هو أن يُخلّص لا أن يُعَاقِب ـ وهنا مكمن التميّز والانتصار، أخبرنى أى مُبرر يمكن أن تتذرع به لعدم الإيمان؟ لأنه من المؤكد أن ما حدث يتفق مع المنطق وقد برهن عليه الرسول بولس بقوله:

" ولكن ليس كالخطية هكذا أيضًا الهبة. لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيرًا نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين " (رو٥:١٥).

١ ـ ما يقوله يعني الآتي: فلو أن الخطية قد استطاعت أن تصنع كل هذا (أن يجتاز الموت لجميع الناس) وبالطبع من خلال خطية إنسان واحد، فكيف لا تستطيع نعمة الله، وليس فقط نعمة الله الآب، بل والابن أيضًا أن تُحقّق الكثير (أى خلاص الجميع)؟ وهذا يُعَد أكثر تمشيًا مع المنطق . لأنه أن يُدان احد بسبب خطية آخر، فمن الواضح أن هذا ليس له مبررًا كافيًا (بحسب المنطق الإنساني)، بيد أن يَخْلُص أحد بسبب عطية الآخر، فهذا أكثر قبولاً وأكثر تمشيًا مع المنطق. فلو أن البشرية قد أُضيرت بالخطية، فبالأولى كثيرًا ستنال فيض النعمة وعطية البر.

٢ ـ إذن فالطبيعي والأكثر تمشيًا مع العقل والمنطق، قد برهن عليه الرسول بولس كما سبق وأشرنا، فطالما أنه قد قَبلت فكرة أن بخطية الواحد قد اجتاز الموت إلى الجميع، سيصير من السهل قبول أنه بعطية الواحد سيَخلُص الجميع، وكون أن هذا الخلاص هو ضرورة حتمية، فقد دلل عليه في الآيات الآتية. وكيف دلل على ذلك؟ بقوله:

" وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية لأن الحكم من واحد للدينونة وأما الهبة فمن جرىً خطايا كثيرة للتبرير " (رو٥:١٦).

ماذا يعني هذا الكلام؟ يعني أن الموت والدينونة يمكن أن تسببهما

خطية واحدة، بينما نجد أن النعمة قادرة على أن تمحو ليس فقط خطية واحدة، بل وتلك الخطايا التي ظهرت بعد الخطية الأولى. ولكى لا تكون عبارات مثل (كما) و(هكذا) توازي بين الخير والشر في المستوى، ولكى لا تعتقد عندما تسمع اسم آدم أن ما مُحَي هو فقط الخطية الأولى التي اقترفها آدم، فإن الرسول بولس يقول إنه قد مُحيت خطايا كثيرة. وما الذي يوضح ذلك؟ الذي يوضحه هو أنه بعد الخطايا الكثيرة التي اقتُرفت فيما بعد أى بعد الخطية الأولى التي سقط فيها آدم في الفردوس، انتهى الأمر إلى قبول عطية التبرير، وحيث يوجد بر فحتمًا ستتبعه حياة وخيرات لا تُحصى، تمامًا كما يحدث في حالة الخطية فحيثما توجد خطية يتبعها موت، **لأن البر هو شيء أكثر من الحياة، إذ هو جذر أو أصل الحياة.**

إذن من حيث إن هناك هبات كثيرة قد مُنحت بعطية البر وأن الخطية الأولى ليست هى فقط التي مُحيت، بل وكل الخطايا الأخرى، فهذا قد برهن عليه الرسول بولس بقوله: " *وأما الهبة فمن جرى خطايا كثيرة للتبرير*". وبذلك يكون قد برهن بالضرورة على أن الموت قد قُضيَ عليه نهائيًا. ولأنه قال بعد ذلك إن الثاني (أي آدم الثاني) أعظم من الأول (أي آدم الأول)، فهناك احتياج أن يبرهن على هذا مرة أخرى . فطالما أن بخطية إنسان واحد اُقتيد الجميع إلى الموت، كما سبق وأشار إلى ذلك، فبالأولى كثيرًا ستستطيع نعمة الواحد (أي نعمة المسيح) أن تُخلّص الكثيرين . ثم دلل على أنه ليست الخطية الأولى فقط هى التي مُحيّت بواسطة النعمة بل جميع الخطايا الأخرى، ولم تُمحَى الخطايا فقط، بل أُعطي البر أيضًا. وعلى قدر ما تسبّبَ آدم في الأضرار، على قدر ما كانت عطايا المسيح وفيرة ولا تحصى . ومع أنه أشار إلى كل هذه الأمور، إلاّ أنه يحتاج هنا أيضًا لتقديم برهان أوضح. كيف قدم هذا البرهان؟ قدمه بقوله:

" لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيرًا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح" (رو٥:١٧).

ما يقوله يعني الآتي: بماذا تسلّح الموت ضد البشرية؟ تسلّح بأن إنسانًا

واحد فقط أكل من الشجرة، فإذا كانت هذه السيادة الكبيرة بسبب خطية واحدة، قد أدت إلى الموت، فكيف يصبح من الممكن أن يكون هناك أناس تحت حكم الموت وقد حصلوا على نعمة وبر أعظم بكثير من الخطية الأولى، الأمر الذي جعله لا يقول فقط "نعمة"، بل "فيض النعمة"؟ لأننا لم نحصل على قدر بسيط من النعمة يكفى فقط لمحو الخطية، بل حصلنا على فيض النعمة. لأنه بالحقيقة قد أُنقِذنا من الجحيم، وابتعدنا عن الشر، وولدنا مرة أخرى من الله. بل وأقامنا، مادام أن إنساننا العتيق قد دُفن، وَخلُصنا، وتبررنا، وصرنا أبناءً، وتقدّسنا وأصبحنا اخوة للابن الوحيد الجنس، وورثة معه، واتحدنا معه في جسد واحد، وإلى هذا الجسد نحن ننتمي، وكما أن الجسد متحد بالرأس، هكذا اتحدنا نحن أيضًا به (أي بالابن).

كل هذا دعاه الرسول بولس " فيض النعمة " مُظهرًا هكذا أننا لم نحصل فقط على ما يُضمد الجرح، لكن حصلنا على شفاء وجمال وكرامة، وعلى رُتب تفوق كثيرًا طبيعتنا الفانية. وكل أمر من هذه الأمور، كان كافيًا وحده أن يُبطل الموت، إلاّ أنه عندما يتضح أن كل هذه الأمور قد ساعدت معًا في إبطاله، فلن يكون له أثر بعد ذلك، ولن يكون ممكنًا أن يخيم بظلاله حولنا، طالما أنه قد انتهى كلية. تمامًا كما لو أن شخصًا قد وضع آخر في السجن لأنه مديون له بعشرة فلسات، وليس هذا فقط، بل ووضع في السجن أيضًا زوجته وأولاده وخدامه، بسبب هذا الدين، ثم أتى شخص آخر ودفع ليس فقط عشرة فلسات، بل ومنح آلاف العملات الذهبية، وقاد السجين إلى الحاشية الملكية وإلى عرش السلطة العليا، وجعله شريكًا في الكرامة السامية وفي الأمور الأخرى المشرقة، فيصير من غير الممكن أن يتذكر بعد ذلك الفلسات التي اقترضها . هذا ما حدث لنا، لأن المسيح دفع أكثر جدًا من قيمة الدين الذي كان علينا. وما دفعه كان عظيمًا جدًا، بقدر اتساع البحر إذا ما قُورن بنقطة ماء صغيرة . إذًا ينبغى عليك أيها الإنسان ألا تشك في شيء عندما ترى كل هذا الغنى الوفير من الخيرات، ولا

تفحص كيف انطفأت شرارة الموت والخطية، عندما غمر هذا البحر الكبير من الهبات الوفيرة هذه الشرارة المتقدة. وهذا ما أشار إليه القديس بولس قائلاً: "*الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة*".

٣ ـ ولأنه قد برهن على هذا بكل وضوح (أي أن أولئك الذين ينالون فيض النعمة سيملكون في الحياة)، فإنه يُقدم نفس الرؤية السابقة مرة أخرى مؤكدًا عليها من خلال التكرار، بقوله إن كان بخطية واحد قد أُدين الكثيرون، فقد تبرروا للحياة بالواحد. ولهذا يقول:

" فإذًا كما بخطية واحد صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة " (رو٥:١٨).

ويستمر في محاولته هذه للتأكيد على هذه الرؤية مرة أخرى، فيقول:

" لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاة هكذا أيضًا بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبرارًا " (رو٥:١٩).

إن ما يقوله القديس بولس هنا ـ بحسب الظاهر ـ يخلق مشكلة كبيرة، إلاّ أنه إذا انتبه المرء بدقة لما يقوله، فإن هذه المشكلة ستُحل بسهولة . وما هى هذه المشكلة؟ هى أنه قال " بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاة ". لأنه أن يكون ذاك (أى آدم) قد أخطأ وصار فانيًا، وأن كل مَن انحدر منه قد أخطأوا وصاروا فانيين، فهذا لا يُعَد أمرًا غير طبيعى على الإطلاق، ولكن أن يصير آخر (المسيح) خطية بسبب معصية ذاك (آدم)، فأى علاقة طبيعية يمكن أن تقوم هنا؟ لأن هكذا سيُعتَبر هذا الإنسان خاطئًا، دون أن يكون مسئولاً عن الحكم، طالما أنه لم يَصِر من ذاته خاطئًا.

إذن ماذا تعنى هنا كلمة "خطاة"؟ من ناحيتى يبدو لى أنهم تحت حكم الدينونة ومحكوم عليهم بالموت. ومن حيث أنه بموت آدم قد صرنا جميعًا فانيين، فهذا قد بيّنه الرسول بولس بوضوح وبطرق كثيرة، لكن السؤال المطروح: هو لأى سبب حدث هذا (أي صار الموت إلى جميع الناس)؟ وهنا نجد أن القديس بولس لم يُشِر إليه بعد ، لأن هذا لم يكن ليُعينه في مسعاه، لأن

المعركة كانت ضد اليهودي الذي كان تنتابه الشكوك، وكان يسخر من موضوع البر بالواحد . ولهذا بعدما أظهر كيف أن بخطية الواحد قد صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، لم يقل لماذا حدث هذا، لم يتكلم عنه بعد، لأنه كان يتجنب الأمور غير الجوهرية، ويهتم فقط بالأمور الضرورية . لأن ناموس الأعمال كان يُلزم اليهودي بالأكثر أن يتكلم عن (البر بالأعمال)، لا أن يتكلم عن بر المسيح . ولذلك فقد ترك المشكلة بلا حل . لكن لو أن أحدكم طلب أن يعرف السبب فسنتكلم عن هذا، بمعنى أننا لم نُضار مطلقًا من أن الموت قد ملك على الجميع، بل إننا قد ربحنا، بكوننا قد صرنا فانيين، **أولاً** لأنه لو كان لنا جسدًا غير قابل للموت، فإن ذلك سيكون دافع للاستمرار في ارتكاب الخطية، **ثانيًا** لكى تكون لدينا دوافع غير محدودة في جهادنا لتحقيق التقوى.

لأنه بالحقيقة عندما يكون الموت حاضرًا، وعندما ننتظره، فإنه يُقنعنا أن نكون متواضعين، ومُتعقلين، وبسطاء، وأن نتخلص من كل شر . ومع هذا فمن الأفضل أن نقول أولاً أننا ربحنا بالموت خيرات أخرى وفيرة، لأنه من هنا أُستعلنت أكاليل الشهداء ومكافآت الرسل . هكذا تبرر هابيل، وهكذا تبرّر إبراهيم الذي قدّم ابنه ذبيحة، وهكذا أيضًا تبرّر يوحنا الذي مات لأجل المسيح، وأيضًا الثلاثة فتية، كما تبرّر دانيال. لأنه لو أردنا (البر)، فلن يستطيع الموت ولا الشيطان نفسه أن يُسبب لنا ضررًا أو أذى. وفوق كل هذا فإننا نستطيع القول بأن الأبدية تنتظرنا، وطالما أننا قد نلنا تعليمًا أو إرشادًا لزمن قصير، سنتمتع بخيرات الدهر الآتي بدون خوف، كما لو أنه قد تم إعدادنا في مدرسة الحياة الحاضرة، من خلال المرض والضيقات والتجارب والآلام، ومن خلال الأمور الأخرى التي تُعَد مُحزنة ومؤسفة، لكى نكون مستعدين ومهيئين لاستقبال خيرات الدهر الآتي.

٤ـ " وأما الناموس فدخل لكى تكثر الخطية " (رو٥:٢٠).

بعدما بيّن كيف أنه بخطية آدم صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، بينما بعطية المسيح صارت الهبة لجميع الناس لتبرير الحياة، وأن جميع الناس

قد خلصوا وأُنقذوا من الدينونة، نجده ينشغل فيما بعد بموضوع الناموس مُقللاً مرة أخرى من وقع تأثيره. إذ أن الناموس لم ينفع ولم يُعين الإنسان في خلاصه، بل وجدنا أنه عندما أُعطيَ الناموس، ازداد الضعف. وهنا فإن تعبير "لكي" (για να)، لا يعني السبب، لكن يعنى النتيجة. بمعنى أن الناموس لم يُعطَ لكي تزداد الخطية، لكن لكي تقل وتُمحى، لكن العكس قد حدث، لا بسبب طبيعة الناموس، بل بسبب لا مبالاة أولئك الذين أخذوا الناموس . ولكن لماذا لم يقل في الآية أن الناموس أُعطيَ لكنه قال "*أما الناموس فدخل*"؟ ذلك لكي يُظهر أن الاحتياج له **هو أمر مؤقت وليس أمرًا أساسى أو هام**، وهذا ما نجده في رسالته إلى أهل غلاطية عندما أعلن عن نفس الشيء، ولكن بأسلوب آخر بقوله: "*لكن قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس مُغلقًا علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلن*"[210].

وبناء على ذلك فإن إهتمامه بحفظ الرعية لم يكن لأجل ذاته، بل لأجل الآخرين . لأن بعض اليهود كانوا بلا حس، صغار النفوس، وبلا رجاء من جهة نفس العطايا، ولهذا السبب أُعطيَ الناموس، لكي يشهد على هؤلاء بالأكثر، ولكي يُعلّمهم بكل وضوح في أى حالة هم يحيون ويوسع من مساحة الإدانة (أي أن الخطية ازدادت بسبب لا مبالاة اليهود)، حتى يجعلهم أكثر إدراكًا. ولكن لا تخف، لأن هذا لم يحدث بهدف أن تصير العقوبة أكبر، بل لكى تظهر النعمة أكثر . ولهذا أضاف: "***ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدًا***". ولم يقل ازدادت النعمة فقط، لكن "*ازدادت النعمة جدًا*". لأنه لم يخلّصنا من الجحيم فقط، لكن ومن الخطايا أيضًا، ووهبنا الحياة وتلك الأمور الأخرى التي تكلمنا عنها مرات عديدة . تمامًا كما لو أن شخصًا كان مريضًا بارتفاع في درجة الحرارة، وأتي آخر ولم يخلصه فقط من المرض، لكن جعله في وضع بهى وقوى ومُمجد، وأيضًا لو كان شخص جائعًا ثم أشبعه آخر وليس هذا فقط، بل جعله مالكًا لأموال كثيرة، ثم قاده إلى سلطة كبيرة.

---

[210] غل٣:٢٣.

وكيف يقول كثرت الخطية؟ **قال هذا لأن الناموس أعطى وصايا غير محدودة، ولأنهم خالفوها كلها، فقد كثرت الخطية. أرأيت مدى التباعد بين النعمة والناموس؟ لأن الناموس صار سببًا للوم والإدانة، بينما النعمة صارت سببًا لهبات وفيرة جدًا.**

وبعدما تكلم عن السخاء في العطايا التي لا يُعبّر عنها، تكلّم مرة أخرى عن النعمة، عن سبب الموت وعن الحياة. إذًا ما هو سبب الموت؟ سبب الموت هو الخطية. ولهذا قال:

" حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا " (رو٥:٢١).

قال هذا لكي يُقدّم الخطية كما لو كانت ملكًا، والموت مثل جندى يخضع لأوامره ويأخذ مؤونته منه . وبناء على ذلك فلو أن الخطية قدمت مؤونة للموت، فمن الواضح جدًا أن البر الذي لاشى الخطية، والذي أتى بالنعمة لم يجرد الموت فقط من أسلحته، بل وقضى عليه أيضًا وأنهى على كل مملكة الخطية تمامًا، وذلك على قدر عظمة البر مقارنة بالخطية، وهذا البر قد أتي لا بمساعدة إنسان أو ملاك، لكنه أتى من خلال معونة الله ونعمته، حتى يقود حياتنا إلى الوضع الأسمى وإلى خيرات لا تُحصى، خاصةً وأن حياة الدهر الآتى هي بلا نهاية، لكي تعرف من الآن امتياز هذه الحياة . لأن الخطية انتزعتنا خارج الحياة الحاضرة، لكن عندما أتت النعمة لم تهبنا فقط الحياة الحاضرة، بل وهبتنا أيضًا الحياة الأبدية. كل هذا قد منحنا إياه المسيح . إذًا لا تشك في الحياة الأبدية، طالما أنك تبررت، لأن البر هو أسمى من الحياة، إذ أنه هو الذي يلد الحياة الحقيقية.

الأصحاح السادس

الاصحاح السادس

" فماذا نقول أنبقى في الخطية لكى تكثر النعمة؟ حاشا " (رو٦:١).

يبدأ الرسول هنا بالحديث عن السلوك الأخلاقى أيضًا، دون أن يكون قد أشار إليه قبل ذلك، حتى لا يبدو في نظر الكثيرين أنه مُزعج ومُحزن، لكنه الآن يتحدث عن هذا الموضوع بسبب النتيجة الطبيعية للمنهج الذي تبناه في حديثه. ويظهر بوضوح هذا التنوع في أسلوبه وطريقة كلامه، ويرجع هذا إلى رغبته في ألا تسبب رسالته امتعاضًا لدى الذين يتلقونها، ولهذا قال: " *ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم جزئيًا*"[٢١١]، ولو إنه قد انتهج أسلوبًا آخرًا، لكان يبدو أمام هؤلاء بصورة أكثر قسوة. ولكن بعدما لجأ لهذا الأسلوب أظهر عظمة النعمة من حيث إنها شفت خطايا كثيرة وكبيرة، وقد بدا للحمقى أن هذا الكلام يمثل تحريضًا على ارتكاب الخطية (فإن كان قد بدا لهم أن النعمة ازدادت بسبب ارتكاب خطايا كثيرة، فلنستمر في ارتكاب الخطية لتزداد النعمة). إذًا ولكى لا يقولوا هذا ولا حتى يلمحون له، لاحظ كيف أنه يُزيل التناقض **أولاً** بالنفى قائلاً "حاشا"، الأمر الذي اعتاد أن يفعله تجاه أولئك الذين يعترفون بما يتنافى مع الحقيقة، **ثم بعد ذلك** طرح فكرًا لا يحتمل الخلاف. ما هو هذا الفكر؟ هو ما أشار إليه بقوله:

" نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها ؟ " (رو٦:٢).

ما معنى "مُتنا"؟ يعنى إما أننا جميعًا قد قبلنا الخطية وخضعنا لها كقرار اتخذناه، أو أننا قد صرنا أمواتًا بالنسبة للخطية لأننا آمنا واعتمدنا، وهو الأمر الذي نُرّجحه بالأكثر. هذا ما يُظهره الكلام الذي يأتي فيما بعد. ولكن ما معنى نحن الذين متنا عن الخطية؟ تعني أننا لا نخضع بعد للخطية على الإطلاق. لأن هذا هو ما صنعته المعمودية مرة واحدة، إذ أمتتنا من جهة الخطية، لكن ينبغي علينا فيما بعد أن نتمكن من الاستمرار في ذلك أى في حالة الموت عن الخطية من خلال جهادنا، وحتى لو كانت الخطية تفرض علينا في مرات عديدة أن نخضع لها، فيجب ألا يخضع أحد لها بعد، بل ينبغي

---

[٢١١] رو١٥:١٥.

أن يبقى ثابتًا تمامًا في مواجهتها، مثل الميت . وإن كان الرسول بولس يقول في موضع آخر إن الخطية ذاتها قد ماتت، فقد قال هذا لأنه أراد أن يُبيّن كيف أن الفضيلة تعد أمرًا سهلاً، بينما هنا لأنه أراد أن يثير انتباه المستمع لرسالته، فتحدث عن فكرة الموت . ولأن ما طُرح لم يكن واضحًا، فقد أخذ يفسره مرة أخرى ويتكلّم بصورة التأنيب والتوبيخ قائلاً:

" أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته؟" (رو٦:٣).

إذن فإننا دُفِنا معه في المعمودية. ماذا تعني عبارة "اعتمدنا لموته؟" تعني أننا نحن أيضًا نموت كما مات هو، لأن الصليب هو المعمودية. فهذا الذي جازه المسيح، أي الصليب والقبر، يتحقق في المعمودية التي نُتممها، وإن لم يكن بنفس الطريقة. لأن المسيح مات بالجسد ودُفن، بينما نحن نجوز نفس الأمر بالنسبة للخطية. ولهذا لم يقل إننا قد ذقنا نفس الموت، بل قال "*بشبه موته*"[٢١٢]. لأن الموت يتم في المعمودية وفي الصليب، ولكن ليس بنفس الطريقة، كما أنه من نوعين مختلفين. **موت المسيح كان موتًا للجسد، لكن موتنا هو موت عن الخطية. وكما أن موت المسيح كان موتًا حقيقيًا بالجسد، هكذا تمامًا فإن موتنا في المعمودية هو موت حقيقى عن الخطية. لكن على الرغم من أنه موتًا حقيقيًا، إلاّ أنه ينبغي علينا أيضًا أن نسلك بما يتفق والحياة الجديدة. ولهذا أضاف:**

" فدُفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضًا في جدة الحياة" (رو٦:٤).

لاحظ أنه يُشير هنا إلى موضوع القيامة بجانب الحديث عن الاهتمام بالسلوك اليومي في حياتنا. كيف؟ أتؤمن أن المسيح مات وقام؟ فإن كنت تؤمن بهذا، فيجب أن تؤمن بموتك أنت وبقيامتك أيضًا. فموتك يشبه موت المسيح، لأن موتك (في المعمودية) هو أيضًا صليب ودفن. إذًا فلو كنت قد اجتزت الموت والدفن، فبالأولى جدًا ستجوز القيامة والحياة . لأنه طالما أن

---

[٢١٢] رو٦:٥.

الأمر الأكبر قد اضمحل أى الخطية، فيجب ألا نُشك بعد في أن الأمر الأصغر أى الموت قد بطل.

٦ ـ بيد أننا نترك التفكير في هذه الأمور لذهن المستمعين أولاً . وبينما يتجه الحديث نحو الأمور الخاصة بالدهر الآتي، نجد الرسول بولس يطالبنا بقيامة أخرى، أى السلوك وفق منهج الحياة الجديدة التي تُستعلن في الحياة الحاضرة بواسطة تغيير سلوكنا . **لأنه عندما يصير الزانى عفيفاً، والطماع شفوقاً، والمتوحش هادئاً، حينئذ تتجلى تلك القيامة التي تسبق القيامة من الموت.** وكيف حدثت القيامة؟ حدثت بموت الخطية، واستعلان البر، صارت القيامة حين اضمحلت الحياة القديمة، وسادت الحياة الجديدة الملائكية. وعندما تسمع عن الحياة الجديدة يجب عليك أن تطلب التغيير وبإصرار، وأيضًا أن تسعى نحو التحول الجذري . إلاّ أن ثمة إحساسًا بالبكاء والتنهد العميق يتملكني، عندما أفكر في مقدار العفة التي يطلبها منا الرسول بولس، ومقارنتها بمدى اللامبالاة التي نحيا فيها، حيث إننا نعود بعد المعمودية إلى الأشياء العتيقة، نعود إلى الخلف، إلى عبودية مصر ونتذكر الثوم بعدما أكلنا المن السماوى . كما أننا نشرع مرة أخرى في ممارسة الأشياء العتيقة بعد أن نكون قد أحرزنا تغييرًا لمدة عشرة أو عشرين يومًا.

ومن المؤكد أن الرسول بولس يطلب السلوك وفق منهج الحياة الجديدة لا لبضعة أيام، بل طوال أيام حياتنا، لكننا نعود مرة أخرى إلى سابق عهدنا في التفوه بكلام بذئ، ممهدين بذلك لعودة الأشياء العتيقة التي أوجدتها الخطايا، كل هذا بعدما دخلنا في الحياة الجديدة التي تأسست بالنعمة. إن محبة المال والعبودية للشهوات الجسدية، وبشكل عام كل خطية تُرتكب هى بالحقيقة التي تجعل مَن يرتكبها، يشيخ "*وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال*"[٢١٣]. لأنه يستحيل أن يضعف الجسد بهذا القدر مع مرور الزمن، ولا تضعف النفس وتسقط معه من كثرة الخطايا. لأن الخاطئ سيصل فيما بعد إلى أسوأ حالة من الإسفاف بعد سقوطه المتكرر وسيهذي

[٢١٣] عب٨:١٣.

بكلامه، تمامًا مثل أولئك الذين شاخوا وصاروا يهذأون أو يتحدثون بلا اتزان، فإن نفوسهم ستكون مملوءة بالحماقة والخبل الشديد والغفلة، لأنه بالحقيقة، هذا هو جوهر النفوس التي تُخطئ.

أما نفوس الأبرار فليست هكذا، بل هى متجددة ومملوءة بالحيوية، وتقيم دائمًا في هذا العمر المزدهر، مستعدة بصفة دائمة لأية معركة وصراع، بينما النفوس الخاطئة عندما تتعرض لهجوم حتى لو كان بسيطًا، تسقط على الفور وتنهار. وهذا ما أظهره النبي بقوله: " *كالعصافة التي تذريها الريح*"[٢١٤]. هكذا فإن أولئك الذين يحيون في الخطية، ينساقون بسهولة هنا وهناك ويتأثرون بالجميع. لأنهم لا ينظرون بشكل صحيح، ولا يسمعون بانتباه، ولا يتكلمون بنقاوة، بل يسيل لعابهم من أفواههم بكثرة. وليته كان لعابًا، فهذا لا يُعد أمرًا شاذًا، بل إنهم يخرجون الآن من أفواههم كلامًا أكثر بذاءة من أية بذاءة أخرى، والأكثر فظاعة من كل هذا، أنهم لا يستطيعون أن يبصقوا لعاب هذا الكلام، لكنهم يجمعوه في أيديهم بصورة مشمئزة جدًا، ويمضغوه مرة أخرى، لأنه ثقيل ويصعب إذابته. ربما تشعرون بالاشمئزاز من هذا الكلام. غير أنه يجب عليكم بالأولى أن تشعروا بالاشمئزاز من الفعل ذاته، وليس من الكلام فقط . لأنه إن كان الكلام البذيء يدعو للاشمئزاز عندما يخرج من الفم، فبالأحرى جدًا عندما يحدث داخل النفس، فإن هذا ما يدعو للإشمئزاز أكثر.

هكذا كان الشاب الصغير"[٢١٥] الذي بذّر ثروته في عيش مسرف، وانحدر إلى أسوأ أنواع الشرور، وكان أكثر مرضًا من أى إنسان مختل العقل ومن أى مريض. ولكن لأنه أراد العودة، صار فجأة جديدًا بسبب رغبته الداخلية في التغيير. إذًا عندما قال: " *أقوم وأرجع إلى أبى*" هذا القول جلب له كل الخيرات، أو من الأفضل أن نقول ليس مجرد القول هو ما جلب له الخيرات، بل العمل الذي تبع هذا القول. لأنه لم يقل "سأرجع" ثم انتظر، لكنه قال

---

[٢١٤] مز ١: ٤.

[٢١٥] يشير هنا إلى مثل الابن الضال (لو١٥: ١١ـ٣٢).

"أرجع"، وبدأ خطوات الرجوع حيث إنه سلك في طريق العودة . هكذا ينبغي علينا نحن أيضًا أن نفعل هذا، حتى لو كنّا قد رحلنا إلى بلد غريب، علينا ان نرجع إلى البيت الأبوى، ولا يجب أن نتردد في اتخاذ القرار بسبب طول الطريق . لأنه لو أردنا ذلك، فإن العودة تصير أسهل وأسرع جدًا، علينا فقط أن نهجر البلد الأجنبى والغريب، لأن هذه هى طبيعة الخطية، أنها تقودنا بعيدًا عن بيت أبينا. إذًا فلنهجر الخطية، لكى نرجع بسرعة إلى البيت الأبوى، لأن الأب بطبيعته يحمل عاطفة قوية، وعندما نُغيّر من سلوكنا، فلن يكون تكريمه لنا أقل من أولئك الذين يهنئون (داخل البيت)، بل سيكرّمنا أكثر، لأن الابن الضال قد كرَّمه أبوه أكثر جدًا من المقيمين معه . خاصةً وأن الأب شعر بسعادة غامرة لأنه ربح ابنه مرة أخرى.

وكيف قال أرجع؟ إنه لم يقل شيئًا سوى الآن أبدأ العودة، وكل شيء سيتحقق. وأنت أيضًا عليك أن تتوقف عن الشر ولا تذهب إلى كورة بعيدة. فإن فعلت هذا، فستكون قد حققت كل شيء، تمامًا مثلما يحدث مع المرضى، فعدم تفاقم حالتهم المرضية، يمكن أن يكون بداية لتحسن صحتهم، هذا ما يحدث أيضًا في حالة ارتكابنا الشرور . لا تذهب إلى أبعد من الحالة التي أنت فيها، وستنتهي حالة الخطية التي تحياها، فإن صنعت هذا لمدة يومين ستبتعد عن الشر في اليوم الثالث بأكثر سهولة، ثم بعد ذلك ستكرر هذا لثلاثة أيام، وستحاول أن تستمر لعشرة أيام، ثم لعشرين يوم، ثم لمائة يوم، ثم بعد ذلك كل حياتك. لأنه على قدر ما تتقدم في حياة الفضيلة، على قدر ما ترى الطريق بأكثر سهولة، وستقف فوق القمة، وستتمتع بخيرات وفيرة. لأنه حين عاد الابن الضال، أُقيمت الموائد على الفور وعزفت آلات الطرب والقيثارات، وأُقيمت الاحتفالات لأجل عودته، والأب الذي كان ينبغي أن يُعَاقِب هذا الابن الضال بسبب إنفاقه لثروته بإسراف، وبسبب رحيله بعيدًا جدًا، لم يفعل شيئًا من هذا، بل عندما رآه شعر بالسعادة ولم يوبخه ولا حتى بالكلام أو من الأفضل أن نقول إنه لم يُرِد حتى مجرد أن يُذكّره بالأمور السابقة، بل خرج خارجًا وقبّله وذبح العجل المثمن وألبسه الحلة الأولى، وزيّنه بحلى كثيرة.

٧ - إذن إن كنا نعرف هذه الأمثلة، فلنتشجع ولا نيأس. لأن الله لا يفرح عندما يُدعَى سيدًا، بل يفرح عندما يُدعى أبًا، ولا يفرح عندما يملك عبدًا، بقدر فرحه عندما يكون لديه ابنًا. وهذا ما يريده بالأكثر. ولهذا تحديدًا فإن الآب السماوى قد صنع كل شيء ولم يشفق على ابنه وحيد الجنس، لكى ننال نحن التبني، ولكى لا نحبه كسيد فقط، بل كأب. فإذا نجحنا في تحقيق ذلك فإنه يفتخر بنا، تمامًا كما لو أن شخصًا قد نال مجدًا، ثم يأتي ذاك الذي هو ليس في احتياج لشيء، ويُعلن افتخاره بهذا أمام الجميع. هذا ما صنعه في حالة إبراهيم قائلاً: "*أنا إله إبراهيم واسحق ويعقوب*"، على الرغم من أنه كان ينبغي على العبيد أن يفتخروا بسيدهم، بيد أنه من الواضح الآن أن السيد هو الذي يفتخر بعبيده. ولذلك فهو يقول للقديس بطرس "*أتحبنى أكثر من هؤلاء*"[٢١٦]. لكي يبرهن على أنه لا يطلب شيئًا آخرًا سوى المحبة. ولهذا طلب من إبراهيم أن يقدم ابنه ذبيحة، لكي يُظهر للجميع أنه كان محبوبًا جدًا لدى إبراهيم (لأن إبراهيم شرع على الفور في تنفيذ ما أمره به الله). إنه يطلب المحبة من الجميع بهذا القدر، لأنه أحب الجميع بدرجة فائقة. ولذلك قال للرسل: "*مَنْ أحب أبًا أو أمًا أكثر منى فلا يستحقني*"[٢١٧].

ولذلك فهو يأمرنا بأن نضع أنفسنا التي تُعَد أكثر ألفة ومحبة لدينا من أي شيء آخر، في المرتبة التالية لمحبتنا له، لأنه يريد أن نحبه بكل ما نملك من قوة . هكذا نحن أيضًا إن كانت العلاقة التي تربطنا بشخص ما ليست بهذا القدر من الألفة، فإننا لن نكون في حاجة إلى محبته، فإننا لا نحتاج كثيرًا إلى محبته، حتى لو كان ذي شأن عظيم أو كان مشهورًا. لكن عندما نُحب شخصًا ما بحق وبقوة، حتى لو لم يكن له شأن كبير، بل وكان صغيرًا، فإننا نعتبر محبته لنا مجدًا عظيمًا، ولهذا فإن ذاك (أي الابن) هو مستحق أن نبادله الحب، ليس فقط بسبب ما جازه من آلام، بل لأنه دَعَى

[٢١٦] يو ٢١:١٥.

[٢١٧] مت ١٠:٣٧.

العار الذي جازه من أجلنا مجدًا"[٢١٨]. هذه الأمور المخجلة التي جازها تُدعى مجدًا بسبب محبته فقط، بينما الأمور التي سنُعَاينها نحن من أجله، يمكن أن تُدعى وبحق مجدًا وهى كذلك بالفعل مجدًا، ليس بسبب محبتنا فقط، بل بسبب عظمة وقيمة هذا الذي نترجاه من كل قلوبنا، فلنجوز المخاطر إذًا لأجله كما لو كنا نركض للحصول على تيجان عظيمة جدًا، وعلينا ألا نعتبر الفقر أو حتى الموت نفسه شيئًا ثقيلاً أو مُحزنًا، عندما نحتمله من أجله. فلو كنا حريصين ومُتيقظين فسنربح من وراء هذا الجهاد أمورًا فائقة، بينما لو كنا غير متيقظين، فلن نربح أي شيء حسن.

لكن احذر. هل يهددك أحد ويحاربك؟ إن فعل هذا فهو بذلك يُهيئك، لكي تكون يقظًا ويعطيك الدافع لتكون متشبهًا بالله. لأنه إن أحببت ذاك الذي يفكر في أن يصنع بك شرًا، ستكون متشبهًا بذاك الذي يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين. هل سلب أحد منك أموالاً؟ لو أنك إحتملته بشجاعة، ستأخذ نفس الشيء الذي سيأخذه أولئك الذين أعطوا كل شيء للفقراء. لأن الرسول بولس يقول " *قبلتم سلب أموالكم بفرح عالمين في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السموات وباقيًا*"[٢١٩]. هل أساء إليك أحد واتهمك بشيء؟ فسواء كان ذلك حقيقة أم كذبًا، فيكون قد نسج لك أعظم تاج، لو أنك احتملت هذه الإساءة بإختيارك. لأن المُسيء إلينا يُقدم لنا أجرًا عظيمًا، لأن الكتاب يقول " *طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات*"[٢٢٠]. وهذا أيضًا الذي يقول أمور حقيقية يُفيدنا جدًا، إن احتملنا ما يُقال باختيارنا. لأن الفريسى وهو يتكلّم بالحقيقة أساء إلى العشار، ولكن هذا الذي قيل، حوّل العشار إلى بار.

ولماذا أشير إلى ما يحدث لكل واحد بشكل منفصل؟ فمن الممكن أن أشير إلى نجاح أيوب في اجتياز المصاعب الكثيرة، والتي يمكننا أن نعرف

---

[٢١٨] من أجلهم أنا أمجد ذاتي.

[٢١٩] عب ١٠: ٣٤.

[٢٢٠] مت٥: ١١ـ١٢.

تفاصيلها. ولهذا أيضًا قال الرسول بولس "*إن كان الله معنا فمن علينا*"[٢٢١]، وهذا يتفق مع حقيقة أنه عندما نجاهد، فإننا سنربح كثيرًا من خلال احتمالنا لتلك الأمور التي تُسبب لنا الآلام، ولكن عندما لا نبالي بأي شيء فإننا لا نصير أفضل، حتى عن طريق الأمور التي تُفيدنا. أخبرني إذًا بماذا انتفع يهوذا من رفقته للمسيح؟ ماذا كان يعنى الناموس بالنسبة لليهود؟ وما هو الفردوس بالنسبة لآدم؟ ما هى مكانة موسى بالنسبة لمَن كانوا في البرية؟ أما نحن فإذ قد هجرنا كل شيء، ينبغي علينا أن نعتني بشيء واحد فقط وهى الطريقة التدبيرية التي سوف ننظم بها أمور حياتنا بشكل حسن . فلو أننا صنعنا ذلك، لن يستطيع ولا الشيطان ذاته أن ينتصر علينا أبدًا، بل إن هذا سيصبح بالأكثر لفائدتنا إذ يُهيئنا أن نكون مُتيقظين. هكذا شجع الرسول بولس أهل أفسس عندما أخبرهم بمدى وحشية المعاند.

لكننا نتكاسل وننام ونغط في نوم عميق في اللحظة التي تنشب فيها حرب شديدة ضد عدو مثل هذا خبيث ومخادع . فإذا عرفنا أن هناك ثعبان يُعشش في فراشنا، فمن المؤكد أننا سنبذل قصارى جهدنا لنقتله، أما الآن فالذي يُعشش داخل نفوسنا هو الشيطان، ومع هذا نعتقد أننا لن نصاب بأذى ونبقى غير مبالين. ويرجع السبب في ذلك إلى أننا لا نراه بعيوننا الجسدية. إلاّ أنه ـ لهذا السبب بالذات ـ ينبغي أن نكون مُتيقظين وحريصين أكثر . لأنه يمكن للمرء أن يحترس بسهولة، من العدو المرئي، أما من جهة العدو غير المرئي، فنحن لسنا على الدوام مُسلحين ضده، ولن نستطيع أن نتجنبه بسهولة لأنه لم يعتاد على أن يحارب مواجهة أو علنًا، لأنه يفرض حصاره وبسرعة، وبينما يتظاهر بالصداقة، نجده ينفث فينا سم وحشيته. هكذا هيأ زوجة أيوب بعدما ارتدى قناع الرأفة، لكى يُعطيها تلك النصيحة الخبيثة[٢٢٢]. وهكذا تملّق حين تكلّم مع آدم، مظهرًا كيف أنه مهتم بحمايته

---

[٢٢١] رو٨: ٣١.

[٢٢٢] لأن زوجة أيوب تكلمت بالسوء تجاه زوجها قائلة " أنت متمسك بعد بكمالك. بارك الله ومت " (أيوب٢: ٩).

وقال له: "*الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما* "[٢٢٣]. وهكذا سقط يفتاح الجلعادى بحجة التقوى، إذ ذبح ابنته وقدم ذبيحة لا تتفق مع وصايا الناموس"[٢٢٤]. أرأيت أساليب العدو الخادعة؟ أرأيت حربه المتنوعة الأشكال؟ إذًا فلتكن حذرًا في كل مكان، تسلّح بالأسلحة الروحية، وتعرّف على دسائسه بالتدقيق، حتى تكون مُتحصنًا، ولكي تنتصر عليه بسهولة، لأنه على هذا النحو انتصر الرسول بولس عليه، لأنه كان يعرف كل هذه الأمور بمنتهى الدقة. ولهذا قال: "*لأننا لا نجهل أفكاره*"[٢٢٥]. إذًا فلنحاول أن نعرف وأن نتجنب سهامه، حتى عندما ننتصر عليه يُنادى علينا كمنتصرين في الحياة الحاضرة وحياة الدهر الآتي، ونفوز بالخيرات الوفيرة بالنعمة ومحبة البشر اللواتى لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة من الآن وإلى الأبد آمين.

+++++++

[٢٢٣] تك٣:٥.
[٢٢٤] قض١١:٢٩ــ٤٠.
[٢٢٥] ٢كو٢:١١.

العظة الثانية عشر

" لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضًا بقيامته" (رو٦:٥).

١ ـ هذا الذي قلته في العظة السابقة، سأقوله الآن أيضًا. إن الرسول بولس دائمًا ما يلجأ إلى الحديث عن السلوك الأخلاقي بجانب التعليم الإيماني، بينما في أغلب رسائله الأخرى يقسم الرسالة إلى قسمين، **الأول:** يخصّصه للأمور الإيمانية، **والثانى:** للاهتمام بالأمور الأخلاقية. إنه لا يصنع هنا نفس الشيء، بل يمزج الأمرين معًا في كل الرسالة، حتى يصير حديثه مقبولاً بسهولة أكثر.

إنه يتكلّم هنا عن نوعين من الموت. الأول حدث بالمسيح في المعمودية، بينما الآخر يجب أن يصير من خلالنا، بواسطة جهادنا الذي يأتى بعد المعمودية. فإن دفن خطايانا السالفة، كان عملاً خاصًا بعطية الله، أما من حيث أننا نظل بعد المعمودية أمواتًا عن الخطية، فهو عمل خاص بجهادنا، وإن كنا نرى أن الله هنا أيضًا يُساعدنا بصورة كبيرة جدًا. لأن المعمودية لا تحقق فقط إزالة خطايانا السالفة، بل تؤمّنا أيضًا ضد الخطايا التي يمكن أن تحدث في المستقبل. فكما أنك تعلن الإيمان بفاعلية المعمودية، لكي تختفى الخطايا، هكذا بالنسبة للخطايا المستقبلية، يجب عليك أن تُظهر تحوّلاً في الرغبة حتى لا تلوث نفسك مرة أخرى (بدنس الخطية). إذًا فهو ينصح بهذه الأمور وأمور أخرى مشابهة بقوله: " *إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضًا بقيامته*".

أرأيت كيف أنه قد سمَى بالمستمع حتى قاده إلى الرب مباشرةً، محاولاً أن يُبيّن عظمة التشبه به؟ ولهذا لم يقل (متحدين معه في موته) لكى لا تعترض على ذلك، لكنه قال "بشبه موته"، لأننا حين نموت معه في المعمودية، فإن الذي يموت هو الإنسان الخاطئ، أى الشر، ولم يقل "لأنه وإن كنا قد صرنا مشتركين معه بشبه موته" لكنه قال "*متحدين معه بشبه موته*" قاصدًا بهذه الكلمة تلك النبتة التي أثمرت، والتي أخذناها من المسيح . **فكما أن جسده بعدما دُفن في الأرض أتى بثمار الخلاص للبشرية، هكذا**

فإن جسدنا بعدما دُفن في المعمودية، نال ثمر البر والقداسة والتبنى وخيرات أخرى لا تحصى، وسينال العطية الأخيرة وهى القيامة. لأننا نحن دُفنا في الماء، بينما هو قد دُفن في الأرض، ونحن قد مُتنا من جهة الخطية، أما هو فقد مات بالجسد، ولهذا لم يقل: "متحدين معه في موته" لكن "*بشبه موته*". لأن هناك موتان، موت المسيح وموتنا ولكنهما موتان مختلفان.

فإذا قال " *قد صرنا متحدين معه بشبه موته*"، فإننا في القيامة " *سنصير أيضًا بقيامته*"، وهو يقصد هنا القيامة العتيدة. لأنه تحدّث سابقًا عن الموت قائلاً: " *أم تجهلون أيها الاخوة أننا كل مَن اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته*"[٢٢٦]، لم يذكر شيئًا واضحًا عن القيامة، ولكنه أشار إلى طريقة حياتنا بعد المعمودية، حيث يحثنا على أن يتفق سلوكنا مع مقتضيات الحياة الجديدة، ولهذا فإنه هنا يذكر نفس الكلام، ويخبرنا مسبقًا عن تلك القيامة العتيدة. ولكى تعرف أنه لا يتحدث عن القيامة من المعمودية، بل عن القيامة العتيدة، نجده بعدما قال: "*لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته*" لم يقل سنصير متحدين بشبه قيامته، لكنه قال:" *نصير أيضًا بقيامته*". ولكى لا نقول وكيف يحدث هذا، طالما أننا لم نمت كما مات، فكيف سنقوم كما قام؟ نقول إنه عندما أشار إلى الموت لم يقل متحدين بموته، لكن "بشبه موته"، إلاّ أنه عندما أشار إلى القيامة لم يقل بعد بشبه قيامته، بل قال سنصير متحدين بقيامته ذاتها. ولم يقل قد صِرنا، لكن "سنصير" مُشيرًا بهذه الكلمة أيضًا إلى القيامة التي لم تحدث بعد، إنما التي ستحدث فيما بعد.

٢ ـ ثم أراد بعد ذلك أن يجعل حديثه موضع ثقة، فأظهر كيف أنه قد حدثت بالفعل قيامة هنا في هذه الحياة، قبل أن تأتي تلك القيامة العتيدة، وذلك حتى تؤمن من خلال هذه القيامة التي حدثت في الحياة الحاضرة، بالقيامة الأخرى. لأنه بعدما قال سنصير متحدين أيضًا بقيامته، أضاف:

---

[٢٢٦] رو٣:٦.

"عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية" (رو٦:٦).

يُشير هنا إلى السبب، وكذلك الدليل على القيامة العتيدة. وهو لم يقل إن إنساننا العتيق قد صلب، بل قال " *قد صُلب معه*"، فيُحضر المعمودية بجانب الصليب. ولذلك قال من قبل: " *صرنا متحدين معه بشبه موته*". "*ليُبطل جسد الخطية*" وهو لا يدعو هذا الجسد البشري، بجسد الخطية، لكن جسد الخطية هو كل أمر خبيث وشرير، لأنه تمامًا كما يدعو كافة الرذائل بالإنسان العتيق، هكذا فإنه يدعو الخبث أيضًا جسد الخطية الذي يتشكل من أنواع مختلفة من الشرور.

وهذا الحديث ليس مجرد فكر بسيط، وأرجو أن تلاحظ الرسول بولس نفسه وهو يشرح ذات الأمر بالضبط في الآيات القادمة. لأنه بعدما قال "*ليبطل جسد الخطية* " أضاف "***كي لا نعود نُستعبد أيضًا للخطية*** " إذًا فهو يريد للجسد أن يصير ميتًا من جهة الخطية. ولا يريد أن يموت الجسد ويفنى، بل يريد ألاّ يُخطئ . ثم يتقدم بعد ذلك شارحًا هذا الأمر بأكثر وضوح قائلاً:

" لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية " (رو٦:٧).

هذا ما يقوله لكل إنسان، لأنه كما أن المائت قد تحرر تمامًا من إمكانية أن يُخطئ، طالما أنه مائت، هكذا أيضًا الذي تعمّد، فلأنه مات مرة واحدة في المعمودية، ينبغى أن يبقى على الدوام مائتًا بالنسبة للخطية. إذًا فإن كنت قد مت في المعمودية، فلتبقى مائتًا على الدوام، لأن هذه هى الحقيقة، أن كل مائت لا يستطيع بعد أن يُخطئ . بيد أنك لو أخطأت فستكون بذلك قد احتقرت عطية الله. وبعدما طلب منا أن نسلك بهذا القدر الكبير من الحكمة، أوضح على الفور قيمة المكافأة قائلاً:

" فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضًا معه " (رو٦:٨).

إن كان هذا في حد ذاته يُمثل كرامة كبيرة قبل نوال المكافأة، بمعنى أنك قد صرت شريكًا مع الرب، إلا أنه يعطيك مكافأة أخرى. وما هى هذه المكافأة؟ هى الحياة الأبدية. لأنه يقول "*نؤمن أننا سنحيا أيضًا معه*".

ومن أين يتضح هذا؟ يتضح من قوله:

" عالمين أن المسيح بعدما أُقيم من الأموات لا يموت أيضًا لا يسود عليه الموت بعد " (رو٦: ٩).

ولاحظ محاولة الرسول بولس لإثبات هذا أيضًا من خلال هذه المفارقة. لأنه كان طبيعيًا أن يُثير البعض لغطًا حول الصليب والموت، فبيّن كيف أن لهذا السبب بالتحديد، ينبغي بالأحرى أن تكون لدينا الشجاعة حتى لا تعتقد أن المسيح فانٍ، بل يبقى حيًا إلى الأبد. لأن موته قد صار موتًا للموت. ولأنه مات، فلهذا لن يموت (مرة ثانية).

" لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة " (رو٦: ١٠).

ماذا يعني " قد ماته للخطية؟" يعني أنه لم يكن مستحقًا الموت، لكنه مات لأجل خطايانا، لكى يمحي الخطية ويقطع عصبها وكل قوتها، لهذا مات. أرأيت كيف أنه أرهب الموت حيث إنه لن يموت مرة ثانية، وحيث إنه لا توجد معمودية ثانية، فينبغى عليك أن تموت من جهة الخطية. إذًا فهو يقول كل هذا بهدف أن يقاوم مَن يقول " *لنفعل السيئات لكى تأتى الخيرات* " وأيضًا مَن يقول " *أنبقى في الخطية لكى تكثر النعمة* ". إذًا هو يذكر كل هذا لكى يجتث مثل هذا الفكر من جذوره.

ثم يُكمل " **والحياة التي يحياها فيحياها لله** " أى أنه يتحدث عن عدم الفناء، وأن الموت لن يسود بعد. لأنه إن كان الموت الأول قد جازه دون أن يكون مُستحقًا له، إذ إنه جازه لأجل خطايا الآخرين، فبالأحرى كثيرًا أنه لن يموت الآن مادام أنه قد أبطل الموت. هذا ما قاله في الرسالة إلى العبرانيين: " *فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مرارًا كثيرة منذ تأسيس العالم، ولكنه الآن قد أُظهر مرةً عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه وكما وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة هكذا المسيح أيضًا بعدما قُدم مرةً لكى يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه*"[٢٢٧]. لقد أوضح قوة الحياة التي هى بحسب مشيئة الله، وفي نفس

[٢٢٧] عب٩: ٢٦ـ٢٨.

الوقت أظهر قوة الخطية، وقوة الحياة التي تُستعلن فينا بحسب مشيئة الله، لأنه لن يسود عليه الموت بعد، بينما ندرك مدى قوة الخطية من أنها قد جعلت الذي هو بلا خطية يموت (من أجل خطايا البشر)، فكيف لا تُهلك أولئك الذين هم مسئولون عن إرتكاب الخطايا؟

٣ ـ ثم بعد ذلك ـ ولأنه تكلم عن الحياة في المسيح ـ وحتى لا يقول أحد وما علاقة هذا الكلام بنا نحن، فقد أضاف:

" كذلك أنتم أيضًا احسبوا أنفسكم أمواتا عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا " (رو٦: ١١).

وحسنًا قال "احسبوا" لأنه بواسطة اللغة الوصفية، لا يمكننا عرض حقيقة أننا متنا، لذلك استخدم هذه الكلمة "احسبوا"، للتأكيد على حقيقة هامة وهى (أننا بالفعل قد متنا عن الخطية). وماذا يعنى بكلمة " أحسبوا"؟ يعنى أننا "*أمواتًا عن الخطية لكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا* ". ومَن يحيا هكذا سيتمكن من الانتصار على الخطايا، لأن يسوع ذاته هو المُعِين له. وهذا معنى عبارة " في المسيح ".

فإن كان قد أقامهم عندما كانوا أمواتًا، فبالأكثر جدًا سيستطيع أن يحفظهم أحياءًا.

" إذًا لا تملكنَّ الخطية في جسدكم المائت لكى تطيعوها في شهواته " (رو٦: ١٢).

لم يقل ينبغى ألا يحيا الجسد وألاّ يعمل، لكنه قال "*لا تَملكنَّ الخطية في جسدكم* "، لأنه لم يأتِ لكى يهلك طبيعة الجسد، بل ليُصلح الإرادة. بعد ذلك أظهر أن الخطية لا تملك علينا بالعنف والإجبار، بل بملء إرادتنا، ولم يقل ينبغي ألا تستبد بكم الخطية، الأمر الذي يُدلل على أنها بمثابة قوة متجبرة، لكنه قال: "*لا تملكن الخطية*". لأنه بالحقيقة سيكون أمرًا غير معقول وغير مقبول أن تسود الخطية عليهم كأنها ملكة ـ بينما هم ينقادون نحو ملكوت السموات، ومدعون أن يملكوا مع المسيح ـ يُفضلون أن يصيروا أسرى للخطية. تمامًا كما أنه من غير المعقول أيضًا لو أن شخصًا ألقى تاج

الملك من على رأسه، ويريد أن يصير عبدًا لامرأة بها شيطان تتجول متسولة وترتدى ملابس مُمزقة.

ولأن الانتصار على الخطية يبدو لنا أمرًا صعبًا، فقد أظهره على أنه أمرًا سهلاً، وأثنى على الجهاد الذي يُبذل، قائلاً: " *في جسدكم المائت*". ولهذا أوضح أن المتاعب ستكون وقتية وتنتهي سريعًا . لكنه يذكّرنا بالشرور السابقة وبالجذور التي أنبتت موتًا، والتي إذا انقاد الجسد إليها لصار جسدًا مائتًا، لأنه لم يكن مائتًا منذ بدء خلقته. بيد أنك من الممكن أيضًا ألاّ تُخطئ مع أنك تحمل جسدًا قابلاً للموت. أرأيت مدى فيض نعمة المسيح؟ يا لها من مفارقة عجيبة، لأن آدم على الرغم من أنه لم يكن بعد حاملاً لجسد مائت، إلاّ أنه سقط، بينما أنت على الرغم من أنك قد أخذت جسدًا قابلاً للموت، إلاّ أنه بإمكانك أن تُتوج . وكيف تملك الخطية؟ لا تملك من خلال قوتها، بل من خلال لامبالاتك أنت . ولهذا بعدما قال: "لا تملكن"، يوضح طريقة هذا التملك، بقوله: "*لكى تطيعوها في شهواته (أي شهوات الجسد)*". لأنه ليس هو شيئًا يدعو للكرامة أن ننهزم باختيارنا أمام شهوات الجسد، بل يُعَد عبودية أسوأ واحتقار أكبر، لأن الجسد عندما يفعل كل ما يريده، يكون قد فقد الحرية، لكنه يقدر أن يتحكم في رغباته، وعندئذٍ يصون قيمته وكرامته بشكل جوهرى.

٤ ـ " ولا تقدموا أعضاءكم آلات اثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله " (رو١٣:٦).

وبناءً على ذلك فإن الجسد يوجد بين حالة الاثم والبر، مثلما يحدث بالنسبة للآلات (هناك آلات إثم وآلات بر)، وإرتكاب الاثم أو ممارسة البر يتوقف على مَن يستخدم الآلات. كما يحدث مع الجندي الذي يحارب من أجل وطنه، والسارق الذي يتسلح ليهاجم المواطنين، الاثنان يتحصنان بنفس الأسلحة. إذن فالجريمة ليست عملاً يتعلق بنوع السلاح المستخدم، بل هى مسئولية أولئك الذين يستخدمون هذه الأسلحة، لكى يفعلوا الشر. وهذا **يمكن أن نقوله بالطبع في حالة الجسد، حيث يصير فعل الاثم أو فعل البر رهنًا بموقف النفس، وهذا ليس له علاقة بطبيعتها. لأن العين إذا نظرت نظرة**

غير بريئة للجمال، صارت آلة للاثم، لا بحسب طبيعتها أو عملها، لأن عمل العين هو أن تنظر، لكن هذا النظر لا يكون للشر، ولكن إذا نظرت العين نظرة غير نقية فسيكون ذلك راجعًا للفكر الخبيث الذي أمر بهذا . بيد أنك لو استطعت أن تضبط العين، فسيصير الجسد آلة للبر. وهذا ينطبق على اللسان وعلى الأيدى، وعلى جميع الأعضاء الأخرى. وحسنًا يدعو الرسول بولس الخطية اثمًا. لأن المرء عندما يخطئ إما أن يؤثم نفسه أو يؤثم قريبه، ومن الأفضل أن نقول إنه يؤثم نفسه قبل قريبه.

إذن بعدما نصحهم بعدم ممارسة الشر، بدأ يقودهم نحو ممارسة الفضيلة قائلاً: " **بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات**". لاحظ كيف أنه يحثهم على حياة البّر بمسميات بسيطة، فهو يشير في الفقرة السابقة إلى الخطية، بينما يُشير هنا إلى الله. لأنه بعدما أوضح الفرق الضخم بين أولئك الذين يملكون (في ملكوت الله) وبين مَن هم عبيدًا للخطية، نجده لا يتسامح مع المؤمن الذي ترك الله وأراد أن يخضع لسلطان الخطية . وليس هذا فقط، لكنه يوضح هذا الأمر بما سيحدث في المستقبل قائلاً: "*كأحياء من الأموات*". لأنه بهذا الكلام يُبيّن مدى بشاعة الخطية، ومدى غنى عطية الله. فلتفكروا في حقيقة ذواتكم، وكيف صرتم إذن. مَن أنتم؟ أنتم أموات، وهذا المصير المفقود لا يمكن لشيء أن يُصلحه، لأنه لا يوجد أحد مهما كانت مقدرته، يستطيع أن يُعينكم . وأتساءل كيف صرتم بين أولئك الأموات الذين أنتم منهم؟ صرتم أُناسًا ترغبون في الحياة الأبدية. وأيضًا بمعونة مَن صرتم (أحياءًا من الأموات)؟ بمعونة الله القادر على كل شيء. وبناء على ذلك فمن العدل أن تخضعوا لأوامره برغبتكم الكاملة، وهذا بالطبع يليق بأناس صاروا أحياء بعد أن كانوا أمواتًا.

" **وأعضاءكم آلات بر**" ولذلك فإن الجسد ليس شرًا، طالما أنه من الممكن أن يصير آلة بر. لكن قوله بأنه آلة، فهذا يُبيّن أن هناك حربًا مخيفة تواجهنا. ولهذا فإن الأمر ـ بالإضافة لضرورة تسلحنا القوى ـ يحتاج إلى إرادة شجاعة وأن نعرف كل ما يتعلق بهذه الحروب بشكل جيد، وبالطبع وقبل كل شيء

يجب أن نعرف القائد . بالنسبة لهذا القائد هو حاضر ومستعد على الدوام للمساعدة، ولا يستطيع أحد أن يسود عليه، ودومًا ما يُعِد لنا أسلحة قوية. بيد أن الأمر يحتاج فيما بعد إلى إرادة تستخدم هذه الأسلحة كما ينبغي، وأن تطيع أوامر القائد، وأن تحمل السلاح من أجل خلاص أو حماية الوطن (أى النفس).

٥ ـ إذن بعدما أخبرنا بالأمور العظيمة، وذكّرنا بالأسلحة والمعركة والحروب، لاحظ كيف أنه أيضًا يُعطي شجاعة للجندى ويُهيئ إرادته قائلاً:

" فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة " (رو٦:١٤).

فإن كانت الخطية لن تسودنا بعد، فلماذا يأمرنا أو يوصينا بهذه الأمور الكثيرة قائلاً: " *لا تملكن الخطية في جسدكم المائت* " و" *لا تقدموا أعضاءكم آلات اثم للخطية* " ماذا يعنى بهذا الكلام؟ إنه يُلقي هنا حديثًا كمَن يلقى بذرة، كمقدمة لما سيقوله فيما بعد، ويُمهد لذلك كثيرًا . وما هو هذا الحديث؟ كان من السهل قبل مجيء المسيح أن تسود الخطية على جسدنا. بل وبعد الموت كان ينتظرنا الكثير من الآلام . ولهذا السبب تحديدًا لم يكن الطريق إلى البر سهلاً أو مريحًا. لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطيَ لكى يساعدنا، ولا المعمودية التي كان من الممكن أن تُميت الجسد مع شهواته . فقد كان (الجسد) يركض مثل جواد غير مُروض، وكثيرًا ما كان يرتكب الزلات في الوقت الذي كان فيه الناموس يوصي بتلك الأمور التي ينبغي فعلها، وتلك التي لا ينبغي فعلها، لكنه لم يُقدم لأولئك الذين يجاهدون أكثر من مجرد نصيحة بالكلام فقط.

لكن عندما أتى المسيح صار الجهاد فيما بعد أكثر سهولة. ولذلك فإن تجارب أكبر تواجهنا، ذلك لأننا أخذنا معونة أكبر. ومن أجل هذا قال المسيح له المجد: " *إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات* "[٢٢٨]. وهذا ما يقوله بكل وضوح في الآيات اللاحقة، بينما

---

[٢٢٨] مت٥:٢٠.

هنا هو يُشير إليه بكلام مختصر، مظهرًا كيف أنه إن لم نتضع للغاية، فإن الخطية ستنتصر علينا. لأنه لا يوجد الآن الناموس الذي يحث على ممارسة الفضيلة فقط، لكن النعمة التي تصفح عن الأمور السالفة، والتي تؤّمن الأمور المستقبلية . لأن الناموس كان يَعِد بالتيجان بعد اجتياز الأتعاب، بينما النعمة توَّجت أولاً، ثم بعد ذلك دعت إلى الجهاد الروحي. يبدو لى أنه لا يُشير إلى كل ما يتعلق بحياة المؤمن، لكنه يعقد مقارنة بين المعمودية والناموس، الأمر الذي يقوله في موضع آخر إن "*الحرف يقتل ولكن الروح يُحيي*"[229]. **لأن الناموس يُدين التعدي، بينما النعمة تُزيل التعدي، تمامًا كما أن الناموس يُدين الخطية، فإن النعمة تصفح وتخلّصك من سلطان الخطية. وبناء على ذلك فأنت مُتحرر من طغيان الخطية بشكل مضاعف، من حيث أنك تحررت من الخضوع للناموس، وأنك تمتعت بالنعمة.**

٦ ـ بعد هذا الحديث الذي يجعل المستمع إليه يشعر بالارتياح وبالأمان يضيف إلى ذلك نصائح قائلاً:

" فماذا إذا أنخطئ لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة؟ حاشا" (رو٦:١٥).

إذن فهو أولاً يستخدم أسلوب المنع، لأن الكلام المشار إليه يُعَد مبالغ فيه وغير معقول على الاطلاق. لكن بعد ذلك يوجه الحديث نحو النصح، ويُظهر أن اجتياز المصاعب برضى يُعَد أمرًا عظيمًا، قائلاً:

" ألستم تعلمون أن الذي تقدمون ذواتكم له عبيدًا للطاعة أنتم عبيد للذي تطيعونه إما للخطية للموت أو للطاعة للبر " (رو٦:١٦).

لم يُشر بعد إلى جهنم ولا إلى ذلك الجحيم الكبير بل إلى العار الذي يظهر في هذه الحياة، عندما تصيرون عبيدًا، وعبيدًا بكامل إرادتكم، وعبيدًا للخطية، وعندما يكون أجركم هو الموت مرة أخرى. وإن كانت الخطية قد سبَّبت موت الجسد قبل نوال المعمودية، واحتاج الجرح لهذا القدر الكبير من العلاج، حتى أن سيد الكل ينزل من السماء ويموت، فينتهي

---

[229] ٢كو٣:٦.

الشر، فإنك تُلقي بنفسك في الدناءة إذا استسلمت للخطية بكامل إرادتك بعد نوال الحرية، وهذه العطية العظيمة. وإني أتساءل مندهشًا: ما الذي لم يفعله الله لك؟

إذن لا تركض نحو هذا الهلاك الكبير، ولا تُسلّم نفسك للخطية بإرادتك. لأنه مرات كثيرة قد يحدث في الحروب أن يستسلم الجنود، ولكن دون إرادتهم، إلا أنك هنا إذا لم تتقدم بنفسك نحو معسكر العدو (أي معسكر الشيطان)، فلن ينتصر عليك أحد. وبعدما قال لهم ما ينبغي فعله، يخيفهم من المجازاة ويذكر الأمرين، **البر والموت**. ليس الموت الجسدي، ولكنه موت أكثر رعبًا من هذا الموت (إنه الموت الروحي). لأنه إن كان المسيح لم يمت بعد، فمَن كان يستطيع أن يقضي على ذلك الموت؟ لا يوجد أحد. وبناء على ذلك كان من المحتم علينا أن نتعذب وأن نُعاقَب على الدوام. لأن الموت المادى بالنسبة لنا لم يكن قد حدث بعد، حيث يستريح الجسد وينفصل عن النفس " *فآخر عدو يُبطل هو الموت* "[٢٣٠]. بناء عليه فإن الجحيم سيظل قائمًا، لكن ليس للمؤمنين بل للأشرار، لأن المؤمنين تنتظرهم المكافآت والخيرات التي تنبع من البر.

٧ ـ " فشكرًا لله إنكم كنتم عبيدًا للخطية ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها " (رو٦:١٧).

وبعدما أخجلهم من جهة عبودية الخطية، وبعد أن أخافهم بالعقاب وحثهم على فعل الخير، يُصحح مسيرتهم مرة أخرى بواسطة تذكيرهم بعمل الخير. إذ أنه بواسطة هذه الأعمال يبرهنون على أنهم تخلّصوا من شرور كثيرة، لكن يذكّرهم أيضًا بأنه ليس بجهادهم قد تم هذا، وأن أمور الدهر الآتي هى أكثر راحة. تمامًا مثلما يحدث لو أن شخصًا ما، أنقذ أسيرًا من يد طاغية مُستبد، ونصحه بعدم العودة لهذا الطاغية، وذلك بأن ذكّره بالآلام المخيفة التي جازها، هكذا صنع الرسول بولس فهو يُذكّرهم بالخطايا السالفة التي ارتكبوها قبلاً، ويشكر الله لأجل الغفران. لأنه لم يكن في

[٢٣٠] ١كو١٥:٢٦.

استطاعة أي قوة إنسانية أن تُخلّصنا من كل هذه الخطايا، لذلك يجب أن نشكر الله الذي أراد خلاصنا، وحقق لنا أمورًا كثيرة. وحسنًا قال: "*أطعتم من القلب*" لأنه لم يجبركم ولا أكرهكم، لكنكم بإرادتكم وبرغبتكم ابتعدتم عن الخطايا. إلاّ أن هذا الكلام يُمثل مدحًا لهؤلاء، وفي نفس الوقت إدانة لهم. وكأنه يقول لهم: يا مَن ابتعدتم عن الخطايا بإرادتكم ودون أي إجبار، أي عذر لكم وأى تبرير إذا عُدتم للخطايا السالفة؟

ثم بعد ذلك لكى تعلم أنه لا يُعرب عن امتنانه بهم فقط، بل يُرجع الفضل إلى نعمة الله التي تشمل الكون كله، فبعدما قال: "*أطعتم من القلب* " قال " *صورة التعليم التي تسلمتموها* " لأن الطاعة من القلب تُظهر بالتأكيد حرية قبولهم. وكون أنهم تسلّموا التعليم، فهذا يعني أن الله قدّم لهم هذه المعونة (النعمة). وما هى صورة التعليم؟ هى أن يحيوا بطريقة صحيحة، وبسلوك مُرضي.

" وإذ أعتقتم من الخطية صرتم عبيدًا للبر " (رو٦:١٨).

هنا يُظهر عطيتين لله، **التحرر من الخطية، والعبودية للبر**، الأمر الذي هو أفضل من كل حرية عالمية زائفة، لأن ما صنعه الله يشبه شخصًا تعهد طفلاً يتيمًا قد انتقل من بلاد البربر إلى بلده، فهو لم يحرّره من الأسر فقط، بل صار له أبًا معتنيًا به، ورفعه إلى أعظم كرامة . هذا بالضبط ما حدث معنا. لأنه لم يحرّرنا فقط من الخطايا السالفة، بل قادنا إلى الحياة الملائكية، وفتح أمامنا طريق السلوك المرضي أمام الله، وبعد أن سلّمنا إلى البر الآمن، أزال الخطايا السالفة، وأمات إنساننا العتيق، وقادنا إلى الحياة الأبدية.

٨ ـ إذن فلنتمسك بأن نحيا هذه الحياة، لأن كثيرين من أولئك الذين يعتقدون أنهم يحيون هذه الحياة ويسيرون فيها، يسلكون بصورة أكثر تعاسة من الأموات بالخطية. لأنه بالحقيقة توجد أنواع مختلفة من الميتات. يوجد موت الجسد والذي بحسبه لم يكن إبراهيم مائتًا على الرغم من أنه كان قد مات، لأن الله "*ليس إله أموات بل إله أحياء*"[٢٣١]. هناك موت آخر هو

[٢٣١] مت٢٢:٣٢.

موت النفس والذي قصده المسيح بقوله: "*دع الموتى يدفنون موتاهم*"[٢٣٢]. ويوجد موت آخر والذي ينبغي أن يُمتدح وهو الذي يصير من خلال ضبط النفس، والذي قال عنه الرسول بولس: "*فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض*"[٢٣٣]. ويوجد موت قد حدث بسبب الخطية، هذا الذي صار في المعمودية لأن: "*إنساننا العتيق صلب*"[٢٣٤] أي مات. وإذ نعرف كل هذا، لنتجنب ذلك الموت، والذي بحسبه وإن كنا أحياء، إلا أننا نجوز الموت، بينما يجب ألا نخشى ذلك الموت الجسدي الذي يشمل الجميع. فليكن لدينا تفضيل للموتين الآخرين، والذي يُعَد الواحد منهما مُطوبًا، ذلك الذي أُعطيَ من الله، بينما الآخر مُمتدحًا، وهو الذي يتحقق من خلالنا، ومن خلال معونة الله، وليكن سعينا نحوهما. لأن الواحد منهما يُطوّبه داود قائلاً: "*طوبى للذي غُفر اثمه وسترت خطيته*"[٢٣٥]. بينما الآخر يمتدحه القديس بولس حين كتب إلى أهل غلاطية قائلاً: "*الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات*"[٢٣٦].

وبالنسبة للموتين الآخرين، قال المسيح عن الواحد أن ليس له أهمية "*لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها*"، بينما الموت الآخر مُخيف "*بل خافوا.. من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم*"[٢٣٧]. ولهذا طالما أننا نتجنب ذلك الموت (أي موت النفس)، فعلينا أن نجوز الموت الذي يُطوّب، والذي هو محط للإعجاب، حتى نأتي إلى الموتين الآخرين، فنتجنب الواحد منهما (أي موت النفس)، والآخر لا نخشى منه (أي موت الجسد). لأنه لا توجد أى منفعة لنا، نحن الذين نعيش ونرى الشمس ونأكل ونشرب، إن لم تكن هناك أعمالاً صالحة ترافق الحياة.

أخبرنى ما هى المنفعة عندما يرتدى الملك الأرجوان، ويمتلك الأسلحة، دون

---

[٢٣٢] مت٨: ٢٢.

[٢٣٣] كو٣: ٥.

[٢٣٤] رو٦: ٦.

[٢٣٥] مز ٣٢: ١.

[٢٣٦] غل٥: ٢٤.

[٢٣٧] مت١٠: ٢٨.

أن يكون له مجموعات حماية تابعة له، ولا يكون في مأمن من أولئك الذين يرغبون في مهاجمته وإهانته؟ هكذا يكون المسيحي، فهو لن ينتفع بشيء لو كان لديه إيمانًا، ولديه العطية التي نالها في المعمودية، دون أن يكون محميًا في مواجهة الشهوات، لأن الإهانة ستكون أعظم، والخزي أكثر. لأنه كما أن الملك الذي يرتدي التاج والأرجوان، ليس فقط لن يربح أي شيء من وراء هذا الملبس فيما يختص بالكرامة التي ينالها، لكنه يُسيء لهذا الملبس إذا كان سلوكه مخزيًا، هكذا فإن المؤمن الذي يحيا حياة فاسدة، ليس فقط لن يكون موضع احترام، بسبب هذه الحياة الفاسدة، بل سيصير محطًا للسخرية بدرجة كبيرة. "*لأن كل مَن أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك. وكل مَن أخطأ في الناموس فبالناموس يُدان*"[٢٣٨]. وعندما كتب إلى العبرانيين قال: "*مَن خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة. فكم عقابًا أشر تظنون أنه يُحسب مستحقًا مَن داس ابن الله* "[٢٣٩]. وهذا أمرًا طبيعيًا جدًا لأن كل الشهوات قد أُخضِعت لك بالمعمودية. ماذا حدث حتى تُهين هذه العطية العظيمة، وتصير إنسانًا آخر، بدلاً من أن تكون مختلفًا (عما كنت عليه سابقًا)؟ لأن الله قد أمات ودفن خطاياك السابقة كما تُدفن الحشرات. لماذا تلد خطايا أخرى؟ علمًا بأن الخطايا هى أسوأ من الحشرات، إذ أن الحشرات تُدمر الجسد، بينما الخطايا تُدمر النفس، وتُثير عفونة أكثر. لكن نحن لا نشعر بهذه العفونة، لهذا فإننا لا نحرص على تنقية نفوسنا. لأن المخمور لا يعرف كيف يكون النبيذ الفاسد أو رائحته الكريهة، لكن الإنسان الواعي يعرف هذه الأشياء بالتدقيق. هذا ما يحدث مع الخطية. فذاك الذي يحيا بالعفة، يعرف بدقة مدى عفونة الخطية ووصمتها، بينما ذاك الذي أسلم نفسه للشر، كالمخمور، فهو لا يعرف أنه مريض.

وهذا على أية حال هو الشيء المخيف في ارتكاب الخطية، إنها لا تترك

---

[٢٣٨] رو ٢:١٢.

[٢٣٩] عب ١٠:٢٨ـ٢٩.

مجالاً لأولئك الذين يسقطون فيها لكي يُدركوا حجم التدمير الذي أصابهم. فبينما هم موجودون داخل العفونة، يعتقدون أنهم يتمتعون برائحة طيبة. ولهذا تحديدًا لا يستطيعون أن يتخلّصوا منها، وبينما هم مملئون بالحشرات، يفتخرون كما لو كانوا مُزينين بأحجار كريمة. ومن أجل هذا فهم لا يريدون أن يُميتوها، لكنهم يُغذونها ويجعلونها تتكاثر داخلهم، حتى ذلك الحين الذي ستكون معهم في الجحيم، لأن هذه الحشرات هي سبب وجود الحشرات التي لا تموت في الجحيم " *حيث دودهم لا يموت*"[٢٤٠]. هذه الحشرات تُشعل جهنم التي لا تُطفأ أبدًا. ولكي لا يحدث هذا، فلنحرص على أن نُدمر مصدر الشرور، ولنطفئ كمين النار، ولنقتلع الخطية من جذرها. لأنه لو قطعت شجرة الشر من أعلى، فإنك لم تفعل شيئًا، طالما أن الجذر باقٍ من أسفل وسيُنبت نفس الأشياء مرة أخرى.

٩ ـ وأتساءل: ما هى جذور الخطايا؟ أجيب: تعلّم من البستاني الصالح، الذي يعرف هذه الأمور جيدًا، الذي يعتني بالكرم الروحي ويرعى كل المسكونة.

أيضًا ما هو أصل كل الشرور؟ أقول: هو محبة المال، لأن الرسول بولس يقول: "*محبة المال أصل لكل الشرور*"[٢٤١]. من هنا تأتي المشاجرات والعداوات والحروب، من هنا تأتى المشاحنات والكلام البذيء والشكوك والإهانات، من هنا يأتي القتل والسرقات ونبش القبور. إن محبة المال لا نجعل المدن والقرى فقط، مملوءة بالدماء والقتل، بل أيضًا الشوارع، والأرض الآهلة بالسكان، والأماكن المهجورة، والجبال والوديان والتلال، كلها بشكل عام. بل إن البحر أيضًا لم ينجو من هذا الشر، فالقتل قد طاله بهوّس شديد، إذ أن القراصنة يحيطون به من كل ناحية، ويخترعون طرقًا جديدة للسطو والسرقة. لقد انقلبت كل أواصر القرابة بسبب محبة المال، بل وديست بالأقدام كل الوصايا الإلهية الخاصة بقانون المحبة.

---

[٢٤٠] مر٩:٤٤.

[٢٤١] ١تيمو٦:١٠.

لأن سلطة المال الطاغية، لم تُسلّح تلك الأيدى ضد الأحياء فقط، بل وضد الأموات أيضًا، حتى الموت لا يجعل هؤلاء يتوقفون عن ممارسة شرورهم، لكنهم يفتحون القبور، ويمدون الأيدى الملوثة إلى أجساد الموتى، دون أن يتركوا حتى ذلك الذي فارق الحياة بعيدًا عن عبثهم. إن حدث ورأيت مرتكبي هذه الخطايا مهما كان مقدارها، سواء في البيت أو في السوق أو في المحاكم أو في البرلمانات أو في القصور أو في أى مكان آخر، سترى أن كل هذه الخطايا تأتي نتيجة محبة المال. لأن هذه الخطية هى التي غمرت الجميع بالدماء والقتل، هذه الخطية هى التي أشعلت لهيب جهنم، وهى التي لم تجعل المدن أفضل من الصحراء (من حيث الأمان)، بل أسوأ. لأنه من السهل أن نتحصن من أولئك الذين يتربصون بنا في الصحراء، لأنهم لا يهاجمون بصفة دائمة، بل إن الذين يتمثلون بهم داخل المدن، هم أشر منهم، ومن الصعب أن نتحصن ضدهم، إنهم يشرعون في ارتكاب تلك الأمور علنًا، بينما أولئك يصنعونها سرًا. لأن القوانين التي من المفترض أنها موجودة لتُحجّم خطيتهم، هؤلاء جعلوها حليفة لهم، فملأوا المدن بالقتل وبكل ما يُثير التلوث.

أخبرنى أليس هو قتلاً وأشر من القتل حين نُسلم الفقير إلى الجوع، ونضعه في السجن، وبالإضافة إلى معاناة الجوع نسلمه إلى عذابات وإلى مساوئ غير محدودة؟ وحتى لو لم تصنع أنت هذه الأمور، لكنك تدفع آخر لكي يُنفذها، إنك تمارس هذه الأمور بالأكثر عن طريق خدامك. لأن القاتل يستخدم سيفه وقت ارتكاب جريمته، والعذاب الناتج عن القتل لا يستمر إلاّ لوقت قصير. أما أنت فبوشاياتك، وإهاناتك، وهجماتك، تجعل النور بالنسبة له ظلامًا، وتجعله يشتهى الموت آلاف المرات، فكر في كم تكون عدد الميتات التي ترتكبها مقابل الموت الواحد. والأكثر فزعًا من كل شيء، أنك تسلب وتخطف، وأنك طماع وشره، لا لأن الفقر يضغط عليك، ولا لأن الجوع يجبرك على هذا، بل لكي تُغطي سرج الجواد بذهب كثير، وأيضًا سقف البيت ورؤوس الأعمدة . كم أنت مستحقًا لعذاب أكثر من جهنم، عندما

تُلقي بالأخ الذي صار شريكًا لك في الخيرات السمائية، والذي كُرّم بهذا القدر الكبير من سيدك، إلى هذه النكبات غير المحدودة، لكي تُزين أرضيات وحوائط مسكنك وأيضًا أجساد الجياد التي في غنى عن هذه الزينة لأنها لا تشعر بها؟

يا للعجب فقد صار الكلب موضع اهتمام بالغ من الأغنياء، أما الإنسان أو من الأفضل أن نقول إن كل مَن دُعى باسم المسيح، يواجه حالة أسوأ من الجوع بسبب اهتمام الأغنياء بالكلاب. وهل يوجد ما هو أسوأ من هذا الخلط وهذا الالتباس؟ وهل هناك أمرًا أكثر فزعًا من هذه المخالفة؟ وكم يكون عدد أنهار النار التي ستكفي لمثل هذه النفوس؟ عجبًا فالإنسان الذي خُلق على صورة الله، يُترك هكذا في حالة بائسة، بسبب وحشيتك أيها الغني، بينما مناظر البغال التي تجر مركبة زوجتك، تلمع من كثرة الذهب، وأيضًا من كثرة الأموال التي تُنفق على تزيين العربة بالمعادن الثمينة والأخشاب والجلود . وإذا احتاج الأمر أن تصنع عرشًا أو مسندًا لراحة القدمين، فإنك تصنعها كلها من الذهب والفضة، بينما يوجد عضو من أعضاء المسيح، ذاك الذي من أجله أتى من السماء وسفك دمه الكريم، لا يتمتع حتى بالقوت الضروري لإعاشته، وذلك بسبب طمعك وشراهتك. وبالطبع فإن فراش النوم في قصرك أيضًا يكون مُغشى بالفضة من كل ناحية، بينما أجساد القديسين تُحَرم من الغطاء الضروري، وبات المسيح (الفقير) بالنسبة لك، يستحق أقل مما يقدم للخدم، وللبغال، وللفراش، ولكرسى العرش، ولمسند القدمين . أما الأواني التي هى أكثر ثمنًا من هذه الأشياء، فإني أتجاوزها تاركًا لكم أن تُقدّروها.

فإذا كنت تشعر بالفزع عندما تسمع هذه الأمور، امتنع عن ممارستها، ولن يصيبك شيئًا مما قيل. ابقى بعيدًا عن هذا الهوس، لأن الاهتمام بهذه الأمور التي أشرنا إليها هو بالحقيقة جنون مطبق. ولذلك فبعدما نترك هذه الأمور، ليتنا نتطلع نحو السماء، حتى ولو جاء هذا متأخرًا، لنتذكر يوم الدينونة، لنفكر في القضاء المخوف، والمسئوليات المؤكدة (التي نتحملها نتيجة أفعالنا)، وأحكام الله العادلة. وعلى الرغم من أن الله يرى هذه

الأمور، إلاّ أنه لم يُرسل علينا صاعقة من السماء، برغم أن ما يحدث لا يستحق صواعق فقط، بل كوارث أخرى أكثر هولاً، ومع هذا لم يفعل ذلك، ولا جعل فيضان البحر يتجه نحونا، ولا الأرض انفتحت من المنتصف، ولا الشمس انطفأت، ولم يلقِ ما في السماء من كواكب ونجوم، ولم يُدمر شيء، لكنه مازال يترك كل شيء يسير في نظام، ومازال الكون كله في خدمتنا.

١٠ ـ إذن طالما أننا نفكر في هذه الأمور، لنرتعد أمام عظمة محبته للبشر، ولنَعُد إلى أصلنا النبيل. لأننا بالتأكيد لا نسلك الآن بطريقة أفضل من الحيوانات غير العاقلة، لكن بطريقة أسوأ منها بكثير. لأن هذه الحيوانات تحب الحيوانات، الأخرى التي من جنسها، وهى سعيدة بشركتها في هذه الطبيعة الحيوانية، وما يجمع بينها هو الحنو، بينما أنت على الرغم من أن لك دوافع غير محدودة، تقودك وتدفعك باتجاه آخرين هم أعضاء في جسد واحد ـ بسبب الشركة في نفس الطبيعة ـ والتي منها أنك كُرمت بالعقل، وأنك تشترك معه في ممارسة التقوى، وأنك شريك معه في خيرات لا تُحصَى، ومع هذا صرت أكثر وحشية من تلك الحيوانات، مادمت تُظهر اهتمامًا كبيرًا بأشياء لا قيمة لها، وتتجرأ على هدم هياكل الله[٢٤٢] بأن تتركها فريسة للجوع والعرى، ومرات كثيرة تسبب لها شرور عديدة. وأقول لك إذا كنت تصنع كل هذا بسبب حبك الكبير للمجد، إلاّ أنه كان ينبغي عليك أن تهتم بأخيك أكثر من اهتمامك بالجواد . لأنه على قدر اهتمامك بالإنسان الذي هو أولى بالإهتمام من الحيوان، على قدر ما يُنسج لك إكليل مُشرق، بسبب رعايتك له واهتمامك به. لكن للأسف أنت الآن تسقط في هوة التناقضات وتجلب على نفسك إدانات كثيرة لا تشعر بها.

لأنه مَن ذا الذي يرى أفعالك ولا يدينك؟ ومَن من البشر لن يتهمك بهذه القسوة الشديدة، وكراهية الناس، عندما يرى أنك تُهين جنس البشر، وتهتم بالحيوانات، وبأثاث البيت على حساب البشر؟ ألم تسمع الرسل الذين

[٢٤٢] ويعنى بها أجساد البشر التي صارت مسكنًا لله " أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم" (١كو٣:١٦).

قالوا إن أولئك الذين قبلوا الكلمة أولاً ـ قد باعوا البيوت والحقول لكي يُطعموا الاخوة؟ إلاّ أنك للأسف تسلب بيوتًا وحقولاً، لكي تُزين جواد وأخشاب وجلود وحوائط وأرضيات. والمؤكد أنه ليس فقط رجال بل ونساء أيضًا يُعانون من هذا الهوس، للأسف يخصصون رجالاً لمثل هذا العمل المتعب والباطل ويُلزموهم بالإنفاق على أمور نافلة، بدلاً من الاعتناء بالأمور الضرورية، وإن قام أحد باتهامهن لأجل اعتناءهن بهذه الأمور الباطلة فيكون دفاعهن حاضرًا ومملوءًا بالإدانة القاسية، ونستشف من دفاعهن أنهن أُصبن بنفس الهوس، وأنهن يدفعَّن رجالهّن نحو هذا الطريق.

وأتساءل ماذا تقول؟ ألا تخشى وتُحصي المسيح الذي يتضور جوعًا، ضمن الجياد والبغال والفراش ومساند الأرجل؟ أو من الأفضل أن نقول إنك لا تُحصه مع هذه الأشياء الباطلة، بل وتخصص الجزء الأكبر من أموالك لها، بينما تُعطي للمسيح أقل جزء. ألا تعرف أنك مدان، بسبب أن كل الأشياء التي تمتلكها هى مِلك له؟ إلاّ أنك لا ترد الجميل ولا تريد أن تعطي له مكافأة صغيرة . إليك هذا المثال الذي سوف يوضح لك هذا الأمر، فلو أنك قد أجّرت منزلاً صغيرًا، فإنك تُدقق في طلب الإيجار، ولكنك الآن وأنت تتمتع بكل ما في الكون الذي هو ملك له، وبهذا العالم الكبير كمسكن لك، ألا تتحمل مسئولية دفع إيجار قليل، إنك تُسلّم نفسك وكل أموالك للمجد الباطل، فكل هذه الأمور تعتمد على ما نحن فيه الآن، لأنه ليس من الممكن أن يصير الجواد أفضل من حيث القيمة أو الإمكانية، عندما توضع عليه هذه الزينة، ولا أيضًا الإنسان الذي يجلس فوقه، بل في بعض الأحيان يصير بالأكثر غير مستحق للكرامة. لأن كثيرين يتركون الفارس، ويوجهون أنظارهم إلى زينة الجواد، وإلى الخدم المحيطين به، والذين يسيرون بطريقة رسمية، بينما ذاك المحاط من كل هؤلاء، يبغضونه وينصرفوا عنه كعدو لهم . بيد أن هذا لا يحدث لك عندما تُزين نفسك بالفضيلة، بل إن الناس والملائكة، ورب الملائكة، الجميع ينسجون لك الإكليل.

فلو أنك تشتهى المجد الحقيقي، اهرب بعيدًا عن تلك الأمور التي تمارسها الآن، ولا تهتم بتزيين البيت، بل زيّن النفس بالفضيلة، لكى تصير مُشرقًا

ومعروفاً. أما ما يحدث الآن فمن المؤكد أنه يجعلك أكثر تفاهة من أي شيء، طالما أنك تحمل نفساً مُقفرة بلا ثمر، وتهتم بجمال البيت أولاً أكثر من اهتمامك بالبشر.

إن لم تكن تعاني مما أقوله، اسمع ماذا فعل أحد الوثنيين، وسوف تشعر بخزي، على الأقل من أجل فلسفتهم، قيل أن شخصاً من هؤلاء، عندما دخل إلى بيت يلمع من كثرة ما به من نقوش ذهبية، ومُضيء من شدة جمال المرمر والأعمدة والأرضيات المفروشة بالسجاد، بصق في وجه صاحب البيت. وعندما أدانوه لأجل هذا الفعل، قال بأنه لم يكن مسموحاً له أن يبصق في أي موضع من مواضع البيت الأخرى، ولهذا اضطررت لإهانة وجهه[٢٤٣]. أرأيت أن ذاك الذي يهتم بالزينة الخارجية هو مثار للسخرية، ويُحتقر من أولئك الذين لهم رؤية ثاقبة؟ وهذا أمر طبيعي جداً. لأنه لو أن أحداً ترك زوجته ترتدي ملابس مُمزقة، ولم يهتم بمظهرها الخارجي، ثم اعتنى بالخادمات فألبسهن حللاً براقة، فإنك لن تقبل هذا الأمر، بل ستغضب وستقول إن هذا التصرف هو عمل غير لائق بالمرة.

إذن فهذا ما ينبغي أن تفكر فيه بالنسبة للنفس. لأنه عندما تُزين الحوائط والأرضيات، والأثاث، وكل الأشياء الأخرى، ولا تقدم أعمال الرحمة بسخاء، وأيضاً لا تعيش حياة العفة، فيكون كل ما تفعله مجرد تكرار لشيء واحد، أو من الأفضل أن نقول إنك ترتكب شروراً مُرعبة. لأنه لا يوجد أي فرق بين الخادمة وربة البيت (من جهة الجسد)، لكن يوجد فرقاً كبيراً بين النفس والجسد. وطالما أن هناك فرقاً كبيراً بين النفس والجسد، فبالأكثر جداً سيكون هناك فرقاً كبير بينها وبين البيت، والفراش، ومساند الأرجل. إذاً أي تبرير لديك يمكن أن تُقدمه، عندما تُغطي كل هذه الأشياء بالفضة، بينما تُترك النفس رثه، مُهمَلة، وجائعة ومليئة بالجروح، وتنهشها كلاب كثيرة (أي شرور كثيرة)، ثم بعد ذلك تعتقد أنك تنال

---

[٢٤٣] هذه القصة الهزلية وردت عند أريستيبو (Αρίστιππο)، كما يخبرنا ديوجينيس (Διογένης) عندما يكتب عن سيرة الفيلسوف.

مجدًا حين تزين كل الأشياء التي تُحيط بك من الخارج؟ هذا على أية حال دليل على أسوأ حالات فقدان العقل، فبينما تكون مثارًا للسخرية والتهكم، وتسلك بسفه وتُحتَقر، وتسقط في أشر عقوبة، فإنك لا تزال تفتخر بكل هذه الأمور. ولهذا أرجو، بعدما نفكر جيدًا في كل ذلك، أن نستفيق ولو مرة واحدة على الأقل، وحتى ولو جاء هذا متأخرًا، ولنرجع إلى عقولنا، مُحولين الزينة من زينة خارجية إلى زينة النفس. لأنه هكذا ستبقى الزينة ثابتة، وستجعلنا مساويين للملائكة، وسنصير سببًا لخيرات أكيدة. وليتنا جميعًا ننال كل هذه الأمور الحسنة بالنعمة ومحبة البشر اللواتى لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة إلى دهر الدهور آمين.

+++++++

العظة الثالثة عشر

" أتكلم إنسانيًا من أجل ضعف جسدكم. لأنه كما قدمتم أجسادكم عبيدًا للنجاسة والاثم للاثم هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيدًا للبر للقداسة" (رو٦: ١٩).

لقد طلب منهم الرسول بولس أن يكونوا يقظين بالنسبة للحياة التي يعيشونها، حاثًا إياهم أن يكونوا أمواتًا عن العالم، وأن يكونوا قد ماتوا عن الشر، ويبقوا ثابتين في مواجهة الخطايا، والواضح أنه قال لهم أمرًا كبيرًا وثقيلاً ويفوق قدرات الطبيعة الإنسانية، إلاّ أنه أراد أن يُبيّن أنه لم يطلب شيئًا مُبالغًا فيه، ولم يعطِ انطباعًا بأنه طلب من ذاك الذي تمتع بعطية عظيمة بهذا القدر أن يفعل فعلاً عظيمًا، لكنه أراد أن يُظهر شيئًا معتدلاً جدًا وسهلاً، فاستخدم هذه المفارقة وقال: "*أتكلم إنسانيًا* " كما لو أنه قال إن هذه الأمور عادةً ما تصير بالمنطق الإنساني. وسواء كان هذا الشيء كبيرًا أو متوسطًا، فإنه بينَّه في بُعدِهِ الإنسانى . لأنه في موضع آخر يقول: "*لم تصبكم تجربة إلاّ بشرية* "[٢٤٤] أى بحسب قدرات الإنسان. *كما قدمتم أجسادكم عبيدًا للنجاسة والإثم للاثم. هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيدًا للبر للقداسة* ". وعلى الرغم من أنه يوجد اختلاف كبير بين السادة، لكنني أطلب معيارًا متساويًا من جهة العبودية (للبر)، وبالأكثر جدًا أن تقدموا أعضاءكم عبيًا للبر والقداسة، على قدر ما لهذه السيادة (سيادة البر) من عظمة وأفضلية، مُقارنةً بسيادة الخطية. لكنني لا أطلب منكم شيئًا أكثر، بسبب ضعفكم.

ولم يقل " اختياركم "، ولا " رغبتكم "، لكنه قال " أجسادكم "، جاعلاً حديثه أقل إيلامًا . فإن كان هناك جسد للنجاسة، وآخر للقداسة، وجسد إثم، وحياة بر، فمن هو ذاك البائس والتعِس، الذي يُفضل العبودية للخطية وللشيطان، على العبودية للمسيح؟ لذا عندما نسمع الآيات الآتية، سنعرف جيدًا، إننا لا نُقدِم ولا حتى هذا الشيء اليسير.

---

[٢٤٤] ١كو ١٠: ١٣.

لأنه حين قيل هذا الكلام، لم يكن محلاً للثقة، ولم يلاقِ ترحيب، ولم يحتمل أحد أن يسمعه، ولم يكن أحد يخدم المسيح كعبد (للبر)، بقدر ما كان يخدم الشيطان، لذلك يُبرهن على صدق كلامه بالآيات اللاحقة، مُشيرًا إلى تلك العبودية التي خضعوا لها قائلاً:

" لأنكم لما كنتم عبيدًا للخطية كنتم أحرارًا من البر " (رو٦:٢٠).

ما يقوله يعنى الآتى: عندما كنتم تعيشوا في الشر والجحود وترتكبوا أسوأ الخطايا، كنتم تعيشوا في خضوع كبير، حتى إنكم لم تفعلوا أى صلاح على الاطلاق . هذا هو معنى "*أحرارًا من البر*". أى أنكم لم تكونوا خاضعين للبر، بل مُتغربين عنه تمامًا. وبالتأكيد ولا حتى قسّمتم عبوديتكم تارة للبر، وتارة أخرى للخطية، لكنكم سلمتم أنفسكم بالكامل للشر.

وبناء على ذلك ولأنكم انتقلتم الآن إلى البر، فعليكم أن تسلموا أنفسكم بالكامل لحياة الفضيلة، ولا تفعلوا أى خطية على الإطلاق، فعلى الرغم من أن الفرق ـ بين سلطان الخطية وسلطان البر ـ كبيرًا، إلاّ أن الفرق في العبودية هو أيضًا كبير جدًا، الأمر الذي شرحه بوضوح كبير، وأظهره لمن كانوا عبيدًا للخطية آنذاك، ولمن هم عبيدًا للبر الآن. ولم يتكلم بعد عن الخسارة التي تأتي من (العبودية للخطية)، لكنه تكلم أولاً عن الخجل أو الحياء.

" فأى ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التي تستحون بها الآن " (رو٦:٢١).

لأن العبودية للخطية لم تأتِ بأى ثمر، حتى أن تذكّرها الآن يُثير خجلاً، فلو أن التذكّر يُثير ذلك، فبالأكثر جدًا فعل الخطية، فإنكم الآن قد ربحتم بطريقة مزدوجة، إذ قد تحررتم من الخجل، وأيضًا عرفتم الحالة التي كنتم فيها تحيون، تمامًا مثلما كانت الخسارة قبلاً مزدوجة، لأنكم فعلتم أمور تستوجب الخجل، ولأنكم لم تعرفوا أن تستحون، وهو الأمر الذي يُمثل صعوبة أكثر من الأمر الأول. لذلك وبعدما أظهر الرسول بولس الخسارة الكبيرة التي صارت من جراء الأفعال التي حدثت آنذاك، من خلال الخجل،

يتقدم نحو نفس الأمر. وما هو هذا الأمر؟ " **لأن نهاية تلك الأمور هى الموت**". لأنه طالما أن الخجل لم يبدو أنه كان أمرًا مزعجًا على الاطلاق، فإنه يأتي إلى الأمر الأكثر فزعًا، أي الموت، برغم أن ما قيل سابقًا كان كافيًا.

فلتفكر إذًا في مقدار قوة الخطية، إذ لم يكن في استطاعتهم أن يتخلّصوا من الأمور التي تدعو للخجل في اللحظة التي كانوا فيها متحررين من الإدانة . فأى مكافأة تُنتَظَر من كونكم عبيدًا للخطية، عندما ترى أن مجرد تذكّر الخطية في حد ذاته، يجعلك تختبئ وتخجل، وبالطبع في اللحظة التي فيها أنت متحرر من الإدانة، وإن كان من المؤكد، أنك مُقيم في نعمة عظيمة جدًا؟ لكن مثل هذه الأمور (الشائنة)، ليست من الله.

" أما الآن إذ أعتقتم من الخطية وصرتم عبيدًا لله فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة أبدية " (رو٦: ٢٢).

الثمر لأولئك الذين فعلوا الخطية وصاروا عبيدًا لها كان الخجل، ثم بعد ذلك التحرر، الثمر لهؤلاء الآن الذين صاروا عبيدًا لله هو القداسة، وحيث توجد القداسة، يوجد كل شيء في العلن . إن نهاية أولئك ـ الخاضعين للخطية ـ هى الموت، بينما نهاية هؤلاء ـ الخاضعين للنعمة ـ هى الحياة الأبدية.

أرأيت كيف أنه يُظهر أمورًا قد أُعطيت، وأمورًا أخرى على رجاء الانتظار، ويؤكد على حقيقة الأمور التي أُعطيت، من خلال تقديس الحياة؟ هكذا لكي لا تقول، إن كل الأمور هى على رجاء الانتظار، يُبيّن كيف أنك قد أثمرت.

أولاً: أنك تحرّرت من الخطية وكل الشرور المشابهة، والتي تذكّرها يثير خجلاً.

ثانيًا: أنك صرت عبدًا للبر.

ثالثًا: أنك تمتعت بالقداسة.

رابعًا: أنك ستنال الحياة، ولكنها ليست الحياة الحاضرة، بل الحياة الأبدية.

أنا لا أطلب منكم شيئًا كثيرًا، بل أطلب منكم أن تصيروا عبيدًا للبر،

إلا أن العبودية في هذه المرة، غير العبودية السابقة التي كانت للخطية. هذا ما أردت أن أوضّحه لكم، أن الرب يمنح الكثير جدًا، وأن الفرق في العبودية وفي المكافآت هو كبير جدًا. وبعدما أشار سابقًا إلى أسلحة وإلى ملك، يُصّر على المقارنة، قائلاً:

"لأن أجرة الخطية هى موت. وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا " (رو٦:٢٣).

بعدما قال " أجرة الخطية"، فإنه لم يستخدم نفس الاسلوب بالنسبة للأمور الصالحة، لأنه لم يقل " أجرة إنجازاتكم"، لكنه قال " أما هبة الله"، مُظهرًا أنهم لم يتحرروا من تلقاء أنفسهم، ولا أخذوا منفعة ما، ولا مكافأة، ولا تعويضًا عن أتعابهم، بل كل هذا قد صار بالنعمة الموهوبة لهم. حتى أن التمييز يأتى من هنا، لا لأنه قد خلّصهم فقط، ولا لأنه غيّرهم نحو الأفضل، لكن لأن هذا قد حدث دون جهد أو تعب بشري . فالله لم يخلصهم فقط، بل أعطاهم الكثير جدًا، وهذه العطايا قد أعطاها بابنه. وقد ذكَر الرسول بولس كل هذه العطايا، لأنه تَكلّم عن النعمة، وكان ينتوى أن يُشير إلى الناموس فيما بعد. ولكي لا يصيروا غير مبالين أكثر بالنسبة للخطية ومدى سطوتها، والهبة ومدى عظمتها، يُشير إلى أسلوب الحياة الصحيح، حاثًا المستمع في كل موضع على الاهتمام بالفضيلة. فعندما أوضح أن الموت، هو أجرة الخطية، أراد أن يخيفهم مرة أخرى، ويؤّمنهم من جهة الأمور المستقبلية. لأنه من خلال الأمور السابقة في حياتهم والتي يُذكّرهم بها دومًا، يجعلهم يدركون مدى إحسانات الله ويعترفون بهبة الحياة ويثقوا أنهم في أمان من جهة حياة الدهر الآتي .

الأصحاح السابع

الاصحاح السابع

بعد أن انتهى من الكلام عن التعاليم العملية الأخلاقية، نجده يعود مرة أخرى للتعاليم الإيمانية قائلاً:

" أم تجهلون أيها الاخوة؟ لأنى أكلّم العارفين بالناموس " (رو١:٧).

إذن بعد أن قال إننا متنا عن الخطية، يوضح هنا أنه ليس الخطية فقط هى التي لن تسود عليهم، بل ولا الناموس أيضًا. فإن كان الناموس لا يسود عليهم فبالأولى جدًا لن تسود عليهم الخطية. بعد ذلك يجعل كلامه مُريحًا، موضحًا ذلك بمثال من الواقع. ويتضح من هذا المثال أنه يتكلم حقًا عن أمر واحد، له دلالتين، **الأولى** أن المرأة لا تُعَد تخضع لناموس الرجل بعد موته، ولا يوجد ما يمنعها أن تصبح زوجة لآخر. **والثانية** أنه ليس فقط الرجل هو الذي مات في هذه الحالة، بل والمرأة أيضًا، ولكن بالنسبة لناموس الرجل ـ أى التزامها به كزوجة ـ وبناء على ذلك فإنها تتمتع بحرية مُزدوجة، فعندما يموت الرجل، تكون قد تحررت من السلطة (أي من سلطة الرجل)، وعندما يظهر أنها هى ذاتها قد ماتت (عن التزامها بناموس الرجل)، فقد صارت بالأولى جدًا، حرة . فلو أن حدثًا واحدًا ـ أى موت الرجل ـ يُحررها من السلطة ـ أى من سلطة الرجل ـ فبالأولى كثيرًا عندما يتحدا الحدثان معًا ـ أى موت الزوج وموت الزوجة عن التزامها بناموس الرجل ـ وحيث إنه أراد أن يتقدم في الكلام للتدليل على كل هذا، فإنه يبدأ في مدح المتلقين لرسالته قائلاً: " أم تجهلون أيها الاخوة؟ لأنى أكلّم العارفين بالناموس". بمعنى أننى أتكلّم عن أمر معروف وواضح جدًا لأناس يعرفون كل هذه الأمور بكل دقة . ويقول: **" أن الناموس يسود على الإنسان مادام حيًا "** .

لم يقل يسود على الرجل أو على المرأة بل "على الإنسان"، وهو لفظ واحد يطلق على الاثنين معًا. "*لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية*"[٢٤٥]. وبناء على ذلك فإن الناموس هو ملزم للأحياء، أما بالنسبة للأموات فهو لم يُعَد ملزمًا لهم في شيء بعد. أرأيت كيف أنه أظهر أن للحرية جانبان؟ وبعدما أشار في البداية إلى سلطة الناموس، نجده يُبرهن على ما يقوله بالإشارة إلى المرأة بقوله:

---

[٢٤٥] رو ٧:٦.

" فإن المرأة التي تحت رجل هى مرتبطة بالناموس بالرجل الحىّ. ولكن إن مات الرجل فقد تحررت من ناموس الرجل. فإذًا مادام الرجل حيًا تدعى زانية إن صارت لرجل آخر. ولكن إن مات الرجل فهى حرة من الناموس حتى إنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر" (رو٧: ٢-٣).

يشير الرسول بولس إلى هذه الحقيقة بصفة دائمة - أى التحرر من الناموس - وبدقة شديدة، لأنه يؤمن تمامًا بها. وهو هنا يضع الرجل في موضع الناموس، بينما يضع كل أولئك الذين آمنوا بالمسيح في موضع المرأة.

غير أننا نجد أنه لم يُعبّر صراحةً عن قناعته بأن الناموس قد مات وفقًا لما قاله، لأنه كان من الممكن أن يقول " يا اخوتى لا يسودكم الناموس لأنه مات". إلا أنه لم يقل هذا، لأنه أشار إليه من قبل، بل يُستَنتَج من كلامه حقيقيةً كيف أن المرأة ماتت بالنسبة للناموس، حتى يجعل تأثير كلامه أقل ألمًا، وهذا يتضح من قوله:

" إذًا يا اخوتى أنتم أيضًا قد مُتم للناموس" (رو٧: ٤).

فإذا كانت الحرية هى ذاتها التي يمنحها هذا وذاك، - أى عندما يموت الرجل، وعندما تموت المرأة عن التزامها بناموس الرجل - فلن يكون هناك ما يمنع أن يمتدح الناموس من حيث إنه لا يتسبب في أية أضرار. "***لأن المرأة التي تحت رجل هى مرتبطة بالناموس مادام هو حيّ***". أين هم الآن أولئك الذين يسيئون إلى الناموس؟ فليسمعوا هذا، فبالرغم من أنه لا يمكن إلغاء الناموس عندما تكون هناك ضرورة لوجوده، إذ يتحتم على اليهودى أن يخضع له، بل إن مَن يخالفونه يعتبرون زناة، إلاّ أنه لن تكون هناك حجة إذا هجر اليهود ذلك الناموس، عندما يصبح ميتًا، فلن يوجه أحد أية إساءة لهم في هذه الحالة. " **ولكن إن مات الرجل فقد تحرَّرت من ناموس الرجل** ". أرأيت كيف أنه هنا في المثال يوضح أن الناموس قد مات؟ ولكنه لا يتحدث عن موت الناموس كليةً. " ***فإذًا مادام الرجل حيًا تُدعى زانية إن صارت لرجل آخر***".

انتبه كيف أنه يُصّر على توجيه إدانة لأولئك الذين يخالفون الناموس، طالما أنه لا يزال باقيًا. أما عندما يَبطُل، فيمكن للزوجة أن تُوهَب لآخر دون

خوف من الإدانة، إذ هي لا تخالف الناموس في هذه الحالة. لكن " *مادام الرجل حيًا تدعى زانية إن صارت لرجل آخر*". " *إذًا يا اخوتي أنتم أيضًا* "، وكان متوقعًا أن يقول ، طالما أن الناموس قد مات، لن تدانوا بالزنا، عندما ترتبطوا فيما بينكم بطريقة أخرى، ولكنه لم يقل هذا، بل قال "قد متّم للناموس". فإن صرتم أمواتًا للناموس، فإنكم لستم تحت الناموس. إذًا طالما أن المرأة تصير متحررة بموت الرجل، فبالأولى جدًا عندما تموت المرأة ـ عن التزامها بناموس الرجل كزوجة ـ تصير متحرّرة منه .

أرأيت كم هى عظيمة حكمة الرسول بولس، إذ أظهر أن الناموس قد أراد هذا الأمر، أن للمرأة الحق في أن ترتبط برجل آخر بعد موت زوجها؟ فكما يقول إنه ليس هناك ما يُعيقها أن تتزوج برجل آخر، طالما أن الأول قد مات . فكيف يسمح (الناموس) أن تُعطى الزوجة كتاب طلاق بينما الزوج لا يزال حيًا؟ أقول إن هذا يتعلق بالأكثر بالخطية التي قد تسقط فيها المرأة. لذا لم يشر هنا إلى هذا الأمر، وحتى لو سمح به، إلاّ أنه لم يكن بالنسبة للرسول بولس مُعفى من الاتهام. وعلينا أن نلاحظ مبدأ عند القديس بولس، هو أنه غير مُجبر على الحديث عن حالات اضطرارية أو مسائل خاصة أثناء حديثه، هكذا لا يتطرق إلى أمور غير مُلزمة للجميع أو أقل ضرورة، لأنه لا يهتم إلاّ بجوهر الأشياء.

إذن فالأمر المدهش هو أن الناموس نفسه يقودنا إلى أن نتخلّص من الخطايا عندما نتحرر منه، فهو يريدنا أن ننقاد إلى المسيح . إذ أن الناموس قد مات بالحقيقة، ونحن متنا (للناموس) وبَطُل سلطانه تمامًا. ولكن الرسول بولس لم يكتفِ بهذا ، بل أضاف السبب، لأنه لم يشر إلى الموت فقط، بل إلى الصليب أيضًا الذي حقق كل هذا، وهكذا جعلنا مُميّزين، لأننا لم نخلص بسهولة، ولكن خلاصنا قد تم بموت الرب. لأنه كما يقول: " **إذًا يا أخوتي أنتم قد متم للناموس بجسد المسيح** ".

ولكنه لا يعظ بهذا فقط، بل يعظ ويؤكد أيضًا على امتياز آدم الثانى. ولهذا أضاف: " **لكى تصيروا لآخر للذي قد أُقيم من الأموات لنثمر لله** ".

حتى لا يقولوا فيما بعد، ماذا سيحدث إن لم نصر لآخر؟ وأقول إن الأمر المؤكد هو أن الناموس لم يجعل الأرملة زانية عندما تتزوج للمرة الثانية، كما أنه لا يجبرها أن تتزوج . إذًا فلكي لا يقولوا هذا، وضح لهم ضرورة أن نكون لآخر، بسبب ما أصبحنا نتمتع به، وهذا ما أشار إليه في مواضع أخرى بأكثر وضوح، قائلاً: " *إنكم لستم لأنفسكم*"[٢٤٦]، و" *أُشتريتم بثمن*"[٢٤٧]، و" *لا تصيروا عبيدًا للناس*"[٢٤٨]، وأيضًا " *وهو مات لأجل الجميع لكي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم..*"[٢٤٩]، هذا بالتحديد ما أشار إليه هنا بقوله متم للناموس "بجسد المسيح".

ثم بعد ذلك يُبشر برجاء عظيم، قائلاً: " *لنثمر لله*". لأنكم من قبل ـ أي حين كنتم تسلكون بالجسد ـ كنتم تُثمرون للموت، أما الآن فأنتم تثمرون لله.

" لأنه لما كنا في الجسد كانت أهواء الخطية التي بالناموس تعمل في أعضائنا لكى نثمر للموت " (رو٧:٥).

هل ربح الإنسان الأول أي شيء؟ لم يقل الرسول بولس عندما كنا تحت سلطان الناموس، متجنبًا دائمًا أن يتيح فرصة للهراطقة، ولكنه قال "لما كنا في الجسد"، أى كنا نسلك في الأعمال الشريرة، والحياة الجسدية. فهو لم يقل إن السلوك حسب الجسد كان قبل الناموس، بل مع وجود الناموس، ولكنه أوضح كيف أنهم صاروا يشتهونه، حتى بعدما أصبحوا متحررين من سلطة الجسد . ولكن بعدما أوضح هذا، لم يقل إن الناموس هو السبب في ارتكاب الخطايا، ولا أعفاه من اللوم. لأنه كان في موضع الاتهام، بسبب كشفه للخطايا. لأن هذا الناموس الذي كثيرًا ما يأمر الإنسان بالخضوع لوصايا الله يكشف مدى ضعف الإنسان المتمثل في رفضه الخضوع لتلك الوصايا، وارتكابه للخطايا. ولهذا لم يقل أهواء الخطية التي صارت

---

[٢٤٦] ١كو٦:١٩.
[٢٤٧] ١كو٦:٢٠.
[٢٤٨] ١كو٧:٢٣.
[٢٤٩] ٢كو٥:١٥.

بالناموس، بل " التي بالناموس"، أي لم يُضف التي صارت، ولكن اكتفى بعبارة "التي بالناموس"، أى تلك التي تُكشف بالناموس، والتي تُعرف بواسطة الناموس.

ثم بعد ذلك ولكي لا يُتهَم الجسد، لم يقل تلك الأهواء التي تعمل من خلال أعضاء جسدنا، بل " أهواء الخطية.. تعمل في أعضاء الجسد" مُظهرًا كيف أن بداية الشر مصدرها الأفكار التي تُحرّض على ارتكاب الخطايا. كأن النفس هى كالعازف، بينما الجسد هو كالقيثارة، فتخرج النغمات كما يريدها العازف. وبناء على ذلك فإن النغمة الرديئة لا تنسب للقيثارة (الجسد)، إنما يجب أن ننسبها للنفس.

٣ـ " وأما الآن فقد تحررنا من الناموس " (رو٧:٦).

أرأيت كيف أنه هنا أيضًا يهتم بالحديث عن الجسد، بجانب حديثه عن الناموس؟ لأنه لم يقل إن الناموس تحرر، ولا قال إن الجسد تحرر، بل قال "تحررنا". وكيف تحررنا؟ تحررنا بعدما مات الإنسان العتيق الذي كنا ممسكين فيه ودُفن. لأن هذا هو ما أعلنه قائلاً: " **إذ مات الذي كنا ممسكين فيه**". كما لو كان قد قال إن القيد الذي كنا ممسكين به قد سقط وانتهى، حتى لا نكون ممسكين بالخطية التي أمسكتنا قديمًا. إلاّ أنك لا يجب أن تستكين، ولا أن تكون غير مبال، لقد تحرّرت لكى تصير مرة أخرى عبدًا، ولكن ليس بنفس الطريقة، بل " **بجدة الروح لا بعتق الحرف**".

فما الذي يعنيه الرسول بولس من كلامه هنا، هذا ما يجب أن نوضحه حتى لا ننزعج عندما نصل إلى هذا الجزء.

عندما يقول الرسول بولس إن آدم أخطأ، وصار جسده فاسدًا، وخضع للشهوات وجاز نقائص كثيرة، يكون بهذا قد أصبح أكثر حزنًا وعصيانًا. لكنه يصف لنا حالتنا بعدما أتى المسيح قائلاً إنه أتى وجعل جسدنا أكثر

خفة بواسطة معموديتنا، مانحاً هذا الجسد أجنحة الروح[٢٥٠]. ولهذا السبب تحديدًا فإننا لن نجوز نفس التجارب التي جازاها القدماء، لأن الطريق لم يكن سهلاً في ذلك الوقت. ولذلك فإن المسيح له المجد لا يطلب منا نحن الذين اعتمدنا باسمه أن نكون مُبغضين فقط للقتل ـ مثلما كان قديمًا ـ بل مُبغضين للغضب أيضًا. كذلك لا نكون متحررين فقط من الزنا، لكن متحررين أيضًا من النظرة الشريرة. ولا أن نبتعد فقط عن إعطاء الوعد عن طريق القسم، لكن أن نبتعد عن القسم تمامًا، بل ويوصينا أن نحب الأعداء. وفي كل الأمور الأخرى جعل طرق خلاصنا ممكنة وسهلة، وإن لم نخضع فإنه ينذرنا بجهنم، وقد أوضح لنا أن المطلوب ـ بالنسبة للذين يجاهدون ـ ليس هو مجرد الرغبة في الافتخار بالعفة والتجرد مثلاً، بل بالحري ينبغي على كل حال أن نتمم هذه الفضائل عمليًا. لأن هناك ضرورة ملّحة لتطبيقها، والذي لا يفعلها يُعَاقَب بأشد العقاب. ولهذا قال: " *إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات*"[٢٥١]، والذي لن يرى الملكوت بالطبع سيوجد حتمًا في جهنم. ولذلك قال الرسول بولس: " *فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة*"[٢٥٢]. وهنا أيضًا يقول: " ***حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف***". لأنه لا يوجد حرف يُدين، أي الناموس القديم، بل يوجد الروح الذي يُعين. فإذا استطاع شخص ـ في فترة الخضوع للناموس ـ أن يحفظ البتولية، فهذا في حد ذاته كان يُعَد أمرًا عظيمًا جدًا، أما الآن في المسيح فإن هذا الأمر منتشر في كل أرجاء الأرض . وكذلك بالنسبة للموت أيضًا، الذي استطاع بعض الرجال أن يستهينوا به، بينما الآن في المسيح توجد أعداد لا تُحصى من الشهداء في

---

[٢٥٠] هذا التعبير (أجنحة الروح) قد إستخدمه ق. مقاريوس في العظة (٢) حينما قال: " فلنلتمس من الله أن يُنعم علينا بأجنحة (أى الروح القدس). عظات ق. مقاريوس، ترجمة د. نصحى عبد الشهيد، الطبعة الرابعة، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ص٣٩ـــ٤٠.

[٢٥١] مت٥:٢٠.

[٢٥٢] رو٦:١٤.

القرى والمدن، ليس من الرجال فقط، بل ومن النساء أيضًا جميعهم لم يُقيموا للموت حسابًا.

٤ ـ ثم يشرح بعد ذلك أن ثمة مفارقة قد ظهرت، موضحًا في هذا الشرح ما يريد أن يقوله. الأمر الذي لم يفعله من قبل . إذ انطلق من هذه المفارقة والتي تبدو أنها مُستَنتَجة من كلامه السابق . وهذا الشرح يُظهر أنه لا يريد أن يوجه أي إدانة قاسية للناموس. إذًا بعدما قال:

" حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف " أضاف" فماذا نقول؟ هل الناموس خطية؟ حاشا " (رو٧:٧).

وقبل هذا قال: " *لأنه لما كنا في الجسد كانت أهواء الخطية التي بالناموس تعمل في أعضائنا* ". وأن " *الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة* "[٢٥٣] وأيضًا " *إذ حيث ليس ناموس ليس أيضًا تعدٍ* "[٢٥٤]. " *وأما الناموس فدخل لكى تكثر الخطية* "[٢٥٥]. وأيضًا " *الناموس ينشئ غضبًا* "[٢٥٦]. من الواضح أن كل ذلك يعتبر إدانة للناموس، فكما لو كان قد أراد أن يُزيل هذا الشك، فإنه يُشير إلى المفارقة قائلاً: " *فماذا نقول؟ هل الناموس خطية؟ حاشا* ".

فقد كان هدفه أن يقترب من المستمع، وأن يجعله لا يتعثر. لأنه بعد أن عرض هذا الكلام عليه، وعرف ما يجول بخاطره، يشاركه الرغبة في شرح ما هو غير مفهوم، حتى لا يشك في كلام مُحدّثه . ولهذا ألحق بكلامه تلك المفارقة مشيرًا إلى الناموس. لأنه لم يقل، ماذا يمكن أن نقول؟ لكنه قال "فماذا نقول"؟ كما لو كان الأمر متعلقًا بقناعة جمع كبير هو منهم، إذ استنتجوا هذا السؤال الاعتراضي النابع منهم كنتيجة لما قيل، وهذا ما تظهره حقيقة الأمور، لأنه يقول إن حرف الناموس يقتل، ولم يعترض أحد، وأن الروح يُحيي وهذا واضح، ولا يستطيع أحد أن يختلف على ذلك أو يعارض

[٢٥٣] رو٦:١٤.
[٢٥٤] رو٤:١٥.
[٢٥٥] رو٥:٢٠.
[٢٥٦] رو٤:١٥.

فيه . إذًا لو كانت هذه الأمور مقبولة، فماذا يمكن أن نقول من جهة الناموس؟ هل الناموس خطية؟ حاشا، إذًا فقد رفع الشك والحيرة . أرأيت كيف يُزيل هذا الاعتراض، ويقدّم الشرح آخذًا مكانة المعلّم (الذي يشرح أمرًا ما)؟ وما هو هذا الشرح ؟ هو أن الخطية لم تكن موجودة، إذ يقول "***بل لم أعرف الخطية إلاّ بالناموس***". انتبه إلى قوة الحكمة، فقد فهمنا من خلال سؤاله الاعتراضي "هل نبقى في الخطية "؟ أن الخطية ليست هي الناموس، ثم يمضي في إقناع اليهودى بقبول ما هو أقل، لكن ما هو الأقل؟ هو "*لم أعرف الخطية إلاّ بالناموس*". "**فإننى لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته**".

أرأيت كيف أنه لا يُدين الخطية فقط، بل ويشير أيضًا إلى أن الناموس يُنشئها؟ لكنه لا يعرض لذلك باعتبار أن الناموس هو السبب وراء ما يحدث ـ أى خطية الشهوة ـ بل أن السبب في بروزها يعود إلى اليهود التعساء. وهنا ينبغي أن نَسُد أفواه المانويين[٢٥٧] الذين أدانوا الناموس. لأنه بعدما قال: "*لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته*" أضاف:

" ولكن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية أنشأت فيّ كل شهوة " (رو٧:٨).

أرأيت كيف أنه برأ الناموس من الإدانة؟ لأنه بعدما أظهر الدافع، يقول إن الخطية وليس الناموس، هى التي ضخّمت الشهوة، الأمر الذي يعتبر دليلاً على الضعف، وليس على الخبث. لأنه عندما نشتهي ثم نُمنع من إتمام الشهوة، تزداد اشتعالاً أكثر . إلاّ أن هذا ليس عمل الناموس. لأن الناموس يُنهي عن ارتكاب الخطية، لكى يُبعِد الإنسان عنها، بينما الخطية التي تتمثل في لامبالاتك، وفي الرغبة الخبيثة، استخدمت الشيء الحسن بطريقة سيئة.

ولكن هذا لا يُعَد إدانة للطبيب، بل للمريض الذي استخدم الدواء بشكل سيئ. فالناموس لم يُعطَ لكى يُشعِل الشهوة، بل لكي يُطفئها.

[٢٥٧] المانويين هم أتباع الفيلسوف الفارسي ماني والذي مات سنة ٢٧٣م وقد اعتقدوا بوجود مبدأين أزليين للكون وهما غير مخلوقين: النور والظلمة. النور هو إله الخير، والظلمة هى إله الشر. والمادة بحسب رؤيتهم هى ظلمة. وبناء عليه فهى شر.

ولكن ما حدث هو العكس. ولذلك فالإدانة ليست موجهة للناموس، بل لنا. فالطبيب الذي يُعالج مريضًا يعاني من ارتفاع في درجة الحرارة، وهذا المريض لدية رغبة في شرب ماء مُثلج، فمن حق الطبيب بل ومن واجبه أن يمنعه من هذا الفعل، وهو حين يفعل هذا، فهو يُزيد من هذه الرغبة، المؤدية إلى ضرره، ولن يُدان الطبيب من أجل هذا، لأن له وحده الحق في أن يمنعه، ولكن إذا شرب المريض فالمسئولية تقع على عاتقه. إذًا ماذا يعنى أن الخطية تأخذ الدافع من الناموس؟ لأن الكثيرين من الخبثاء، زادوا من خبثهم اعتمادًا على وصايا صالحة. والشيطان سبق وأضّر يهوذا بهذه الطريقة، لأنه جعله يسقط في البخل ويسرق الفقراء . فالضرر الذي لحق به لم يكن راجعًا لاستئمانه على خزينة النقود، بل أن ما أضّره هو رغبته الخبيثة . نفس الأمر هو الذي أدى إلى طرد آدم من الفردوس، لأن حواء جعلته يأكل من الشجرة. وحتى في هذه الحالة أيضًا لم تكن الشجرة هى السبب، على الرغم من أنها كانت الوسيلة التي دفعت آدم للسقوط. وإن كان الرسول بولس يستخدم الكلمة بحكمة من جهة حديثه عن الناموس، فلا يجب أن ينتابك الشك. لأنه أراد أن يضع حدًا لهذا الأمر على وجه السرعة، ودون أن يترك هؤلاء الذين أخذوا كلامه بشكل مختلف، أن يكون لديهم دافعًا للخطية. وقد ركّز اهتمامه على تصحيح ما يحدث في الزمن الحاضر.

إذن لا نفحص هذا الكلام الذي قيل هنا هكذا بدون دقة، بل علينا أن نعرف الدافع الذي جعله يقول كل ذلك، وعليك أيضًا أن تفكر في هوَّس اليهود ورغبتهم الشديدة في الجدال، وهذا ما يريد الرسول بولس أن يمحوه، ومن الواضح أنه قاسى جدًا أثناء حديثه عن الناموس، لا لكى يُدينه، ولكن لكى يُبطل حجة اليهود. لأنه إن كانت هناك إدانة للناموس، باعتبار أن الخطية اتخذت فرصة بالوصية، فإن هذا سيحدث في العهد الجديد. لأنه بالحقيقة توجد وصايا كثيرة جدًا في العهد الجديد متعلقة بأمور أكثر أهمية. ويستطيع المرء أيضًا أن يرى نفس الشيء يتكرر، ليس فقط بالنسبة للشهوة، بل بالنسبة لأى خطية بشكل عام. لقد قال المسيح له المجد " لو لم

أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية"[258]. وهكذا صارت الخطية ظاهرة، وأيضًا العقاب الشديد المترتب عليها. وعندما تكلم الرسول بولس عن النعمة أيضًا، يقول " فكم عقابًا أشر تظنون أنه يُحسب مُستحقًا من داس ابن الله"[259]. وبالتالى فإن سبب العقاب الأشر يكون من الازدراء بروح النعمة، برغم عطايا النعمة الوفيرة جدًا. ولهذا السبب أيضًا فإن اليونانيين مُدانيين، كما يقول الرسول بولس، لأنه على الرغم من أنهم كُرّموا بعطية العقل ـ التي وهبها الله لهم ـ وأدركوا جيدًا جمال الكون، وكان يجب من خلاله أن ينقادوا إلى معرفة خالقه، إلاّ أنهم لم يستخدموا الحكمة الإلهية كما ينبغي.

أرأيت أنه في كل موضع يؤكد على أن الدوافع لعقاب الأشرار، تأتي بالأكثر من سوء استخدام الأمور الصالحة؟ لكن من المؤكد أننا لن نُدين إحسانات الله لهذا السبب، بل سوف نقدّرها بالأكثر، بينما سندين رغبة هؤلاء الذين يستخدمون الأمور الصالحة لممارسة عكس ما تهدف إليه . إذًا فهذا هو ما ينبغي أن نفعله في حالة الناموس. ومن المؤكد أن ذلك يعد أمرًا بسيطًا وسهلاً، بينما الغير المفهوم هو قوله " *فإننى لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته*"؟ لأنه إن لم يعرف الإنسان الشهوة قبل أن يأخذ الناموس، فمن أين أتى الطوفان؟ ومن أين أتى حرق سدوم؟ ماذا يعني الرسول بولس بهذه العبارة؟ إنه يعني **ازدياد الشهوة**. ولهذا لم يقل أثار في شهوة، لكن "كل شهوة"، وهو يعنى هنا **الشهوة المفرطة**. وما هى الفائدة من الناموس لو أنه جعل الشهوة تزاد فينا؟ لا يوجد أى فائدة من وراء هذا، بل على العكس فإنه يسبب خسارة كبيرة . غير أن اللوم لا يُوجه للناموس، بل لأولئك الذين قبلوه. لأن الخطية أثارت الشهوة المفرطة، ولكن هذا لم يكن موضع اهتمام الناموس، بل إن اهتمامه كان على عكس من ذلك. إذًا الذي ظهر بوضوح،

---

[258] يو ١٥:٢٢.

[259] عب ١٠:٢٩.

هو أن للخطية قوة كبيرة في إثارة الشهوة . غير أنه ولا هذا الأمر أيضًا يُعَد لومًا موجهًا للناموس، بل موجه ضد أولئك الجاحدين.

" **لأن بدون الناموس الخطية ميتة** " بمعنى أنها ليست معروفة بهذا القدر. لأنه من المؤكد أن الذين عاشوا قبل أن يُعطى الناموس قد أخطأوا، وهذا يعني أنهم قد عرفوا حجم الخطية بعد إعطاء الناموس . ولذلك كانوا موضع مساءلة لإدانة أكبر. هكذا فإن هناك فرق بين أن يُدين المرء نفسه، وبين أن يُصاحب الناموس الذي يُعلِن هذه الإدانة بوضوح .

٥ـ " أما أنا فكنت بدون الناموس عائشًا قبلاً " (رو٧:٩).

أخبرني متى حدث ذلك؟ حدث قبل موسى. لاحظ كيف أنه يحاول أن يُبيّن من خلال ما فعله، وما لم يفعله، أن الناموس كان متعسفًا أو مارس ضغوطًا على البشر. لأن الرسول بولس يقول لأنني عندما كنت عائشًا بدون الناموس، لم أدان هكذا، " **ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا**". قد يبدو أن هذا اتهام موجه للناموس. ولكن إذا دقق المرء في فهم ذلك، فسيتضح أنه مدح للناموس أيضًا. لأن الناموس لم يُعطِ كيانًا للخطية دون أن تكون موجودة، ولكنه **أظهرها** باعتباره أنها كانت مُختفية، الأمر الذي يُعَد مدحًا للناموس، طالما أنه من المؤكد أن الخطايا كانت غير محسوسة قبل الناموس، أما عندما أتى الناموس، وإن كان ـ هؤلاء الذين أُعطيَ لهم الناموس ـ لم يربحوا أي شيء آخر، إلاّ أنهم على الأقل عرفوا جيدًا الأمر نفسه، أنهم أخطأوا، وهذا ليس هينًا من جهة الاحساس بضرورة التخلّص من الخطية. إلاّ أنه حتى وإن لم يتخلّصوا من الخطية، فهذا لا يُشكل إدانة للناموس، الذي يسعى لهذا الهدف عينه، إذًا الإدانة كلها توجه إلى رغبة الذين فسدوا تمامًا وفقدوا كل رجاء . ومن المؤكد أنه لم يكن منطقيًا أن يُضاروا بتلك الأمور التي استفادوا منها. ولهذا قال أيضًا :

" فوجدت الوصية التي للحياة هى نفسها لى للموت " (رو٧:١٠).

لم يقل إن الوصية " أحدثت موتًا"، ولا " ولّدت موتًا"، بل "وجدت" مفسرًا بذلك ما هو غريب وجديد في هذا الفكر غير المعقول، ومحولاً كل شيء ضدهم.

لأنه إن أردت أن تعرف هدف الوصية، فالرسول بولس يشرح أنها قادت للحياة، ولهذا أُعطيت، ولكن عندما ينتج عن ذلك موتًا، فإن الإدانة توجه للذين أخذوا الوصية، ولا توجه ضد الوصية في حد ذاتها التي تقود للحياة. وقد أعلن هذا الأمر نفسه، وبوضوح أكثر في الآيات اللاحقة، قائلاً:

" لأن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية خدعتنى بها وقتلتنى" (رو٧:١١).

أرأيت كيف أنه ينشغل في كل موضع بموضوع الخطية، مُبرئًا الناموس من كل إدانة؟ ولهذا أضاف قائلاً:

" إذًا الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة " (رو٧:١٢).

بل إن أردتم، فلنشير أيضًا إلى شروحات أولئك الذين يُزيفون هذه الأمور. إذ أن كلامنا سيصبح بذلك أكثر وضوحًا. لقد إدّعَيَ البعض أن الرسول بولس لا يتكلّم هنا عن ناموس موسى، بل عن الناموس الطبيعى، بينما يقول البعض الآخر إنه يتكلّم عن الوصية التي أُعطيت في الفردوس. إلا أنه كان يهدف إلى إثبات الكلام عن هذا الناموس (أى المكتوب)، ولم يتكلّم قط عن النواميس الأخرى. وهذا أمر طبيعي جدًا، لأن هذا الناموس (ناموس موسى) هو ما خافه اليهود وارتعبوا منه، فإنهم بسبب الناموس تخاصموا مع النعمة . على الجانب الآخر لم يظهر على وجه الاطلاق سواء من جانب الرسول بولس أو أى أحد غيره، أن الوصية التي أُعطيت في الفردوس، تُدعَىَ ناموسًا.

ولكي يصير هذا الكلام أكثر وضوحًا مما قيل، لنفحص كلام القديس بولس بدقة، مستحضرين قليلاً الكلام السابق. فعندما كلّمهم عن السلوك الحسن، أضاف قائلاً: *" أما تجهلون أيها الاخوة... أن الناموس يسود*

على الإنسان مادام حيًا؟ .. أنتم قد متم للناموس". وبناء على ذلك لو أن هذا الكلام قيل عن الناموس الطبيعي، فلابد أنك ستوجد بلا ناموس طبيعي. ولو صح ذلك فستكون أكثر غباءً من الحيوانات غير العاقلة. ولكن هذا ليس من الحقيقة في شيء . فليس هناك خلافًا على أن الوصية قد أُعطيت في الفردوس، حتى لا نُحمّل أنفسنا بجهد زائد، ونخوض صراعًا حول تلك الأمور التي صارت مقبولة. إذًا كيف يقول: " *لم أعرف الخطية إلاّ بالناموس؟*" **إنه لا يعنى بذلك الجهالة التامة بالخطية، بل عدم المعرفة الدقيقة لها**، فلو أن هذا الكلام قيل عن الناموس الطبيعى، فكيف يمكن تبرير الكلام اللاحق؟ إذ قال "*أما أنا فكنت بدون الناموس عائشًا قبلاً*". فمن الواضح أنه لا آدم ولا أى إنسان آخر، قد عاش بدون الناموس الطبيعى. الله خلق آدم ووضع فيه الناموس الطبيعي في نفس الوقت، جاعلاً إياه رفيقًا مُخلصًا لكل الطبيعة.

بالإضافة إلى ذلك، لا يظهر مطلقًا أن الرسول بولس قد أطلق على الناموس الطبيعي كلمة وصية، ولكنه دَعَى ناموس موسى وصية، وهى عادلة ومقدسة وناموس روحى . وكذلك الناموس الطبيعى لم يعط لنا بالروح القدس، لأن العبرانيين واليونانيين وكل الأمم الأخرى، لديهم هذا الناموس ـ أى الناموس الطبيعى ـ وبناء على ذلك يكون من الواضح أن الرسول بولس يقصد بكلمة الناموس ـ سابقًا ولاحقًا وفي كل موضع ـ بأنه ناموس موسى. لهذا دعاه مقدسًا قائلاً: " **الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة** " إذًا لو أن اليهود قد صاروا نجسين وظالمين وطماعين، بعدما أخذوا الناموس، فإن هذا لا يُبطل عمل الناموس، تمامًا كما أن عدم إيمانهم لا يُبطل الإيمان بالله. هكذا يتضح ـ من خلال كل هذا ـ أن الرسول بولس يتكلّم عن الناموس الموسوي.

٦ ـ " فهل صار لى الصالح موتا حاشا بل الخطية. لكى تظهر خطية منشئة لى بالصالح موتا " (رو٧:١٣).

يبدأ بهذا التساؤل، لكى يُظهِر أن الخطية خاطئة جدًا، ويُظهِر مدى اللامبالاة، والاندفاع نحو الأسوأ، وفعل الخطية ذاته، والشهوة الشريرة من

جانب الإنسان . لأن هذا هو سبب كل الشرور . وهو يُكثر الحديث عن الخطية ومدى تأثيرها السيء، لكى يُبيّن امتياز نعمة المسيح، ولكى يُعلِم الجميع بمقدار الشر الذي تحرّر منه الجنس البشرى، والذي لم تُفلِح معه أدوية الأطباء، بل أنه مع هذه الأدوية قد صار أسوأ، ويؤكد على ذلك أيضًا من خلال أولئك الذين أوصوا البشر بالامتناع عن ارتكاب الخطية، ومع هذا ازدادت الخطية. ولهذا أضاف قائلاً: " **لكى تصير الخطية خاطئة جدًا بالوصية** ". أرأيت كيف أن معركته ضد الخطية قائمة في كل موضع، وأنه من خلال تلك الأمور التي بها يُبطل الخطية، يُبيّن أكثر عمل الناموس، لأنه ليس بالأمر اليسير أن يُظهر أن الخطية خاطئة جدًا، حيث يُبيّن ويعرض على الملأ سم الخطية المميت . ومن أجل هذا أعلن قائلاً: "*لكى تصير الخطية خاطئة جدًا بالوصية*". أى لكى يظهر أن الخطية هى شر عظيم جدًا، وتؤدى إلى هلاك مُحقق، من خلال كل هذا يُبيّن أيضًا أن امتياز النعمة في مقابل الناموس، يعد امتيازًا حقيقيًا وليس مجرد أمر قابل للنزاع.

إذن لا تعتبر أن الذين قبلوه صاروا أسوأ، بل عليك أن تنتبه لأمر هام، أن الناموس لم يشأ أن يقود إلى زيادة الخطية، وليس هذا فقط، بل أنه حاول أن ينتزع تلك التي كانت موجودة من قبل. لكن وإن كان لم يستطع أن ينجح في هذا، فعليك أن تمتدحه على موقفه هذا، وعلى الجانب الآخر عليك أن تسجد بالأكثر لقوة المسيح الفاعلة في كل مواقف الحياة، والتي أطاحت بالخطية التي يصعب هزيمتها، وحطّمتها بعدما اقتلعتها من جذورها . غير أنك عندما تسمع عن الخطية، لا تتصور أنها قوة لها كيان، بل هى فعل الشر الذي دائمًا ما يظهر ثم يختفي، وهو قبل أن يصير واقع، لم يكن له وجود، وحين يصير واقع يبدأ في الاختفاء مرة أخرى. ولهذا أُعطيَ الناموس، لكن الناموس لم يُعطَ قط لإبطال التصرفات الناتجة عن ضعف الطبيعة البشرية (بسبب السقوط)، بل لأجل إبطال الأعمال الخبيثة التي تصدر من رغبة شريرة. وهذا الأمر يعرفه المشرّعون الأمميون وكل الجنس البشرى . فالشرور التي تحدث لا تتوقف إلاّ عندما لا نهتم بها، المشرّعون لم يقدموا

وعد بانتزاع (الخطايا) المتعلقة بالطبيعة البشرية، لأن هذا غير ممكن، حيث إن تلك (الخطايا) المتعلقة بالطبيعة، تبقى ثابتة، الأمر الذي حدثتكم عنه في عظات أخرى مرات عديدة.

٧ ـ ولهذا تحديدًا، بعدما نترك هذه الصراعات، لنهتم مرة أخرى بالحديث الأخلاقي، أو من الأفضل أن نقول إن هذا الجزء الخاص بالصراعات يتعلق بهؤلاء اليهود. لأنه لو طرحنا عنا الشر، وتحلّينا بالفضيلة، فإننا سنعلم بوضوح أن الشر ليس له كيان أو طبيعة. وأولئك الذين يحاولون أن يعرفوا من أين تأتي الشرور، سنحاول أن نجعلهم يصمتون، ليس فقط بالكلام، بل بالحقائق، لأننا نشترك في نفس الطبيعة البشرية مع هؤلاء، ولكننا قد تحرَّرنا من خبثهم. إذًا ينبغي ألاّ نتصور أن الفضيلة هى أمر صعب، بل من الممكن تحقيقها، فلو أننا حاولنا سيصير الأمر بسيطًا وسهلاً. **أما إذا كنت تفضل الحديث عن لذة الخطية، فيجب عليك أن تتحدث أيضًا عن نهايتها، لأن الخطية تقود إلى الموت، تمامًا كما أن الفضيلة تقود إلى الحياة.** أو من الأفضل القول ـ إن أردت ـ فلتفحص كل منهما قبل أن تصل كل واحدة إلى نهايتها، وسوف ترى كيف أن الخطية تحمل ألمًا كثيرًا، بينما الفضيلة تحمل متعة . إذًا هل يوجد شيئًا أكثر سعادة من الرجاء الصالح؟ لأنه لا يوجد شيئًا يجرحنا ويُضيّق علينا بهذا القدر، أكثر من التوجه نحو الشر، وأيضًا لا يوجد شيء يسندنا بهذا القدر، ويجعلنا نسمو، أكثر من الضمير الصالح.

ويمكن أن نتعلّم هذا من خلال تلك الأمور التي تحدث لنا. انظر إلى المتسولين الذين يتسكعون في الطرقات الضيقة، لا يخشون أى أذى، أما المسجونون الذين ينتظرون المحاكمة، بالرغم من أن لهم مأوى، إلاّ أنهم يعيشون في بؤس، لأن انتظار القرارات السيئة، لا يجعلهم يشعرون بأى بهجة. ولماذا أُشير إلى المسجونين؟ إن أولئك الذين يحيون خارج أسوار السجن في غنى فاحش ولا ينتابهم أى شعور بأنهم خطاة، هم أدنى من العمال الذين يشتغلون بأيديهم، ويمضون اليوم كله في أتعاب ومشاق، هؤلاء العمال هم أفضل منهم بكثير . لذلك نحن نأسف للمصارعين، فعلى الرغم من أننا نراهم

يسكرون في الحانات، ويلهون ويأكلون بشراهة، إلاّ أننا نقول إنهم أكثر تعاسة من الجميع، لأن كارثة الموت التي تنتظرهم هى أكبر بكثير من تلك المتع الوقتية. ولكن لو ظنوا أن الحياة هي للمتعة فقط، فعليهم أن يتذكروا دائمًا ما سبق أن قلته لكم: أن مَن يحيا في الخطية لابد أن يكابد مرارتها وحزنها. هكذا فالأمر المكروه جدًا يبدو للذين يسعون نحوه أمرًا محبوبًا. ولكننا لا نطوّبهم من أجل ذلك، بل لهذا تحديدًا نحن نأسف لهم، لأنهم لا يعلمون مدى خطورة الحالة التي وصلوا إليها في ممارسة الخطية.

ولكن ماذا يمكن أن نقول للزناة الذين لأجل قليل من المتعة يعانون من أتعاب كثيرة جدًا ونفقات ومخاوف مستمرة وحياة تشبه حياة قايين بشكل عام. ومن الأفضل أن نقول إنها أسوأ بكثير من حياة قايين، لأنهم يخشون من الأمور الحاضرة ويرتعبون من الأمور المستقبلية، وينتابهم الشك في الأصدقاء وفي الأعداء، وفي أولئك الذين يعرفون شيئًا عنهم، وأولئك الذين لا يعرفون أى شيء؟ أنهم لا يستطيعون التخلّص من هذا القلق حتى عندما ينامون، لأن ضميرهم الشرير يسترجع فيهم أحلامًا مملوءة بمخاوف كثيرة، وهكذا يرتعبون بشدة. أما العفيف فليس هكذا، بل إنه يعيش كل حياته في راحة وحرية كاملة. إذًا لو قارنت بين أمواج الخوف الكثيرة لهؤلاء بما يحققونه من متعة زائلة، وبين سكينة أو سلام الحياة الأبدية الذي يحصل عليه كل مَن يسلك بالعفة، عندئذٍ ستدرك أن هذه العفة هى أكثر سعادة من الشهوة. فذاك الذي يريد أن يختطف (ما ليس له)، ويعتدى على أموال الغير، ألاّ يعاني من متاعب كثيرة عندما يركض هنا وهناك، وينافق عبيدًا وأحرارًا، ويُرهب ويُهدد ويَسلك بسفه، ولا ينام، ودائمًا يرتعب، ويقلق، ويشك في كل شيء؟ أما الذي يحتقر المال، فليس هكذا، بل أنه يتمتع بمباهج كثيرة، طالما أنه يحيا بلا خوف وبأمان كامل.

ولو فحص المرء أنواع الخطايا الأخرى، سيرى أنها تسبب لمرتكبيها قلائق كثيرة، وصعوبات بالغة. ومن الجدير بالملاحظة أن الصعوبات تأتى أولاً أثناء سير الإنسان في طريق الفضيلة، ثم بعد ذلك الأمور المفرحة، وهكذا تهدأ

الآلام. أما في ممارسة الشر فالأمر يكون على النقيض، حيث تأتي على الإنسان الآلام والعقوبات بعد المباهج، وهنا تختفي هذه البهجة. فكما أن ذاك الذي ينتظر التيجان لا يشعر بشيء من أثقال العالم الحاضر، هكذا فإن ذاك الذي يبتهج بالخطية ينتظر العقوبات، ولا يستطيع أن يتمتّع بفرح حقيقي، طالما أن الخوف يُبطل كل شيء. والأفضل أن نقول، لو أن المرء فحص الأمر بعناية سيُدرك حجم الألم الذي يُعانيه الأشرار في الوقت الذي يتجرأون فيه على فعل الخطية، حتى قبل العقاب المعّد لهم. ولو أردت فلتفحص حياة أولئك الذين يختطفون ما ليس لهم، وأولئك الذين يحاولون أن يكسبوا أموالاً بطُرق مُلتوية. دعنا نبتعد عن المخاوف والأخطار والفزع والقلق، وكل هذه الأمور، ونفترض أن هناك شخص قد اغتنى بدون تعب، وأنه يسعى في الحفاظ على أمور الحياة الحاضرة، وإن كان هذا يُعَد أمر مستحيل، لكن ليُفترض هذا، فأى سعادة يمكن أن يتمتع بها هذا الإنسان؟ هل لأنه ربح الكثير؟ لكن هذا تحديدًا لا يترك له مجالاً للسعادة. وإذ يشتهي أمورًا أكثر تزداد آلامه أكثر.

لأن السعادة تُمنَح حين تتوقف الشهوة. فعندما نعطش، فإننا نشرب ما نريد، لكي نروى ظمأنا، بينما بقدر ما يزداد عطشنا لأمور هذا العالم، فحتى ولو أفرغنا كل الآبار في جوفنا، تصير معاناتنا أكبر، بل ولو شربنا أنهارًا كثيرة، وسيصير العقاب أكثر فزعًا. هكذا فيما يتعلق بأمور هذا العالم لو أنك قبلتها، مع استمرارك في اشتهاءها، فإنك تجعل العقاب أكبر بكثير، على قدر ما يزيد نهمك لهذه الأمور، ولا ينبغي أن تعتقد أن من بين الشهوات الكثيرة في هذه الحياة، هناك شهوة محددة خُصصت لأجلك (أي الغنى)، وأنه ينبغي أن تسعى في تحقيقها باستمرار، لكن يجب عليك ألاّ تشتهي الثراء، لأنه إن اشتهيته، فلن يتوقف عذابك، وسوف تعاني. وسوف تتساءل هل هذا الطريق هو بلا نهاية؟ نعم بقدر ما تقطع شوطًا كبيرًا في هذا الطريق، بقدر ما تبتعد عن النهاية. إذًا أليست هذه الرغبة في الثراء هى شيء محير وهوس فقط، بل هي أسوأ أنواع الهوس؟

إذن فأول كل شيء هو أن نبتعد عن الخطية أو من الأفضل أن نقول ينبغي ألا نشرع مطلقًا في السعي نحو الشهوة، ولكن إن انخدعنا وشرعنا في ممارسة الشهوة فلنبتعد عن البداية، الأمر الذي يُفصح عنه كاتب سفر الأمثال، بالنسبة للتعامل مع المرأة الزانية، قائلاً: " *ابعد طريقك عنها ولا تقترب إلى باب بيتها* "[٢٦٠]. نفس الشيء أقوله لك من جهة البخل. لأنه إن سقطت ولو قليلاً في هذا البحر من الهوس، فمن الصعب أن تتمكن من النجاة. تمامًا كما في حالة المصابين بالدوخة أو الدُوار، فلو أنك حاولت آلاف المرات، فلن تُنقَذ بسهولة، وهكذا فإنك ستُصاب بهذا الدوار، بل وأسوأ منه بكثير. وعندما تسقط في أعماق هذه الرذيلة (البُخل)، ستدمر نفسك وكل ما حولك.

٨ ـ ولهذا أرجو أن نتنبه للبداية، ولنتجنب الخطايا الصغيرة، لأن منها تأتى الخطايا الكبيرة. لأن من تعوَّد ـ عندما يسقط في كل خطية ـ أن يقول لن أرتكب إلاّ هذه الخطية فقط، فإنه سيفقد كل شيء تدريجيًا. إن هذا الأسلوب في التفكير هو ما يجلب الخطية، هو ما فتح الباب أمام اللص (أى الشيطان) وهو ما هدم أسوار المدينة، هكذا أيضًا من جهة الجسد، فإن الأمراض الخطيرة تزداد، عندما تُهمل الأمراض البسيطة. فعيسو إن لم يُسلّم البكورية، لما أصبح غير مستحق للبركة، وإن لم يجعل نفسه غير مستحق للبركة، ما كان سيصل إلى مرحلة يريد فيها قتل أخيه. وقايين لو لم تكن لديه هذه الرغبة المُلّحة في أن يكون الأول في كل شيء، ولو أنه تنازل عن هذه المكانة لله، ما كان له أن يصير في المرتبة الثانية، وأيضًا عندما أتى في المرتبة الثانية، لو أنه سمع النصيحة، ما كان له أن يرتكب القتل، وأيضًا بعدما ارتكب القتل، لو أنه قدم توبة عندما دعاه الله، ولم يُجب بسفاهة، ما كان ليُعاني من المآسي والشدائد التي أعقبت القتل.

فإن كان الذين عاشوا قبل الناموس قد وصلوا إلى أعماق الخطية بسبب اللامبالاة واقتراف الاثم على نحو تدريجى، فيجب علينا أن نفكر فيما

[٢٦٠] أم٥:٨.

سنعانيه نحن الذين دُعينا إلى اختبارات أكبر، فإن لم نُلاحظ أنفسنا بمنتهى الدقة، وإن لم نُسرع في أن نُطفئ شرارة الخطية، قبل أن تشتعل النيران، ستُعرّض أنفسنا لعقاب شديد. هل فهمت ما أريد قوله؟ إنك دائمًا ما تنقض الوعد، ولذلك لا يجب عليك أن تتوقف عند هذا فقط، بل يجب أن تتحرر من أي وعد، ولن تحتاج إلى بذل الجهد فيما بعد. لأن عدم تقديم وعد يعتبر أفضل من أن تَعِدْ ولا تفي بالوعد فيما بعد. هل أنت شتّام ومُسيء ومحب للنزاعات؟ حدّد لنفسك قانون، ألا تغضب، وألا تصرخ مطلقًا، وسوف تُقتلع الخطية من جذورها، ولن يكون لها ثمر. هل أنت شهوانى ومُسرف؟ ضع لنفسك أيضًا حدًا، حتى لا تنظر إلى امرأة بشهوة، ولا أن تذهب لحفلات مُشينة، وتتفحص في تفاصيل الحسناوات الغريبات في السوق. لأن عدم النظر منذ البداية إلى امرأة جميلة والشهوة مشتعلة داخلك، يُعَد أسهل من أن تتغلب على الاضطرابات التي تأتي من وراء هذه النظرة. لأن الجهاد من البداية هو أكثر سهولة، أو من الأفضل القول إننا لا نحتاج ولا حتى للجهاد، إن لم نفتح الأبواب للعدو، وإن لم نقبل بذور الشر.

ولهذا فإن المسيح له المجد أدان ذاك الذي ينظر إلى المرأة ليشتهيها، لكى يُنقذنا من متاعب كثيرة، ويوصينا أن نطرد العدو من البيت قبل أن يصير قويًا، عندئذٍ يكون من غير الممكن طرده بسهولة. فإن كان ما يملكه المرء ليس ذو قيمة، فعلى أى شيء يتشاجر مع خصومه، بينما يستطيع أن يربح ما يريده بدون أى شجار، ويختطف الجائزة قبل النزال؟ فبالرغم من أنه ليس بالمشقة الكبيرة ألاّ ينظر أحد لامرأة جميلة، إلاّ أن المرء يبذل مشقة كبيرة في أن يضبط نفسه عندما ينظر إلى امرأة، أو من الأفضل أن نقول إنه لا يمكن أن توجد مشقة في حالة عدم النظر، أما الجهد الكبير والتعب فإنه يأتي عند النظر، ثم بعد ذلك محاولة ضبط النفس. إذًا عندما تكون المشقة أقل، أو من الأفضل القول عندما لا توجد مشقة مطلقًا ولا تعب، فالربح سيكون أوفر، فلماذا نُصارع من أجل السقوط في قاع محيط الخطايا التي لا تُحصى؟ لأن مَن لا ينظر إلى امرأة لا يسهل عليه فقط أن يهزم الشهوة، بل أنه يصبح أكثر نقاءً، كما أن ذاك الذي ينظر لن يتمكن من التخلّص من هذه

الشهوة ـ كما قلنا ـ إلاّ بجهد كبير ومحاولات كثيرة . لأن الذي لم يرَ وجهًا جميلاً هو في منأى عن الشهوة التي تأتى عن طريق النظر، أما مَن اشتهى أن يرى، يكون بهذا قد لوث نفسه. فإنه بعدما ينتصر على الفكر، يبدأ بعد ذلك مرحلة التخلّص من الشهوة، غير أن هذا ليس بالأمر الهين.

ولهذا تحديدًا فإن المسيح له المجد، لكى يُجنّبنا معاناة كل هذا، لم يمنع القتل فقط، بل والغضب أيضًا، ليس الزنا فقط، بل والنظرة الشريرة، وليس فقط من جهة نقض القسم، ولكن القسم بشكل عام . وأستطيع أن أقول ولا بهذا أيضًا يتحدد معيار الفضيلة، بل أنه بعدما شرَّع كل هذا، يتقدم نحو ما هو أكثر من ذلك. فبعدما أبعد الإنسان عن طريق القتل وأوصاه أن يكون نقيًا من الغضب، يوصيه أن يكون مُستعدًا لأن يتألم، ويُعِد نفسه مسبقًا لتحمّل الآلام، ليست فقط تلك التي تأتي ممن يرغب في الإيقاع به، بل أكثر من ذلك. وعليه أيضًا أن ينتصر على قوة شهوته بالعفة التي يمتلكها، لأنه لم يقل مَن لطمك على خدك الأيمن يجب أن تتحمله بشهامة وهدوء، بل قال: " فحوّل له الآخر أيضًا"[261]. ولذلك فإنه انتصار عظيم لنا ، أن نتحمل أكثر بكثير، مما يريده ذاك الذي يرغب في أن يؤذينا ، وأن نتجاوز حدود شهوته الخبيثة، بما لنا من غنى في طول الأناة. لأنه هكذا سنقضي على غيظه، وستنال مكافأة عظيمة، بعدما نقضي على الغضب من خلال تصرفنا هكذا مع المسيء.

أرأيت كيف أنه في كل موضع يؤكد على أن عدم شعورنا بالخزي والألم يتوقف علينا، ولا يتوقف على الذين يسيئون إلينا؟ أو من الأفضل أن نقول إن الأمر لا يتعلق بعدم شعورنا بالخزي فقط، بل إذا أردنا أن ننعم بالخير فهذا أمر في أيدينا. وبالطبع هذا ما يستحق الإعجاب بصفة خاصة، أى أنه ليس فقط لن ينالنا ظلم، إن كنا نسلك بعفة، بل يمكننا أن ننعم بالخير بواسطة تلك الأمور التي يَظلمنا بها آخرين. ولكن انتبه. هل أهانك أحد؟ الأمر يعتمد عليك في أن تحوّل هذه الإهانة إلى مديح لك. لأن من المؤكد إن

---

[261] مت٥:٣٩.

رددت الإهانة، فإنك تجعل العيب أكبر، أما إن باركت الذي أهانك، سترى أن كل الحاضرين يتوجونك، ويمتدحونك، ويُشيدون بك. أرأيت كيف أننا ننعم بالخير من خلال قبولنا للظلم الواقع علينا، نفس الشيء يمكن أن نراه يحدث فيما يتعلق بالأموال، وكل الأمور الأخرى. لأنه إن كان جوابنا أو ردود أفعالنا هى عكس أفعالهم، التي نُعاني بسببها، والتي تجعلنا أيضًا ننعم بالخير، فإننا بهذا ننسج لأنفسنا تاجًا مزدوجًا. إذًا لو أن شخصًا ما أتى وقال لك إن أحد قد أهانك، ونقل إليك ما قيل عنك بالسوء أمام الجميع، فينبغي أن تمتدح الشخص الذي أهانك، أمام أولئك الذين نقلوا لك هذه الإهانة، لأنك بهذه الطريقة تستطيع أن تكسب الحق إن أردت أن تدافع عن نفسك.

لأن هؤلاء الذين يسمعون سوف يمتدحونك، حتى ولو كانوا يتسمون بحماقة شديدة، لأن ذاك دون أن تظلمه البتة، قد أحزنك، أما أنت وإن كنت قد تألمت، إلاّ أنك تجعله يُدان بردود أفعالك التي هى عكس أفعاله. وسيمكنك بهذا المسلك الطيب أن تبرهن على أن الكلام الذي وُجّه لك، يعتبر كريه ومنفر. لأن ذاك الذي لا يحتمل كلام الإهانة بمسرة، يقدم دليلاً على أنه مازال يُعاني، بينما ذاك الذي يزدري بهذا الكلام، يكون قد برأ نفسه أمام الحاضرين من كل ريبة أو شك. لاحظ إذًا مقدار الخير الذي تناله من وراء سلوكك هذا. أولاً أنك تُنقِذ نفسك من الارتباك والقلق، حتى ولو كنت مُثقلاً بالخطايا، فإنك تمحو هذه الخطايا بردودك الحسنة، مثل العشار الذي احتمل باختياره اتهام الفريسي. وبالإضافة إلى هذا فأنت تجعل نفسك عفيفة بهذه التداريب والممارسات، وستنال من الجميع مديحًا كثيرًا جدًا، وستنفي كل تهمة قد قيلت عنك. أما إذا أردت أن تنتقم لنفسك من المُسيء إليك، فسوف يكون مصيرك مثله، بل وأكثر، إذ أن الله يعاقبه على تلك الأمور التي قالها، وقبل هذا العقاب، عليك أن تعلم أن عفة نفسك تصير بالنسبة له طعنة مميتة، فعليك أن تزدري بما يُقَال عنك، لأنه عادةً لا يوجد شيئًا يُضايق المُسيئين إلينا سوى أن نزدري، بهذه الشتائم.

إذن فكما أننا سنحصل على كل الخير من وراء العفة، هكذا سيصير كل شيء على نحو عكسي، إن تصرفنا بطريقة مغايرة وكنا صغار

النفوس. لأننا بالحقيقة نُسيء إلى أنفسنا (إن سلكنا بعكس عفة النفس)، وسنظهر أمام الجميع أننا مسئولون عما يُقال، ونشعر بالاضطراب الشديد، ونُفرِح عدونا، ونُغضِب الله، ونُضيف إلى خطايانا السابقة، خطايا أخرى.

إذًا فلنفكر في كل هذا، ولنتجنب الوقوع في هوة صغر النفس، ولنلجأ إلى ميناء طول الأناة، حتى نجد راحة لنفوسنا، كما قال المسيح له المجد، ونحصل على خيرات الدهر الآتى بالنعمة ومحبة البشر اللواتى لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة إلى دهر الدهور آمين.

+++++++

العظة الرابعة عشر

" فإننا نعلم أن الناموس روحى وأما أنا فجسدى مبيع تحت الخطية" (رو٧:١٤).

١ ـ ولأن الرسول بولس قال سابقًا إن هناك شرور كثيرة قد صارت، وإن الخطية قد أصبحت أكثر قوة عندما كانت هناك الوصية، وإن ما حاول الناموس تحقيقه قد حدث عكسه، فإنه بذلك يكون قد وضع المتلقي لرسالته في حيرة كبيرة. لذلك أخذ هنا يتحدث عن كيف صارت هذه الأمور على هذا النحو بعدما برأ الناموس من الشبهة الخبيثة. وحتى لا يعتقد أحد أنه خُدع وقُتل بناء على قول الرسول بولس بأن الخطية اتخذت فرصة بالوصية، وأنه عندما أتت الوصية عاشت الخطية، ، وأن الناموس هو سبب كل هذه الشرور، راح يُدافع أولاً عنه بكلام مستفيض، ليس فقط مبرءًا إياه من الإدانة، ولكن موجهًا له أعظم المديح. وهو يذكر ذلك، ليس باعتباره متُفضّلاً على الناموس، بل كمن يُعبّر عن حكم عام معروف لدينا جميعًا. إذ يقول: " لأننا نعلم أن الناموس روحى". كما لو أنه قال إنه لأمر معروف وواضح، أن الناموس روحى، وأنه بعيدًا كل البُعد عن أن يكون سببًا للخطية، ومسئولاً عن الشرور التي تحدث.

لاحظ أنه لم يُبرئ الناموس من الإدانة فقط، ولكنه يمتدحه بشدة. لأنه يقول عنه إنه "روحى" موضحًا كيف أن الناموس هو مُعلّم الفضيلة، وعدو للخطية. لأن هذا هو معنى أن "الناموس روحى"، بمعنى أنه مُنزّهًا عن كل الخطايا، الأمر الذي جعل الناموس هو المحذر، والمُرشد، والمُصحح، والمقدم لكل النصائح التي تساعد على ممارسة الفضيلة. إذًا من أين وجِدَت الخطية، طالما أن المعلّم (أي الناموس) كان رائعًا؟ أقول وُجدت الخطية نتيجة لامبالاة التلاميذ. ولهذا أضاف قائلاً: "*وأما أنا فجسدى*" واصفًا الإنسان الذي عاش في ظل الناموس، والإنسان الذي عاش قبل الناموس، أنه "***مبيع تحت الخطية***" لأن آلامًا كثيرة ظهرت مع الموت (الناتج عن الخطية)، وعندما صار الجسد فاسدًا، تعرّض فيما بعد بالضرورة للشهوة والغضب والحزن وكل الأمور الأخرى التي تحتاج لعفة كبيرة. أقول هذا حتى لا تغمر نفوسنا هذه

الأشياء، ويغرق فكرنا في قاع الخطية. لأن هذه الأشياء لم تكن في حد ذاتها خطية، ولكن المغالاة فيها، وعدم قمعها هو ما جلب علينا كل هذه النتائج. وتوضيحًا لذلك أسوق هذا المثل وأقول إن الرغبة المشروعة في حد ذاتها ليست خطية بالطبع، ولكن عندما تسقط في المغالاة، وترفض البقاء في إطار قوانين الزواج، بل وتذهب إلى نساء غريبات، عندئذٍ يصير هذا المسلك زنى، إلاّ أن الشهوة في حد ذاتها ليست هى السبب في ذلك، بل السبب يكمن في الشراهة التي هى وراء الشهوة.

وانتبه إلى حكمة الرسول بولس، لأنه بعدما امتدح الناموس، انتقل سريعًا وبطريقة مباشرة إلى الزمن السابق على الناموس، مُظهرًا كيف عاش الجنس البشرى آنذاك، وكذلك كيف عاش عندما أخذ الناموس، لكي يُبيّن أن مجيء النعمة كان أمرًا ضروريًا، الأمر الذي حرص على أن يُظهره في كل موضع. لأنه عندما يقول " *مبيع تحت الخطية*"، لا يتحدث فقط عن أولئك الذين عاشوا في ظل الناموس، بل وعن الذين عاشوا قبل الناموس، وأيضًا عن الذين وجدوا في عهد النعمة.

٢ - ثم يتحدث بعد ذلك عن طريقة البيع (تحت الخطية)، وإعلان الحكم

" لأني لست أعرف ما أنا فاعله" (رو٧:١٥).

ماذا تعني عبارة "لستُ أعرف"؟ تعني أجهل. ومتى حدث هذا، إذ لا يوجد أحد مطلقًا يكون قد أخطأ دون أن يعرف. أرأيت كيف أنه إن لم نقبل الكلمات بالورع المناسب، وإن لم نفهم الهدف الرسولى، فإننا سنتتبع أمورًا كثيرة في غير موضعها، لأنه، إن كانوا قد أخطأوا دون أن يعرفوا، تمامًا كما قال سابقًا " لأن بدون الناموس الخطية ميتة "[٢٦٢]، فإنه يقول هذا لا لكي يُبرئهم أنهم أخطأوا بدون معرفة، بل لأنهم كانوا بالطبع يعرفون، **ولكن ليست المعرفة الدقيقة**. ولهذا أُدينوا، ولكن ليس بقسوة شديدة . وأيضًا قال: " *بل لم أعرف الخطية*"، وعدم **المعرفة هنا، لا يقصد به الجهل**

[٢٦٢] رو٧:٨.

التام، بل ما يُشير إليه هو عدم المعرفة الواضحة جداً. وقال إن الخطية بالوصية أنشأت في كل شهوة، وهو لا يعني بهذا أن الوصية أنشأت الشهوة، ولكن ما يعنيه هو أن الشهوة التي بالخطية قد ظهرت وازدادت بالوصية. هكذا هنا أيضًا لا يُعلن عن جهل كامل، قائلاً: "*لأنى لست أعرف ما أنا فاعله*"، لأنه كيف يُسرّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن؟

إذن ما معنى " لست أعرف "؟ يعنى صار لى الأمر غامضًا، وخُدعت، وهُددت، فإننا غالبًا ما نقول: لا أعرف كيف أن هذا الإنسان أتى وخدعني، ذلك رغبةً منا في ألا ننسب الجهل لأنفسنا، إلاّ أن هذا يُظهر خداعًا معينًا، وظروفًا محددة، وتسلطًا. "***إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل***". إذًا كيف لا يعرف هذا الذي يفعله؟ لأنه إن أردت الخير وأبغضت الشر، فهذا يدل على أنني لديّ معرفة كاملة. وبناء على ذلك فإنه من الواضح أن الرسول بولس قال عبارة "*لست أفعل ما أريده*"، لا لكي يُبطل الحرية، ولا لكي يُشير إلى قوة تُجبره على ذلك. لأنه إن أخطأنا بدون إرادتنا، وكانت هناك قوة تدفعنا لهذا، فلن تكون العقوبات التي كانت من قبل، مُبررة . ولكن كما يقول "*لست أعرف*"، وهى عبارة لا تعلن عن جهل، تمامًا كما سبق وأشرنا، لذا أُضيفت عبارة "*لست أفعل ما أريده*" وهى لا تُعلن أنه لا يفعل ما يريده نتيجة لإحتياج ما، بل إنه أراد لنا ألاّ نمتدح تلك الأمور التي تحدث . وهذا ما أراد أن يقوله، لذلك بعدما قال: "*ما لست أريده إياه أفعل*" لم يقل ما أُجبر عليه وأُدفع إليه، إياه أفعل، وهذا هو ضد إرادتنا وضد سلطاننا، بل قال "*ما أبغضه فإياه أفعل*" لكى تعلم أن بقوله "ما أريده" يجرد نفسه من القدرة على فعل ما يريده. وأتساءل ماذا يعنى بعبارة "*ما لم لست أريده*"؟ أجيب: يعنى هذا الذي لا أمتدحه، هذا الذي لا أقبله، هذا الذي لا أحبه، ولتوضيح ذلك، أضاف:

" بل ما أبغضه. إياه أفعل. فإن كنت أفعل ما لست أريده فإنى أصادق الناموس أنه حسن " (رو٧:١٦).

٣ ـ أرأيت كيف أن الفكر ليس فاسدًا، بل هو في الواقع يحتفظ بحيائه؟ إذ بالرغم من أنه انشغل بالخطية، إلاّ أنه يُبغضها، الأمر الذي يمكن أن

ينشئ مدحًا كبيرًا للناموس الطبيعي، والناموس المكتوب. لأنه كما يقول الرسول بولس، من حيث إن الناموس حسن، فهذا واضح بالنسبة للأمور التي أُدين بها نفسي، بسبب مخالفتي للناموس، وأُبغض ما قد حدث (من خطايا). فلو كان الناموس هو سبب الخطية، فكيف أبغض ما أمر به الناموس، إذ هو ـ في نفس الوقت ـ يُسرّ بالناموس؟ لأنه يقول: " **أصادق الناموس أنه حسن**".

" فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فيّ. فإني أعلم أنه ليس ساكن فيّ أى في جسدى شيء صالح "(رو٧: ١٧ـ١٨).

هنا تتحدث هذه الآيات عن الذين يحتقرون الجسد، حاسبين إياه شرًا. ماذا سنقول إذًا؟ سنقول ما سبق وقلناه، عندما تحدثنا عن الناموس، أى أنه كما تكلّم القديس بولس سابقًا، عن أن كل شيء يعود إلى الخطية وما تُحدثه فينا، هكذا يقول هنا أيضًا، لأنه لم يقل إن الجسد يفعل هذا، بل قال العكس " لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فيَّ". ولكن كون أنه يقول لا يسكن في الجسد شيء صالح، فإن هذا لا يُمثل إدانة للجسد، لأن عدم سكنى شيء صالح في الجسد لا يدل على أن الجسد شر.

نحن بالطبع نقبل أن طبيعة الجسد المادية، هى أقل وأدنى في القيمة والنوعية من طبيعة النفس الروحية، لكنها ليست مضادًا ولا عدوًا ولا شرًا، بل إنها تخضع للنفس، مثل القيثارة التي في يد العازف، ومثل السفينة بالنسبة للقبطان، والتي هى ليست مضادة لمن يستخدمها أو يقودها، لكنه يقودها بشعور من الحب الكبير جدًا دون أن تكون بالطبع مساوية للفنان أو القائد. تمامًا كما يقول قائل: كون إن الفن لا يوجد في القيثارة، بل في العازف، ولا في السفينة، بل في القبطان، فهذا لا يلغي دور هذه الآلات، ولكنه يُظهر الفرق بينها وبين الفنان، هكذا القديس بولس يقول " *ليس ساكن .. في جسدى شيء صالح*" لم يُبطل الجسد، لكنه أظهر امتياز النفس. لأن النفس هى تلك التي تعهدت كل القيادة والعزف، الأمر الذي يظهره الرسول بولس هنا مشيرًا إلى سلطة أو سيادة النفس، مخبرًا إيانا أن الإنسان مكوّن من النفس والجسد، وأن الجسد أقل فهمًا وبدون عقل، وأنه مرتبط بالأشياء

التي تُقاد عن طريق آخر، وليس بالأشياء التي تقود، بينما النفس هي أكثر حكمة، وأنها تعرف جيدًا ما ينبغي فعله وما لا ينبغي، دون أن تنقصها القوة لكي تقود الجواد حيثما تريد، الأمر الذي سيُمثل إدانة، ليس فقط للجسد، بل للنفس أيضًا عندما تعرف ما يجب فعله، ولكنها لا تفعل ذلك الذي قررته "*لأن الإرادة حاضرة عندي وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد*".

ومرة أخرى يقول "*لست بعد أفعل*" لا يقصد بذلك عدم معرفة أو شك، بل يشير إلى وجود خلل ما، وخداع الخطية، ولكى يُبيّن هذا بوضوح، أضاف:

" لأني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده إياه أفعل. فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فيّ " (رو٧: ١٩-٢٠).

أرأيت كيف أنه برأ طبيعة النفس وطبيعة الجسد من الإدانة، ونسب كل شيء للعمل الخبيث؟ لأنه إن كان لا يريد الشر، فالجسد أيضًا حر، وأن كل شيء يتوقف على الاختيار الشرير. لأن جوهر النفس وجوهر الجسد كلاهما خلقة الله، بينما الحركة التي تأتى من أنفسنا فهى مرتبطة بإرادتنا التي تُقرر اختيار الطريق الذي تسلكه. بمعنى أن الإرادة هي شيء فطري أو غريزي وتأتي من الله، بينما إرادة فعل الشر التي هى من ابتداعنا، فهى تتعلق بنا نحن وبقرارنا الذي نتخذه.

٤ ـ " إذًا أجد الناموس لى حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشر حاضر عندى " (رو٧: ٢١).

هذا الكلام غير واضح. فما الذي يعنيه؟ يعني أن الرسول بولس يمتدح الناموس وفقًا لضميره، ويجد نفسه مدافعًا عنه فيما يتعلق برغبته في فعل الحسنى، إذ هو يشدّد عزيمته. تمامًا مثل "أسرّ بناموس الله"، هكذا فإن الناموس يمتدحه على ما يفعل من حسنات. أرأيت كيف أن معرفة الأمور الحسنة والأمور الشريرة هى أمور مغروسة داخلنا منذ البداية، بينما الناموس الموسوى يمدحها ويُمتَدح منها؟ لأنه لم يقل من قبل، إنني أتعلّم من الناموس، لكنه قال: " أسر بناموس الله "، كما أنه لم يقل قبلاً إني أتعلّم منه بل قال: " أصادق الناموس " وهكذا فلم يقل أيضًا إنني أتدرب أو أتعلم من الناموس،

بل "أُسر بناموس الله". وماذا يعنى بقوله " أصادق"؟ **يعنى أننى أقبل أنه حسن، تمامًا كما أن الناموس أيضًا يصادقنى أو يوافقنى عندما أريد أن أفعل الحسنى** . وبناء على ذلك فكوننا نريد فعل الحسنى ولا نريد أن نفعل الشر، فهذا أمر قد غرسه الله في طبيعتنا منذ البداية. لكن عندما أتى الناموس، بدأ يُدين الشرور بشدة، ويُثني على الأعمال الحسنة أيضًا.

أرأيت كيف أن الرسول بولس يريد أن يوضح أبعاد الدور الحقيقي الذي يقوم به الناموس وليس أكثر من ذلك؟ وكأنه يقول إن الناموس حينما يُثني على ما أفعل، وعندما أُسر وأريد أن أفعل الحسنى، فهذا لا يعنى أن الشر بعيدًا عني، بل مازال قريبًا مني وعمله لم يُبطل. وبالتالى فإن الناموس وفقًا لما سبق عرضه، يصير مجرد ممتدحًا للمرء حين يفعل الحسنى، طالما أن الناموس يريد نفس الأشياء التي يفعلها.

ثم بعد ذلك يتقدم ويُفسر هذا الموقف، ويجعله أكثر وضوحًا لأنه أشار إلى هذه الحالة بغموض، مُبينًا كيف أن الشر قريب، وأن الناموس هو فقط ناموس لذاك الذي يريد أن يفعل الحسنى.

" فإني أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن " (رو٧:٢٢).

ما يقوله هنا هو أنه قد عرف الحسنى بالطبع قبل أن يأتى الناموس، ولكن عندما أدرك أن هذا يوجد في الناموس، فقد امتدحه.

" ولكننى أرى ناموس آخر في أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي " (رو٧:٢٣).

هنا أيضًا دَعَىَ الخطية، "بناموس يُحارب" وليس "بناموس يخضع". ويتحدث عن الانقياد المغالى فيه لمَن يخضعون للخطية. تمامًا كما يُسمي الغنى سيدًا، والبطن إلهًا، لا من أجل أهميتهما في حد ذاتهما، بل من أجل خضوع من هم عبيد للخطية لهما، وهم يخشون أن يتركونهما، تمامًا مثل الذين وضعوا هذا الناموس، هم الذين يخشون أن يهجروه، هؤلاء يحاربون الناموس الطبيعي، لأن هذا هو معنى " ناموس ذهني".

ثم يبرهن لنا أن الجهاد كله هو للناموس الطبيعي، لأن الناموس الموسوي أُضيف مؤخرًا . فبالنسبة للناموس الطبيعي والناموس الموسوي، نجد أن الأول يُعّد معلمًا، والآخر يمتدح الأمور التي ينبغي أن تحدث، وهما لم يتمكنا من تحقيق أى شيء في هذه المعركة، للتصدي لقوة الخطية التي تسود علينا، هذا ما يذكره الرسول بولس تحديدًا، مُعلنًا الهزيمة الكاملة، قائلاً: " *ولكنني أرى ناموسًا آخر في أعضائي يُحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية*". لم يقل فقط إنه ينتصر، بل " *يسبيني إلى ناموس الخطية*". لم يقل يسبيني إلى شهوة الجسد، ولا إلى طبيعة الجسد، بل "إلى ناموس الخطية"، أى إلى سيادة ناموس الخطية الجائر وإلى قوته. إذًا كيف يقول "في أعضائي"؟ وما معنى هذا؟ معناه أنه لا يجعل الأعضاء خاطئة، ولكن بقوله هذا يُميز جيدًا بين الأعضاء وبين الخطية، **لأنه يوجد فرق بين الوعاء وما يحتويه هذا الوعاء.** تمامًا كما أن الوصية ليست شرًا، لمجرد أن الخطية اتخذت فرصة بالوصية، هكذا فإن طبيعة الجسد ليست شرًا، على الرغم من أن الخطية تحاربنا عن طريق الجسد. لأنه بهذا المنطق ستكون النفس أيضًا شر ـ لو فكرنا بهذه الطريقة ـ مادام أن لها السلطان على كل الأمور التي ينبغي أن تحدث.

ولكن الأمر ليس هكذا. لأنه لو كان هناك شخصًا طاغيًا ولصًا قد سرق بيتًا فخمًا أو قصرًا ملكيًا، فإن هذا الحدث لا يُعد إدانة للبيت الفخم، بل إن كل الإدانة تتعلّق بمَن فعلوا هذه الأمور . غير أن أعداء الحقيقة، بالإضافة إلى جحودهم، يَسقُطون في حماقة كبيرة، ولا يَشعُرون بهذا، لأنهم لا يَدينُون الجسد فقط، بل يَدينُون الناموس أيضًا.

فلو افترضنا ـ حسب قولهم ـ أن الجسد شرًا، فالناموس يكون صالحًا، لأنه يُعارضه ويتصدى له. ولكن إن كان العكس، أى أن الناموس ليس صالحًا، فالجسد يعتبر صالح ـ لأنه وفقًا لرأى هؤلاء ـ هو يجاهد ضد الناموس ويحاربه. إذًا فكيف يقولون أن الاثنين (أي الجسد والناموس) ينتسبان إلى الشيطان ويُقدمانهما على أنهما متضادين فيما بينهما؟ أرأيت مدى وضوح حالة الجحود التي يعيشون فيها، بالإضافة إلى حماقتهم؟! لكن

إيمان الكنيسة ليس هكذا، لكنه إيمان يُدين الخطية فقط، ويُقر بأن كل ناموس أُعطيَ من الله، أى الناموس الطبيعي والناموس الموسوي، هو عدوًا للخطية، وليس عدوًا للجسد. لأن إيمان الكنيسة لا يقول بأن الجسد خطية، بل هو خليقة الله، وهو مخلوق لتحقيق الفضيلة، إن كنا نتصف بالعفة.

٥ ـ " ويحي أنا الإنسان الشقي مَن يُنقذني من جسد هذا الموت " (رو٧:٢٤).

أرأيت مقدار القوة التي للخطية، حيث إنها تنتصر على الذهن، برغم أن الرسول بولس يُسّر بناموس الله؟ لأنه لا يستطيع أحد أن يَزعُم بأن الخطية هُزِمت، إذا أبغض الناموس، لأنه يقول لأنني أُسر بالناموس وأصادقه وألجأ إليه. لكن بالرغم من ذلك ـ كأنه يقول ـ إن الناموس لم يستطع أن يُخلّصني، حتى عندما لجأت إليه، بينما المسيح خلّصني، على الرغم من ابتعادي عنه . أرأيت مقدار امتياز النعمة؟ ولم يذكر الرسول بولس الأمر هكذا، لكنه بعدما تنهَّد وحزن جدًا ـ كما لو أن الذين سيُقدِمون المساعدة غير موجودين ـ يُظهر قوة المسيح وهو في هذه الحيرة، بقوله: "ويحي أنا الإنسان الشقي مَن ينقذني من جسد هذا الموت"؟ فالناموس لم يستطع أن يُنقذه، والضمير أيضًا لم يتمكّن أن يفعل هذا، وإن كان قد أثنى على الأمور الصالحة، وليس هذا فقط، بل وحارب الأمور المضادة للصلاح. لأنه إذ يقول " ناموس آخر... يُحارب " فإنه يُظهر أن هذا الناموس أيضًا يُحارب . وأتساءل هنا من أين سيأتي رجاء الخلاص؟ الإجابة تأتي في قوله:

" أشكر الله[٢٦٣] بيسوع المسيح ربنا إذا أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية" (رو٧:٢٥).

أرأيت كيف أنه أظهر ضرورة أن نُعطَى النعمة وهبات الآب والابن؟ لأنه وإن كان يُشير إلى الآب، لكن السبب في هذا الشكر يرجع إلى الابن. لكن عندما تسمعه يقول " *من ينقذني من جسد هذا الموت*"، فيجب ألاّ

[٢٦٣] أي بسبب نعمة الله التي بيسوع المسيح.

تتصور أنه يُدين الجسد. **لأنه لم يقل من يُنقذني من "جسد الخطية"، بل من "*جسد هذا الموت*". أى الجسد الفاني، الذي هُزم من الموت، إذ ليس الجسد هو السبب في الموت، بل هو الذي تضرر بالموت، كما أن هذا التغيير ليس دليلاً على أن الجسد في حد ذاته هو خطية.** تمامًا كما لو كان شخص قد أُسِر من البربر، فيُقال إنه ينتسب إلى البربر، لا لأنه بربرى، بل لأنه أُسِر منهم، **هكذا الجسد يُدعى "جسد الموت"، لأن الموت ساد عليه، وليس لأنه أنتج الموت. ولهذا تحديدًا، لم يشأ التحرر من الجسد في حد ذاته، ولكن يُريد أن يتحرّر من الفناء الذي أصاب الجسد، قاصدًا هذا الذي قاله مرات عديدة، طالما أن الجسد قد صار ضعيفًا، فإنه من السهل أن تسود عليه الخطية بعد ذلك.** لماذا يُقال إن أولئك الذين أخطأوا قبل النعمة عوقبوا، طالما أن سلطان الخطية كان قويًا قبل مجيء النعمة؟ لكنني أقول قد عوقبوا لأنهم أخذوا وصايا كان من الممكن أن يُنفذوها، بصرف النظر عن سيادة الخطية.

إن الناموس لم يقودهم إلى حياة كاملة، بل سمح لهم بأن يتمتعوا بالأموال، ولم يمنعهم من أن يأخذوا لهم نساءً كثيرات، وأن يغضبوا إن كان الأمر يستلزم ذلك، وأن يستمتعوا باعتدال. وكان التساهل كبيرًا جدًا من جانب الناموس، حتى أن متطلباته المكتوبة كانت أقل من تلك التي حددها الناموس الطبيعي. لأن الناموس الطبيعي أمر بأن يكون للرجل علاقة جسدية دائمة مع امرأة واحدة، الأمر الذي أراد المسيح أن يُعلنه، بقوله: "*الذي خلق من البدء خلقهما ذكرًا وأنثى*"[٢٦٤]. لكن الناموس الموسوي لم يمنع الرجل من أن يطرد زوجته، ويأخذ أخرى بدلاً عنها، ولا منع أن يكون لديه زوجتين في آن واحد. بالإضافة إلى كل هذا، يستطيع المرء أن يرى أن أولئك الذين عاشوا قبل الناموس المكتوب قد أنجزوا أمورًا أخرى أكثر من تلك التي وردت في الناموس الموسوي، وقد أعانهم الناموس الطبيعي في هذا الأمر. إذًا لم يمارس الناموس ضغطًا على الذين عاشوا في العهد القديم، طالما أنه قد أَعطي لهم مثل هذا التشريع الذي كان يتفق وقدراتهم. ولكن إذا كانوا لم

---

[٢٦٤] مت١٩: ٤.

يتمكنوا أن يَخلُصوا ولا حتى هكذا، فإن اللوم يوجه إلى لامبالاتهم. ولهذا فإن الرسول بولس يشكر الله، لأن المسيح له المجد دون أن يفحص أي أمر من هذه الأمور بالتفصيل، وليس هذا فقط، بل لم يطلب منا حسابًا عن تلك الأمور التي كانت وفقًا لقدراتنا، قد جعلنا قادرين على السير في طريق أفضل، ولهذا قال: "*أشكر الله بيسوع المسيح ربنا*".

+++++++

الأصحاح الثامن

الإصحاح الثامن

لقد مضى الرسول في موضوع آخر، بينما ترك موضوع الخلاص كأمر مُسلّم به مكتفيًا بما بيّنه لنا. هذا الموضوع، هو أننا لم نتحرر فقط من الأشياء السابقة (العتيقة)، بل أيضًا سنفوز من الآن فصاعدًا. لأنه:

" .. لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح " (رو٨: ١).

لم يُشر إلى هذا من قبل، إلى أن تذكّر الحالة السابقة مرة أخرى. لأنه بعدما قال: " *إذًا أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية* " أضاف "*لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع* ". ولأنه كان ضد الكثيرين الذين يخطئون بعدما نالوا المعمودية، لذا نجده يتناول هذا الأمر، فلم يقل فقط " *الذين هم في المسيح يسوع* "، بل " *السالكين ليس حسب الجسد* "، لكي يُبرهن على أن كل شيء يسببنا إلى ناموس الخطية بعد ذلك، هو نتيجة خمولنا. إذ علينا الآن أن نسلك ليس حسب الجسد، وهذا ما كان يصعب تحقيقه قبل ذلك.

٦ ـ ثم يُثبت ذلك بطريقة مختلفة قائلاً:

" لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت " (رو٨: ٢).

وهو هنا يدعو الروح القدس، بلقب الروح، لأنه كما قال عن الخطية "ناموس الخطية"، هكذا يقول عن الروح القدس "ناموس الروح". ومن المؤكد أنه تحدث عن الناموس الموسوي، ووصفه أيضًا قائلاً: " *فإننا نعلم أن الناموس روحي*". إذًا ما هو الفرق؟ يوجد فرق كبير وغير محدود. لأن الناموس الموسوى يُعتبر روحي، ولكن الآخر هو "ناموس الروح". فما هى أوجه الاختلاف بينهما؟ أن أحدهما (الناموس الموسوي) قد أُعطِيَ بواسطة الروح القدس، بينما الآخر (ناموس الروح)، منح روح الحياة وبوفرة لكل مَن قَبِلِه. ولهذا دعاه "ناموس روح الحياة" من حيث تمييزه عن "ناموس الخطية"، وليس عن الناموس الموسوي . لأنه عندما يقول " *أعتقني من ناموس الخطية*

والموت "، لا يقصد هنا الناموس الموسوي، لأنه لم يصفه في أي موضع بناموس الخطية . لأنه كيف يدعو ناموس موسى هكذا، وهو الذي وصفه في مرات كثيرة بأنه عادل ومقدس، وقادر على إبادة الخطية؟ لكنه يقصد ذلك الناموس الذي يُحارب ناموس الذهن. هذه الحرب المخيفة إذًا قد أوقفتها نعمة الروح القدس، بعدما أماتت الخطية، وجعلت جهادنا أسهل بعدما توّجتنا أولاً وقادتنا بعد ذلك بمعونة كبيرة إلى حلبة المصارعات.

وكما إعتاد الرسول بولس، فقد انتقل بعد ذلك من الحديث عن الابن ليتحدث عن الروح القدس، ثم من الروح القدس إلى الابن، ثم إلى الآب، مقدمًا بإيمان وثقة كل ما يخص أمورنا ويضعها أمام الثالوث، وهذا ما يفعله هنا أيضًا. لأنه بالحق حين يقول "*مَن ينقذني من جسد هذا الموت* "؟ فهو يُشير إلى الآب مع الابن في تتميم هذا الأمر. ثم بعد ذلك يُشير إلى الروح القدس مع الابن لأنه يقول ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني ". وبعد ذلك يذكر الآب مع الابن، لأنه يقول:

" لأنه ما كان الناموس عاجزًا عنه في ما كان ضعيفًا بالجسد فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد" (رو٨:٣).

مرة أخرى يبدو أنه يُدين الناموس، ولكن بشيء من التدقيق يتضح أنه يمتدح الناموس جدًا، مُظهرًا أنه يتفق مع المسيح، وأنه يشتهي نفس الأمور. لأنه لم يقل: " شر الناموس" بل "ضعف الناموس"، وأيضًا " فيما كان ضعيفًا" ليس بسبب أنه هو ضار أو أنه يدبر مكائد. وأيضًا لا ينسب له الضعف في حد ذاته بل للجسد قائلاً: " فيما كان ضعيفًا بالجسد " **قاصدًا بكلمة "جسد" التدبير الجسدي**، وليس طبيعة وجوهر الجسد نفسه. وهو من خلال كل هذا قد برأ الجسد والناموس من أي إدانة.

وهو لم يبرأ الناموس بهذه الأقوال فقط، بل وبالأقوال التي تأتي بعد ذلك. لأنه لو كان الناموس مخالفًا، فكيف أتى المسيح ليعين ضعفه ويكمّله، إذ مدّ له يد العون، مُدينًا للخطية في جسده؟! وهذا كان مُنتظر أن يحدث، لأن الناموس دان الخطية في النفس قديمًا . ماذا إذًا؟ هل أتم الناموس العمل

الأكبر، ولم يقم ابن الله وحيد الجنس إلاّ بالجانب الأقل؟ إطلاقًا هذا العمل الأكبر أيضًا قد فعله الله، الذي أعطي الناموس الطبيعي وأضاف الناموس المكتوب، إلاّ أنه ليس هناك أية فائدة من العمل الأكبر، إن لم يوجد العمل الأقل. فما الفائدة وراء معرفة ما يجب أن نفعله دون أن تُنفّذه؟ لا يوجد أى نفع، بل أن الإدانة تكون أكبر. فالذي خلق النفس، هو نفسه الذي جعل الجسد خاضعًا. لأنه من السهل أن يُعلّم المرء[٢٦٥]، لكن أن يُظهر طريقة معينة بها تُصبح هذه الأمور سهلة، فإن هذا هو ما يستحق المدح[٢٦٦]. ولهذا تحديدًا أتى وحيد الجنس، ولم يصعد إلى السماء إلا بعد أن خلّصنا من هذه المعضلة. **والأكثر عظمة هو طريقة النصرة. لأنه لم يأخذ جسدًا مغايرًا، بل نفس الجسد الذي سقط.** تمامًا مثل شخص رأى إمرأة من عامة الشعب وهى تُضَرب في السوق، ولكي ينقذها قال للجمع إنه ابنها، بينما هو في الحقيقة ابن ملك، وبهذه الطريقة خلّصها من أيدي الذين كانوا يضربونها. هذا ما صنعه المسيح، معترفًا بأنه ابن الإنسان، فأعان الجسد ودان الخطية.

لم تَعُد الخطية فيما بعد تَجرؤ على ضرب الجسد. أو من الأفضل أن نقول إنها ضربته ضربة الموت، ولكن الخطية قد أُدينت وانتهت بنفس الضربة التي ضربت بها، وليس الجسد، الأمر الذي يستحق الإعجاب أكثر من كل شيء. لأنه بالحقيقة، لو أن النصرة لم تظهر في الجسد، لكان هذا أمر عادي، طالما أن الناموس قد فعل هذا، لكن المدهش هو أن نُصب النصر أُقيم مع الجسد، وأن ذلك الجسد الذي هُزم من الخطية مرات عديدة، قد ربح نصرة مبهرة ضد الخطية. ها أنت ترى إذًا كم من الأمور العجيبة قد حدثت.

أولاً إن الخطية لم تنتصر على الجسد.

ثانيًا أنها هُزمت، وهُزمت من الجسد، لأنه ليس هو نفس الأمر أن لا يُهزم الجسد، بل أن ينتصر على تلك التي كانت دائمًا تنتصر عليه.

---

[٢٦٥] يشير هنا إلى مهمة الناموس التي هى التعليم.

[٢٦٦] لكن هنا يشير إلى التجسد ونزول ابن الله ليكون بين البشر.

ثالثًا إن الجسد لم ينتصر فحسب، بل وأدان الخطية أيضًا.

وكونه لا يُخطئ، فهذا معناه أنه لم يُهزَم، ولكن كونه أدان الخطية، فهذا معناه أنه انتصر عليها مُظهرًا المهابة التي فيه، وهو الذي كان مُهانًا من قبل. هكذا أبطل المسيح قوة الخطية، وأباد الموت الذي أوجدته هذه الخطية . لأنه حتى ذلك الحين الذي فيه كانت تنقّض على الخطاة، كان الموت جزاءً لهم عن حق، لكن عندما وُجِدَ جسد بلا خطية، وسُلِّم للموت، أُدينت لأنها مارست عملاً لكنه ليس عن حق.

أرأيت مدى حجم مكافآت النصرة؟ إنها تُستعلن في عجز الخطية على هزيمة الجسد، بل هو الذي يهزمها ويدينها، ولا يدينها فقط، بل ويدينها كما لو كانت قد فعلت أمرًا خاطئًا ومخالفًا. لأنه بعدما هاجمها أولاً، كفاعلة للجُرم، هكذا أدانها، ليس بقوته وسلطانه، بل أدانها بالعدل لأن هذا هو ما أعلنه بقوله: " *ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد* ". كما لو أنه قال، بكّتها لأنها أخطأت كثيرًا، وبعد ذلك أدانها. أرأيت كيف أنه في كل موضع يدين الخطية وليس الجسد، بل أن هذا الجسد يُتوج، وقرار الإدانة ضد الخطية يُعلن؟ ولكن عندما يقول إنه أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، فلا تعتقد أنه يحمل جسدًا آخر، ذلك لأنه قال جسد الخطية، لهذا ذكر كلمة "شبه". لأن المسيح لم يكن يحمل جسدًا خاطئًا، لكن شبه جسد الخطية، شبيه بجسدنا، ولكن بلا خطية، وله نفس طبيعة جسدنا. ومن هنا يبدو واضحًا أن طبيعة الجسد ليست شريرة. لأن المسيح لم يأخذ جسدًا آخرًا بلا خطية، ولا غيَّر جوهر الجسد، وذلك لكي يُهيّئه للحرب ضد الخطية. بل على النقيض أبقاه في طبيعته وجعله يربح إكليل النصرة ضد الخطية، وبعد ذلك أقامه منتصرًا وجعله خالدًا.

٧ ـ لكن ما هى علاقة هذا بنا، إن كانت هذه الأمور قد حدثت في ذلك الجسد (أي جسد المسيح)؟ بالطبع له علاقة خاصة بي وبك، ولهذا أضاف:

" لكى يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح " (رو٨:٤).

ما معنى "حكم"؟ يعنى النهاية، الهدف، الإنجاز . إذًا ماذا أراد الناموس، وبماذا أمر؟ لقد أراد أن تكون أنت بلا خطية. هذا قد تحقق الآن فينا بالمسيح. والمؤكد أن المقاومة والنصرة ترجع إلى المسيح، بينما التمتع بالنصرة هو لنا نحن. لكن هل معنى هذا أننا لن نخطيء من الآن فصاعدًا؟ نعم لن نُخطئ، إن كنا غير خاملين، وإن لم نكن جبناء. ولهذا أضاف: "*السالكين ليس حسب الجسد* ". لكى لا تهمل الاستعداد الكامل عندما تسمع أن المسيح خلّصك من الحرب ضد الخطية، وأن حكم الناموس قد اكتمل فيك، مادامت الخطية قد أُدينت في الجسد، ولهذا بعدما قال قبلاً "*لا شيء من الدينونة الآن* " أضاف " *السالكين ليس حسب الجسد* "، وهنا يقول " *لكي يتم حكم الناموس فينا* " نفس الشيء أضافه هنا. أو من الأفضل أن نقول، ليس هذا فقط، بل وأكثر بكثير.

لأنه بعدما قال "لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد" أضاف "بل حسب الروح"، لكى يُبيّن أنه ليس فقط ينبغي علينا أن نبتعد عن الشرور، بل وأن نفتخر بأعمالنا الصالحة. لأنه أن يُعطَي لك الاكليل، فهذا أمر يعود للمسيح، ولكن أن تحتفظ به، طالما أنه قد أُعطَي لك، فهذا أمر يرجع إليك . لأن حكم الناموس، بألاّ تصير غير مسئول عن اللعنة، هذا قد أنجزه المسيح لأجلك. إذًا ينبغي عليك ألا تخون هذه العطية العظيمة، بل أن تحفظ هذا الكنز الثمين على الدوام . **لأنه يُبرهن لك هنا أن خلاصنا بالمعمودية يتطلب حرصنا على أن نُظهر أسلوب حياة بعد المعمودية يليق بهذه العطية العظيمة. وبناء عليه فهو يدافع عن الناموس مرة أخرى مُتحدثًا عن هذه الأمور.** لأنه بالحقيقة، طالما أننا قد آمنا بالمسيح، فيجب أن نفعل كل ما في وسعنا وأن نحرص على عمل الصلاح، لكي يبقى فينا ما أتمه المسيح ـ الذي أكمل مطلب الناموس ـ ولا يُنقض.

" فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون ولكن الذين حسب الروح فبما للروح " (رو٨:٥).

وهذا أيضًا لا يُعَد تشهيرًا بالجسد أو تشويهًا له. لأنه حتى ذلك الحين الذي فيه يحتفظ الجسد بمكانته، لا يحدث أي شيء يُثير الغرابة، لكن حين نسمح له أن يفعل كل شيء، مُتجاوزًا حدوده، يثور ضد النفس. وحينئذٍ يحطم كل شيء، ليس بسبب طبيعته، لكن بسبب الفسق والخطية التي تأتي منه.

" لأن إهتمام الجسد هو موت ولكن إهتمام الروح هو حياة وسلام " (رو٨:٦).

لم يقل لأن طبيعة الجسد، أو جوهر الجسد، لكن قال "اهتمام (تدبير) الجسد"، أي الأمر الذي من الممكن أن يُصحّح أو ينهار. والرسول بولس هنا يتعرض للحديث عن شهوة الذهن الأكثر حماقة، داعيًا إياها بالشيء الأكثر سوءًا (يقصد اهتمام الجسد)، كما اعتاد مرات كثيرة أن يدعو كل الإنسان جسدًا، على الرغم من أن فيه نفسًا.

" أيضًا إهتمام الروح " يقصد الرسول بولس هنا الفكر الروحى، تمامًا كما قال فيما بعد "لكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح"[٢٦٧]. ويوضح أن الخيرات التي تأتي من هذا الفكر الروحي هى كثيرة في الحاضر وفي المستقبل. لأنه مقابل الشرور التي يحملها اهتمام الجسد، فإن اهتمام الروح يمنح خيرات كثيرة. هذا ما أعلنه بالضبط بقوله: " *هو حياة وسلام* ". الثاني مضاد للأول "*لأن اهتمام الجسد هو موت* ". بينما الآخر هو مُضاد لما سيأتي بعد ذلك. لأنه بعدما قال "سلام"، أضاف:

" لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله " (رو٨:٧).

وهذا ما يعد أسوأ من الموت. ويوضح الرسول بولس هنا أن اهتمام الجسد هو موت وعداوة. **" إذ ليس هو خاضعًا لناموس الله لأنه أيضًا لا يستطيع ".**

---

[٢٦٧] رو٨:٢٧.

لكن لا تقلق عندما تسمع "لأنه أيضًا لا يستطيع". لأنه بالحقيقة من السهل إزالة هذه الحيرة. فبالنسبة لاهتمام الجسد الذي يقصده هنا، أى الفكر الأرضي الأحمق المتطلع لشهوات الحياة الأرضية والأعمال الشريرة، يقول الرسول بولس إنه من المستحيل *"أن يخضع لناموس الله"*.

هل هناك رجاء للخلاص بعد ذلك، إن كان من المستحيل أن يصير شخص صالحًا عندما يكون هو ذاته شريرًا؟ إنه لا يقصد هذا. فكيف صار بولس أفضل حالاً؟ كيف تغيَّر للأفضل؟ ومَنَسّى[٢٦٨] أيضًا؟ وكيف تغيَّر أهل نينوى؟ وهكذا داود بعدما أخطأ، كيف وُلِدَ من جديد؟ وكيف صحح بطرس خطأه بعدما أنكر المسيح؟ وكيف صار ذاك الذي زنى[٢٦٩]، ضمن رعية المسيح؟ كيف رجع أهل غلاطية إلى أصلهم الكريم السابق بعد أن سقطوا من النعمة؟

إذن الرسول بولس لا يقصد أنه من المستحيل أن يصير الشرير صالحًا، ولكن ما يقصده هو أن الإنسان لا يمكنه الخضوع لله، وهو لايزال شريرًا. أما عندما يتغير، فمن السهل أن يصير صالحًا، وأن يخضع لناموس الله. لأنه لم يقل إن الإنسان لا يستطيع أن يخضع لله، لكن العمل الشرير لا يمكن أن يكون صالحًا. كإنما يقول إن الزنا ليس هو العفة، ولا الشر فضيلة. هذا ما يقوله الإنجيل إن " *شجرة رديئة لا تستطيع أن تصنع أثمارًا جيدة* "[٢٧٠]، لا لكى يستبعد عملية التغير من الشر إلى الفضيلة، لكن لكي يوضح أن البقاء في الخطية، لا يمكن أن يُنتج أثمارًا صالحة. **لأنه لم يقل إن شجرة رديئة لا يمكن أن تصير جيدة، ولكنه قال لا تستطيع أن تصنع أثمارًا جيدة، إن ظلت رديئة. أي أنه من المؤكد أن هناك إمكانية لكى تتغير.** فمن خلال هذا المثل، ومن خلال مثل آخر قد شرح هذا الأمر، حين أوضح

[٢٦٨] ٢مل٢١:١ـ١٨، ٢أخ٣٣:١ـ٢٠.

[٢٦٩] انظر ٢كو٢:٥ـ٨.

[٢٧٠] مت٧:١٨.

الرب أنه يمكن للزوان أن يكون كالحنطة. ولهذا منع من أن يُزال أو يُقلع، لأنه ربما "*تقلعوا الحنطة مع الزوان*"[٢٧١]، أى الحنطة التي ستنمو مع الزوان .

إذن فاهتمام الجسد هو الخطية، واهتمام الروح هو النعمة التي أُعطيت، والعمل الذي يتميز بالإرادة الصالحة، دون أن يتحدث هنا عن جوهر الجسد، بل عن الفضيلة والخطية. لأن مالم تستطع أن تحققه بالناموس، هذا ستحققه الآن، أى أصبح في إستطاعتك أن تسلك في الطريق الصحيح وبدون أخطاء، وذلك إن قَبلت معونة الروح. لأنه لا يكفي أن نحيا بدون مطالب الجسد، لكن يجب أن نسلك وفقًا لرغبات الروح. وبالمثل فإن تجنّب الشر ليس كافيًا لأجل خلاصنا، ولكن ينبغي أن نصنع الصلاح . بيد أن ذلك سيتحقق إذا ما سلّمنا أنفسنا للروح، وأقنعنا الجسد أن يعرف مكانته. وعندئذٍ سنجعل الجسد أيضًا جسدًا روحيًا . وهكذا أيضًا فإننا لو كنّا خاملين سنجعل النفس جسدية. إذًا لأنه لم يربط العطية باحتياج النفس، بل أرجعها إلى حرية الاختيار، فإنه في وسعك أن تحقق هذا أو ذاك، لأن كل الأشياء قد اكتملت بالعطية. ولن تستطيع الخطية أن تُقاوم ناموس ذهننا، أو أن تآسر كما كان يحدث في الماضى. بل إن كل هذه الأمور قد توقفت وانتهت. فقد إنكمشت الشهوات، لأنها تخاف وترتعب من نعمة الروح القدس. لكن عندما تُطفئ النور، وتَطرُد المرشد، وتُبعد القائد أى الروح، فلابد أن تنتظر العواصف التي ستجتاح نفسك فيما بعد.

٨ ـ المؤكد أن الفضيلة الآن هي أكثر سهولة، والإنضباط أكثر قوة، وأعرف جيدًا كيف كانت أحوال البشر عندما كان الناموس يسود، وكيف هى أحوالهم الآن، حيث أشرقت النعمة . لأن تلك الأمور التي كانت تبدو في السابق مستحيلة على أى شخص، كالعفة واحتقار الموت، واحتقار كل الشهوات الأخرى الكثيرة، هذه كلها قد تحققت الآن في جميع أركان المسكونة، وليس لنا نحن فقط، بل وللسكيثيين وأهل ثراكى، وللهنود، وللفرس، وللأكثرية من البربر. وتوجد أماكن للعذارى، وأعداد كبيرة من

[٢٧١] مت١٣: ٢٩.

الشهداء، وجموع من الرهبان، وعدد الرهبان يفوق عدد المتزوجين، وإزداد الصوم والتجرد الكامل. كل هذا لم يستطع أولئك الذين عاشوا تحت الناموس أن يتخيلوه ولا في أحلامهم ، باستثناء واحد أو اثنين. وعندما ترى حقيقة هذه الأمور التي تصرخ بأكثر قوة، كما من صوت النفير، عليك ألاّ تُظهر ضعفاً، ولا تتنكر لنعمة عظيمة بهذا القدر . لأنه ليس ممكنًا حتى بعد الإيمان، أن تَخلُص إن كنت لا تبالي بعطية النعمة . لأن المنافسات سهلة، ولكي تنتصر، فإنه يجب عليك أن تجاهد لا أن تنام، ولا أن تستخدم عظمة النعمة كدافع للخمول، وتحيا مرة أخرى في الوحل السابق. ولهذا أضاف قائلاً:

" فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله " (رو٨:٨).

ماذا إذاً؟ هل نُهلِك الجسد لكي نصير مرضيين لدى الله، أو هل نخرج من الجسد؟ وهل تنصحنا أن نكون قتلة، وهل هكذا تقودنا إلى الفضيلة؟ أرأيت كم من الأفكار غير العاقلة تولد، إذا كنا نقبل ما يُقال بدون تفكير؟ لأنه لا يتكلم هنا عن الجسد أنه الجسم ولا جوهر الجسم، ولكنه يتكلم عن الحياة الجسدية العالمية، المملوءة بالمتع والإسراف، والتي تجعل الإنسان كله جسدانيًا. تمامًا مثل أولئك الذين يرتفعون بالروح، فيجعلون الجسد جسدًا روحيًا، هكذا فإن أولئك الذين يهجرون الروح، ويكونون عبيدًا للبطن وللشهوات، يجعلون من نفوسهم، نفوسًا جسدانية دون أن يغيروا من جوهر النفس . وهذا المعنى نجده في مواضع كثيرة في العهد القديم أيضًا، حيث يُسجِل أن الجسد هو الحياة الأرضية التي بلا معنى، والمنغمسة في شهوات غير مقبولة. لأن الله يقول لنوح: " *لا يدين روحي في هؤلاء البشر إلى الأبد لأن هؤلاء هم جسد* "[٢٧٢]. وإن كان نوح نفسه يحمل جسدًا. إلاّ أن هذا لم يكن إدانة، إذ هو أمر طبيعي، بل لأنهم قبلوا الحياة الجسدية.

ولهذا بعد أن قال الرسول بولس: " *فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله* " أضاف:

---

[٢٧٢] تك٦:٣ (ترجمة سبعينية).

" وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح " (رو٨:٩).

وهو هنا لا يقصد الجسد في حد ذاته، بل يقصد الجسد الذي انجذب وقُهِر بالشهوات. وقد يقول أحد، لأي سبب لم يتكلم هكذا بوضوح، ولم يُشر حتى إلى الاختلاف؟ فعل هذا لكي يسمو بالمستمع، ولكي يُظهر بأن من يريد أن يحيا حياة مستقيمة، لا يسلك بحسب الجسد. لأنه من حيث إن الإنسان الروحي لا يحيا في الخطية، فهذا واضح لكل أحد. لكن الرسول بولس يُشير إلى الأمر الأعظم، أن الإنسان الروحى لا يحيا في الخطية، بل ولا في الجسد أيضًا، طالما أنه هو نفسه قد صار بالأحرى ملاكًا من الآن، وارتفع إلى السماء، والجسد لم يتعدَ كونه شيئًا يلبسه. وإن كنت تتهم الجسد لأن الحياة الجسدية تحمل اسم الجسد، فإنك بذلك ستتهم العالم، لأن الشر في مرات كثيرة، يُسمّى بالعالم، تمامًا كما قال المسيح لتلاميذه: " *لأنكم لستم من العالم*"[٢٧٣]، وأيضًا قال لإخوته: " *لا يقدر العالم أن يُبغضكم ولكنه يبغضني*"[٢٧٤]. وأيضًا ستقولون عن النفس أنها غريبة عن الله، لأنه دعا الذين يحيون في الخداع، نفسانيين.

لكن هذه الأمور ليست هكذا، لأنه يجب أن نبحث في كل موضع ليس عن الكلمات، بل في رؤية المتحدث، وأن نعرف المعنى الصحيح لكلامه. لأن الكلام عن الصلاح شيء، والكلام عن الشر شيء آخر، والمنطقة الوسط بينهما شيء ثالث. مثل النفس والجسد، فهما في الوضع المتوسط، ويمكن أن يصيرا إما هذا أو ذاك (أي صلاح أو شر). بينما الروح يتعلق دائمًا بالصلاح، ولا يمكن أن يصير شيئًا آخر. أيضًا اهتمام الجسد، أي العمل الشرير، يتعلق بالشرور على الدوام، لأنه لا يخضع لناموس الله . إذًا لو سلّمت النفس والجسد إلى الصلاح، فإنك ستنتمي إلى هذا الصلاح، لكن لو سلمتهما إلى الشر، فستصبح شريكًا في هذا الهلاك، ليس بسبب طبيعة

[٢٧٣] يو ١٥:١٩.

[٢٧٤] يو ٧:٧.

النفس والجسد، بل بسبب استعدادك، لأن في مقدورك أن تختار أيًا من الأمرين.

٩ ـ ومن حيث إن هذه الأمور تحمل هذا المعنى، وإن ما قيل ليس إدانة للجسد، فإنه يستخدم أيضًا هذه الكلمة (أي الجسد) . فلنفحص الأمر بدقة أكثر: " *وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح* " ماذا إذًا؟ ألم يكن لهم جسد؟ أم أنهم سلكوا بلا جسد؟ وكيف يمكن أن يكون هذا الأمر؟ أرأيت أنه يُشير إلى الحياة الجسدية؟ ولأي سبب لم يقل، أما أنتم فلستم خطاة؟ فعل هذا، لكي نعلم أن المسيح لا يُلاشي فقط سلطان الخطية، بل أنه جعل الجسد أكثر خفة وأكثر روحانية، بل وسمًا به أكثر. تمامًا كما يحدث وتلتقي النار بالحديد، ويصير الحديد نارًا، ومع هذا يبقى محتفظًا بطبيعته، هكذا جسد المؤمنين والذي يحمل الروح أيضًا، يُشارك في هذه الطاقة الروحية، ويصبح كله روحيًا، مُحلّقًا مع النفس إلى أعلا ، هكذا كان جسد ذاك الذي قال هذه الأمور (أي الرسول بولس). ولذلك فقد احتقر كل متعة وشهوة، وتحمل الجوع والجلد والسجن، ولم يتألم ولم يشكو من كل هذا. ولكي يُعلن ذلك قال: " *لأن خفة ضيقتنا* "[٢٧٥]. لقد درَّب الجسد جيدًا أن يكون في خدمة الروح.

" ***إن كان روح الله ساكنًا فيكم*** "، لفظة "إن كان"، أشار إليها في مواضع كثيرة، لا لأنه يشك، بل لأنه يؤمن بالأكثر، وبدلاً من " إن كان "، يستخدم تعبيرات أخرى مثل " إذ هو"، مثلما يقول: " *إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقًا* "[٢٧٦]. وأيضًا " *أهذا المقدار احتملتم عبثًا إن كان عبثًا* "[٢٧٧]. " ***لكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له*** ". لم يقل إن لم يكن لكم، لكنه ذكر الأمر المحزن أو المؤلم لأولئك (السالكين حسب الجسد). " فذلك ليس له " ثم يقول " وإن كان المسيح فيكم ". مرة أخرى يُشير إلى الصلاح الذي في هؤلاء (السالكين حسب

[٢٧٥] ٢كو٤:١٧.
[٢٧٦] ٢تس١:٦.
[٢٧٧] غل٣:٤.

الروح). وهو يُشير إلى الشيء المحزن في عجالة وفي جملة عَرَضية، بينما الأمر المرغوب فيه يُشير إليه من جانبين (أى من جهة الجسد ومن جهة النفس) وبأساليب كثيرة، حتى يُخفي الأمر المحزن، وهو يقول هذا، لا لكى يطلق على الروح اسم المسيح، حاشا، بل لكي يُظهر أن مَن له الروح، ليس فقط ينتسب للمسيح، بل يكون له المسيح نفسه. لأنه ليس ممكنًا عندما يكون الروح حاضرًا، ألا يكون المسيح حاضرًا. **لأنه حيث يوجد أقنوم واحد في الثالوث، هناك يكون الثالوث كله حاضرًا، طالما أنه غير منقسم، وواحد في الجوهر** . وماذا سيحدث لو كان المسيح فيكم؟

" وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية وأما الروح فحياة بسبب البر " (رو٨:١٠).

أرأيت كم من الشرور تأتي لو أن شخصًا ليس له الروح القدس؟ موت، وعداوة لله، لمن لا تعجبه نواميس الله، ولذاك الذي لا ينتسب كما ينبغي للمسيح، ومن لا يكون المسيح فيه. لاحظ إذًا كم الخيرات التي تأتي من كون الروح فيه، وأنه ينتسب للمسيح، ويكون المسيح فيه، ويُنافس الملائكة . لأن هذا ما يعنيه بقوله "فالجسد ميت". إذ نحيا حياة خالدة، ويكون لك من الآن ضمانًا للقيامة، وتركض بسهولة في طريق التقوى، لأنه لم يقل إن الجسد لن يفعل الخطية بعد ذلك، بل قال " *فالجسد ميت*"، فيزيد من سهولة الطريق، إذ يُتوج الجسد من الآن فصاعدًا بدون صعوبات وأتعاب . ولهذا فقد أضاف فمن جهة "الخطية"، لكي تعلم أن ما قضى عليه المسيح إلى الأبد هو الشر، وليس طبيعة الجسد؛ ولذلك إن كان هذا قد حدث، فستختفي أشياء كثيرة من تلك الأمور، وهذا ما يعود بالفائدة على النفس. لا يقصد هذا، لكن ما يقصده هو أنه مع بقاء الجسد، فإنه يكون ميتًا (من جهة الخطية). لأن هذا يمثّل دليلاً على أن لنا الابن وأن الروح القدس داخلنا، وأن أجسادنا بالنسبة للخطية لا تختلف عن أجساد الأموات . لكن لا تخف، عندما تسمع كلمة الموت، لأنك تحمل الحياة الحقيقية، ولن يسودك أى موت، مثل هذه الحياة هى حياة الروح التي لن تتراجع أمام الموت، بل تهدمه

وتلاشيه، وذلك الذي أخذ الروح يحفظه الروح خالدًا. ولهذا تحديدًا فهو، عندما قال، الجسد ميت، لم يقل إن الروح حيّ، بل قال: "*أما الروح فحياة* "، لكي يُبرهن كيف أنه يستطيع أن يهب الحياة للآخرين. ومرة أخرى يجذب انتباه المستمع، فيتحدث عن سبب الحياة، وهو البر. لأنه حيث لا توجد خطية، فإن الموت لن يظهر، وحين لا يظهر الموت، فإن الحياة تكون أبدية.

" وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكنًا فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضًا بروحه الساكن فيكم" (رو٨:١١).

مرة أخرى يعود إلى الكلام عن القيامة، لأن هذا الرجاء أعطى شجاعة كبيرة جدًا للمستمع، ويؤكد على القيامة من خلال تلك الأمور التي حدثت للمسيح. إذًا لا تخف كما يؤكد الرسول بولس، لأنك تحمل جسدًا ميتًا (من جهة الخطية) خذ الروح داخلك، والروح سيقيمك على أي حال.

ماذا إذًا؟ هل الأجساد التي ليس لها الروح القدس لا تقوم؟ وكيف سيَمثُل الجميع أمام عرش المسيح؟ وكيف يكون الكلام عن جهنم موضع تصديق؟ لأنه إن لم يقم أولئك الذين ليس لهم الروح، فإن جهنم أيضًا لن توجد. ماذا يعنى هذا الكلام إذًا؟ يعني أن الجميع سيقومون، لكن ليس الجميع للحياة، بل أن البعض للجحيم، والبعض للحياة. ولهذا لم يقل سيقيم، لكن "سيُحيي"، الأمر الذي هو أكثر من مجرد القيامة، والذي أُعطيَ فقط للأبرار. وبعدما أشار إلى سبب هذه الكرامة العظيمة، أضاف قائلاً: "*بروحه الساكن فيكم*". وبناءًا على ذلك، فإذا كنت ترفض نعمة الروح القدس وأنت في هذه الحياة الحاضرة، فستموت دون أن تحصل على البراءة، وستخسر كل شيء، حتى وإن قمت. لأنه كما أنه لا يُحتَمل أن يُسلّمك للجحيم، عندما يرى أن روحه مشرق فيك، هكذا عندما يراه مُنطفئًا، فلن يقبل أن يقودك إلى عرسه، تمامًا مثلما حدث مع العذارى الجاهلات.

١٠ ـ لا تترك جسدك الآن يحيا في الخطية، لكي يحيا يوم الدينونة، اجعله يموت عن الشهوات، لكي لا يموت فيما بعد. لأنه من المستحيل أن يبقى حيًا على الدوام، هذا سيحدث في القيامة العامة، لأنه ينبغي أن يموت

الجسد أولاً ويُدفن، وبعد ذلك سيصير خالدًا. وهذا قد حدث في المعمودية . إذًا فقد صُلب الجسد أولاً، ودُفن، وبعد ذلك قام. وهذا قد حدث أولاً في جسد الرب. لأنه بالحق قد صُلب، ودُفن، وبعد ذلك قام، فلنصنع هذا نحن أيضًا. لنميت الجسد دومًا في أعماله. لا أقصد جوهر الجسد، فمثل هذا التفكير بعيد تمامًا، لكن ينبغي أن نُميت الشهوات المرتبطة بالأعمال الشريرة. لأنه بالحقيقة هذه هى الحياة، أو من الأفضل القول إن هذه فقط هي الحياة؛ في أن ألا يعاني أحد من أي شيء بشري، ولا أن يكون عبدًا للشهوات. لأن كل مَن يخضع لهذه الشهوات لا يمكنه أن يحيا، بسبب الضيقات التي تأتي منها، ومن المخاوف، ومن الأخطار، ومن الآلام الكثيرة التي لا تُحصى. لأنه لو أدرك أن الموت قادم، فإنه يكون قد مات خوفًا قبل أن يأتي الموت. وأيضًا إن توجَّس خوفًا من مرض، أو هوان، أو فقر، أو أي شيء آخر من الأشياء غير المتوقعة، فحينئذٍ يكون قد هَلَكَ من جراء ذلك . إذًا هل يمكن أن تكون هناك تعاسة أكثر من هذه الحياة؟

الأمر يختلف بالنسبة لمن يحيا بالروح، فهو يعلو على المخاوف، والأحزان والأخطار، وكل التقلبات، ليس من حيث إنه لا يتكلم بشيء، لكن من حيث إنه يحتقر هذه الأشياء عندما تحل، الأمر الذي يُعَد أكثر أهمية بكثير. لكن كيف سيحدث هذا؟ يحدث عندما يسكن الروح بالكامل داخلنا، لأنه لم يقل فقط إن الروح يسكن فينا لفترة قصيرة، بل يسكن على الدوام. **ولهذا لم يقل الروح الذي سكن، لكن "الساكن"، مُظهرًا إقامته الدائمة.** وبناءً على ذلك فمَن يحيا، يكون أساسًا هو الذي مات عن الحياة في الخطية. لهذا قال " *وأما الروح فحياة بسبب البر*" . ولكى يصير الكلام أكثر وضوحًا، دعونا نستعرض اثنين من البشر: واحد منهما إستسلم للفسق واللذات، والحياة الزائفة، والآخر عاش ميتًا من جهة هذه الأمور، ولنرى مَن هو الذي يحيا بالأكثر. ليُفترض أن واحد من الاثنين غني جدًا ومشهور، ويتغذى على التطفل والنفاق، ويلهو ويسكر، ويستنزف كل يومه لتحقيق هذا الهدف، بينما الآخر يحيا في فقر وصوم، ويحيا يومه

في تجرد وعفة، وفي المساء يأكل الطعام الضروري فقط. ولو أنك تريد الحقيقة، فهو في الغالب يبقى صائمًا لمدة يومين وثلاثة أيام، إذًا مَن فيهما الذي يحيا بالحق؟

اعرف جيدًا أن الكثيرين سينظرون بتقدير إلى ذاك الذي يحيا باستمتاع ويُبذر ثروته بسفه، أما نحن فنُقدّر الذي يتمتع لكن باعتدال واتزان. إذًا لأنه يوجد اختلاف حول ذلك، لندخل بيوت الاثنين، وبالرغم من أنك تعتقد أن الغني يحيا في نفس الوقت نفس المتع، بيد أنك سترى جيدًا حالة كل منهما بعدما تدخل، لأن الأعمال هى التي تظهر وتوضح مَن الذي يحيا؟ ومَن الذي مات؟

فالواحد ستجده يدرس الكتاب المقدس حسنًا ويصلي ويصوم بإعتدال، وفي الأمور الأخرى الهامة نجده يقظًا وهادئًا، وله علاقة بالله، بينما الآخر ستجده ثملاً وليس بأي حال أفضل من الميت، ولو أننا إنتظرنا حتى المساء، سترى أن الموت يأتي بالحري إلى هذا الشخص. في إطار هذه الحالة أيضًا ـ أي حالة السكر ـ يُداهمه النوم بإستمرار، بينما الآخر ستجده وقت المساء متيقظًا وفي حالة سلام. مَن منهما إذًا تقول عنه إنه يحيا حقًا، هل الذي يرقد بلا وعي والذي يثير سخرية الكل؟ أم ذاك الذي يعمل ويتحدث مع الله؟ فإنك إن إقتربت من ذاك الثمل وقلت له شيئًا خطيرًا، فلن تسمعه يقول شيئًا، تمامًا كما لو كان ميتًا. لكن لو رغبت أن تقترب من الآخر سواء في الليل أو النهار فسترى إنه ملاك أكثر منه إنسان، وستسمعه يتكلم بالحكمة عن الأمور السمائية.

أرأيت أن الواحد يحيا أكثر من كل الأحياء، بينما الآخر هو أكثر تعاسة من الأموات؟ ولو أنه قرر أن يضع شيئًا في مكان ما، فإنه يضعه في غير موضعه ويشابه المختلين، أو من الأفضل القول إنه أكثر بؤسًا منهم. لأنه بالنسبة لهؤلاء لو وجدنا شخصًا منهم يُهان سنُشفق عليه ونوبخ من يهينه. أما بالنسبة لذاك الثمل، فحتى لو رأينا شخصًا يندفع نحوه ويلقيه أرضًا، فإننا ليس فقط لن نتأثر ولن نشفق عليه، بل ونكون ضده . إذًا هل هذه حياة، بالطبع ليست هذه حياة، إنها رديئة أكثر من آلاف الميتات؟

أرأيت أن الذي يلهو، ليس فقط يعتبر ميتًا، بل هو أسوأ من ميت، وأكثر تعاسة من الذي به شيطان؟ لأن الواحد (الميت عن الخطية) يُحَب، بينما الآخر (الثمل) يُبغَض. والأول يتمتع بالغفران، بينما الآخر يُعاقَب من أجل شهواته هذه، وهو مثار لسخرية كبيرة من الخارج ، يسيل منه لُعاب قذر وتفوح منه رائحة خمر. تأمل في تلك النفس البائسة المدفونة في هذا الجسد كما لو كانت في قبر، في حالة وحدة. نفس الشيء يمكن أن تراه، لو أن شخصًا أعطي الإمكانية لخادمة همجية ووقحة أن تندفع وتُهين سيدة وقورة، مُهذبة، حرة، نبيلة وحسنة، فهذا هو السكر.

إذًا مَنْ مِن هؤلاء الذين لديهم فكرًا أو رؤية لا يُفضّل الموت آلاف المرات على أن يحيا على هذا النحو يومًا واحد؟ لأن الثمل حتى لو أنه بدا هادئًا، بعدما يفيق من ذلك الوضع المهين، لن يكون لديه عقل نقي، طالما أن الضباب الذي يأتي من شهوة السُكر يمتد ويخيم على عينيه. أما إذا حدث وكان ساكنًا تمامًا. فما هو النفع؟ فهذا السكون لا يمثل نفعًا في أي شيء لهذا الشخص، إلاّ فقط من حيث إنه يرى الذين يدينوه . كما أنه حين تسوء حالته، يفقد وعيه، ولا يعرف هؤلاء الذين يسخرون منه. لكن عندما يطلع النهار فهو يفقد حتى هذه الحالة، أى عدم المعرفة، إذ يعي بعدها أن خدامه يتململون من خدمته، وزوجته تخجل منه، وأصدقاؤه يوشون به، وأعداؤه يستهزئون به. هل توجد تعاسة أكثر من تعاسة هذه الحياة، حيث يهزأ الجميع به ليلاً، وفي المساء التالي يكرر نفس الأمور المشينة؟

١١ ـ لكن ماذا؟ أتريد أن تتكلم عن الجشعين؟ فالجشع يعتبر حقيقةً، سُكرًا آخر يثير فزعًا أكثر، وطالما أنه سُكر، فهو على أية حال موت أسوأ بكثير من الموت الفعلي، لأن الجشع أمر مفزع جدًا. فالسُكر بالخمر لا يعد أمرًا سيئًا، إذا ما قورن بشهوة اقتناء المال . لأن الخسارة في هذا المجال تصل إلى حد الألم، وتنتهي إلى فقدان الحس وتدمير الثمل لنفسه، أما بالنسبة للجَشِع فإن الضرر ينتقل إلى آلاف النفوس، لأنه يُشعل حروبًا مختلفة في كل مكان . لنُقارن الجَشِع، بالثمِل، ولنرَ في أى النقاط يتفقان، وفي أي النقاط

أيضًا يتجاوز أحدهما الآخر، ولنُقارن الآن بين السكارى. لأنه لا ينبغي أن نقارن هؤلاء، بالمطوب الذي يسلك بالروح. بل لنفحص هؤلاء فيما بينهم. دعونا نُحضر في المنتصف تلك المائدة المليئة بكثير من جرائم القتل. إذًا في أي النقاط يتفقان ويتشابهان فيما بينهما (أي الثمل والجشع)؟ يتفقان ويتشابهان في نفس طبيعة المرض.

من المؤكد أن هناك اختلاف في أنواع السُكر، فواحد يأتي من النبيذ، والآخر يأتي من المال. أما الشهوة فهى واحدة، لأن الاثنين مأسوران بشيء واحد أي بشهوة رديئة. لأن الذي يسكر فإنه بقدر ما يشرب من كؤوس، بقدر ما يشتهي أكثر. وذاك الذي يشتهي المال جدًا، يرغب في اقتناء المزيد، ويشتعل فيه لهيب الشهوة أكثر، ويصبح العطش للمال مرعبًا جدًا . إذًا فهما متشابهان في ذلك. لكن مُحِب الفضة، يفوق الثمِل. وهذا ما سنوضحه. إن الذي يسكر يعاني من جراء أمر طبيعي، لأن النبيذ الدافئ، يُزيد من درجة الجفاف الطبيعى، وهكذا يجعل السكارى يعطشون، بينما الآخر الذي يشتهي المال بصفة دائمة، فإنه يطلب المزيد. وكيف، يُصبح فقيرًا، عندما يصير غنيًا؟ إن هذا الهوس هو أمر محيّر تمامًا، ويبدو بالأكثر أنه يشبه اللغز.

لكن لنرَ هؤلاء، بعد السُكر، إن أردت أن تعرف عنهم شيئًا. أو من الأفضل لنرَ الجَشِع، فمن غير الممكن أبدًا أن نراه بعد السُكر[٢٧٨]، إذ أنه يوجد في حالة سُكر دائم وشديد.

وبناءً على ذلك لنرَ، عندما يوجد الاثنان (السكران والجَشِع) في نفس حالة السُكر، ولنفحص مَن منهما الأكثر عُرضة للسخرية، ولنرسم ملامحهما، واصفين أيضًا كلاهما بدقة. سنرى أن ذاك الذي يُسرف في شرب النبيذ، عندما يأتي المساء، لا يمكنه أن يرى أحدًا، رغم أن عينيه تكونان مفتوحتين، بل ويتجول بلا هدف وبدون سبب، ويصطدم بالذين يُقابلهم، ويتقيأ، ويُضرَب ويتعرى بدون لياقة، سواء كانت زوجته حاضرة، أو كانت ابنته، أو خادمته، أو أى أحد آخر.

[٢٧٨] يقصد سُكر محبة المال

أتضحكون بشدة؟ لنتحدث الآن عن الشَرِه أو الجَشِع، لأن الأمور هنا لا تستحق الضحك فقط، لكن تستحق اللعنة، والغضب الشديد. بل لنرَ السخرية أولاً، لأنه بالحقيقة الجَشِع والثمل يجهلان الجميع: الأصدقاء والأعداء، وكل منهما يُعتَبر أعمى، على الرغم من أن عينيه مفتوحتان. وكما أن السكران ينظر إلى كل شيء على أنه نبيذ، هكذا الجَشِع أيضًا يرى كل الأشياء وكأنها أموالاً.

والقيء - في حالة الجَشِع - هو شيء مخيف جدًا. لأنه لا يُخرج أطعمة، بل كلام إهانة وشتائم، وحروب وموت، وهى أمور تجلب صواعق لا تُعد على رأسه. ومثلما يكون جسد الثمل متورمًا ومرتخيًا، هكذا تكون نفس ذاك الشَرِه، بل أن مثل هذه الأمراض تسود على جسده، طالما أن الانشغال، والغضب، والسهر، يستنزفه أكثر من النبيذ، وشيئًا فشيئًا يدمره بالكامل. ومن المؤكد أن من تُسيطر عليه شهوة السُكر، يمكنه بعد عبور الليل أن يكون هادئًا أو غير مضطرب، أما الجَشِع فيكون ثملاً نهارًا وليلاً، عندما يكون مستيقظًا، وعندما يكون نائمًا، ويُعاقَب بأشد من عقاب أي سجين وأي عامل في المناجم.

إذن هل هذه حياة، أو من الأفضل أن نقول، أليست هذه هى أكثر تعاسة من كل موت؟ لأن الموت يُريح الجسد ويُخلّصه من السخرية، والأمور الشائنة، والرذائل، بينما هذه الأطماع تلقيه في كل هذه الأمور المعيبة التي تصم الآذان وتعمي الأعين، وتحبس الذهن في ظلام شديد . لأنه لا يحتمل أن يسمع أو يقول شيئًا آخرًا، سوى تلك الأمور المتعلقة بالفوائد والأرباح القذرة، والتجارة البغيضة، إنها موضوعات دنيئة وخسيسة، مثل كلب ينبح نحو الجميع، كارهًا للجميع، ويمقت الكل، ويعاديهم، بلا سبب، ساخطًا على الفقراء، حاسدًا للأغنياء، دون أن يفرح بأحد. حتى وإن كانت لديه زوجة أو أولاد أو أصدقاء، فإن كان غير قادر على أن يربح أحدًا منهم، فسيكون هؤلاء أعداءًا له، أكثر من أعدائه الطبيعيين أو الحقيقيين. هل هناك أسوأ من هذا الهوس؟ وما هو أكثر تعاسة من هذا، حين يُعِد هذا الإنسان لنفسه

وعلى الدوام، عوائقًا، وصخورًا، وانحدارًا، وهوة سحيقة، ومشاكل لا تُحصى، بالرغم من أن له جسد واحد، وهو عبد لبطن واحدة؟

ولو أن شخصًا كلفك بمهام سياسية ألا تهرب لأنك تخشى التكلفة، في حين تُجهز لنفسك أعمالاً لا حصر لها، ليس فقط أكثر تكلفة، بل أيضًا أكثر خطورة، إذ أنها مرتبطة بالمال، مُقدمًا لهذا المستبد الشرير، ليس فقط أموالاً، ولا جهدًا جسديًا، ومتاعب نفسية وآلامًا، بل تُقدم دمك، يا لتعاستك وأنت تخضع لهذه العبودية المُرّة؟ ألا ترى هؤلاء الذين يُحمَلون كل يوم إلى القبور، كيف يُنقَلون عراه مجردين من كل شيء من أملاكهم، بل إن أجسادهم هذه يقدمونها للحشرات؟ ينبغي أن تفكر في هؤلاء كل يوم، ربما تتوقف عندك شهوة التملك، لأن الشهوة هى بالحقيقة صعبة، والمرض مُخيف. ولذلك نحن اعتدنا أن نكلمكم في هذا الموضوع في كل اجتماع، ودائمًا ما نملأ آذانكم بهذا الكلام، حتى يصبح له أهمية، على الأقل من خلال هذه العادة.

أيضًا لا تختلفوا معي، لأنه ليس فقط توجد عقوبات كثيرة في الدينونة الأخيرة، بل حتى قبل أن تأتي الدينونة، فتلك العقوبات هى نتاج هذه الشهوة متعددة الأشكال. لأنه وإن كنت بعد أُشير إلى السجناء بصفة دائمة، أو ذاك المُقيد بالمرض لسنوات عديدة، أو مَن يُصارع الجوع، أو أى أحد آخر، فلا أحد يستطيع أن يُدلل كيف يُعاني من نفس الأمور التي يُعاينها أولئك الذين يشتهون المال بشكل زائد عن الحد. إذًا هل هناك شيء أكثر بشاعة من أن يكون المرء مكروهًا من الجميع؟ وأن يُبغِض الجميع؟ وأن يرتاب في أي شخص؟ وأن لا يشبع مطلقًا؟ وأن يعطش على الدوام؟ وأن يُصَارع الجوع على الدوام. وأن يكون أكثر خوفًا من الجميع؟ وأن يُعَاني الحزن اليومي؟ وأن يكون سلبيًا على الاطلاق؟ وأن يعيش في قلق واضطراب دائم؟ لأن كل هذا، بل وأكثر يُعانيه الجَشِعون، طالما أنهم بالنسبة للمكسب لا يشعرون بأى فرح حتى لو كانوا يملكون كل شيء، لأنهم يشتهون ما هو أكثر ويعتقدون أنهم فقدوا الكثير، وأنهم فقدوا حياتهم ذاتها لو خسروا حتى فلسًا واحدًا فقط.

أي كلام إذًا يمكن أن يصف هذه الشرور؟ لو أن أمورك في هذا الدهر هي بمثل هذه الشرور. عليك أن تفكر فيما ستؤول إليه فيما بعد: فقدان الملكوت، القيود الدائمة، ظلام الجحيم، الحشرات السامة، صرير الأسنان، الحزن والألم، الضيقة، نهر النار، والأتون الذي لا يُطفأ أبدًا. وبعدما تجمع كل هذا وتقارنه بفرح اكتناز الأموال، ينبغي أن تقتلع هذا المرض من الجذور، حتى أنك عندما تكتسب الغنى الحقيقي، وتتخلص من هذا الفقر المخيف، ستنال الخيرات الوفيرة في الزمن الحاضر، وفي الدهر الآتى أيضًا بالنعمة ومحبة البشر اللواتى لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

+++++++

العظة الخامسة عشر:

" فإذًا أيها الاخوة نحن مديونون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد. لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون. ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون " (رو٨: ١٢ـ١٣).

بعدما أظهر كيف أن مجازاة الحياة الروحية هى عظيمة، وأن المسيح يعمل في هذه الحياة، وأنه يُحيي الأجساد الفانية، ويعطي أجنحة للتحليق نحو السماء، ويجعل طريق التقوى سهلاً، يرى من الضروري أن يُضيف بعد ذلك كله، ناصحًا: فإذًا نحن مديونون ألا نحيا بحسب شهوات الجسد. ومن المؤكد أنه لم يقل هذا بشكل ضعيف، لكنه تكلم بأكثر حماس وأكثر قوة، قائلاً: نحن مديونون أن نحيا بالروح. وكونه يقول " ***نحن مديونون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد***"، فهو يريد أن يؤكد ويشدّد على هذه الحقيقة. وفي كل موضع، يوضح أن تلك الأمور التي صنعها لنا الله، لا تمثل دينًا، لكنها تعتبر فقط دليل نعمة، بينما تلك الأمور التي نصنعها نحن بعد كل هذا، هى دليل دين. لأنه عندما يقول: " *قد اشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيدًا للناس*"[٢٧٩] فهذا هو ما يقصده. وعندما يكتب ".. *أنكم لستم لأنفسكم* "[٢٨٠]. فهو يعني بالضبط الأمر ذاته. وفي موضع آخر يُذكّر أيضًا بتلك الأمور عينها، قائلاً: " *إن كان واحد مات لأجل الجميع فالجميع إذًا ماتوا .. كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم* "[٢٨١]. هذا بالضبط ما يُدلل عليه هنا، إذ يقول: " نحن مديونون ".

ثم بعد ذلك، لأنه قال: " نحن مديونون *ليس للجسد* "، ولكى لا تعتقد أنه يُشير لطبيعة الجسد، لم يكتفِ بهذا، بل أضاف " *لنعيش حسب شهوات الجسد* ". لأنه بالحقيقة هناك أمور كثيرة نحن مديونون بها للجسد: أن نُطعمه، أن ندّفئه، أن نعتني به حين يمرض، أن نكسوه، وأن نُقدم له أمورًا أخرى كثيرة. ولكي لا تتصور أنه يُبطل هذه الخدمة، فبعدما قال: " نحن

[٢٧٩] ١كو٧: ٢٣.
[٢٨٠] ٢كو٥: ١٤ــ١٥.
[٢٨١] ١كو٦: ١٩.

مديونون ليس حسب الجسد " فسّر هذا قائلاً: " لنعيش حسب "شهوات الجسد". إذًا هو يُبطل هذا الاهتمام أي "شهوات الجسد"، الذي يقود للخطية، لأنه يريد أن نسلك وفقًا لكل ما هو خارج شهوات الجسد، الأمر الذي شرحه بعد ذلك. لأنه بعدما قال: "*لا تصنعوا تدبيرًا للجسد* " أضاف: "*لأجل الشهوات* "[٢٨٢]. هذا ما يُعلّم به هنا تحديدًا، قائلاً: لنعتني بالجسد، لأننا مديونون لهذا الجسد، لكن ينبغي علينا ألا نعيش وفقًا لشهوات الجسد، بمعنى ألا نجعل الجسد يسود على حياتنا، أو ينظم حياتنا، بل أن نُخضعه لناموس الروح.

إذن بعدما حدّد وبرهن على ما يقول، أي أننا مديونون أن نعيش بحسب الروح، أظهر بعد ذلك أفعال وإحسانات نحن مديونون لها، وهو لا يتكلم عن الأمور الماضية بل عن أمور الدهر الآتي، الأمر الذي لأجله تتجلى حكمة الرسول بولس بشكل خاص. وإن كان من المؤكد أن تلك الأمور الماضية تُعَد كافية، لكنه لا يُشير إليها الآن، ولا يتحدث عنها، بل يتحدث عن أمور الدهر الآتي. لأنه أي إحسان أُعطيَ مرة واحدة، لا يمكن عادةً أن يجذب عددًا كبيرًا من البشر، بقدر ما يجذبهم انتظار أمور الدهر الآتي . ولأنه يهدف إلى ذلك، فهو يُثير المخاوف من الأمور المحزنة والشرور التي تنتج عن الحياة حسب الجسد، قائلاً الآتى: " **لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون ..** "

مُشيرًا إلى الموت الذي لا ينتهي، أى الجحيم، والعقاب في جهنم. لكن لو أراد المرء أن يفحص بتدقيق هذا الأمر، سيجد أن مثل هذا الإنسان يموت في هذه الحياة أيضًا، الأمر الذي شرحته لكم بكل وضوح في حديث سابق .

" ***لكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون*** " أرأيت أنه لا يتحدث عن طبيعة الجسد، بل عن أعمال الجسد؟ لأنه لم يقل: إن كنتم بالروح تميتون طبيعة الجسد، بل "أعمال الجسد"، وليست كل أعمال الجسد، بل الأعمال الشريرة فقط. وهذا صار واضحًا من الكلام الذي أتى بعد ذلك. لأنه يقول إن فعلتم هذا، فستحيون.

---

[٢٨٢] رو١٣: ١٤.

وكيف يكون ممكنًا أن يحدث هذا، إذا كان يتكلم عن كل الأعمال؟ لأن الرؤية والسمع، والكلام، والمشي هي من طبيعة الجسد، فإن حدث وجعلنا هذه الأعمال تموت، فسنغادر الحياة، طالما أننا سنُعاقِب أنفسنا بالقتل. إذًا فما هى الأعمال التي يريد الرسول بولس أن نُميتها؟ هي الأعمال المرتبطة بالشر، تلك التي تسير نحو الخطية، والتي من غير الممكن أن نُميتها بطريقة مختلفة، إلاّ بواسطة الروح فقط. لأن الأعمال الأخرى من الممكن أن يُميتها المرء، بعدما يقتل نفسه، الأمر الذي هو غير مقبول، بينما هذه الأعمال نُميتها بالروح. لأنه في حضور الروح تهدأ كل الأمواج، والشهوات كذلك ستتراجع، ولن يثور أي شيء يمكن أن يواجهنا. أرأيت كيف أنه بحديثه عن أمور الدهر الآتي ـ الأمر الذي سبق وأشار إليه ـ يحثنا ويبرهن على أننا مدينون، وليس من قِبَل تلك الأمور التي حدثت سابقًا؟ لأن الإنجاز الذي حققه الروح لا يقتصر فقط على أنه خلّصنا من الخطايا السالفة، بل جعلنا لا نُهزَم في مسيرتنا نحو حياة الدهر الآتي، وجعلنا أيضًا مستحقين للحياة الأبدية.

٢ ـ وهو يشير إلى مكافأة أخرى إذ يقول:

" لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله " (رو٨:١٤).

هذه المكافأة هى أكبر بكثير من السابقة. ولهذا لم يقل لأن كل الذين يحيون فقط بروح الله، لكن " كل الذين ينقادون بروح الله " مُظهرًا كيف ينبغي أن يكون الروح القدس هو المهيمن على حياتنا، مثل قائد السفينة، أو مثل اللجام في يد قائد عربة يجرها جوادان. وليس الجسد فقط، هو الذي يخضع لهذا اللجام، بل والنفس أيضًا.

لأنه لا يريد لهذه النفس أن تسود أو تتسلط، بل تكون السيادة لقوة الروح القدس. قال هذا حتى لا يهملوا أو يتهاونوا، بعدما نالوا الجرأة، بواسطة نعمة المعمودية في سلوكهم المتوقع (أي بعد المعمودية)، وهو يؤكد هكذا على أنه حتى وإن إعتمدت، فقد يحدث ألا تنقاد بالروح، وتخسر الرتبة التي أُعطيت لك، وتخسر كرامة التبني. ولهذا لم يقل كل مَن أخذ الروح، لكن

" *كل الذين ينقادون بروح الله* " بمعنى كل الذين يحيون هكذا كل حياتهم " هؤلاء هم أبناء الله ". ثم بعد ذلك، لأن هذه الرتبة أو هذا المقام قد أُعطيَ لليهود: " *أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي* كلكم "[٢٨٣]. وأيضًا " *ربيت بنين ونشأتهم* "[٢٨٤]، و" *إسرائيل ابني البكر*"[٢٨٥]، وأيضًا يقول الرسول بولس "ولهم التبنى"[٢٨٦] ـ يبيّن فيما بعد ـ مقدار الفرق بين الكرامة القديمة، وهذه الكرامة (الخاصة بالبنوة لله تحت قيادة الروح القدس).

لأنه إن كانت التسميات هي نفسها، لكن الأشياء ليست هي نفسها. وهو يعطي دليل واضح لهذه الأمور، ويعقد مقارنة بين أولئك الذين نالوا شيئًا، وبين تلك الأمور التي أُعطيت، وتلك التي ستحدث . أولاً يُظهر ما هى تلك الأشياء التي أُعطيت للقدماء . حسنًا ما هى هذه الأشياء؟ هى روح العبودية، ولهذا أضاف:

" إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضًا للخوف بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب " (رو٨:١٥).

ثم بعد ذلك وطالما أنه أغفل الإشارة إلى ما هو عكس العبودية، أى روح الحرية، ذكر ما هو أعظم بكثير، روح التبني، والذي به أدخل أيضًا روح الحرية، قائلاً: " *بل أخذتم روح التبني* ". وهذا واضح، لكن ماذا يعني بروح العبودية؟ هذا غير واضح. ولذلك كان عليه أن يجعل هذا الأمر واضحًا. لأن ما قيل، ليس فقط غير واضح، بل إنه لم يفسره أو يشرحه على الاطلاق، لأن الشعب اليهودي لم يأخذ الروح. إذًا ماذا يقصد هنا؟ فقد وصف الحروف أو الكلمات بأنها روحية، لأنها كانت روحية، تمامًا كما دُعيَ الناموس روحيًا، وهكذا أيضًا بالنسبة للماء الذي جرى من الصخرة، والمن الذي نزل من السماء. لأنه يقول " *جميعهم أكلوا طعامًا واحدًا روحيًا. وجميعهم شربوا*

---

[٢٨٣] مز ٨٢:٦.

[٢٨٤] إش ١:٢.

[٢٨٥] خر ٤:٢٢.

[٢٨٦] رو ٩:٤.

شرابًا واحدًا روحيًا "[٢٨٧]. والصخرة دعاها أيضًا هكذا قائلاً: "*لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم* ". إذًا لأن كل هذا الذي حدث، كانت أشياء تفوق الأمور الطبيعية، فقد دعاها روحية، وليس لأن أولئك الذين شاركوا فيها كانوا قد نالوا الروح في ذلك الوقت.

وكيف كانت تلك الحروف حروف عبودية؟ ادرس كل حياة بني إسرائيل وحينئذٍ ستعرف هذا جيدًا. لأن العقوبات أيضًا كانت أمامهم والمكافأة كانت تُعطَى على الفور، وكانت قانونية، وقد أُعطيت للعبيد مثل طعام يومي، وكان هناك خوفٌ شديد في كل موضع من تطهيرات الجسد، والانضباط المطلوب، مرورًا بالأعمال الجسدية. لكن بالنسبة لنا لم يحدث نفس الشيء، بل أن الفكر والضمير قد تنقيا بالكامل. لأن المسيح لم يقل فقط لا تقتل، بل أيضًا لا تغضب، ولم يقل فقط لا تزن، بل لا تنظر بشهوة، حتى يصل الإنسان إلى النقاء الكامل، لا بسبب الخوف من العقوبات الحاضرة، بل بسبب الشوق والمحبة لله، والرغبة في ممارسة الفضيلة كشيء معتاد، بالإضافة إلى بعض الإنجازات الأخرى. ولم يَعِد الله بأرض تفيض عسلاً ولبنًا، بل جعل الإنسان وارثًا مع ابنه وحيد الجنس، مُبعدًا إيانا ـ بكل الوسائل ـ عن الاعتماد على الخيرات الحاضرة، واعدًا بالخيرات التي ينبغي أن يأخذها معنا أيضًا أولئك الذين صاروا أبناء لله، تلك الخيرات التي ليس فيها شيءٌ مادي، ولا جسدي، بل كل ما هو روحي . حتى أن الذين قد دُعوا سابقًا أبناء، قد ابتعدوا كعبيد، أما نحن فقد نلنا التبني وننتظر ملكوت السموات لأننا صرنا أحرارًا.

وبالنسبة لأولئك اليهود فقد كلّمهم عن طريق أناس آخرين (أي آباء ـ أنبياء ـ مرسلين)، أما نحن فقد كلّمنا هو بنفسه[٢٨٨]. وأولئك فعلوا كل شيء مُنقادين بالخوف من العقاب، بينما الروحيون فيصنعوا كل شيء بدافع الاشتياق والرغبة في الإتحاد بالله. وهذا قد أظهروه بممارسة الوصايا التي

---

[٢٨٧] اكو ١٠: ٣ـ٤.

[٢٨٨] انظر عب ١: ١.

تفوق الوصايا القديمة. ومن المؤكد أن أولئك اليهود ـ مثل أجراء وجاحدين ـ لم يتوقفوا عن التذمر، بينما ما نصنعه نحن هو من أجل أن نكون مرضيين أمام الآب.

أولئك أيضًا على الرغم من أنهم نالوا إحسانات، إلاّ إنهم جدّفوا، بينما نحن فعلى الرغم من أننا نتعرض لمخاطر، فإننا نفرح، وإن كان ينبغي أن نُعَاقَب، فذلك لأننا نُخطئ، وهنا الفارق كبير في العقاب. لأننا لسنا مثل هؤلاء الذين عندما يخطئون يُرجَمون ويُحرَقُون ويُستأَصلون من قِبَل الكهنة، أما نحن يكفي أن نبتعد عن المائدة الأبوية، ونقضي بعض الأيام بعيدًا عنها. والبنوة بالنسبة لليهود كانت مجرد كرامة إسمية فقط، أما بالنسبة لنا فهي واقع يتمثل في التطهير بالمعمودية، ونوال الروح، والنعم الأخرى، بل وعطايا أخرى أكثر بكثير من هذه، من الممكن أن نتكلم عنها، والتي تُظهر ما لنا من كرامة حقيقية، وما لأولئك من كرامة شكلية. وبعدما أشار الروح إلى كل ذلك، وإلى الخوف، والتبني، نجده يحمل دليلاً آخر يثبت أن لنا روح التبنى. فما هو هذا الدليل؟ هو أننا "**نصرخ يا أبا الآب**". وكم هو هام هذا الأمر، ويعرفه الداخلون للإيمان، والذين **يُرشَدون** في صلواتهم السرية، إذ يقولوا هذا النداء أولاً.

ماذا إذًا؟ ألم يدعُ هؤلاء اليهود الله آبًا؟ ألم تسمع موسى الذي يقول "*الذي ولدك تركته ونسيت الله الذي أبدأك؟*"[289]. ألم تسمع ملاخى الذي يصرخ ويقول: "*أليس أب واحد لكلنا. أليس إله واحد خلقنا*"[290]، فإن كان هذا الكلام وأكثر منه قد قيل، فإننا لا نجد في أى موضع أن هؤلاء يدعون الله بهذه الكلمة (يا أبّا الآب). ولا أن يُصلّوا هكذا. أما نحن جميعًا، كهنة، وشعب، وأراخنة، ومواطنون، فقد تعلّمنا أن نُصلى هكذا (يا أبّا الآب). وهذا الصوت نخرجه أولاً بعد آلام المخاض العجيبة، وناموس الولادة الجديدة المدهش والعجيب. وهكذا إن كانوا قد دعوا الله أحيانًا بهذه التسمية مرة،

---

[289] تث١٨:٣٢.

[290] ملا١٠:٢.

إلاّ أنهم لا يعبرون بذلك عن تبنّيهم ذهنيًا لمثل هذا الفكر الذي لنا، بينما الذين يحيون في النعمة فإنهم يدعونه آبًا. انطلاقًا من العمل الروحى الداخلي. وتمامًا كما يوجد روح حكمة والذي به صار غير الحكماء، حكماءً، وهذا ما يتضح من خلال التعليم، وكما يوجد روح قوة، والذي به أقام الضعفاء أمواتًا، وطردوا شياطين، وكما يوجد روح موهبة للشفاء، وروح نبوة، وروح تكلم بألسنة، هكذا يوجد روح تبني. وتمامًا مثلما نعرف روح النبؤة، من حيث إن ذاك الذي يحمله يتكلم مسبقًا عن المستقبل، متحدثًا ليس بفكره الخاص، بل يتحرك بالنعمة، هكذا تعرف روح التبني، من حيث أن ذاك الذي أخذه، يدعو الله آبًا، مدفوعًا من الروح. إذًا فهذا ما أراد أن يُظهره بشكل تام على أنه أمر حقيقي، فاستخدم لغة العبرانيين. لأنه لم يقل فقط، أب، لكن "أبا الآب"، الأمر الذي هو بشكل خاص، كلام الأبناء الحقيقيين الذي يتحدثون به مع آبائهم.

٣ ـ إذًا بعدما تكلّم عن الفارق من جهة السلوك، ومن جهة النعمة التي أُعطيت، وكذلك من جهة الحرية، أضاف دليلاً آخر للإمتياز الذي يأتى من هذا التبنى. ما هو هذا الإمتياز إذًا؟ هو أن:

" الروح نفسه أيضًا يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله " (رو٨:١٦).

هكذا يوضح الرسول بولس، أننى لا أدّعي ـ أننى ابن الله ـ بالكلام فقط بل إني مولود من المصدر الذي منه يأتي هذا الصراخ. نقول هذا الكلام، لأن الروح يُمليه، ولكي يعلن هذا بأكثر وضوح، قال في موضع آخر: " *أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخًا يا أبا الآب*"[٢٩١]. وماذا يعني "الروح يشهد لأرواحنا"؟ أى المعزى يشهد من خلال الموهبة التي أُعطيت لنا. لأن هذا الصراخ لا ينتمي فقط للموهبة، بل للمعزي الذي أعطانا العطية، لأنه هو نفسه علّمنا أن نتكلم هكذا بالموهبة المعطاة لنا. وحين يشهد الروح، فهل يوجد شك بعد ذلك؟ لأنه إن كان إنسان أو ملاك أو رئيس ملائكة، أو قوة أخرى مشابهة، وعدت بذلك، فمن الطبيعي أن يتشكك البعض، لكن

---

[٢٩١] غل٤:٦.

حين يكون الروح، الذي منحنا هذا النداء، يشهد لأرواحنا بتلك الصلاة التي أوصانا أن نصلي بها، فمَنْ يشك بعد ذلك في قيمة هذا الصراخ؟ فلن يتجرأ أحد من الرعية أن يعترض عندما يُعين الملك شخصًا ويعلن هذا الشرف أمام الجميع.

" فإن كنا أولادًا فإننا ورثة أيضًا وورثة لله ووارثون مع المسيح إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضًا معه " (رو٨:١٧).

لاحظ أنه رويدًا رويدًا يُزيد العطية. فهل من الممكن أن نكون أبناءً ولا نصير ورثة، لأنه ليس كل الأبناء ورثة، ولهذا أضاف عبارة: أننا ورثة. لكن اليهود مع كونهم ليس لهم مثل هذا التبنى، فقد حُرموا من الميراث لأن " *أولئك الأردياء يهلكهم هلاكًا رديًا ويُسلّم الكرم إلى كرامين آخرين* "[٢٩٢]. وقبل هذا قال إن " *كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات. وأما بنو الملكوت فيُطرحون إلى الظلمة الخارجية* "[٢٩٣]. ولا هنا أيضًا يتوقف، لكنه يشير إلى ما هو أعظم من ذلك، هو أننا ورثة الله. ولهذا أضاف "**ورثة الله**". بل والأكثر، هو أننا " **ورثة مع المسيح**". أرأيت كيف يجاهد لكي يقودنا لنكون بالقرب من الرب؟ إذًا فنظرًا لأن ليس كل الأبناء هم ورثة، فإنه يبيّن أننا أبناء وأيضًا ورثة. ولأن ليس كل الورثة هم ورثة أشياء عظيمة، فإنه يبيّن أن هذه الأشياء العظيمة قد صارت لنا، طالما أننا ورثة الله. ولأنه أيضًا يمكن أن أكون وارثًا لله، لكن ليس مع أى أحد، وهذا قد أوضحه إذ قال إننا ورثة مع الابن الوحيد الجنس.

وانتبه إلى حكمة الرسول بولس، لأنه بعدما حدَّد الأمور المحزنة، عندما تحدث عما سيُعاني منه أولئك الذين يحيون حسب شهوات الجسد، أنهم على سبيل المثال سيموتون، نجده قد إنشغل بالعطايا العظمى، لذلك إتجه بكلمته إلى إتساع أكبر، ممتدًا بها إلى التأكيد على التعويض

---

[٢٩٢] مت٢١:٤١.

[٢٩٣] مت٨:١١ـ١٢.

بالمكافآت، مبينًا العطايا المتنوعة والعظمى. لأنه إن كانت النعمة أمرًا لا يُوصف ، وأن يكون المرء ابنًا ، فتأمل كم هو عظيم أن يكون المرء وارثًا. وكم يكون عظيمًا جدًا أن يكون وارثًا مع المسيح.

ولكي يبيّن بعد ذلك أن العطية لا تنتمي فقط للنعمة ، وفي نفس الوقت لكي يجعل كل ما قيل جديرًا بالثقة ، أضاف: " *إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضًا معه* ". إذًا لو كنا نشترك معه في الآلام، فبالأكثر سنشترك معه في الخيرات. لأن ذاك الذي منح كل هذه الخيرات أو النعم لأولئك الذين لم يُحققوا شيئًا ، عندما يرانا نحن قد تعبنا وعانينا الكثير، ألا يكافئنا بالأكثر؟

٤ ـ وبعدما أظهر أن الأمر هو مجازاة وتعويض، ولكي يكون الكلام جديرًا بالتصديق، ولا يتشكك أحد فيه، يُبيّن أيضًا أنه لا يخلو من قوة عمل النعمة ، من جهة لكي يؤمن أولئك الذين يتشككون بهذا الكلام، وأيضًا لكي لا يستحي الذين قَبلوه، لأن هناك عطايا محفوظة على الدوام، ومن جهة أخرى، لكي تعلم كيف أن الله يعوض الآلام بالمكافآت . وقد أعلن عن الجانب الأول قائلاً: " *إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضًا معه* "، بينما الآخر يُستدل عليه بقوله:

" فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا" (رو٨:١٨).

لأنه إن كان في الكلام السابق، يطلب من الإنسان الروحى أن يُصحح السلوك، من خلال الكلام الذي قاله: إنه من الواجب على الإنسان الروحي أن لا يعيش حسب شهوات الجسد ، لكي ينتصر على الشهوة، وعلى الغضب، وعلى محبة المال، وعلى الغرور، وعلى الحسد ، فقد ذكرّه هنا بالعطية الكاملة، سواء التي أعطيت أو التي سوف تُعطي، وبعدما أنهضه ورفعه عاليًا بالرجاء، وضعه بالقرب من المسيح، وبرهن له على أنه وريث مع الابن الوحيد الجنس، وبجرأة فائقة يقوده إلى المعارك والانتصار على الشهوات التي هي في داخلنا. وهذه تختلف عن المعاناة التي نجوزها بسبب

التجارب مثل: الجوع، والسلب، والسجن، والقيود، والنهب. فهذه الأمور تحتاج إلى نفس قوية وشجاعة.

لاحظ كيف أنه في نفس الوقت يضبط ويسمو بفكر أولئك الذين يجاهدون، لأنه عندما يُظهر عظمة المكافآت، مقارنةً بالمتاعب، حينئذٍ يحث بالأكثر، ولا يترك مجالاً للتباهي. فالمكافآت العظيمة تجعلهم ينتصرون. وفي موضع آخر يقول: "*لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبديًا* "[٢٩٤]. ويصف هنا الضيقة أنها خفيفة، لأن كلمته كانت موجهة بالأكثر إلى مصارعين حُكماء، وهكذا يجعل الضيقة خفيفة بالمكافآت التي ستُعطى في الدهر الآتي، قائلاً: " *فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر* " ولم يقل، بالمقارنة براحة الدهر الآتي، ولكن قال ما هو أكبر بكثير " لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا ". لأنه حيث توجد راحة، لا يوجد على كل حال مجد، لكن حيث يوجد مجد، يوجد في كل الأحوال راحة. ثم بعد ذلك لأنه تحدث عن المجد العتيد، يُبرهن كيف أن هذا المجد، يوجد من الآن. لأنه لم يقل، مقارنة بما سوف يتحقق، ولكن "*لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن*"، فهو موجود الآن، لكنه مُستتر، الأمر الذي قاله في موضع آخر بأكثر وضوح أن: " .. *حياتكم مستترة مع المسيح في الله* "[٢٩٥]. إذًا ليكن لك ثقة من جهة هذا المجد العتيد، لأنه منذ الآن هذا المجد ينتظرك كمكافأة لأتعابك. لكن لو أن هذا المجد الذي سوف تناله في الدهر الآتي يسبقه ضيق في الحاضر، فليتك تفرح لأجل هذا الأمر، من حيث إن ذلك يعتبر مجدًا عظيمًا ولا يوصف، ويفوق الحالة الحاضرة، وهو محفوظ لنا في السموات.

ومن المؤكد أنه لم يُشِر إلى عبارة " آلام الزمان الحاضر" مصادفةً، بل لكي يُظهر كيف أن المجد العتيد هو أسمى من المجد الحاضر، لا من حيث النوعية فقط، ولكن من حيث المقدار أيضًا. لأن هذه الآلام أيًا كانت ترتبط بالحياة الحاضرة، بينما خيرات الدهر الآتي تمتد إلى الدهور الأبدية. هذه

---

[٢٩٤] ٢كو ٤: ١٦.

[٢٩٥] كو ٣: ٣.

الخيرات، لم يستطع أن يتحدث عنها بشكل مُنفصل، ولا أن يعرض لها بالكلام، بل وصفها بتلك العبارة التي من الواضح أنها محببة لنا بشكل خاص، فقد دعاها بالمجد، لأن المجد يُعَد قمة وقاعدة هذه الخيرات. لكنه قد ارتفع بالمستمع بشكل مختلف وتحدث عن الخليقة بشكل عظيم، بهدف أن يوضح، **أمرين**: من خلال الأمور التي سيطرحها، وهي إحتقار الأمور الحاضرة، واشتهاء أمور الدهر الآتي. وهناك أمر ثالث، أو من الأفضل أن نعتبره الأول، إنه يظهر كيف أن الجنس البشري محبوب جدًا لدى الله، ويُظهر أيضًا مقدار الكرامة التي يقود الطبيعة الإنسانية إليها. لكن بالإضافة إلى كل هذا، فكل تعاليم الفلاسفة التي صاغوها عن هذا العالم، قد أسقطها مثل العنكبوت وألعاب الأطفال الهشة، بواسطة هذا التعليم المحدد. لكن لكي تصير هذه الأمور أكثر تحديدًا، لنستمع بالتدقيق للكلمة الرسولية ذاتها:

٥ ـ " لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله. إذ أُخضعت الخليقة للبطل. ليس طوعًا بل من أجل الذي أخضعها على الرجاء " (رو٨:١٩ـ٢٠).

إن معنى ما يقوله هو: أن هذه الخليقة تتألم جدًا، لأنها تنتظر وتترجى خيرات الدهر الآتي، التي تكلّمنا عنها الآن. لأن الانتظار يعني الرجاء الكبير. لكن لكي يصير الكلام أكثر قوة، فإنه يُشخّصن العالم كله، الأمر الذي صنعه الأنبياء، فيعرضون للأنهار وهى تصفق، والجبال وهى تتحرك وتبتهج، وهذا لا يعني أن هذه الأنهار والجبال لها نفس، أو يمكن أن يُنسب لها فكر معين، بل لكى تعرف مقدار الخيرات الوفيرة جدًا، إذ هى تصل حتى إلى هذه الأشياء التي لا تحّس . إنهم يفعلون ذلك أيضًا حين يتعرضون للأمور المحزنة، فيقدمون الكرمة تنوح، والجبال وأحجبة الهياكل وهى تصرخ، لكي نستطيع أن نفهم أيضًا مقدار الشرور الكبيرة . إذًا هذا **ما يوضحه الرسول بولس هنا، فيُشخصن الخليقة، ويقول كيف أنها تئن وتتمخض، لا لأنه سمع أنينًا يخرج من الأرض ومن السماء، لكن لكي يشير**

إلى خيرات الدهر الآتي الوافرة جدًا، ويُعلن الرغبة في التخلص من الشرور التي كانت سائدة.

" *إذ أُخضعت الخليقة للبطل. ليس طوعًا بل من أجل الذي أخضعها على الرجاء* ". ماذا يعنى " *أن الخليقة أُخضعت للبطل* "؟ **يعني أنها صارت فاسدة. لأى سبب ولماذا صارت فاسدة؟ حدث هذا من أجلك أنت أيها الإنسان. لأنك أخذت جسدًا فانيًا وضعيفًا، ولأن الأرض قبلت اللعنة وأنبتت شوكًا وحسكًا. لكن السماء والأرض عندما تشيخان ستتحولان في النهاية إلى مصير أفضل، اسمع النبي الذي يقول:** " *من قِدَم أسست الأرض والسموات هى عمل يديك. هى تبيد وأنت تبقى وكلها كثوب تبلى كرداء تُغيرهن فتتغير* "[٢٩٦]. وإشعياء أيضًا يُعلن عن نفس الأمر قائلاً: " *ارفعوا إلى السموات عيونكم وانظروا إلى الأرض من تحت فإن السموات كالدخان تضمحل والأرض كالثوب تبلى وسكانها كالبعوض يموتون* "[٢٩٧].

أرأيت كيف أُخضعت الخليقة للبطل، وكيف ستتحرر أيضًا من الفساد؟ لأن داود يقول " *كلها كثوب تبلى كرداء تغيرهن فتتغير* "، بينما يقول إشعياء " *وسكانها كالبعوض سيموتون* ". دون أن يتحدث عن الدمار الكلي أو الكامل، لأنه لن يصاب سكان الأرض، أي البشر بمثل هذا الدمار، لكنه يقصد الدمار الوقتي، **ومع هذه الأرض سينتقلون إلى عدم الفساد، تمامًا مثل الخليقة.** كل هذا أشار إليه، بأن قال "كالبعوض".

هذا بالضبط ما يعلنه الرسول بولس هنا. لكنه أولاً يتحدث عن خضوع الخليقة، ثم يوضح لأي سبب حدث هذا، فيقول: هل الخليقة أُحتقرت وعانت البطلان، لأجل سبب آخر؟ لا على الاطلاق، لأن ما حدث هو بالحقيقة من أجلي أنا. هى التي عانت أو جازت البطلان من أجلي، كيف ستُظلم، إن كانت تلك الأمور التي عانتها، هى من أجل إصلاحي؟ فضلاً عن ذلك فإن الحديث عن الظلم والعدل، لا يجب أن نمتد به إلى الأشياء الجامدة وغير

---

[٢٩٦] مز ١٠٢:٢٥ـ٢٦.

[٢٩٧] إش ٦:٥١.

الحسيّة. لكن لأن بولس شخّصن الخليقة، لم يقل أي شيء مما ذكرته، لكنه تحوَّل إلى الحديث عن أشياء أخرى، فقد بادر إلى تقديم تعزية كبيرة جدًا للمستمع، فماذا يقول؟ هل يقول إن الخليقة نالها الشر لأجلك، وصارت فاسدة؟ لكن الظلم لم ينلها مطلقاً، لأنها ستصير فاسدة أيضًا، لأجلك. لأن هذا هو معنى" .. على الرجاء ". لكن عندما يقول " *إذ أُخضعت .. ليس طوعًا* "، لم يقل هذا لكي يُظهر، كيف أن لها فكر، بل لكي تعرف أن كل الأشياء مرتبطة برعاية المسيح، وأن هذا الإنجاز (العتق من الفساد)، غير مرتبط بالخليقة. حسنًا أخبرني إذًا، على أى رجاء أُخضعت الخليقة؟

" لأن الخليقة نفسها أيضًا ستعتق من عبودية الفساد" (رو٨:٢١).

ماذا يعني "الخليقة نفسها"؟ **يعني أنها لن تكون بعد فاسدة، بل ستتبع جمال الخلود الذي سيناله جسدك.** لأنه تمامًا مثلما حدث، عندما صار جسدك فاسدًا، صارت الخليقة أيضًا فاسدة، فطالما أنه صار غير فاسد، سيلحق عدم الفساد بالخليقة أيضًا. هذا بالضبط، ما أراد أن يوضحه، لذلك أضاف " **إلى حرية مجد أولاد الله** " بمعنى أنها ستُعتق إلى الحرية. لأنه مثلما يحدث مع المرضعة التي تُغذي ابن الملك، عندما يتولى زمام السلطة مكان والده، فإنها ستتمتع هي أيضًا بكل الخيرات معه، هكذا سيحدث مع الخليقة. أرأيت أنه في كل موضع يحتل الإنسان المكانة الأولى، وأن كل شيء يصير من أجله؟ أرأيت كيف أنه يعزي أيضًا ذاك الذي يجاهد، ويُظهر محبة الله التي لا يُعبّر عنها للبشر؟ إذًا لماذا تحزن من أجل التجارب. أنت تئن لأجل نفسك، والخليقة أيضًا تئن لأجلك. وبهذا الحديث لا يُعزي فقط، بل ويبرهن على أن ما قاله هو جديرًا بالثقة والتصديق. لأنه إن كانت الخليقة تترجى، وأن كل شيء فيها يصير من أجلك، فبالأولى كثيرًا يجب أن تترجى أنت تلك الأمور التي لأجلها ستتمتع الخليقة بخيرات الدهر الآتي. **هذا ما يحدث عند البشر، حين ينال الابن مقامًا أو رتبة معينة، فإن العبيد يلبسون الزي المشرق، الذي يتناسب مع مجد الابن. إذًا بنفس الطريقة، فإن الله سيُلبس الخليقة رداء الخلود بما يتناسب مع حرية مجد أولاد الله.**

٦ـ " فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معًا إلى الآن " (رو٨:٢٢).

أرأيت كيف أنه يُبكت المستمع، قائلاً ما معناه أنه لا يجب أن يكون أسوأ من الخليقة وألا ينحصر في الأمور الحاضرة؟ لأنه ليس فقط، لا يجب أن نركّز أنظارنا على هذه الأمور، بل ويجب أن تئن لتأخر ارتحالك من الأرض. لأنه إن كانت الخليقة تصنع هذا (أى تئن)، فبالأولى أن تفعل أنت هذا، أنت يا مَن كُرّمت بالعقل. لكن هذا ليس بعد هو الأمر الأكبر، بل أنه أراد أن يجعلهم يخجلون. ولهذا تحديدًا أضاف:

" وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضًا نئن في أنفسنا " (رو٨:٢٣).

بمعنى أننا بالفعل قد تذوقنا خيرات الدهر الآتي. ولو أن شخصًا لازال بعد بدون احساس مثل الحجر، فإن ما أُعطيَ هو كاف بالفعل حتى يُحرك اهتمامه، ويبعده عن الأمور الحاضرة، ويحركه نحو أمور الدهر الآتي، بطريقة تحمل وجهين، من حيث إن ما أُعطيَ يُعتَبر أمور عظيمة، ومن حيث إن تلك الأمور التي تُشكّل البداية، هى أمور كثيرة جدًا ومبهرة أيضًا. لأنه إن كانت البداية عظيمة بهذا القدر، فإننا بهذه البداية نستطيع أن نتحرَّر من الخطايا، وننال البر والقداسة، وإن كان أولئك الذين عاشوا من قبل، أخرجوا شياطين، وأقاموا موتى، وشفوا أمراضًا بظلالهم وملابسهم، ففكر كم يكون الوضع عند اكتماله. وإذا كانت الخليقة التي ليس لها عقل ولا فكر، ودون أن تعرف أي شيء من هذه الأمور، تئن، فبالأكثر جدًا يجب أن نئن نحن أيضًا .

ثم بعد ذلك لكي لا يُعطي دافعًا للهراطقة، ليتهمونه، كأنه يُدين الأمور الحاضرة، فإنه عندما يقول نئن، يوضح أننا لا نُدين الأمور الحاضرة، بل نقول هذا، لأننا نشتهي الأفضل. هذا ما أعلنه قائلاً: " *متوقعين التبني فداء أجسادنا* ". ماذا تقول؟ فأنت دائمًا ما تكرر وتنادي قائلاً: إننا صرنا بالفعل أبناء، والآن تُشدد على الرجاء من جهة هذا الصلاح، مؤكدًا على أنه ينبغي أن ننتظره؟ هذا ما يُصححه بما أضافه فيما بعد، إذ يقول: " فداء أجسادنا "، أي المجد الكامل. بمعنى أن كل ما لنا الآن وحتى آخر نفس في حياتنا ليس

نهائيًا، لأنه برغم أننا أبناء، فإن كثيرين منّا، صاروا بسبب رجوعهم للخطية سُفهاء وأسرى. ولكن إذا متنا ولنا هذا الرجاء الصالح، فالعطية حينئذٍ ستكون مؤكدة وواضحة وعظيمة، دون خوف بعد من تحولات أو تغييرات بسبب الموت والخطية . حينئذٍ ستكون النعمة أمرًا مؤكدًا، عندما يتخلص جسدنا من الموت والشهوات التي لا تُحصى. **وهذا هو معنى الخلاص، ليس فقط التحرر، لكن عدم العودة مطلقًا إلى الآسر السابق .**

وحتى لا تشك وأنت تسمع باستمرار كلمة مجد، ولا تعرف شيئًا واضحًا، يكشف لك الرسول رويدًا رويدًا أمور الدهر الآتي: تغيير الجسد، وتغيير الخليقة كلها معه، الأمر الذي أعلنه بأكثر وضوح في موضع آخر قائلاً: " *الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده*"[298]. وفي موضع آخر يقول: " *ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذٍ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة* "[299]. كذلك لكي يُظهر أنه بالإضافة إلى فساد الجسد، ستزول الحالة الخاصة بالكائنات الحيّة (أي مظاهر الحياة)، يكتب أيضًا في موضع آخر "*لأن هيئة هذا العالم تزول* "[300].

٧ ـــ ثم يقول: " لأننا بالرجاء خلصنا ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضًا " (رو٨:٢٤).

ولأنه انشغل بالوعد بالحياة الأبدية، فمن الواضح أن هذا قد أحزن المستمع ضعيف الإيمان، طالما أن الخيرات هي في الرجاء، أولاً بعدما أظهر أن هذه الخيرات تعتبر واضحة جدًا من خلال الأمور الحاضرة والمنظورة، وبعدما تكلّم كثيرًا عن الهبات التي أُعطيت بالفعل، وبعدما أوضح أننا ننلنا باكورة هذه الخيرات، ولكي لا نطلب كل الأشياء هنا، ونخون أصلنا النبيل الذي يأتي من الإيمان، يقول: " *لأننا بالرجاء خلصنا*". وما يقوله يعني

---

[298] في٣:٢١.
[299] ١كو١٥:٥٤.
[300] ١كو٧:٣١.

الآتي: أنه لا ينبغي أن نطلب كل الأشياء هنا، بل أن نترجاها. لأن هذه هي العطية الوحيدة التي نقدمها لله، أى أن نؤمن بذاك الذي وعد بالأمور الأبدية، وبهذه الطريقة فقط خَلُصنا. إذًا لو أننا فقدنا الرجاء، فإننا نكون قد فقدنا مُجمل العطايا الخاصة بنا. لأنه سيسألك قائلاً: ألم تكن مسئولاً عن شرور كثيرة؟ ألم تكن يائسًا؟ ألم تكن في أزمة؟ ألم يكن الجميع غير قادرين على خلاصك؟ مَن خلّصك إذًا؟ ينبغي فقط أن تضع رجاءك في الله، وأن تؤمن بالذي وعد بخيرات الدهر الآتي وأعطاها . لا يمكنك أن تقدم شيئًا أكثر من ذلك، فإذا كان هذا الرجاء قد خلّصك، فيجب أن تتمسك به الآن، لأن هذا الرجاء الذي منحك هذا القدر الكبير من الخيرات، من الواضح جدًا أنه لن يخدعك حتى في الدهر الآتي.

إذن طالما أنه قد قَبِلك وأنت ميت، وضائع، ومأسور، وعدو، وجعلك محبوبًا، وابنًا، وحرًا، وبارًا، ووريثًا معه، ومنحك كل هذه الخيرات، والتي لم يتوقعها أحد مطلقًا، فكيف يمكن بعد كل هذه الخيرات الجزيلة الكاشفة عن كل هذا الحب الفائق، أن يتركك في الدهر الآتي؟ إذًا لا تحدثني مرة أخرى عن موضوع الرجاء، والانتظار، وكذلك الإيمان. لأنك هكذا خَلُصت منذ البداية. لنمسك بهذا الرجاء ونحفظه، لأنه إن طلبت كل الأمور هنا، ستفقد إنجازك الذي به قد صرت في بهاء. ولهذا أضاف قائلاً:

" ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر " (رو٨:٢٥).

بمعنى أنه لو أنك ستحصل على كل شيء هنا، فما هو الإحتياج للرجاء؟ إذًا ما هو معنى الرجاء؟ أن يكون لديك ثقة في أمور الدهر الآتي. وما هو الشيء الفائق الذي يطلبه الله منك، وهو الذي أعطى من تلقاء نفسه كل هذه الخيرات؟ **إن كان يطلب منك فقط أن تتمسك بالرجاء، فلكي يكون لك أنت أيضًا شيئًا تقدمه،** لأجل خلاصك، ولكي يوضح ما يقصده أضاف: "*إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر*". لأنه كما أن الله يُتوج ذاك الذي يجاهد ويتعب ويعاني آلام كثيرة، هكذا أيضًا فإنه يتوج من

يترجى. لأن كلمة الصبر هى كلمة لها دلالة التعب والعرق والجهد والتحمل. وهكذا الصبر قد منحه لَمن يترجى، لكي يُعزي النفس التي تعبت كثيرًا.

٨ ـ ثم بعد ذلك يوضح أنه لأجل هذا الأمر البسيط نتمتع بمعونة كبيرة، قائلاً:

" وكذلك الروح أيضًا يُعين ضعفاتنا لأننا لسنا نعلم ما نُصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق " (رو٨: ٢٦).

إذن فأحد الأمرين يخصك أنت ـ أي الصبر ـ بينما الآخر يأتي كنتيجة لعطية الروح القدس الذي يُعدَّك للرجاء، وبهذا الرجاء أيضًا تهون المتاعب. بعد ذلك ولكي تعرف أن هذه النعمة لا تسندك فقط في المتاعب والأخطاء التي تقع فيها، بل وتُعينك أيضًا في الأمور التي تبدو سهلة جدًا، وأنها تقدم العون في كل مكان، فقد أضاف قائلاً: "*لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي* .. " قال هذا لكي يوضح العناية الكبيرة التي يقدمها الروح لنا، ولكي يُعلّمهم، ألاّ يعتقدوا بأن تلك الخيرات أيًا كانت، والتي تبدو للذهن الإنساني مُفيدة، هى ليست مثل عطية الروح. لأنه كان من الطبيعي ـ بعدما جُلِدوا أو عُذِبوا ـ أن يُطرَدوا ويعانوا آلام كثيرة، ثم ينشدوا الراحة بعد ذلك، وأن يطلبوا من الله هذه العطية، ويظنون أنهم ينتفعون بها في تسهيل أمورهم، لذلك يقول لا تعتقدوا أن تلك الأمور أيًا كانت والتي تبدو لكم أنها نافعة، هى بالحقيقة كذلك، لأننا في هذا نحتاج إلى معونة الروح. إن الإنسان ضعيف جدًا، وهو في ذاته لا شيء. ولهذا قال: "*لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي* ".

ولكي لا يُخجِل الرسول بولس أى تلميذ يسمع تعاليمه بسبب عدم المعرفة، أظهر أن المعلّمين هم أيضًا يشاركونهم في ذلك. ولهذا لم يقل "لا تعلمون"، بل قال "لسنا نعلم". وكل ما لم يقله نتيجة تواضعه، ذكره بطريقة أخرى . لأنه في كل تضرعاته، صلى أن يرى روما، وهو لم يحقق هذا على الفور حين كان يصلي. ومن جهة الشوكة التي أُعطيت له في الجسد، صلى مرات كثيرة أن تفارقه، ولم يتحقق هذا أبدًا. وموسى في العهد القديم لم ينجح رغم صلاته أن يرى فلسطين، وإرميا ترجى من أجل اليهود، وابرآم

تشفع من أجل أهل سدوم. " ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها". هذا كلام غير واضح، لأن كثيرًا من المعجزات التي حدثت قديمًا، قد توقفت الآن. ولهذا تحديدًا، أجد أن هناك ضرورة أن أشرح الحالة التي كانت في السابق، وهكذا سيصير الحديث أكثر وضوحًا فيما بعد . ما هى الحالة التي كانت في السابق؟ إن الله أعطى مواهب متنوعة لكل من نال المعمودية آنذاك، والتي سُميت أرواحًا، لأنه يقول: "*وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء*"[٣٠١]. ومن هؤلاء واحد كانت لديه موهبة النبؤة، وتحدث عن أمور مستقبلية، وآخر كانت له موهبة حكمة وعلم غزير، وآخر لديه موهبة قوات، وإقامة أموات، وآخر موهبة تكلم بألسنة وتكلم بلغات متنوعة، بالإضافة إلى كل هذه المواهب، كانت هناك "موهبة صلاة"، وهذه الموهبة دُعيت أيضًا روح، ومَن له هذا الروح، كان يُصلي لأجل كل الشعب.

ولأننا نجهل الكثير عن تلك الأمور التي تنفعنا، فإننا نطلب تلك التي لا تنفعنا، وقد أتت موهبة الصلاة إلى واحد من الذين أشرنا إليهم، وهذا قد صلى من أجل خير الكنيسة العام، ولأجل خلاص الجميع، وعلّم الآخرين . إذًا موهبة الصلاة هى التي يدعوها هنا الروح، والنفس هى التي تقبل الموهبة وتتشفع لدى الله وتتنهد. لأن ذاك الذي استحق هذه النعمة، بكل وقار، طرح نفسه أمام الله، بذهن يقظ تمامًا، وطلب تلك الأمور التي تنفع الجميع. ومثال هذا هو الخادم الذي يطلب طلبات من أجل الشعب[٣٠٢]. هذا ما أراد الرسول بولس أن يعلن عنه بقوله: "*الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها* ".

" ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو إهتمام الروح لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين " (رو٨:٢٧).

أرأيت أن الحديث ليس لأجل المعزي، ولكن لأجل القلب الروحي؟ لأنه إن لم يكن هذا هو المقصود، لكان ينبغي أن يقول، الذي يفحص الروح. لكن لكي تعلم أن الكلام هو لأجل الإنسان الروحي، ذلك الإنسان الذي لديه

[٣٠١] اكو١٤: ٣٢.

[٣٠٢] يشير هنا إلى خدمة الشماس الدياكون في القداس الإلهي.

موهبة الصلاة، أضاف: " *يعلم ما هو اهتمام الروح* "، أى ما هو اهتمام الإنسان الروحي، "*لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين*". هذا الأمر قد صار لكي نعرف أن نصلي كما ينبغي، ونطلب من الله تلك الأمور التي هى صالحة بحسب مشيئته. وهذا هو معنى " بحسب مشيئة الله ". وبناء عليه هذا قد حدث بسبب تضرع أولئك الذين دخلوا إلى الإيمان، ومثال للتعليم الحسن، لأن المعزي هو بالحقيقة الذي منح المواهب وأعطى الخيرات التي لا تُحصى، لأنه يقول: " *ولكن هذه كلها يعملها الروح*"[٣٠٣]. وهذا قد صار لأجل تعليمنا، ولكي تظهر محبة الروح، وإلى هذا الحد وصل عمل الروح الرحوم. ولهذا استجاب للذي صلى، لأن الصلاة صارت بحسب مشيئة الله.

٩ ـ أرأيت مقدار الأمور التي بواسطتها يُعلن الروح محبته لهم، ومدى الكرامة التي وصلوا إليها؟ لأنه ما هو الشيء الذي لم يفعله الله لأجلنا؟ جعل العالم فاسدًا لأجلنا، كما جعله غير فاسدًا لأجلنا أيضًا، سمح بأن يُهان الأنبياء من أجلنا، أرسلهم للسبي من أجلنا، سمح أن يسقطوا في كمين النار، وأن يصبروا على إهانات لا تُعَد. ولنا نحن أنفسنا أرسل أنبياء ورسلاً، وسلم ابنه وحيد الجنس للموت من أجلنا، وعَاقَب الشيطان لأجلنا، وأعطانا أن نجلس عن يمينه، وأهين من أجلنا، لأنه يقول: " *تعييرات مُعيريك وقعت عليّ* "[٣٠٤]، بل إنه بعد كل هذا، وبينما نحن نبتعد عنه، لا يتركنا أيضًا، بل يترجانا، ويُعّد آخرين لكي يُصلّوا لأجلنا، الأمر الذي حدث في حالة موسى. لأنه يقول لموسى: " *اتركني لأفنيهم* "[٣٠٥]، قال هذا لكي يدفعه للتضرع من أجلهم. والآن هو يفعل نفس الشيء. ولهذا أعطى موهبة الصلاة. وقد فعل ذلك، لا لأنه يحتاج إلى توّسل، لكن لكي لا نصير نحن أكثر دناءة، بل نكون مُخلِصين . ومن أجل هذا يقول الكتاب، إنه تصالح معهم من أجل طلب داود، ومن أجل طلب هذا وذاك، مبينًا نفس الشيء تمامًا، حتى يُضاف على الأقل مبرر لإتمام المصالحة. ولكن الله كان سيُظهر محبته للبشر

---

[٣٠٣] ١كو١٢:١١.

[٣٠٤] مز٦٩:٩.

[٣٠٥] خر٣٢:١٠.

بدرجة أعلى، لو أنه قال لهم، إنه ترك غضبه، لا من أجل هذا وذاك، بل فعل هذا من تلقاء نفسه.

إلاّ أنه لم يقدم الأمر هكذا، حتى لا يصير موضوع المصالحة دافعًا للخمول من جهة الذين خَلِصوا. ولهذا قال لإرميا: " *وأنت لا تُصلِ لأجل هذا الشعب .. لأني لا أسمعك* "[٣٠٦]. لا لأنه أراد أن يمنع إرميا أن يطلب من أجلهم، طالما أنه يشتهي خلاصنا بشدة، ولكن لكي يخيفهم. ولأن النبي كان يعرف هذا جيدًا، لم يتوقف عن الصلاة من أجلهم. ولكي نعلم أنه قال هذا الكلام، لا لأنه أراد أن يمنعه، لكن لكي يُحثه على الصلاة لأجلهم، اسمع ماذا يقول:" *أما ترى ماذا يعملون*"[٣٠٧]. وأيضًا من جهة المدينة يقول: " *وإن اغتسلت بنطرون وأكثرت لنفسك الأشنان فقد نُقش اثمك أمامي* "[٣٠٨]، ولم يقل هذا لكي يقودهم إلى اليأس، بل ليدفعهم للتوبة. وكما أخبر أهل نينوى بقرار غير محدد، ولم يَعِد بخيرات مرتجاة، بل بالأكثر قد أخافهم وقادهم للتوبة، هكذا هنا أيضًا فعل نفس الأمر، إذ قد حثهم على التوبة، وصار للنبي تقديرٌ خاص من الله، لكي يسمعوا له حتى وإن كان ذلك قد تم بهذه الطريقة .

ثم بعد ذلك لأنهم استمروا في مرض لا شفاء منه، ولم يتعقلوا أيضًا عندما أُدين الآخرين، فإن أول شيء فعله، هو أنه نَصَحَهم أن يبقوا في نفس المكان، ولكنهم ذهبوا إلى مصر، لأنهم لم يحتملوا هذا، وقد غفر الله لهم ذلك، ولكنه طلب منهم ألاّ ينجرفوا في الجحود، نحو تلك الأمور التي كانت سائدة في مصر. لكن نظرًا لأنهم لم يصغوا لطلب الله، فقد أرسل معهم النبي، حتى لا ينحرفوا بالكامل فيما بعد. ولأن هؤلاء لم يتبعوا ذاك الذي دعاهم، فإنه هو ذاته قد تبعهم، لكي يُصلحهم، ويمنعهم من الإنقياد إلى شرور أكبر، وذلك كأب حنون تجاه ابنه الذي أصابه الضيق في كل شيء، يذهب معه في كل مكان ويتتبعه . ولهذا لم يرسل فقط إرميا إلى

---

[٣٠٦] إر٧:١٦.

[٣٠٧] إر٧:١٧.

[٣٠٨] إر٢:٢٢.

مصر، بل أرسل حزقيال إلى بابل، ولم يعتَرِضا. لأنهما رأيا أن سيدهما يحبهما حبًا لا حدود له، لذا صنعا نفس الأمر، مثلما يحدث لو أن عبدًا أمينًا ترفق بابن جاحد، فإن فعله هذا راجع إلى ترفّقه بأبيه الذي رآه وهو يتألم ويتمزق من أجله. إذًا ما الذي لم يتألم به الأنبياء من أجل اليهود؟ نُشروا، طُردوا، أُهينوا، رُجموا، وعانوا آلام لا حصر لها، وبعد كل هذا، أسرعوا أيضًا نحوهم.

وصموئيل أيضًا لم يتوقف حزنه على شاول، وإن كان قد أُهين إهانة قاسية منه، وعانى شرورًا كثيرة، لكنه لم يتذكر شيئًا من هذا. وكتب إرميا أيضًا مراثيًا تجاه الشعب اليهودي، وبينما منحه قائد جيوش الفرس أن يقيم في أمان وحرية حيثما يريد، إلاّ أنه فضّل البقاء في الوطن وسط معاناة الشعب. هكذا موسى أيضًا ترك الحياة في قصر الملك، وأسرع لمشاركة اليهود في معاناتهم . وأيضًا دانيال الذي بقى صائمًا لمدة عشرون يومًا متصلة، مُجبرًا نفسه على صوم شديد، لكي يتحنن الله عليهم ويصالحهم، والثلاثة فتية أيضًا، بينما كانوا وسط أتون النار المشتعل، صلّوا من أجل الشعب، لأنهم لم يتألموا من أجل ذواتهم التي أُنقذت، بل بسبب جرأتهم، ولهذا صلّوا من أجل هؤلاء. ومن أجل هذا قالوا: " *ولنيل رحمتك ولكن لإنسحاق نفوسنا وتواضع أرواحنا أقبلنا* "[٣٠٩]. ويشوع بن نون مزّق ثيابه من أجل هؤلاء، وحزقيال حزن وناح عندما رآهم وهم يهلكون. وقال إرميا: " *إقتصروا عني فأبكي بمرارة* "[٣١٠]. ولكن قبل هذا، لأنه لم يتجرأ أن يطلب صفحًا كاملاً عن كل المآسي، طلب مهلة قائلاً: " *إلى متى أيها السيد* "[٣١١]. هكذا كل القديسين هم مُحبون. ولهذا قال الرسول بولس: " *فالبسوا كمختارين الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفًا وتواضعًا* "[٣١٢].

---

[٣٠٩] دا٣١:٣٩. (تتمة دانيال).

[٣١٠] الكلام هنا هو لإشعياء (٤:٢).

[٣١١] إش٦:١١.

[٣١٢] كو٣:١٢.

أرأيت دقة الكلام، وكيف أنه يريد لنا أن نكون على الدوام شفوقين؟ لأنه لم يقل فقط اتسموا بالرأفة، لكنه قال " البسوا"، حتى أنه مثلما أن الملابس لا تفارقنا البتة، هكذا ينبغي أن تكون الرأفة. ولم يقل رحمة، لكنه قال "أحشاء رأفات"، لكي نُحاكي الرأفة الطبيعية. لكننا للأسف، نحن نصنع العكس.

وإن اقترب منا أحد طالبًا فِلسًا، فإننا نهينه، ونوجه له كلامًا قاسيًا، وندعوه مُحتالاً. ألا تفزع أيها الإنسان وتخجل، إذ تدعوه محتالاً، لأنه طلب الخبز؟ لكن لو أن هذا الإنسان صار مُحتالاً، فإنه لهذا السبب تحديدًا، يصير مستحقًا للرحمة، لأنه يعاني من الجوع إلى الحد الذي جعله يظهر في شكل المحتال. لكن هذا يُمثل إدانة لقسوتنا. لأننا لا نحتمل أن نُعطي بسهولة، ونضطر أن نبتكر حيلاً عديدة. فلنعترف بقساوتنا، ولنحوّل القساوة إلى ليونة. فضلاً عن ذلك، لو أنه طلب مالاً وذهبًا، فإن شكوكك ستكون مُبررة، آما وقد إقترب منك يسألك الطعام الضروري، فلماذا تُفلسف الأمر باطلاً، وتفحص بتفصيل أمورًا غير نافعة، متهمًا إياه بالكسل واللامبالاة؟

إذن إن كان يجب أن نقول شيئًا عن هذه الأمور، فينبغي أن نقولها لأنفسنا وليس لآخرين. لذا عندما تقترب من الله طالبًا مغفرة الخطايا، عليك أن تتذكر هذا الكلام، وستدرك أنه أكثر عدلاً أن تسمع أنت هذه الأمور من الله، على أن يسمعها الفقير منك. لكن الله لم يقل لك هذا الكلام مطلقًا، أى لم يقل لك ارحل أو اذهب بعيدًا، لأنك أنت أيضًا محتال، إذ أنك تدخل إلى الكنيسة باستمرار وتسمع وصاياي، لكن من جهة شراء الذهب، ومن جهة الصحبة وإشباع الشهوة، وكذلك كل الأمور بشكل عام، فإنك تفضّلها عن وصاياي. والآن كان عليك أن تصير متضعًا بعد صلاة الإيمان، إلاّ أنك صرت وقحًا، وقاسيًا ومتوحشًا.

هكذا فنحن نستحق أن نسمع هذا الكلام بل وأكثر منه، بيد أن الله لم يُدِننا مطلقًا عن هذا السلوك، فهو طويل الأناة، ويوفي بكل ما له، ويُعطي أكثر جدًا مما نطلب.

١٠ ـ حسنًا فلنفكر في كل هذا، ودعونا نحارب الفقر في هؤلاء المحتاجين حتى ولو كان بعد يحيون في ضلال، وليتنا لا نفحص الأمر بالتفصيل. لأننا نحن أيضًا نحتاج لمثل هذا الخلاص والغفران، والمحبة مع الرحمة كثيرًا. لأنه من غير الممكن أن نخلص أبدًا، لو فُحِصت أمورنا بالتدقيق، بل يجب أن نُعاقَب وأن نهلك على أية حال. إذًا ينبغي ألا نصير قضاة قساة للآخرين، حتى لا تُطلب منا إلتزامات كبيرة، لأنه من المؤكد أننا نحمل خطايا تعلو فوق كل مغفرة. وبناء عليه فلنرحم بالأكثر أولئك الذين يرتكبوا خطايا لا تُغفر، لكي ندّخر لأنفسنا مسبقًا هذه الرأفة. وإن كان من المؤكد أنه مهمًا كان السخاء الذي نُظهره فإننا لا نستطيع أن نُقدم محبة للبشر، تماثل تلك التي نحتاجها نحن من الله مُحب البشر؛ إذًا كيف لا يكون أمرًا غريبًا، أن نُدقق في حالة مَنْ هم في احتياج شديد والذين هم شركائنا في الإنسانية ونفعل كل شيء ضد منفعتنا؟ لأنك لا تنظر إلى ذاك على أنه غير مستحق لإحسانك، بقدر ما تجعل نفسك غير مستحق لمحبة الله. فذاك الذي يُدقق في فحص حالة شريكه في الإنسانية، بالأكثر جدًا سيجد أن الله يصنع معه ذلك فيما بعد.

يجب ألا نتكلم ضد أنفسنا، بل علينا أن نعطي كل من يسألنا حتى لو كان هناك خمول أو لا مبالاة من جانب الذين يطلبون منا الإحسان . فضلاً عن أننا نحن أيضًا نصنع خطايا كثيرة بسبب اللامبالاة، أو من الأفضل أن نقول إن كل الخطايا هى بسبب اللامبالاة، ومع هذا فإن الله لا يعاقبنا على الفور، بل يعطينا مهلة للتوبة، طالما أنه يُطعمنا يوميًا، ويُهذبنا، ويُعلّمنا، ويمنحنا كل العطايا، حتى ننال نحن أيضًا رأفته. لنمحو إذًا هذه القساوة، ولنخرج التشدد من داخلنا، لأنه بعطائنا نُحسن لأنفسنا، أكثر من إحساننا للآخرين. لأننا نعطي الفقراء أو المحتاجين مالاً وخبزًا وملابس، لكننا ندّخر لأنفسنا مجدًا عظيمًا، لا يُعبّر عنه بالكلام. لأنه، بالرغم من أننا لبسنا

أجسادًا فانية، إلاّ أننا نتمجد ونملك مع المسيح .لكننا لن نعرف مدى عظمة ذلك، أو من الأفضل القول، إننا لن نعرف الآن بشكل كامل وبصورة جيدة. إلاّ أنني سأحاول على قدر الإمكان أن أعرض لما قيل حتى ننجذب إلى الخيرات التي لنا ونتفهم المعنى البسيط.

أخبرني، لو أنك وصلت إلى مرحلة الشيخوخة وتعيش في حالة فقر، وأتى شخص ووعدك بأن يجعلك شابًا قويًا جدًا وأفضل من الجميع، وأن يُعطيك أن تملك على كل الأرض ألف سنة، وتحيا في ملكوت يحمل سلامًا عميقًا، فهل تتقاعس عن تَحمّل المعاناة من أجل تحقيق هذا الوعد؟ ها هو المسيح له المجد لا يَعِد بهذه الأمور فقط، بل بما هو أكثر بكثير . لأن الفرق بين الفساد وعدم الفساد، ليس بقدر الفرق بين الشيخوخة والشباب، ولا الفرق بين المجد الحاضر والمجد العتيد أن يُستعلن، بقدر الفرق بين الملك والفقير، لكن بقدر الفرق بين الأحلام والحقيقة. ومن الأفضل أن نقول إننا لم نقل بعد أي شيء، ومن المؤكد أنه لا يوجد كلام قادر على أن يُعبر عن مقدار الفروق التي ستصير من جهة الأمور الحاضرة. لأنه بسبب الزمن، من غير الممكن أن نُدرك مقدار الفروق إدراكًا كاملاً وتامًا. إذ كيف يمكن للمرء أن يُقَارِن بين الحياة التي لا نهاية لها، بالحياة الحاضرة؟ ومن جهة السلام في الدهر الآتي، فإن المسافة بينه وبين السلام في الزمن الحاضر، هى مسافة شاسعة، بقدر المسافة بين السلام والحرب. ومن جهة الخلود أو عدم الفساد، فهناك لا يوجد فساد وهو بالمقارنة بالحياة الحاضرة، أسمى بقدر نقاء اللؤلؤ مقارنة بقطعة من الفخار. ومن الأفضل القول بأنه مهما قيل فلن يستطيع المرء أن يقدم شيئًا. لأنه سواء قارنت جمال الأجساد، بنور أشعة الشمس، أو بالبرق المضئ، فلن أستطيع أن أقول بعد شيئًا يُقابل هذا البهاء الذي سيكون في الحياة الأبدية.

إذن ينبغي أن نهجر المال والذات من أجل هؤلاء أو من الأفضل أن نقول أنه أمر هام وضروري ويستحق التقدير أن نعتني ونهتم بقوة بتلك الأنفس المحتاجة؟ لكن الآن لو أن شخصًا قادك إلى داخل القصر، وبينما كان

هناك جمع من الحضور، إلاّ أنه جعل الملك يتحدث معك، وأجلسك معه على نفس المائدة، وجعلك تتناول نفس الطعام معه، فستقول إنك الأكثر سعادة من الجميع، بينما في هذه الحالة التي فيها ستصعد إلى السماء، وتقف بجوار ملك الجميع، وتُشرق أمام الملائكة، وتتمتع بذلك المجد المحفوظ لك، هل يُمكنك بعد ذلك أن تشك في أنه ينبغي عليك أن تتخلى عن المال في الوقت المناسب (أى في هذه الحياة الحاضرة). بل وإن إحتاج الأمر بعد أن تحتقر هذه الحياة فلتفعل هذا، وهل يحق لك بعد ذلك أن تبتهج وتسعد وتقفز من الفرح لأجل الشهوة؟ فأنت تصنع ذلك لكي تربح السلطة التي تعطيك دوافع للسرقة، لأنني لا أستطيع أن أدعو الأمر المشابه ربحاً، إنك تستبعد الممتلكات الموجودة لديك، فبعدما تقترض من الآخرين، لا تتردد في أن ترهن زوجتك وأولادك أيضًا، بينما الآن حيث ملكوت الله ماثل أمامك، وهو ليس مكان ناءٍ من الأرض، بل هو كل السماء، وحيث توجد السيادة التي ليس لها وارثًا، وحيث يأمر الله بأن تنال كل هذا، فهل تتردد وترفض وتسلم نفسك لشهوة المال، فإذا كانت الأماكن الموجودة أمامنا تحت السماء جميلة ومُبهجة، فكم بالأحرى تكون الأماكن العلوية في السماء، وسماء السموات؟

ولأنه من غير الممكن أن ترى هذه الأمور الآن بالعيون الجسدية، لذلك إرتفع بفكرك إلى فوق، وبعدما تقف فوق هذه السماء، تَطلّع إلى السماء التي فوق هذه السماء، إلى السمو غير المحدود، إلى النور المملوء رهبة، إلى جموع الملائكة، إلى التجمع الكثيف لرؤساء الملائكة الذين لا حصر لهم، وإلى القوات الأخرى غير الجسدانية. كذلك اهتم بالصورة التي تتصورها وأنت على الأرض، وارسم شكلاً يشمل تصميمًا لكل ما يحيط بملك من الملوك، مثل الرجال الذين يرتدون ملابس مذهبة، وكم الخيل البيض المزينة بالذهب، والعربات المزينة بأحجار كريمة، وأوراق الزهور الموضوعة حول العربات، والحيات التي تُنقش على الملابس الحريرية، والدروع ذات الحلقات الذهبية، والأثواب والتيجان المرصعة بأحجار كريمة متعددة، والخيول المزينة بالذهب والألجمة الذهب، إلاّ أن كل ذلك يتوارى عن أنظارنا، عندما نرى

الملك ذاته. وعندئذٍ فإن ما يجذب إنتباهنا، هو ثوبه الأرجواني، تاجه وعرشه، وكذلك الرداء، وحذائه، ووجهه المضيء والمشرق جدًا.

بعدما تُجمّع كل هذه الصور، إنتقل بفكرك مرة أخرى إلى الأمور السمائية، إلى اليوم المخوف الذي فيه سيأتي المسيح. لأنه لن ترى في ذلك الحين الخيول، ولا العربات المذهبة، ولا حيات ودروع، لكن سترى تلك الأمور المملوءة رهبة والتي تُثير دهشة عظيمة، حتى أن القوات غير الجسدانية ستُذهل، لأن الكتاب يقول: " *وقوات السماء تتزعزع* "[٣١٣]. حينئذٍ تنفتح السماء كليةً، وأبواب النُصرة تُفتح على مصراعيها، وينزل ابن الله، يُحيط به ليس مجرد عشرون أو مائة إنسان، بل آلاف وجموع من الملائكة ورؤساء الملائكة، الشاروبيم والسيرافيم والقوات الأخرى، الجميع سيكونون مملوئين خوفًا ورعدة، والأرض ستنشق، وكل البشر الذين عاشوا منذ وقت آدم حتى هذا اليوم، سيصعدون من الأرض ويُختطَفون جميعًا إلى السماء، وسيظهر ابن الله بنور عظيم، حتى أن الشمس والقمر وكل نور آخر يختفي أمامه، لأنه يُضيء بشكل أعظم كثيرًا من هذه الأنوار العظيمة.

أية كلمات يمكن أن تصف تلك الغبطة وهذا النور وهذا المجد؟ ويل لكِ يا نفسي. لديَّ رغبة أن أبكي وأن أتنهد كثيرًا، حيث أفكر الآن في كثرة الخيرات التي قد فقدناها، وأي نهاية مجيدة قد حُرِمنا منها. لأنه بالحقيقة قد نُحرم، وأول الكل أنا نفسي، أقول قد نُحرم إن لم نصنع شيئًا عظيمًا ومدهشًا. إذًا لا يقول لي أحد، أين جهنم وهى توجد هنا. لأن فقدان هذا المجد، لهو حالة أكثر رعبًا وخوفًا من أى جهنم، وأن يُحرم تلك النهاية المجيدة، فهذا أسوأ من عذابات لا تُحصى. لكننا محصورون بعد في الأمور الحاضرة، ولا نفهم حيل الشيطان، الذي ينزع منا العطايا العظمى عن طريق هفواتنا الصغيرة. فهو يُعطي لنا طينًا، لكي يخطف منا الذهب، أو الأفضل أن نقول لكي يخطف منّا السماء، ويُظهِر المخاوف، لكي يحرمنا الحقيقة. وفي الأحلام يضفي على الأمور الحاضرة خيالات ويصورها لنا على أنها غنى

[٣١٣] مت٢٤: ٢٩.

عظيم، ولكن عندما يأتي يوم الدينونة سيتضح لنا أننا أكثر فقرًا من الجميع.

١١ ـ إذن طالما أننا نفكر في هذه الأمور، لنتجنب المكر، ولنتطلع نحو الدهر الآتي. لأن من غير الممكن أن نقول إننا نجهل أن الحياة الحاضرة هى حياة مؤقتة في الوقت الذي تُعلِن فيه الحياة اليومية بقوة تفوق صوت النفير، أن الحاضر لا قيمة له، بما فيه من أمور تستوجب السخرية، وأمور مخجلة وأخطار وهلاك. أى مبرر إذًا سنُقدِم، عندما نسعى نحو الأخطار، ونحو الأمور المخجلة بحماس شديد، بل أننا نبتعد عن كل ما يوفر لنا الأمان، بل وعن كل ما يجعلنا ممجدين ومشرقين، ثم نُسلّم أنفسنا بالكامل لطغيان المال؟ **لأن العبودية للمال هى أمر مفزع أكثر من أى طغيان آخر. ويعرف ذلك أولئك الذين استحقوا أن يتحرروا من هذا الطغيان. ولكي تختبروا أنتم أيضًا هذه الحرية الجميلة، اكسروا القيود، تجنبوا الفخ، ولا تكنزوا الأموال في بيوتكم، بل اكنزوا ما له قيمة تفوق كثيرًا قيمة أموال لا حصر لها، أى الرحمة والرأفة. لأن هذه تعطينا دالة أمام الله، بينما المال يجلب علينا عارًا كثيرًا، ويجعل الشيطان يركض مسرعًا نحونا.**

إذن لماذا تُسلّح عدوك وتجعله أكثر قوة؟ يجب أن تسلح يدك ضده، إجعل نفسك مهيئة لقبول جمال البيت السماوي المبهر، ولتتأمل في مدى غنى هذا البيت . ليتنا نستثمر الأموال بدلاً من أن نكتنزها في الخزانة، بل نضعها في المنزل السماوي، ونستخدم كل ما لنا من أموال، لأن نفوسنا أفضل بكثير من البيوت، وأهم من الأرض . إذًا لماذا نترك أنفسنا، ونحصر كل إهتمامنا في تلك الأمور (التي نود أن نكتنزها) والتي من غير الممكن أن نأخذها معنا عندما نموت، بل إننا في مرات كثيرة لا نستطيع أن نحتفظ بالمال حتى في الحياة الحاضرة، لكننا سنتمتع بغنى لا يُعبّر عنه في ملكوت الله، حين نقدم من الغنى الأرضي ما يسدد احتياجات الفقراء والمعوزين . لأن مَنْ يحمل داخل نفسه، الحقول والبيوت والأموال، حين ينتقل إلى السماء، سيُعرض بنفس هذه الحالة أمام الله، حيث إن كل شيء ينبغي أن يعرض هناك كما هو. وكيف يمكن أن يحدث هذا؟ هذا أمر ممكن وبصورة أكثر سهولة.

فلو أن هذه الأمور نقلتها إلى السماء بأيدي الفقراء، فستكون كلها داخل نفسك. وحتى ولو أتى الموت، فلن يستطيع أحد أن ينزعها منك، بل ستنتقل إلى هناك ومعك هذا الغنى . مثل هذا الكنز كان عند طابيثا، ولهذا لم تُذكَر من خلال بيتها، أو من خلال الحوائط، والأحجار، والأعمدة، بل من خلال الأجساد التي ارتدت ملابس من يديها، والدموع التي انهمرت، والموت الذي هرب، والحياة التي عادت مرة أخرى"[٣١٤].

ليتنا نصنع لأنفسنا مثل هذه المخازن، ومثل هذه البيوت لنبنيها لأنفسنا، وعندئذٍ سيكون الله عونًا لنا، وسنكون عاملين معه. لأن الله سمح بوجود الفقراء، وعليك أن لا تتركهم يهلكون من الجوع والمتاعب الأخرى، بل ينبغي أن تعتني بهم وترعاهم، وتدعم هيكل الله في كل مكان، وهل هناك ما هو مساويًا لهذا الأمر في القيمة، سواء من جهة المنفعة أو من جهة السيرة الطيبة؟

لكن لو أنك لم تكن قد تعلمت جيدًا بعد، مقدار الزينة التي زيّنك الله بها، عندما أمرك أن تغيّر حالة الفقر وتعتني بالفقراء، فذاك سيجعلك تنشغل به. بمعنى أنه لو أعطاك هذه السلطة الكبيرة، حتى تستطيع أن تحمل السماء (بسكناه فيك بالروح)، ألا تعتبر هذا الأمر كرامة تتجاوز بكثير الكرامة التي تستحقها؟ ها هو إذًا يُكرّمك الآن بأعظم كرامة. لأن مَن هو أهم من السموات عند الله، هذا يعيده لك لكي ترعاه. لأنه لا يوجد شيئًا من الأمور المرئية يساوي قيمة الإنسان عند الله. لأن السماء والأرض والبحر، خلقها لأجل الإنسان، وهو يفرح بالأكثر عندما يسكن في الإنسان، من أن يسكن في السماء.

لكن نحن على الرغم من أننا نعرف كل هذا، فإننا لا نهتم برعاية البشر الذين هم هياكل الله، لكننا نتركهم مُهملين، ونصنع لأنفسنا منازل فخمة وكبيرة. لهذا فقد صرنا مجردين من كل النعم، وأكثر فقرًا من الفقراء المعدمين، لأننا نُزين هذه البيوت التي لا يمكن أن نأخذها معنا عندما

[٣١٤] انظر أع٩: ٣٦ــ٤٢.

نموت، ونُهمِل ما يجب أن نأخذه إلى هناك. لأنه بالحقيقة سيقوم الفقراء بعد أن تتحلل أجسادهم، وبعدما يتسلّم الله نفوسهم. وسيمتدح الرب كل من اعتنى بهم، وسيذكرهم، لأنه حين كان هؤلاء الفقراء يتعرضون للإنهيار، بسبب الجوع، أو العُري، أو البرد، كان هناك مَن إعتنى بهم وقدم لهم كل ما من شأنه أن يحفظهم في أمان وسلام.

وبرغم كل هذا المديح الذي ينتظرنا، فلا نزال نتأخر، ونتردد في القيام بهذه الخدمة الصالحة. والمسيح ليس له مكان يبيت فيه، لكنه يجول غريبًا وعريانًا وجوعانًا، بينما أنت تبني بيوتًا بالقرب من المدينة وحمامات وأماكن للتنزه ومباني كثيرة، دون داعي ولا طائل من ورائها. إنك لا تقدم للمسيح ولا حتى غرفة صغيرة، بينما أنت تُزين شرفات واسعة للطيور الجارحة والطيور الخاطفة.

ماذا يمكن أن يوجد أسوأ من هذا الخبل؟ وما هو أكثر فزعًا من هذا الجنون؟ فكل ذلك يعتبر أسوأ أنواع الجنون. لكن على الرغم من أنه مرض مخيف، إلاّ أنه من الممكن أن نعالجه إذا أردنا، وهذا ليس أمرًا ممكنًا فقط، لكنه سهل، وليس سهلاً فقط ، بل هو أكثر سهولة أن نتخلص من هذا المرض المهلك، من أن نتخلص من شهوات الجسد، وذلك يتوقف على مقدار مهارة الطبيب . لننجذب إذًا إلى هذا الطبيب، ولنترجاه أن يُعيننا، ولنُخضِع له كل إرادتنا ورغبتنا، لأنه لا يريد أي شيء آخر، سوى الرحمة والرأفة للفقراء، إن قدمنا هذه فقط، فهو سيُقدم لنا كل ما له . لنقدم كل ما لنا، لكي نتمتع في هذا الدهر بالصحة الجيدة، وننال خيرات الدهر الآتي، بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظة السادسة عشر

" ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده " (رو٨:٢٨).

١ ـ يبدو لي أنه يتكلم في هذا الجزء، عن أولئك الذين يتعرضون للمخاطر، وليس هذا فقط، لكنه يُشير أيضًا إلى الأمور التي قيلت قبل هذا. لأن القول بأن "*آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا*" وأن " *كل الخليقة تئن*" وقوله: "*بالرجاء خلصنا* " و" *نتوقعه بالصبر*" و" *لسنا نعلم ما نصلي لأجله*"[٣١٥]. كل هذه الأقوال قيلت للذين يتعرضون للأخطار، فهو يُعلّمهم بألا يعطوا اهتمامًا أكثر للأشياء التي يعتقدون بأنها تحقق منفعة، بل يجب أن يفضلوا عليها الأمور التي هى بحسب الروح. خاصة وأن كثيرًا من تلك الأمور التي تبدو لهؤلاء أنها نافعة تتسبب مرات كثيرة في حدوث خسارة كبيرة. إذًا من الواضح أن الراحة، والتخلص من الأخطار، والحياة في أمان، هى التي يسعى إليها هؤلاء.

والمدهش أنه قد إتضح لهؤلاء أن الأمان ليس في طلب الراحة بالطريقة التي يتصورونها ـ وهذا ما حدث للمطوب بولس نفسه ـ لقد عرف فيما بعد، أن الأمور النافعة هى في تتميم مشيئة الله، وإذ عرف هذا فقد امتثل لهذه المشيئة. وهو الذي تضرع إلى الله ثلاث مرات أن يُخلّصه من الآلام، لكن حين سمع الله يقول: " *تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل*"[٣١٦]، كان يُسَرْ عندما يُطرَد ويُشتَم ويُعَاني من آلام لا تُشفَى ولهذا قال " *أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات* "[٣١٧]. و" *لسنا نعلم ما نصلي لأجله*"، ونصح الجميع بأن يسمحوا للروح القدس أن يُتمم فيهم مشيئة الله. خاصةً وأن الروح القدس يعتني بنا جدًا.

إذن بعدما أعدَّهم بكل الطرق، أضاف ما سبق وقاله لكي يدفعهم إلى أن يكون لهم فكر مستقيم. لأنه " *نحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معًا للخير*

---

[٣١٥] رو٨: ١٨، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦.

[٣١٦] ٢كو١٢: ٩.

[٣١٧] ٢كو١٢: ١٠.

للذين يحبون الله ". لكن عندما يقول "كل" فهو يقصد تلك التي تبدو مؤلمة. لأنه سواء كانت ضيق، أم فقر، أم سجن، أم جوع، أم موت، أم أي شيء آخر يحل بنا، فإن الله قادر أن يحول كل هذا إلى العكس. لأن هذه هى قوته التي لا تُوصف، أى أن يجعل ما كان يبدو ثقيلاً، خفيفًا لأجلنا، ويحوّله لتثبيتنا. ولهذا تحديدًا لم يقل إن الذين يحبون الله لا يُصيبهم شيئًا، بل إنها " تعمل معًا للخير" بمعنى إنه يستخدم هذه الأمور السيئة لمسرة من تُكَاد لهم الدسائس، وهذا ما يُعَد أعظم بكثير من أن يمنع الشرور من أن تأتي، أو أن يمحوها عندما تحدث. هذا ما صنعه في أتون بابل (مع الفتية الثلاثة). لأنه لم يمنع إلقاءهم في الأتون، ولا أطفأ اللهب، عندما أَلقوا بهؤلاء القديسين، بل تركهم يشاهدون المعجزة التي صنعها معهم في هذا الأتون.

وقد صنع معجزات مماثلة مع كل الرسل. فإن كان في مقدور أولئك الذين يسلكون بحكمة، أن يحولوا طبيعة الأمور إلى ما هو عكسها، إلا أنهم فضّلوا أن يعيشوا في فقر، وبهذا صاروا أكثر غنى من الأغنياء، وأكثر بهاءً منهم، رغم أنهم لم ينالوا تقديرًا مناسبًا، هكذا سيصنع الله مع أولئك الذين يحبونه، ليس مثل هذا فقط، بل وأكثر جدًا من هذا. إذًا الأمر يحتاج فقط إلى محبة حقيقية لله، وكل الأمور الأخرى ستتحقق. فتلك الأمور التي تبدو أنها ضارة لهؤلاء، هى في الحقيقة نافعة لهم، أما بالنسبة لأولئك الذين لا يحبون الله، فإن الأمور التي تبدو نافعة لهم، ستكون ضارة. إذًا فقد سبَّب ظهور المعجزات، وأيضًا فلسفة التعليم، واستقامة العقيدة، ضررًا بالنسبة لليهود، فإنهم بسبب هذه المعجزات، زعموا أن الرب يصنعها بقوة الشيطان، بينما كان ينبغي أن يحدث العكس بسبب هذه المعجزات، ولأجل هذه المعجزات شرعوا في أن يقتلوه، أما اللص الذي صُلب معه، والذي سُمّر، وأُهين، وعانى شرورًا كثيرة، فإنه لم يخسر مُطلقًا، بل بالحرى ربح الكثير جدًا.

أرأيت كيف أن كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله؟ إذًا بعدما تكلم عن هذا النعيم الوافر، الذي يفوق الطبيعة الإنسانية بكثير، والذي يبدو للكثيرين أن تحقيقه أمر مستحيل، هذا قد أكد عليه بقوله: " *الذين*

هم *مدعون حسب قصده* ". إذًا انتبه للدعوة التي قيلت. لماذا لم يدعو الجميع من البداية، ولا حتى بولس نفسه قد دعاه مع الآخرين مباشرةً؟ ربما يبدو لك أن هذا التأجيل، كان غير نافع؟ كلاًّ لقد أظهر العكس، من جهة الأمور ذاتها، إن التأجيل كان مفيدًا. لأن الله لا يريد أن يهب كل شيء في الدعوة، فلو حدث هذا، لكان اليونانيون واليهود قد اختلفوا. إذًا لو كانت الدعوة وحدها كافية، فلأى سبب لم يَخلُص الجميع؟ ولهذا يشرح الرسول بولس أن الأمر لا يتعلق بالدعوة فقط، بل أن إرادة أولئك المدعوين كان لها دور في الخلاص. لأن الدعوة لم تكن إجبارية ولا قهرية. فالمؤكد أن الجميع قد دُعيوا، لكن ليس الجميع أطاعوا.

٢ ـ " لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكرًا بين أخوة كثيرين " (رو٨:٢٩).

أرأيت مقدار الكرامة؟ فإن هؤلاء قد صاروا أبناء بالنعمة بواسطة ذاك الذي هو بالطبيعة الابن وحيد الجنس . ولهذا لم يكتفِ بقوله "مشابهين"، لكنه أضاف " ليكون هو بكرًا ". ولم يتوقف عند هذا الحد أيضًا، لكنه أضاف إلى هذا " بين اخوة كثيرين "، لأنه أراد بكل هذا أن يُظهر بوضوح مدى القرابة . كل هذا يجب أن تعتبره أنه قيل بحسب التدبير، فلأنه إله فهو وحيد الجنس. أرأيت مقدار ما وهبنا إياه؟ إذًا يجب ألا تتشكك من جهة خيرات الدهر الآتي، لأنه في موضع آخر قد بيّن عناية الله، إذ يقول إن هذه الأمور قد سبق وقررها الله هكذا. فالبشر يُعبرّون عن آرائهم من خلال الواقع المنظور، أما الله فقد قرر هذه الأمور منذ القديم، ومن البداية كانت هذه هى إرادته من جهتنا.

" والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضًا والذين دعاهم فهؤلاء برّرهم أيضًا " (رو٨:٣٠).

هذا حدث بمعمودية التجديد "*والذين برّرهم فهؤلاء مجدهم أيضًا*". وهذا حدث بالنعمة والتبني.

" فماذا نقول لهذا إن كان الله معنا فمن علينا " (رو٨: ٣١).

وكأنه يقول، لا تحدثني بعد عن الأخطار والمكائد التي تصدر من الجميع، فعلى الرغم من أن البعض يتشكك في أمور الدهر الآتي، إلاّ أنهم لا يستطيعوا أن يقولوا شيئًا فيما يتعلق بالخيرات التي تحققت بالفعل دون نقاش، أي من حيث أن الله منحك البر والمجد من البداية من فرط محبته لك. لأنه بالحقيقة قد منحك إياه، بواسطة الأمور التي تبدو لك مُحزنة. وما تعتقد أنه علامة عار، أى الصليب والجلدات والقيود، صارت هى نفسها سبب بركة وخير لكل المسكونة، تمامًا مثلما حدث بخصوص آلام المسيح، فبالرغم من أنها تبدو كئيبة، إلاّ أنه حوّلها لتُعطي طبيعتنا الحرية والخلاص، هكذا إعتاد أن يصنع بتلك الأمور التي تعانيها، مستخدمًا آلامك من أجل مجدك وسعادتك.

" *إن كان الله معنا فمن علينا* ". وهل هناك من هو ليس ضدنا؟ لأن المسكونة هى ضدنا، والطغاة، والشعوب، والأقارب والساكنون معنا في وطن واحد. لكن هؤلاء الذين هم ضدنا بهذا القدر الكبير، هم أبعد من أن يؤذونا، لأنهم دون أن يقصدوا صاروا هم سببًا لتتويجنا ولخيرات لا تُحصى، طالما أن حكمة الله، تُحوّل هذه المكائد لتصير لخلاصنا ومجدنا. أرأيت كيف أنه لا يوجد أحد ضدنا؟ لأن أيوب أيضًا قد جعل كل ما هو ضده يتحول إلى مجد، أي من حيث أن الشيطان كان قد تسلّح ضده. خاصة عندما حرّض ضده الأصدقاء، والزوجة، والعبيد، وأصيب بجروح، ومصائب أخرى لا تُعَد . ولكن لا شيء على الإطلاق قد دفعه للتذمر. وكل ما حدث لم يُمثّل شيئًا جسيمًا بالنسبة له، على الرغم من أنه كان جسيمًا في حد ذاته بصورة كبيرة، إلاّ أن أيوب كان أعظم، لأن كل شيء انتهى إلى منفعته. فالله كان في جانبه، وما كان يبدو ضدًا له تحول إلى فائدته. وهذا حدث في حالة الرسل، خاصة وأن اليهود والأمم والمعلمين الكذبة، والقادة، والجموع، والمجاعات والفقر، وأمور أخرى عديدة كان من الممكن أن تؤثر على مسيرتهم، لكن لم يتغلب عليهم أي شيء، لأن هذه الآلام هى التي جعلتهم مُشرقين، ومُمجدين، وعظماء أمام الله والناس .

إذن فكَّر فيما قاله الرسول بولس للمؤمنين، الذين هم بالحقيقة مُطوَبين، الأمر الذي لا يملكه حتى الذي يرتدي التاج. لأنه بالنسبة للقديس بولس، كان الكثيرون ضده، من بربر، ومُسلحين، وأعداء يهاجمونه، وحراس متسلطين وقساة عليه، وكان كثيرون من المواطنين يثورون ضده باستمرار، وأمور أخرى لا تُعَد، لكن المؤمن الذي يتبع مشيئة الله بدقة، لا يستطيع إنسان، ولا شيطان، ولا أى شيء آخر، أن يُثيره أو يقلقه. لأنه إن نزعتَ عنه الأموال، فإنك تقدم له أجرًا، ولو أسأت إليه عن طريق شائعات مُشينة، تجعله أكثر بهاءً أمام الله، ولو ألقيته في مجاعة سيكون مُمجدًا بالأكثر وسيكون تعويضه أكثر، ولو سلّمته إلى الموت ـ وهو الأمر الذي يُعد أكثر فزعًا من كل شيء ـ فقد اخترت له إكليل الشهادة.

إذن ماذا يمكن أن يُعادل هذه الحياة، عندما لا يوجد شيء يمكن أن يُسبب لنا ضررًا، بل إن هؤلاء الذين يُعِدون لنا المكائد، هم في الحقيقة يحققون لنا منفعة؟ لا تتكلم عن ما يصنعه معنا الذين يقدمون لنا إحسانًا، ولهذا قال: " *إن كان الله معنا فمن علينا* ".

٣ ـ ثم بعد ذلك لم يكتفِ بكل ما قيل، بالإشارة إلى برهان المحبة العظيمة لنا، الأمر الذي يُكرره فيما بعد، هذا أيضًا يشير إليه هنا، أي يُشير إلى تقديم الابن ذبيحة. لأنه ليس فقط قد برّرنا ومجّدنا وجعلنا مشابهين صورة ابنه، بل إنه لم يشفق على ابنه، وهذا قد تم لأجلنا. ولهذا أضاف قائلاً:

" الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضًا معه كل شيء " (رو٨:٣٢).

وهنا يستخدم الكلمات بروعة وحماس شديدين، لكي يظهر محبة الله. إذن كيف يتركنا الله نحن المحبوبين لديه، وهو الذي لأجلنا لم يُشفق حتى على ابنه، بل سلّمه إلى الموت لأجلنا؟ تأمل مقدار الصلاح الإلهي الذي يظهر في عدم الإشفاق على ابنه، بل ويُسلّمه للموت، ويُسلّمه لأجلنا، نحن الوضعاء، والجاحدين، والأعداء، والمجدفين. "كيف لا يهبنا أيضًا معه كل

شيء"؟ ما يقوله يعني الآتي: إن كان قد وهبنا ابنه، وليس فقط قد وهبنا إياه، بل وسلّمه للذبح، فلماذا تشك في الأمور الأخرى، طالما أنك قد أخذت السيد؟ لماذا تتشكك أو تتحير من جهة ممتلكاته، طالما أن لديك السيد الرب نفسه؟ ذاك الذي أعطى أعظم ما عنده لأعدائه، ألا يعطي الأشياء الأقل لأصدقائه؟

" من سيشتكي على مختاري الله، الله هو الذي يُبرر "؟ (رو٨:٣٣).

هنا الكلام موّجه إلى أولئك الذين يقولون إن الإيمان لا يُفيد مطلقاً، وإلى أولئك الذين يتشككون في حقيقة التبرير. ولاحظ كيف أنه ألجمهم سريعًا عند هذا المقام الذي اختاره لهم، ولم يقل من سيشتكي على عبيد الله، ولا على مؤمني الله، لكن " على مختاري الله " لأن الإختيار هو دليل الفضيلة. إذًا لو أن أحد رياضيّ الفروسية إختار الخيول المناسبة للطريق، فلن يستطع أحد أن يشتكي عليه، فإن إشتكى عليه أحد يصبح مثارًا للسخرية، بالأكثر جدًا عندما يختار الله النفوس، فإن أولئك الذين يشتكون عليهم، هم مثارًا للسخرية.

" من هو الذي يدين المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضًا الذي هو أيضًا عن يمين الله الذي أيضًا يشفع فينا " (رو٨:٣٤).

لم يقل إن الله يغفر الخطايا، بل قال ما هو أكبر بكثير جدًا، أن "*الله هو الذي يُبرر*". لأنه حين يُعلِن القاضي براءة أحد ـ وبالأخص مثل هذا القاضي ـ فأية مصداقية تكون للشاكي؟ وبناء عليه، فليس من الصواب أن نخاف من التجارب، لأن الله هو الذي يقف معنا، وهذا قد أوضحه من خلال كل ما فعله، ولا أن نتردد أمام الهذيان اليهودي، لأن من المؤكد أن الله قد إختارنا وقد برّرنا، والأكثر دهشة، أنه برّرنا بذبح ابنه.

إذن من سيحاكمنا، في الوقت الذي فيه توّجنا الله، وذُبح المسيح لأجلنا، ولم يُذبح فقط، بل أيضًا يشفع فينا؟ المسيح هو الذي مات بل بالحرى قام أيضًا، وهو أيضًا عن يمين الله حيث يشفع فينا، لأنه عاد إلى مقامه، ولم تتوقف رعايته لنا، ولا يزال يحتفظ لنا بنفس المحبة. لأنه لم يكتفِ بالذبح

فقط، بل إنه يقدم نموذجًا أعظم للمحبة، أي أنه لا يصنع فقط ما يريده هو، بل يتشفع لنا من أجل هذا الأمر. هذا ما أراد أن يُعلنه بعبارة أن يتشفع، متحدثًا بطريقة أكثر إنسانية وتسامحًا، لكي يبين محبته. إذ أن عبارة "لم يشفق"، إن لم نفهمها بهذا المعنى، فسيلحق بعدم الفهم معاني غير ملائمة. ولكي تعرف أن هذا هو ما أراد أن يبيّنه، بعدما قال أولاً إنه "عن يمين الله"، أضاف أنه "يشفع فينا"، حين أظهر المساواة في الكرامة، حتى أنه بعبارة "يشفع فينا"، يتضح أن ذلك لا يُعَد دليل نقصان أو تقليل، بقدر ما هو دليل محبة فقط.

لأن ذاك الذي هو الحياة في ذاته، ومصدر كل الخيرات، ومُعطي الحياة، وكل الأمور الأخرى، كيف يكون في احتياج أن يشفع لنا، ولصالحنا؟ إنه يشفع بسلطانه، إذ بينما نحن يائسون ومحكوم علينا، خلّصنا من هذا الحكم، وبرَّرنا، وجعلنا أبناء، وقادنا إلى أعلى درجات الكرامة، وحقق لنا كل ما لم نكن نتوقعه أبدًا، وطالما أنه حقق كل هذا، ورفع الطبيعة الإنسانية إلى العرش الملوكي، هل سيحتاج أن يتوسل، حتى يجعل أمورنا على أبهى وأفضل ما يكون؟ أرأيت كيف يتضح لنا ومن كل الإتجاهات أن عبارة " أن يشفع"، لم يقلها لأي شيء آخر، إلاّ لكي يُظهر محبته الشديدة والغنية لنا؟ بالإضافة إلى ذلك فمن الواضح أن الآب يطلب من البشر أن يتصالحوا معه. " *إذ نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا* "[318]. ولكن على الرغم من أن الله يطلب، وأن بعض الناس هم سفراء عن المسيح، فإننا لا نقصد هنا شيئًا غير مستحق لتلك الكرامة، بل أمرًا واحدًا فقط نجنيه من كل ما قيل، وهو المحبة الكبيرة. هذا إذًا ما ينبغي أن نفعله هنا في هذه الحياة. فإن كان الروح يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها، وأن المسيح مات ويشفع فينا، وأن الآب لم يُشفق على ابنه بسببنا، واختارك وبرَّرك، فلماذا تخاف بعد؟ لماذا ترتعب طالما أنك تتمتع بهذا القدر الكبير من المحبة والعناية ؟!

---

[318] ٢كو٥: ٢٠.

ولهذا، فإنه بعدما أظهر عناية الله الفائقة، يضيف الكلام اللاحق بكل جرأة، ولم يقل إنكم مُجبرون وينبغي أن تحبوه هكذا (كما أحبكم)، بل كمَن صار في الله، كما يتضح من شرحه لهذه العناية غير الموصوفة، إذ يقول:

" من سيفصلنا عن محبة المسيح أشدة أم ضيق أم إضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف كما هو مكتوب إننا من أجلك نمات كل النهار قد حسبنا مثل غنم للذبح " (رو٨:٣٥ـ٣٦).

أما من جهة أنه لم يقل "محبة الله": فهذا أمر طبيعي ويعود له، أن يدعوه المسيح أو أن يدعوه الله. " أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف". انتبه إلى حكمة المطوب بولس. لأنه لم يذكر تلك الأمور التي في حياتنا اليومية، والتي صِرنا لها عبيدًا، أي محبة المال، وشهوة المجد، والغضب، بل أنه ذكر تلك التي هى أكثر ألمًا بكثير من هذه الأمور، والتي هى قادرة أن تُخضع الطبيعة نفسها، ومرات كثيرة تُشتت الذهن، وبدون إرادتنا، وهذا ما يُشير إليه، بالضيقات أي الآلام. لأنه على الرغم من أن ما قيل هو قليل، إلاّ أن كل كلمة هى مكثفة، إذ تحمل مجموعة لا تُحصى من التجارب، لأنه عندما يقول "ضيقة" فهو يقصد سجونًا، وقيودًا، وتشهيرًا، ونفيًا، وكل المتاعب الأخرى، مُشيرًا بكلمة واحدة، إلى كل الآلام الإنسانية بشكل عام . لكنه يحتقر كل هذه الآلام. ولهذا فهو يعرضها بصيغة سؤال، كما لو كانت أمرًا لا اعتراض عليه، لأنه لا يوجد أي شيء يمكن أن يفصل ذاك الذي تمتع بمحبة كبيرة وعناية كبيرة، عن محبة المسيح.

٤ ـ بعد ذلك، ولكي لا يُعتقَد أن هذه الأمور هى دليل على تخلي الله عنا، يضيف إلى ما قاله كلمات النبي الذي يصرخ بهذه الأمور من سنوات طويلة قائلاً: "*من أجلك نُمات اليوم كله. قد حسبنا مثل غنم للذبح*"[٣١٩]. أى أننا مستعدون أن نُعَاني من أجل الجميع. ولكنه أعطى لنا ـ في الأخطار الكثيرة

---

[٣١٩] مز ٤٤:٢٢.

والكبيرة، وهذه الآلام الجديدة ـ عزاءً كافيًا، من خلال الجهاد، أو من الأفضل أن نقول ليس فقط عزاءً كافيًا، بل وأكثر من ذلك بكثير. لأنه يقول إننا لا نُعَاني هذه الأمور من أجل البشر، أو من أجل أي شيء آخر، بل لأجل ملك الجميع. وهو لم يُتوج هؤلاء بهذا التاج فقط، بل بتاج آخر متعدد الأشكال وكثير التنوع. لأنه لم يكن ممكنًا أن يحتملوا ميتات كثيرة طالما أنهم بشر، وهذا يُظهر كيف أن المكافأت لم تصبح أقل أو أصغر على الاطلاق. لأنه وإن كان ـ نظرًا لطبيعتنا ـ قد وضع لنا أن نموت مرة واحدة فقط، فإن الله وضع فينا ـ لو أردنا ـ أن نعاني هذا الموت كل يوم.

وبناءًا على ذلك يتضح أنه حين نُمَات، سننال أكاليلاً كثيرة، بقدر الأيام التي سنحياها، أو من الأفضل القول، إنها أكثر بكثير، لأنه من الممكن أن نُمَات في يوم واحد مرة، ومرتين، ومرات عديدة . إذًا مَنْ هو مستعد على الدوام لهذا، سيأخذ دومًا الأجر كاملاً. هذا من المؤكد ما قصده النبي بقوله: "اليوم كله". ولهذا فإن الرسول بولس قد أشار إليه، لكي يؤكد على ذلك بالأكثر . لأنه إن كان الذين عاشوا في العهد القديم قد نالوا كمكافأة عن أتعابهم، الأمور المادية الأخرى التي تزول مع الحياة الحاضرة، إلاّ أنهم قد احتقروا هذه الحياة جدًا، واحتملوا التجارب والأخطار، فأي غفران سنناله نحن الذين نعتبر أمور هذه الحياة تافهة أو زهيدة بالمقارنة بالسماء والملكوت، وما في السماء والخيرات المدخرة، ونحن لم نصل إلى مستوى الذين عاشوا في العهد القديم، ولا حتى بالنسبة لهذا المقياس، ولا أيضًا وفقًا للتدبير الذي عاشوا به طوال حياتهم . وهو لم يذكر ذلك تاركًا إياه لضمير المستمعين، واكتفى فقط بالشهادة، وأظهر أن أجسادهم أيضًا تصير ذبيحة، وأنه لا ينبغي أن يقلقوا، ولا أن يضطربوا، طالما أن الله قد دبَّر الأمور على هذا النحو. لكنه يعظهم بطريقة أخرى. ولكي لا يقول أحد، إنه فقط يُفلسف هذه الأمور دون أن يختبرها، أضاف:

" *قد حسبنا مثل غنم للذبح* "، مُشيرًا إلى ميتات الرسل اليومية. أرأيت مقدار النُبل والرأفة؟ لأنه كما أن الخراف لا تقاوم عندما تُقاد للذبح، هكذا نحن أيضًا.

لكن لأن الضعف يُعتَبر سمة النفس الإنسانية، ورغم كل هذه التجارب المخيفة، انظر كيف أنه مرة أخرى يُشدد المستمع، ويجعله يشعر بالسمو والافتخار، قائلاً:

" ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا " (رو٨:٣٧).

الأمر الأكثر دهشة إذًا، هو أننا لم ننتصر فحسب، بل أننا انتصرنا أيضًا مع وجود مكائد أو دسائس ضدنا. وليس فقط انتصرنا بل "ويعظم انتصارنا" أي بكل سهولة وبدون جهد ومتاعب، أو تُحمّل للصعاب، إذ هو يقوم بإعداد الإرادة، وهكذا في كل مكان نقيم نصبًا تذكاريًا للإنتصار ضد الأعداء. وهذا مبرر جدًا، لأن الله هو ذاك الذي يدعمنا . إذًا لا نتشكك في أن التعذيب الذي يقع علينا، يقودنا إلى الانتصار على أولئك الذين يعذبوننا، وأنه عندما نُضطَهد، فإننا نتغلب على مُضطَهدينا، وعندما نموت نحوّل الأحياء ونغيّرهم . لأنه في حضور قوة الله ومحبته، لا شيء يمكن أن يعيق تحقيق الأمور العجيبة والمدهشة، ولا يوجد ما يعطل إشراق الانتصار كما سبق وأشرنا . لأننا لا ننتصر فقط، بل ننتصر بطريقة عجيبة، لكي يُعلّم الذين يفكرون بالشر، أن الحرب لم تكن ضد بشر بل كانت ضد تلك القوة التي لا تُهزم.

لاحظ إذًا أن اليهود كانوا في مواجهة اثنين من المنتصرين، وتحيَّروا وقالوا: " *ماذا نفعل بهذين الرجلين* "[٣٢٠]. الأمر الأكثر دهشة هو أنه على الرغم من أنهم كانوا يحتجزونهم، ويعتبرونهم مذنبين، وسجنوهم وضربوهم، تحيَّروا وصاروا مرتبكين، وانهزموا بهذه الأمور ذاتها، والتي توقعوا أنهم سينتصرون بها . فلا الطغاة، ولا جموع من البشر، ولا كتيبة شياطين، ولا الشيطان نفسه، استطاع أن يهزم هؤلاء القديسين، بل ومع

---

[٣٢٠] أع٤:١٦.

كل هذه القوة المضادة، فقد هزموا الجميع، رغم كل ما ابتدعوا من وسائل، بل صارت كلها ضدهم. ولهذا قال: "يعظم انتصارنا". لأن قانون هذا الانتصار كان جديدًا في أن ينتصروا بالأمور المضادة، وألا يُهزموا أبدًا، بل كما لو كانوا هم المتحكمون في النهاية، وهكذا يسلكون في هذا الجهاد.

٥ـ " فإني مُتيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا " (رو٨:٣٨ـ٣٩).

هذا الكلام عظيم، ولكننا لم نعرفه ولم نختبره بشكل كامل، لأنه ليس لدينا كل هذا الحب الكبير. فعلى الرغم من أنه كلام عظيم ورائع، إلاّ أنه أراد أن يُبرهن على أنه لا يوجد شيئًا يُقارَن بالمحبة، أى محبة الله له، وبعدما أشار إلى هذه المحبة، أشار عندئذٍ إلى محبته هو، حتى لا يظهر أنه يقول كلامًا مهمًا عن نفسه . وما يقوله يعني الآتي: ما هى الحاجة لأن أتكلم عن أمور الحياة الحاضرة والمآسي المرتبطة بهذه الحياة؟ لأنه حتى وإن تكلم المرء بعد عن أمور الدهر الآتي، وعن حقائق وقوات، أى حقائق مؤكدة مثل الموت والحياة، وقوات مثل الملائكة ورؤساء الملائكة، وكل الخليقة السمائية، هذه الأمور كلها بالنسبة لي هى صغيرة، مقارنة بمحبة المسيح. وحتى لو وعَدَني أحد بحياة لا تنتهي أو هدَّدني بالموت، لكي يُبعدني عن المسيح، فإنني سأواجه هذا التهديد.

ولماذا يجب أن أُشير إلى ملوك الأرض، والنبلاء، وإلى هذا وذاك؟ فحتى وإن حدثتني عن الملائكة، وكل القوات السمائية وكل الكائنات، وكل ما يتصل بالدهر الآتي، كل هذا بالنسبة لي هو أمر قليل الأهمية، كل ما يوجد على الأرض، وكل ما هو في السموات، وما تحت الأرض، وما فوق السموات، إذا ما قورن بالمحبة، فهو كلا شيء.

ثم بعد ذلك، وكما لو كان هذا لم يكفِ ليُعبّر عن شوقه، بل إن هناك أمور أخرى كثيرة أيضًا، يعتبرها مثالاً، بقوله: " ولا خليقة أخرى ". وما يقوله هنا يعني: أنه لو وُجدت خليقة أخرى أيًا كان قدرها، سوى كانت مرئية أم

غير مرئية، فلا شيء يمكن أن يفصلني عن محبة المسيح . وقد قال هذا، لا لأن الملائكة أو القوات الأخرى، يسعون نحو هذا (أي ينفصلوا عن المسيح)، حاشا، لقد أراد فقط أن يُظهر محبته الكبيرة للمسيح بشكل لا يمكن وصفه. لأنه لم يُحِب المسيح من أجل تلك الأمور التي أظهرها المسيح، بل أنه من أجل محبته للمسيح، أحب كل ما له، والذي كان يخشاه فقط هو أن يفقد محبته له، لأن هذا بالنسبة له كان يُمثل أمرًا أكثر فزعًا من جهنم، لذا فإن مسألة بقائه في هذه المحبة، هو أمرًا أكثر شوقًا ورغبة، من شوقه لنوال ملكوت السموات.

٦ ـ إذن كيف نكون مستحقين لذلك، فإذا كان الرسول بولس لا يشتهي حتى تلك الأمور التي توجد في السموات، أمام محبته للمسيح وشوقه إليه، بينما نحن نُفضّل تلك التي توجد في القذارة والطين بدلاً من محبتنا للمسيح؟ وقد قَبِل أيضًا، أن يُلقيَ في جهنم ويخسر الملكوت من أجل محبته للمسيح، وإن كان من المؤكد أن هاتين الاثنتين (الحياة الحاضرة والحياة السماوية) كانتا أمامه، بينما نحن لم نحتقر ولا حتى الحياة الحاضرة، تُرى هل نستحق نحن أن نحذو حذو الرسول بولس، أي نسلك نفس الطريق، طالما أننا بعيدون جدًا عن افتخاره العظيم بمحبة المسيح؟ لأن ذاك لم يعتبر ولا حتى ملكوت السموات أمرًا له قيمة، أمام محبة المسيح، بينما نحن نزدرى بالمسيح، على الرغم من أننا نتكلم كثيرًا عنه. ويا ليتنا نظل نتكلم عنه، فحتى هذا لم يَعُد يحدث الآن، بل على الرغم من أن الملكوت أمامنا، إلاّ أننا نتركه ونُلاحق الظلال والأحلام كل يوم. ولكن لأن الله مُحب للبشر، ومتراءف جدًا، صنع معنا نفس ما يفعله أب يحب ابنه، وإن كان هذا قد سبّب له ألمًا لأجل إستمرار الشركة معه، وقد نظرا إلى هذه الشركة بشكل مختلف. إذًا لأننا لا نملك تلك المحبة التي ينبغي أن تكون نحوه، قدّم لنا أمورًا أخرى كثيرة، حتى يحفظنا بالقرب منه، ولكننا لم نبق قريبين رغم كل ما فعله الله معنا، لكننا عدنا إلى الأمور الطفولية.

لكن الرسول بولس لم يفعل ذلك، بل كابن مهذب، وحر، ومُحب لأبيه يطلب شركة أبيه فقط، ولا يتكلم كثيرًا عن أى شيء آخر، لأن الإكرام

الذي يعطيه للآب، لا يعطيه للأشياء التي له، بل وعندما يتطلع إلى الآب، لا يهتم مطلقًا بهذه الأشياء، لكنه يُفضل أن يكون معه فقط، حتى وإن عُذب وعُوقِب، على أن يقضي أوقاتًا مُرفهة بعيدًا عنه. فلنرتعد إذًا لأننا ولا حتى المال نحتقره من أجل المسيح، بل نقول إننا لا نحتقر المال، حتى من أجل أنفسنا. القديس بولس الوحيد الذي كابد بحق كل الآلام من أجل المسيح، لا لأجل الملكوت، ولا لأجل كرامته، بل من أجل محبته للمسيح فقط. لكننا لا يُمكننا أن ننفصل عن الأمور الحياتية، والأشياء المرتبطة بها لأجل المسيح، بل نُسحَب منجذبين إلى الطين مثل الحيات، والثعابين، والخنازير، أو مثل كل هذه كلها معًا. فهل نحن أفضل من تلك الحيوانات من أى جهة، نحن الذين لدينا هذا القدر الكثير والكبير من النماذج المبهرة التي عاشت للمسيح، ولازلنا ننظر بعد إلى أسفل، ولا نحتمل أن نتطلع قليلاً نحو السماء؟ والله قد سلَّم ابنه للموت، ذاك الذي ذُبح لأجلك، وأنت لا تعطيه حتى الخبز. الله لم يُشفق عليه لأجلك، وأنت تزدري بمن هو ابن حقيقي، على الرغم من أنه يتضور جوعًا، بينما أنت تنفق على ذاتك من عطاياه.

هل يمكن أن يوجد أسوأ من هذه المخالفة؟ فقد سُلّم للموت لأجلك، ذُبح لأجلك، وجال جائعًا من أجلك، وأعطى لك مما له، لكي تنتفع أنت ذاتك، ومع كل هذا فأنت لا تعطى شيئًا . مَنْ هم هؤلاء الذين فقدوا الحس كأنهم أحجار، الذين على الرغم من الإحسانات الكثيرة التي تجذبهم إلى محبة المسيح، إلاّ أنهم لا يزالون في هذه الجفوة أو القسوة الشيطانية؟ لأنه لم يكتفِ بموته وصلبه فقط، بل إنه قَبِل أن يصير فقيرًا، وغريبًا، ومشردًا، وعريانًا، ومسجونًا، ويحتمل الآلام، لكي يجذبك إليه، حتى ولو بهذه الطريقة. لأنه ـ هكذا يقول ـ إن لم تبادلني الإمتنان لما صنعته من أجلك ـ لأني عانيت الكثير لأجلك ـ فلتصنع معي رحمة بسبب فقري (أي الرحمة لمن هم في احتياج). وإن لم تُرِد أن ترحمنى لأجل احتياجي أو فقري، فلتتحرك مشاعرك لأجل آلامي، ترفّق بي لأجل سجني. وإن لم يجعلك كل هذا مُحبًا للناس، اقبل المطلب الزهيد. لأنني لا أطلب شيئًا كثير النفقات، إني أطلب

خبزًا، ومسكنًا، وكلمة مُعزّية. لكن إن كنت بعد كل هذا لا تزال قاسيًا، فعلى الأقل لأجل ملكوت السموات يجب أن تكون أفضل، ولو لأجل المجازاة التي وُعِدتَ بها. فهل لديك كلمة تقولها عن هذه الأمور؟ ليتك تترفق على الأقل أمام الطبيعة البشرية ذاتها، لأنك تراني عريانًا، وتذكّر ذلك العري الذي حدث فوق الصليب من أجلك . وإن كنت لا تريد أن تتذكر ذلك، فعلى الأقل تذكّر عريَّ في الفقراء. سُجنت لأجلك من قبل، والآن أُسجن لأجلك حتى تتحرك، سواء هنا أو هناك لكي تصنع رحمة ما.

صُمتُ لأجلك، وأيضًا أجوع لأجلك. عطشت عندما عُلقت على الصليب، وأعطش في الفقراء، حتى أنه بواسطة هذه وتلك، أجذبك إليّ، وأجعلك محبًا للناس من أجل خلاصك. ولهذا فعلى الرغم من أنك مدين لي لأجل إحسانات لا تُحصى (قدمتها لك)، إلاّ أنني لا أطلب منك مكافأة كمَن هو مديون لي، بل أنني أتوّجك كما لو كنت تمنحني، وأهبك الملكوت عوضًا عن هذه الأمور الصغيرة. فأنا لا أطلب منك أن تجعلني غنيًا، على الرغم من أنني صرت فقيرًا لأجلك، بل سدَّد فقط احتياجي. إنني أطلب فقط خبزًا، وملبسًا، وتخفيفًا للجوع . وإن كنت بعد قد أُلقيت في السجن، فإني لا أطلب أن تحل القيود وتخرجني خارجًا، بل أطلب شيئًا واحد، أن تراني وأنا مقيد لأجلك، وهكذا ستنال ملكوت السموات على الرغم من أنني قد حللتك من قيود مرعبة جدًا، بل هى مرعبة أكثر من غيرها، إلاّ أنه يكفيني فقط أن تراني مُقيدًا، إني أستطيع أن أتوجك دون أن تراني هكذا، لكني أُريد أن أكون مديونًا لك. ومن أجل هذا، وبرغم من أنني أستطيع أن أُطعم نفسي، فإنني أجول متسولاً وأقف أمام بابك مادًا يدي، لأني أشتهي أن تطعمني، فأنا أحبك جدًا. ولهذا فإنني أشتهي مائدتك، وهذا هو حال الذين يُحبون، وهم يفتخرون بهذا. وحين يجتمع سكان المسكونة (يوم الدينونة)، عندئذٍ سأعترف بك كمنتصر، وعندما يكون الجميع مُنصتين إليّ، سأعترف بك لأنك أطعمتني.

أما نحن، فعندما يُطعمنا أحد، نخجل من هذا ونُخفيه، ولكن المسيح له المجد، لأنه يُحبنا جدًا، فحتى لو صمتنا نحن، فإنه سيعلن في ذلك الوقت ما

حدث بإطراء كبير، ولن يخجل أن يتكلم به، أي عندما كان عريانًا وكسوناه، وعندما كان جوعانًا وأطعمناه. إذًا ونحن نفكر في كل هذا، ينبغي ليس فقط، ألا نتوقف عن المديح، بل يجب أن نمارس تلك الأمور التي قيلت . لأنه ما هى المنفعة من وراء هذا الطنين وهذه الضوضاء؟ شيء واحد فقط أريده منكم، هو إثبات المحبة بالأعمال، والطاعة بالأفعال، هذا هو المديح الذي أقدمه، فإن ذلك يعد ربحًا لكم، ويعتبر بالنسبة لي كرامة تعلو على كرامة الإكليل. إذًا انسجوا لكم ولي هذا الاكليل بواسطة الفقراء، حتى نتغذى معًا بالرجاء الصالح، وعندما نرحل إلى الحياة الأبدية، سننال الخيرات التي لا تُحصى، والتي ننتظر أن ننالها جميعًا، بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة إلى أبد الأبدين آمين.

+++++++

الأصحاح التاسع

الإصحاح التاسع

العظة السابعة عشر:

" أقول الصدق في المسيح. لا أكذب وضميري شاهد لي بالروح القدس " (رو٩:١).

١ ـ هل كان كلامي غير واضح، حين كلمتكم في اليوم السابق عن أمور عظيمة ليست أرضية بل سمائية تتعلق بمحبة الرسول بولس للمسيح؟ وإن كانت الكلمات التي ينطق بها القديس بولس هي ـ بحسب طبيعتها ـ أعظم وأسمى من كل الكلمات المعتادة، إلاّ أن ما قيل اليوم يفوق بكثير ما قيل سابقًا، بقدر ما تتميز به تلك الكلمات على كلماتنا. وإن كنت لم أتصور أن هذه الكلمات التي قُرأت أكثر تميّزًا، ولكن عندما سمعناها اليوم، ظهرت أكثر بهاء من كل الكلمات السابقة. وهذا بالضبط ما اعترف به الرسول بولس نفسه، فقد أشار إليه منذ البداية. لأنه كان ينوي الحديث عن الأمور الأعظم، إذ أن ما يريد قوله، قد لا يكون موضع تصديق من كثيرين. أولاً فهو يؤكد على ما يريد قوله، الأمر الذي اعتاد أن يصنعه البعض، عندما يقولون شيئًا لا يكون موضع تصديق من الكثيرين، لكنه كان مقتنعًا به جدًا، خاصةً وأنه يقول:

" إن لي حزنًا عظيمًا ووجعًا في قلبي لا ينقطع. فإني كنت أود لو أكون انا نفسي محرومًا من المسيح لأجل أخوتي أنسبائي حسب الجسد " (رو٩:٢ـ٣).

ماذا تقول يا بولس؟ هل المسيح الذي لم يفصلك عنه شيء، لا ملكوت السموات، ولا جهنم، ولا الأشياء المرئية، ولا غير المرئية، الآن تودّ أن تكون محرومًا منه؟ ماذا جرى؟ هل تغيّرت وألغيت تلك المحبة؟ يُجيبك بالنفي، ويقول لا تخف، بل محبتي له قد أصبحت أكثر قوة. إذًا كيف تود أن تكون محرومًا، وتطلب التغرب والإنفصال عن ذاك الذي ليس له مثيل ولا يمكننا أن ننفصل عنه؟

يُجيبنا بقوله، لأنني أحبه كثيرًا جدًا. أخبرني كيف وبأي طريقة؟ بالحقيقة، هنا يوجد لغز. لكن من الأفضل، **إن أردنا معرفة ذلك، علينا أن**

نعرف أولاً ماذا تعني كلمة محروم، وحينئذٍ لنسأله عن هذه الرغبة، وسنعرف معنى هذه المحبة غير الموصوفة والعجيبة. ما هو معنى الحرمان؟ اسمع ما يقوله " إن كان أحد لا يُحب الرب يسوع المسيح فليكن أناثيما (محرومًا) "[٣٢١]. أى لينفصل عن الجميع، وليكن غريبًا عن الكل. تمامًا مثلما لا يجرؤ أحد أن يلمس بيديه النذير المخصص لله، ولا أن يقترب منه، هكذا ذاك الذي ينفصل عن الكنيسة، فهو يدعوه بهذا الاسم محرومًا لكي يفصله عن الجميع، ويبعده بعيدًا جدًا، وبالعكس، يحث الجميع بخوف شديد، على الإنفصال والابتعاد عنه. لأن النذير من جهة الإكرام لا يجرؤ أحد أن يلمسه، بينما العكس هو الذي يحدث هنا، إذ ينفصل الجميع عن ذاك الذي قُطع من الكنيسة.

وبناءً عليه، فالإنفصال هو واحد، ومتشابه، وهذا وذاك قد إنفصل عن الكثيرين، لكن طريقة الإنفصال ليست واحدة، بل هما مختلفان. فهو قد ابتعد عن واحد، لأنه مُخصص لله، وإنفصل عن الآخر لأنه تغرّب عن الله وقُطع من الكنيسة. إذًا ولكي يعلن بولس هذا، قال: " *كنت أود لو أكون أنا نفسي محرومًا من المسيح* ". ولم يقل كنت أريد، بل مشددًا على هذه الرغبة، يقول "كنت أود". لكن إن كان ما قيل يُسبب لك إزعاجًا، إذ ربما تكون ضعيفًا، فيجب ألا تفكر في هذا الأمر فقط، أى أنه أراد أن ينفصل عن المسيح، بل فكّر في السبب الذي من أجله أراد أن ينفصل، عندئذٍ ستفهم محبته الفائقة. فهو قد مارس الختان، وكان علينا أن ننتبه إلى الرغبة والسبب في هذه الممارسة، حينئذٍ سنعجب به أكثر. أيضًا لم يمارس الختان فقط، بل حلق رأسه، وقدم ذبيحة، ومع هذا لم نقل أنه يهودي، بل من أجل هذا تحديدًا وعلى وجه الخصوص نقول إنه تحرّر من اليهودية، وأنه خادم نقي وحقيقي للمسيح.

هكذا مثلما تراه وهو يُختتن ويذبح، فلا تحكم عليه لهذا السبب أنه متهود، بل لأجل هذا السبب على وجه الخصوص تكرمه وتكلّله، كما لو

---

[٣٢١] ١كو١٦: ٢٢.

كان غريبًا عن التهود. هكذا عندما تراه وهو يود أن يكون محرومًا، لا تنزعج من أجل هذا، بل من أجل هذا تحديدًا وبصفة خاصة، يجب أن تعترف به منتصرًا، طالما أنك عرفت السبب، الذي من أجله أراد هذا الأمر. لأنه إن لم نفحص الأسباب، ستقول عن إيليا أنه كان قاتلاً للناس، وعن ابرآم أنه ليس فقط قاتلاً للناس، بل قاتلاً لابنه، بل وفينحاس وبطرس، سنتهمهما بالقتل أيضًا. وليس فقط من جهة القديسين، بل من جهة إله الكل، فإن الذي لا يحفظ هذا المنهج[٣٢٢]، سيتشكك فيه، بسبب أمور كثيرة هى ليست موضع حديثنا الآن. إذًا لكي لا يحدث هذا في كل الأمور المشابهة انظر إلى **السبب، والرغبة، والزمن**، وكل ما يُبرر الأمور التي تحدث لنفحص الأمور على هذا النحو. هذا ما ينبغي أن نصنعه نحن الآن تجاه هذه النفس الطوباوية.

٢ ـ إذًا ما هو السبب؟ لنرجع إلى يسوع، موضع حب الرسول بولس. "كنت أود"، يقول: "*لو أكون أنا نفسي محرومًا من المسيح لأجل اخوتي أنسبائي حسب الجسد*". وهذا دليل على تواضعه، **لأنه لا يريد أن يبدو، وكأنه قادر على التحدث عن عظائم، بل هو يعترف بهذه القدرة للمسيح**. ولهذا قال "اخوتي أنسبائي"، لكي لا يظهر تميّزه. بل من أجل محبته للمسيح لم يُرِد أى شيء، اسمع، فإنه بعدما قال "اخوتي أنسبائي" أضاف:

" الذين هم إسرائيليون لهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد. ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهًا مباركًا إلى الأبد آمين " (رو٩:٤ـ٥).

وما معنى هذا؟ لأنه لو أراد أن يصير محرومًا، لكي يؤمن آخرون، كان يجب أن يطلب هذا الإيمان للأمم أيضًا، ولكن إن كان يريد ذلك لليهود فقط، فهو بهذا يُظهر أنه ليس المسيح هو السبب في ذلك، بل إن السبب يعود في المقام الأول لقرابته لليهود. أما إذا كان يود أن يكون محرومًا من المسيح من أجل الأمم، ما كان ليُظهر هذا الأمر نفسه[٣٢٣]. ولكن نظرًا لأنه تمنى ذلك لليهود فقط، فهو يُبرهن بوضوح كيف أنه يهتم بإظهار مجد المسيح.

---

[٣٢٢] يقصد بكلمة المنهج: المبدأ الذي تكلم عنه في ضرورة البحث عن السبب قبل الحكم على الأمور.

[٣٢٣] أى بقوله: " الذين لهم التبني والمجد والعهود .. ".

وأنا أعرف أن هذا الكلام يبدو لكم غريبًا، لكن لكي لا تنزعجوا سأحاول سريعًا أن أجعله أكثر وضوحًا. لأنه لم يقل ما قاله ـ هكذا مصادفة ـ لكن لأن الجميع تكلموا واشتكوا على الله، أنه على الرغم من أنهم كُرّموا بأن دُعوا أبناء الله، وأخذوا الناموس، وعرفوا الله قبل جميع البشر، وقبلوا المواعيد، وكانوا آباء لأسباطهم، والأهم من كل هذا، على الرغم من أنهم كانوا أسلافًا للمسيح ـ لأن هذا هو معنى "ومنهم المسيح حسب الجسد" ـ إلاّ أنهم اضطهدوا المؤمنين وأهانوهم، وحل محلهم أُناس لم يعرفوا الله أبدًا، أى أولئك الذين أتوا من الأمم. لقد جدّفوا على الله، وعندما سمع بولس هذا، حَزِن وتألم بسبب أن مجد الله لم يُستعلن، لذلك تمنّى أن يكون محرومًا، وإن كان ممكنًا، أن يُخلّص هؤلاء المقاومين، بأن يوقف تجديفهم، لكي لا يظهر أن الله خدع أجيالاً كثيرة، قد وعدها بالهبات أو العطايا.

ولكي تعرف أنه كان يود أن يكون محرومًا من المسيح لأجل إخوته، **لأنه عانى من أجل أن يبرهن لهم أن وعد الله الذي أُعطى لابرام: "*لك ولنسلك أعطي هذه الأرض* "[٣٢٤]، لم يكن وعدًا كاذبًا، أضاف:**

" ولكن ليس هكذا حتى إن كلمة الله قد سقطت " (رو٩:٦).

يُبيّن هنا أنه ظل صابرًا على كل هذا، من أجل كلمة الله، أى من أجل الوعد الذي أُعطى لابرام من أجل اعلان مجد الله. تمامًا كما أن موسى قد ظهر أنه تشفع لأجل اليهود، ولكنه كان قد فعل كل شيء لأجل إعلان مجد الله. كما يقول الكتاب: "*لئلا تقول الأرض التي أخرجتنا منها لأجل أن الرب لم يقدر أن يدخلهم الأرض التي كلمهم عنها .. أخرجهم لكي يُميتهم في البرية* "[٣٢٥]. **هكذا الرسول بولس أيضًا، لكي لا يقولوا: لقد ثبت أن وعد الله كاذب، وأنه تكلم بالكذب عن تلك الأمور التي وعد بها، وأن كلام الله لم يتحقق، لذلك أراد أن يكون محرومًا. ولهذا تحديدًا، لم يقل**

[٣٢٤] تك١٢:٧.

[٣٢٥] تث٩:٢٨.

من أجل الأمم، طالما أن الله لم يَعِد الأمم بأي شيء، ولا قدموا له الخدمة، ولهذا لم يُجدّفوا عليه، **ومن أجل هذا هو تمنّى أن يكون محرومًا من أجل اليهود الذين أخذوا الوعد، وأيضًا الذين كان لهم علاقة معه قبل الآخرين.**

إذن لو أنه تمنَّى هذا لأجل الأمم، ما كان ليظهر بهذا الوضوح، أنه صنع هذا لأجل إعلان مجد المسيح. لكن لأنه أراد أن يكون محرومًا لأجل اليهود، يتضح عندئذٍ وبصفة خاصة أنه تمنَّى هذا فقط لأجل المسيح. ولهذا قال: "*ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد*". لأن الناموس الذي تحدث عن المسيح قد أُعلن بواسطة اليهود، كما أن كل العهود تمت مع هذا الشعب، والمسيح نفسه أتى منهم، إضافة إلى أن جميع الآباء الذين نالوا المواعيد هم من اليهود. ولكن حدث العكس وفقدوا كل النعم، **وهكذا فإني أود أن أُقطع، وإن كان ممكنًا أن أنفصل عن جماعة المسيح وأتغرب. لكن دون أن أتغرب عن محبة المسيح، فحاشا لي أن أفعل هذا طالما أن ما أفعله، هو بسبب المحبة، بل أنني سأقبل أن أتغرب عن هذا التمتع، وهذا المجد، حتى لا يُجدف على إلهي، وحتى لا يقول البعض إن الأمور انتهت كما تنتهي مشاهد مسرحية عادية.** والحقيقة أنه وعد الجميع وأعطى الجميع، آتى من آخرين، وأُعطيَ لآخرين. وعد أجيال اليهود، وهجر أحفادهم، وقاد أولئك الذين لم يعرفوه قط، إلى الصلاح والنعم.

هؤلاء اليهود، تعبوا في دراسة الناموس، وقرأوا النبوات، بينما الأمم، الذين عادوا بالأمس من عبادة الأوثان، صاروا أفضل منهم.

وحتى لا يقولوا هذه الأمور عن إلهي ـ هكذا يقول الرسول بولس ـ على الرغم من أنهم يتكلمون بالظلم، فإنني مستعد بكل ارتياح أن أفقد الملكوت، بالإضافة إلى هذا المجد الذي لا يُعبر عنه، وأن أتحمل كل الأمور المؤلمة، **لأنني أعتبر أن التعزية التي هى أعظم من كل شيء، تكمن في ألا أسمع بعد أى كلام تجديف على ذاك الذي أحبه للغاية (أي يسوع المسيح).** ولكن إذا كنت لم تقتنع بكلامي، فكّر في أن كثيرين من الآباء، قبلوا هذا (أي هذه المحبة)، من أجل أبنائهم، وفضّلوا أن ينفصلوا عن هذه الأمور،

وبالأكثر وهم يرونهم يتقدمون، لأنهم اعتقدوا أن تقدمهم يُسبّب سعادة أكثر، من مرافقتهم . لكن نظرًا لأننا بعيدين جدًا عن هذه المحبة، فإننا لا نستطيع أن نفهم ولا حتى هذا الذي قيل . فإن البعض لا يستحقون أن يسمعوا ولا حتى اسم بولس، وهم بعيدون جدًا عن غيرته الشديدة، حتى أنهم يعتقدون أنه يقصد بكلامه، الموت الزمني، فهؤلاء أستطيع أن أقول عنهم، إنهم يجهلون رسالة بولس بشدة، تمامًا بقدر ما يجهل العميان أشعة الشمس، أو من الأفضل أن نقول، بل وأكثر من هذا.

لأن الرسول بولس، الذي كان يُمات كل النهار، والذي تعرض لأخطار كثيرة، وقال: " *من سيفصلنا عن محبة المسيح. أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع*"[٣٢٦]، ولم يكتفِ بهذا، لكنه عبر فوق السماء، وسماء السموات، وفاق ملائكة، ورؤساء ملائكة، وكل السموات، وأدرك وفهم الأمور المستقبلية والأمور الحاضرة، الأمور المنظورة وغير المنظورة، المحزنة والمفرحة، وكل الأمور التي تنتمي إلى الاثنين ـ الأرضي والسمائي ـ ولم يترك أى شيء، وعلى الرغم من كل هذا، لم يشعر بالشبع، حتى أنه افترض وجود كون آخر كبير. كيف يمكن بعد كل هذا أن يُشير إلى الموت الزمني، كأنه تحدث عن شيء خطير؟ إن الأمر ليس هكذا في الحقيقة، بل أن هذا الموت يحدث حتى للحشرات التي تعيش في الطين. إذًا لو أنه كان يقصد هذا، كيف تمنّى أن يكون هو نفسه محرومًا من المسيح؟ فإن مثل هذا الموت (الجسدي) هو الذي سوف يضمه بالحري إلى من يحيون في المسيح، ويجعله يتمتع بهذا المجد.

لكن بالتأكيد هناك البعض ممن يتجرأوا على الحديث عن أمور أخرى أكثر سخرية من هذه، فيقولون إنه لا يقصد بحرمانه من المسيح، أن يموت، بل هل يشتاق أن يعيش حياة عظيمة، وتكون مكرّسة للمسيح، أما الذين يتمنون الموت الجسدي فهم البائسين الذين لا قيمة لهم بالمرة. لكن كيف يرغب في أن يكون محرومًا من أجل اخوته وأنسبائه؟ إذًا بعدما نترك كلام

---

[٣٢٦] رو٨:٣٥.

الخرافات، والهذيان، لأنه لا يستحق أن نفند هذا الكلام ونواجهه، تمامًا كما أنه لا يستحق أن نواجه حديث الأطفال الذين يتلعثمون، لنعد مرة أخرى إلى هذه العبارة (أي أن يكون محرومًا)، مُتمتعين ببحر محبته، وفي كل مكان نُكرّمه ونُوقّره من أجل محبته، وندرك لهيب المحبة الذي لا يُعبر عنه. أو من الأفضل أن نقول إنه مهما قال المرء عن هذه المحبة، فإنه لا يقول شيئًا ذا قيمة. لأن هذه المحبة هى أكثر إتساعًا من كل بحر، وأكثر توهجًا من كل لهب، ولا يوجد كلام يمكن أن يوفها حقها كما ينبغي، أما هو نفسه، الذي اكتسبها بصورة كاملة وتامة، فهو وحده الذي يعرفها.

٣ ـ إذن لنتقدم، ونأتي إلى كلامه مرة أخرى، هذا الكلام: " *فإني كنت أود لو أكون أنا نفسي محرومًا* ". ماذا تعني عبارة "أنا نفسي"؟ تعني الذي صار معلّمًا للجميع، وحقق إنجازات لا حصر لها، وينتظر أكاليلاً لا تُعَد، ومن أحب المسيح، حتى أنه فضّل محبته عن كل شيء، ومَن كان يحترق كل يوم من أجله، والذي كان يعتبر أن كل شيء يأتي في المرتبة الثانية بعد محبته للمسيح. لأنه لم يَنعَم بمحبة المسيح له فقط، ولكن أراد هو نفسه أن تكون محبته للمسيح أسمى وأعلى من كل شيء . وخاصةً أن هذه المحبة كانت هدفه. ولهذا تحديدًا كان يتطلع نحو المسيح فقط، وقَبل أن يعاني كل الآلام، بكل رضا وسهولة، لأنه كان يهدف لشيء واحد فقط، أن يُسّر بهذا الحب الممتع . وبالتأكيد هو يتمنّى هذا، لكن لأنه لا يريد أن يحدث هذا الأمر، أي أنه لا يريد أن يكون محرومًا، يحاول فيما بعد أن يصدّ الإتهامات، ويُشير في حديثه إلى كلمات الهذيان التي يتكلم بها البعض، لكي ينقضها، وقبل أن يعرض دفاعه الواضح ضد هؤلاء، كان قد وضع أساس هذا الدفاع . لأنه حين يقول: " *الذين .. لهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد* " فهو لا يقول شيئًا آخرًا، سوى أن الله أراد الخلاص لهؤلاء، وأوضح هذا من خلال كل ما صنعه قبلاً، وبأن المسيح قد جاء منهم، وبكل ما وعد به آباءهم. إلاّ أنهم ردّوا الإحسان، بالجحود.

ولذلك فإنه يذكر فقط ما يعتبر دليلاً على عطية الله، ولا يمتدح هؤلاء، لأن التبني هو نتيجة لنعمته، وهكذا المجد والعهود والاشتراع. وبعدما أدرك كل هذا تمامًا، وبعدما فكّر كيف أن الآب والابن قد اهتما بخلاص هؤلاء، صرخ بقوة قائلاً: " *إلهًا مباركًا إلى الأبد أمين* "، رافعًا هو نفسه الشكر - من أجل كل شيء - إلى ابن الله الوحيد الجنس. وكأن الرسول بولس يقول، حتى لو أن الآخرين كانوا يُجدفون، لكن نحن الذين نعرف أسراره، والحكمة التي لا يُعبَر عنها، والعناية الكبيرة، ندرك جيدًا، أنه لا يليق به التجديف، بل يستحق كل المجد. ويحاول الرسول بولس بعد ذلك بدون أن يكتفي بما في ضميره، أن يُشير إلى أفكار هؤلاء، ويستخدم كلمات شديدة القسوة ضدهم، لكي يُبطِل وجهة نظرهم، وحتى لا يظهر وكأنه يتكلم معهم، كما لو كانوا أعداء، يقول فيما بعد "*أيها الاخوة إن مسرة قلبي وطلبتي إلى الله لأجل إسرائيل هي للخلاص*"[٣٢٧]. ولكنه هنا بالإضافة إلى الأمور الأخرى التي قالها، لا يظهر كأنه يتكلم عن تلك الأمور التي يتحدث عنها ضدهم إنطلاقًا من عداوة. ولهذا تحديدًا لم يتوقف عن أن يدعوهم أقارب واخوة.

لأنه على الرغم من أنه استعرض كل ما قاله عن المسيح، إلاّ أنه جذب تفكيرهم، وبعدما أعدَّ الطريق وحرّر نفسه من كل حيرة، من جهة تلك الأمور التي كان ينوي أن يواجههم بها، عندئذٍ بدأ الكلام الذي طلبه الكثيرون، تمامًا كما أشرت سابقًا، إن أولئك الذين أعطى لهم الوعد قد فَقَدوا الحرية، بينما أولئك الذين لم يسمعوا عن الوعد مطلقًا، نالوا الخلاص قبل هؤلاء اليهود. ولكي يُزيل هذا الشك أو هذه الحيرة، أوجد حلاً قبل أن يذكر التناقض. لكي لا يقول أحد: ماذا إذًا، هل أنت تهتم بالأكثر بمجد الله، أم أن الله يهتم بمجده؟ وهل الله يحتاج لمساعدتك، حتى لا تسقط كلمة الله؟ وهو يَصُد هذا الكلام فيقول، إنني قلت: "*ليس هكذا حتى أن كلمة الله سقطت* "، لكي أُبيّن محبتي للمسيح. لأنه بالتأكيد لو

---

[٣٢٧] رو١٠:١.

أن الأمور حدثت هكذا ـ كما يؤكد الرسول بولس ـ ما وُجِدنا في حالة ضعف، بحيث نضطر أن نُدافع عن الله، ولكي نُثبت أن الوعد ظل ثابتًا. لقد قال الله لابراهيم "*لك ولنسلك أُعطي هذه الأرض*" وأيضًا "*تتبارك فيك (في نسلك) جميع قبائل الأرض*"[٣٢٨]. لنرَ إذًا، كما يقول الرسول بولس، من هم نسله، لأن ليس كل الذين ينحدرون منه، هم نسله. ولهذا قال:

" لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون. ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعًا أولاد " (رو٩:٧).

إذن لو أنك عرفت مَن هم نسل إبراهيم، سترى أن الوعد أُعطيَ لأحفاده، وستعلم أن الكلام لم يكن كذبًا. أخبرني إذًا، من هم نسله؟ لا أتكلم أنا، هكذا يقول الرسول بولس، بل أن العهد القديم نفسه يُفسر نفسه، قائلاً الآتي: "***لأنه باسحق يُدعى لك نسل***"[٣٢٩]. وشرح ما معنى "باسحق".

" أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يُحسبون نسلاً " (رو٩:٨).

لاحظ حكمة الرسول بولس وافتخاره، لأنه لم يقل، وهو يفسر هذا الجزء، أن أولاد الجسد ليسوا أولاد إبراهيم، لكن ليس هم "أولاد الله"، وهكذا يربط أمور الماضي بالحاضر، ويُظهر أنه لم يكن اسحق فقط، هو ابنًا لإبراهيم. فما يقوله يعني الآتي: إن كل من وُلدوا على مثال اسحق، هؤلاء هم أولاد الله، ونسل إبراهيم. ولهذا قال " *باسحق يُدعى لك نسل* "، لكي تعرف، أن كل مَن يُولد بالطريقة التي وُلد بها اسحق، يكون على أية حال نسل ابراهيم.

إذًا كيف وُلد اسحق؟ ليس وفقًا لناموس الطبيعة، ولا بحسب قوة الجسد، ولكن بحسب قوة الوعد. ما معنى "بحسب قوة الوعد"؟

---

[٣٢٨] تك١٢:٣.

[٣٢٩] تك٢١:١٢.

" لأن كلمة الموعد هي هذه أنا آتي نحو هذا الوقت ويكون لسارة ابن " (رو٩:٩).

هذا هو الوعد، وكلمة الله قد تحققت ووُلد اسحق. ما معنى هذا؟ طالما أن كان هناك رحم وبطن للأم يعني أنه ليس بقوة البطن، لكن بقوة الوعد قد وُلِد اسحق. هكذا نحن أيضًا نُولد بكلام الله، لأن كلام الله هو الذي يُنجبنا ويلدنا في جرن المعمودية بالماء، عندما نُعمَّد باسم الآب والابن والروح القدس. لكن هذا الميلاد لا ينتمي للطبيعة الجسدية، بل لوعد الله . تمامًا كما سبق وأخبر بميلاد اسحق، فقد تممَّه في وقته، هكذا فإن ميلادنا سبق وأعلنه منذ عهود قديمة بواسطة كل الأنبياء، ثم بعد ذلك حققه الله . أرأيت مدى عظمة العمل الذي أظهره، وكيف أنه بعدما وعد بهذا الأمر العظيم، حققه بكل سهولة؟ أما عندما قال اليهود إن" باسحق يُحسب النسل" فهذا يعني أن كل من يولد من اسحق هو من نسله، وكان ينبغي أن يُدعى كل اليهود أولاده، لأن جدهم آساف كان ابنًا لاسحق. أما الآن، ليس فقط لم يُدعوا أولادًا، بل وتغربوا جدًا عن إبراهيم . أرأيت كيف إن أولاد الجسد، ليسوا أولاد الله، بل إن الميلاد الثاني بالمعمودية يُستعلن بقوة الله في هذه الطبيعة الجسدية؟ وإن كنت قد حدثتني عن الرحم، فأنا أستطيع أيضًا أن أتحدث عن ماء المعمودية. لكن كما أن كل شيء هنا يتعلق بالروح القدس، هكذا هناك أيضًا كل شيء يتعلق بالوعد، لأن الرحم (أي رحم سارة) من حيث العقم والشيخوخة، كان أكثر برودة من الماء[٣٣٠]. إذًا لنعرف بكل تدقيق أصلنا النبيل، ولنُظهر سلوكًا يليق بهذا الأصل . لأن هذا الأصل ليس فيه أي شيء جسدي ولا أرضي، ودعونا نحن أيضًا ألا نتعلق بأى شيء جسدي أو أرضي . لأنه لا النوم، ولا رغبة الجسد، ولا الأحضان، ولا الشهوة، يمكن أن تصنع شيئًا، بل محبة الله للبشر هى التي تصنع كل شيء. وكما حدث في السابق وتقدم العمر جدًا، هكذا الآن بعدما أتت شيخوخة الخطايا، ظهر اسحق الجديد، وجميعنا صِرنا أولاد الله، ومن نسل إبراهيم.

[٣٣٠] أى ليست له قدرة على الانجاب.

٤ ـ " وليس ذلك فقط بل رفقة أيضًا وهى حبلى من واحد وهو اسحق أبونا " (رو٩:١٠).

إنه موضوع عظيم الشأن. ولهذا يطرح أفكارًا كثيرة، ويحاول أن يُزيل الشكوك من كل النواحي . إذًا لو أن سقوط هؤلاء اليهود يُعَد أمرًا غريبًا ويُسَمع لأول مرة، بعد كل هذه الوعود الكثيرة، فبالأكثر يُعَد أمرًا غريبًا أن نتكلم عن تلك الخيرات، نحن الذين لم نتوقع شيئًا مثل هذا. إن ذلك يشبه ابنًا لملك، نال وعودًا، بأنه سيخلفه في السلطة، ثم حُرم من حقوقه السياسية، وحل محله شخص محكوم عليه بالسجن، ومُحمل بشرور كثيرة، وبعدما خرج من السجن أخذ السلطة التي من حق ابن الملك. فماذا تقول إذًا؟ أتقول إن الابن كان غير مستحق؟ ولكن الآخر أيضًا كان غير مستحق، بل وبالحري كان غير مستحق البتة، وكان ينبغي إما أن يُدانا معًا، وإما أن يكرَّما معًا . وهذا ما حدث فيما يتعلق بالأمم واليهود، بل وأكثر من هذا، فإن الجميع هم غير مستحقين، وهذا ما أظهره في الاصحاحات السابقة بقوله: " *إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله*"[٣٢١]، لكن ما يُسمع لأول مرة، هو أن الأمم فقط قد خَلَصوا، على الرغم من أن الجميع كانوا غير مستحقين.

لكن مع هذا، من الممكن أن تنتاب المرء حيرة، فإن لم يكن لدى الله النية أن يُتمّم وعوده، فلأي سبب وعد؟ لأن الناس الذين لا يعرفون المستقبل، كثيرًا ما يَضلون، وغير المستحقين ينالون وعدًا بأن يأخذوا عطايا، بينما ذاك الذي يعرف مُسبقًا، أمور الحاضر والمستقبل، يعرف أنهم سيجعلون أنفسهم غير مستحقين للوعود، ولهذا لن ينالوا شيئًا من تلك الوعود، فلأي سبب وعد؟ كيف وجد الرسول بولس حلاً لهذه الأمور؟ الحل في أن يُظهر من هو إسرائيل الذي حصل فيه الوعد . لأنه بعدما برهن على أن هناك وعد، أثبت هذا أيضًا "*لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون*". ولهذا لم يُشر إلى اسم يعقوب، بل ذكر اسم إسرائيل، الأمر الذي يُعَد دليلاً على

[٣٢١] رو٣:٢٣.

فضيلة البر، والعطية التي أخذها من الله، وعلامة على أنه رأى الله . حسنًا إن كان الجميع قد أخطأوا، فكيف أن البعض خَلُص والبعض الآخر هلك؟ لأن ليس الجميع أرادوا أن يتبعوا الله، أما بالنسبة لله، فمن المؤكد أن الجميع دُعيوا للخلاص.

وهو لم يُشِر إلى هذا أولاً، إلاّ أنه يجد حَل لهذه المسألة بطريقة تُثير الإعجاب، من خلال أمثلة أخرى، مُتطرقًا إلى موضوع مختلف في معرض حديثه، مثلما فعل من قبل عندما حلّ معضلة معقدة بمشكلة أخرى. إن الأمر هنا يتعلق بموضوع بر المسيح، وبهذا يكون الجميع قد تمتعوا بالبر. وقد عرض الرسول بولس الأمر فيما يتعلق بآدم قائلاً: " *لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملّك الموت بالواحد. فبالأولى كثيرًا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح*"[٣٣٢]. ولم يتوصل إلى حل خاص فيما يتعلق بآدم، بل قدم الحل من خلال فيض النعمة وعطية البر، وأظهر كيف أن لديهم أكثر من سبب يجعل ذاك الذي مات، لأجل خلاصهم، يسود عليهم. لأنه أن يُدان الجميع لأن واحد قد أخطأ، فهذا لم يكن منطقيًا في نظر الكثيرين، أما أن يتبرَّر الجميع، لأن واحد قد حقق البر، فهذا ما يُعد أمرًا منطقيًا ولائقًا أمام الله. لكنه لم يحل تلك الحقيقة المحيرة (أى طالما أن الجميع قد أخطأوا، فكيف أن البعض قد خَلُص والبعض هلك). لأنه بقدر عدم وضوح ذلك، بقدر ما استد فم اليهودي، وابتدأ يتحير فيما يختص بالأممي، وهذا يفسر الحيرة التي ظهرت منذ البداية.

هكذا هنا أيضًا، فالرسول بولس يجد حلاً مناسبًا لأولئك الذين هم في شك كامل بالنسبة لموضوعات أخرى. لأن جهاده كان ضد اليهود. ولهذا فإن الأمثلة التي أوردها لا يشرحها بشكل تام، لأنه لم يكن مسئولاً عن هذه الموضوعات، كما في الصراع ضد اليهود، أما فيما يخصه هو شخصيًا، فإنه يكون فيها أكثر وضوحًا مقارنةً بالموضوعات الأخرى. ولماذا تندهش أن البعض من اليهود خَلُص، والبعض لم يخلُص الآن؟ فمن الممكن للمرء أن يرى

---

[٣٣٢] رو٥:١٧.

أن هذا يحدث منذ البداية لدى الآباء .-إذًا لماذا دُعي اسحق فقط نسل إبراهيم، على الرغم من أن إبراهيم قد ولد إسماعيل أيضًا[٣٣٣]، وهكذا صار إبراهيم أبًا أيضًا لكثيرين جدًا؟ ولكن إسماعيل كانت أُمه عبدة. وما علاقة هذا بالأب؟ أيُستثنى هذا بسبب الأم! لكن ماذا سنقول عن نسل قطورة؟ ألم يكن نسلاً حرًا وينتمي لأم حرة؟ لماذا لم يُكرَّم بنفس الكرامة مع اسحق؟ ولماذا أتكلم عن هذا النسل؟ لقد ولدت رفقة الزوجة الوحيدة لاسحق، إبنين، لكن على الرغم من أنهما كانا من نفس الأب والأم، وأنهما قد أتيا بنفس الآلام التي تُصاحب الولادة، وبالإضافة إلى كل هذا فقد كانا توأم، إلاّ أنهما لم يتمتعا بنفس القدر من المحبة. وأنت هنا لا تستطيع أن تقول عن الأم إنها عبدة، كما في حالة إسماعيل، ولا أن الواحد قد وُلِد من هذه البطن، والآخر من بطن أخرى، تمامًا كما حدث مع قطورة وسارة، لكنهما خرجا من نفس البطن.

إذن ولأن الرسول بولس انتهى إلى مثال واضح، من حيث إن هذا لم يحدث لاسحق فقط:

" لأنه وهما لم يُولدا بعد ولا فعلاً خيرًا أو شرًا لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار ليس من الأعمال بل من الذي يدعو. قيل لها أن الكبير يُستعبد للصغير كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو " (رو٩:١١ـ١٣).

لأي سبب صار الواحد موضع محبة، بينما الآخر موضع بغضة؟ لماذا الواحد خَدَمَ، بينما الآخر خُدِم؟ السبب هو أن الواحد كان تقيًا، بينما الآخر كان شريرًا. بل وحتى قبل ولادتهما، فإن الواحد قد كُرِّم، والآخر أُدين، بل وهما لم يولدا بعد قال الله: "*إن الكبير يُستعبد للصغير*". ولماذا قال الله هذا الكلام؟ لأن الله ليس مثل الإنسان الذي ينتظر حتى نهاية الأعمال، ليرى الصالح أو الشرير، بل هو يعرف من قبل هذه الأعمال، من هو الشرير ومن هو الصالح، وهذا ما حدث أيضًا في حالة الإسرائيليين، بطريقة مُثيرة

[٣٣٣] إسماعيل هو ابن لإبراهيم من هاجر.

للإعجاب. ففي حالة عيسو ويعقوب، ألم يكن الأول شريرًا والآخر كان تقيًا؟ أما في حالة الإسرائيليين فقد كانت الخطية عامة، إذ أن الجميع عبدوا العجل الذهبي.

لكن البعض رُحِم، والبعض لم يُرحَم. لأنه يقول لموسى: "***إني أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف***".

من الممكن أن يرى المرء هذا الأمر، في أولئك الذين أُدينوا. إذًا ماذا تقول عن فرعون الذي عُوقِب وتعذّب جدًا؟ هل لأنه كان قاسيًا وغير مطيع؟ تُرى، هل كان هذا وحده الذي عُوقِب؟ كيف عُوقِب بكل هذه القسوة؟ أما بالنسبة لليهود، لماذا دعا الذي ليس شعبه شعبه، وأيضًا لم يجعل الجميع مُستحقين لنفس الكرامة؟ لأنه يقول: "*إن كان شعبك يا إسرائيل كرمل البحر ترجع بقية منه (أي تخلص بقية منه)*"[٣٣٤]. ولماذا بقية فقط (هى التي تَخلُص)؟ أرأيت مقدار الصعوبة التي أحاطت بهذه الموضوعات؟ وقد فعل الرسول بولس هذا بشكل مُبرر جدًا. لأنه عندما تُريد أن تضع الخصم في حيرة، ينبغي ألا تُعطي الحل مباشرةً. بالإضافة إلى أنه لو اتضح أنك أنت نفسك مسئول عن نفس الحل، فلماذا تُعرّض نفسك لمزيد من المخاطر؟ لماذا تجعل اليهودي، أكثر وقاحة، وتجعل كل الأشياء تصير ضدك؟ حسنًا فلتخبرني أيها اليهودي، بينما لديك كل هذه الحيرة أو الشكوك، ولا تستطيع أن تجد حلاً لواحدة منها، فلماذا تُسبّب كل هذا الإنزعاج من جهة دعوة الأمم؟ لكنني أستطيع أن أقدم سببًا عادلاً، والذي لأجله تبرَّر الأمم، بينما أنتم فقدتم البر. لأن هؤلاء الأمم تبرَّروا بسبب إيمانهم، أما أنتم فلانكم اتكَلّتم على أعمال الناموس فقد خسرتم البر. وبعدما تنازعتم هكذا، نَكَثْتُم العهد من كل ناحية. لأن الكتاب يقول: "*لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله ويطلبون أن يُثبتوا بر أنفسهم لم يخضعوا لبر الله*"[٣٣٥].

---

[٣٣٤] إش١٠:٢٢.

[٣٣٥] رو١٠:٣.

٥ ـ إذن الحل لكل هذا، أقول بإيجاز أن الحل يُعطيَ من خلال تلك النفس الطوباوية (أي نفس بولس). ولكي تصير هذه الأمور أكثر وضوحًا، لنفحص كل جانب مما قيل على حِدىَ، عالمين هذا أن بولس الطوباوي قد ركّز كل اهتمامه ليُبيّن من خلال كل ما قيل، أن الله وحده يعرف المستحقين، أما البشر، فلا يوجد بينهم من يملك هذه المعرفة، حتى إن اعتقد أن لديه قدر كبير منها، فالإنسان في أمور كثيرة يُجانبه الصواب في أحكامه. إذًا فذاك الذي يعرف جيدًا خفايا الفكر، هو الذي يعرف تمامًا من هم المستحقين لنوال الأكاليل، ومن هم الذين يستحقون الجحيم. ولذلك فمن المؤكد أنه قد أدان كثيرين من البشر، ممن يعتقدون أنهم صالحون، بعدما فحصهم بدقة، ومنح الأكاليل لمن أُعتُبروا أشرارًا، بعدما أظهر أنهم صالحين، وأصدر حكمة من خلال رؤيته الصحيحة والنزيهة، ودون أن ينتظر أن يعرف عن طريق أعمالهم من هو الصالح، ومن هو الشرير.

ولكي لا يكون الكلام مُلتبسًا، لنأتِ إلى كلمات الرسول بولس نفسه " *وليس ذلك فقط بل رفقة أيضًا وهى حبلى من واحد ..* ". وكأنه يشرح قائلاً: كنت أستطيع أن أشير إلى نسل قطورة، لكنني لم أفعل ذلك، بل ولكي أؤكد على ما أقوله، أذكر لكم أولئك الذين ولدوا من أب واحد، وأم واحدة. لأن الاثنين أيضًا (أى عيسو ويعقوب)، وُلدا من رفقة واسحق، الابن الحقيقي والشرعي الذي صارت له مكانة أفضل من الجميع، والذي قال عنه " *باسحق يدعى لك نسل* "، والذي صار أبًا لجميعنا . لكن مع أن ذاك كان أبًا لنا، ونسله كان ينبغي أن يصيروا آباء لنا، إلاّ أنهم ليسوا كذلك . أرأيت أن هذا لم يحدث بالنسبة لإبراهيم فقط، بل حدث بالنسبة لابنه أيضًا، وأن الإيمان والفضيلة هما اللذان يُضيئان في كل مكان، ويُعلنِان عن ماهية القرابة الحقيقية؟ لأنه من هنا نُعرف (أى من خلال الإيمان والفضيلة)، وليس فقط صلة القرابة، فعندما يكون الأبناء مستحقين لفضيلة الأب، عندئذٍ يدعون أبنائه. لأنه لو كان الأمر متعلقًا بصلة القرابة فقط، لكان ينبغي أن يتمتع عيسو بتلك الامتيازات التي تمتع بها يعقوب،

لأن ذاك أيضًا كان من رحم ميت، وأمه كانت عاقرًا. إلاّ أن (صلة القرابة) لم تكن هى المطلب الوحيد، بل الأمر هنا مرتبط بفضيلة النفس، وهو لم يُشِر لهذا مصادفةً، بل كان ذلك لأجل تعليمنا وتهذيب سلوكنا، ولم يقل لأن الواحد كان تقيًا، والآخر كان شريرًا، ولهذا فُضّل الواحد من أجل تقواه، فماذا إذًا؟ هل أولئك الذين يأتون من الأمم هم أكثر تقوى، أم الذين يأتون من اليهود؟ وإن كانت حقيقة الأمر هي هكذا بالفعل، إلاّ أنه لم يُشر إليها بعد، لأن ذلك كان يبدو أمرًا مزعجًا بدرجة أكبر. لكنه نَسبَ كل شيء إلى سابق علم الله، الذي لا يمكن لأحد أن يتجرأ على معارضته، حتى وإن كان هذا الإنسان يتسم بالجنون الشديد. ثم يقول " **وهما لم يولدا بعد،** " **قيل لها إن الكبير يُستعبَد للصغير** ".

ويتضح من هذا أنه حتى الأصل النبيل حسب الجسد، لا يُفيد شيئًا، لكن ينبغي أن نسعى نحو فضيلة النفس التي يعرفها الله، حتى قبل الأعمال. "*لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيرًا ولا شرًا لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار ليس من الأعمال بل من الذي يدعو. قيل لها إن الكبير يُستَعبد للصغير*". لأن هذا كان دليلاً على أن الله بسابق علمه، اختار من بين هذين اللذين هما نتاج نفس آلام الولادة. ولكي يظهر اختيار الله الذي تم بحسب سابق معرفته، فإنه في يوم ولادتهما، أعلن مَن هو الصالح ومن هو الشرير. هكذا يقول الرسول بولس، لا تَقُل لي إذًا إنك تقرأ الناموس والأنبياء، وإنك خدمت سنوات عديدة، لأن الله الذي يعرف أن يختبر النفس، هو وحده الذي يعرف من هو المؤهل للخلاص. إذًا لنتقدم نحو صاحب الاختيار غير المُدَرك، لأنه هو وحده الذي يعرف بالتدقيق مَن الذي سيُكلّله.

إذن ربما يكون هناك كثيرون ممن اعتقدوا أنهم أفضل من القديس متى البشير بحسب الأعمال؟ بيد أن الله الذي يعرف الأسرار، والذي يفحص قدرة العقل، ويُدرك قيمة اللؤلؤة الموجودة في الطين. فبعد أن ترك متى أولئك العشارين الآخرين، واهتم بإظهار جمال اللؤلؤة، اختاره الله، الذي بحسب إرادته الصالحة أغدق على ذلك الرسول من نعمته، فقد برهن متى على أنه اجتاز اختبار الله له بنجاح. فإن كان في الفنون الإنسانية، وفي كل الأمور

الأخرى، عندما يتخذ الأشخاص المتميزون قرارًا أو يُبدون رأيًا، فإن اختيارهم يتم بناءً على وجهة نظرهم التي يقتنعون بها، وليس بحسب الطريقة التي بها يختار البسطاء، فالكثيرون لا يروق لهم ما يختاره البسطاء ويَقبلون ما يرفضونه، وهذا كثيرًا ما يفعله أيضًا مدربوا الخيول، والمتخصصون في اختبار الأحجار الكريمة، وغيرهم من مُمارسي الفنون الأخرى، فبالأحرى جدًا الله محب البشر، والذي هو الحكمة التي لا تُحَد، وهو وحده الذي يعرف جيدًا كل الأمور، لن يقبل رأي البشر، بل يُقرّر لكل شيء حكمًا بحكمته الصحيحة التي لا تُخطئ . ولهذا تحديدًا اختار أيضًا عشارًا، ولصًا، وزانية، بينما رفض الكهنة، والشيوخ، والأراخنة.

ويستطيع المرء أن يرى أن هذا يحدث مع الشهداء، فالكثيرون من الذين كانوا محتقرين في عصر الاضطهادات، قد نالوا الأكاليل، والعكس قد حدث، فإن بعضًا ممن كانوا يُعتَبَرون عظماء، إنقلب بهم الحال وسقطوا . إذًا يجب ألا تناقش الخالق في أحكامه، ولا أن تقول، لماذا يُكلَّل الواحد ويُدان الآخر، لأنه هو وحده يعرف هذه الأمور. ولهذا قال: " **أحببت يعقوب وأبغضت عيسو** ".

ومن المؤكد أن هذا قد حدث بعدل، فأنت تعرف الأمور عند نهايتها، أما الله فيعرفها جيدًا قبل نهايتها. لأن الله لا يطلب مجرد إتمام للأعمال، بل يطلب الرغبة الصادقة، والإرادة الصالحة. إذ أن مثل هذا الإنسان، إذا اضطرته بعض الظروف أن يخطئ، فإنه سرعان ما يرجع، وإذا عاش لبعض الوقت في الخطية، فلن يفقد خلاصه، بل سيُقيمه الله كلّي المعرفة سريعًا، كما أن من يفسد بالخطية، سيهلك حتى ولو ظهر كأنه يصنع شيئًا صالحًا، طالما أنه يصنع هذا بضمير شرير، لأن داود أيضًا على الرغم من أنه إرتكب جريمة قتل، وزنا، إلاّ أنه تنقّى سريعًا من كل خطية، فهو قد فعل هذا في ظرف سيء، في غفلة أو عدم تبصر، وليس عن ضمير شرير، أما الفريسي، وهو لم يجرؤ على ارتكاب مثل هذه الخطايا، وقد إفتخر بأمور أخرى صالحة، فإنه فَقَد كل شيء، بسبب ضميره الشرير.

٦ـ " فماذا نقول؟ ألعل عند الله ظلمًا حاشا " (رو٩:١٤).

أى أنه لم يحدث لنا ظلم، ولا لليهود أيضًا. ثم يُضيف أمرًا آخرًا أكثر وضوحًا قائلاً؟

" لأنه يقول لموسى إني أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف " (رو٩:١٥).

ومرة أخرى يُزيد الرسول بولس من حجم التعارض أو التناقض، وفي المنتصف يُزيل هذا التعارض، ويجد له حلاً، ثم يخلق مرة أخرى، صعوبة أخرى، ولابد لنا أن نفسر ما قيل حتى يصبح أكثر وضوحًا . فالرسول بولس يقول إن الله قال، الكبير يُستعبد للصغير، قبل ولادتهما. ماذا إذًا؟ هل الله ظالم؟ حاشا. إذًا فلنستمع للكلام اللاحق، هناك إنفصال بين الفضيلة والشر على الأقل في حالة يعقوب وعيسو، بينما الخطية كانت واحدة ومشتركة بين جميع اليهود، خطية صناعة العجل الذهبي، إلاّ أن البعض أُدين والبعض لم يدن. ولهذا قال: "*أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف* ". لأن الله يقول لموسى، لست أنت المسئول عن معرفة المستحقين للرأفة، فاترك هذا لي، فإن لم يكن هذا هو عمل موسى أن يعرف، فبالأولى كثيرًا، لا يكون عملنا. ولهذا لم يُشر فقط إلى ما قيل، بل ذكر لمن قاله. لأنه يقول هذا الكلام لموسى، لكي ينتقد من خلال مكانته عند اليهود، أى شخص يُعارض أحكام الله.

إذن بعدما قدم الحل للتساؤل الذي نشأ من الكلام السابق، لم يطرح مرة أخرى، تناقضًا أو تعارضًا آخرًا، بل قال:

" فإذًا ليس لمن يشاء أو لمن يسعى بل الله الذي يرحم لأنه يقول الكتاب لفرعون إني لهذا بعينه أقمتك لكي أظهر فيك قوتي ولكي يُنادى باسمي في كل الأرض " (رو٩:١٦ـ١٧).

لأنه تمامًا كما قال هناك، إن البعض قد خَلُص والبعض قد أُدين، هكذا هنا أيضًا قد حفظ لنا الكتاب قصة فرعون، لهذا السبب عينه. ثم يأتي مرة أخرى ويقول كلامًا قاطعًا ومُثيرًا.

" فإذا هو يرحم من يشاء ويُقسّي من يشاء. فستقول لي لماذا يلوم بعد؟ لأن من يقاوم مشيئته " (رو٩:١٨ـ١٩).

أرأيت كيف حَرَص على أن يجعل الكلام كله مُثيرًا للحيرة؟ ولم يقدم حلاً مباشرًا، وذلك لأجل منفعتهم، فقد لجّم ذاك الذي يعترض على هذه الأمور، قائلاً الآتي:

" بل من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله " (رو٩:٢٠).

يقول الرسول بولس هذا الكلام، لكي يوقف الفضول الذي يأتي في وقت غير ملائم، من جانب مثل هذا الإنسان، الذي يُعلّق كثيرًا، ويضع له لجامًا، ولكي يُعلّمنا من هو الله، ومن هو الإنسان، وكيف أن عنايته غير مُدَركة، ويوضح كيف أنها أسمى من تفكيرنا، وكيف أن كل شيء ينبغي أن يخضع له، حتى أن الرسول بولس، حين يُبرهن على ذلك للمستمع، ويجعل إرادته مرنة، عندئذٍ يُضيف الحل بطريقة غاية في السهولة، هكذا يجعل الكلام مقبولاً بالنسبة له.

هو لم يقل، إنه أمر مستحيل أن نُقدم حلاً لهذه الأمور، بل لا يصح أن نفحص الأمور المشابهة أو المماثلة . لأنه يجب أن نؤمن بما يصنعه الله ولا نتفحصه، وحتى لو كنا نجهل أسبابه. ولهذا يقول: " *من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله* ". أرأيت كيف أنه احتقر التباهي والتفاخر ورفضه؟ "*من أنت أيها الإنسان* "؟ هل تُشارك في القدرة الإلهية؟ هل عُيّنت مُشيرًا لله؟ لأنه لا يُمكنك أن تكون شيئًا، بل ولا تُمثل شيئًا مقارنةً بالله. لأنه من حيث إنه يقول من أنت، فهو يركز هنا على عدم قيمة الإنسان الذي يجاوب الله، أكثر من تركيزه على فكرة أنك لا شيء . من جهة أخرى فهو يُعلن من خلال سؤاله عن نوع من الغضب، ولم يقل من أنت أيها الإنسان الذي تتحاور مع الله؟ بل "مَن تجادل"[٣٣٦] ، بمعنى من أنت يا مَن تعارض، أو يا مَن تقاوم. لأنه عندما يَحكُم أحد على أعمال الله، ويقول: هكذا كان ينبغي أن يكون،

---

[٣٣٦] هنا يشرح القديس يوحنا ذهبي الفم الفرق بين كلمتي (αποκρινόμενος) و(ανταποκρινόμενος) الأولى تعني تجاوب، والثانية تعني تجادل، ويقول إن الرسول بولس استخدم الكلمة الثانية، أي (ανταποκρινόμενος).

أو ليس هكذا، فهذا ما يوصف بأنه اعتراض . أرأيت كيف أنه أخافهم وأفزعهم، وجعلهم يرتجفون بالأكثر فلا يجرؤون على البحث والفحص؟ هذه هى صفة مُمَيّزة للمعلم المتميز، ألاّ يتبع رغبات التلاميذ المتنوعة في كل الإتجاهات، بل أن يقودهم إلى إرادته، وبعدما ينزع الأشواك من طريقهم، فإنه يبدأ في إلقاء البذار، ولهذا لا يُجيب مباشرةً على التساؤلات التي تطرح من كل نوع.

٧ ـ " ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان " (رو٩:٢١).

إنه لم يقل هذا لكي يلغي حريتنا، بل لكي يُظهر إلى أى مدى يجب أن نطيع أو نخضع لله. إذًا عندما نحاول أن نناقش الله في قراراته، فلن يكون سلوكنا بصورة أفضل من الطين . لأنه ليس فقط لا ينبغي أن نُعارض، بل ولا أن نطلب من الله أن يقدم لنا تقريرًا عن أعماله، ولا حتى أن نتكلم، ولا أن نُفكر، بل علينا أن نكون مثل الطين الطيّع في أيدي الخزّاف، والذي يتحول إلى الشكل الذي يريده ذلك الخزّاف. لقد أورد الرسول بولس هذا المثل، ليس لمجرد إظهار التصرف الذي يجب أن يكون عليه المرء، بل لكي يُشير إلى الطاعة غير المحدودة وإلى السلوك الكامل. ويجب أن ننتبه في كل موضع، إلى أنه لا ينبغي علينا أن نتعامل مع الأمثال على أنها وحدة واحدة، بل يجب أن تأخذها بكامل عناصرها، ثم نختار العنصر أو الجزء المفيد منها، ولهذا إستُخدمت الأمثال، ثم نترك البقية . تمامًا مثلما يقول: " جثم *كأسد* "[٣٢٧]، يُقصد به ذاك الذي لا يُقاوَم، والمُرعب، ونستبعد عنصر الوحشية أو الشراسة، وأية خاصية أخرى من خصائص الأسد. وأيضًا عندما يقول: "*أصدمهم كدُبة مُثكل* "[٣٢٨]، يُقصد رغبة الإنتقام. وعندما يقول: "*لأن الرب*

[٣٢٧] عد٢٤: ٩.

[٣٢٨] هو١٣: ٨.

إلهك هو نار آكلة"[٣٣٩]، يُقصد الهلاك في الجحيم. هكذا هنا أيضًا يجب أن نفهم المعنى المقصود من الطين، ومن الخزَّاف والآنية.

ولكن عندما يُضيف قائلاً: " *أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان* "، لا يجب أن تعتقد أن الرسول بولس قال هذا عن عملية الخلق، ولا للأسس التي يتطلبها تحديد نظام المخلوقات، **بل يعني بذلك سلطان الله من ناحية، والتنوع الذي يوضحه عندما يدبر أعماله من جهة أخرى. لأنه إن لم نفهمها هكذا، فلابد أن ينتج عن ذلك أمور كثيرة لا تليق بالله.** إذن لو أن الكلام هنا عن الترتيب أو النظام، وعن الصلاح، والشرور، فسيكون الله هو الخالق، ولن يكون الإنسان متسببًا في أي شيء. وأيضًا سيُظهر القديس بولس ذاته، وهو الذي يمتدح دائمًا حرية الاختيار، كأنه يتناقض مع نفسه. إذًا فهو هنا لا يُريد شيئًا آخرًا، سوى أن يقنع السامع تمامًا، بأن يتراجع أمام الله، وألا يضعه موضع المساءلة البتة عن أى شيء. لأنه كما أن الخزَّاف يصنع من كتلة واحدة الأواني التي يريدها، ولا يعترض احد على ذلك. هكذا الله أيضًا، الذي يُدين البعض ويُكرّم البعض من نفس جنس البشر، ولا ينبغي أن تفحص عمله هذا، بل تخضع له فقط، وأن تتمثل بالطين، فكما أن الطين يصبح طيّعًا في أيدي الخزَّاف، هكذا أنت أيضًا يجب أن تُطيع رأي ذاك الذي يدبر كل الأشياء. لأنه لا يصنع شيئًا بدون سبب، ولا مصادفة، حتى وإن كنت لا تعلم أسرار حكمته.

ومن المؤكد أنك تترك الخزاف يصنع من كتلة واحدة أواني مختلفة، ولا تدينه، بينما تطلب من الله أسبابًا عن إدانة البعض وتكريم البعض الآخر، ولا تسمح له بمعرفة من هو المستحق ومن هو غير المستحق، خاصة عندما تكون نفس الكتلة هى من نفس الجوهر، فإنك تطلب وترغب أن تنتج عنها أشكال متشابهة. ألا يعتبر هذا التفكير علامة على درجة خطيرة من الجنون؟ على الرغم من أن وجود التافه والمهم لا يرجع إلى كتلة الطين ـ في

---

[٣٣٩] تث٤:٢٤.

حالة الخزّاف ـ بل يعتمد على حرية الاختيار (في استخدام الإناء). إلاّ أنه، وكما سبق وأشرت يجب أن نأخذ هذا المثال، بهذا المعنى فقط، أي أنه لا يجب أن نُعارض الله، بل أن نتراجع أمام عنايته غير المُدَركة. بالإضافة إلى أنه يجب أن تكون الأمثلة التي تخص أولئك المشار إليهم ـ أي الذين يعترضون على تدبير الله ـ أكبر من هذه المطالب، حتى تصير هذه الأمثلة، حافزًا للمستمع، لأن يخضع لإرادة الله بالأكثر، لأن الأمثلة إن لم تكن واضحة، فلن يكون ممكنًا أن تكون لها فاعلية في تبكيت ذاك الذي يُعَارِض كما ينبغي.

٨ ـ هكذا الرسول بولس أوقف نزاعهم بأسلوب لائق جدًا. لكنه بعد ذلك قدّم الحل أيضًا. فما هو هذا الحل؟ يقول:

" فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويُبين قوته احتمل بأناة كثيرة آنية غضبه مهيأة للهلاك. ولكي يُبيّن غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد. التي أيضًا دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضًا " (رو٩: ٢٢ـ٢٤).

ما يقوله يعني الآتي: كان فرعون إناء غضب، ذلك الإنسان الذي بقسوته أثار غضب الله. لأنه برغم طول أناة الله عليه، إلاّ أنه لم يصبح أفضل، بل ظل غير قابل للإصلاح. لذلك لم يُسمّيه إناء غضب فقط، بل " آنية مهيأة للهلاك " فهو الذي أعدَّ نفسه للهلاك . لأنه لم يكن يغفل شيء من الأمور اللازمة لإصلاحه، حتى يرجع إلى الله، ولم يتجاهل شيئًا من تلك الأمور التي تقوده إلى الهلاك وتحرمه من كل غفران.

لكن برغم أن الله كان يعرف تلك الأمور " احتمله بأناة كثيرة " لأنه أراد أن يقوده للتوبة. فلو أنه لم يُرد هذا، لما كان قد أطال أناته . لكن لأن فرعون لم يُرد أن يستفيد من طول أناة الله، حتى ينقاد إلى التوبة، بل أعدَّ ذاته للغضب، فقد جعله الله مثالاً، حتى يُصلح به الآخرين، الذين صاروا أكثر صلاحًا بواسطة إدانته، وهكذا أظهر الله قوته . إن الله لا يريد أن تصير قوته مُدركة بهذه الطريقة، بل بشكل مختلف، من خلال إحساناته وعطاياه، وهذا ما أعلنه بكل الوسائل منذ البداية. لأنه إن كان الرسول

بولس لا يريد أن يظهر أنه قوى، لأنه يقول (في موضع آخر) " ليس لكي نظهر نحن مُزّكين بل لكي تصنعوا أنتم حسنًا"[٣٤٠]، فبالأولى جدًا الله أيضًا لا يريد ذلك. وبرغم من أن الله قد أطال أناته على فرعون، حتى يقوده إلى التوبة، إلاّ أن لم يتب، واحتمله الله زمنًا طويلاً، مُظهرًا قوته إلى جوار صلاحه . فلم يستفد فرعون، من طول الأناة هذه . لقد أظهر الله قوته معاقبًا إياه، وبقى فرعون غير قابل للإصلاح، هكذا بيّن محبته للبشر، راحمًا هؤلاء الذين وإن كانوا قد صنعوا شرورًا كثيرة، لكنهم تابوا.

لم يتحدث الرسول بولس عن محبة البشر، بل عن "المجد"، تكلّم بهذا لكي يُبيّن أن هذا المجد بشكل خاص هو مجد الله، ولهذا حرص على أن يذكره، قبل كل الأمور الأخرى. لكن عندما يقول "سبق فأعدها للمجد"، فهو لا يقصد أن كل شيء يعتمد فقط على الله، لأنه لو حدث هذا، فلن يكون هناك أى عائق يُعيق خلاص الجميع، بل كان سيُظهر سابق علمه مرة أخرى، ويُبطل الفروق بين اليهود والأمم . وهنا أيضًا توجد مُبررات كثيرة، لأنه ليس فقط أن البعض هلكوا والبعض خلصوا من اليهود، بل ومن الأمم أيضًا. ولهذا تحديدًا لم يقل كل الأمم، بل "من الأمم أيضًا "، ولا كل اليهود، بل "من اليهود". تمامًا مثلما حدث مع فرعون، الذي صار إناء للغضب، بسبب مخالفته هو، هكذا هؤلاء قد صاروا آنية رحمة بسبب قبولهم لمراحم الله بفرح.

إن الشيء الأكبر يُنسب لله، وهؤلاء أيضًا قدموا شيئًا يسيرًا. ولهذا لم يقل آنية تفاخر، ولا آنية شجاعة، بل "آنية رحمة"، لكي يُبيّن أن كل شيء يُنسب لله. بالإضافة لقوله "*ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى* "، وإن كان ما قيل يبدو كنسيج غير متناسق، إلاّ أن كلام الرسول بولس لا يُثير أى حيرة أو شك.

إذن عندما يقول: " *ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى* "، فهو لا يُبطل إرادة الإنسان، لكنه يُبيّن أنه ليس كل شيء متوقفًا على الإنسان، بل يحتاج إلى

[٣٤٠] ٢كو١٣: ٧.

نعمة الله. أي أنه كان ينبغي على الإنسان أن يشاء وأن يسعى، ولكن بشرط ألا يكون لديه إتكال على ثقته في جهاده، بل على ثقته في محبة الله للبشر. هذا تحديدًا ما قاله في موضع آخر "*لا أنا بل نعمة الله التي معي*"[٣٤١]. وحسنًا قال: " *قد سبق فأعدها للمجد* ". لأنهم لم يُقرّوا بأنهم قد خلصوا بالنعمة، واعتقدوا أن هذا الأمر يُسبب لهم حرجًا أو خجلاً، لذلك فإنه يُبطل هذه الرؤية بسهولة واضحة. لأنه لو أن هذا الأمر قد أظهر مجد الله، فبالأكثر جدًا قد حَمَل مجدًا لهؤلاء، ويكون الله قد تمجَّد فيهم . لكن إنتبه إلى امتنان وإلى حكمة الرسول بولس التي لا يُعبر عنها، لأنه وإن كان لم يُشر إلى فرعون ـ في كلامه عن هؤلاء الذين أُدينوا ـ بل أشار إلى أولئك اليهود الذين أخطئوا، وجعل كلامه أكثر وضوحًا، وأظهر من جهة الآباء، أن الخطايا وإن كانت واحدة، إلاّ أن البعض هلك، والبعض رُحم، حتى ينزع شكوكهم. لأن البعض من الأمم قد خَلُصَ، بينما اليهود هلكوا، ولكي لا يجعل كلامه مُزعجًا، يقدم الدليل على العقاب من خلال الاشارة إلى الأمم، حتى لا يضطر أن يدعو هؤلاء آنية غضب، بينما يُقدِم أولئك الذين رُحموا من الشعب اليهودي.

وإن كان من المؤكد أنه قد أجاب اجابة كافية مدافعًا عن تدبير الله، وكان يُدرك جيدًا أن الله، يعرف أن هناك آنية هلاك، لكنه بيَّن إحتمال الله الذي لا حد له والذي ظهر في طول الأناة، وليس مجرد طول أناة، بل أناة كثيرة، إلاّ أنه لم يُرد أن يُشر بهذا لليهود. إذًا كيف صار البعض آنية غضب، والبعض آنية رحمة؟ حدث هذا بناءً على إختيارهم، لأن الله كليّ الصلاح، يُظهر نفس الصلاح تجاه الطرفين . لأنه لم يرحم فقط أولئك الذين يخلصون، بل وفرعون أيضًا، وكل هؤلاء، يَخلِصون بقدر ما يعتمدون عليه، طالما أنهم وكذالك فرعون قد تمتعوا بنفس طول الأناة . لكن إن كان فرعون لم يَخلُص، فهذا يرجع إلى اختياره هو، طالما أنه لم يأخذ شيئًا من

[٣٤١] ١كو١٥: ١٠.

الله، أما كل من اعتمد على الله، فقد نال كل شيء، لأنه ليس أقل من الذين خلصوا.

٩ ـ إذن بعدما أعطى الحل لهذه المسألة، ولكي يجعل كلامه محل ثقة، يُقدم أيضًا الأنبياء الذين نادوا من قبل بهذه الأمور ذاتها. لأن هوشع أيضًا من البداية كتب عن هذه الأمور، قائلاً:

" سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة محبوبة " (رو٩: ٢٥).

ولكي لا يقولوا إن بولس يخدعنا بحديثه عن هذه الأمور، اتخذ هوشع النبي شاهدًا، لأنه يصرخ قائلاً: " *سأدعو الذي ليس شعبي شعبي* ". إذًا مَن هو الذي لم يكن شعبه؟ من الواضح أنه يُشير إلى شعب الأمم. ومَن هي تلك التي لم تكن محبوبة؟ هم الأمم أيضًا. لكنه تَكلّم عنهم، أنهم صاروا شعبه، وأنهم محبوبون أيضًا، وأنهم سيصيروا أبناء الله.

" ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه لستم شعبي أنه هناك يدعون أبناء الله الحيّ " (رو٩: ٢٦).

لكن لو أن هذا قد قيل عن الذين آمنوا من اليهود، وهكذا يستقيم الكلام، إذًا سيتضح أن هؤلاء الذين جحدوا الله، بعد كل إحساناته هذه، قد استَبعَدوا أنفسهم، وفَقَدوا الحق في أن يكونوا شعبًا. وحدث تحول كبير، فما هو العائق الذي منع أولئك الذين لم يستبعدوا أنفسهم، من أن يصبحوا مدعوين أيضًا، وقد صارت لهم دالة عند الله، هؤلاء الذين كانوا منذ البداية غرباء، لكنهم بعدما أطاعوا، استحقوا نفس العطايا؟

بعدما استشهد بهوشع، لم يكتفِ به، بل قدم إشعياء الذي يتكلم متفقًا مع هوشع، لأن إشعياء " يصرخ من جهة إسرائيل "، أي بجرأة يصرخ ولا يتراجع. إذًا ـ وكأن الرسول بولس يقول ـ لماذا تهاجموننا إذا كان هؤلاء الأنبياء قد تحدثوا عن هذا الأمر قبل أن يحدث، وذلك بصوت قوي يفوق قوة النفير؟ إذًا بماذا يصرخ إشعياء؟

" وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص " (رو٩:٢٧).

أرأيت كيف أنه أيضًا لا يقول إن الجميع سيَخلُصون، بل المستحقون هم الذين سيَخلُصون؟ لأنني لا أنظر إلى الكثرة، بل أُخلّص فقط هؤلاء الذين يستحقون، وهو لم يذكر لهم رمل البحر مصادفة، بل لكي يذكّرهم بالوعد القديم، والذي صاروا، مقارنةً به غير مستحقين. إذًا لماذا تضطربون، تُرى هل الوعد كاذب، بعدما أعلن جميع الأنبياء، أن الخلاص ليس للجميع؟

بعد ذلك تحدث عن طريقة الخلاص. أرأيت دقة النبوّة والحكمة الرسولية، أي الشهادة القديمة، وكيف كانت مناسبة جدًا؟ لأن هذه الشهادة، لا تُظهر فقط، أن البعض هم الذين يَخلُصون، وليس الجميع، لكنه يُضيف أيضًا كيف سيَخلُصون؟

" لأنه متمم أمر وقاض بالبر. لأن الرب يصنع أمرًا مقضيًا به على الأرض " (رو٩:٢٨).

ما يقوله يعني الآتي: إنه ليس هناك حاجة لفترة زمنية، ومتاعب وجهاد من خلال أعمال الناموس، لأن الخلاص سيحدث سريعًا جدًا. لأن هذا هو الإيمان، أنه بكلمات قليلة يتحقق الخلاص "*لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت* "[٣٤٢].

أرأيت ماذا تعني عبارة. "*لأن الرب يصنع أمرًا مقضيًا به على الأرض*" والأكثر دهشة، أن هذا الأمر المقضي به السريع، لم يحمل فقط الخلاص، بل والبر أيضًا. كما سبق إشعياء وقال:

" لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلاً لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة " (رو٩:٢٩).

إنه يُظهر هنا أيضًا أمرًا آخرًا، هو أنه حتى هؤلاء قليلي العدد، لم يَخلُصوا هكذا من أنفسهم. وأنهم كانوا مُتجهين إلى هلاك أنفسهم بأنفسهم، وكانوا سيموتون مثل أهل سدوم، أي أنهم كانوا سيُهلكون

---

[٣٤٢] رو١٠:٩.

أنفسهم بالكامل (لأن أولئك هلكوا بالكامل). وهؤلاء يقول عنهم كان من المفترض أنهم سيصيرون مثل أهل سدوم، لو لم يكن الله قد صنع معهم رحمة عظيمة، ولو أنه لم يحفظهم بواسطة الإيمان، لكن هذا قد حدث في السبي الجسدي، لأن الكثيرين أُقتيدوا إلى السبي وهلكوا، بينما قليلون فقط هم الذين خلصوا.

١٠ ـ " فماذا نقول إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر. البر الذي بالإيمان ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر البر لم يدرك ناموس البر " (رو٩: ٣٠ـ٣١).

المؤكد أن الحل الواضح يوجد هنا. لأنه من خلال طبيعة الأمور قد أظهر أن " *ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون* "، ومن الأجداد. ذكر يعقوب وعيسو، ومن الأنبياء هوشع وإشعياء، ثم يُضيف الحل الأهم، بعدما أسهب في حديثه السابق عن مقدار الشك. بالإضافة إلى ذلك فإن هنا الأمر له بُعدين، **أن الأمم أدركوا البر، وأنهم أدركوه بدون أن يسعوا إليه، أي دون أن يحاولوا إدراكه.** ومن جهة اليهود أيضًا، فهناك أمران، أن الإسرائيليين لم يدركوا البر، برغم أنهم قد حاولوا إدراكه. ولهذا فقد استخدم الرسول بولس الكلمات بأكثر وضوح، لأنه لم يقل إنه "ربح البر"، بل "**أدرك**". أى أن الأمر الذي يُسمع لأول مرة والمثير للغرابة، هو أن الذي سعى في أثر البر، لم يُدرِك البر، بينما ذاك الذي لم يسعَ، قد أدرك البر. والواضح أنه حاول الترفق بهم، بقوله " وهو يسعى "، ولكنه أعلن بعد ذلك الصدمة الكبيرة.

إذن لأنه كان لديه ما يُضيفه لتقديم الحل القوي، لم يتردد أبدًا، جاعلاً المفارقة أكثر فزعًا. ولهذا لم يتكلم عن الإيمان والبر، لكنه أظهر أن اليهود كانوا مُدانين قبل الإيمان أيضًا، إذ أنهم قدهُزموا في الأمور التي تخصّهم. فأنت أيها اليهودي لم تُدرك البر من خلال الناموس، لأنك قد خالفته، وصرت مسئولاً عن اللعنة، بينما أولئك الذين لم يأتوا عن طريق الناموس، بل أتوا من طريق آخر، أدركوا برًا أعظم من بر الناموس، هذا البر الذي أتى بالإيمان. هذا تحديدًا ما قاله من قبل "*لأنه إن كان إبراهيم*

قد تبرَّر بالأعمال فله فخر ولكن ليس لدى الله "[٢٤٣]، لكي يُبيّن أن بر الإيمان أعظم من بر الناموس.

لقد قال قبلاً إن الشكوك أو التساؤلات نوعان، أما الآن فقد صارت ثلاثة، **أي أن الأمم قد أدركوا البر، ودون أن يسعوا في أثره قد أدركوه، وأنهم أدركوا أن هذا البر الذي بالإيمان هو أعظم من بر الناموس.** هذه التساؤلات ذاتها هى بالضبط التي تُصاغ أيضًا من جهة اليهود من الناحية العكسية، أن الإسرائيليين لم يدركوا البر، وأنهم لم يدركوه على الرغم من أنهم سعوا في أثره، وأنهم لم يدركوا ولا حتى القليل منه. إذًا بعدما وضع السامع في حيرة، أضاف الحل سريعًا فيما بعد، ثم يُقدم السبب لكل ما قيل. ما هو السبب إذًا؟ هو:

" لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان. بل كأنه بأعمال الناموس " (رو٩:٣٢).

هذا هو الحل الواضح جدًا لكل ما سبق طرحه، والذي لو كان قاله من البداية مباشرةً، لما كان مقبولاً بهذه السهولة. ولكن نظرًا لأنه ذَكَره بعد تساؤلات كثيرة، وإعداد، وبراهين، وعرض لشروحات كثيرة جدًا، فقد جعله أكثر سهولة وأكثر قبولاً. هذا هو سبب هلاكهم، أنهم لم يريدوا أن يتبرروا بالإيمان، بل بأعمال الناموس. ولم يقل بالأعمال، بل " كأنها بأعمال الناموس "، مُظهرًا كيف أنه، ولا هذا البر قد أدركوه.

" فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة. كما هو مكتوب ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل مَن يؤمن بي لا يُخزى " (رو٩:٣٣).

أرأيت مرة أخرى كيف أن الافتخار أو الشجاعة تأتي من الإيمان، وكيف أن العطية هى للجميع؟ لم يقل إنها فقط لليهود، بل هى لكل الجنس البشري. لأن كل واحد سواء كان يهوديًا أم يونانيًا أم سكيثيًا أم ثراكيًا أو من أي جنس، عندما يؤمن سيتمتع بمجازاة كبيرة ولن يُخزى، لكن ما يستحق الإعجاب في كلمات إشعياء النبي هو أنه لم يقل فقط كل

[٢٤٣] رو٤:٢.

من يؤمن، بل أنهم لن يؤمنوا، لأن كلمة اصطدموا بحجر العثرة، تعني أنهم لن يؤمنوا. تمامًا كما أعلن سابقًا، عن أولئك الذين يهلكون وأولئك الذين يخلصون، قائلاً: " *وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص* "، و " *لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلاً لصرنا مثل سدوم* "، ودعى من الأمم أيضًا، وليس فقط من اليهود، هكذا تحديدًا هنا أيضًا، يقول إن البعض سيؤمنون، والبعض سيتعثرون. أما من حيث إنهم يتعثرون فهذا يأتي نتيجة عدم الانتباه، حيث أنهم فشلوا في أمور أخرى. إذًا لأن هؤلاء تَطلّعوا نحو الناموس، اصطدموا بحجر الصدمة. ويقول النبي، حجر صدمة، وصخرة عثرة بسبب الاختيار، والنهاية التي تنتظر أولئك الذين لم يؤمنوا.

١١ ـ يا ترى، هل صار ما قيل واضحًا لكم، أم أنه يحتاج بعد لكثير من الشرح؟ أنا أعتقد أن الأمر أكثر من سهل بالنسبة للذين دقّقوا في فهم ما شرحناه، لكن إذا كان البعض لم ينتبه، فيمكن أن نلتقي معهم بشكل خاص، ويسألون ويعرفون. لأنه لهذا جعلت الشرح مطولاً، حتى يتضح بصورة كبيرة، ويُصبح مقبولاً لدى الجميع، ولكي يستمر سريان التتابع الفكري. ولهذا سأنهي الحديث هنا، دون أن أحدثكم مُطلقًا عن الموضوعات السلوكية، الأمر الذي تعودت أن أفعله، لكي لا أُجهد ذهنكم أيضًا بالكلام الكثير. حان الوقت إذًا لأُنهي حديثي بالنهاية المناسبة، وأختتمه بتمجيد إله الكل. فلنعطي المجد لله، لأن له الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين.

الأصحاح العاشر

الإصحاح العاشر

العظة الثامنة عشر:

" أيها الإخوة إن مسرة قلبي وطلبتي إلى الله لأجل إسرائيل هى للخلاص" (رو١٠: ١).

١ ـ مرة أخرى ينشغل الرسول بولس بهؤلاء اليهود بشكل أقوى من ذي قبل. ولهذا نجده يُزيل الشكوك التي توحي بوجود بغضة أو نفور، ويُمهد كثيرًا لما يريد قوله لكي يتفادى سوء ظن المتلقي لرسالته. هكذا يقول لهم، ينبغي ألاّ تتخوفوا من كلامي ولا من شكواي، بل إن ما أقوله ليس نابعًا من شعور عدائي. لأنه لا يمكن لشخص واحد، أن تكون لديه رغبة في خلاص هؤلاء اليهود، بل ويُصلي من أجل هذا الخلاص، ثم في نفس الوقت يُبغضهم وينفر منهم. بالإضافة إلى أن مسرته هنا كما يقول، هى رغبته الشديدة، والطلبة التي يرفعها إلى الله من أجل خلاص إسرائيل. ليس فقط من أجل أن ينجوا من الجحيم، بل لأجل خلاص هؤلاء، وهو مهتم بذلك ويُصلي كثيرًا لأجله. وهو يُظهر محبة تجاه هؤلاء اليهود، ليس فقط في هذا الجزء، بل وفي الآيات التي تَلي ذلك أيضًا. لأنه من خلال الأمور ذاتها، قد جاهد وناضل على قدر ما يستطيع، أن يجد لهم منفذًا ولو بقدر بسيط ليدافع عنهم. لكنه لم يستطع، لأن طبيعة الأمور قد أعجزته عن فعل هذا.

" لأني أشهد لهم أن لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة " (رو١٠: ٢).

بالطبع هذه الأمور تستحق المغفرة، وليس الإدانة. إذًا فإن كانوا مُتميزين، لا من الناحية الإنسانية، بل من جهة الغيرة لله، فمن العدل أن يُرَحموا، بدلاً من أن يُدَانوا.

لكن لاحظ كيف أنه بحكمة قد صنع لهم خدمة بكلمته، وأظهر شجارهم غير الملائم. لأنه يقول:

" لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله " (رو١٠: ٣).

أيضًا هذا الكلام يظهر غفرانًا، لكن الكلام اللاحق يُظهر إدانة شديدة جدًا، وينقض أي مُبرر من الممكن أن يُقال. " **ويطلبون أن يثبتوا بر**

أنفسهم، (لذلك) لم يخضعوا لبر الله ". وقد قال هذا الكلام لكي يُبيّن أنهم إنخدعوا بالأكثر بتأثير الرغبة في النزاع، وفي السلطة، وكذلك الجهل الشديد، إذ أنهم لم يَثبَتوا ولا حتى في هذا البر، الذي يأتي من تنفيذ وصايا الناموس. لأنه بقوله: "ويطلبون أن يثبتوا" يُظهر ذلك بالتحديد. وهذا ما لم يُشر إليه بوضوح، لأنه لم يقل إنهم فقدوا كل بر، لكنه ألمح إلى هذا برؤية كاشفة أو بنظرة ثاقبة، وبحكمة لائقة به. لأنهم إن كانوا يطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم، فمن الواضح جدًا أنهم لن ينجحوا في ذلك، إن لم يخضعوا لبر الله الذي فقدوه. وقد أطلق الرسول بولس على هذا البر الذي يُريدون تثبيته، بر أنفسهم، إما لأن الناموس لم يعد صالحًا، أو لأنهم اعتمدوا على جهدهم وأتعابهم، بينما دَعَى البر الذي يأتي بالإيمان، بر الله، لأنه يعتمد على نعمة الله بالكامل، ولا يمكن نواله بالجهد، بل بعطية الله. أما أولئك الذين يُقاومون الروح القدس بصفة دائمة، ويجاهدون لأجل التبرير بالناموس، فلن ينالوا الإيمان. ولأنهم لم يقبلوا الإيمان، فإنهم لم يحصلوا على البر الذي بالإيمان، ولأنهم أيضًا لم يستطيعوا أن يتبرروا بالناموس، يكونوا قد فَقَدوا البر من كل جهة.

٢ - " لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل مَن يؤمن " (رو١٠:٤).

هل رأيت كم هي عظيمة رؤية الرسول بولس؟ ليتك تلحظ ما فعل، فإنه تَكلّم عن البر الذي بالناموس، والبر الذي بالإيمان، حتى لا يعتقد أولئك الذين آمنوا من اليهود، أنهم امتلكوا برًا وفقدوا الآخر، وأنهم أُدينوا بالمخالفة (إذ أنه ما كان ينبغي لهم أن يتهاونوا، طالما أنهم كانوا مُعمَدين حديثًا، ولا أيضًا اليهود الذين لم يؤمنوا لهم رجاء في تحقيق هذا البر، وليس بإمكانهم أن يقولوا أننا سنحققه فيما بعد، حتى إن كنّا لم نحققه الآن، لاحظ ماذا يفعل، يُوضح أن البر واحد (وليس اثنين)، وأن بر الناموس، قد إنضم للبر الذي بالإيمان، ومن أعطى الأولوية لبر الإيمان يكون قد تمم البر الذي بالناموس أيضًا، أما الذي احتقر بر الإيمان، فقد صار فاقدًا لبر الناموس مع فقدانه لبر الإيمان. لأنه إن كان المسيح هو كمال الناموس،

فمن لا يقبل المسيح، لن يكون له في الواقع بر الناموس، حتى وإن كان يعتقد أنه يتمتع به، بينما من له المسيح، يكون قد حصل على كل شيء، حتى وإن كان لم يُحقق بر الناموس.

هكذا أيضًا فإن هدف العلاج هو استعادة الصحة الجيدة. تمامًا مثل ذاك الذي يستطيع أن يُعالِج آخر ويجعله في صحة جيدة، وإن كان ليس لديه بعد ترخيص لممارسة الطب، فإنه يملك كل شيء يقود للعلاج، بينما مَنْ لا يعرف أن يُعالِج، حتى إن كان يمارس العمل الطبي، يكون قد فَقَد كل شيء يقود للعلاج. هكذا فيما يتعلق بالناموس والإيمان، فإن من يوجد خارج حظيرة الإيمان، يعتبر غريبًا عن الناموس وعن الإيمان. إذًا ما هو الأمر الذي كان يُريده الناموس؟ كان يريد أن يُبرر الإنسان. لكنه لم ينجح، لأنه لا يوجد أحد قد تمم الناموس. لأن ما كان يصبو إليه الناموس هو تبرير الإنسان، وكانت جميع الممارسات تدور حول تحقيق ذلك الهدف ـ أى تبرير الإنسان ـ مثل الاحتفالات، والوصايا، والذبائح، وكل الأمور الباقية. لكن هذا التبرير قد حققه المسيح بأعلى درجاته، بالإيمان. إذًا لا تخاف من الناموس، لأنك أتيت إلى الإيمان، إذ كنت تخاف الناموس أنذاك، حين كنت بسبب هذا الناموس، لا تؤمن بالمسيح . فإن كنت قد آمنت بالمسيح، وتممت الناموس، وأكثر جدًا مما يأمر به، فهذا لأنك أخذت برًا أكبر بكثير من بر الناموس.

٣ ـ ولأن هذا كله كان أمرًا محسومًا، فإنه يؤكد عليه بعد ذلك من خلال الكتب. إذ يقول:

" لأن موسى يكتب في البر الذي بالناموس " (رو١٠: ٥).

ما يقوله يعني الآتي: إن موسى يُبيّن لنا ما هو البر الذي بالناموس، وما منطقه، ومما يتكون أو يتشكل؟ إنه يقوم على أساس تتميم الوصايا. يقول " ***إن الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها*** ". إذ أنه من غير الممكن أن يصير المرء بارًا بالناموس، إلاّ فقط من خلال تتميم كل الوصايا، بيد أن هذا لم يكن ممكنًا لأي أحد، وبناءً على ذلك، فقد فشل هذا البر . ولكن أخبرني يا

بولس عن هذا البر الذي يأتي من النعمة، وما الأساس الذي يقوم عليه؟ اسمع الرسول بولس الذي يصف هذا البر بوضوح. إذًا لأنه أدان البر الذي يأتي بالناموس، نجده يذهب فيما بعد إلى بر الإيمان، قائلاً:

" وأما البر الذي بالإيمان فيقول هكذا لا تقل في قلبك من يصعد إلى السماء أى ليحدر المسيح. أو من يهبط إلى الهاوية أى ليصعد المسيح من الأموات. لكن ماذا يقول. الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك أى كلمة الإيمان التي نكرز بها لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت لأن القلب يؤمن به للبرر والفم يعترف به للخلاص" (رو١٠: ٦-١٠).

إذن لكي لا يقول اليهود، كيف لهؤلاء الذين لم يجدوا البر الأصغر أن يحصلوا على البر الأكبر، فإنه يذكر الرؤية العكسية، إن طريق البر بالإيمان يعتبر أسهل من الطريق الآخر (أي طريق البر بالناموس). لأن طريق البر بالناموس يتطلب تتميم كل الوصايا، وحين تُتمّمها كلها، ستحيا. لكن البر الذي بالإيمان لا يتطلب هذا، فماذا يطلب؟ " *إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت* ". عليك أن تنتبه كيف يُكثر الرسول بولس من الحديث عن بر الإيمان بعد ذلك، لكي لا يظهر أيضًا أنه يجعله بلا قيمة، إذ يُظهره سهلاً وبسيطًا، لأنه لم يأت مباشرةً إلى ما قلناه، فماذا قال؟ " *وأما من جهة البر الذي بالإيمان فيقول* . " *لا تقل في قلبك من يصعد إلى السماء أي ليحدر المسيح. أو من يهبط إلى الهاوية أى ليصعد المسيح من الأموات* ". لأنه كما في حالة الفضيلة التي تُستعلن بالأعمال، فإن الإيمان يُقاوم الخمول، وتراخي القدرات، ويحث النفس على أن تكون مُتيقظة جدًا، حتى لا تتقهقر، هكذا أيضًا عندما نؤمن كما ينبغي، نجد أن هناك أفكارًا تُثير حالة من الخلط والشكوك، وتؤذي أذهان الكثيرين، وتحتاج إلى نفس قوية، تتصدى لها.

ولهذا تحديدًا يذكر هذه الأفكار، وما سبق أن ذكره في حالة إبراهيم، هذا يذكره هنا أيضًا، فهو يسمو بحقيقة الإيمان، بعدما أظهر كيف أن إبراهيم تبرّر بالإيمان، حتى لا يظهر أنه قد أخذ إكليلاً عظيمًا بهذا القدر

باطلاً، كما لو كان هذا الأمر لا قيمة له، فيقول: " *فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكي يصير أبًا لأمم كثيرة كما قيل هكذا يكون نسلك. وإذ لم يكن ضعيفًا في الإيمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتًا إذ كان ابن نحو مائة سنة ولا مُماتية مستودع سارة. ولا بعدم إيمان إرتاب في وعد الله. بل تقوى بالإيمان معطيًا مجدًا لله وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضًا* "[٣٤٤]. وأظهر أن الأمر يحتاج إلى قوة وإلى نفس سامية حتى تستقبل تلك العطايا التي تتجاوز مجرد الرجاء، وألا تتعثر بسبب ما تراه. وهذا هو ما يفعله هنا أيضًا، حيث يُظهر أن الأمر يحتاج إلى فكر حكيم، وإرادة عظيمة تسمو حتى إلى السماء، وهو لم يقل فقط، لا تقل، بل " لا تقل في قلبك " أي ولا حتى أن تفكر بالشك وتقول في نفسك، كيف يكون هذا ممكنًا؟

أرأيت كيف أن ملمح الإيمان يتضح في أن نطلب الحياة الأبدية، بعدما نترك كل تطور طبيعي للأمور، وبعدما نرفض الأفكار المريضة، ونؤمن أن كل الأشياء تأتي بقوة الله؟ وإن كان من المؤكد أن اليهود لم يقولوا هذا فقط، بل أضافوا إنه من غير الممكن أن يتبرَّروا بالإيمان. أما الرسول بولس فيقود من اتخذ اتجاهًا آخر، إلى الطريق الصحيح حتى يبرهن على أن البر هو عظيم بهذا القدر، وحين يتحقق فإنه يحتاج إلى الإيمان، وحينئذٍ يتضح كيف أنه أمر عادل وحق أن يُنسج إكليلاً لهؤلاء الذين يتبرَّرون بالإيمان، ويستشهد بما جاء في العهد القديم، مع توخي الحذر دائمًا في توجيه الإتهامات أو الإدانات، والصدام مع البر الذي بالناموس . ولهذا فإن ما يقوله هنا عن الإيمان، يقوله لهؤلاء من حيث وصية موسى، لكي يُظهر أنهم تمتعوا بإحسانات كثيرة من الله. لأنه من غير الممكن أن يقول إنه يجب أن يصعد إلى السماء وأن يعبر بحرًا كبيرًا، حتى يأخذ الوصايا، بل إن الأشياء العظيمة والهائلة قد جعلها الله سهلة بالنسبة لنا.

لكن ما معنى "الكلمة قريبة منك"؟ تعني أنها سهلة، لأن الخلاص يوجد في فكرك، وفي فمك، دون أن نسافر مسافات طويلة، ولا أن نبحر كثيرًا،

---

[٣٤٤] رو ٤: ١٨ـ٢١ .

ولا أن نتسلق جبالاً، هكذا يجب أن نَخلُص. لكن إن كنت لا تريد أن تسير حتى في هذا الطريق، فمن الممكن أن تَخلُص وأنت ماكث في بيتك، لأن بداية خلاصك هى في فمك وفي قلبك . بعد ذلك جعل كلامه عن الإيمان سهلاً، بقوله إن " الله أقامه من الأموات ". فكّر إذًا في مكانة وقيمة ذاك الذي أقامه، ولن ترَ أى صعوبة في ذلك. وبناء عليه، حيث إنه هو الرب، فمكانته تتضح من القيامة، الأمر الذي ذكره في بداية الرسالة: "*وتعين ابن الله .. بالقيامة من الأموات*"[٣٤٥]، ومن حيث أن القيامة سهلة التحقيق، فهذا ما تبرهن من خلال قوة ذاك الذي جعلها تتحقق أيضًا، مع أناس كان من الصعب جدًا أن يؤمنوا. إذًا عندما يكون البر عظيمًا ويسيرًا، وسهل القبول، وعندما يكون من غير الممكن أن نتبرر إلاّ بهذه الطريقة، ألا يُعتَبر سَعيهم لتحقيق المستحيلات نموذجًا لأسوأ أنواع الجهاد؟ فهم قد تركوا الأمور السهلة والهيّنة، ولذلك لن يستطيعوا أن يقولوا إنهم قد تركوا التفكير في بر الإيمان بسبب أنه كان ثقيلاً.

أرأيت كيف أنه ينزع عنهم كل صفح أو مسامحة؟ فأي دفاع يمكن أن يقدموه، بعدما فضّلوا ما هو ثقيل وصعب التحقيق، واستهانوا بما هو سهل، كما احتقروا أيضًا من استطاع أن يصنع لهم الخلاص، وأعطاهم ما لم يستطع الناموس أن يُعطيه؟ إن هذا كله لا يتعدى كونه دليلاً على رغبة في النزاع أو الجدال ومقاومة الله. خاصة وأن الناموس ثقيل ومُرهِق، بينما النعمة سهلة. ولا يَقدِر الناموس أن يخلّص حتى وإن حاولوا تنفيذ وصاياه بإجتهاد كبير، بينما النعمة تمنح البر الذي لها، وبر الناموس أيضًا. أي كلام إذًا يمكن أن يُخلّصهم، حين يتصرفون برغبة عدائية تجاه النعمة، بينما هم يَتَطلَعون إلى الناموس، لكن بلا هدف، ويتجهون نحو الأمور التي لا فائدة من ورائها؟

٤ ـ ولأنه قال شيئًا عظيمًا، فهو يؤكد عليه بعد ذلك أيضًا من الكتب المقدسة، إذ يقول:

---

[٣٤٥] رو ١:٤.

" لأن الكتاب يقول كل من يؤمن به لا يُخزى. لأنه لا فرق بين اليهودى واليوناني لأن ربًا واحدًا للجميع غنيًا لجميع الذين يدعون به لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص " (رو١٠: ١١-١٣).

أرأيت كيف أنه يقدم شهودًا للإيمان، وللإعتراف أيضًا (باسم الرب)؟ لأنه حين يقول " كل من يؤمن"، يشير إلى الإيمان، وحين يقول "كل من يدعو"، يُظهر الاعتراف باسم الرب، ثم يكرز أيضًا بعد ذلك بالنعمة التي هى للجميع، ويكبح إفتخار أولئك اليهود بتلك الأمور التي أظهرها سابقًا من خلال أشياء كثيرة، هذه الأشياء ذاتها يذكرها في إيجاز، لكي يُبيّن مرة أخرى، أنه لا يوجد أى فرق بين اليهودي وغير المختتن. " *لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني* ".

فيما يتعلق بكلامه عن الآب، وإثبات أن أبوته للجميع، هذا يقوله أيضًا عن الابن. لأن هذا ما حدث سابقًا، إذ بيّن ذلك قائلاً: " *أم الله لليهود فقط. أليس للأمم أيضًا. بلى للأمم أيضًا. لأن الله واحد* "[٣٤٦]. هكذا هنا أيضًا يقول: " *لأن ربًا واحدًا للجميع غنيًا لجميع الذين يدعون باسمه*". أرأيت أنه يظهر أن الابن يرغب بشدة في خلاصنا، طالما أن الرسول بولس يعتبر أن هذا الخلاص هو من فيض غناه؟ وبناءً على ذلك، ينبغي على هؤلاء اليهود الآن، ألا ييأسوا، وألاّ يعتقدوا بالطبع أنهم غير مستحقين للغفران، إن كانوا يرغبون حقًا في التوبة، لأن الابن الذي يعتبر أن غناه يتمثل في كونه يُخلّصنا، لن يتوقف عن أن يكون غنيًا، وهو يظهر غناه أيضًا عندما يُرسِل العطية للجميع بوفرة. ولأن ما يغضبه بشكل خاص هو أن الأولوية في الاختيار كانت لهم، وكانوا يتفوقون على كل المسكونة، إلا أنهم نزلوا من هذه العروش، لأن الإيمان الآن هو بالمسيح (وليس بالناموس)، ولا يوجد الآن ما يُميّزهم على غيرهم، لذا فالرسول بولس يقدم لهم دائمًا ما قاله الأنبياء وكرروه عن هذه المساواة " *كل من آمن به لا يخزى* "[٣٤٧]. " *ويكون أن كل*

---

[٣٤٦] رو٣: ٢٩-٣٠.

[٣٤٧] إش٢٨: ١٦.

من يدعو باسم الرب ينجو "[٣٤٨]. وفي كل موضع يُشير إلى عبارة "**كل من**"، **لكي لا يعترضوا.**

٥ ـ لا يوجد شيء أكثر سوءًا من الزهو أو الكبرياء، لأن هذا الكبرياء قد أهلكهم أكثر من أى شيء،. ولهذا قال لهم المسيح له المجد " كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدًا بعضكم من بعض. والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه "[٣٤٩]. هذا الكبرياء والذي يحمل معه الهلاك، يستحق أيضًا كثيرًا من السخرية، حتى قبل الدينونة الأخيرة، وفي طياته الكثير من الشرور في هذه الحياة الحاضرة، وإن شئت، فلابد أن تفهم هذا جيدًا، وخاصةً بعدما تركنا أولاً الفردوس الذي طُردنا منه بسبب هذا الكبرياء، ليتنا ننتبه إلى كل هذا. فهل هناك ما يكبّدنا خسائر أكثر من هذا الكبرياء؟ وماذا يمكن أن يوجد أكثر قبحًا وأكثر صعوبة من هذا التباهي؟ لأنه من المؤكد أن مرض المجد الباطل يُكلّف الإنسان الكثير، وهذا صار واضحًا من سلوك الذين ينفقون أموالهم في أمور لا فائدة منها، ولا هدف لها، في المسارح، وسباقات الخيل، وفي إسراف غير لائق، وصار واضحًا أيضًا من سلوك الذين يُشيّدون بيوتًا فخمةً باهظة التكاليف، والذين يسعون بكل الوسائل لتكوين ثروة بلا نفع أو فائدة.

وكون أن المُصاب بهذا المرض هو كثير الاسراف، ومضطر أن يصير خاطفًا وطمّاعًا، فهذا بالطبع أمر واضح لكل أحد. لأنه لكي يستطيع أن يقدم طعامًا لهذا الوحش (شهوة المجد الباطل)، فهو يمد يده إلى ثروات الآخرين. وماذا أقول عن الثروات؟ فليس الأموال فقط، بل أيضًا نفوسًا كثيرة تلتهمها هذه النار هنا، وهو يؤدي إلى الموت ليس فقط في الحاضر، بل وفي المستقبل أيضًا. لأن المجد الباطل يقود إلى جهنم، وهو الذي يُشعل نار جهنم بقوة، وبسببه أيضًا ستصير هذه النفوس غذاءً للحشرات السامة.

[٣٤٨] يوئيل ٢: ٣٢.

[٣٤٩] يو ٥: ٤٤.

وبالطبع يمكن للمرء أن يرى أن هذا المجد الباطل يسود بين الأموات، وماذا يمكن أن يوجد أسوأ من هذا؟ لأن كل الشهوات تبطل بعد الموت، ولكن شهوة المجد الباطل فإنها تصارع بعد الموت أيضًا، وتحاول أن تُظهر طبيعتها في الجسد الميت. لأنهم حين يَتركون وصية أن تُشيَّد لهم قبورًا فخمة عند موتهم، ويُنفقون كل ثروتهم، بل ويحرصون على جمع أموال كثيرة قبل أن يموتوا، وذلك من أجل نفقات الدفن، بينما وهم بعد أحياء، تجدهم يحتقرون الفقراء الذين يقتربون منهم من أجل فلس واحد، وقطعة خبز، إلاّ أنهم بمجرد أن يموتوا، يصيرون مائدة غنية للديدان. ماذا يمكن أن تقول عن هذا الطغيان المستبد، وعن هذا المرض (المجد الباطل). إن هذا الشر يُفرز ولع فاسد وغير مقبول، إذ أن شهوة المجد الباطل ألقت بالكثيرين في الزنا، لا من حيث جمال الوجه، ولا الشهوة الجسدية، بل لأنهم يريدون أن يفتخروا بأن فلانة قد أوقعوا بها، وزنوا معها.

ولماذا ينبغي أن أتكلم عن الأمور الأخرى، فإن قدر كبير من الشرور نبتت من هذه الشهوة؟ لأنني أُفضّل أن أصير عبدًا لعدد كبير من البربر، على أن أُستَعَبد مرة واحدة، للمجد الباطل. خاصةً وأن هؤلاء البربر لا يأمرون الأسرى بالخضوع لهذه الشهوة، بينما هذه الشهوة تأمر رعاياها بالخضوع لها. إذًا بحسب ما تأمر به هذه الشهوة: أنت مضطر أن تكون عبدًا للجميع، سواء كانوا أعلى منك أو أقل.

إنها تقول لك: احتقر النفس، لا تعتني بالفضيلة، اسخر من الحرية، ضحي بخلاصك. وإن صنعت صلاحًا ما، لا تصنعه لكي تكون مرضيًا أمام الله، بل لكي تظهر أمام الجميع أنك صالح، حتى تفقد المكافأة بسبب هذا كله. وعندما تمارس أعمال رحمة أو تصوم، فلتعاني من المتاعب، بل واحرص على أن تخسر الربح.

ماذا يمكن أن يوجد أقسى من هذه الأوامر؟ فمن هذه الشهوة (أى المجد الباطل) يأتي الحسَد، ويأتي اليأس، ومنها تبدأ الشرور والبخل. لأن جموع

الخدم والبربر المزينين بالذهب، والطفيليين والمنافقين، والعربات المطلية بالفضة، والأمور الأخرى والتي هى مثيرة بالأكثر للسخرية، لا تحدث بسبب اللذة، ولا بسبب إحتياج ما، بل فقط بسبب المجد الباطل.

٦ ـ بيد أنه من حيث إن هذه الشهوة تعتبر شهوة رديئة، فهذا واضح لكل أحد. لكن كيف يمكننا أن نتجنبها، هذا ما يجب أن يقوله لنا القديس بولس. سنبدأ بداية رائعة من أجل التغيير أو التصحيح، لو أنك أقنعت نفسك جيدًا، أن هذا الداء ـ أي شهوة المجد الباطل ـ هو داء مُفزع. لأن المريض أيضًا سيطلب الطبيب على وجه السرعة، إن علم أنه مريض. أما إن كنت تطلب أو تبحث عن طريقة أخرى لتجنب هذه الشهوة، فيجب عليك أن تتطلع دومًا نحو الله، وأن تكتفي بالمجد الإلهي. وحتى وإن كنت ترى بعد أن الشهوة تُداعبك أو تدغدغ إرادتك، وتُحركك للتحدث بفخر عن إنجازاتك لمن هم شركائك في الإنسانية، وطالما أنك تفكر مرة أخرى، في كيف يمكن أن تستعرض ذلك، وأنه لا ينتج من ورائها أي ربح، فعليك أن تمحو هذه الرغبة الفاسدة، وقل لنفسك ها إنكِ تعبتِ كل هذا الزمان حتى لا تبوحِ بإنجازاتك، وأنتِ لم تحتملي أن تحتفظي بها سرًا، بل ها هي قد أُعلنت للجميع، فماذا تحقق لكِ، أكثر مما أنتِ عليه هنا؟ بالطبع لا شيء، بل خسارة وأكثر من خسارة، إذ أنك تُفرغِ كل ما جُمع بجهد وتعب كثير.

لكن مع كل هذا، فكّر في أن قرار الكثيرين وحكمهم هو قرار وحكم خاطئ، وليس فقط خاطئًا، بل إنه سريعًا ما يزول. لأنه وإن كانوا قد أُعجبوا بك للحظة، فعندما يعبر الوقت، فإنهم ينسون كل شيء، وهكذا يكونوا قد خطفوا الإكليل الذي أعطاه الله لك، ولم يستطيعوا أن يحتفظوا لك بالإكليل الخاص بهم. وإن افترضنا أن هذا الإكليل باق، فسيكون من يُبدّل إكليله بإكليلهم، هو شخص تعس جدًا، أما عندما يتحطم هذا الإكليل، فأى مُبرر سنُعطي، طالما إننا نُسلّم الذي يبقى من أجل الزائل، ومن أجل أن ننال مديح القليلين، نفقد كل هذه الخيرات الكثيرة؟ وحتى وإن كان الذين يمتدحوننا هم كثيرون، فإننا هكذا سنكون

مستحقين للعذاب، وبالأكثر في الوقت الذي يمدحوننا فيه. ولكن إن كنت تشك فيما قيل، فاسمع المسيح له المجد حين يُدين هذا. " ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسنًا "[٣٥٠]، وهذا كلام له ما يبرره. لأنه لو كان يجب على الصنّاع أن يطلبوا مُقيّمين أو قضاة لكل عمل، فكيف تسمح للناس أن يراقبوا الفضيلة، ولا تسمح لله الذي يعرف قبل الجميع وأكثر من الجميع، والذي يمكنه أن يُدين، وأن يُكلل؟ لنكتب هذه العبارة إذًا على الجدران، وعلى الأبواب، ولنرددها في آذاننا، ونكررها في أنفسنا دائمًا: **ويل لنا إذا قال فينا جميع الناس حسنًا.**

وهؤلاء الذين يمتدحونك، هم بالحقيقة الذين يذمونك فيما بعد ويقولون عنك إنك محب للمجد الباطل والعظمة، وإنك تشتهي مديحهم بشكل مُبالغ فيه. أما الله فلا يفعل هذا، بل عندما يراك تشتهي مجده، فهو يمتدحك في ذلك الوقت ويصنع معك معجزات، ويُكللك. وعلى العكس من ذلك فإن الإنسان لا يفعل هكذا، بل يعتبرك عبدًا بدلاً من حرًا، وكثيرًا ما يمتدحك مدحًا كاذبًا فقط وبكلام ساذج، ويكون قد إختَطَف منك الأجر الحقيقي واشتراك، بل وبالأكثر جعلك عبدًا. لأن العبيد يخضعون لسادتهم بعد أن يصدروا لهم أوامرهم، أما أنت فتصبح عبدًا بدون أوامر. لأنك لا تنتظر أن تسمع شيئًا من الذين يمدحونك، بل بدون أن يصدروا لك أوامرهم، فأنت تفعل كل شيء يُسعدهم. إذًا ألا نكون مستحقين لهذا القدر من الجحيم، حين نُفرِح الأشرار، ونخضع لهم حتى قبل أن يأمروننا، بينما الله الذي يحثنا وينصحنا كل يوم، لا نسمع له؟

ولكن إذا كنت تشتهى المجد والمديح إشتهاءً شديدًا، فعليك أن تتجنب مديح الناس، وعندئذٍ ستنال المجد. احتقر الكلام المنمق، حينئذٍ ستتمتع بمديح كثير من الله ومن الناس أيضًا. لأن مَن يحتقر ويزدري المجد الباطل هو عادةً الذي نمجده ونمتدحه ونُعجب به. فإذا نحن احتقرنا المجد الباطل، فبالحرى جدًا سيُمجدنا إله الكل، وعندما يُمجدك الله ويمتدحك، فمن

---

[٣٥٠] لو٦:٢٦.

ذاك الذي يمكن أن يكون أكثر سعادة منك؟ وبالحقيقة فإنه بقدر إتساع المسافة بين المجد والإزدراء، هكذا يكون الفرق بين المجد الإلهي، والمجد الإنساني الباطل، شاسعًا جدًا ولا نهاية له. فإذا كان المجد الإنساني الباطل سيئًا ورديئًا حتى عندما لا يُقارن بشيء، أو عندما نفحصه بالمقارنة مع شيء آخر، ففكّر إذًا في مدى القبح الذي سيظهر منه. فهو مثل المرأة الزانية تمامًا، حتى ولو كانت تُقيم في منزل، إلاّ أنها تعرض نفسها للآخرين، هكذا أيضًا عبيد المجد الباطل. وربما هم أسوأ من هذه المرأة الزانية، لأن مثل هؤلاء النساء كثيرًا ما يحتقرن شخصًا يكون قد اشتهاهم، بينما أنت قد عَرضتَ نفسك للجميع، لمجرمين ولصوص، ولسارقي الأموال. لأن هؤلاء وأشباههم يمثلون المتفرجين الذين يمتدحونك. وهؤلاء الذين عندما يكونون متفرقين بعيدًا، لا تعتبرهم مستحقين شيئًا على الاطلاق، لكنهم عندما يجتمعون معًا، تُفضّلهم على خلاصك، وتقدم نفسك مُجردًا من المجد أكثر من كل هؤلاء.

بالحقيقة كيف لا تكون مُجردًا من المجد، أنت يا من تحتاج للمديح من الآخرين، وهل تعتقد إنك لو أخذت المجد من آخرين سيكون هذا مفيدًا لك؟ أخبرني، ألم تفكر، بالإضافة إلى كل ما قيل، كيف أنهم عندما ينظروا إليك من كل جانب، حين تصبح معروفًا للجميع، أنه سيكون أمامك عددًا لا يُحصى ممن يدينونك إذا ما أخطأت، بينما حين تكون غير معروف، ستبقى في أمان؟ نعم هكذا يقول، وحين أُحقق إنجازات، سيكون لديّ مُعجبين لا حصر لهم. إنه لأمر مخيف حقًا، ليس فقط حين تُخطئ، لكن أيضًا حين تُحقق إنجازات، فإن مرض المجد الباطل سيؤذيك. لقد طرح الكثيرين أرضًا من قبل، والآن ينزع عنك كل أجرك.

٧ ـ إذن، فاشتهاؤك بشدة للمجد في الأمور العالمية يُعَد أمرًا مُخيفًا ومُخزيًا للغاية، لكن حين تُصاب بنفس المرض في الأمور الروحية، فكيف تتوقع أن يُغفَر لك، إذا كنت لا تريد أن تقدم لله قدرًا من الكرامة التي تنالها أنت ذاتك من الخدم؟ لأن العبد يتطلع إلى عَينيّ سيده، والعامل إلى عَينيّ صاحب

العمل، الذي سيدفع الأجر، والتلميذ إلى مُعلّمه، بينما أنت تفعل العكس تمامًا، عندما تترك الرب الذي أسند إليك عمله مقابل أجر، وتتطلع إلى بشر مثلك، على الرغم من أنك تعلم أن الله لا ينسى لك في الدهر الآتي ما قد حققته، بينما الإنسان يذكره لك هنا في الحاضر، وبالرغم من أن لك شهودًا يجلسون في السماء، فإنك تجمع حولك شهودًا أرضيين. إن الشخص الرياضي يكون متميزًا عندما يدخل في منافسة، بينما أنت وإن كنت تجاهد، إلاّ أنك تحاول أن تُتوَّج في الأرض. وهل هناك غباء أسوأ من ذلك؟

والآن لنرَ إن كنت تُريد هذه الأكاليل. واحد منها هو من الغباء، والآخر من حَسَد الغير، وبعضها من السخرية والتملق، وآخر من المال، وغيره من الخدمة الدنيئة. وكما أن الأولاد عندما يلعبون يضعون تاجًا من العشب، فوق رأس واحد منهم، دون أن يدري، ثم يسخروا منه من الخلف، هكذا الآن أيضًا، فإن الذين يمتدحونك، كثيرًا ما يهزأون بك في داخلهم، واضعين عليك تاجًا من عشب. وليت تاج العشب فقط، بل يكون مملوءً بالأضرار، ويدمر كل ما حققناه من إنجازات. إذًا طالما أنك تفكر في مدى تفاهة هذا التاج، فلتتجنب الخسارة، أو الضياع. كم عدد مَن ترغب في أن يمتدحونك؟ هل مائة أم مائتان، أم ثلثمائة أم أربعمائة؟ وإن أردت، احسب عشرة أضعاف هؤلاء، أو عشرين ضعفًا، وليكونوا ألفين أو أربعة آلاف بل ليكونوا عشرة آلاف إن شئت، ممن يُصفقون لك، لكن هؤلاء لا يختلفون كثيرًا عن الطيور التي تصيح من أعلا، أو من الأفضل أن نقول، لو تأملت مسرح الملائكة، سيظهر هؤلاء أنهم لا يمثلون أي شيء، وأنهم أقل من الحشرات، ومديحهم أضعف بكثير من العنكبوت، والدخان، والأحلام. اسمع القديس بولس، الذي فكّر في هذه الأمور باهتمام، فهو لا يتوقف عند رفض هذه الأمور فقط، بل لا يتمناها مطلقًا، قائلاً: " وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح "[351].

[351] غلا٦:١٤.

إذن فلتتمثل أنت أيضًا بهذا الافتخار، لكي لا تُغضب الرب. لأنه حين تسعى نحو المجد الباطل، فإنك تزدري بالله، وليس بنفسك فقط. فإن كنت رسّامًا وتتلمذت على يد آخر، وحدث فيما بعد أنه أهمل أن يوضح لك فنه، ووضع اللوحة في الخارج للعابرين فقط، فإنك ستعاني من هذا الأمر في هدوء. فإن كان هذا الأمر يُعَد بالنسبة للبشر الذين هم مثلك، إهانة، فبالأكثر جدًا يكون للرب. وإن أردت أن تتعلم احتقار المجد الباطل بطريقة أخرى، فلتصر أسمى في الفكر: احتقر الأمور المرئية، اجعل حبك أكبر للمجد الحقيقي، وامتلئ بالفكر الروحي، قل لنفسك كما قال الرسول بولس: " ألستم تعلمون أننا سنُدين ملائكة "[352]. وبعدما تسمو هكذا، وبّخ نفسك بعد ذلك، وقل لها، أنتِ يا من ستدينينِ ملائكة، هل تريدين أن تُدَانين ممن لا قيمة لهم، وأن تُمتَدحى مع راقصين، وممثلين، ومصارعي وحوش، وقائدي العربات التي تجرها الخيول؟ لأن هؤلاء يسعون نحو هذا المديح.

لكن أنت فلتسمُ فوق صيحاتهم، ولتحاكِ ساكن الصحراء (يوحنا المعمدان)، وتعلم كيف أنه ازدرى بذلك الجمع، وعندما تملقوه لم يتغير، بل على النقيض عندما نظر كل سكان فلسطين قد جاءوا إليه وأُعجبوا به وبقوا في دهشة منه، لم يقبل هذه الكرامة العظيمة جدًا، بل غضب في مواجهتهم، وتحدث مع هذا العدد الكبير، كما لو كان يتكلّم مع طفل صغير، هكذا وبّخهم قائلاً: " يا أولاد الأفاعي "[353]. وإن كان من المؤكد أنهم تجمّعوا وتركوا مدنهم من أجله، لكي يَروا هذه القامة الروحية المقدسة، لكن لا شيء من كل هذا قد فَتَنه، لأنه كان بعيدًا عن المجد الباطل، وحرًا من كل تباهي أو افتخار. وهكذا أيضًا اسطفانوس، وهو ينظر لنفس الشعب، الذي لم يكن يُكرّمه، بل كان في حالة هياج شديد ضده، ويصرّ بأسنانه، وبعدما سمَا فوق هياجهم وغضبهم قال: " *يا قساة*

---

[352] ١كو٦:٣.

[353] مت٣:٧.

الرقاب وغير المختونين بالقلوب "[354]. وهكذا إيليا أيضًا، فبينما كانت تلك القوات حاضرة[355]، وأيضًا الملك، وكل الشعب قال: " *حتى متى تعرجون بين الفرقتين* "[356]. لكن نحن نتملق الجميع، نخدمهم ونحن نستغل حبهم للكرامة. ولهذا تداخلت كل الأمور وتشوشت، وابتعد المسيحيون عن احتقار المجد الباطل، وكل شيء أُهمِلَ من أجل مديح الكثيرين.

إذن فلنقتلع شهوة المجد الباطل من الجذور، وعندئذٍ سنعرف جيدًا معنى الحرية، وسنصل إلى الميناء، حيث التمتع بالهدوء. لأن مُحِب المجد الباطل يُشبه أولئك الذين هم في وسط الأمواج والعواصف، فهو يرتعب على الدوام ويخاف ويخدم سادة كثيرين، بينما مَنْ هو موجود خارج هذا القهر، فإنه يُشبه الذين يجلسون في المواني ويتمتعون بحرية واضحة. أما مَن يسعى للمجد الباطل فليس كذلك، بل يضطر أن يصير عبدًا لهذا الحشد الكبير من السادة الذين أصبح معروفًا لديهم. إذًا كيف سنتحرر من هذه العبودية المخيفة؟ نتحرر منها، حين نسعى نحو التمتع بمجد آخر، نحو المجد الحقيقي. لأنه كما أن أولئك الذين يشتهون الوجوه البشرية، عندما يظهر وجه آخر أكثر إشراقًا، فإنه يُبعدهم عن الوجه السابق، هكذا بالضبط أولئك الذين يشتهون المجد البشري، عندما يشرق عليهم المجد السمائي فإن هذا المجد يستطيع أن يبعدهم عن ذلك المجد البشري.

فلنَحذَر ونحترس من المجد الباطل، ولنختبر بهاء المجد السمائي، حتى أننا بعدما نتمتع بجماله، نتجنب قبح المجد الباطل، مختبرين على الدوام متعة ولذة هذا المجد السمائي. وليتنا ننال جميعًا هذا المجد بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة إلى أبد الدهور آمين.

---

[354] أع٧: ٥١.

[355] انظر ١مل١٨: ٢١.

[356] ١مل١٨: ١٩.

العظة التاسعة عشر:

" فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به. وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به وكيف يسمعون بلا كارز وكيف يكرزون إن لم يرسلوا كما هو مكتوب ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات " (رو١٠: ١٤-١٥).

١ ـ مرة أخرى ينزع عنهم الصفح. لأنه قال: "*لأني أشهد لهم أن لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة. لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله ... لم يخضعوا لبر الله*"[٣٥٧]، ويُظهِرْ بعد ذلك أنهم من أجل هذا الجهل، يدينهم الله. وهو لم يقل هذا بالطبع، لكنه يمهّد لهذا الأمر، مستمرًا في تقديم عدة تساؤلات، وهذا ما يعرض له في هذا الجزء، بتساؤلات وشروحات. لكن لاحظ من البداية، كيف قال إن النبي: " *كل من يدعو باسم الرب يخلص* "[٣٥٨]. وربما يستطيع المرء أن يسأل، وكيف يمكنهم المناداة باسم الرب الذي لم يؤمنوا به؟ ثم يتساءل الرسول بولس بعد هذا التعارض: ولماذا لم يؤمنوا؟ ومرة أخرى يمكن للمرء أن يقول إن هناك تعارض، وكيف يمكن أن يؤمنوا بدون أن يسمعوا؟ ولكنهم سمعوا. وبعد ذلك يظهر تباينًا آخر. وكيف يمكنهم أن يسمعوا بلا كارز؟ ثم يقدم بعد ذلك أيضًا شرحًا. ولكن كثيرين كرزوا وأُرسِلوا لهذا الأمر تحديدًا. ومن أين يتضح أن هؤلاء هم الذين أُرسلوا. حينئذٍ يستشهد بالنبي الذي يقول: " *ما أجمل أقدام المبشّرين بالسلام المبشرين بالخيرات* "[٣٥٩].

أرأيت كيف أنه من خلال طريقة التبشير، يُظهِر المبشّرين؟ لأن المبشرين الذين ذهبوا إلى كل مكان، لم يتحدثوا إلاّ عن تلك الخيرات المحفوظة لنا، وعن سلام الله الذي صار لكل البشر. وبناءً على ذلك فقد قال الرسول بولس للذين بشّرهم إنكم حين لا تصدقوا فإن عدم التصديق لا ينصرف إلينا، بل أنتم لا تصدقون إشعياء الذي قال من سنوات بعيدة، إننا سنُرسَل وسنُبشِر، وسنتكلّم بتلك الأمور التي تكلمنا عنها. إذًا خلاصهم يعتمد على دعوتهم

[٣٥٧] رو١٠: ٢ـ٣.

[٣٥٨] رو١٠: ١٣.

[٣٥٩] إش٥٢: ٧.

باسم الرب، وأن يدعوا بما يؤمنون به، وأن يؤمنوا بما سمعوه، وأن يسمعوا لتلك الكرازة التي بُشروا بها وما أُرسِلَ لأجله المُرسَلون. هكذا أُرسِلَ المبشّرين وكرزوا، وقد أشار النبي إليهم قائلاً: كيف أن هؤلاء هم الذين قد أَعلَنت عنهم بنعمة الله منذ سنوات عديدة، والذين قصدتهم وتكلمت عن أقدامهم. ومن حيث طريقة البشارة، فهى واضحة جدًا، ولأنهم لم يؤمنوا، فقد صاروا مُدَانين. لأن كل شيء ارتبط بالله، قد تُمّم من جانب الله.

٢ ـ " لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل. لأن إشعياء يقول يا رب من صدق خبرنا. إذًا الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله " (رو١٠: ١٦ـ١٧).

وقد أضافوا أيضًا اعتراضًا آخرًا قائلين، لو أن هؤلاء كانوا مُرسلين وأُرسلوا من الله، فكان ينبغي على الجميع أن يطيعوهم. لاحظ حكمة الرسول بولس، كيف أن هذا الأمر ذاته الذي أثار صخبًا، يقدمه على أنه مُناقض للصخب والإزعاج. إذًا ما الذي يُعثرك أيها اليهودي ـ هكذا يقول الرسول بولس ـ بعد كل هذا، وبعد مثل هذه الشهادة ودلائل الأمور؟ هل لأن "ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل"؟ إن هذا تحديدًا، بالإضافة لأمور أخرى كان يكفي أن يجعلك تؤمن بكل ما قيل، بشأن "أن ليس الجميع قد أطاعوا"، لأن هذا هو ما سبق وتكلم عنه النبي من البداية . وانتبه إلى حكمة القديس بولس غير الموصوفة، كيف أنه يُظهر هذا الأمر بالأكثر من خلال تلك الأشياء التي وضع هؤلاء رجائهم وأملهم فيها. إذًا ماذا تدَّعون؟ هكذا يقول الرسول بولس، هل لأن "ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل"؟ لكن هذا ما قاله إشعياء من البداية، أو من الأفضل أن نقول ليس هذا فقط، بل وأكثر من هذا. فأنتم تشتكون أن "ليس الجميع قد أطاعوا"، بينما إشعياء يقول شيئًا أكثر من ذلك . إذًا ماذا قال؟ " *يا رب من صدق خبرنا* ".

لقد رجع الرسول بولس إلى السياق السابق بعد أن أوقف ذلك الصخب بواسطة استدعاء قول النبي. إذًا لأنه قال، إنه كان ينبغي أن يدعوا باسم الرب، وأنه يجب على الذين يَدعون أن يؤمنوا، وأولئك الذين يؤمنون أن

يسمعون أولاً، وأولئك الذين يسمعون أن يكون هناك من يكرز لهم، ولابد للكارزين أن يُرسَلوا، فقد أوضح أنهم أُرسلوا وكرزوا. ولأنه أيضًا كان ينوي أن يقدم مفارقة أخرى، أتخذ أولاً دافعًا من خلال شهادة أخرى للنبي (إشعياء)، هكذا ينسج هذه الشهادة ويربطها بالسابقة. لأنه استشهد بالنبي القائل: "*يا رب من صدق خبرنا*"، مستفيدًا من الشهادة في اللحظة المناسبة، ويقول "*إذًا الإيمان بالخبر*". لكنه لم يُشر إلى هذا مصادفة، بل لأن اليهود في كل عصر كانوا يطلبون معجزات، وأن يتحققوا من مشهد القيامة، وكانت لديهم شكوكًا تجاه كل هذا، يقول إن النبي لم يقدم وعودًا لهذه الأمور، ولكن كان ينبغي علينا أن نؤمن بسماعنا للكرازة. من أجل هذا، قدم هذا القول أولاً، وقال "*إذًا الإيمان بالخبر*" أي بسماع الخبر.

وبعد ذلك ولأن عدم أهمية هذا الأمر قد ظهرت، لاحظ كيف يعرضه، لأنه لم يقل سماع فقط، ولا أنه ينبغي أن نسمع كلام بشري ثم نؤمن، بل أن نسمع كلامًا عظيمًا. لأن السمع صار لكلمة الله. لأنهم لم يتكلموا بكلامهم، لكنهم أخبروا بتلك الأمور التي تعلموها من الله، الأمر الذي يُعَد أسمى من المعجزات. لأنه عندما يتكلم الله وعندما يصنع معجزات، يجب أن تؤمن وأن تخضع، لأن الأعمال والمعجزات تتم بكلمته. لأنه بالحقيقة السماء وكل الأشياء الأخرى قد تثبّتت بكلمته.

٣ ـ بعدما أظهر أنه ينبغي أن يؤمنوا بالأنبياء، الذين يتكلمون دائمًا بكلمة الله، وألا يطلبوا شيئًا أكثر من السمع، يضيف بعد ذلك التباين الذي أشار إليه، ويقول:

" لكنني أقول ألعلهم لم يسمعوا " (رو١٠:١٨).

ماذا إذًا، فإن كان المبشرون قد أُرسلوا، وَبشروا بتلك الأمور التي أُمروا بها، ألم يسمع هؤلاء؟ ثم يتبع هذا الكلام بحل قاطع لهذا التباين إذ يقول: "*بلى. إلى جميع الأرض خرج صوتهم وإلى أقاصي المسكونة أقوالهم*"، يقول لهم، ماذا تقول ألم يسمعوا؟ إن المسكونة وأقاصي الأرض قد سمعت، وأنتم كنتم بالقرب من المبشرين الذين انتظروا كل هذه السنين، والذين هم من

جنسكم، ألم تسمعوا؟ وكيف يكون هناك مبررًا لذلك؟ فلو أن أقاصي الأرض قد سمعت، فبالأولى كثيرًا أنتم. بعد ذلك يُظهر تعارضًا آخر "***لكني أقول ألعل إسرائيل لم يعلم***" فمن المؤكد أنهم قد سمعوا، لكن ألم يعرفوا ما قيل، ولم يفهموا أن أولئك الكارزين كانوا مُرسَلين؟ وهل يكونون مستحقين للغفران لأجل جهلهم هذا؟ كلاًّ على الإطلاق، لأن إشعياء وصف هؤلاء قائلاً: "*ما أجمل قدمي المبشر المخبر بالسلام*"[٣٦٠]. وقبل إشعياء كان المشرع ذاته قد أشار إلى ذلك أيضًا. ولهذا فقد أضاف الرسول بولس:

أولاً موسى يقول: " أنا أغيركم بما ليس أمة بأمة غبيه أغيظكم " (رو١٠:١٩).

لأجل هذا كان ينبغي أن يعرفوا المبشرين، وليس لأنهم لم يؤمنوا فقط، ولا لأن المبشرين بشَّروا بالسلام، ولا لأنهم بشَّروا بتلك الخيرات، ولا لأن الكلمة انتشرت في كل المسكونة، بل لأنهم رأوا أن الأقل منهم، أي الذين أتوا من الأمم، وجدوا كرامة أكثر. لأن تلك الأمور التي لم يسمع بها الأمم، ولم يسمع بها أجدادهم، قد آمنوا بها فجأة، الأمر الذي يمثل ملمح لكرامة فائقة، والذي استثار اليهود جدًا، وقادهم إلى الغيرة وإلى تذكّر نبوة موسى الذي قال "*أنا أُغيركم بما ليس أمة* ". لأنه ليس فقط الكرامة الفائقة التي نالها الأمم كانت كافية أن تؤدي بهم إلى الغيرة، بل بالحرى لأن الأمة التي تمتعت بهذه الأمور كانت لا قيمة لها، حتى أنها لم تكن مستحقة أن تُدعى أمة. "*أنا أغيركم بما ليس أمة. بأمة غبية أغيظكم* ". لأن من هم الذين كانوا أكثر غباء من عبدة الأوثان؟ وأكثر تفاهة منهم؟

أرأيت كيف أن الله قد أعطاهم مع الجميع، ومنذ البداية ملامح وعلامات واضحة عن هذه الأوقات، حتى يُبين لهم فُقدانهم التام للشعور؟ لأن هذا الذي حدث، لم يحدث في زاوية صغيرة، بل في كل الأرض، والبحر، وفي كل أرجاء المسكونة، ورأوا أن أولئك الذين أُحتقروا من اليهود، قد تمتعوا بخيرات لا حصر لها. كان ينبغي إذًا أن يفهموا أن هذه هى بالتحديد

---

[٣٦٠] إش٥٢:٧.

الأمة التي تكلم عنها موسى " *أنا أغيركم بما ليس أمة بأمة غبية أغيظكم*".

هل يا تُرى موسى وحده هو الذي قال هذا؟ إطلاقًا، بل وإشعياء قال هذا بعده. ولهذا قال الرسول بولس "*أولاً موسى يقول* "، لكي يُبيّن أن شخصًا ثانيًا سيأتي ويقول نفس الكلام وبصورة أكثر قوة وأكثر وضوحًا. تمامًا كما قال "*وإشعياء يصرخ*"[٣٦١]، هكذا هنا أيضًا يقول:

" ثم إشعياء يتجاسر ويقول وُجدت من الذين لم يطلبوني وصرت ظاهرًا للذين لم يسألوا عني " (رو١٠:٢٠).

ما يقوله يعني الآتي: أنه جاهد وحاول ألاّ يقول شيئًا غامضًا، لكنه حاول أن يضع الأشياء مجردة أمام عيوننا، مُفضلاً بالحرى أن يتعرض للخطر من حيث كونه قد تكلم صراحةً، على أن يترك جحودكم خلفه، وينظر نحو خلاصه. على الرغم من أنه لم يكن من ملامح النبوة أن يتكلم هكذا بوضوح وصراحة. لكنه لكي يُغلق أفواهكم بقوة، سبق فقال كل هذا بوضوح شديد ودون تراجع. وما هو كل هذا؟ هو ذلك الأمر الخاص بسقوطهم، ودخول آخرين، قائلاً هكذا: " وُجِدَت من الذين لم يطلبوني وصرتُ ظاهرًا للذين لم يسألوا عني "؟ من الواضح جدًا أنه لا يقصد اليهود، بل أولئك الذين أتوا من الأمم، أولئك الذين لم يكونوا قد عرفوا الله أبدًا، تمامًا مثلما وصفهم موسى قائلاً: " بما ليس أمه " و " بأمة غبية"، وهكذا هنا أيضًا يُعلن لهم الجهل التام من خلال نفس السبب، الأمر الذي كان يمثّل إتهامًا كبيرًا ضد اليهود، لأن الذين لم يطلبوه قد وجدوه، وأولئك الذين كانوا معه سابقًا فقدوه.

٤ ـ " أما من جهة إسرائيل فيقول طول النهار بسطت يديّ إلى شعب مُعاند ومُقاوم " (رو١٠:٢١).

أرأيت أن تلك التساؤلات التي طرحها الكثيرين، قد وَجَدت لها حلاً في الكلمات النبوية منذ البداية؟ ماذا يعني هذا الكلام؟ لقد سمعت الرسول

---

[٣٦١] رو٩:٢٧.

بولس سابقًا وهو يقول: " *فماذا نقول؟ إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر الذي بالإيمان ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر*"[٣٦٢]. هذا ما يقوله إشعياء هنا. لأن بقوله " *وُجدت من الذين لم يطلبوني وصرت ظاهرًا للذين لم يسألوا عني*"، وهذا عينه ما يقوله الرسول بولس، إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر. ثم بعد ذلك لكي يُظهر أن ما حدث لا يرتبط فقط بنعمة الله، بل وبإرادة أولئك الذين قبلوا النعمة، تمامًا مثلما في حالة سقوطهم أيضًا، كان نتيجة لمقاومة كل من لم يخضع، اسمع ماذا أضاف " *أما من جهة إسرائيل فيقول طول النهار بسطت يدي إلى شعب مُعاند ومقاوم*"، **وهو يعني بعبارة "طول النهار" هنا، كل الزمن السابق. وبعبارة "بسطت يديّ" أى أنني دعوته، بشّرته، ورجوته.** ثم بعد ذلك لكي يُبيّن أنهم مُدانون كليةً، يقول " إلى شعب مُعاند ومُقاوم".

أرأيت أيضًا حجم هذه الإدانة؟ لأن هؤلاء، اليهود، حينما ترجاهم لم يطيعوه، بل دافعوا عن مواقفهم المخالفة. وهذا حدث ليس مرة أو مرتين أو ثلاثة مرات، بل كل الوقت. وبرغم أنهم قد رأوا أنه قد فعل كل هذا، بينما آخرون ـ أي الذين لم يعرفوه سابقًا ـ قد استطاعوا أن يؤمنوا به. لكنه لم يقل إن أولئك الأمم استطاعوا أن يجتذبوه، بل لكي يضبط أفكار أولئك الذين أتوا من الأمم، ويُبيّن أن كل شيء قد صَنَعته نعمته، يقول "صرت ظاهرًا"، و "وُجدت".

يقول إن أولئك الأمم لم يكن لديهم أى شيء، لكن مسألة أن يقبلوه عندما وُجد، وأن يعرفوه حين صار ظاهرًا، فهذا قد قدموه من تلقاء أنفسهم فيما بعد، وحتى لا يقول هؤلاء اليهود، لماذا لم يُستعلن لنا أيضًا؟ هو يُشير إلى أكثر من ذلك، أنه لم يُستعلن فقط، بل لا يزال يبسط يديه، ويدعو، مُظهرًا عناية الأب وحنو الأم التي تحب أولادها. لاحظ كيف أنه قد أضاف وبوضوح الحل لكل التساؤلات السابقة، موضحًا أن الهلاك حدث بإرادتهم،

---

[٣٦٢] رو٩: ٣٠ـ٣١.

وأنهم من كل وجه هم غير مستحقين للعفو، لأنه بالرغم من أنهم سمعوا وفهموا ما قيل، إلاّ أنهم لم يريدوا أن يقبلوا النعمة.

وبالأكثر جدًا، أنه ليس فقط قد جعلهم يسمعون لهذه الأمور التي قيلت، وليس فقط أنهم قد فهموا، بل إن ذلك الذي يملك قوة كبيرة قد بشّرهم به، وجذبهم نحوه، على الرغم من أنهم عاندوا وقاوموا. وهذا هو الأمر الذي أضافه، وما هو هذا الأمر؟ هو أن يستحثهم ويحركهم بالغيرة، لأنكم تعرفون ألم الشهوة، ومقدار القوة التي لطبيعة الغيرة في فض المنازعات، وفي إقامة أولئك الذين سقطوا. وهل هناك احتياج لأن أقول هذا للبشر، في اللحظة التي فيها تظهر قوة الغيرة عند الحيوانات وعند الأطفال الصغار؟ لأنه بالحقيقة في مرات كثيرة، عندما يكون هناك طفل لا يتراجع أمام ترجي أبيه، بل ويبقى في عناده، إلا أنه حين يرى طفل آخر قد تصالح مع أبيه، وعاد إلى الأحضان الأبوية دون أن يُدعَى لذلك، حينئذٍ فإن ما لم يحققه بالرجاء، يكون قد حققته الغيرة. وهذا ما فعله الله. لأنه لم يترجَ فقط ولم يبسط يديه فقط، بل وأثار الغيرة عند هؤلاء اليهود، وأدخل في نعمته الأمة الأقل جدًا منهم، الأمر الذي يثير الغيرة بقوة، ليس بشأن تلك الخيرات، بل بما هو أكبر من هذا جدًا، أنه جعل الشهوة أكثر تأثيرًا في الأمور التي هى أعظم بكثير، بل وأكثر أهمية، والتي لم يتخيّلوها ولا في أحلامهم. لكنهم ولا بهذا قد أطاعوا. إذًا كيف يمكن أن يكونوا مستحقين للعفو، بعدما أظهروا عنادًا شديدًا؟ إنهم غير مستحقين لأي صفح.

وهذا بالطبع لا يقوله الرسول صراحةً، لكنه يتركه لفطنة المستمع كنتيجة لكل ما قيل، وأيضًا فإنه يُظهره بما له من حكمة معتادة. من خلال الكلام اللاحق.

الأصحاح الحادي عشر

الإصحاح الحادي عشر

وكما فعل القديس بولس في المسائل السابقة، وحتى لا تكون كلمته قاسية، وهو يشير إلى مفارقات بالنسبة للناموس وبالنسبة للشعب الذي كان يواجه إدانة أكبر من الإدانة الطبيعية، والذي تجاوز إلى أقصى الحدود العهد الذي نقضه ـ إذ تنازل عن أمور كثيرة ـ وهكذا فعل هنا أيضًا إذ يقول:

" فأقول ألعل الله رفض شعبه؟ حاشا " (رو١١:١).

يتحدث كإنسان لديه شك أو حيرة، جاعلاً الكلام الذي قاله من قبل حافزًا له، وبعدما أشار إلى هذا الأمر المخيف متسائلاً "ألعل الله رفض شعبه"، إستطاع أن يجعله مقبولاً، بعد أن نقض هذا الشعب عهده، وهذا ما حاول أن يظهره من خلال كل الكلام السابق، والذي يُبينّه هنا أيضًا. وما هو الأمر الذي أظهره؟ إنه يتعلق بالذين خَلَصوا. فبرغم أنهم قليلون إلاّ أن الوعد قد تحقق. ولهذا لم يقل فقط " الشعب" ولكنه أضاف " الذي سبق فعرفه ".

ثم بعد ذلك أضاف الدليل على أن الله لم يرفض شعبه، ولم يُبعدهم بعيدًا عنه، إذ يقول: *"لأني أنا أيضًا إسرائيلي من نسل إبراهيم من سبط بنيامين "*. أنا المعلّم والكارز. لأنه قد أوضح أن هذا مُناقض لما قيل من قبل، بالنسبة للذين قالوا " *من صدق خبرنا* "؟ و" *طول النهار بسطت يديَّ إلى شعب معاند ومقاوم* " و" *أنا أغيركم بما ليس أمة* "، ولم يكتفِ بنفي ذلك، ولا بقوله "حاشا"، ولكنه يُدلل عليه مُكررًا هذا أيضًا، بقوله:

" لم يرفض الله شعبه " (رو١١:٢).

هكذا يوضح الرسول إن هذا ليس برهانًا، بل إجابة. لاحظ إذًا الدليل السابق والدليل الذي أتى بعد ذلك، لأنه أثبت بهذين الدليلين أنه ينحدر من أصل يهودي. ولكن هذا لم يكن ليحدث، لو أن الله كان قد رفضهم وأبعدهم بعيدًا عنه، وما كان له أن يختاره من هذا النسل وهذا السبط . لقد استأمنه على البشارة وعلى أمور المسكونة، وأيضًا على كل الأسرار، وكل التدبير . هذا إذًا هو الدليل الأول، بينما **الدليل الثاني** هو قوله " ***شعبه الذي***

سبق فعرفه "، أي شعبه الذي عرفه جيدًا أنه كُفؤ، وأنه سيقبل الإيمان. لأن من هذا الشعب آمن ثلاثة آلاف، وخمسة آلاف، وآلاف لا تُحصى.

إذن لكي لا يقول أحد هل أنت شعبه؟ وهل لأنك دُعيت، دُعيَ الأمم؟ أضاف: "***لم يرفض الله شعبه الذي سبق فعرفه***". كما لو أنه قال، يوجد معي ثلاثة آلاف، معي خمسة آلاف، معي عشرة آلاف. ماذا إذًا؟ هل هذا هو الشعب؟ وهل انحصر نسل هؤلاء اليهود في ثلاثة آلاف، وخمسة آلاف، وعشرة آلاف، وهم مثل نجوم السماء ومثل رمل البحر في العدد؟ هل إلى هذا الحد تُضلّلنا وتخدعنا، جاعلاً من نفسك ومن القليلين الذين معك شعبًا كاملاً؟ لقد ملأتنا برجاء فارغ، قائلاً إن الوعد قد إكتمل، بينما الجميع هلكوا، والخلاص انحصر في قليلين؟ فهل هذه الأمور هى محل افتخار وتباهي كبيرين؟ لا يمكننا أن نحتمل مثل هذه السفسطات. إذًا لكي لا يقولوا هذا الكلام، انتبه كيف أنه يقدم الحل في الكلمات اللاحقة، دون أن يُشير إلى التباين، بل يبرهن على الحل قبل التباين، من خلال قصة قديمة.

٥ ـ إذًا ما هو الحل؟ " ألا تعرفون " إنه يقول أيضًا " **ماذا يقول الكتاب في إيليا"؟ كيف يتوسل إلى الله ضد إسرائيل قائلاً :**

" أيها الرب إله الجنود، لقد قتلوا أنبياءك ونقضوا مذابحك فبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسي ليأخذوها "[٣٦٣]. لكن ماذا يقول له الوحي؟ أبقيت لنفسي سبعة آلاف رَجُلٍ لم يحنوا ركبة لبعل[٣٦٤] فكذلك في الزمان الحاضر أيضًا قد حصلت بقيه حسب اختيار النعمة " (رو١١: ٣ـ٥).

ما يقوله يعني الآتي: إن الله لم يرفض شعبه. فلو كان قد رفضه، لما كان قد قَبِل أحدًا، وطالما أنه قد قَبِل البعض، فهذا معناه أنه لم يرفض شعبه. وإن كان لم يرفض شعبه، فهل يعني هذا أنه سيقبلهم جميعًا؟ بالطبع لا، لأن الخلاص في عصر إيليا إنحصر في سبعة آلاف رجل، أما اليوم فيعد أمرًا طبيعيًا أن يكون الذين آمنوا كثيرين. أما إن كنتم تجهلون هذا الأمر،

---

[٣٦٣] ١مل١٩: ١٠.

[٣٦٤] ١مل١٩: ١٨.

فهذا لا يُعَد غريبًا، فإيليا النبي، ذلك الرجل العظيم والبارز، لم يكن يعرف هذا الأمر. بل إن الله دبَّر هذا، على الرغم من أن النبي كان يجهله.

ولكن لاحظ حكمة الرسول بولس، في محاولته أن يثبت ما يقول. فإنه يُكثر بشكل غير مُعلن من إدانتهم . ولهذا فقد أورد شهادة إيليا كاملة، لكي يسخر من جحودهم، ويبرهن على أنهم كانوا منذ القديم جاحدين. لأنه لو كان يريد أن يُبرهن على شيء واحد فقط، وهو أن عدد الشعب كان قليلاً، لكان قد قال إنه في عصر إيليا بقيَ سبعة آلاف، بينما الآن يقرأ كل الشهادة النبوية التي هى منذ القديم. لأنه إعتاد في كل مرة يتحدث فيها عن هذه الأمور، أن يُبيِنّ أنها ليست المرة الأولى التي يتحدث فيها عن المسيح وعن الرسل، فقد سبق وسمعوا هذا الكلام كثيرًا. ولكي لا يقول اليهود إننا قتلنا المسيح لأنه كان رجلاً مُضِلّاً، واضطهدنا الرسل لأنهم كانوا خائنين، قدم الشهادة التي تقول " *قتلوا أنبياءك ونقضوا مذابحك* ". وبعد ذلك، وحتى لا يجعل كلامه ثقيلاً، يُشير ـ بالإضافة إلى هذه الشهادة ـ إلى سبب آخر. فهو لم يذكر هذه الشهادة، بقصد أن يتهمهم مسبقًا، بل لأنه يريد أن يُبرهن على أمور أخرى. وبهذا يكونوا قد حَرَموا أنفسهم من كل مصالحة، لها علاقة بسلوكهم السابق .

لاحظ إذًا كيف أن الإدانة تتجاوز الشخص الذي يدين. لأن ممثل الإتهام ليس هو بولس، ولا بطرس، ولا يعقوب، ولا يوحنا، بل هو ذاك الذي هو موضع إعجاب أكثر من الجميع، إنه هامة الأنبياء[٣٦٥]، ذاك الذي جاهد هكذا لأجل خلاصهم، حتى أنه أَسلم ذاته للجوع، ذاك الذي لم يمت بعد حتى اليوم[٣٦٦]. إذًا ماذا قال " *قتلوا أنبياءك ونقضوا مذابحك فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها* ". ماذا يمكن أن يوجد أكثر سوءًا من هذه الوحشية؟ لأنه بينما كان يجب أن يتوسلوا إلى الله من أجل خطاياهم التي ارتكبوها بالفعل، أرادوا أن يقتلوا هذا النبي أيضًا. كل هذا قد حرمهم من

[٣٦٥] يقصد إيليا النبي.

[٣٦٦] هنا يشير إلى صعود إيليا إلى السماء بمركبة نارية.

كل مصالحة. لأن هؤلاء تجرأوا على فعل هذه الأمور، ليس عندما سادت المجاعة، بل عندما حل الرخاء، وانتفى الخجل، واستحت الشياطين، واستعلنت قوة الله، وخضع الملك، وهكذا تقدموا من قتل إلى قتل، فقتلوا مُعلّميهم الذين كانوا يُصححون لهم رؤيتهم. إذًا ماذا يمكن أن يقولوا؟ هل هؤلاء أيضًا كانوا خائنين؟ ربما لم يعرفوا من أين انحدر أولئك أيضًا؟ هل سبّبوا لكم ضيقًا؟ والمذابح، لماذا تنقضوها؟ هل هذه أيضًا سبّبت لكم ضيقًا؟

أرأيت كثرة المشاجرات الفظيعة، ومقدار الإهانات الكبيرة التي يُظهرونها بصفة دائمة؟ ولهذا يقول الرسول بولس في موضع آخر عندما كتب إلى أهل تسالونيكي: "*لأنكم تألمتم أنتم أيضًا من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها كما هم أيضًا من اليهود. الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن. وهم غير مُرضين لله وأضداد لجميع الناس*"[٣٦٧]. وهذا ما يقوله هنا بالتحديد، إنهم نقضوا المذابح وقتلوا الأنبياء. لكن ماذا كان رد الله عليهم؟ " *قد أبقيت في إسرائيل سبعة آلاف كل الركب التي لم تجثُ للبعل* ". أى علاقة لهذه الأمور بالأمور الحادثة الآن؟ بالطبع لها علاقة بالأمور الحادثة الآن، بل وبشكل كبير جدًا. لأنه من هنا يتبرهن على أن الله قد أظهر هذا الأمر منذ القديم من خلال كل ما قاله " *إن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص لأنه مُتمم أمر وقاض بالبر. لأن الرب يصنع أمرًا مقضيًا به على الأرض .. ولولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلاً لصرنا مثل سدوم* "[٣٦٨]. ويؤكد أيضًا على إظهار هذا الأمر، ولهذا أضاف قائلاً " *فكذلك في الزمان الحاضر أيضًا قد حصلت بقيه حسب اختيار النعمة* ".

انتبه لكل كلمة كما هى برونقها، إذ أن الكلمات تُظهر نعمة الله، وتُظهر كذلك امتنان الذين خلصوا. لأنه حين يقول فقط "اختيار" فهو يعني اختيارهم، لكن حين يضيف كلمة "النعمة" فإنه يُظهر بذلك عطية الله.

---

[٣٦٧] اتس٢: ١٤ــ١٥.

[٣٦٨] رو ٩: ٢٧ــ٢٩.

" فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال. وإلاّ فليست النعمة بعد نعمة. وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة وإلاّ فالعمل لا يكون بعد عملاً " (رو١١:٦).

مرة أخرى يعود إلى منازعات اليهود، موضحًا أيضًا حرمان هؤلاء من المسامحة أو العفو (فيقول لهم): لأنكم لم تستطيعوا أن تقولوا إن الأنبياء قد قاموا بدعوتنا، وإن الله توسل إلينا، أو كأنكم أردتم أن تقولوا: كان كافيًا لكي يجذبنا، فقط أن يحثنا على الغيرة، بينما إضافة الوصايا كانت ثقيلة، ولهذا لم نستطع أن نأتي إلى الله، فالأنبياء طلبوا منا عملاً، وإنجازات مُجهدة. وحتى هذا أيضًا لم تستطيعوا أن تقولوه. لأنه كيف يطلب الرب منكم هذه الأمور، في اللحظة التي فيها سيكون هذا الأمر مناقضًا لنعمته؟ تكلّم هذه الأمور، لأنه رغب في أن يُظهر أنه أراد لهؤلاء ـ من كل قلبه ـ أن يخلصوا. لأن الخلاص المقدم لهم لم يكن سهلاً، بل إن مجد الله العظيم قد أُستعلن في محبته للبشر. إذًا لماذا خشيت أن تأتي، طالما أنه لم يطلب منك أعمالاً؟ ولماذا تثور وتجادل، بينما النعمة موجودة، ولماذا تُفضّل الناموس عبثًا وبدون سبب؟ لأنك لن تخلص بالناموس، بل وستُسيء إلى هذه النعمة. فإن كنت تُصرّ على أن خلاصك يتحقق بالناموس، فإنك تمنع عنك نعمة الله. ولكي لا يعتقدوا أن هذا أمرٌ غريب، قال مُقدمًا، إن هناك سبعة آلاف قد خلصوا بالنعمة. وعندما يقول: " *فكذلك في الزمان الحاضر أيضًا قد خلصت بقية حسب اختيار النعمة* "، يُظهر أن أولئك قد خلصوا بحسب النعمة. وليس هذا القول فقط، بل قال أيضًا "أبقيت لنفسي". لأن هذا هو ما يُظهره، أى أن الله قد قدم الكثير.

وإن كان هذا الخلاص قد تحقق بالنعمة، فلماذا لم نخلص جميعًا؟ الجواب: لأنكم لا تريدون، لأن النعمة بالرغم من كونها نعمة، إلاّ أنها تُخلّص الذين يقبلونها، وهى لا تخلّص الذين لا يريدون أن يخلصوا، بل ويتحولون عنها ويحاربونها دومًا ويقاومونها. أرأيت كيف أنه يُدلل على ما يقوله من خلال كل هذا، " *لكن ألا يعني هذا إثبات عدم صدق كلمة الله* "؟! بالطبع لا، بل أنه أراد أن يُبيّن أن وعد الله هو للمستحقين، وأن هؤلاء

وإن كانوا قليلين، إلاّ أنهم يمكن أن يكونوا شعب الله. وقد أشار في بداية الرسالة إلى ذلك بتشديد أكثر، قائلاً " *فماذا إن كان قوم لا يكونوا أمناء. أفلعل عدم أمانتهم يُبطل أمانة الله. حاشا. بل ليكن الله صادقًا وكل إنسان كاذبًا* "[٣٦٩]. والآن أيضًا هو يُدلل على ذلك بشكل آخر، مُبيّنًا قوة النعمة، وأنه دائمًا يوجد مَن يَخلُصون، ومَن يَهلَكون.

٦ ـ لنشكر الله إذًا، لأننا نحن ضمن هؤلاء الذين خلصوا، ولأننا لم نستطع أن نخلص بالأعمال، فقد خَلُصنا بعطية الله. لكن عندما نشكر، فينبغي ألا نشكر بالكلام فقط، بل بالأعمال والأفعال. لأن الشكر يكون صحيحًا، عندما نفعل الأمور التي بها يتمجد الله، وعندما نتجنب الأمور العتيقة التي سبق أن تحرَّرنا منها. وبالرغم من أننا قد احتقرنا الملك، إلاّ أنه قد كرّمنا بدلاً من أن يُعاقِبنا، لكن لو أننا احتقرناه مرة أخرى، فإننا سنُعَاقَب عن حق بأسوأ أنواع العقاب، وأكثر بكثير من السابق. لأن إساءتنا السابقة لم تُظهر لنا أننا جاحدين، بقدر الإساءة التي نوجّهها بعد الكرامة التي نلناها، والرعاية الكبيرة التي حصلنا عليها. لنتجنب إذًا تلك الأمور التي تحرَّرنا منها، ولا ينبغي أن نشكر فقط بالفم حتى لا يُقال لنا " *وهذا الشعب قد اقترب إليّ بفمه وأكرمني بشفتيه وأما قلبه فأبعده عني* "[٣٧٠]. كيف إذًا لا يكون غريبًا عندما تُسبّح السموات بمجد الله، تلك السموات التي خُلقت لأجل هذا الغرض، وأنت تصنع مثل هذه الشرور، حتى أنه يُجَدف على الله الذي خلقك، بسببك؟

ولهذا فإنه ليس فقط من يُجدف هو الذي سيُعَاقَب، بل وأنت أيضًا. لأن السموات لا تسبح الله بالصوت، لكنها تُعِد الآخرين لهذا التسبيح عندما ينظرون إليها، إلاّ أنه يُقال إن السموات تتحدث بمجد الله. هكذا كل من يحيا حياة الفضيلة بطريقة نقية، حتى وإن صَمَتوا، فإنهم يُمجدون الله، لأن بسببهم يُمجده آخرون أيضًا. لأن السموات لا تُمجد الله، بنفس القدر

[٣٦٩] رو٣:٣ـ٤.

[٣٧٠] إش٢٩: ١٣.

الكبير، الذي يتمجد به عن طريق الحياة النقية. فعندما نتناقش مع اليونانيين، لا نُقدم لهم السماء، بل أولئك البشر، الذين سلكوا بصورة أسوأ من الوحوش، إلاّ أنهم تحوّلوا وصاروا في مرتبة متساوية مع الملائكة. وعندما نتكلم عن هذا التحوّل، فإننا نغلق أفواههم. لأن الإنسان هو أفضل بكثير من السماء، ويمكن أن يصبح أكثر بهاءً من جمال السماء. لأنهم كانوا قد نظروا إلى السماء سنوات عديدة، ومع ذلك لم تُقنعهم كثيرًا، بينما الرسول بولس برغم أنه كرز لسنوات قليلة، إلاّ أنه جذب كل المسكونة.

بالحقيقة هو يحمل نفسًا ليست أقل من السماء، وقد استطاعت أن تجذب الجميع. أما نفوسنا نحن فليست مساوية في القيمة لأي شيء ولا حتى للأرض، بينما قيمة نفسه، مساوية للسماء. لأن السماء مازالت تحتفظ بحدودها وقانونها، **بينما سمو نفس الرسول بولس فاق كل السموات، ودخلت نفسه في حالة ألفه مع المسيح. وكان جمالها قد بلغ حدًا كبيرًا، حتى أن الله قد اختصه بالاختيار، لأن الملائكة قد اندهشت لجمال النجوم عندما خُلقت، بينما الرسول بولس قد سُرّ به الله، قائلاً: "*هذا لي إناء مختار*"[٣٧١]. وهذه السماء تحجبها السحب في مرات عديدة، ولكن نفس الرسول بولس لم تحجبها أي تجربة، بل في الشتاء كانت تبدو أكثر بهاءً من شروق الشمس وهى في متنصف النهار . لأن الشمس التي تُنير نفس القديس بولس، لم تحتجب أشعتها نتيجة تراكم التجارب، لكنها أشرقت أكثر. لهذا قال "*تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل*"[٣٧٢].**

إذن فلنتشبه بالقديس بولس، لأنه ليس هناك شيء يساوي قيمة النفس، لا هذه السماء ولا الشمس، ولا العالم كله، لأن هذه الأشياء صارت من أجلنا، وليس نحن الذين صرنا من أجلها، لو أردنا أن تصير نفوسنا مثل نفس الرسول بولس. فلنبرهن على أننا مستحقون، لأن هذه الأشياء قد صارت من أجلنا. فلو أننا ظهرنا غير مستحقين لهذه الأمور، فكيف نصير مستحقين

[٣٧١] أع٩:١٥.
[٣٧٢] ٢كو١٢:٩.

للملكوت؟ كذلك فإن أولئك الذين يعيشون للتجديف على الله، هم غير مستحقين لرؤية الشمس، ولا التمتع بالمخلوقات التي تمجد الله، لأن الابن أيضًا الذي يحتقر والده، يكون غير مستحق أن يتمتع بخدمة الخدام الذين يكرمونه. ولهذا فإن هؤلاء سيتمتعون بمجد كبير، أما نحن فستُعاني عذاب الجحيم، وسنكون مستحقين للعقاب. فيا لها من تعاسة، أن الكون الذي خُلق لأجل حرية مجد أولاد الله، يتغير شكله، بينما نحن الذين خلقنا أولادًا لله، ننقاد إلى الهلاك بسبب لامبالاتنا الكبيرة، رغم أن الكون سيتمتع بهذا المجد الكبير بسببنا؟

ولكي لا يحدث هذا، فبقدر ما لنا من نفس نقية فلنحفظها هكذا، أو من الأفضل أن نزيدها بهاءً، بينما لا يجب أن يُصيبنا اليأس بسبب عدم نقاء نفوسنا. " *هلم نتحاجج يقول الرب إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج. إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف*"[٣٧٣]. لكن الله عندما يَعِد، فيجب ألاّ تتشكك بل أن تفعل تلك الأمور التي تستطيع بها أن تحصل على هذه الوعود. هل فعلت شرورًا لا تُحصى وهل أخطأت؟ وما أهمية هذا؟ لماذا لم تذهب بعد إلى الجحيم، الموضع الذي فيه لا يستطيع أحد أن يُقر أو يعترف بخطاياه، لم ينتهِ جهادك بعد، بل انهض بعزيمة داخل الحلبة، ويمكنك أن تنتصر على كل الهزائم في الجولة الأخيرة . أنت لم توجد بعد في مكان الرجل الغنى، لكي تسمع "*بيننا وبينكم هوة عظيمة* "[٣٧٤]. لم يأت العريس بعد، ولن يخف أحد ويمنع عنك الزيت، مازال في إمكانك أن تشتريه وتدّخره، ولن يوجد مَن يقول " *لا يكفي لنا ولكن* "[٣٧٥]، **فأولئك الذين يبيعونه هم كثيرون: العراة، والجوعى، والمرضى، والمسجونين. أعطى طعامًا للجوعى، وأكسى العراة، وداوم على زيارة المرضى، وسيأتي الزيت بوفرة من منابعه.**

---

[٣٧٣] إش ١:١٨.

[٣٧٤] لو ١٦:٢٦.

[٣٧٥] مت ٢٥:٩.

لم يأت بعد يوم الدينونة. استفد من الوقت كما ينبغي، وسدد الديون، قل لمن هو مدين بمئة بث زيت، " *خذ صكًا .. واكتب خمسين* "[٣٧٦]. افعل نفس الشيء بالنسبة للمال، والكلام، وفي كل شيء، مُتّبعًا مثال ذلك الوكيل. وهذه الأمور إنصح بها نفسك، وأقرباءك. لأنك لاتزال سيد الموقف، ويمكنك أن تقول ذلك، فأنت لست في احتياج أن تترجى آخرًا لأجل هذه الأمور، بل يمكنك أن تنصح بها نفسك وآخرين أيضًا. أما عندما تنتقل إلى الحياة الأخرى، فلن تستطيع أن تفعل أيًا من هذه الأمور كما ينبغي، لأنك أنت يا من أخذت كل هذه المهلة الكبيرة، ولم تكن مفيدًا، لا لنفسك ولا للآخرين، فكيف سيمكنك أن تنال هذه النعمة حين تقف بين يدي الديان العادل؟

٧ ـ إذن لنستجمع كل هذه الأمور، ولنسعَ نحو خلاصنا بشدة، ولا نترك فرصة الحياة الحاضرة. لأنه من الممكن أن نصير مقبولين أمام الله في اللحظات الأخيرة من حياتنا. من الممكن أن نُكرّم أو نُسرّ من خلال تعهدنا أمام الله. لكن كيف وبأية طريقة؟ يحدث هذا إن تركت وصية لذاك المحتاج مع ورثتك، وتركت له نصيبًا من كل ثروتك. هل قدمت له طعامًا عندما كنت في هذه الحياة؟ فعلى الأقل طالما أنك ستموت ولن تكون بعد سيدًا، فعليك أن تعطى للمحتاج مما لك. الرب هو محب البشر، ولا يطلب منك أن تتوخى الدقة في كل شيء، فقط أن تُغذي المحتاج، وتجزل له العطاء وأنت لازلت في هذه الحياة الحاضرة، فهذا يُعَد نموذجًا للرغبة القوية في المكافأة العظيمة، فإن كنت لم تفعل هذا، فعلى الأقل تقدم نحو الأمر الثاني، أي أترك له نصيبًا في ثروتك، اجعله شريكًا لورثتك، مع أولادك. أما إذا ترددت في فعل هذا، ففكّر في أن أباه السمائي قد جعلك وارثًا له (أي للآب)، وضَّع حدًا لجشعك. فأى دفاع ستُقدم، عندما لا تجعل ذلك المحتاج[٣٧٧] شريكًا لأولادك، إنه ذاك الذي جعلك شريكًا في ملكوت السموات، وذُبح

---

[٣٧٦] لو ١٦:٦.

[٣٧٧] يقصد المسيح له المجد حين قال: " بما أنكم فعلتم بهؤلاء الأصاغر فبي قد فعلتم "

لأجلك؟ وإن كان من المؤكد أن كل ما فعله، لم يكن بهدف أن ترد له الدين، بل كل ما فعله هو على سبيل النعمة، إلاّ أنك بعد كل هذه الإحسانات، صرت مديونًا.

لكن بالرغم من أن هذه الأمور هى هكذا، وحيث إنك تأخذ النعمة، لا أن ترد له الدين، إلاّ أنه يتوّجك، بينما هو يأخذ مما له. إذًا فلتعطِ لذاك المحتاج (المسيح) مالاً لم يُعَد له نفع لك، خاصةً وأنك لست بعد سيدًا (على هذا المال)، وسيعطيك الملكوت الذي سيكون مفيدًا ونافعًا على الدوام، وبالإضافة للملكوت، سيهبك أمور العالم الحاضر. لأنه إن صار شريكًا في ميراث أبنائك، فإنه سيُخفف عنهم اليُتم، وسيُبطل الدسائس، ويصدّ عنهم السهام، ويغلق أفواه الواشين. وإن كان هؤلاء لن يستطيعوا الحفاظ على العهود بعد، فإن المسيح سيحفظها، ولن يتركها تُنقَض. لكن إن سمح أن يحدث هذا، فإنه سيدفع أو يُسدد المكتوب في العهود والمواثيق كلها بسخاء عظيم، وذلك مما له، لأن كرامة العهد هى في عدم العدول عنه. إذًا اترك ذاك (المحتاج) أن يصير وريثًا لك، والمسيح، سيعوضك بالعدل عن كل ما فعلته هنا.

بيد أن بعض من البائسين التعساء، الذين وإن كانوا لم ينجبوا أبناء، إلاّ أنهم لا يحتملون أن يصنعوا هذا (أي أن يجعلوا المسيح وريثًا لهم)، بل يفضلون أن يوزعوا ما يمتلكون على المتطفلين، والمنافقين، وعلى هذا وذاك، بدلاً من أن يُعطوا للمسيح الذي أسعدهم كل هذه السعادة الكبيرة. فهل هناك ما هو أكثر غرابة مما يفعله هؤلاء؟ لأن مثل هؤلاء الناس لا يقارنهم أحد بأي من مخلوقات الله، إذ لا يستطيع أن يقول شيئًا ذي قيمة عن غبائهم وعدم إحساسهم، ولا يمكن أن يجد أي صورة تُعبّر عن جنونهم وإنحلالهم. إذًا أي غفران سيناله هؤلاء، إذ أنهم لم يطعموا المسيح عندما كانوا على قيد الحياة، وحين كانوا مهيئين أن ينتقلوا إليه، لم يقدموا من أموالهم، ولو جزءً يسيرًا، رغم أنه لم يَعُد لهم سلطان بعد عليها، لكنهم سلكوا ببغضة وعداوة، بل إنهم لم يُعطوا الفقراء حتى من تلك الأشياء التي صارت بلا نفع

بالنسبة لهم؟ ألم ترَ كم من هؤلاء الناس لم يكونوا مستحقين لهذه النهاية[٣٧٨]، وقد ماتوا فجأة؟ بينما أنت فقد أعطاك الله الإمكانية أن تترك وصية فيما يتعلق بثروتك كل ما هو موجود في بيتك.

إذن أى مبررًا ستُقدم، حين تكون قد أخذت هذه النعمة من المسيح، ثم تخون هذا الاحسان، وتقف خارج الدائرة، ضد إيمان آبائك؟ لأن أولئك عندما كانوا على قيد الحياة، باعوا كل شيء ووضعوه عند أقدام الرسل[٣٧٩]، أما أنت ولا حتى عندما تقترب من الموت، تُعطي أيضًا حصة معينة من ثروتك لأولئك الذين هم في احتياج. والأفضل بالطبع ـ وهو الأمر الذي يمثل سخاء كبيرًا ـ أن تُخفف من حالات الفقر، وأنت في هذه الحياة الحاضرة. وإن لم تُرِد فعل هذا، فعلى الأقل عند موتك اصنع شيئًا نبيلاً. هذا لا يُعَد نموذجًا لمحبة قوية للمسيح، إلاّ أنه يُعد نموذجًا لمحبة قليلة. لأنه وإن كنت بعد لم تكتسب المكانة الأولى بين الخراف، إلاّ أنه ليس بالأمر الهين أن توجد على الأقل وسط الخراف، وليس بين الجداء، ولا على اليسار. لكن إن لم تفعل ولا حتى هذا الأمر، فأي مبررًا سيُخلّصك، حين لا يجعلك ولا حتى الخوف من الموت، محبًا للناس، ولا الأموال أيضًا ستُفيدك لأنها ستصير بلا نفع فيما بعد، ولا يمكنك التذرع بأنك تريد أن تترك تأمينًا لأبناءك؟

ولهذا فإني أرجوكم، أن تتركوا الجزء الأكبر من ثروتكم، لمن هم في احتياج وأنتم لاتزالون في هذه الحياة. لكن إن كان البعض مُصابًا بصغر النفس إلى هذا الحد، حتى أنهم لا يحتملون أن يفعلوا هذا، فعلى الأقل فليكونوا مُحبين للناس المحتاجين. لأنه عندما كنت في هذه الحياة، كنت تتعامل مع الأشياء، كأنك غير مائت، أما الآن فنظرًا لأنك علمت أنك فانٍ، فعلى الأقل الآن تخلى عن إيمانك بأنك خالد، وكإنسان فانٍ فكّر فيما يخصك، أو من الأفضل القول فكّر كشخص سيتمتع على الدوام بالحياة الأبدية.

---

[٣٧٨] أى فرصة الاستعداد قبل أن يموتوا.

[٣٧٩] انظر أع٤: ٣٤.

لأنه وإن كان ما سيُقال يعتبر أمرًا يبعث على الضيق ومملوءًا فزعًا، إلاّ أنه ينبغي أن يُقال، لقد أُحصيَ السيد الرب مع عبيدك، فهل تُحرر العبيد؟ حرَّر المسيح إذًا من الجوع، من الاحتياج، من السجن، ومن العري. أترتعب عند سماع هذه الأمور؟ إذًا سيكون الأمر أكثر فزعًا عندما لا تصنعها وأنت في هذه الحياة، بالطبع هذا الكلام يجعلك تقشعر، لكن عندما تنتقل إلى هناك (أى للحياة الأبدية)، ستسمع أمورًا أكثر رعبًا من هذه، وسترى العذابات التي لا تُحتمَل، فماذا ستقول؟ إلى من ستلجأ؟ ومَن ستدعو ليكون ناصرًا ومُعينًا؟ هل ابراهيم؟ لكنه لن يسمع، هل أولئك العذارى الحكيمات؟ ولا هؤلاء سيعطونك زيتًا. هل الأب؟ هل جدك؟ ولا واحد من هؤلاء لديه القوة أن ينقض ذلك الحكم، حتى لو كان قديس عظيم.

إذن فلتفكر في كل هذه الأمور، في ذاك الذي له وحده القدرة على أن يمزق الصك الذي عليك، وأن يُطفئ ذلك اللهيب . ليتك تترجاه وتتضرع إليه، واجعله من الآن مترفقًا بك ومعينًا لك، قَدِم له المأكل والملبس على الدوام، لكي ترحل من هنا، برجاء صالح، وعندما تصل إلى هناك إلى الحياة الأبدية، تتمتع بالخيرات الأبدية. والتي ليتنا جميعًا ننالها بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح، الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة إلى أبد الآبدين آمين.

+ + + + + + +

العظة العشرون:

١ ـ " فماذا. ما يطلبه إسرائيل ذلك لم ينله؟ ولكن المختارون نالوه. واما الباقون فتقسوا " (رو١١:٧).

لقد أكّد الرسول بولس إن الله لم يُبعِد شعبه بعيدًا عنه، ولكي يُظهر كيف أنه لم يرفضه، لجأ مرة أخرى إلى الأنبياء. وبعدما أعلن مع هؤلاء، أن الجزء الأكبر من اليهود قد هلكوا، ولكي لا يظهر أيضًا أنه يعبر عن الإدانة بشكل شخصي، وأنه يتعمد أن يجعل كلامه قاسيًا، ويتوجه نحوهم كعدو، فإنه يلجأ إلى داود وإشعياء، قائلاً:

" كما هو مكتوب وأعطاهم الله روح سبات " (رو١١:٨).

لكن من الأفضل أن نبدأ الحديث من الأمور القديمة. لأنه بعدما تكلّم عن الأمور التي تتعلق بإيليا، وبعدما أظهر ماهية النعمة، أضاف " *فماذا ما يطلبه إسرائيل ذلك لم ينله*"؟ إلاّ أن هذا لا يقوله إنسان يسأل، بل إنسان يُدين. لأنه يتحدث لنفسه، إن اليهودي يصارع من أجل طلب البر، الذي لا يريد أن يأخذه. ثم بعد ذلك يحرمهم أيضًا من الصفح. مُظهرًا جحودهم بالمقارنة بهؤلاء الذين نالوا البر، قائلاً: "***ولكن المختارون نالوه***". وهؤلاء المختارون قد أدانوا أولئك الجاحدين. هذا ما قاله المسيح له المجد بالضبط " *فإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين فأبناءكم بمن يخرجون لذلك هم يكونون قضاتكم* "[٣٨٠].

إذن لكي لا يتهم أحدًا طبيعة الشيء، بل يُدين رغبتهم، فهو يُشير أيضًا إلى أولئك الذين نالوه (أي البر). ولهذا يستخدم الكلمة بتشديد كبير جدًا، ولكي يُظهر نعمة الله، ويُظهر محاولتهم أيضًا . وبالطبع فهو لا يريد أن يُبطل حرية الإرادة، لذلك قال " نالوه"، بل لكي يُعلن أيضًا عن مقدار الخيرات أو النعم، وأن الجزء الأكبر مرتبط بالنعمة، وليس الكل، خاصةً وأننا اعتدنا أن نقول، إن هذا نال، وذاك حقق شيئًا، عندما يكون الأمر متعلقًا بربح كبير جدًا. إن الجزء الأكبر لم يتحقق بجهد إنساني، لكن

---

[٣٨٠] لو ١١:١٩.

بالعطية الإلهية. " **أم الباقون فتقسوا** ". انتبه متى تجرأ على الحديث عن رفض الباقين. لأنه تكلم عن الرفض من قبل، حين عرض للأنبياء كديانيين. بل هو نفسه هنا، يُعبر عن رأيه، ولكنه لا يكتفي يعرض وجهة نظره، بل يُقدم إشعياء النبي لأنه بعدما قال "تقسوا" أضاف " *كما هو مكتوب أعطاهم الله روح سبات* ".

ومن أين أتت هذه القسوة؟ لقد أورد الأسباب لاحقًا، وحوّل كل شيء ضدهم، مبيّنًا أنهم دخلوا في هذا السبات بسبب منازعات باطلة، لكنه يُشير إليها الآن. لأنه عندما يقول: " ***وعيونًا حتى لا يبصروا وآذانًا حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم*** "، فإنه لا يدين شيئًا، سوى رغبتهم في النزاع. لأنهم بالرغم من أن لهم عيونًا لكي يروا المعجزات، وآذانًا ليسمعوا كل التعاليم المدهشة، فإنهم لم يستخدموا أيًا من هذه الأمور كما ينبغي. وكلمة "أعطى" هنا لا تعني العمل، بل الرضا أو القبول. وكلمة "سبات" هنا، تعني أيضًا أسوأ ما في النفس، والذي هو عدم القابلية للشفاء، والجمود. كذلك فإن داود النبي يقول في موضع آخر " *لكي تترنم لك روحي ولا تسكت* "[381]. أي لن أنتقل أو أتحول. لأنه تمامًا كما أن ذاك الذي تعمق في التقوى، لا يستطيع ان ينتقل عنها بسهولة، هكذا من تعمق في الشر، لن يتحول عنه بسهولة. إذًا ما هو العمق إلاّ أن يَثبُت المرء في مكان ما، وأن يَبقَى راسخًا فيه . ولكي يعلن كيف أن رغبتهم غير قابلة للشفاء، وكم يصعب تغييرها، قال "روح سبات".

٢ ـ بعد ذلك، ولكي يُظهر أنهم سيُعَاقَبون بأشد العقاب، بسبب عدم الإيمان، فإنه يعرض مرة أخرى للنبي الذي يُهدد بكل هذه الأمور التي تحققت واكتملت،

" لتصر مائدتهم فخًا وقنصًا وعثرة ومجازاة لهم لتظلم أعينهم لكي لا يبصروا ولتحن ظهورهم كل حين " (رو١١: ٩-١٠).

هذا يعني أن كل المتع والخيرات ستتحول وستزول، وسيُهزَموا بسهولة من الجميع. ولكي يُعلن أنهم سيُدَانون بسبب خطاياهم، أضاف " ومجازاة لهم".

[381] مز ٣٠: ١٢.

ثم يقول " *لتظلم أعينهم كي لا يبصروا ولتحن ظهورهم في كل حين* ". إذًا هل تحتاج هذه الأمور لتفسير معين، أليست واضحة لدى أكثر الناس غباءًا؟ وقبل كلامنا عن هذا الشأن، فإن عاقبة الأمور تثبت وتؤكد ما قيل. إذًا متى صارت هزيمتهم سهلة، بهذا القدر؟ متى صاروا خانعين؟ متى انحنت ظهورهم إلى هذا الحد؟ متى عانوا مثل هذه العبودية؟ والأكثر من هذا، أنه لن يوجد خلاص من هذه المآسي، الأمر الذي أشار إليه النبي. لأنه لم يقل فقط " لتحن ظهورهم " بل قال أيضًا " كل حين ".

لكن إن كنت أيها اليهودي تُنازع حول النهاية، فلتعرف الأمور الحاضرة، من خلال الأمور السابقة. لقد نزلت إلى مصر، وبقيَت هناك مدة مائتي عام، والله خلصك من تلك العبودية سريعًا، وكل هذا حدث، على الرغم من عدم تقواك، وممارستك لأسوأ أنواع الزنا. تحررت من عبودية المصريين، وسجدت للعجل الذهبي، وضحيت بأبنائك للبعل (فاغور)، دنست الهيكل، ومارست كل أنواع الشرور، لم تعرف الطبيعة، والحدود، والوديان، والجبال، والمنابع، والأنهار. ملأت الحدائق بذبائح ملوثة، ذبحت أنبياء، هدمت مذابح، وأظهرت كل زنا وكل جحود بشكل مبالغ فيه. وعندما سلّمك إلى البابليين لمدة سبعين سنة، أعادك مرة أخرى إلى الحرية السابقة، اعادك إلى الهيكل والوطن، وإلى الشكل القديم من نظام الحكم، ومرة أخرى يعود الأنبياء وتعود نعمة الروح، وحتى في زمن السبي، لم يُتركك، بل كان هناك دانيال، وحزقيال، وفي مصر كان إرميا، وفي البرية كان معك موسى. وبعد كل هذا رجعت إلى الشرور السابقة، صرت مهووسًا، وانتقلت إلى طريقة الحياة الوثنية في عصر أنطيوخوس الجاحد. لكن بعد ثلاثة سنوات أو أكثر بقليل، من استسلامكم لأنطيوخوس، أقمتم النُصبْ مع المكابيين مرة أخرى.

أما الآن فلا يوجد شيئًا مثل هذا، لكن على العكس تمامًا فقد حدث ما يُدهَش له المرء للغاية، إذ الشر قد انقضى، بينما العقوبة تزايدت، ولا يوجد رجاء للتغيير. لأنه لم ينقضي سبعون عامًا، أو مائة، أو مائتان فقط، بل

ثلثمائة عام وأكثر بكثير، وليس في مقدور أحد أن يجد ظلال مثل هذا الرجاء. وقد حدث كل هذا دون أن تكونوا وثنيين، ولا فعلتم الأمور الأخرى التي تجرأتم على فعلها من قبل . إذًا ما هو السبب في ذلك؟ السبب هو أن الحقيقة حلت محل الرمز، والنعمة أبعدت الناموس بعيدًا، هذه الأمور هي التي سبق وتنبأ بها النبي منذ البداية، قائلاً: " *لتحن ظهورهم كل حين* ". أرأيت مدى دقة النبوة، كيف سبق وأنبأ بعدم الإيمان، وكشف عن النزاع وعن العقاب الذي سيتبع هذا، وأوضح مدى هول الجحيم الأبدي؟ لأن كثيرين من الحمقى يتشككون فيما يختص بأمور بالدهر الآتي، ويريدون أن يروا هنا في هذه الحياة الحاضرة، الأمور المستقبلية، والله قد أعطى ـ من جهة الحاضر والمستقبل ـ الدليل على قدرته. فقد سما بأولئك الذين آمنوا من الأمم، أعلى من السماء، وهبط بأولئك الذين لم يؤمنوا من اليهود إلى عمق الهاوية، وسلّمهم إلى قيود الشر.

٣ ـ بعدما بكّتهم بشدة، لعدم إيمانهم بتلك الأمور، وأيضًا بعدما تحدث عن معاناتهم، وعن ما سيُعانونه، فإنه يعزّيهم مرة أخرى بشان الأمور السابقة، قائلاً:

" ألعلهم عثروا لكي يسقطوا. حاشا " (رو١١:١١).

عندما أظهر كيف أنهم مسئولون عن شرور كثيرة، فإنه قدّم التعزية. ولاحظ حكمة الرسول بولس. فهو يُشير للإدانة من قِبل الأنبياء، بينما التعزية يقدمها هو نفسه. لا يوجد من يعترض على أنهم ارتكبوا خطايا كبيرة، لكن لنرَ إن كان سقوطهم هو هكذا، حتى وإن كان سقوطًا فظيعًا وغير قابل للإصلاح، إلاّ إنه ليس كذلك. أرأيت كيف أنه يؤنّبهم مرة أخرى، وكيف أنه برجاء التعزية، يجعلهم مسئولين عن خطاياهم التي أقروا بإرتكابها؟ لكن لنرَ أية تعزية يقدّم لهم. فما هى هذه التعزية؟ هى أنه " *عندما يدخل ملؤ الأمم. هكذا سيخلص جميع إسرائيل* " أي زمن المجيء الثاني ونهاية العالم.

وهو لم يقل هذا مباشرة، إذ أنه إتهمهم بشدة، وأضاف إتهامات إلى الإتهامات، ويقدم أنبياء بعد أنبياء يصرخون ضدهم، إشعياء وإيليا وداود، وموسى وهوشع، يصرخون مرة ومرتين ومرات عديدة، ولكي لا يسحقهم هكذا، ويقودهم إلى اليأس، فهو يحضهم على الرجوع إلى الإيمان. وأيضًا لكي لا يقود أولئك الذين آمنوا من الأمم إلى الافتخار، إذ أنهم يؤذون أنفسهم عندما يفتخرون في موضوع الإيمان. لذلك يُعزيهم مرة أخرى، قائلاً: " *بل بزلتهم صار الخلاص للأمم* ". لكن ينبغي علينا ألا نسمع هذا الكلام بغير اكتراث، بل يجب أن نعرف رغبة وهدف قائله، وماذا أراد أن يُحقق؟ إنه الأمر الذي أترجى محبتكم أن تعرفوه . لأنه لو قبلنا الأمور السابقة بهذا الفكر، فلن نجد أية صعوبة في أي منها. إن محاولته آنذاك، كانت تهدف إلى أن يبعد الزهو أو الافتخار، الذي كان من الممكن أن ينشأ لدى المؤمنين القادمين من الأمم. لأن هؤلاء كان ينبغي أن يبقوا في إيمان راسخ بأكثر ثبات، بعدما تعلموا أن يكونوا متواضعين. أما أولئك القادمين من اليهود، فبعدما يتخلصون من اليأس، يأتون برغبة أكثر إلى النعمة.

فلننتبه إذًا إلى هذا الهدف، ولنستمع إلى كل ما يُقال في هذا الجزء. حسنًا ماذا يقول؟ ومن أين يتضح أنهم لم يسقطوا بصورة لا تقبل الاصلاح، وأنهم لم يُرفَضوا في النهاية؟ يتضح هذا، مما حدث للأمم، لأنه يقول " *بل بزلتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم* ". وهذا الكلام لم ينادِ به الرسول بولس فقط، بل إن الأمثال التي ذُكرت في الأناجيل تقول نفس الشيء. لأن ذاك الذي صنع عرسًا لابنه، وحدث أن رفض المدعوون الدعوة، دعا الذين هم في مُفترق الطرق[٣٨٢]. وذاك الذي غرس كرمًا، وحدث أن ذبح الكرامون الوارث، سلَّم الكرم لآخرين[٣٨٣]. وبدون مثل قال عن الأمم " *لم أرسل إلاّ*

[٣٨٢] مت٢٢: ١ـ١٤.

[٣٨٣] مت٢١: ٣٣ـ٣٦.

لخراف بيت إسرائيل الضالة "، ولإمرأة صرفة صيدا قال شيئًا أكثر من ذلك، قال: "*ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب*"[٣٨٤].

هكذا تكلم الرسول بولس أيضًا قائلاً لليهود الذين قاوموه: "*كان يجب أن تُكلّموا أنتم أولاً بكلمة الله ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه إلى الأمم*"[٣٨٥]. ويتضح من كل هذا أن ترتيب كل هذه الأمور كان مرتبط بعودة هؤلاء اليهود إلى الإيمان أولاً، ثم بعد ذلك يأتي الذين من الأمم، ولكن لأن اليهود لم يؤمنوا، فقد تغير هذا الترتيب، وتسبَّبَ عدم إيمانهم وخطيتهم في مجيء الأمم أولاً للخلاص. ولهذا يقول: "*بزلتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم*". لكن إن كان يُشير إلى الحدث الذي سيحدث، كما لو كان قد حدث بالفعل، فلا تشك، لأنه يُريد أن يُعزي نفوسهم المجروحة. وما يقوله يعني الآتي: إن يسوع أتى لليهود، ولم يقبلوه ـ على الرغم من أنه صنع معجزات لا حصر لها ـ بل وأقدموا على صلبه، بعد ذلك جذب الأمم حتى تسبب الكرامة التي أعطيت للأمم، في تحريك مشاعرهم المتجمدة وتقنعهم بأن يأتوا إلى الإيمان، على الأقل بتأثير الغيرة من الآخرين. لأنه كان ينبغي على اليهود أن يقبلوا المسيح أولاً، ثم نأتي نحن الأمم بعدهم، ولهذا قال القديس بولس "*لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودي أولاً ثم لليوناني*"[٣٨٦]، لكن لأن هؤلاء اليهود ابتعدوا، دخل الأمم إلى الإيمان **أولاً**. أرأيت مقدار الكرامة التي ينسبها لهؤلاء (أي للأمم) في هذه الحياة الحاضرة أيضًا؟ أولاً أننا دُعينا، عندما رفض هؤلاء اليهود الدعوة. **ثانيًا** من أجل هذا (أي من أجل أنهم رفضوا) دُعينا نحن، لا لكي نخلص نحن فقط، بل لكي يصير هؤلاء أفضل، عندما يَغارون من خلاصنا. إذًا ماذا يقول؟ لو لم يكن اليهود هم السبب، هل ما كنا قد دُعينا، وما كان لنا خلاص؟ بالطبع كان

---

[٣٨٤] مت١٥: ٢٤ـ٢٦.

[٣٨٥] أع١٣: ٤٦.

[٣٨٦] رو١: ١٦.

سيدعونا، لكن ليس قبل هؤلاء، بحسب الترتيب الذي يجب أن يكون. لذلك عندما تكلم المسيح مع تلاميذه، لم يقل فقط، اذهبوا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، بل قال " *اذهبوا بالحري إلى خراف* بيت إسرائيل الضالة"[٣٨٧]، أي يجب أن يذهبوا إلى خراف بني إسرائيل أولاً ثم بعد ذلك إلى خراف الأمم. والقديس بولس أيضًا لم يقل إنه كان يجب أن تُكلّموا بكلمة الله، بل قال " *كان يجب أن تُكلّموا أولاً بكلمة الله* " لكي يُبيّن أنه بعد الكلام بكلمة الله لليهود أولاً، كان يجب أن يُكرز بالكلمة لنا نحن الأمم، وهذه الأمور قد حدثت وقيلت، لكي لا يكون لديهم حجة سمجة أو تافهة بأنه قد تجاهلهم لعدم إيمانهم . إذًا فلأجل ذلك، وبرغم أن المسيح كان يعرف كل هذا مسبقًا، إلاّ أنه جاء أولاً لليهود.

٤ـ " فإن كانت زلتهم غنى للعالم ونقصانهم غنى للأمم فكم بالحرى ملؤهم" (رو١١:١٢).

إنه يتكلّم هنا برفق عن هؤلاء. لأنهم وإن أخطأوا آلاف المرات، فلن يخلّص الأمم إن لم يظهروا إيمانًا، كما أنه من المؤكد أيضًا أن اليهود ما كانوا قد ضلوا لو لم يرفضوا الإيمان، ولو لم يتنازعوا فيما بينهم . لكن كما سبق وأشرت، أنه يُعزيهم، بينما هم مُحَبطين، ويُعِدّهم لمستوى أسمى، بألا يخافوا على خلاصهم، إن غيّروا رؤيتهم وآمنوا بالمسيح. إذًا إن كانوا عندما رَفضوا، قد دُعيوا إلى هذا المستوى، فكّر ما الذي سوف سيحدث حين يعودون. لكنه لم يقل هذا، أي أنه لم يقل عندما يعودوا. لأنه لم يقل كم بالحرى عودتهم، ولا تحوّلهم، ولا تمكّنهم من تحقيق شيء، لكنه قال " كم بالحرى ملؤهم "، أي عندما سيحدث أن يأتوا جميعًا. هذا قاله، لكي يُظهر أن الأكثرية سترتبط عندئذٍ بنعمة الله، وبعطية الله، بل بالحري كأنه يقول إنهم سيرتبطون بهذه النعمة.

---

[٣٨٧] مت١٠: ٦.

" فإني أقول لكم أيها الأمم بما إني أنا رسول للأمم أمجد خدمتي لعلي أغير أنسبائي وأخلص أناسًا منهم " (رو١١: ١٣-١٤).

مرة أخرى يحاول أن ينفي عن نفسه أي شبهة سيئة. ومن الواضح أنه يوبّخ المسيحيين الذين أتوا من الأمم، معلّمًا إياهم أن يتضعوا في سلوكهم وتصرفاتهم، بينما يُثير اليهود رويدًا رويدًا، ويحاول أن يُحِد وأن يُقلل من هلاكهم بهذا القدر الكبير، إلاّ أنه لم يجدهم جديرين بشيء بسبب طبيعة أوضاعهم. إذ كانوا يستحقون إدانة أكبر من التي ذكرها، لأن الأمور التي كانت مُعده لهم، قد أخذها آخرون وإن كانوا في مرتبة أدنى منهم. ولذلك انتقل من الحديث عن اليهود، وذهب إلى المسيحيين الذين أتوا من الأمم، وبدأ يحصر حديثه فيهم، لأنه أراد أن يبرهن لهم، أنه يقول كل هذه الأمور، لكي يُعلّمهم أن يكونوا مُتضعين. لأنه يقول، إني أمتدحكم لأمرين، **الأول** لأنني تعهدت بخدمتكم، **والثاني**، لكي أُخلص آخرين بواسطتكم، ولم يقل اخوتي وأقاربي، لكن " أنسبائي (حسب الجسد) ".

بعد ذلك، ولكي يُظهر مُشاحناتهم، لم يقل ربما أُقنع، لكنه قال: " *لعلي أُغير .. وأخلّص* " ولم يتكلم هنا عن الجميع، بل عن "أناسًا منهم". كم كانوا قساة، لكنه بهذا التوبيخ يُظهر أيضًا الأمور المشرقة المختصة بالأمم، الذين قد صاروا سببًا لخلاص هؤلاء (اليهود). أي بينما صار اليهود دافعًا لخيرات كثيرة للأمم بسبب عدم إيمانهم، إلاّ أن الذين آمنوا من الأمم، قد صاروا سببًا لخلاص اليهود، بسبب إيمانهم، وبناء على ذلك فمن الواضح أن الأمم لهم نفس الاستحقاق، بل وأسمى. إذًا ماذا يمكن أن تقول أيها اليهودي، حسنًا ما الذي سوف تقوله، لو أننا نحن اليهود لم نرفض، لما دُعيتم أيها الأمم؟ نفس الأمر يقوله المسيحي القادم من الأمم، لو لم أخلص أنا، لما كانت لك غيرة نحو الخلاص؟ لكن إن كنت تريد أن تعرف الأمر الذي لأجله نحن أسمى، أقول لك إن إيماني، منحتك فرصة للخلاص، في حين أنك حاربت الإيمان، فتنازلت لنا، لنعبر إلى الإيمان قبلك.

٥ ـ ثم بعد ذلك أيضًا، ولأنه (أي القديس بولس) أدرك أنه أهانهم، كرر ما سبق قوله:

" لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة العالم فماذا يكون اقتبالهم إلاّ حياة من الأموات " (رو١١: ١٥).

لكن هذا الكلام قد أدان اليهود أيضًا، طالما أن آخرين ربحوا بسبب خطاياهم، بينما هم لم يستفيدوا مما حققه غيرهم. يصيغ الرسول بولس كلامه بهذه الطريقة ـ وهو الأمر الذي قلته مرات عديدة حتى يحفظ الأمم في الإيمان ـ ويحث أولئك اليهود على قبول الإيمان . لأنه كما سبق وأشرت، لو أن اليهود كانوا قد رُفضوا مرات عديدة، ولو أن الأمم لم يقبلوا الإيمان، ما كان لليهود أن يخلصوا أبدًا. لكن الرسول بولس، يظهر عون ومساعدة للجزء الضعيف، ويساعد ذاك الذي يتألم . لكن لاحظ كيف أنه يمنحهم عونًا ، معزيًا هؤلاء بالكلام فقط: " *إن كان رفضهم هو مصالحة للعالم* ". وأي علاقة لهذا باليهود؟ " فماذا يكون اقتبالهم إلاّ حياة من الأموات؟ " لكن هذا أيضًا لم ينفعهم في شيء، إن لم يصيروا مقبولين لدى الله بالإيمان.

ما يقوله يعني الآتي: إن كان الله عندما غضب على هؤلاء اليهود، منح آخرين عطايا كثيرة جدًا، حين تصالح معهم، فهل هناك شيء لم يقدمه؟ لكن كما أن قيامة الأموات لن تحدث بسبب انضمام هؤلاء اليهود، هكذا فإنه حتى خلاصنا الآن لن يتم بسببهم، هؤلاء اليهود رُفضوا بسبب حماقتهم، بينما نحن خَلُصنا بسبب إيماننا، وبسبب نعمة الله. لكن لا شيء من كل هذا، يمكن أن يُفيد هؤلاء اليهود، إن لم يُظهروا الإيمان اللائق ـ وبالإضافة إلى هذا الأسلوب الخاص به ـ فهو يوجّه كلمته لمديح آخر، والذي ليس هو بالمديح، لكنه يبدو كذلك، ويحاكي الأطباء المتميزين، الذين يُطمئنون المرضى كثيرًا، بقدر ما تسمح به طبيعة المرض. إذًا ماذا يقول؟:

" وإن كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين. وإن كان الأصل مقدسًا فكذلك الأغصان " (رو١١: ١٦).

هو هنا يقول إن إبراهيم، واسحق ويعقوب والأنبياء، والبطاركة، وكل هؤلاء الذين ابتهجوا في العهد القديم، هم الباكورة والأصل، بينما الأغصان هم أحفادهم الذين آمنوا.

ولأنه كان ضد فكرة أن كثيرين لم يؤمنوا، لاحظ كيف أنه يُحدد أو يحصر هذا الأمر أيضًا بقوله:

" فإن كان قد قُطع بعض الأغصان " (رو١١:١٧).

لقد قال قبلاً إن كثيرين هلكوا، وقليلين خلصوا، إذًا كيف تُشير هنا لهؤلاء الذين هلكوا بأنهم "بعض"، الأمر الذي يُشير إلى عدد قليل؟ الرسول هنا لا يناقض نفسه بنفسه، لكن ما يفعله هو أنه يحاول أن يُعالج وأن يُقوي الضعفاء. أرأيت كيف أنه في كل هذا الجزء، كما هو واضح يسعى نحو تحقيق هذا الهدف، أى أنه يُريد أن يُعزي هؤلاء اليهود؟ وإن رفضت هذا المنطق، فسيتبع هذا تناقضات كثيرة. لكن أرجو أن تنتبه إلى حكمته، كيف يبدو أنه يمتدحهم ويقصد تعزيتهم، إلاّ أنه يؤنبهم بطريقة غير مدركة، ويُبيّن أنه ليس لديهم ما يدافعوا به عن أنفسهم، إنطلاقًا من الأصل ومن الباكورة. أى فكّر أو تأمل في خبث الأغصان، حين تحاول أن تتخذ شكل الأصل المقدس، وكذلك العجين الشرير حين لا يتغير، رغم كون الباكورة مقدسة.

يقول " *فإن كان قد قُطع بعض الأغصان* " ولكن الجزء الأكبر قد قُطع، هو هنا أراد أن يُعزيهم، وهو ما سبق وأشار إليه. ولهذا لم يُقدم الكلام باعتبار أنه صادر منه، بل من هؤلاء (أي من الأنبياء)، حتى يتمكن بذلك أن يقترب من اليهود بطريقة خفية، ولكي يُظهر أنهم قد فقدوا قرابتهم لإبراهيم، لأن هذا هو ما أراد أن يقوله، إنه ليس لهم أي شيء مشترك مع هؤلاء الأنبياء . لأنه إن كان الأصل مقدس، إلاّ أن هؤلاء اليهود ليسوا قديسين، إذًا فهم بعيدون عن الأصل. وبعد ذلك، وبينما يبدو أنه يُعزي اليهودي، إلاّ أنه يوجّه مرة أخرى نقدًا للقادمين من الأمم. لأنه بعدما قال: " *فإن كان قد قطع بعض الأغصان*" أضاف "***وأنت زيتونة برية طُعمت فيها***" لأنه بقدر ما يكون ذاك الذي يأتي من الأمم هو صغير القيمة، بقدر ما يحزن اليهودي بالأكثر، إذ ينظر أن الأممي يتمتع بكل ما كان لليهودي. أما بالنسبة للأممي فهو لا يخجل من تفاهته بهذا القدر الكبير، إذا ما قورن

بالكرامة التي نالها بالإيمان. ولاحظ حكمة الرسول بولس، لم يقل زُرِعت أو غُرِست لكنه قال "طُعِمت". فيجرح اليهودي مرة أخرى بهذا الأمر، ويُظهر أن القادم من الأمم هو فوق شجرة اليهودي، بينما ذلك اليهودي هو على الأرض. لهذا تحديدًا لم يتوقف عند هذا الحد، ولا بعدما قال "طُعمت" توقف، برغم من أنه قد عبّر عن كل شيء بهذا التعبير، لكنه يُصّر على هذه الغبطة التي نالها الأممي، ويُزيد من ارتقائه قائلاً: "***فصرت شريكًا في أصل الزيتونة ودسمها***". ومن الواضح أنه وضعه، كإضافة، لكنه يُظهر أن الأممي لم يُصبه ضرر على الإطلاق، بل قد نال كل شيء، بنفس القدر الذي يناله الغصن الذي نبت من الأصل.

ولكي لا تعتقد، وأنت تستمع إلى عبارة "وأنت .. طُعمت"، أن ذلك إقلال من قدر الأممي، مُقارنًا إياه بالغصن المزروع، لاحظ كيف يُساويه بالأصل، قائلاً: " فصرت شريكًا في أصل الزيتونة ودسمها " أى أنه وصل إلى نفس الأصل النبيل، ونفس الطبيعة. ثم يُبكّته فيما بعد قائلاً:

" فلا تفتخر على الأغصان " (رو١١: ١٨).

الواضح أنه يُعزي اليهودي، لكنه في نفس الوقت يُظهر قيمة الأممي الزهيدة، وخزيه الكبير. ولهذا لم يقل "لا تتباهى"، بل قال "لا تفتخر"، لا تفتخر في مواجهة اليهود، لكي لا يرفضوك، خاصةً وأنت موجود فوق شجرتهم، وتتمتع بما لديهم. أرأيت كيف يبدو أنه يُبكّت اليهود، لكنه يوبّخ هؤلاء الأمم؟ " **إن افتخرت فأنت لست تحمل الأصل بل الأصل إياك يحمل** ". إذًا ما هى العلاقة بين هذا، وبين الأغصان التي قُطعت؟ لا توجد أي علاقة. لأنه كما سبق وأشرت، من الواضح أنه يُشير إلى شجرة تين ضعيفة وذلك لأجل التعزية، ويتوجّه إلى القادم من الأمم، ويوجه له لطمة شديدة. لأنه بعدما قال "فلا تفتخر" وأنه "إن افتخرت فأنت لست تحمل الأصل"، فقد أظهر لليهودي أن كل ما حدث (أي إيمان الأمم) يدعو إلى الافتخار، وإن كان لا يجب أن يفتخروا (أي الأمم)، وفي نفس الوقت يدفع اليهودي ويحثه

على الإيمان، واضعًا إياه في وضع المدافع، ويبيّن له الضرر الذي أصابه، وأن ما لديه يمتلكه آخرون.

٦ـ " فستقول قُطعت الأغصان لأطعم أنا " (رو١١: ١٩).

مرة أخرى يُبيّن عكس ما سبق، في شكل تباين، لكي يُظهر أن كل ما قيل في الجزء السابق مباشرةً، لم يذكره بدون سبب، بل لكي يجذبهم إلى جانبه. إذًا ليس بزلة اليهود، قد أتى الخلاص إلى الأمم، ولا بزلتهم صار الغنى للعالم، ولا لهذا قد خَلُصنا، أي لا لأنهم سقطوا، بل العكس هو ما حدث. ويُبيّن أن عناية الله بالأمم قد استُعلنت من قبل، وإن كان من الواضح أنه يعرض لهذه الأقوال بمعنى مختلف، وكل هذا الجزء يكتبه في شكل مفارقات، محررًا نفسه من شبهة العداء أو البغضة لليهود، ويجعل كلامه سهل القبول. ثم بعد ذلك يُخيف قائلاً:

" حسنًا من أجل عدم الإيمان قطعت وأنت بالإيمان ثبَت " (رو١١: ٢٠).

ها هو مرة أخرى، يقدم مدحًا آخر، وإدانة لآخرين. لكنه أيضًا يضبط افتخارهم، فيُضيف قائلاً: "*لا تستكبر بل خف* ". لأن الأمر لا يعتبر نتيجة طبيعية، بل يرتبط بالإيمان او عدم الإيمان. ويتضح بالطبع أنه يُغلق فم القادم من الأمم، بل ويُعلم اليهودي أنه لا ينبغي أن يهتم بالقرابة الطبيعية. ولهذا أضاف " لا تستكبر " ولم يقل اظهر تواضعًا، بل قال " خف "، لأن الاستكبار يُثير احتقارًا ولامبالاة.

بعد ذلك أراد أن يحكي لهم مآساتهم حتى يجعل كلامه أقل إزعاجًا، فيتوجه إلى الأممي في شكل تأنيب قائلاً: "*لأنه إن كان الله لم يُشفق على الأغصان الطبيعية* "، ولم يقل ولا عليك سيُشفق، لكنه قال:

" لأنه إن كان الله لم يُشفق على الأغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك أيضًا " (رو١١: ٢١).

وهو بهذه الطريقة يُخفف من ثقل الكلام، ويضع المؤمن في حيرة، وأيضًا من الواضح أنه يُريد أن يجذب هؤلاء اليهود ويضبطهم.

" فهوذا لطف الله وصرامته. أما الصرامة فعلى الذين سقطوا. وأما اللطف فلك إن ثبت في اللطف وإلاّ فأنت أيضًا ستقطع " (رو١١:٢٢).

لم يقل انظر إذًا إلى ما أنجزته، انظر إذًا إلى أتعابك، لكنه قال "لطف الله"، مُظهرًا أن كل شيء مدين لنعمة الله، ويهيئه لكي يسلك بمخافة . هذا بالضبط هو سبب الافتخار، أن يجعلك تخاف، لأن الرب أظهر لطفًا نحوك، ولهذا يجب أن تخاف. لأن النعم لا تبقَ ثابتة فيك، إن كنت لا تهتم بها، وبالمثل فإن الشرور لا تظل ثابتة لدى هؤلاء اليهود إذا غيّروا من رغبتهم. وأنت أيضًا إن لم تبقَ في الإيمان، فستُقطع.

" وهم إن لم يثبتوا في عدم الإيمان سيُطعمون " (رو١١:٢٣).

لأن الله لم يقطع هؤلاء اليهود، لكنهم هم قد قطعوا أنفسهم وسقطوا. وبالصواب قال "قُطعوا"، لأنه لم يحدث أبدًا أن قطعهم الله، وإن كانوا مرات عديدة قد ارتكبوا خطايا كثيرة . أرأيت مقدار قوة الاختيار؟ أرأيت مدى سيادة الرغبة؟ لأنه لا يوجد شيء ثابت من كل هذا، لا صلاحك أنت، ولا شروره. أنظر كيف أقام ذلك البائس، وضبط من يمتلك الجرأة. إذًا فأنت أيضًا لا يجب أن تيأس عندما تسمع عن الصرامة، ولا تغتر بشجاعتك حين تسمع عن اللطف. ولهذا قد قطعك فجأة، حتي تتمنى أن تعود مرة أخرى، وكذلك أظهر لطفًا نحوك، لكي تبقى ثابتًا. ولم يقل في الإيمان، لكنه قال "في اللطف" أي إن عملت أعمال تستحق لطف الله، لأن الأمر لا يحتاج إيمانًا فقط.

أنظر كيف أنه لم يترك هؤلاء اليهود في وضع متأزم، ولا ترك أولئك الأمم أن يفتخروا، بل وبَّخ غيرة اليهود والأمم معًا، مُعطيًا لليهودي إمكانية أن يقف مكان الأممي، تمامًا مثلما يأخذ الأممي وضع اليهودي. ويُخيف القادم من الأمم، عن طريق كل ما قد حدث لليهود، لكي لا يفتخر في مواجهتهم، بينما بالنسبة لليهودي، فيُعِده لكي يتشجع بكل ما أُعطى للأممي . لأنه بالحقيقة ـ كما يقول القديس بولس ـ وأنت أيضًا ستُقطع، إن كنت لا تُبالي، كما قُطع اليهودي، وذاك اليهودي سيُطعم، لو أنه آمن،

كما طُعّمت أنت . لقد حوّل الرسول بولس كلمته بحكمة كبيرة نحو القادم من الأمم، الأمر الذي اعتاد دومًا أن يفعله، مُشددًا الضعفاء، من خلال تأنيب الأقوياء. وهذا قد فعله في نهاية الرسالة، متكلمًا عن التمييز بين الأطعمة.

٧ ـ ثم يبرهن على ذلك من خلال الأمور السابقة ، وليس فقط من خلال الأمور المستقبلية، الأمر الذي أقنع المستمع إليه أكثر . وأراد ان يطرح سلسلة أفكار غير متعارضة، فيُشير أولاً إلى الدليل على ما يقوله من خلال قوة الله، ويوصي بعدم اليأس، حتى وإن كان اليهود قد قُطعوا ورُفضوا، وآخرون أخذوا ما لهم. "*لأن الله قادر أن يُطعّمهم أيضًا* "، ذاك إذًا يصنع ما يعلو على كل رجاء. لكن إن كنت تطلب ترتيب الأمور، وتتابع الأفكار، فلك أن تُحقق ذلك بغنى من خلال طبيعة المثل الذي يذكره.

" لأنه إن كنت أنت قد قُطعت من الزيتونة البرية حسب الطبيعة وطعّمت بخلاف الطبيعة في زيتونة جيدة فكم بالحرى يطعم هؤلاء الذين حسب الطبيعة في زيتونتهم الخاصة " (رو١١:٢٤).

لأنه إن كان الإيمان قد انتصر على ما هو بخلاف الطبيعة، فبالأكثر سينتصر على ما هو موافق للطبيعة. إذًا لو أن ذاك الأممي، بعدما قُطع من آبائه بحسب الجسد، وأتى بخلاف طبيعته إلى الإيمان الذي كان لإبراهيم، فبالأكثر جدًا ستستطيع أنت أن تأخذ ما هو لك مرة أخرى . لأن شر الأممي كان طبيعيًا، لأنه بطبيعته كان زيتونة برية، بينما الصلاح كان بخلاف طبيعته، إذ على خلاف طبيعته طُعّم في إبراهيم، أما صلاحك فهو على العكس من ذلك، فهو بحسب طبيعتك، لأنك لن تُطعم في أصل غريب، مثل الأممي، بل في أصلك أنت (أي إبراهيم)، إن كنت تريد أن ترجع مرة أخرى . إذًا لماذا تُصبح مستحقًا أن تُطعَّم، في حين أن الأممي يستطيع أن يحقق ما هو على خلاف طبيعته، بينما أنت لا تستطيع أن تُحقق ما هو وفقًا لطبيعتك، بل تخونه؟

ولكي لا تعتقد أن اليهودي يمتلك شيئًا أكثر نظرًا لأنه قال "بخلاف الطبيعة" و"طُعّمت"، فهو يصحح هذا الأمر مرة أخرى، ويقول إن اليهودي يُطعَّم أيضًا: " *فكم بالحرى يطعم هؤلاء الذين هم حسب الطبيعة في زيتونتهم الخاصة* ". وأيضًا " *الله قادر أن يطعمهم* ". إلاّ أنه قال قبل ذلك، إن لم يبقوا في عدم إيمان، فإنهم سيطعمون. وعندما تسمع الرسول بولس يتحدث دائمًا عن تعبير "بخلاف الطبيعة"، و"بحسب الطبيعة"، لا تتصور أنه يقصد تلك الطبيعة الثابتة، لكنه من خلال أفعال وأوصاف، يعلن عن الطبيعي، كما يُعلن عن غير الطبيعي أيضًا " *لأن الأمور الصالحة، والأمور الشريرة، ليس شيئًا طبيعيًا، بل هى تعتمد على الإرادة والاختيار فقط* ". لكن انتبه إلى رقة وحنو الرسول بولس، لأنه بعدما قال وأنت أيضًا ستُقطع، إن لم تبقَ في الإيمان، وأولئك اليهود سيُطعمون، إن لم يبقوا في عدم الإيمان، فهو يتجاوز الأمر الأكثر حزنًا، ويقدم الأمر الأكثر صلاحًا أو نفعًا، ويُنهي به حديثه، معطيًا رجاء كبيرًا لليهود، إن أرادوا ذلك.

ولهذا يُضيف ويقول:

" فإني لست أريد أيها الاخوة أن تجهلوا هذا السر لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء " (رو١١:٢٥).

يقصد بالسر هنا، السر غير المعروف والمكتوم الذي يثير الدهشة والتعجب تمامًا مثلما يقول في موضع آخر: " *هوذا سر أقوله لكم. لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير* "[٣٨٨]. إذًا ما هو هذا السر؟ ***"أن القساوة قد حصلت جزئيًا لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم*** ". هنا أيضًا يوجه ضربة لليهودي، معطيًا إنطباع أنه يضبط القادم من الأمم.

إن ما يقوله يعني تحديدًا ما سبق وقاله، أن عدم الإيمان لم يَسرِ على الجميع، بل على جزء واحد فقط، كما قال: " *ولكن إن أحد قد أحزن فإنه لم يحزّني بل أحزن جميعكم بعض الحزن* "[٣٨٩]. هكذا هنا أيضًا، يقول

---

[٣٨٨] ١كو١٥:٥١.

[٣٨٩] ٢كو٢:٥.

الشيء، الذي قاله في الجزء السابق " *لم يرفض الله شعبه الذي سبق فعرفه*"، وأيضًا: "*ألعلهم عثروا لكي يسقطوا* " ويكون سقوطهم تام؟ حاشا. هذا ما يقوله هنا، أي أنه لم يرفض كل الأمة، بل وكثيرون قد آمنوا بالفعل، وأن كثيرين سيؤمنوا.

٨ ـ ولأنه وعد بشيء عظيم، فهو يستشهد بعد ذلك بالنبي الذي يقول الآتي: فمن حيث إن القساوة قد حصلت جزئيًا، فهو لا يقدم شهادة على ذلك، لأن هذا الأمر كان واضحًا للجميع، أما من جهة أنهم سيؤمنون، وسيخلصون كما يقول " **وهكذا سيخلص جميع إسرائيل**"، فإنه يستشهد مرة أخرى بإشعياء الذي يصرخ ويقول:

" سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب " (رو١١: ٢٦).

وبعدما أشار إلى الرمز المميز للخلاص، ولكي لا يذكره أحد ويربطه بالأزمنة السابقة، يقول:

" وهذا هو العهد من قِبَلي لهم متى نُزعتْ خطاياهم " (رو١١: ٢٧).

هذا هو العهد الذي صار لهم، لا عندما اختتنوا، ولا عندما قدموا ذبائحهم، ولا عندما تمموا وصايا الناموس الأخرى، بل عندما نالوا غفرانًا لخطاياهم. إذًا إن كان قد وعد بذلك، ولم يتحقق فيهم الوعد حتى الآن، ولم يتمتعوا بالغفران الذي أُعطى بالمعمودية، إلاّ أنه سيتحقق على أية حال. ولهذا فقد أضاف:

" من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم. وأما من جهة الاختيار فهم أحباء من أجل الآباء " (رو١١: ٢٨).

إذًا لكي لا يفتخر القادم من الأمم، قائلاً، إنني مُدعَّم ومسنود، لا تقل لي ما الذي سوف يصير، لكن ماذا صار. ومن هنا يضبط ذلك الأممي بقوله: " *من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم* ". إذًا لأنكم دُعيتم أنتم، فقد صار هؤلاء اليهود بالأكثر أعداء. لكن ولا هكذا توقفت دعوة الله لكم، لكنه ينتظر أن يأتي كل أولئك الذين سيؤمنون من الأمم، وحينئذٍ سيأتي أيضًا هؤلاء اليهود. ثم بعد ذلك يقدم لهم خدمة أخرى قائلاً: " *وأما من جهة*

الاختيار فهم أحباء من أجل الآباء". ما معنى هذا؟ أي أنه من حيث إنهم أعداء، توجد عقوبة لهم، لكن من حيث إنهم أحباء، فإن فضيلة آبائهم ليست لها أي علاقة بهم، إن لم يؤمنوا. لكن وكما سبق وأن أشرت، لم يتوقف الرسول بولس عن أن يُعزيهم بالكلام، لكي يجذبهم إلى الإيمان.

" لأن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة " (رو١١: ٢٩).

ولم يعزيهم فقط بهذا، لكن بذلك الذي حدث بالفعل، وهذا الذي حدث كشيء لاحق، يذكره كأمر أوّلي، قائلاً:

" فإنه كما كنتم أنتم مرة لا تطيعون الله ولكن الآن رحمتم بعصيان هؤلاء. هكذا هؤلاء أيضًا الآن لم يطيعوا لكي يُرحموا هم أيضًا برحمتكم " (رو١١: ٣٠-٣١).

هنا يُبيّن أن الأمم دُعيوا أولاً، ثم بعد ذلك بسبب عدم قبولهم الدعوة، فقد اختار الله اليهود، ونفس الأمر حدث بعد ذلك. أى نظرًا لأن اليهود لم يريدوا أن يؤمنوا، قاد الله الأمم أيضًا للإيمان. لكنه لم يتوقف عند هذا الحد، ولا برفضهم ينتهي كل شيء، بل إن هؤلاء أيضًا سيُرحَمون. لاحظ مقدار ما يقدمه للأمم، كما قدم في السابق لليهود. لأنه يقول، أنتم أيها الأمم لم تطيعوا مرة، فأتى اليهود للإيمان، ولأن اليهود أيضًا لم يطيعوا، أتيتم أنتم للإيمان. لكن من المؤكد أنهم لن يهلكوا في النهاية.

" لأن الله أغلق على الجميع معًا في العصيان لكي يرحم الجميع " (رو١١: ٣٢).

أي أنه بكّتهم، وأظهر أنهم قد عصوا، لا لكي يبقوا في العصيان، بل لكي يُخلّص الآخرين بعصيانهم، يُخلّص هؤلاء بأولئك، وأولئك بهؤلاء. ولاحظ قوله، عصيتم أنتم الأمم وخلص هؤلاء، وأيضًا هؤلاء اليهود عصوا، وأنتم الأمم خلصتم. لكن لم تخلصوا هكذا، حتى تبتعدوا مرة أخرى، تمامًا مثل اليهود، لكن لكي تجذبوا هؤلاء اليهود، وأنتم ثابتين في غيرتكم الإيمانية.

٩ـ " يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء " (رو١١: ٣٣).

هنا وبعدما فكّر في الأزمنة السابقة، وأدرك خطة التدبير الإلهي منذ البدء، منذ خلق العالم حتى اليوم، وبعدما تأمل كيف أن الله دبر كل شيء بطرق متنوعة، تملكته الدهشة، وصرخ بقوة، مؤكدًا لسامعيه، أن ما قاله سوف يحدث على كل الأحوال . لأنه ما كان له أن يصرخ، أو يشعر بالدهشة، ما لم يكن كل هذا سوف يحدث. ومن حيث إنه يوجد عمق لغنى الله، فهو يعرف ذلك، ولكن ما مقدار هذا العمق، فهذا لم يكن يعرفه . لأن هذا التعبير، هو تعبير إنسان مندهش، برغم أنه لا يعرف كل شيء . وبعدما اندهش وتعجب لأجل صلاح الله، نادي على قدر إستطاعته، بكلمتين مملوءتين بالتركيز، وهما الغنى، والعمق. وتملّكته الدهشة، لأن الله أراد، واستطاع تحقيق كل هذا، وحقق المفارقات بالمفارقات. "*ما أبعد أحكامه عن الفحص*". لأنه ليس فقط أن هذه الأحكام يستحيل إدراكها، بل ولا يمكن فحصها. " *وطرقه عن الاستقصاء* " أي تدابيره، كما وأن هذه الطرق ليست فقط لا يمكن أن تصير معروفة، بل ولا أن تُستقصى. لأنه هكذا يقول (ق. بولس) ولا أنا أعرفها كلها، بل أعرف جزءًا يسيرًا، وليس كل شيء. لأن الله وحده، هو الذي يعرف ما له بوضوح. ولهذا أضاف:

" لأن من عرف فكر الرب أو صار له مشيرًا أو من سبق فأعطاه فيُكافأ" (رو١١: ٣٤ـ٣٥).

ما يقوله يعني الآتي: أن الله يتسم بالحكمة الفائقة، وهو ليس حكيم من قِبَل آخر، بل هو نبع الصالحات، وأنه برغم أنه صنع الكثير ومنحه لنا، فهو لم يُعطه مستدينًا من آخر، بل أن كل شيء تدفق أو نبع من ذاته، دون أن يكون مديون بإعطاء مكافأة لشخص، نظير إحسان قدمه له هذا الشخص، فالله هو دومًا منبع كل الخيرات. لأن هذا هو على كل حال، ملمح الغني، أن يوزع غناه بوفرة، وأن لا يكون هناك احتياج أن يأخذ من آخر. ولهذا أضاف:

" لأن منه وبه وله كل الأشياء " (رو١١:٣٦).

إن الله يملك كل الأشياء، هو خالق كل الأشياء، وهو الذي يضبطها. كما أنه غني، وليس لديه احتياج أن يأخذ من آخر، وهو حكيم وليس بحاجة لمشير.

ولماذا أتكلم عن مشير؟ بل ولا يستطيع أحد أن يعرف ما لديه، إلاّ سواه، فهو الغني والحكيم. عندما يجعل القادمين من الأمم أغنياء، فهذا برهان كبير على الغنى، وأن يجعل الأدنياء من اليهود مُعلّمين لليهود، فهذه دلالة على حكمة فائقة. ثم بعد ذلك، يقدم الشكر لأنه اندهش وتعجب كثيرًا جدًا لغنى الله وحكمته قائلاً: " *له المجد إلى الأبد آمين* ". لأنه حين يقول شيئًا عظيمًا مثل هذا ولا يمكن شرحه، فإنه ينتهي إلى الشكر بدهشة كبيرة، نفس الأمر يفعله في حالة الابن. كما حدث في الاصحاح التاسع، فبعدما تملكته الدهشة، أضاف ما قاله هنا بالتحديد " ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهًا مباركًا إلى الأبد آمين "[390].

١٠ ـ فلنتمثل نحن أيضًا بالقديس بولس، ولنقدم الشكر لله في كل مكان ولنعتني بالطريقة التي نسلك بها في هذه الحياة، وألاّ نعتمد على فضائل آبائنا، واضعين نصب أعيننا المثال الخاص باليهود. لأن هذه القرابة البشرية لا تسري على المسيحيين، لكن ما يسري عليهم هو فقط القرابة الروحية. هكذا فإن السكيثي، صار ابنًا لإبراهيم، كما أن ابن إبراهيم أيضًا صار غريبًا أكثر من السكيثي. إذًا ينبغي ألا نعتمد على إنجازات آبائنا، بل حتى وإن كان لك بعد أبًا يستحق الإعجاب، لا يجب أن تتصور أن هذا كاف لخلاصك أو لكرامتك ولمجدك، إن لم تصر قريبًا له من جهة سلوكك في الحياة. وبالتالي أيضًا لو أن لك أبًا شريرًا، لا تتصور أن يكون هذا سبب إدانة وخجل، طالما أنك تسلك بطريقة صحيحة. فهل هناك من هم أكثر خزيًا من الوثنيين؟ لكنهم بالإيمان، صاروا سريعًا أقرباء للقديسين. أيضًا هل وُجِد من هم أكثر ألفة ومودة من اليهود؟ لكنهم بسبب عدم

---

[390] رو٩:٥.

إيمانهم صاروا غرباء. لأن تلك القرابة هى طبيعية وإلزامية، والتي بحسبها نحن جميعًا أقرباء، طالما أننا جميعًا ولدنا أو ننحدر من آدم، ولا يمكن للواحد أن يكون أكثر قرابة من الآخر، ويرجع السبب في ذلك إلى آدم، ونوح، والأرض التي تُعَد أُمًا لجميعنا. بينما القرابة التي تستحق المكافأة، هى تلك التي تميّزنا عن الأشرار (أي القرابة الروحية).

لأنه من غير الممكن أن يكون الجميع هنا أقرباء، بل الأقرباء هم فقط أولئك الذين لهم طريقة الحياة ذاتها. ولا الذين يولدون معنا من نفس الرَحِم ندعوهم إخوة، بل الإخوة هم أولئك الذين يُظهرون نفس الغيرة في الإيمان. بهذا المعنى يتحدث المسيح عن أولاد الله. أيضًا يكون الحديث عن أولاد إبليس من وجهة نظر عكسية، وبهذا المعنى يكون الحديث عن أبناء الطاعة، وأبناء الجحيم، وأبناء الهلاك . **هكذا فإن تيموثاوس بسبب فضيلته، دُعي ابنًا لبولس[391]، بينما نحن لا نعرف اسم ابن اخته، وإن كان من المؤكد أن أحدهما هو قريبه بالطبيعة، لكن هذا لا يفيد بشيء، بينما الآخر، هو بعيد عنه بحسب الطبيعة وبحسب المكان خاصةً وأنه كان يقيم في لسترا، لكنه كان قريبًا له أكثر من الجميع.** إذًا فلنصِر نحن أيضًا أبناء للقديسين، أو من الأفضل أن نقول لنصِر أبناء لله. ومن حيث إنه من الممكن أن نصير أبناء لله، اسمع المسيح له المجد، ماذا يقول: " *فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل* "[392]. ولهذا فإننا ندعو الله في صلواتنا أبًا لنا، مُذكرين أنفسنا ليس فقط بالنعمة، بل أيضًا بالفضيلة، لكي لا نفعل شيئًا غير لائق بمثل هذه القرابة.

وكيف يكون ممكنًا أن أصير ابنًا لله؟ هذا ممكن لو تحررت من كل الشهوات، لو تصرفت برأفة تجاه أولئك الذين يشتمونك ويظلمونك، لأن أباك هكذا سلك تجاه أولئك الذين يجدفون. ولهذا، برغم أنه قال الكثير لم يقل في أي موضع " لكي تصيروا مثل أبيكم "، بل عندما قال: " *صلوا لأجل*

[391] انظر ١تيمو ١:٢.

[392] مت٥:٤٨.

الذين يسيئون إليكم ويطردونكم "[٣٩٣]، أضاف عندئذٍ هذه المكافأة لأنه لا يوجد شيئًا يقودنا إلى الله بهذا االقدر الكبير، ويجعلنا مثل الآب، إلاّ تحقيق هذا الأمر (أي الصلاة من أجل الذين يسيئون إلينا). ولهذا فإن الرسول بولس عندما قال: " *فكونوا متمثلين بالله* "[٣٩٤]. هكذا يقول أن تصيروا متمثلين به (في هذا الأمر). من المؤكد أننا في احتياج لكل الإمكانات، خاصةً المحبة والوداعة، لأننا نحن أنفسنا نحتاج لمراحم كثيرة. لأننا نرتكب خطايا عديدة كل يوم، ولهذا نحتاج لرأفة كبيرة. لكن الكثير، والقليل، لا يُحكم عليه بمعيار أولئك الذين يأخذون، بل بمقدار ثروة الذين يعطون. إذًا فلا الغني يفتخر، ولا الفقير يشعر بنقص، عندما يعطي قليلاً، لأنه في مرات كثيرة، يكون قد أعطى أكثر من الغني.

ولا ينبغي أن نتضايق بسبب الفقر، لأنه يجعل عمل الرحمة بالنسبة لنا أكثر سهولة. لأن ذاك الذي يمتلك الكثير يسود عليه الزهو، وتتمكن منه رغبة الحصول على المزيد، بينما مَن يملك القليل فهو متحرر من هاتين الصفتين المذلتين، ولهذا يجد دوافع أكثر لكي يُقدم إحسانًا. لأن هذا الفقير سيذهب إلى السجن بسهولة ليفتقد المساجين، وسيزور المرضى، وسيُقدم ماء باردًا، أما الغني فلن يقبل أن يفعل أي شيء من كل هذا، لأنه منشغل بالغنى. إذًا ينبغي ألا تتضايق بسبب الفقر، وأن التجارة في الأمور السمائية، ستجعل عمل الرحمة بالنسبة لك أكثر سهولة. وإن كنت لا تملك أي شيء، لكن تملك نفسًا تشارك في أحزان الآخرين، فسيهبك الله مكافاة لهذا. ولذلك فقد أوصانا الرسول بولس أن نبكي مع الباكين، ومع المحبوسين، كأننا محبوسين معهم . لأنه يجب على الإنسان ليس فقط أن يحمل تعزية لكل من يبكي، إذ يوجد كثيرون ممن يشاركون في الأحزان، بل عليه أيضًا أن يقدم تعزية لكل من يوجد في حالات أخرى صعبة. لأنه في بعض الحالات، يمكن للكلمة أن تُشدد الحزين، بصورة ليست أقل من تأثير المال.

---

[٣٩٣] مت٥:٤٤.

[٣٩٤] أف٥:١.

لذلك فقد أوصانا الله أن نُعطي أموالاً لأولئك الذين هم في احتياج، لا لكي نصحح فقط من أوضاعهم الفقيرة، بل ولكي يُعلّمنا أن نشارك القريب أحزانه. ولهذا فإن البخيل مكروه، لا لأنه يبغض الفقراء فقط، بل لأنه يُحرّض على القسوة والوحشية بشدة. أما الذي يحتقر المال ويوزعه على الفقراء، فهذا يصبح محبوبًا، لأنه يصير رحيمًا، ومحبًا للناس . بل والمسيح حين يُطوّب الرحماء، يُطوّب ويمتدح ليس فقط كل من يرحم بالمال، بل وكل الذين يفعلون هذا برغبتهم أو اختيارهم. ليتنا نقدم هذه الرغبة إذًا بشكل لائق لعمل الرحمة، وعندئذٍ ستتبع ذلك كل الخيرات. مَن يحمل الحب للآخرين، ولديه رغبة في أن يشاركهم أحزانهم إن كان يمتلك أموالاً، سيُعطي بوفرة، وإن رأى أحدًا في كارثة، سيبكي ويحزن، وإن تقابل مع شخص مظلوم سيحميه أو سيدافع عنه، وإن رأى شخصًا يُساء إليه بقسوة سيمد له يد العون. لأنه يملك كنز الصالحات، أي نفس مُحبة للبشر ومشاركة في أحزانهم، وسيتدفق من هذه النفس، أي من هذا النبع، كل ما هو لخدمة اخوته، وسيتمتع بكل المكافأت التي هى عند الله.

لكي نحقق نحن أيضًا هذا، لنجعل أنفسنا قبل كل شيء مشاركة في الأحزان. فإن فعلنا هذا سننال خيرات لا تُحصى هنا في هذه الحياة الحاضرة، وفي حياة الدهر الآتي أيضًا، ليتنا ننالها جميعًا بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة إلى دهر الدهور آمين.

الأصحاح الثاني عشر

الاصحاح الثاني عشر

عظة ٢١

" فأطلب إليكم أيها الاخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية " (رو١:١٢)

١. بعدما تكلم كثيرًا عن محبة الله نحو البشر، وأظهر عنايته التي لا يُعبَّر عنها، وصلاحه غير الموصوف الذي لا يمكن فحصه، أخذ يستفيض في عرض ذلك الصلاح، لكي يُقنع أولئك الذين نالوا إحسانات الله، بأن يُظهروا سلوكًا يليق بهذه العطية. وبرغم أنه رسول عظيم وله مكانة كبيرة، إلا أنه لا يتوانى عن أن يترجاهم. مع أن كل ما كان يرجوه منهم، لا يتعلق بشيء سيحظى به هو شخصيًا، بل يرتبط بما يمكن أن يحصل عليه هؤلاء الأخوة. وما الذي يُدهشك ويجعلك تتعجب أنه لا يتوقف عن التوسل عندما يتحدث عن رأفات الله؟ حسنًا لأنه يقول من هنا تأتي الخيرات غير المحدودة لكم، أي من رأفات الله، فلتقدّروا هذه الرأفات، ولتشعروا بالخجل كذلك، فإن هذه الرأفات تحمل معنى التضرع الذي يمنعكم عن إظهار أي شيء لا يليق بها.

هكذا يقول لهم أطلب إليكم برأفة الله التي بها خلصتم، لأنه أراد أن يؤنب الذين نالوا إحسانات كثيرة . فهو يقول لهم إني أطلب برأفة الله، رغبة منه أن يقدم لهم الله الرؤوف ذاته، أخبرني يا بولس ماذا تطلب؟ يطلب " أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية " ولأنه تكلّم عن "ذبيحة"، ولكي لا يعتقد أحد أنه يأمر أن يقدموا أجسادهم ذبائح، أضاف كلمة "حية". بعد ذلك يُميز هذه الذبيحة عن الذبيحة اليهودية، بقوله: "مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية ". خاصةً وأن الذبيحة اليهودية جسدية وليست مرضية تمامًا. لأن النبي يقول: " *مَنْ طلب هذا من أيديكم*"[٣٩٥]. وفي مواضع أخرى كثيرة جدًا يتضح أن الله كان يرفض هذه الذبائح، لكنه لم يرفض هذه الذبيحة العقلية، وحتى إن كانت

[٣٩٥] اش ١:١٢.

الذبيحة اليهودية ما زالت تُقدم، فإنه طلب هذه الذبيحة العقلية. ولهذا قال: " *ذابح الحمد يُمجدني*"[٣٩٦]. وأيضًا " *أسبح اسم الله بتسبيح وأعظمه بحمد. فيستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذي قرون وأظلاف* "[٣٩٧]. وفي موضع آخر من الكتاب نراه يرفض هذه الذبيحة الحيوانية، قائلاً: " *هل آكل لحم الثيران وأشرب دم التيوس. إذبح لله حمدًا وأوف العلى نذورك* "[٣٩٨]. هكذا فإن الرسول بولس هنا يأمر أن يقدموا أجسادهم ذبيحة حية. وكيف يمكن أن يصير الجسد ذبيحة؟

يحدث ذلك عندما لا ترى العين أي شيء خبيث، فتكون قد صارت ذبيحة، وألا يتفوه اللسان بأي شيء مُقزز، فيكون قد صار تقدمه، وألا تمتد الأيدي إلى أي شيء مُخالف، فتكون قد صارت ذبيحة مكتملة.

أو من الأفضل أن نقول إن هذا لا يكفي، بل من الضروري بالنسبة لنا فعل الخير أيضًا، حتى أن اليد تقدم عمل الرحمة، والفم يُبارك مَن يُسيئون إلينا، والأذن تنشغل دومًا بسماع كلام الله. لأن الذبيحة لا يكون فيها شيئًا دنسًا، الذبيحة هى باكورة للأعمال الأخرى الصالحة. إذًا فلنُقدم نحن أيضًا لله، باكورات الأيدي والأرجل والفم، وكل أعضاء جسدنا الأخرى. هذه الذبيحة هى ذبيحة مرضية، بينما ذبيحة اليهود كانت دنسة. لأن ذبائحهم " *كخبز الحزن كل من أكل يتنجس*"[٣٩٩]. لكن ذبيحتنا ليست هكذا. فالذبيحة الحيوانية المقدمة تُعرض ميتة، بينما هذه الذبيحة (التي يتحدث عنها ق. بولس) تُقدَم حية. إذًا حين نُميت أعضاءنا، سنستطيع عندئذٍ أن نحيا. لأن ناموس هذه الذبيحة هو ناموس جديد، ولهذا فإن طريقة النار هى عجيبة. لأنه لا تحتاج إلى خشب ومواد أخرى لإشعالها، بل أن نارنا هذه تشتعل من ذاتها، ولا تحرق الذبيحة، بل تحييها بالأكثر. هذه الذبيحة هى التي طلبها

---

[٣٩٦] مز ٥٠: ٢٣.

[٣٩٧] مز ٦٩: ٣١ـ٣٢.

[٣٩٨] مز ٥٠: ١٣ـ١٤.

[٣٩٩] هو ٩: ٤.

الرب منذ البداية. ولهذا قال النبي: "*ذبائح الله هي روح منكسرة*"[400]. وهذه الذبيحة قد قدمها الثلاثة فتية، قائلين: "*ليس لنا في هذا الزمان رئيس ولا نبي ولا قائد ولا محرقة ولا ذبيحة ولا تقدمة ولا بخور ولا موضع لتقريب البواكير أمامك .. ولكن لانسحاق نفوسنا وتواضع أرواحنا اقبلنا*"[401].

٢ ـ لكن، لاحظ كيف أن القديس بولس يستخدم كل كلمة بدقة شديدة. لأنه لم يقل اجعلوا أجسادكم ذبيحة، بل قال "قدموا"، كأنه يقول، ينبغي ألا يكون لكم بعد شيئًا مشتركًا مع هذه الأجساد، بل قدموها لآخر. كذلك أيضًا الذين يقدمون خيول الحرب، لا يكون لهم فيما بعد أي علاقة معها. وأنت أيضًا قد قدمت أعضاءك في الحرب ضد الشيطان، وفي هذه المعركة المخيفة لا تستدعي هذه الأعضاء لخدمتك الذاتية. وهو يُظهر، بالإضافة إلى ذلك، إنه يجب أن نجعلها (أي أعضاؤنا) مُدرَّبة أو مُجرّبة، طالما أننا ننوي تقديمها. لأننا لا نُقدمها إلى واحد من البشر الأرضيين، بل لله ذاته، ملك الجميع، لا لكي تحارب فقط، بل لكي يجعلها الملك ذاته عرشًا يجلس عليه. لأنه لا يرفض أن يجلس أو يحلّ في أعضائنا، بل بالحري يريد ذلك بشدة، فالذي لا يُفضّله الملك الأرضي الذي هو إنسان مثلنا، يفضّله ملك الملائكة.

وعندما يكونوا مستعدين أن يقدموا أنفسهم ذبيحة، فيجب أن يتحرروا من كل ضعف، فإن كان لديهم أي ضعف، فلن يستطيعوا أن يقدموا أنفسهم ذبيحة. فلا العين يمكن أن تقدم نفسها ذبيحة، عندما تنظر إلى أشياء خبيثة، ولا اليد حين تسرق وتكون جشعة، ولا الأرجل عندما تسير بإعوجاج وتتجه نحو اللهو، ولا البطن عندما تصير عبدة للمتعة وتُشعِل شهوات اللذات، ولا القلب عندما يكون فيه غضبًا وعشقًا للزنا، ولا اللسان عندما يتكلم بكلام بذئ. ولهذا ينبغي أن نفحص جسدنا من كل جوانبه، حتى لا تكون به عيوبًا.

---

[400] مز ٥١:١٧.

[401] نبوءة دانيال ٣:٣٨ـ٣٩.

إذن طالما أن أولئك الذين قدموا الذبائح القديمة، كانوا يلتزمون بالناموس ويفحصون كل شيء، ولم يكن يُسمَح لهم بأن يقدموا ذبيحة مقطوعة الأذن، أو مقطوعة الذيل، ولا حيوانات مريضة بالجرب، ولا حيوانات بها جروح[٤٠٢]، فبالأولى جدًا نحن الذين لم نُقدم خرافًا غير عاقلة، بل قدمنا أنفسنا، أن نُظهر حرصًا أكبر على أن نكون أنقياء من كل جهة، لكي نستطيع بحسب الرسول بولس أن نقول "*أنا الآن أسكب سكيبًا ووقت إنحلالي قد حضر*"[٤٠٣]. بالحقيقة لقد كان أكثر نقاء من كل ذبيحة، ولهذا دعى نفسه سكيبًا أو مسكوبًا، هذا سيحدث لنا حين نُميت إنساننا العتيق، وأعضاءنا التي على الأرض، وحين يُصلَب العالم لنا.

هكذا لن نحتاج بعد إلى سكين، ومذبح، ونار. أو من الأفضل أن نقول إننا سنحتاج لكل هذه، لكن ليست المصنوعة باليد، بل إن كل هذه ستأتي إلينا من السماء، النار والسكين ستُعطى لنا من السماء، والمذبح بالنسبة لنا هو السماء الواسعة. وإن كان إيليا قدَّم ذبيحة مادية، ونزلت نار من السماء وأكلت كل شيء، الماء والخشب والحجارة، فبالأكثر جدًا سيحدث هذا معك . وإن كنت تشعر بشيء من التراخي، ومنشغل بهموم الحياة، ومع ذلك تُقدم ذبيحة بإرادة مستقيمة، فبعدما تنزل نار الروح، ستأكل هذا الشيء، وكل التقدمة سوف تُقدَّم في النهاية. لكن ما هى العبادة العقلية؟ هى الخدمة الروحية، هى الحياة التي تتفق مع تعاليم المسيح، تمامًا مثل الخادم والكاهن في بيت الرب، أيًا كان هو، حين يكون في وقت تقديم الذبيحة، يصير أكثر وقارًا وورعًا، هكذا نحن أيضًا ينبغي أن نسلك كل أيام حياتنا، كما لو كنَّا نُقدم عبادة، وأن نكون كهنة. وهذا سيحدث، إن كنت تُقدم له كل يوم ذبائح، وتصير كاهنًا لجسدك، ونفسك. أي حين تقدم تعقلاً، ورحمة، ورأفة، وتسامحًا.

---

[٤٠٢] انظر لا٢٢: ١٧ـ٣٣.

[٤٠٣] انظر ٢تيمو ٤: ٦.

إذن عندما تفعل كل هذا، فأنت تُقدم العبادة العقلية، أى العبادة التي ليس فيها شيئًا جسديًا، أو شيئًا دهنيًا، أو شيئًا ماديًا[٤٠٤].

٣ ـ إذن بعدما رفع المستمع عاليًا بهذه الأوصاف، برهَن على أن كل واحد يُعتَبر كاهنًا لنفسه، من خلال سلوكه في الحياة، والطريقة التي يمكن بها تحقيق كل هذا. فما هي هذه الطريقة؟ هي:

" ولا تشاكلوا هذا الدهر. بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة " (رو١٢:٢)

طالما أن شكل هذا الدهر هو زائل ووقتي ولا يُمثل شيئًا، وليس فيه شيئًا ساميًا ولا دائمًا، ولا مستقيمًا، بل إن كل شيء فيه هو فاني. إذًا إن كنت تريد أن تسلك بطريقة صحيحة، فلا تُشاكل الحياة الحاضرة، لأنه لا يوجد شيء في هذه الحياة ثابت ودائم. ولهذا فقد إستخدم كلمة "شكل" لوصف هذا الدهر. وأيضًا يقول في موضع آخر " *هيئة هذا العالم تزول* "[٤٠٥]. لأن هيئة هذا العالم ليس فيها شيئًا دائمًا ثابتًا، بل كل ما فيها هو وقتي. ولهذا قال: " هذا الدهر" لكي يُعلن بهذا أنه فاني، بينما يُعلن "بالشكل"، أن ليس له كيان حقيقي. لأنه سواء تكلمت عن الغنى، أو المجد، أو جمال الجسد، أو المتع، أو أي شيء آخر من تلك الأمور التي تُعتبر كبيرة، فهى فقط شكل وليست حقيقة الشيء، هى عَرَض وقناع، وليست كيانًا يبقى للأبد.

لكن أنت لا تُشاكل هذا الدهر، بل كما يقول الرسول بولس " *تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم* ". لم يتكلم هنا عن التغيير الخارجي، بل عن التجديد والتجلي الذهني، لكي يُظهر أن الشكل يخص العالم، بينما فيما يختص بالفضيلة، فالأمر لا يتعلق بالشكل، بل بالصورة الحقيقية التي لها جمال طبيعي، دون أن تحتاج للمساحيق الخارجية التي تظهر وفي نفس الوقت تختفي. والواقع إن كل هذه الأمور تظهر أولاً ثم تتحلل. إذًا لو أنك ألقيت عنك الشكل الذي ينتمي إلى هذا العالم، فستصل سريعًا إلى الصورة

[٤٠٤] يقصد العبادات اليهودية المتعلقة بغسل الجسد، و المسح بالدهن.

[٤٠٥] ١كو٧:٣١.

الحقيقية. لأنه لا يوجد شيئًا أضعف من الشر، ولا شيء يشيخ بسهولة أكثر من الشر. بعد ذلك ولأن الناس بشر، وبسبب طبيعتهم فهم مُعرَضون أن يُخطئوا كل يوم، فإنه يُعزي المستمع، قائلاً له، جدّد نفسك كل يوم. ولأننا نمارس التجديد داخل بيوتنا، حيث نُصلح دائمًا ما أصابه القِدم، فهذا عينه اصنعه في نفسك. هل أخطأت اليوم؟ هل أصابت الشيخوخة نفسك؟ لا تيأس، ولا تفقد شجاعتك بل جدّد نفسك بالتوبة، بالدموع، بالاعتراف وفعل الخير، ولا تتوقف أبدًا عن فعل ذلك.

وكيف نستطيع أن نفعل ذلك؟ بأن " تختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة " إما أنه يقصد: تجدّدوا لكي تعرفوا إرادة الله الصالحة المرضية، وإما: أنكم تقدروا على أن تتجددوا إن عرفتم أين هى منفعتكم، وبالأولى ما هى إرادة الله الصالحة المرضية. لأنه إن عرفت هذا، وتعلّمت أن تُميز طبائع الأشياء، تكون بهذا قد وصلت إلى الطريق الذي يقود إلى كل فضيلة. وهل هناك مَن لا يعرف ما هو الصالح بالنسبة له، وما هى إرادة الله؟ إن أولئك الذين يتأثرون بالأشياء الحاضرة، ويعتقدون أن الثراء يثير فيهم الغيرة ويحتقرون الفقر، والذين يسعون نحو السلطة، وسلّموا أنفسهم للمجد العالمي، أولئك الذين يؤمنون بأنهم عظماء، هؤلاء يبنون منازل فاخرة، يشترون قبورًا فخمة، يمتلكون كثير من العبيد، ويتجول معهم عدد كبير من الخصيان. هؤلاء يجهلون أين هى مصالحهم، وما هى إرادة الله. خاصةً وأن الاثنين هما واحد، لأن الله يريد تلك الأمور التي هى لمصلحتنا، وما يريده يُحقق لنا الفائدة.

إذًا ما هو الذي يريده الله لنا؟ أن نحيا بفقر، بإتضاع، باحتقار للمجد الباطل، بعفة وليس بتمتع، بألم وليس بتنعم، بل بحزنٍ، وليس باللهو واللعب، بل بالصلاة والسلوك بإستقامة، يريدنا أن نحيا مُلتزمين بكل الأمور التي شرَّعها لنا. لكن الكثيرين يعتبرون أن هذه الأمور هي من أمور الشعوذة، وبهذا يبتعدون جدًا عن معرفة مصلحتهم ومعرفة إرادة الله. إذًا فالذين لا يعرفون ما هى الفضيلة، بل عِوضًا عنها يبتهجون بالشر، ويأتون

بالزانية إلى فراشهم بدلاً من الزوجة المتعقلةِ، فمتى يتمكنون من الإبتعاد عن هذا الدهر؟ ولهذا فقبل كل شيء يجب أن يكون حكمنا على الأمور واضحًا. فحتى وإن كنا لا نُمارس الفضيلة بعد، لكن يجب أن نمتدح الفضيلة، وإن كنا لا نتجنب الشر، إلاّ أنه من الواجب أن نُدين الشر، لكي يكون لدينا قبل كل شيء أحكامًا أو قرارات غير مُدانة. وهكذا إذ نتقدم رويدًا رويدًا، سيُمكننا أن نصل إلى الأعمال. ولهذا تحديدًا، فإن الرسول بولس يُعطي أمرًا أن نتجدد " لنختبر ما هى إرادة الله ". ولكن يبدو لي هنا أنه يُدين اليهود، الذين تمسكوا بالناموس. لأن إرادة الله بالتأكيد تشمل الحياة القديمة أيضًا ـ على ألا تكون أولاً ـ وقد سمح بها بسبب ضعفهم، أما الكمال والأمر المُرضِي لدى الله، فهو الحياة الجديدة.

٤ـ " فإني أقول بالنعمة المعطاة لي لكل مَنْ هو بينكم أن لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي بل يرتئي إلى التعقل. كما قسم الله لكل واحد مقدارًا من الإيمان " (رو١٢: ٣).

فبعدما قال قبلاً " *أطلب إليكم أيها الاخوة برأفة الله* "، يتكلم هنا مرة أخرى "عن النعمة" لاحظ إتضاع المعلم، ولُطفه. لا يحسب نفسه مستحق أن يوِّجه مثل هذه النصيحة وهذه المشورة، بل مرة يعتمد على رأفة الله، ومرة أخرى على نعمة الله. هكذا يوضح أنه لا يتحدث بكلامه الشخصي، بل بكلام الله. ولم يقل، إنني أكلمكم باسم حكمة الله، وباسم ناموس الله، لكنه قال: " *بالنعمة المعطاة لي* " لكي يُذكّر على الدوام بإحسانات الله، لكي يجعلهم بالأكثر ممتنين لله، وأن يُظهر بهذه الطريقة أنهم مسئولون عن الطاعة لكل ما يُقال.

" *لكل مَنْ هو بينكم* ". وليس لهذا وذاك فقط، بل للرئيس، وللمواطن، وللعبد والحر، وللبسيط والحكيم، وللمرأة والرجل، وللشاب والشيخ. لأن هذا الناموس هو واحد للجميع، لأنه ناموس الرب. وهكذا لا يجعل كلامه مُزعجًا، طالما أنه يُقدم التعاليم للجميع، ولأولئك الذين ليسوا مسئولين، لكي يتقبل المسئولون بأكثر سهولة هذا التوبيخ وهذا الاصلاح. أخبرني ماذا تقول؟ "*أن لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي* ". إنه يعرض هنا لتاج الصالحات،

أي الإتضاع، متمثلاً بمعلمه. لأنه مثلما أن سيده صعد إلى الجبل وألقى الموعظة هناك، وكانت هذه هى البداية، وقد وضع هذه الأساسات، قائلاً: " *طوبى للودعاء* "[٤٠٦]، هكذا بولس أيضًا، بعدما إنتقل من العقائد، إلى الموضوعات الأخلاقية والروحية، علّم بشكل عام عن الفضيلة، طالبًا منّا الذبيحة المرضية، لكنه يُريد أن يصفها بشكل منفصل، يبدأ من الإتضاع، هكذا بدأ من الأهم، إذ يقول: "*أن لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي* "، لأن هذه هى إرادة الله، "*بل يرتئي إلى التعقل*".

ما يقوله يعني الآتي: لقد وُهبنا عقلاً، لا لكي نستخدمه بتباهي، بل بتعقل. ولم يقل بوداعة، بل قال "بتعقل"، قاصدًا بالتعقل هنا، ليس الفضيلة التي هى عكس الفجور، ولا التحرر من الفسق، بل اليقظة الروحية، والصحة الذهنية. كذلك فإن الإعتدال يُدعَى تعقلاً، من حيث إنه صحيح ومنطقي، لكي يبرهن على أن ذاك الذي ليس معتدلاً، لا يمكنه أن يقتني التعقل، أي لا يمكن أن يكون متوازنًا بشكل جيد، وأن يحكم على الأمور بشكل صحيح، بل يكون إنسان بلا منطق ومُصاب بجنون، وهو أكثر من مختل العقل، لذا يعتبر الرسول بولس التواضع تعقلاً.

إذن فنظرًا لأن منح المواهب دفع الكثيرين للإفتخار، فعليك أن تلاحظ الطريقة التي أوضّح بها للكورنثيين سبب المرض، وكيف حاصره تدريجيًا. لأنه بعدما قال إنه ينبغي أن يكون التفكير بتعقل، أضاف: " *كما قسّم الله لكل واحد مقدار من الإيمان* ". داعيًا الموهبة هنا، إيمانًا. ولكن بقوله كما قسّم، يكون قد عزّى مَن نال القليل، وضبط الذي تمتع بالكثير.

إذن إن كان الله هو الذي قسّم، وأن ما تحقق هو ليس منك، فلماذا تفتخر؟ لكن لو أن الإيمان هنا لا يدعى موهبة، فهذا أيضًا يُظهر بدرجة كبيرة، كيف أنه يجعل المفتخرين مُتضعين. إذًا فإن كان سبب الموهبة، أي الإيمان الذي به تحدث المعجزات، يأتي من الله، فأين الإفتخار؟ بالتأكيد لو لم يكن رب المجد قد أتى وصار إنسانًا، فإن أمور الإيمان ما كان لها أن

[٤٠٦] مت٥:٣.

تتقدم. وبناءً على ذلك فإن بداية كل ما يتعلق بالأمور الصالحة تأتي من هنا. ولكن إن كان رب المجد يَهب ويمنح، فهو يعرف كيف يُقسّم. لأنه هو خالق الجميع، ويعتني بالجميع بنفس القدر. وكما أن سبب عطائه هو محبته للبشر، هكذا أيضًا مقدار العطية هى بسبب محبته للبشر. لأنه لم يكن ممكنًا أن يظلمك في القدر الذي يعطيك إياه، طالما أنه قد أظهر صلاحه للأمم، بل والأكثر أهمية، هو منحه للمواهب. لأنه، لو كان يريد أن يُقلل من شأنك ما كان له أن يعطيك البداية، أما إن كان قد حرّص على أن يُخلّصك ويكرّمك، خاصةً أنه لهذا قد أتى، وقسّم كل هذه الخيرات، فلماذا تقلق، وتضطرب، وتستخدم العقل في الحماقة، فتهين نفسك، أكثر من الأحمق بالطبيعة؟ لأنه أن يكون أحد بطبيعته أحمق، فهذا ليس إتهامًا، ولكن أن يصير أحمقًا في طريقة تفكيره، يكون قد حَرَم نفسه من التسامح، وهكذا ينال عقابًا شديدًا.

٥ ـ مثل هؤلاء، هم الذين يفتخرون بالحكمة (العالمية) ويسقطون في أسوأ أنواع الكبرياء. لأنه هكذا يصف النبي الشخص البربري بقوله: " *لأن اللئيم يتكلم باللؤم* "[٤٠٧]. ولكي تعرف حماقته من كلامه، اسمع ماذا يقول: " *أصعد إلى السموات أرفع كرسي فوق كواكب الله .. أصير مثل العليّ* "[٤٠٨]. إذًا هل هناك حماقة أكثر من هذا الكلام؟ وكل كلام الكبرياء يجلب على الفور هذه الإدانة. وإن أوردت كل كلام يقوله المتكبرون، فلن يُمكنك أن تُميز أيًا من الكلام يتعلق بمتكبر وأي كلام يتعلق بأحمق. هكذا فإن النقص أو العيب هو واحد هنا. وقد يقول بربري آخر: " *قلت أنا إله* "[٤٠٩]، يقول آخر: " *من هو الإله الذي ينقذكم من يدي* "[٤١٠]. ومن ناحية أخرى يقول فرعون: " *مَنْ هو الرب حتى اسمع لقوله فأطلق إسرائيل. لا أعرف*

[٤٠٧] إش٣٢:٦.

[٤٠٨] إش١٤:١٣.

[٤٠٩] خر٢٨:٢.

[٤١٠] دا٣:١٥.

الرب وإسرائيل لا أطلقه "[٤١١]. والجاهل الذي أشار إليه النبي هو مثل ذلك، عندما قال في قلبه "ليس إله"[٤١٢]، وقايين أيضًا هو هكذا، إذ يقول "*أحارس أنا لأخي*"[٤١٣].

تُرى، هل يُمكنك أن تُميز أيًا من الأمرين، هل تميز ما إذا كان الكلام هو للمتكبرين أم للجهال؟ لأن الشخص القاسي يفقد المعيار المتعارف عليه الذي يأتي من الذهن، كذلك فإن رأس الحكمة مخافة الله. وبناء على ذلك فإن رأس الحماقة هو الجهل بالرب. فإذا كانت المعرفة حكمة، فإن الجهل يكون حماقة، وهنا الجهل يأتي من الكبرياء. لأن رأس الكبرياء هو الجهل بالرب. إذًا فالكبرياء هو أسوأ حماقة. مثلما كان نابال[٤١٤]، وإن لم يكن هكذا أمام الرب، فكان هكذا أمام إنسان، بعدما صار أحمق بسبب كبرياءه، لكنه مات في النهاية كما ينبغي له أن يموت. لأنه حين يفقد المرء معيار التعقل، يصبح على التو جبانًا ووقحًا، بعدما تمرض نفسه. فكما أن الجسد حين يفقد صلابته ويصير ضعيفًا، تسود عليه كل الأمراض، هكذا النفس أيضًا، عندما تفقد تعقلها وتواضعها، وتعتاد على قبول الأمراض، تصير جبانة، ووقحة، وحمقى، وتجهل بالأكثر ذاتها.

والذي يجهل ذاته، كيف سيعرف الأمور التي هى أسمى منه؟ لأنه مثلما أن الذي يُصاب بمرض عقلي، عندما يجهل ذاته، لا يعرف ولا حتى الأمور التي هى أمام قدميه، والعين أيضًا عندما تُصاب بالعمى، يحدث لها نفس الأمر، فتُصبح كل أعضاء الجسد الأخرى في ظلام، هكذا يحدث مع الكبرياء. ولهذا فإن أولئك الذين هم بالطبيعة هكذا، يكونوا أكثر بؤسًا وتعاسة من المجانين والحمقى. كذلك فإن أمثال هؤلاء يُثيرون السخرية، ويسببون إنزعاجًا. وهم بكل تأكيد مجانين، تمامًا مثل هؤلاء، لا يستحقون

---

[٤١١] خر ٥:٢.

[٤١٢] مز ١:١٤.

[٤١٣] تك ٩:٤.

[٤١٤] ١صم٢٥: ٢ــ٢٨.

الرأفة، وبينما يحملون نقائص الاثنين (أي المتكبرين والمخبولين)، لكنهم لا يلقون أي تعاطف، ويكونوا موضع سخرية، ليس فقط حين يتكلمون، بل بمجرد بحضورهم أيضًا.

إذن أخبرني لماذا ترفع قامتك بخيلاء؟ لماذا تنتفخ ؟ إنك لا تستطيع أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء، وتتخيل أنك تسود على كل شيء. ربما تريد أن تزرع لنفسك أجنحة، لكي لا تمشي على الأرض، ربما تشتهي أن تكون مخلوقًا عملاقًا. فبينما أنت إنسان، تحاول أن تطير؟ أو مِن الأفضل أن نقول إنك بعدما تطير في داخلك، تشتعل من كل جانب؟ ماذا أدعوك لكي أنزع عنك الافتخار؟ هل أدعوك ترابًا ورمادًا ودخانًا وغبارًا؟ من ناحية فإني أرجع افتخارك إلى تفاهتك، لكنني من ناحية أخرى لم أدرك بالضبط الصورة التي أريدها، حيث إنني أريد أن أعرض تلهفهم، وكل مجدهم الباطل. إذًا ما هي الصورة التي يمكن أن نرسمها وتتناسب مع هؤلاء؟ يبدو لي أنهم يُشبهون الرماد، خاصةً وأن المتكبر الذي يكون منتفخًا، واقفًا منتصبًا، بمجرد أن يتعرض للمسة بسيطة من الأيدي يسقط كله إلى أسفل، ويصير أكثر تفاهة من أي رماد.

هكذا تكون نفوس هؤلاء المتكبرين. لأن أي ضربة بسيطة يمكنها أن تُهين انتفاخهم الباطل وتُفتته. إذ هم حتمًا مرضى. لأن الكبرياء ليس من سمات الصحة الجيدة، فكما تنفجر فُقعات الصابون بسهولة، هكذا هؤلاء المتكبرين، ينهارون بسهولة. لكن إن لم تُصدق، قدّم لي شخصًا متكبرًا ووقحًا، وستراه يصير أكثر جُبنًا من الأرنب، أمام أبسط شيء. لأنه كما أن الشُعلة التي تنتج عن احتراق قطع صغيرة من الخشب، تشتعل سريعًا ثم تتحول إلى رماد، بينما الخشب الصلب لا يشتعل بسهولة، بل ويبقى مشتعلاً لفترة طويلة، هكذا النفوس القوية، فهي بكل تأكيد قوية، لا تشتعل ولا تُطفئ بسهولة، أما هؤلاء المتكبرون فهم يُعانون الأمرين في أقل من لحظة.

إذن ونحن نطّلع على هذه الأمور، علينا أن نحيا حياة الإتضاع. لأنه لا يوجد شيئًا أكثر قوة من الإتضاع، فالإتضاع هو أكثر قوة من الصخرة،

وأكثر صلابة من الماس، ويجعلنا في أمان أكثر من الحصون، ومن المدن، ومن الأسوار، طالما أن الإتضاع يصبح أكثر علوًا من كل آلات الشيطان الحربية. إذًا فكما أن الكبرياء يجعلنا عرضة للهزيمة بكل سهولة، حتى أمام الأمور العارضة طالما أنه ـ كما قلت ـ ينفجر بسهولة أكثر من فقاعات الصابون، ويتمزق بأكثر سرعة من خيوط العنكبوت، ويضمحل بأكثر سرعة من الدخان.

فلكي نكون إذًا مُستندين على صخرة ثابتة، علينا أن نهجر الكبرياء، ولنفضل الاتضاع. لأنه هكذا سنجد الراحة في الحياة الحاضرة، وسنتمتع في حياة الدهر الآتي بكل الخيرات، بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة إلى دهر الدهور آمين.

+++++++

عظة٢٢:

" فإنه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد. هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضًا لبعض كل واحد للآخر " (رو١٢: ٤-٥).

١- مرة أخرى يستخدم نفس المثال الذي إستخدمه لأهل كورنثوس، لكي يُحارب نفس المرض تحديدًا. خاصةً وأن قوة الدواء كبيرة، كما أن لهذا المثال تأثير قوي في علاج مرض الكبرياء. إذًا لأي سبب تفتخر أنت؟ أو لماذا يُهين الإنسان نفسه ؟ ألسنا جميعًا جسدًا واحدًا، كبارًا وصغارًا؟ إذًا طالما أن هناك ضرورة لأن نكون أعضاء بعضًا لبعض، فلماذا تعزل نفسك بالكبرياء؟ لماذا تحتقر أخاك؟ لأنه تمامًا كما أن ذاك هو عضو لك، هكذا أيضًا أنت عضو له، ومن جهة هذا الأمر فإن مساواتكم في الكرامة هى شيء عظيم. إذًا فقد أشرت إلى أمرين لهما القدرة على تحطيم كبريائكم، إننا أعضاء بعضًا لبعض، ليس الصغير للكبير فقط، بل الكبير للأصغر أيضًا، وأننا جميعًا نكّون جسدًا واحدًا. لا تتكبر إذًا، لأن الموهبة قد أُعطيت لك من الله، لم تجتهد أنت حتى تنالها. ولهذا حين تكلّمت عن المواهب، لم أقل أن الواحد أخذ أكثر، والآخر أقل، لكن ماذا قلت؟ " لنا مواهب " ليست أكثر وأقل، بل "متنوعة".

كان من الضروري أن يوصيك الرسول بولس بهذه الأمور إذ أن الجسد له نفس مكانة النفس. قد بدأ الرسول بالمواهب وإنتهى إلى التحقيق العملي. لأنه بعدما أشار إلى النبوة والخدمة وكل الأمور المماثلة، انتهى إلى عمل الرحمة، والنية الصادقة، والمساعدة. ولأنه كان من الطبيعي أن يسلك البعض بالفضيلة، دون أن يكون لديهم موهبة التنبؤ، فإنه يُظهر أن هذا الأمر أيضًا موهبة، بل وأكبر بكثير من النبوة، تمامًا كما أظهر في رسالته إلى أهل كورنثوس، حيث أظهر أنها عظيمة بقدر ان الواحدة لها أجر، بينما الأخرى ليست لها أي مكافأة، طالما أن كل هذه المواهب، هي عطية ونعمة. ولهذا يقول:

" ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا. أنبوة فبالنسبة للإيمان " (رو١٢: ٦).

بعدما عزَّاهم بالقدر الكافي، أراد أن يضعهم في حيرة، ويجعلهم أكثر استعدادًا، مبرهنًا على أن هؤلاء اليهود المتكبرون هم أنفسهم الذين يحددون ما إذا كانوا سيحصلوا على موهبة أكبر أو أقل. لكن الرسول بولس يُشير إلى أن هذا قد أُعطى من الله: " *كما قسَّم الله لكل واحد مقدارًا من الإيمان* "[415]. وأيضًا " *بحسب النعمة المعطاة لنا* "، ذلك لكي يضبط جماح المتكبرين، ولكنه يقول إنه من قِبل هؤلاء اليهود صارت البداية، لكي يُحفِّز غير المُبالين، الأمر الذي فعله في رسالته إلى أهل كورنثوس متحدثًا عن الاثنين (المتكبرين وغير المبالين).

فعندما يقول " *جِدوا للمواهب* "[416]، يُبيّن كيف أن هؤلاء هم المعنيين بالمواهب المختلفة التي أُعطيت، لكن عندما يقول: " *هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسمًا لكل واحد بمفرده كما يشاء* "[417]، يُبيّن أنه لا ينبغي أن يفتخر أولئك الذين أخذوا الموهبة، فيُلطف من حدة هذا الأمر، تمامًا كما فعل هنا. أيضًا ولكي يُشدّد اليائسين يقول: إن كان لدينا نبوة فلنستخدمها بحسب إيماننا. لأنه وإن كانت تعتبر نعمة، إلاّ أنها لا تُعطى جزافًا، بل هناك شروط لابد أن ينفذها من يأخذها. فمقدار النعمة الذي يُسكَب، يتوقف على سعة وعاء الإيمان الذي يستقبلها.

" أم خدمة ففي الخدمة " (رو١٢: ٧).

هنا هو يشير إلى أمر عام، إذ يدعو العمل الرسولي خدمة. وكل عمل روحي خدمة. إن هذه التسمية تتعلق بالطبع بعمل يتسم بعناية خاصة، لكنه يذكر هنا بصفة عامة " *أم المعلّم ففي التعليم* ". لاحظ الطريقة التي يُشير بها إلى هذه الأمور، فهو يُشير أولاً إلى الأبسط، ثم إلى ما هو أعظم، لكي يركز تعليمه على موضوع واحد، وهو ألاّ يتباهوا، أي ألاّ يتفاخروا.

---

[415] رو١٢: ٣.

[416] ١كو١٢: ٣١.

[417] ١كو١٢: ١١.

" أم الواعظ ففي الوعظ "(رو١٢: ٨).

وهذا أيضًا نوعًا من التعليم. "*إن كانت عندكم كلمة وعظ للشعب فقولوا*"[٤١٨]. ثم لكي يُظهر أن ممارسة الفضيلة لا تفيد كثيرًا ما لم تكن مرتبطة بقانون خاص لذلك يُضيف "***المعطي فبسخاء***". لأنه لا يكفي أن نُعطي، بل ينبغي أن يكون العطاء بسخاء. لأننا نحن نعرف هذا في كل موضع، لأن العذارى أيضًا كان لديهم زيتًا، ولكن لأنه لم يكن كافيًا، فَقَدوا كل شيء، إذ يجب أن يكون "***المدبر فباجتهاد***". لأنه لا يكفي أن يكون مُدبرًا. "***الراحم فبسرور***". لأنه لا يكفي المرء أن يرحم، بل يجب أن يفعل هذا بسرور وبرغبة وبدون حزن، أو من الأفضل أن نقول، ليس فقط برغبة وبدون حزن، بل وبشكر وبفرح أيضًا. لأن عدم الحزن ليس معناه الفرح. وهذا تحديدًا قد شدّد عليه بدقة، عندما كتب إلى أهل كورنثوس حاثًا إياهم على السخاء، قائلاً: "*إن من يزرع بالشح فبالشح أيضًا يحصد ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضًا يحصد*" ثم يصحح الرغبة، فيضيف "*ليس عن حزن أو اضطرار*"[٤١٩]. لأن مَن يرحم يجب أن يتحلّى بالشكر والسخاء معًا.

إذًا لماذا تحزن حين تُقدِم على عمل الرحمة؟ ولماذا تتضايق عندما ترحم، وتخون هكذا ثمر عملك الذي تحقق، لأنك إذا تضايقت، لا تكون بهذا المسلك راغبًا في عمل الرحمة، بل تصبح قاسيًا ومتوحشًا. لأنه إن تضايقت، كيف تستطيع أن تُسّاند الحزين؟ لأن من الضروري ألاّ يتشكك مَنْ هو حزين، بسبب وجود مشاعر غير صريحة، ولذلك فعليك أن تعطي بفرح. لأنه لا شيء أمام البشر يبدو بهذا القدر من القبح، سوى أن يأخذوا من الآخرين وهم متشككين في رغبة المعطي، فيجب أن تُلاشي التشكك بفرح فائق يُصاحب هذا العطاء، وما لم تُظهر أنك تأخذ أكثر من كونك تعطي، إن لم تفعل هذا فإنك تُحقّر من شأن الذي يأخذ، أكثر من أن تجعله يستريح

---

[٤١٨] أع١٣: ١٥.

[٤١٩] ٢كو٩: ٦ـ٧.

ويهدأ. ولهذا يقول: "*الراحم فبسرور*". لأن هل يمكن أن يأخذ أحد مملكة ويظل عابسًا؟ أو مَن ينال غفران للخطايا، ويبقى مُتجهمًا؟ إذًا لا تدقق في إتفاق الأموال، بل في الربح الذي يأتي من وراء النفقات. لأنه إن كان الذي يزرع يشعر بفرح، على الرغم من أنه يزرع دون أن يرى ثمارًا، فبالأولى جدًا ينبغي أن يفرح ذاك الذي يزرع في السماء. هكذا سيكون عطاءك كثيرًا إن أعطيت بسخاء، حتى لو كان مقدار العطاء قليلاً، أيضًا ستجعل العطاء الكثير قليلاً إن أعطيت بوجه عابس. فإن المرأة صاحبة الفلسين، تفوقت على عطاء الكثيرين، لأنها أعطت بسخاء.

ولكن كيف يمكن للمرء أن يعطي بفرح وسخاء، إذا كان يعيش هو في أسوأ درجات الفقر ويُحرم من كل شيء؟ اسأل الأرملة وستسمع منها الطريقة، وستعرف أن الفقر لا يصنع التعاسة، بل الرغبة هى التي تصنع هذا أو عكسه. لأنه يمكن للمرء وهو في الفقر أن يكون كريم النفس، وفي الغنى يمكن أن يكون تافهًا. ولهذا فإن الرسول بولس يطلب السخاء في عمل الصلاح، وفي عمل الرحمة يطلب الفرح، وفي الدفاع (عن الإيمان) يطلب الغيرة. لأنه لا يريد أن نُساعد مَنْ هم في احتياج بالأموال فقط، بل وبالكلام أيضًا (أي بالتبشير)، وبالجسد (أي بالجهد الجسدي)، وبكل الأمور الأخرى. وبعدما تكلّم عن الحماية أو الوقاية الأولى التي تتوفر بالتعليم وبالنصيحة (لأن هذه هى ضرورة مُلّحة، طالما أنها غذاء النفس)، ينتقل إلى الحماية عن طريق المال وغيره. ثم لكي يُظهر بعد ذلك كيف يمكن أن يُحققوا كل ذلك، أخذ يعرض لنا نبع الصالحات، أقصد "المحبة".

" المحبة فلتكن بلا رياء " (رو١٢: ٩).

الذي يعنيه هنا، هو أنك لو كنت تمتلك هذه المحبة، فلن تُعطى أهمية لما ينفق من المال، ولا لمتاعب الأجساد، ولا للجهد الذي يُبذَل في الإقناع، ولا للإرهاق والخدمة، بل ستتحمل كل هذه الأمور بنبل وشهامة، سواء كان ذلك بالجهد الجسدي، أو بالمال، أو بالكلام، أو بأي شيء آخر، فيكون الشيء الأهم هو مساعدة القريب. وهكذا كما أنه لم يطلب فقط مجرد

نشر الصلاح، بل نشره بسخاء، ولم يطلب فقط الحماية، بل الحماية من خلال الآخر، ولم يطلب فقط عمل الرحمة، بل طلب عمل الرحمة بفرح، هكذا فإنه لا يطلب فقط المحبة، بل يطلب محبة بلا رياء، لأن هذه هى المحبة، وإن وجدت هذه المحبة، فإن كل الأمور الأخرى ستتبعها. كذلك فإن مَن يقدم عمل الرحمة بفرح، هو يُعطي لذاته (فرحًا)، ومن يحمي، يجب أن يحمي أو يدافع بغيره، لأنه يساعد نفسه، وذاك الذي يُعطي شيئًا، يجب أن يصنعه بسخاء، لأنه يُعطي ذاته.

٢ ـ بعد ذلك، ولأن هناك محبة لأشياء شريرة، مثل محبة الفجور، محبة المال، السرقة بهدف السكر وإقامة الموائد، ولكي يُنقيّ المحبة التي تحدث عنها، وعن هذه الصور من المحبة، يقول: "*كونوا كارهين للشر*"، ولم يقل ابتعدوا عن الشر، بل قال "كارهين للشر"، وليس فقط كارهين، بل كارهين بشدة. لأن الأداة (από) التي تصاحب الفعل (αποστυγούντες) تجعله يأخذ معنى "كارهين"، ومرات كثيرة تضيف على الفعل معنى القوة عندما تضاف إليه، مثلما يقول (απο-καραδοκίας) أي اقتناص الفرصة المناسبة بقوة، (απεκδεχόμενοι) أي منتظرين بلهفة، (απολύτρωση) أي التحرير التام.

ونظرًا لأن الكثيرين، وإن كانوا لا يرتكبون الشر، إلاّ أنهم يرغبون في ممارسته، قال "*كارهين الشر بشدة*"[٤٢٠]. لأن الرسول بولس يُريد أن يجعل فكرنا نقيًا، وأن نواجه الشر بالرفض والبغضة الشديدة والمقاومة، إذًا لا تعتقدوا لأنني قلت، إنه يقول "*أحبوا بعضكم بعضًا*"، أنني أقصد التوقف عن هذا الحد، حتى تظنوا أنه يمكن أن تتعاونوا في الشر، بل على العكس تمامًا، يجب أن تكون غريبًا وبعيدًا، ليس فقط عن مجرد إرتكاب فعل الشر، بل عن الرغبة في الشر أيضًا، وليس هذا فقط، بل أن تتحول عنه وتكرهه بشدة. ولا يُكتفى بهذا فقط، بل ويُحدِّد عمل الفضيلة، قائلاً:

---

[٤٢٠] هذا ما يُشير إليه الفعل اليوناني αποστυγούντες أى البغضة بشدة.

" *ملتصقين بالخير*". هذا هو ما أعلنه، بأن يطلب أن يكونوا ملتصقين. وهكذا فإن الله عندما وحَّد الرجل بالمرأة، قال: " *ويلتصق بامرأته* "[٤٢١]. وبعد ذلك يُشير إلى الأسباب التي لأجلها ينبغي على الواحد أن يُحب الآخر.

" وادين بعضكم بعضًا بالمحبة الأخوية " (رو١٢:١٠).

هنا يقول أنتم اخوة، وولدتم بنفس الآلام التي تحدث في الولادة، وبناء على ذلك، ومن أجل هذا السبب، سيكون أمر مُبرَر أن يُحب الواحد الآخر. نفس الأمر قاله موسى لأولئك الذين كانوا في مصر "*أنتم اخوة. فلماذا يظلم الواحد الآخر؟*"[٤٢٢] وعندما يأتي ذكر غير المسيحيين، يقول الرسول بولس "*إن كان ممكنًا فحسب طاقاتكم سالموا جميع الناس*"[٤٢٣]. لكن عندما يتكلم مع المؤمنين يقول: " *وادين بعضكم بعضًا بالمحبة الأخوية* ". في الآية الأولى يطلب ألا يتشاجروا، ولا أن يكرهوا ويبتعدوا عن هؤلاء، أما الآية الثانية فيطلب أن يحبوا أيضًا، وليس فقط أن يحبوا، بل وأن تكون لهم مشاعر الحنو. لأنه لا ينبغي أن تكون المحبة بلا مودة، بل وأن تكون قوية، وفعَّالة وحارة.

لأنه ما فائدة المحبة عندما تكون بلا رياء، لكنها بلا بحرارة؟ ولهذا قال: " *وادين بعضكم بعضًا* "، أي أن تحب، وأن تحب بحرارة. ألا تكتفي بأن تكون محبوبًا من الآخر، بل نفس الشيء أن تسرع نحوه وتبادر أي تبدأ بالمحبة. لأنه هكذا ستربح أجر محبته. إذًا بعدما تكلم عن السبب الذي من أجله يجب أن نحب بعضنا بعضًا، تكلم عن الطريقة التي بواسطتها ستصير هذه المحبة ثابتة. ولهذا أضاف: "***مُقدمين بعضكم بعضًا في الكرامة***" لأنه هكذا يجب أن تكون المحبة، وعندما تصبح على هذا النحو فستظل دائمة. ولا يوجد شيئًا يجعل الإنسان قادرًا على أن يصنع له أصدقاء، أكثر من

---

[٤٢١] تك٢:٢٤.

[٤٢٢] خر٢:١٣س.

[٤٢٣] رو١٢:٨.

محاولته أن يجعل قريبه يتقدمه في الكرامة. ويقال عن هذا إنها كرامة عظيمة وليس فقط محبة. لأن كل ما سبق ذكره يأتي من المحبة، بل إن المحبة تصير بالكرامة، تمامًا كما أن الكرامة تصير بالمحبة. ولكي يوضح بعد ذلك أنه لا يجب علينا فقط أن نقدم بعضنا بعضًا في الكرامة، فهو يطلب شيئًا أكثر من هذا، قائلاً:

" غير متكاسلين في الاجتهاد " (رو١٢: ١١).

لأن هذا الأمر بالحقيقة يَلِد محبة عندما تظهر من جهة شخص ما، فيجب أن يضيف الإجتهاد إلى جانب الكرامة. كذلك لا يوجد شيء يمكن أن يُساهم في أن يصير الشخص محبوبًا، أكثر من تقديم الكرامة والعناية والإجتهاد. لأنه لا يكفي أن يحب، بل هو يحتاج إلى أن يُقدم كرامة وعناية. أو من الأفضل أن نقول إن المحبة تؤدي إلى إظهار هذا أيضًا، كما أن المحبة تصبح بذلك أكثر حرارة. فالخطوة الأولى تؤدي إلى الثانية، خاصةً وأن كثيرين ممن يحبون، يحبون بفكرهم، لكنهم لا يمدون يد المساعدة. ولهذا فإنه يبني المحبة من كل جهة. وكيف يكون ممكنًا ألا نصير متكاسلين في الاجتهاد؟ بأن نكون " *حارين في الروح* ". لاحظ أنه في كل موضع يطلب الحماس والحرارة في التطبيق. لأنه لم يقل فقط أن تعطوا شيئًا، لكن أن تعطوا بسخاء، ولا أن تكونوا مُتسلطين، بل خادمين بغيرة، ولا أن تقدموا عمل الرحمة فقط، بل أن تقدموه بفرح، ولا أن تقدموا بعضكم بعضًا في الكرامة، بل أن تقدموا الآخرين في هذا العمل، ولا أن تحبوا، بل أن تحبوا بلا رياء، ولا أن تبتعدوا عن الشرور، بل أن تكرهوا الشر، ولا أن تحبوا فقط، بل أن تحملوا أحشاء رأفة، ولا أن يكون لديكم رغبة في الاجتهاد، لكن يجب أن تكونوا غير متكاسلين، ولا أن تكونوا حاملين للروح فقط، بل أن تكونوا حارين في الروح، وفي يقظة.

إذًا إن كنت تمتلك هذه الأمور التي سبق الاشارة إليها، فإنك ستجذب الروح، وإن ظل الروح فيك فإنه سيجعلك تركض نحو هذه الأمور، وكل ما يأتي بواسطة الروح والمحبة سيكون أمورًا سهلة، فطالما أنه يأتي من الروح

والمحبة، فستكون حارًا. ألا ترى كيف أن الثيران التي تحمل على ظهورها الشعلة حيوانات مخيفة بالنسبة للجميع؟ هكذا أنت أيضًا ستصير غير مُحتَمل بالنسبة للشيطان، إن أخذت الحرارة من الجانبين (الروح والمحبة) ثم يُضيف "*عابدين الرب*". أي أنه من خلال كل هذه الأمور، يكون ممكنًا لك أن تعبد الرب. لأن كل ما تصنعه لأخيك يذهب إلى إلهك، وحين يقدر لك هذا الصنيع، فإنه على الفور يُقرر لك الأجر. أرأيت إلى أين ستؤول أمور ذاك الذي يفكر في صنع هذه الفضائل؟ وبعد ذلك، ولكي يُبيّن كيف يمكن أن تلتهب شعلة الروح، يقول:

" فرحين في الرجاء. صابرين في الضيق مواظبين على الصلاة " (رو١٢:١٢).

لأن كل هذه الأمور هى مادة لاشعال نار الروح. لأن إلهك قد طلب أن تقدم أموالاً، وجهدًا جسديًا، وحماية وغيرة وتعليمًا، وعليك أن تبذل كل الجهود الأخرى، ثم يُقدم وعود أيضًا للمجاهد بالمحبة، وبالروح، وبالرجاء، لأنه لا يوجد شيئًا يجعل النفس سخية ، وجريئة بهذا القدر، إلاّ الرجاء الصالح. بعد ذلك وقبل الخيرات المنتظرة يُعطى مكافأة أخرى. أي لأن الرجاء يتعلق بالمستقبل، يقول: " *صابرين في الضيق* ". لأنه قبل أن تنال الأمور المستقبلية، ستربح في الحاضر عطية حسنة جدًا، بسبب الصبر على الضيق، وذلك عندما تصير صبورًا ومختبرًا. بالإضافة إلى ذلك، يُقدم عونًا آخرًا، قائلاً: " ***مواظبين على الصلاة*** ". إذًا عندما يصبح كل شيء سهلاً بالمحبة، ويعطي الروح عونًا، ويكون الرجاء ممكنًا، ويجعلك الضيق مختبرًا وقادرًا على أن تحتمل كل شيء بنبلٍ، وعندما يكون لديك بالإضافة إلى كل هذا سلاحًا آخرًا قويًا جدًا، وهو الصلاة، والمعونة التي تأتي من التضرع، فهل بعد ذلك سيكون هناك ما هو صعب، بالطبع لا. أرأيت كيف أنه يسند الذي يجاهد بالروح من كل الإتجاهات، ويُظهر أن كل المتطلبات تُعَد أمورًا يسيرة وهيّنة؟ انتبه أيضًا، كيف أنه ينشغل بعمل الرحمة، أو من الأفضل أن نقول ليس فقط بعمل الرحمة، بل بعمل الرحمة تجاه المؤمنين. لأنه بقوله فيما سبق "*الراحم*

فبسرور"، يكون قد فتح اليد للجميع، لكنه هنا يتحدث عن عمل الرحمة تجاه المؤمنين. ولهذا أضاف قائلاً:

"مشتركين في احتياجات القديسين" (رو١٢:١٣).

لم يقل أن تسددوا إحتياجاتهم، لكن "*مشتركين في إحتياجاتهم*"، مُظهرًا بأن الأعظم أن يشتركوا لا أن يُعطوا، وأن الأمر هو عمل مُشترك، لأنه مختص بالشركة. هل تُقدم أموالاً؟ إن كنت تفعل ذلك، فإن أولئك سيجعلون لك دالة أمام الله. "***عاكفين على إضافة الغرباء***". لم يقل أن تمارسوا، بل أن "تعكفوا"، مُعلّمًا إيانا ألا ننتظر أبدًا أن يأتي إلينا من هم في احتياج، بل أن نركض خلفهم ونسعى إليهم.

هذا ما صنعه كل من لوط، وإبراهيم. فإن إبراهيم قد بذل الكثير في انتظار هذا الصيد الحسن، وعندما رآه قفز وركض لملاقاته وسجد إلى الأرض، وقال: "*إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك*"[٤٢٤]. وليس مثلنا نحن الذين عندما نرى شخصًا غريبًا أو فقيرًا، نُخفِض عيوننا، ولا نعتبر الفقراء مُستحقين شيئًا، ولا حتى للتحية. وإن كنا نرق ونلين بعد الكثير من التضرع والرجاء، ثم بعد ذلك نصدر أمرًا للخادم أن يُعطي قليلاً من المال، فإننا نظن أننا أنجزنا الكثير. أما إبراهيم فلم يسلك هكذا، بل أخذ مكان الخادم الذي يترجى، وإن كان بالطبع لم يعرف أولئك الذين ينوي استقبالهم. ولكننا، نحن نعرف جيدًا أننا نستقبل المسيح، إلاّ أننا ولا بهذا نترفق بالفقراء. ولكن إبراهيم أخذ يترجى ويتضرع، ويسجد، بينما نحن نُهين الذين يقتربون منا، وهو (أي ابراهيم) حقّق كل شيء وحده برفقة زوجته، بينما نحن لم نُحقق شيئًا، ولا برفقة خدامنا.

لكن إن كنت تريد أن ترى المائدة التي أعدّها، سترى هنا أيضًا سخاء كثيرًا. لكن السخاء لا تصنعه وفرة الأموال، بل غنى الإرادة. حسنًا كان يوجد كثير من الأغنياء في ذلك الوقت، إلاّ أنه لم يصنع أحد منهم شيئًا

---

[٤٢٤] تك١٨:٣.

مشابهًا لما صنعه ابراهيم. كم عدد الأرامل الذين وجدوا في إسرائيل، ولكن ولا واحدة منهم استضافت إيليا (سوى أرملة صرفة صيدا). أيضًا كم عدد الأغنياء الذين وجدوا في عصر إليشع؟ لكن المرأة الشنومية وحدها هي التي جنت ثمر الضيافة. وهذا ينطبق بالطبع على إبراهيم في ذلك الوقت، وهو يستحق المدح لوفرة الخيرات، التي قدمها، وبشكل خاص لأجل هذه النية، أي أنه صنع كل هذا، برغم أنه لم يكن يعرف هويّة الزائرين . إذًا لا تفحص كثيرًا أنت أيضًا عن هويّة الشخص، لأنك تستقبله لأجل المسيح. وإن كنت تريد أن تفحص بالتدقيق وبشكل دائم، عن هوية مَن ترغب في مساعدته، فإنك ستفقد الأجر بسبب هذا. إن كان بالطبع مَن يستقبل شخص غير معروف الهوية، لا يُدان، بل ويأخذ أجرًا "*مَنْ يقبل نبيًا باسم نبي فأجر نبي يأخذ*"[٤٢٥]، بينما ذاك الذي يتطّرف في الفحص، قد يجهل من يستحق التقدير، بل ويُدان أيضًا.

إذن لا تفحص كثيرًا طرق معيشة الشخص وعمله، لأن هذا يُعتبر أسوء أنواع السلوك بأن تفحص بالتفصيل حياة الشخص بكاملها من أجل إعطاءه رغيفًا من الخبز . وسواء كان هذا قاتلاً، أو لصًا، أو أي شيء آخر، ألا يستحق قطعة خبز أو قليلاً من المال؟ إن سيّدك يُشرق شمسه على هؤلاء، بينما أنت تعتبرهم غير مستحقين للطعام اليومي! لكنني أحدثك عن أمر آخر: حتى لو كنت تعرف جيدًا أن ذاك المحتاج ملئ بشرور لا تُحصى، فإنه ولا حتى هذا يعطيك مُبررًا لعدم الإحسان إليه، طالما أنك تحرمه طعامه اليومي. لأنك عبد لذاك الذي قال "*لستما تعلمان من أى روح أنتما*"[٤٢٦]. أنت خادم لذاك الذي شفى الذين أهانوه، لذاك الذي صُلب من أجل هؤلاء . ولا تقل لي أن ذاك المحتاج قد قتل شخصًا آخر، لأنه وحتى لو كان ينوي قتلك

---

[٤٢٥] مت١٠:٤١.

[٤٢٦] لو٩:٥٥.

أنت، فلا يجب أن تتركه يُعَاني الجوع. خاصةً وأنك تلميذ ذاك الذي طلب الخلاص لصالبيه، وهو الذي قال على الصليب: " *يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون* "[427].

أنت عبد لذاك الذي شفى مَن لطمه، ومَن وضع إكليل الشوك على رأسه، ومَن أهانه وهو على الصليب، فهل هناك ما يمكن أن يوازي هذه المحبة؟ كذلك فإن اللصين (المصلوبين معه) قد أهاناه في البداية، لكنه فتح الفردوس لواحد منهما. وبكىً لأجل الذين كانوا يشرعون في قتله، وانزعج عندما رأى يهوذا الخائن، لا لأنه سوف يُصلَب، بل لأن يهوذا قد هلك. إذًا فقد إنزعج لرؤية المشنقة، لرؤية الجحيم الذي أتى بعد المشنقة . وبرغم من أنه كان يعرف الشر الذي يَضمره، إلا أنه إحتمله حتى آخر لحظة، ولم يُبعده، بل قبّل الخائن . إن سيدك يُقبّل ذاك الذي كان ينوي أن يساعد في سفك دمه الكريم بعد لحظات، بينما أنت لا ترى أن الفقير مستحق ولا حتى للخبز؟ ولا تحترم القانون الذي حدده المسيح؟ لأنه قد أظهر بهذا السلوك أنه لا ينبغي أن نتحول عن الفقراء، ولا حتى نتحول عن الذين يقودوننا للموت . إذًا لا تقل لي إن هذا سبّب لي شرًا، لكن فكّر فيما صنعه المسيح قبل صلبه بقليل، وفي القُبلة التي سُلّم بها . لقد فعل هذا لكي يُرجع الخائن إلى صوابه. وانظر كيف يراجعه، يقول له: " *يا يهوذا أبقبلة تُسلّم ابن الإنسان* "[428]. ومَنْ هو الذي لا يرق لهذا الصوت؟ أي وحش هو وأي مُتحجر المشاعر هذا؟ للأسف هذا التَعِس لم يلن. إذًا لا تقل لي أن هذا قتل ذاك، ولذلك فإنني أتحول عنه. لأنه حتى وإن كان بعد يريد أن يُخرِج سيفه في وجهك ويضعه على رقبتك بيده اليمنى، فعليك أن تُقبّل هذه اليد، لأن المسيح قبّل ذاك الذي سبّب له الذبح. إذًا فأنت أيضًا ينبغي ألا تكره، بل أن تبكي وأن تتراءف بذاك الذي يريد أن يصنع بك شرًا. لأن هذا مستحق أن نتراءف به وأن نبكي عليه. إذًا فنحن خدام ذاك الذي قبّل الخائن (ولن أتوقف على أن أكرر هذا الأمر باستمرار).

---

[427] لو٢٣:٣٤.

[428] لو٢٢:٤٨.

بل إن الرب قال كلام أكثر رقة من القبلة: لأنه لم يقل أيها الدنس، والخبيث، والخائن، هل هذا هو جزاء إحساناتي الكثيرة لك؟ فماذا قال؟ قال "يهوذا" مُشيرًا إلى الاسم الأساسي، وكانت بالأكثر هي كلمة الذي يريد أن يوقظه ويُعيده إلى مكانته، أكثر من كونها كلمة غضب. ولم يقل أنا مُعلّمك، وسيدك، والمحسن لك، لكنه قال: "*ابن الإنسان*". إذًا إن لم يكن معلّمًا، ولا سيدًا، فهل تُسلّم ذاك الذي تعامل معك بكل هذه الرقة، وكل هذه الصراحة، حتى أنه في لحظة الخيانة يُقبلك، خاصةً حين كانت القُبلة علامة الخيانة؟ مبارك أنت أيها الرب! كم هو عظيم تواضعك، كم هو عظيم مثال التسامح الذي تُعطيه لنا!.

لكنه تكلم بهذه الطريقة في مواجهة يهوذا، فهل يتكلم بهذا الأسلوب أيضًا مع الذين أتوا بعصيّ ومشاعل ليقبضوا عليه؟ وهل هناك كلام أكثر رقة من الكلام الذي تحدث به معهم؟ فبينما كانت لديه القدرة أن يفنيهم جميعًا، إلا أنه لم يصنع شيئًا مثل هذا، بل حدثهم بهدف أن يضبط سلوكهم، قائلاً: "*كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصيّ*"[429]. وبعدما طرحهم على الأرض، وظلوا متجمدي المشاعر، سلّم نفسه بإرادته، وإرتضى أن يضعوا سلاسل في يديه الطاهرتين، على الرغم من أنه، كان بإستطاعته أن يزلزل كل الأشياء، إلا أنك ورغم كل ذلك، تسلك بوحشية تجاه الفقير. لكنني أقول لك، حتى وإن كان مذنبًا لأجل شرور كثيرة قد صنعها، فإن الفقر والجوع، يقدران على تليين تلك النفس التي لم تصل إلى هذه الدرجة من فقدان الإحساس. لكنك لازلت مُصرًا على أن تكون قاسيًا، وأن تُحاكي غضب الأسود، وإن كانت الأسود لا تأكل أبدًا أجسادًا ميتة، إلا أنك لا ترحم الفقير، مع أنك تراه مُحاطًا بهذا القدر الكبير من الآلام، بل وأيضًا تدوسه بينما هو في وضع سيء، وتُمزق جسده بالإهانات، وتجمع عليه نكبات فوق نكبات. وذاك المحتاج الذي لجأ إليك كما لميناء، تجعله يصطدم بصخرة في الماء، وتُسبب له غرقًا خطيرًا، أكثر من هؤلاء الذين هم

---

[429] مت٢٦:٥٥.

في البحر. وأنا بدوري أسألك ماذا ستقول عندما تقف أمام الله؟ هل ستقول ارحمني؟

وكيف تطلب غفرانًا للخطايا، عندما تُهين ذاك الذي لم يُخطئ إليك مطلقًا، وتُعاقِبه بأن تتركه للجوع، وللإحتياج الشديد، وأنت بهذا المسلك تفوق جميع الوحوش في القسوة؟ لأن هذه الوحوش تأكل الطعام المعتادة عليه، لأن البطن تُرغمها، بينما أنت دون أن يُحرضك أحد، ولا أن يُجبرك أحد، تأكل أخيك، وتفترسه، وإن لم يكن بالأسنان، فبكلام أكثر فتكًا من الأسنان. إذًا كيف ستقبل العطية المقدسة، وفمك مُخضَّب باللون الأحمر، بدماء الناس ؟ كيف تُلقي تحية سلام بفم مملوء عداوة؟ وكيف ستستمتع بطعامك وفمك مملوء بهذا القدر من السموم؟ ألاّ يجب أن تُخفف من ظاهرة الفقر؟ ولماذا تُثيرها؟ ألا يتعين عليك أن تريح شخصًا يعيش في حالة تعاسة، ولماذا تُهينه وتحتقره؟ ألا يجب أن تنزع عنه الضيق، فلماذا تُزيده ؟ أليس من الواجب عليك أن تُعطي أموالاً، فلماذا تتطاول عليه بالكلام؟ ألم تسمع كم يُعاقَب كل مَنْ لا يُقدِم طعامًا للفقراء؟ وبأي العقوبات يُدانون؟ يقول: "*اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته*"[٤٣٠]. لكن إن كان الذين لا يُطعمون الفقير يُعاقَبون هكذا، فما هي عقوبة أولئك الذين بالإضافة إلى ذلك، يُهينونه أيضًا؟ أي جحيم كبير، وأي جهنم مُفزعة سيُعَانُون؟ إذًا حتى لا نجلب على أنفسنا الكثير من الشرور، علينا أن نُعالِج هذا المرض بقدر استطاعتنا، ولنضع لجامًا على اللسان. وما ينبغي علينا فعله، ليس فقط ألا نشتم، بل وأن نُعزي بالكلام وبالأعمال، حتى ندّخر لأنفسنا رحمة أكثر من ذي قبل، لننال الخيرات التي وعدّنا الله بها، والتي ليتنا ننالها جميعًا بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس، المجد والقوة والكرامة إلى أبد الدهور آمين.

---

[٤٣٠] مت٢٥:٤١

عظة٢٣ :

" باركوا على الذين يضطهدونكم. باركوا ولا تلعنوا " (رو١٢:١٤).

١ـ بعدما علّمهم كيف يجب أن يسلكوا فيما بينهم، وبعدما وحّد بين الأعضاء بإحكام، يكون بهذا قد قادهم إلى التعامل المستقيم خارج الكنيسة، وهكذا يصير الأمر أكثر سهولة، إذ قد سبق وصنعه داخل الكنيسة. لأنه كما أن مَنْ يفشل في تسديد احتياجات أقربائه، يصعب عليه أن يَفي بالتزاماته نحو الغرباء، هكذا فإن مَن درَّب نفسه جيدًا على هذه الأمور، فإنه من السهل أن يَفي بالتزاماته نحو الغرباء أيضًا. ولهذا فإن القديس بولس يتقدم رويدًا رويدًا، ويقول: " *باركوا على الذين يضطهدونكم* ". لم يقل لا تنسوا الإساءة، ولا قال يجب أن تحاربوهم، بل طَلب ما هو أفضل بكثير من ذلك كله. لأن هذه بالتأكيد هي سمة الإنسان الحكيم، بل هي بالأكثر صفة الإنسان الملائكي. فبعدما قال: "*باركوا*" أضاف " *ولا تلعنوا* " حتى لا نفعل هذا ونترك تلك، بل نفعل شيئًا واحدًا، نبارك ولا نلعن. خاصةً أنه بسبب هؤلاء الذين يضطهدوننا، ننال المكافأة. أما إن كنت يقظًا، فستُعِد لنفسك مكافأة أخرى، من خلال الذي يضطهدك. لأن ذاك سيُعطيكَ مكافأة من خلال إضطهاده لك، بينما أنت ستُعطي لذاتك المكافأة من خلال مباركتك له، مُظهرًا قدرًا عظيمًا من محبتك للمسيح، فإن مَنْ يلعن المضطهد لا يشعر بالفرح، لأنه بهذا يكون قد رفض الألم لأجل المسيح، لكن الذي يبارك هو الذي يُظهر محبته الكبيرة نحو المسيح.

إذن لا تُسيء إلي مَن يلعنك، لكي تربح لنفسك مكافأة عظيمة، هذا الأمر لا يضع عليك إلتزام بأن تباركه، بل هو بمثابة احتفاء واحتفال، وليس نكبة، ولا ضيقة. ولهذا فإن المسيح له المجد قال أيضًا: " *طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين*"[٤٣١]. ولهذا فإن الرسل رجعوا فرحين، ليس لأنهم أهينوا فحسب، بل لأنهم جُلدوا.

[٤٣١] مت٥:١١.

لأنه بالإضافة إلى ما سبق ستربح مكافأة أخرى كبيرة، أن تجعل أعداءك هكذا يتحيرون ويندهشون، وأن تُعلّمهم بالأعمال، أنك تسير نحو حياة أخرى، لأنه إن رآك تفرح، بل وتقفز من الفرح، فلماذا يُسيئ إليك، سيعرف جيدًا أن لديك رجاء آخر أعظم من مجرد الرجاء في الأمور الحاضرة. أما إذا بكيت وتذمرت، فمن أين سيعرف، أنك تنتظر حياة أخرى؟ لكن بالإضافة إلى كل هذا فإنك ستُحقق شيئًا أخر، لأنه إن لاحظ أنك لا تتضايق بسبب الإهانات، بل وتُبارك، فسيتوقف عن إضطهادك. إذًا لاحظ مقدار المزايا التي تأتي من وراء ذلك، فإن المكافأة ستصير أكبر بالنسبة لك، والتجربة ستصير أقل، والذي يضطهدك سيوقف إضطهاده، والله سيتمجد، وإيمانك سيتحول إلى تعليم عن التقوى، لِمَنْ يعيش في الضلال. ولهذا فقد أوصانا أن نُحسِن ليس فقط للذين يُهينوننا، بل وللذين يسيئون إلينا، وذلك من خلال الأعمال.

" فرحًا مع الفرحين وبكاءً مع الباكين " (رو١٢: ١٥).

إذن لأنه من الممكن أن نُبارك ولا نلعن، بسبب المحبة، فهو يُريد أن نشتعل تمامًا بالمحبة. ولهذا أضاف " *فرحًا مع الفرحين وبكاءً مع الباكين* "، حتى أننا لا نُبارك فقط، بل وأن نشارك في الحزن وفي الألم، إن رأينا الناس في نكبة في وقت ما. فمن حيث مشاركة الذين يبكون أحزانهم، فهذا أمر صائب، ولكن لماذا أوحي بالجانب الأخر إذا كان لا يعتبر أمرًا مهمًا؟ لأن الفرح مع الفرحين يحتاج إلى نفس حكيمة، أكثر من البكاء مع الباكين. لأن البكاء مع الباكين بالتأكيد تُمليه علينا الطبيعة ذاتها، ولا يوجد أحد جامدًا مثل الصخرة، حتى لا يبكي مع مَنْ يواجه كارثة، لكن الذي يفرح مع الفرحين يحتاج إلى نفس سخية جدًا، حتى أننا ليس فقط يجب علينا ألا نحسد مَنْ هو في حالة يُسر ورخاء، بل وأن نفرح معه. ولذلك فقد ذكر هذا أولاً " *فرحًا مع الفرحين* ". لأنه لا يوجد شيئًا يُقوّي المحبة بهذا القدر الكبير، سوى أن نشترك فيما بيننا في الفرح وفي الحزن.

إذن ينبغي ألا تبقى بلا إحساس لأنك بعيد عن النكبات، ولا تحتاج لأن يُرثي لك أحد. لأنه حين يُصاب القريب بمكروه، فأنت مَدين أن تشاركه الألم. فلتشارك في البكاء، لكي تُخفف عنه الحزن، وأن تشارك في الفرح لكي تُمكّن له الابتهاج، وتؤصل المحبة، وتنفع نفسك. لأنه بالبكاء تجعل نفسك مُشاركة في الحزن، بينما بواسطة الشركة في الفرح، تُنقيها تمامًا من الحسد والغيرة. لاحظ أن الرسول بولس لا يشعر مطلقًا بأي ضجر أو سأم. لأنه لم يقل، عليك أن تمنع الكارثة، حتى لا تقول وتكرر أن هذا مستحيل، لكنه أوصى بما هو أكثر سهولة، أوصى بما هو في استطاعتك أن تفعله. لأنه إن لم تستطع أن تزيل الكارثة فعلى الأقل شارك في البكاء، وبهذا تكون قد محوت الجزء الأكبر، وإن لم تستطع بعد أن تعطي السعادة، فعلى الأقل شارك في الفرح، وبهذا تُزيد الفرح جدًا.

ومن أجل هذا ينصح، ليس فقط بألا نحسد، بل ينصح بما هو أكثر بكثير من هذا، أي أن نفرح معه. لأن هذا يعتبر أعظم كثيرًا من عدم الحسد.

٢ـ " مُهتمين بعضكم لبعض اهتمامًا واحدًا غير مُهتمين بالأمور العالية بل مُنقادين إلى المتضعين" (رو١٢:١٦).

مرة أخرى يُعطى اهتمامًا كبيرًا لفضيلة التواضع، من حيث بدأ حديثه. خاصةً وأنه كان من الطبيعي، أن يكون لدى هؤلاء فكرًا متعاليًا بسبب تواجدهم في المدينة، ولأسباب أخرى كثيرة. ولهذا فإنه يُقوّض هذا المرض بصفة دائمة، ويُقلل من لهيبه. لأنه لا يوجد شيئًا يُقسم جسد الكنيسة بهذا القدر، سوى التباهي. وما معنى "*مهتمين بعضكم لبعض اهتمامًا واحدًا*"؟ هل أتى إلى بيتك أحد الفقراء، فليصر اهتمامك به واحدًا، ولا تنتفخ أكثر، بسبب الغنى. لا يوجد غني وفقير في المسيح. لا ترفضه بسبب مظهره الخارجي، بل بالحري إقبله بسبب إيمانه الداخلي. وعندما ترى شخصًا يئن، فلا تعتبره غير مستحق تعزيتك. ولا حين ترى شخصًا في رغدٍ وابتهاجٍ، تخجل من مشاركته الفرح، بل تفرح معه، وتظهر له نفس الإهتمام الذي تحمله

لنفسك. لأنه يقول: " *مهتمين بعضكم لبعض اهتمامًا واحدًا* ". على سبيل المثال، هل تعتقد أنك عظيم؟ إذًا فليكن لك نفس الفكر نحو الآخر. هل تفترض أن الآخر متضع وبسيط؟ إذًا فليكن لديك نفس الرأي عن نفسك، ولتبعد عن ذاتك كل ما يتعلق بعدم المساواة.

لكن كيف يمكن أن يحدث هذا؟ يتحقق ذلك إن ابتعدت عن محبة المجد الباطل. ولهذا أضاف: " *غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى المتضعين* ". أي أن تنزل إلى مستوى إتضاع الفقراء، أن تمتثل لحالتهم، وتُخالطهم. لا تتضع في الفكر فقط، بل عليك أن تساعد، وتقدم بسخاء، ولا تُعطيَ في معية آخرين، بل على إنفراد، مثل أب يعتني بابنه، كرأس للجسد، الأمر الذي قاله في موضع آخر: " *اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم* "[٤٣٢]. لكنه لا يقصد بالمتضعين هنا الخاشعين فقط، بل الفقراء والمهمشين. " ***لا تكونوا حكماء عند أنفسكم*** ". أي لا تعتقدوا بأنكم مُكتفون بذواتكم. لأن الكتاب يقول في موضع آخر " *ويل للحكماء في أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم* "[٤٣٣]. وهو بهذا يقوّض التباهي، ويقضي على الانتفاخ، ويُبطل لهيبهما. لأنه لا يوجد شيئًا يمكن أن يتسبب في إنقطاع المرء عن الشركة، سوى أن يعتقد أنه مُكتفي بذاته. ولهذا فإن الله خلقنا ولدينا احتياج، الواحد نحو الآخر. فإن كنت بعد حكيمًا، سيكون لديك احتياج لآخر، لكن إن كنت تعتقد أنك غير محتاج، فقد صرت أكثر غباءً، وأكثر ضعفًا من الجميع. لأن مثل هذا الإنسان سَيحرم ذاته من العون، وفي الأمور التي سيرتكب فيها الخطية، لن يتمتع بتقويم، ولا بأي مسامحة، بل أنه سيُثير غضب الله، بسبب كبرياءه، وسيرتكب خطايا كثيرة. لأنه من الممكن في مرات كثيرة لا يعرف الحكيم ما هو الصواب، والعديم المعرفة قد يسلك باستقامة، الأمر الذي حدث مع موسى وحماه، وفي حالة الملك شاول و خادمه، ومع اسحق ورفقة. إذًا لا تتصور أنك قليل الشأن،

---

[٤٣٢] عب١٣: ٣.

[٤٣٣] إش٥: ٢١.

عندما تشعر بإحتياج لآخر. فالاحتياج للآخر، يرفعك بالأكثر، ويجعلك أكثر قوة، وأكثر إشراقًا، وأكثر ثباتًا.

" لا تجازوا أحدًا عن شرٍ بشرٍ " (رو١٢: ١٧).

لأنك إذا أدنت شخصًا آخرًا يتآمر عليك، فمَنْ الذي جعلك تدينه؟ إن كان ذاك قد فعل الشر، فلماذا لا تتجنب التشبه به؟ ولاحظ كيف أنه هنا لا يصنع تمييزًا، بل حدَّد قانونًا مشتركًا أو عامًا. لأنه لم يقل لا تُجازوا المؤمن بشر، بل قال: "*لا تُجَازوا أحدًا* "، سواء كان أمميًا، أو نجسًا، أو أي شيء آخر.

" معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس. إن كان ممكنا فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس " (رو١٢: ١٨).

هذا يعني "*فليضيء نوركم هكذا قدام الناس* "[٤٣٤]، لكي لا نحيا للمجد الباطل، وحتى لا نعطي فرصة لأولئك الذين يبَحثون لنا عن سبب، لكي يهاجموننا. لهذا قال في موضع آخر: " *كونوا بلا عثرة لليهود ولليونانيين ولكنيسة الله* "[٤٣٥]. وبالصواب قال: " *إن كان ممكنًا* ". لأنه توجد حالات ليست ممكنة، مثلما أن يكون الحديث عن التقوى، وعندما يكون الجهاد من أجل الذين يتعرضون للظلم. ولماذا تشك، كما لو أن هذا غير ممكن، في اللحظة التي طبق فيها الرسول بولس هذا الأمر على غير المؤمنين، إذ وجد حلاً بشأن الإلتزام بين الرجل والمرأة، قائلاً: " *ولكن إن فارق غير المؤمن فليُفارق* "[٤٣٦]. ما يقوله يعني الآتي: أن تبذل كل قدراتك، ولكن يجب أن لا تُعطيَ للأممي أو اليهودي مبررًا للمخاصمات والمشاحنات ، وإن رأيت مرة أن التقوى تتعرض لأمرٍ ضار، فلا تُفضل الوفاق على الحق، بل عليك أن تَثْبُت بنبل حتى الموت، وعليك حتى في هذه الحالة ألا تُحَارب بنفسك، ولا أن تُعلِق على تغيّر الرأي، بل أن تحارب بالأعمال فقط، لأن هذا

---

[٤٣٤] مت٥: ١٦.

[٤٣٥] ١كو١٠: ٣٢.

[٤٣٦] ١كو٧: ١٥.

هو معنى " *فحسب طاقتكم سالموا* جميع *الناس* ". وإن كان الآخر لا يدعو للسلام، فلا يجب عليك أن تتألم كثيرًا، بل كُن محبًا من جهة قصدك الداخلي، الأمر الذي سبق وأشرت إليه، دون أن تنكث عهدك أبدًا من جهة الحق.

٣ ـ " لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل اعطوا مكانًا للغضب. لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب " (رو١٢: ١٩).

عن أي غضب يتحدث؟ إنه يتحدث عن غضب الله. إذًا ما يريده المظلوم هو أن يرى الله بنفسه ينتقم من الظالم. لأن ما يقوله الرسول بولس، هو إن كان من وقع عليه الظلم لم ينتقم لنفسه، فإن الله سيُصبح هو الذي يُعَاقِب. فلتسمح لله أن يُعَاقِب، وطالما أن الرسول بولس، قد أقنع المظلوم بقبول ذلك، فإنه يطلب منه ما هو أكثر، أي الإيمان، قائلاً:

" فإن جاع عدوك فأطعمه. وإن عطش فأسقه. لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه. لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير " (رو١٢: ٢٠ـ٢١).

هو هنا يقول ألاّ ينبغي أن تكون علاقاتي سلامية؟ خاصةً وهو يُعطي وصية بالإحسان. لأنه يقول إطعمه وإسقه. ثم بعد ذلك، لأنه أمر بشيء مُجهِد وكبير، بشكل يتجاوز الحد، أضاف: "*لأنك إن فعلت هذا تجمع* جمر *نار على رأسه* ". قال هذه الأمور، بهدف أن يردع العدو بالخوف، وأن يجعل المُحسِن يعطي بدافع الرغبة في العطاء على رجاء نيل المجازاة. إن المظلوم لا تَسُره الخيرات التي ينالها عندما يشعر بالضعف (أمام من ظلمه)، ويشعر بالارتياح عندما يُعَاقَب الظالم ويتألم، فلا يَسُره شيء أكثر من رؤيته لمن أحزنه وهو يُعَاقَب. ولذلك فقد قدَّم الرسول بولس هذا أولاً وبحكمة، ثم أخذ ينصح بما هو أسمى، قائلاً: "*لا يغلبنك الشر* ". لأنه كان يعرف أن العدو وإن كان بعد وحشًا كاسرًا، إلاّ أنه لا يبقى عدوًا عندما تطعمه. وحتى وإن كان المظلوم صغير النفس آلاف المرات، فهو حين يُطعِم عدوه، ويُسقيه، فإنه لن يشتهي عقابه بعد أن يطعمه. ولهذا، فنظرًا لأن القديس

بولس لديه ثقة في نتيجة ذلك الأمر، فإنه لم يُهدّد فقط، بل أيضًا يُعبّر عن العقوبة في شدتها. لأنه لم يقل ستُعَاقِب عدوك، بل قال "*تجمع جمر نار على رأسه* ". ثم يناشد المنتصر قائلاً: "*لا يغلبنك الشر. بل اغلب الشر بالخير* ". وبأسلوب هادئ يقصد أنه لا ينبغي أن ننساق لرغبة الشر، لأن عدم نسيان الإساءة هو بمثابة إنتصار للشر.

لكنه لم يُشر إلى هذا في البداية، بل بعد أن أنتزع الغضب من المظلوم، أضاف عندئذ: "*اغلب الشر بالخير* "، لأن هذا أيضًا هو الانتصار. كذلك فإن الملاكم ينتصر، لا عندما ينحني إلى أسفل فيتلقى الضربات، بل حين يقف منتصبًا إلى أعلى ويتفادى الضربات، ويجعل خصمه يُفرغ قوته في الهواء. وبذلك لا يتلقى أي ضربات، وتصير قوة الخصم بلا نفع، هذا بالضبط ما يحدث بالنسبة للإهانات . إذًا فعندما ترد الإهانة فإنك تُهزَم لا من إنسان، بل من عبوديتك المرة للغضب وهو الأمر المخجل للغاية. أما إن صَمَتّ، فستكون قد انتصرت أيضًا، وتقيم نُصب الانتصار دون تعب، وسيكون لديك أعدادًا لا تُحصى من الذين يتوجونك، ويدينوا أكذوبة الإهانة. لأن ذاك الذي يعارض من الواضح أنه يعارض لأنه يُجرح أو يُهان، أما مَنْ يُهان ولا يُبالي بالإهانة، فإنه يُعطيَ فرصة للتفكير، حتى يتدبر ما ينبغي أن يقوله، حسنًا فإذا إحتقرت الإهانة، فستُبطل الحكم ضدك. وإن أردت أن تأخذ دليلاً واضحًا على كل ما قيل، اسأل العدو نفسه: مَنْ يتضايق أكثر؟ هل أنت عندما تغضب وترد الإهانة، أم الأخر عندما يُهين وتَحتقر أنت هذه الإهانة. وهذا ما ستسمعه. فهو لا يفرح حين لا ترد الإهانة، بقدر ما يتضايق لأنه لا يستطيع أن يُهينك بالأكثر.

ألا ترى أولئك الذين يغضبون، كيف أنهم يهاجمون باندفاع كبير، ساعين بإصرار، وبصورة أسوأ من الخنازير المتوحشة نحو إحداث إصابات في القريب، ليحققوا ما يريدوا دون أن يتوخوا الحذر من إمكانية تعرضهم للإصابات؟ إذًا حين تحرمه من فعل ما يشتهيه، فإنك تحرمه كل شيء، طالما أنك حقّرته، وأظهرته وضيعًا، وطفلاً أكثر منه رجلاً، وهكذا تصير

أنت حكيمًا، بينما ذاك فقد أحاطت به سُمعة وحش شرير. فلنصنع نحن هذا الأمر إزاء الضربات، كيف؟ بأن لا نرد الضربات، بل إن أردت أن توجه له الضربة القاضية، حوّل له الخد الآخر، وستُصيبه بإصابات لا تُحصى. لأن أولئك الذين يُصفقون لك ويُعجبون بك، هم بالنسبة له، أكثر خطورة من القتلة المجرمين. وقبل هؤلاء، فإن ضميره سيُدينه، وسيَحُكم عليه بعقوبات كبيرة، كما لو كان قد أُصيب بأسوأ أنواع الشرور، وهكذا فعندما يخجل لابد إنه سيرحل. لكن إن كنت تطلب المجد من الكثيرين، فإنك ستتمتع بهذا المجد أيضًا إلى حد كبير. لأنه على أية حال فنحن نحمل رأفة تجاه الذين يتألمون، ولكن حين نراهم لا يردوا الضربات، وليس هذا فقط، بل ويسلّمون أنفسهم أيضًا، عندئذ فإننا لا نتراءف بهم فقط، بل ونُعجب بهم.

٤ـ من أجل ذلك، أشعر بأنني أريد البكاء بصوت مرتفع، لأننا نحن نستطيع أن نحصل على خيرات العالم الحاضر، وننال خيرات الدهر الآتي كذلك، إذا أطعنا نواميس المسيح كما ينبغي، إلا إننا نفقد الاثنين، لأننا لا نخضع لكل ما قيل، ونُفلسف كل شيء بشكل زائد عن الحد. خاصةً وأن المسيح وضع قانونًا لكل شيء، وفقًا لمنفعتنا، وعرَّفنا بما ينبغي فعله حتى يجعلنا مُمجدين، وبما يجب أن نتجنبه حتى لا نكون أدنياء. وما كان له أن يأمر بهذا (أي أن نُقابل الإساءة بالإحسان)، إن كان يهدف إلى أن يضع تلاميذه موضع سخرية. ولكنه أمر بهذا السلوك لأنهم أصبحوا أكثر مجدًا عندما طبقوه، فهم لا يتطاولون بكلام سيئ، وعندما يُتهمون، وعندما يُساء مُعاملتهم، لا يردوا الإساءة بالإهانة. لكن إن كان هذا يجعلهم مُمجدين أكثر من أي سلوك آخر، فبالأكثر جدًا فإن الكلام الحسن الذي يقولونه حين يُتهمَون، سيجعلهم مُمجدين، وحين يُبارِكون عندما يُشتَمون، وحين يُحسِنون عندما يُعانُون الألم، ولذلك فقد قنّن كل هذه الأمور. كذلك فهو يهتم كثيرًا بتلاميذه، لأنه يعرف جيدًا، ما الذي يجعل الإنسان وضيعًا، وما الذي يجعله عظيمًا. إذًا إن كان الله يهتم بك، ويعرف كل شيء فلماذا

تتشاجر مع عدوك، وتريد أن تسير في طريق آخر؟ إن الإنتصار الذي يأتي عن طريق المعاملة السيئة هو لحساب الشيطان.

إلا أن هذا القانون الخاص بالمكافآت لا يطبق في مجال الحياة بحسب المسيح، بل ما يحدث هو على العكس تمامًا، فقانون المسيح أن يُتوج المهزوم وليس الفائز. لأن هذه هي طبيعة ساحة الجهاد في المسيح: يتم تقييم كل شيء فيها بشكل عكسي، حتى أن المعجزة تصير أعظم، ليس فقط بالانتصار، بل بطريقة الانتصار. فعندما تكون العوامل التي تؤدي إلى الهزيمة في مكان ما، يعرضها كسبب للانتصار، فهنا تتجلى قوة الله، هذه هي ساحة السماء، هذا هو مسرح الملائكة. أعرف أنكم صرتم أكثر حرارة الآن، وقد صِرتم أكثر ليونة من الشمع، فلتطرحوا عنكم كل شيء عندما ترحلون من هنا. ولهذا فإنني أحزن وأشعر بالضيق، لأن أعمالنا لا تعكس أقوالنا ولا تُعبرّ عنها، خاصةً حين ننوي أن نربح هنا في هذه الحياة ما هو أكثر عظمة. فإن أظهرنا رأفة، لن نُهزَم من أحد، ولن يكون هناك إنسانًا سواء كان صغيرًا أم كبيرًا، يستطيع أن يُصيبنا بضرر. إذًا إن تكلّم أحد بكلام سيئ عنك، فإنه لن يضرك مطلقًا، بل يؤذي نفسه بشدة، وإن ظُلِم أحد فإن الضرر سيُحيط بمن اقترف الظلم. ألا ترى ما يحدث في المحاكم؟ فالمظلومين هم أكثر إشراقًا، ويقفوا للتحدث بكل جرأة، وبفم حُر، بينما الذين ظلَموا يتكلمون مُنحنين الرأس، بخجلٍ وخوف.

ولماذا أتحدث عن الكلام السيئ والظلم؟ حتى وإن كان يُشهر سيفه ضدك، وإن كان يغرز يده اليمنى في رقبتك، فإنه لن يضرك على الإطلاق، بينما في الحقيقة هو قد ذبح نفسه. وسيؤكد هذا الكلام أول من قُتل باليد الأخوية[٤٣٧]. لأن الواحد (أي هابيل) ذهب إلى الميناء الهادئ، بعدما ربّح مجدًا أبديًا، بينما الآخر (أي قايين) عاش حياة أكثر تعاسة من كل موت، إذ كان يئن ويرتجف، ويلصق بنفسه تهمة القتل[٤٣٨]. إذًا يجب ألا نسعى نحو

---

[٤٣٧] يُشير إلى هابيل الذي قتله أخوة قايين (تك٤:٨).

[٤٣٨] تك٣٩:٧ــ٢٣.

الظلم والكلام السيئ، بل نحو الإحسان . لأن الذي يُعاني الألم، لا يحتل الشر بيته أبدًا، وبالطبع لن يُولد من داخله، بل بعدما يقبله من آخر، يجعله بصبره شيئًا حسنًا، بينما الذي أساء، يكون في بيته مصدر الشر. ألم يكن يوسف في السجن، بينما الساقطة، التي صنعت به الشر كانت في قصر فخم ومشهور؟ إذًا مَن منهما تريد أن تكون؟ ولا نشير بعد إلى التعويض[439]، بل إفحص هذه الأحداث في ذاتها. هكذا ستفضل السجن مع يوسف، آلاف المرات، على أن تكون في البيت مع الساقطة . لأنه بالحقيقة إذا نظرت إلى كليهما سترى أن نفس يوسف قائمة في راحة وفي جرأة كبيرة، بينما نفس تلك المرأة، كانت قائمة في ضيق وخجل، وفي عبوس وإضطراب، وحزن شديد. وقد يبدو أن هذه المرأة قد انتصرت، لكن ما حدث ليس انتصارًا.

وإذ نعرف هذه الأمور، فلنُعِد أنفسنا لتحمل الإساءة، حتى نتحرر من المعاملة السيئة، وننال خيرات الدهر الآتي، والتي ليتنا جميعًا نتمتع بها، بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة إلى أبد الدهور آمين.

+++++++

[439] يقصد لا تنظر إلى المكافأة التي نالها يوسف بتمسكه بالصلاح.

الأصحاح الثالث عشر

الاصحاح الثالث عشر

عظة ٢٤ :

" لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة" (رو١٣:١).

١. لقد تحدث القديس بولس كثيرًا عن هذا الأمر في رسائل أخرى، إذ يطلب من المواطنين أن يخضعوا للرؤساء، تمامًا مثلما يخضع الخدام للسادة. وهو يوصي بذلك لكي يبرهن على أن المسيح لم يضع تعاليمه للتحريض على القيام بالانقلاب على الدولة، بل من أجل إصلاح أفضل لها، ولكي يُعلّمنا بألاّ نَشِن حروبًا مدمرة وبلا داعي. لأن الدسائس التي تُحاك ضدنا بسبب إظهار الحق، هي كافية، ولا ينبغي أن تُضاف إليها تجارب لا داعي لها ولا تفيد شيئاً. لكن انتبه كيف أنه في اللحظة المناسبة حوّل كلمته إلى هذه الأمور. إذًا بعدما طلب السلوك بتلك الحكمة العظيمة أو تلك الفلسفة العظيمة (أي مواجهة الإساءة بالإحسان)، وجعل الجميع يتآلفون مع الأصدقاء والأعداء، فقد جعلهم نافعين لِمَنْ هم فرحين، ولمن هم حزانى، وللمحتاجين، وبشكل عام تجاه الجميع، وأسس المدينة التي تليق بالملائكة. لقد عالج غضبهم ووبّخ إفتخارهم، وفي كل شيء جعل نفوسهم رقيقة، حينما قدّم النصيحة من جهة هذه الأمور. لأنه إن كان خضوعنا لأولئك الذين يظلموننا يجلب علينا خيرات عكس ما قصدوه لنا، فبالأحرى يليق بنا أن نخضع لأولئك الذين يُحسنون إلينا.

إلاّ أنه أوصي بذلك في نهاية حديثه، ولم يشر إلى هذه الأفكار التي قالها في البداية، بل أشار إلى الأفكار التي تَحُثُ على فعل هذا كدين عليهم. ولكي يُبيّن أن هذه الوصية موجهة للجميع، للكهنة وللرهبان أيضًا، وليس للعلمانيين فقط، فقد جعل هذا الأمر واضحًا منذ البداية، قائلاً: "*لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة* "، سواء كان رسولاً، أم كان مبشرًا، أم نبيًا، أو كان أي شخصًا آخر، لأن هذا الخضوع لا يؤثر في التقوى. ولم يقل "لتطيع" بل قال "لتخضع". وأول تقييم لهذا التشريع، وهذا الفكر الذي يليق بالمؤمنين، هو أنهم قد أُمروا به من الله. "***لأنه ليس سلطان إلاّ من الله***". ماذا

تقول؟ هل كل حاكم هو مُعيَّن من الله؟ يُجيب بأنني لا أقصد هذا، ولا كلامي الآن هو موجه للحكام بشكل منفصل، لكنه يختص بالسلطان. لأن وجود السلاطين يعني أن هناك بالطبع من يَحكُم، وهناك من يُحكَم، ويجب عليهم ألا يسلكوا في كل شيء بلا هدف وبلا ضابط، وأنه يجب على الشعوب ألا تتأرجح هنا وهناك مثل الأمواج، فهذا السلطان هو عمل حكمة الله.

إذن لم يقل، ليس حاكم إلاّ من الله، لكنه يتكلم بشكل عام عن السلطان، ويقول " ***لأنه ليس سلطان إلاّ من الله. والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله*** ". هكذا قال الحكيم " *الزوجة المتعقلة فمن عند الرب* "[٤٤٠]، هذا ما يقصده، أي أن الله صنع الزواج، وليس أن الله يوّحد أي أحد يقيم علاقة جسدية مع امرأة. خاصةً ونحن نرى أن كثيرين قد ارتبطوا فيما بينهم بالشر، وبزواج غير شرعي، ولا يمكن أن نعتبر ذلك من الله. لكن ذاك الذي قال: " *الذي خلق من البدء خلقهما ذكرًا وأنثى* "، وقال: "*من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ويكونان الاثنان جسدًا واحدًا* "[٤٤١]، نفس الأمر قاله ذلك الحكيم حين فسّره. إذًا نظراً لأن المساواة في الكرامة، تدفع في مرات كثيرة للتصادم، فقد أوجد الله سلاطين وأنواع كثيرة من الخضوع. على سبيل المثال، الخضوع بين الرجل والمرأة، الابن والأب، الشيخ والشاب، العبد والحر، الحاكم والمواطن، المعلّم والتلميذ. ولماذا تتحير لأنه تحدَّث عن الخضوع بين البشر، مع أنه فعل هكذا أيضاً بالنسبة للجسد؟ إذ أن الله لم يخلق كل أعضاء الجسد متساوية في الكرامة، بل خلق عضواً أصغر، والعضو الآخر أسمى، وجعل بعض الأعضاء تسود، وبعضها تخضع. بل وفي الحيوانات يستطيع المرء أن يرى نفس الشيء، كما في النحل، وفي طيور الكركر، وفي قطيع الخِراف المتوحشة. ولا البحر أيضًا حُرِم من هذا النظام الحسن، بل هناك أيضًا كثير من الأجناس البحرية، توضع تحت

[٤٤٠] أم١٩: ١٤.

[٤٤١] مت١٩: ٤ـ٥.

سلطان بعض الأسماك، وهى تُساق أو تُدار هكذا عندما توشك القيام برحلاتها البعيدة. خاصةً وأن الفوضى في أي موضع هي أمر سيء، وتسبب الإضطرابات.

٢ ـ إذًا بعدما تكلّم عن السلاطين، ومن أين تأتي، أضاف:

"حتى أن من يقاوم السلطان يُقاوم ترتيب الله" (رو١٣: ٢).

أرأيت إلى أين يقود هذا الأمر، ومِن مَن قد أخافهم، وكيف أنه برهن على أن هذا قد صار كدين عليهم؟ إذًا لكي لا يقول المؤمنون أنه يُهيننا، ويجعلنا مُحتقرين، مُخضعًا الذين سوف يتمتعون بملكوت السموات للحُكام، يبرهن لهم أنه لا يُخضعهم للحكام، بل هو يُخضعهم لله أيضًا، وهذا يتم حين يَخضعَون للحكام. لأن كل من يخضع للسلاطين، يطيع الله. لكنه لم يقل أن من يُطيع الله، هو من يخضع للسلاطين، لكنه يُخيفهم من الوجهة العكسية، ويُدلل على هذا بدقة كبيرة، قائلاً أن مَنْ لا يخضع للحاكم يُقاوم الله الذي رتّب وجود الحكام. وقد حرص على إظهار هذه الحقيقة في كل موضع، أننا لا نمنح هؤلاء الطاعة، بل نحن مدينين بها. وهكذا سيُمكنه أن يجذب الحكام غير المؤمنين للتقوى، والمؤمنين للطاعة.

لقد كثر الكلام في هذا الشأن في كل مكان، وإنتشرت النميمة على الرسل حول موقفهم من التجديد، وتردّد أن هدف كل ما قالوه وفعلوه ربما يكون تغيير القوانين العامة. وحين اتضح أن إلهنا يؤكد على هذا الأمر لكل أخصائه، فإنك عندئذٍ ستُسد أفواه الذين وشوا بالرسل كمتمردين، وستتكلم بجرأة كبيرة عن المبادئ الحقيقية. إذًا لا تخجل من مثل هذا الخضوع خاصةً وأن الله هو الذي أمرَّ به، وهو يُعَاقِب بشدة عندما تحتقر ما يوصي به. لأنه لن يُعَاقِبك بعقوبة بسيطة عندما لا تخضع لهذه الأمور، بل بعقوبة كبيرة جدًا، ولن تفلت من العقاب، عندما تقاوم، بل ستنال من البشر عقوبة مُخيفة للغاية، ولن يحميك أحد، وكذلك سيغضب منك الله بدرجة كبيرة جدًا. كل هذا هو ما يعنيه تحديداً عندما يقول: " ***والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة*** ".

ولكي يُبيّن بعد ذلك فوائد الخضوع، نجده بعدما أخافهم، يحاول أن يقنع بالمنطق، فيقول:

" فإن الحكام ليسوا خوفًا للأعمال الصالحة بل للشريرة" (رو١٣:٣).

إذن لأنه وجّه لهم ضربة قوية وأخافهم، عاد وأظهر شيئاً من المرونة، وكطبيب حكيم أعطاهم دواء مناسباً، وأخذ يعزِّيهم قائلاً: ماذا تخشى؟ لماذا ترتعب عندما تعمل أعمالاً حسنة؟ هل يُقلل هذا من شأنك؟ هل اهتمامك بالفضيلة يقلل من شأنك؟ وهل هذا أمر مخيف؟ ولهذا أضاف: " **أفتريد أن لا تخاف السلطان؟ افعل الصلاح فيكون لك مدح منه** ". أرأيت كيف أنه صَالَحَ ذلك الإنسان على الحاكم، بعدما أظهر أنه يمتدحه؟ أرأيت كيف أنه فرَّغ الغضب؟

"لأنه خادم الله للصلاح" (رو١٣:٤).

إنه بعيد كل البعد عن إخافتك، لأنه يمتدحك أيضًا، ويبتعد تماماً عن أن يُعيقك، بل هو يُعينك أيضًا. فحين يكون لديك هذا المادح وهذا المعين، فلماذا لا تخضع؟ طالما أنه يجعل الفضيلة بطريقة أخرى أكثر سهولة بالنسبة لك، أي بمعاقبة الأشرار وتكريم الصالحين، ولهذا دعاه الرسول بولس، خادم الله. لاحظ أيضًا إنني أنصح بالتعقل، وذاك يقول نفس الأمر بالقوانين، إنني أُحذر أنه لا ينبغي أن نكون طماعين ولا سارقين، وذاك الحاكم يجلس لكي يحكم في هذه الأمور. بهذا المسلك يكون عاملاً معنا ومعينًا لنا، ومُرسلاً من الله من أجل ذلك. إذًا فهو من الوجهتين محل تقدير، لأنه مُرسل من الله، ولأنه مُرسل من أجل تحقيق هذا الأمر. " ***ولكن إن فعلت الشر فخف*** ". وبناء على ذلك فإن الحاكم لا يبث الخوف، بل أن مصدر الخوف هو ارتكابنا الشرور. "***لأنه لا يحمل السيف عبثًا***". أرأيت كيف أقامه بعدما سلّحه جيدًا، مثل الجندي الذي يثير الخوف لدى الذين يخطئون؟ " ***إذ هو خادم الله منتقم بالغضب من الذي يفعل الشر***" إذًا وحتى لا تتمرد حين تسمع أيضًا عن إدانة، وعقوبة، وسيف، يقول مرة أخرى، إنه يُتمم ناموس الله. وقد

تتساءل: ما هي الأهمية، إن كان ذاك (الحاكم) لا يعرف ناموس الله؟ لكن هكذا عيّنه الله.

إذن إن كان يُعَاقِب ويُكَرِم بصفته خادم، وينتقم من أجل أن تسود الفضيلة، مُبعدًا الشر، الأمر الذي يريده الله، فلأي سبب تقاومه طالما أنه يحمل كل هذه الخيرات، ويُمهد الطريق من أجلك؟ لأنه يوجد بالحقيقة كثيرون بعدما سلكوا ـ في البداية ـ بالفضيلة خوفاً من الحكّام، قد سعّوا إليها فيما بعد، بمخافة الله. أما بالنسبة للضعفاء روحيًا فإن الأمور المستقبلية لا تُخيفهم، بقدر ما تخيفهم الأمور الحاضرة . إذًا فذاك الذي بواسطة الخوف والتكريم يُعِد أنفس الكثيرين لتقبل التعليم، يكون تَعيينه خادمًا لله، أمرًا مُبررًا.

٣ ـ "لذلك يلزم أن يُخضع له ليس بسبب الغضب فقط. بل أيضًا بسبب الضمير" (رو١٣:٥).

ما معنى ليس بسبب الغضب فقط؟ يقول ليس فقط لأنك تقاوم ترتيب الله إن لم تخضع، وليس لأنك تُسبب لنفسك أضرار كبيرة من قِبل الله ومن قِبل الحكام أيضًا، بل لأنه صار مُحسنًا لك في الخيرات الوفيرة، طالما أنه مُحسن لك في خيرات عظيمة وراعي للسلام الإجتماعي. طالما أنه بواسطة هؤلاء السلاطين تتحقق خيرات لا حصر لها في المدن. وإن أبطلت سلطة هؤلاء فإن كل شيء سينتهي، ولن يكون هناك وجود لمدينة ولا لقرية، ولا لبيت ولا لسوق ولا يمكن لأي شيء أن يثبت على حالة، بل ستتدهور كل الأمور، إذ أن من هم أكثر قوة سيبتلعون الضعفاء. وبناء على ذلك، فحتى إن لم يصيبك غضب بسبب تمردك، فإنه هكذا أيضًا كان ينبغي أن تخضع، حتى لا تبدو وكأنك بلا ضمير وغير مُمتن إلى من أحسن إليك.

" فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضًا. إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه " (رو١٣:٦).

بعدما تجنب الكلام بشكل منفصل عن الإنجازات التي يحققها الحكّام في المدن مثل الإدارة الحسنة، ونشر السلام، وتقديم الخدمات الأخرى

بواسطة الجنود، وأولئك الذين يهتمون بالأمور العامة، وأوضح أن الخدمة الواحدة من هذه الأمور، تبيِّن حجم الخدمات التي تُقدم للكل. إذًا فإنك تُثبت رضاك وامتنانك للحاكم عندما تدفع الجزية.

لاحظ حكمة وتعقل المطوب بولس. لأن ما كان يبدو مُزعجًا ومُحزنًا أي المطالب (التي طلبها)، هذا يجعله بُرهانًا للإهتمام وللعناية بهؤلاء. إذًا لماذا يطلب أن نُعطي الجزية للملك؟ ألا يجب علينا أن ندفع أجر الوكالة (أي وكالته عنا في إدارة الدولة)، لأنه يعتني بنا، ولأنه يحمينا؟ ما كنا لندفع لو لم نعرف من البداية أننا سنستفيد كثيراً من هذا السلطان . ولهذا فقد أقرَّ الجميع من البداية أننا يجب أن نساهم في توفير معيشة الحكام، لأنهم لا يبالون بأنفسهم من أجل الاهتمام بالصالح العام، حتى أنهم ينشغلون بذلك حتى في فترات راحتهم لكي يتمموا كل ما يخصنا. وبعدما تكلّم عن تلك الأمور التي تأتي من الخارج، يعود مرة أخرى بحديثه إلى الأمور السابقة ـ لأنه هكذا أستطاع أن يُحرك أفكار ومشاعر المؤمن ـ ويُظهر مرة أخرى أن هذا التوجه هو أمرًا حسناً أمام الله، وفي هذا يختم النصيحة، قائلاً: "***إذ هم خدام الله***" ولكي يبين ما يبذلونه من جهد وتعب، أضاف: "***مواظبون على ذلك بعينه***". إذًا هذه هي حياتهم، هذا هو اهتمامهم: أي كيف تتمتع أنت بالسلام. ولهذا في رسالة أخرى، لا يأمر فقط بأن نخضع، بل وأن نُصلي من أجل هؤلاء الرؤساء، ومبينًا في تلك الرسالة أن الفائدة ستكون عامة، ولذلك أضاف: "*لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار*"[٤٤٢].

لأنه بالنسبة لنا ليس هو بالأمر القليل ما يقدموه لنا من منافع في الحياة الحاضرة، إذ هم يأخذون السلاح ويحاربون، يُبعِدون الأعداء، يمنعون أولئك الذين يثورون على المدن، يقدمون حلولاً للمشاكل في كل شيء، إذًا لا تحدثني عما إذا كان هناك من يُسيء استخدام السلطة، بل عليك أن تلاحظ لياقة هذا الترتيب، وسترى عظمة حكمة الذي قنّن هذه الأمور منذ البداية.

---

[٤٤٢] ١تيمو٢:٢.

" فأعطوا الجميع حقوقهم الجزية لمن له الجزية الجباية لمن له الجباية. والخوف لمن له الخوف والإكرام لمن له الإكرام" (رو١٣:٧).

ولا زال يُقيّم نفس الأمور، طالبًا من هؤلاء ليس فقط أن يدفعوا أموالاً، بل وأن يُقدموا كرامة واحتراماً. منذ قليل، قال " *أفتريد ألا تخاف السلطان افعل الصلاح*"، وهنا يقول " *الخوف لمن له الخوف*". يقول هذا وهو يقصد الكرامة الفائقة، وليس الخوف الذي يأتي من الضمير الشرير، الذي أشار إليه سابقًا. ولم يقل(δώστε) أي امنحوا، بل (αποδώστε) أي أُعطوا مما أُعطى لكم"[٤٤٣]، وأضاف "حقوقهم". وبالطبع فإنك لا تصنع خدمة، حين تفعل هذا الأمر. لأنه حق، وإن لم تفعله، ستُدان كشخص غير مُمتن للإحسان.

إذن لا تتصور أنك تُحتقَر، وتُضَار، فيما يختص بقيم إيمانك، وذلك إذا وقفت احترامًا، حين يَعبُر الحاكم من أمامك، أو إذا خَلَعت قبعتك عن رأسك. لأنه إن كان قد حدَّد هذا الأمر في ذلك الحين الذي كان فيه الرؤساء من الأمم، فبالأولى كثيرًا الآن ينبغي أن يسري هذا على الحكام المؤمنين. ولكن إذا كنت تزعم أنه استأمنك على الأمور الأعظم، فلتعلم أن الزمن الآن، ليس هو زمنك، لأنك غريب ووجودك مؤقت، سيأتي الوقت الذي ستظهر فيه أكثر بهاءً من كل شيء. الآن " *لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ مَتَى اظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ فِي الْمَجْدِ*"[٤٤٤]. إذًا يجب ألا تطلب المكافأة في هذه الحياة الحاضرة، بل إن احتاج الأمر، قدَّم الهيبة والوقار للحاكم عندما تَمثُل أمامه، ولا تتصور أن ذلك يتعارض مع أصلك النبيل. لأنه هكذا يريد الله، حتى أن الحاكم الذي أُعطيَ السلطان من الله، تكون له هيبته. لأنه حين يقف ذاك الذي لم يقترف أي شر بخوف أمام القاضي، فبالأولى يخاف من يقترف الشر. لكنك هكذا ستصير أكثر بهاءً، والحاكم أيضًا سيكرمك

[٤٤٣] "أُعطوا" هنا بمعنى رُد للجميع حقوقهم كدين أُعطى لك من قبل.

[٤٤٤] كو٣:٣ـ٤.

إلى أقصى درجة، وسيمجدك إلهك لهذا السبب. حتى إن كان الحاكم غير مؤمن.

" لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلاّ بأن يُحب بعضكم بعضًا" (رو١٣: ٨).

يلجأ مرة أخرى إلى أصل الصالحات (أي المحبة)، إلى تلك التي تُعلّم ما سبق الإشارة إليه، والتي تنشئ كل الفضيلة، ويقول كيف أنها نافعة، لكن ليست مثل الضريبة والجزية، لأن نفعها هو دائم، هو لا يريد مطلقًا لهذه المحبة أن تُرَد، أو من الأفضل أن نقول دومًا هو يريد أن تُرَد، لا أن تُعوَض، فهي مديونة على الدوام. لأن هذا هو الدين، أننا نظل نُعطي، ونبقى مديونين على الدوام. إذًا بعدما قال كيف أنه ينبغي علينا أن نحب، يُظهر فائدة ذلك، قائلاً: "*لأن مَن أحب غيره فقد أكمل الناموس*". إذًا لا تعتبر أن هذا العمل هو إحسان تُقدمه، بل دين عليك. لأنك مدين لأخيك بالمحبة بسبب القرابة الروحية. وليس فقط لهذا السبب، بل ولأننا نحن أعضاء بعضًا لبعض. وإن تلاشت منا هذه أي المحبة، فإن كل شيء سيفنى. إذًا فلتحب أخاك، لأنه إن كنت بمحبته ستربح الكثير، فحتى تتمم كل الناموس، فإنك مدين له بالمحبة، بعدما تَنعَم بالإحسان منه.

" لأن لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وإن كانت وصية أخرى هي مجموعة في هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك" (رو١٣: ٩).

لم يقل، تُتّمم، بل قال "*هي مجموعة*"، أي موجزة في كلمات قليلة، وبها يكتمل كل عمل الوصايا. لأن بداية ونهاية الفضيلة، هي المحبة. لأن هذه المحبة لها جذور، وهى الأساس، والقمة. إذًا فإن كانت المحبة هي البداية والنهاية، فهل يوجد ما هو مساوٍ لها؟ لكنه لا يطلب فقط محبة، بل محبة فائقة. لأنه لم يقل فقط "*تحب قريبك*" بل قال تحبه "*كنفسك*". ولهذا قال المسيح عنها، أن بها يتعلق الناموس والأنبياء[٤٤٥]. وبعدما أشار المسيح إلى نوعين

[٤٤٥] مت٢٢: ٤٠.

من المحبة، لاحظ إلى أين قد سما بها. لأنه بعدما قال إن الوصية الأولى هي أن "*تحب الرب إلهك*" أضاف الثانية، قائلاً: "*والثانية مثلها. تُحب قريبك كنفسك*"[446].

هل هناك ما يتساوى مع محبة الله للبشر؟ هل هناك ما يتساوى مع هذا الصلاح؟ فبرغم الفارق الشاسع بيننا وبينه، جعَّل محبتنا بعضنا لبعض مساوية لمحبتنا له، ويقول إن محبة الرب إلهك هى مثل محبة القريب. لهذا تحديدًا حدَّد معايير متساوية تقريبًا في الحالتين، فمن حيث محبتنا لله، قال "*من كل قلبك. من كل نفسك*"، أما بالنسبة لمحبة القريب قال: "*كنفسك*". والقديس بولس أشار إلى أنه عندما لا توجد لدينا محبة للقريب، فإننا لن ننتفع من محبتنا لله. تمامًا فكما يحدث معنا، عندما نحب شخصاً، نقول: إن أحببت ذاك، فإنك تحبنا نحن، هكذا المسيح أيضًا، لكي يُعلن عن هذا، قال "*والثانية مثلها*". هكذا قال أيضًا لبطرس "*أتحبني .. ارع غنمي*"[447]. إذًا:

" المحبة لا تصنع شرًا للقريب. فالمحبة هي تكميل الناموس" (رو١٣: ١٠).

أرأيت كيف أنه يحمل الفضيلتين، **أولاً** الابتعاد عن الشرور، لأنه يقول "*لا تصنع الشر*"، **ثانيًا** ممارسة الصلاح، لأنه يقول "*فالمحبة هي تكميل الناموس*"، دون أن يهمل الاستفاضة في شرح التعليم الخاص بالفضائل التي ينبغي أن نحيا بها، بل جعل ممارستها أسهل. لأنه لم يهتم فقط بكيف سنتعلم الأمور التي تعود بالفائدة علينا، الأمر الذي هو عمل الناموس، بل إنه يساعدنا أيضاً على ممارستها، طالما أنه يجعلنا نتمكن من ممارسة، ليس فقط جزء واحد من الوصايا، بل من كل الفضيلة.

٤ ـ إذن فليحب الواحد الآخر، لكي نحب الله أيضًا الذي أحبنا بهذه الطريقة. أما بالنسبة للبشر فإن أحببت إنسانًا محبوبًا من غيرك، فإن الذي

---

[446] مت٢٢: ٣٨ــ٣٩.

[447] يو ٢١: ١٦.

يُحبه سيقاومك، أما هنا فإنه يعتبرك مستحقًا أن تصير شريكًا له في المحبة، وحين ترفض أن تصير شريكًا، فإنه يُبغضك . لأن العشق الإنساني مملوء بالبغضة والحسد، بينما المحبة الإلهية متحررة من كل هوى، ولهذا فإنها تطلب شريكًا للمحبة. إذًا فلتحب بالاشتراك معي، هكذا يقول، وحينها سأحبك بالأكثر. أرأيت عاشقاً يتكلم بهذه القوة؟ فكأنه يقول: إن كنت تحب الذين أحبهم أنا فحينئذٍ أنا ذاتي أكون محبوبًا منك بشكل فائق، خاصةً وأنه يشتهي خلاصنا جدًا، وقد أظهر ذلك منذ البداية. إسمع ماذا يقول حين خلّق الإنسان: "*نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا*"[٤٤٨]، وأيضًا: "*ليس جيدًا أن يكون آدم وحده. فأصنع له معينًا نظيره*"[٤٤٩]. وحين وبّخه، عندما خالف الوصية، لاحظ كيف وبّخه بكل حنو. لأنه لم يقل له أيها الدنس والنجس، برغم من أنك قد نلت إحسانات كثيرة، فإنك آمنت بالشيطان بعد كل هذه الإحسانات، وهجرت من أحسن إليك، وكرست ذاتك للشيطان الخبيث، بل ماذا قال: "*من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها*"[٤٥٠]. إن ذلك يشبه أباً أوصى ابنه بألاّ يمسك بالسيف، فرفض الإبن سماع النصيحة فأمسك بالسيف وأُصيب بجراحٍ. وعندما أُصيب أخذ يصرخ متحدثاً عن سبب إصابته. فأجابه الأب قائلاً: أنك جُرِحت يا إبني بسبب عدم طاعتك لي ولأنك لم تسمعني.

أرأيت أن الكلام هو من صديق أكثر منه رب؟ لصديق قد أُحتقر، لكنه بالرغم من ذلك لم يبتعد. إذًا فلنتشبه به حتى عندما نُوبخ أيضًا، ولنتبع هذه الرأفة. كذلك المرأة أيضًا (أي حواء) وبّخَت بنفس الرقة. أو من الأفضل أن نقول، إن ما حدث لا يُعَّد توبيخاً، بل كان نصيحة، وتصحيحًا (للمسيرة)، وتأمينًا للمستقبل. ولهذا تحديدًا لم يقل شيئًا للحية، لأنها كانت هي المخططة للشرور، ولم تستطع أن تنقل السبب إلى شخص آخر، ولذلك

---

[٤٤٨] تك ١ :٢٦.

[٤٤٩] تك ٢ :١٨.

[٤٥٠] تك ٣ :١١.

فقد عاقبها بشدة، ولم يتوقف عند هذا الحد، بل جعل الأرض لها نصيب في اللعنة. وقد طرد الله آدم من الفردوس، وحكم عليه بالعمل الشاق، ولذلك يجب قبل كل شيء أن نسجد له ونُمجده، لأن الخمول يقود إلى اللامبالاة، وبسبب اللامبالاة يتضائل الفرح ويسوَّد الحزن، لأجل هذا علينا أن نرجع إلى محبة الله.

ماذا حدث أيضًا في حالة قايين؟ ألم يستخدم معه نفس أسلوب الرأفة؟ كذلك برغم من أنه تطاول عليه، إلا أنه تحدث معه برجاء وقال: "*لماذا سقط وجهك*"[٤٥١]. وإن كان ما حدث خالٍ بالطبع من طلب الصفح، وهو ما قد أظهره الأخ الأصغر[٤٥٢]. لكن ولا هكذا وبّخه الله، بل قال: "*إن أحسنت أفلا رفع. وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها* "[٤٥٣]، ويشير بذلك إلى أخيه. فإن كنت تخاف، هكذا يقول، ربما بسبب هذه التقدمة، سأنزع عنك إمتياز البكورية، فلتتشجع، أريد فقط أن تصير أفضل، وأن تُحِب الذي لم يظلمك أبدًا، عندئذ سوف أضع هذا الإمتياز مرة أخرى في يديك. إذ أنني أعتني بكُما معًا، على أن ما يفرحني هو ألا تتشاجرا فيما بينكما. و هكذا يفعل الله مثلما تفعل الأم الحنون، كل شيء يصنعه ويبدعه، حتى لا ينفصل الواحد عن الآخر.

لكن لكي تعلم جيدًا ما أقوله، سأذكر لك مثالاً: تذكّر من فضلك رفقة التي أصابها القلق، عندما حارب ابنها الأكبر، أخيه الأصغر. لأنه برغم من أنها كانت تحب يعقوب، إلاّ أنها لم تُبغِض عيسو. ولهذا قالت: "*لماذا أعدم أثنيكما في يوم واحد*"[٤٥٤]. ولهذا تحديدًا قال الله آنذاك لقايين: "*عند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها*"، لكي يُجنّبه القتل، لأنه كان يطلب سلام الاثنين. وحتى عندما قتله دون حزن أو أسى، لم تتوقف عناية الله

---

[٤٥١] تك٤: ٦.

[٤٥٢] يقصد أن تقدمة قايين لم تكن بدافع طلب الغفران والصفح، بينما تقدمة هابيل كانت مقبولة، قدم أبكار غنمه وسمانها ليصفح الله عنه.

[٤٥٣] تك٤: ٧.

[٤٥٤] تك٢٧: ٤٥.

بقايين، بل برأفة، يسأل قاتل أخيه قائلاً: "*أين هابيل أخوك*"[455]. لكي بهذه الطريقة على الأقل يحثه، حتى يقدم توبة. لكن ذاك جَادَل في الأمور السابقة، جاعلاً السفاهات أكبر وأفظع، لكن هذا أيضًا، لم يجعل الله يبتعد عنه، بل حَدّثه بكلام يليق بمن يحب بقوة، على الرغم من أنه أُهين واُحتقر، فيقول "*صوت دم أخيك صارخ إليّ*"[456]. وأيضًا لعَن الأرض مع قاتل أخيه، تاركًا غضبه للأرض، قائلاً: "*ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك*"[457]، وقد فعل مثلما يفعل أولئك الذين يَدعُون شخصاً للرجوع.

هذا ما صنعه داود، عندما سقط شاول. خاصةً وأن ذاك (أي داود) لعن الجبال التي حَدَث عليها جريمة القتل (أي ذبح شاول)، قائلاً: "*يا جبال جلبوع لا يكن طل ولا مطر عليكن .. لأنه هناك طُرح مجن الجبابرة*"[458]. قال الله له، "*صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض. فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك*". وقال هذا لكي يضبط غضبه الذي كان محتداً، ولكي يُقنعه على الأقل بأنه يحبه حتى وإن لم يكن حيًا. هكذا يقول لقد مَحوت حياته، فلماذا لم تمحو البغضة؟ لكن ماذا يفعل؟ إنه يُحب هذا وذاك، لأنه خلق الاثنين. ماذا إذًا؟ هل سيترك قاتل أخيه بلا عقاب، لكنه في هذه الحالة سيصير أسوأ؟ فهل سيعاقبه؟ إلاّ أنه أكثر حنوًا من أي أب. لاحظ إذًا كيف أنه يُعَاقِب ويُظهر رحمة لنفس الشخص، أو من الأفضل أن نقول، لا يُعَاقِب بل يُقوِّم. لأنه لم يُميته، بل قيَّده بالرعب، حتى يطرد العار منه، ليعود على الأقل إلى حنوه وعطفه، لكي يُقيم عهداً مع ذاك الذي مات، وهذا أقل ما يجب فعله، لأنه لم يُرِد لقايين أن يرحل من هناك وهو لازال عدواً لهابيل الذي قتله.

---

[455] تك٤: ٩.

[456] تك٤: ١٠.

[457] تك٤: ١١.

[458] ٢صم١: ٢١.

إن الذين يحبون يكونوا مثل هؤلاء، فعندما يصنعون إحسانات، لا يكونون محبوبين، ويصيرون قساة، ويهددون، بالطبع دون أن يريدوا ذلك، بل إنهم منقادون لهذا الأمر من منطلق المحبة، ويمكن أن يَجذبوا أولئك الذين يحتقرونهم بهذه الطريقة، وإن كانت مثل هذه المحبة، لها غرض معين، لكن هذا أيضًا يُعزيهم بسبب المحبة الفائقة. وبناء عليه فإن العقاب أيضًا يصير بالمحبة، لأن أولئك الذين يتضايقون حين يُبغَضوا، لا يفضلون أن يعاقبوا. ولاحظ أيضًا ما يقوله القديس بولس ـ بخصوص هذا الأمر ـ لأهل كورنثوس: "*لأنه إن كنت أحزنكم أنا فمَنْ هو الذي يُفرحني إلاّ الذي أحزنته* "[٤٥٩]. وبناء على ذلك، فعندما يُزيد من حجم العقوبة جدًا، عندئذٍ يُظهر المحبة الفائقة. هكذا فإن زوجة فوطيفار المصرية عاقبت يوسف بقسوة بسبب المحبة الفائقة. لكنها بالطبع عاقبته بدافع من نفس شريرة، خاصةً وأن عشقها له كان يتسم بالفجور، ولكن الله يُعاقِب من أجل أمر حسن، لأن محبته أيضًا كانت بالقدر الذي يستحقه الذي أحبه. ولهذا لم يتجنب أيضًا أن يستخدم كلاماً ثقيلاً، وأن يستخدم كلمات بشرية، وأن يدعو نفسه، غيور "*لأني أنا الرب إلهك إله غيور*"[٤٦٠]، يقول هذا لكي تَعلَم مدى قدر المحبة.

ليتنا نُحِب الله كما يريد هو، لأنه يعتبر هذا الأمر، هاماً جدًا. وإن تحوَّلنا عنه، يظل يدعو، وإن تكاسلنا في العودة، يُعاقِب بمحبة، وليس لأنه يريد العقاب. لاحظ ماذا يقول في سفر حزقيال، عن المدينة التي أحبها، وأهانته "*هاأنذا أهيج عليك عشاقك وأسلّمك إلى أيديهم وسيرجمونك وسيحطمونك. وسأنزع غيرتي عنك. وسأستريح ولن أهتم بعد بك* "[٤٦١]. هل هناك قسوة أكثر من ذلك، يُظهرها وكأنه المحب الذي يُحتَقَر من محبوبته، والذي يحترق بالنار لأجلها؟ إن الله يصنع كل شيء، لكي يصير

---

[٤٥٩] ٢كو ٢:٢.

[٤٦٠] خر ٢٠:٥.

[٤٦١] خر٢٣: ٢٢ (س).

محبوباً لنا، ولهذا لم يُشفق على ابنه. ولكننا نحن قساة ومتوحشون. ويجب علينا أن نصير وُدعاء، ولنُحب الله كما ينبغي أن نحبه، لكي نتمتع بالفضيلة ونحن فرحين، لأنه إن كان أحد وهو يُحِب أو يعشق امرأة، لا يشعر بأي أمر من الأمور اليومية المحزنة، فكم يكون مقدار السعادة التي سيتمتع بها ذاك الذي يشتهي هذا العشق الإلهي النقي إلى أقصى حد .

إن هذا العشق الإلهي لأمر عظيم جداً، هو ملكوت السموات، هو تمتع بالخيرات، إنه المسرة، والابتهاج، والفرح، والسعادة. ومهما تكلمت فلن أستطيع أن أعرض شيئاً يستحق أن يعادله، لكنني بالخبرة أعرف مدى عظمة هذا العشق الإلهي.

ولهذا قال النبي "*ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب*"[٤٦٢]. لنخضع إذًا ولنتمتع بمحبته. لأنه بسبب هذه المحبة، سنرى ملكوت السموات، وسنحيا حياة ملائكية، وعلى الرغم من أننا نحيا على الأرض، إلا أننا لن ننقص شيئاً عن أولئك الذين يسكنون السماء، وبعد انتقالنا من هنا، سنَمْثُل أمام عرش المسيح أكثر بهاءً من الجميع وسنتمتع بمجده الذي لا يعبر عنه، والذي ليتنا جميعًا نناله بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة إلى أبد الدهور أمين.

+ + + + + + +

---

[٤٦٢] مز ٣٤: ٨.

عظة ٢٥ :

"هذا وإنكم عارفون الوقت أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم" (رو١٣:١١).

١ ـ بعدما أوصى بكل ما ينبغي فعله، يحثهم مرة أخرى أن يتمموا الأمور الصالحة على وجه السرعة. لأن وقت الدينونة قريب جدًا، تمامًا كما كتب إلى أهل كورنثوس، قائلاً: "*الوقت منذ الآن مُقصر*"[٤٦٣]. وكتب أيضًا إلى العبرانيين "*لأنه بعد قليل جدًا سيأتي الآتي ولا يُبطئ* "[٤٦٤]. لكنه في هاتين الرسالتين قال هذا لكي يُشدد الذين تعبوا، ولكي يُعزيهم في المتاعب، والتجارب المتوالية، بينما هنا في هذه الرسالة، قال هذا لكي يوقظ أولئك الذين ناموا (أي المتغافلين). كذلك فإن هذا الكلام نافع للاثنين أيضًا. لكن ما معنى قوله: "*أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم*"؟ يعني أن القيامة قريبة، أن الدينونة الرهيبة قريبة، أن اليوم الذي يحرق مثل أتون النار هو قريب، ويجب بالأكثر أن نتخلص من اللامبالاة. لأن "***خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا***".

أرأيت كيف أنه يقدم الآن موضوع القيامة لهؤلاء؟ لأن الزمن يمر ووقت الحياة الحاضرة يُستَنزَف، ويأتي زمن الحياة الأبدية الذي هو قريب جدًا. إذًا لو أنك مُستَعد وتتمم كل ما أوصى به، يصير اليوم يوم خلاص لك، أما إذا حدث العكس، فإن اليوم لن يكون بعد يوم خلاص.

لكنه لم يعظ في البداية عن الأمور المحزنة، بل عن النافعة، لكي يُخلّصهم بذلك من إشتهاء الأشياء الحاضرة. بعد ذلك، لأنه كان من الطبيعي أن يُظهِروا إستعدادًا أكثر في البداية، طالما كانت رغبتهم شديدة، إلاّ أن هذه الرغبة تبدأ في التلاشي تماماً مع مرور الزمن، وهنا يبدأ يوصيهم بأنهم لا يجب أن يفعلوا العكس، فلا يتراخوا كلما عَبَر الزمن، بل بالأحرى يُكثروا من محاولاتهم. لأنه كلما أقترب موعد الملك، وكلما زاد الإستعداد

---

[٤٦٣] اكو٧:٢٩.

[٤٦٤] عب١٠:٣٧.

وإقترب موعد المكافأة، بقدر ما ينبغي أن نستعد بالأكثر للجهاد. لأن هذا ما يفعله العدّائون، حين يَصلُون بالقرب من نهاية السباق وإستلام الجائزة، فهم يُزِيدون بالأكثر من بذل الجهد، ولهذا قال "خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا".

٢ـ " قد تناهى الليل وتقارب النهار" (رو١٣: ١٢).

إذن إن كان الليل ينتهي، فالنهار يقترب، فلنصنع بالأولى أعمال النور، وليست أعمال الظلمة. خاصةً وأن هذا هو ما يحدث في الأمور الحياتية، حين نرى أن الليل يركض نحو بزوغ الفجر، ونسمع تغريد العصافير، فإن كل واحد يوقظ قريبه، وإن كان بالطبع مازالت هناك ظلمة. ونظراً لأن الليل يرحل بالفعل، فنحن نتصرف في عجالة ونتمم الشيء تلو الأخر، فالنهار قد طلَع، لذا ينبغي أن نصنع كل ما يليق بالنهار، أي نرتدي ملابسنا، ونفيق من الأحلام، ونودع النوم، لكي يجدنا النهار مستعدين، حتى لا نبدأ حين مباشرة أن نستيقظ بدون إستعداد، بل نبدأ ونفوسنا مستعدة حين تشرق الشمس. إذًا ما نصنعه في حياتنا اليومية، فلنصنعه هنا أيضًا. فلنتجاوز الخيال، ولنتخلص من أوهام الحياة الحاضرة، ولنترك النوم العميق، ولنلبس الفضيلة مقابل الملابس العادية. ولكي يعلن الرسول عن كل هذا، قال " **فلنخلع أعمال الظلمة. ولنلبس أسلحة النور** ". خاصةً وأن يومنا يَدعُونا للإصطفاف والخوض في المعركة.

لكن لا نخاف حين نسمع إصطفاف ومعركة، لأن التسلح بالأسلحة المادية، يُعتبر أمراً ثقيلاً وغير مرغوب فيه، بينما هنا هو أمر مرغوب فيه ويستحق أن نطلبه، لأن الأسلحة هنا هى أسلحة النور. ولهذا فإنها تبدو لك أكثر بهاءً من أشعة الشمس، فهي تشع نورًا كثيراً، وتؤّمنك، وتجعلك تشرق بشكل فائق، لأنها أسلحة النور. ماذا إذًا؟ هل هناك حاجة لنحارب؟ نعم بالطبع ولكن لا لنُجهِد أنفسنا، ونتعب، لأن هذه ليست حرباً، بل فرحاً واحتفالاً. هذه هي طبيعة هذه الأسلحة (أسلحة النور)، وهذه هى قوة القائد. وتمامًا مثل العريس الذي يتزين ويخرج من غرفة العرس، هكذا أيضًا ذاك

الذي هو مُدَعَم بأسلحة النور، طالما أن كل من الجندي والعريس، يتزين بها في مسيرته. لكن بعدما قال إن النهار اقترب، لم ينتظر بل يقدمه على الفور، لأنه يقول:

"لنسلك بلياقة كما في النهار" (رو١٣:١٣).

الآن بَلغَ النهار، وأخذ يجذب هؤلاء عن طريق تلك الأمور التي يَنصح بها الكثيرين، أي الوقار. لأنه تحدَّث لهؤلاء بحديث طويل عن المجد، ولم يقل "أن تسلكوا"، بل قال "لنسلك"، لكي يجعل النصح بلا ضجر، ويخفف من التوبيخ.

"*لا بالبطر والسكر*"، لا أن يمنع المرء عن أن يشرب، بل يُوصيه بألا يشرب بشكل مبالغ فيه. تمامًا مثل الكلام اللاحق أيضًا، إذ يُشير إليه بنفس المعيار قائلاً: "*لا بالمضاجع والعهر*". وبالطبع هو هنا لا يُبطِل الإتحاد الجسدي في إطار الزواج، لكنه يرفض الزنا. "*لا بالخصام والحسد*". أي يُحرِّم الأمور القاتلة من أهواء، وشهوة، وغضب، ولهذا تحديدًا لا يبطِل هذه الأمور فقط، بل ويُبطل مصادرها أيضًا. لأنه لا يوجد شيء يُشعِل الشهوة بهذا القدر الكبير، ويجعل الغضب أمراً لا مفر منه، سوى السكر والفجور. ولذلك بعدما قال أولاً "*لا بالبطر والسكر*"، أضاف لا بالمضاجع والعهر. لا بالخصام والحسد". ولم يتوقف عند هذا الحد، بل بعدما نزَّع عنَّا الملابس المدنسة، اسمع كيف يزيّننا فيما بعد قائلاً:

" بل البسوا الرب يسوع المسيح " (رو١٣:١٤).

لم يشر بعد إلى الأعمال، بل حثهم (عليها) إلى أقصى درجة. لأنه حين كلّمهم عن الشر، أشار للأعمال، بينما حين تَكلّم عن الفضيلة، لم يشر بعد للأعمال، بل للأسلحة، مظهرًا أن الفضيلة تقود من يقتنيها إلى الأمان وإلى كل بهاء. وهنا أيضًا لم يتوقف، بل استمر في الحديث عن ما هو أعظم، والذي هو أمرٌ مُرعب جدًا، يُقدم لنا الرب نفسه كملبس، الملك ذاته يقدمه كملبس. لأن ذاك الذي هو لابس الرب، يملك كل الفضيلة.

لكن عندما يقول "البسوا" يأمر أن نلبسه نحن بالكامل، تمامًا كما يقول في موضع آخر "*إن كان المسيح فيكم*"[٤٦٥]، وأيضًا "*ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم*"[٤٦٦]. كذلك يريد أن نكون نحن أنفسنا مسكنًا للمسيح، ونلبسه كملبس، ويكون هو لنا كل شيء من الداخل ومن الخارج. لأنه هو كمالنا، إذ هو "*ملء الذي يملأ الكل في الكل*"[٤٦٧]. وهو الطريق، والزوج، والعريس، لأنه يقول "***خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح***"[٤٦٨]، وهو الأصل أو الجذر، والماء وطعام الحياة "***أحيا لا أنا المسيح يحيا فيّ***"[٤٦٩]، وهو الرسول، ورئيس الكهنة، والمعلّم، والأب، والأخ، والوارث، والشريك في قبرنا وصليبنا "***فدفنا معه .. للموت .. صرنا متحدين معه بشبه موته***"[٤٧٠]، المتوسلٌ "***نسعى كسفراء عن المسيح***"[٤٧١]، والشفيع عنا أمام الآب "بالحرى يشفع فينا"[٤٧٢]، وهو المسكن والساكن "***يثبت فيّ وأنا فيه***"[٤٧٣]، وهو المُحب "*أنتم أحبائي*"[٤٧٤]، وهو الأساس وحجر الزاوية، ونحن أعضائه، ونحن الحقل، والبناء، والأغصان، والعاملون معه أيضًا.

وما هو الذي لا يريده منّا، ولا يرغب أن يكون فينا، لكي يجمعنا معاً ويوَحِدنا بكل الطرق، الأمر الذي هو سمة ذاك الذي يُحب بشكل فائق. إذًا لتخضع، وبعدما تستيقظ من النوم، إلبس المسيح، وبعدما تلبسه، قدّم له جسدك بالطاعة. لأن هذا هو ما أشار له قائلاً: " ولا تصنعوا تدبيرًا للجسد لأجل الشهوات".

---

[٤٦٥] رو٨: ١٠.
[٤٦٦] أف٣: ١٧.
[٤٦٧] أف١: ٢٣.
[٤٦٨] ٢كو١١: ٢.
[٤٦٩] غلا٢: ٢٠.
[٤٧٠] رو٦: ٤ـ٥.
[٤٧١] ٢كو٥: ٢٠.
[٤٧٢] رو٨: ٣٤.
[٤٧٣] يو٦: ٥٦.
[٤٧٤] يو١٥: ١٤.

فكما أنه لم يمنع شرب الخمر، بل مَنَع السكر، ولم يمنع الزواج، بل مَنَع الفجور، هكذا لم يحرم الاعتناء بالجسد، بل أنه قد حذَّر من الإشباع المبالغ فيه لشهوات الجسد، فمن حيث أنه يأمر بالإهتمام بالجسد، اسمع ماذا يقول لتيموثاوس "*استعمل خمرًا قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة* "[٤٧٥]. هكذا هنا أيضًا، فهو يوصي بالاهتمام بالجسد، ولكن من أجل سلامة الصحة، وليس من أجل الفجور. إن توفير الظروف التي تساعد على إشعال النار بشكل مخيف، لا يمكن إعتبارها رعاية أو اهتمام. ولكي تعلموا جيدًا، ماذا يعني، على أية حال، إعتناء المرء بالجسد لإشباع شهواته، ولتدركوا كيف يمكن تجنب الاهتمام الخاطئ، عليكم أن تتذكروا السكارى، والذين هم عبيد لبطونهم، والذين يفتخرون بملابسهم، والفاسقين، وأولئك الذين يحيون حياة اللذة، الحياة المملوءة بالمتع، وستعرفوا معنى ما قيل.

لأن أولئك الذين يفعلون كل شيء، هم يفعلون ذلك، لا من أجل أن يصيروا أكثر صحة، بل لكي يشعروا بالمتعة، لكي يُشعِلوا الشهوة في نفوسهم. لكن أنت يا من تلبس المسيح، لتطلب شيئًا واحدًا فقط، أي كيف يكون لك جسدًا معافيًا، وتعتني به إلى هذا الحد فقط، وليس أكثر من ذلك، بل أن تخصص كل رغبتك لاقتناء الصلاح الروحي أو الخيرات الروحية. هكذا سيمكنك أن تستيقظ من هذا النوم، دون أن تشعر بثقل من هذه الشهوات المتنوعة. كذلك فإن الحياة الحاضرة، هي نوم، وكل ما يحدث في هذه الحياة، لا يختلف أبدًا عما يحدث في الأحلام. وتمامًا مثل هؤلاء الذين ينامون، ويهذون، ومرات كثيرة لا يرون شيئًا صحيحًا، هكذا نحن أيضًا، وربما نكون أسوأ بكثير. ممن يرتكب أفعالاً فاضحة أثناء الحلم، فهو لا يُعَاقَب عليها عندما يستيقظ، بل يتخلص منها. أما بالنسبة لما يحدث بالفعل فإن عقابه لا ينتهي، وهكذا العار الناتج عن هذه الأفعال، وكل من صار غني في الحلم أيضًا، ينال توبيخًا عندما يشرق النهار، لأنه

---

[٤٧٥] ١تيمو٥:٢٣.

حلم بالغنى، وقبل أن يطلع النهار، وقبل أن ننتقل إلى هناك، تتبدد كل الأحلام.

٣ـ ليتنا نُلقي عن كاهلنا هذا النوم الشرير، لأنه إن كان النهار قد أمسك بنا في حالة النوم، فسيتبعه الموت الأبدي. بل إننا قبل ذلك اليوم (أي يوم الدينونة) سنكون صيدًا سهلاً لكل الأعداء من الأشرار، الذين يأتون إلينا ونحن في حالة خمول ونوم، وإن أرادوا أن يهلكونا، فلن يوجد ما يمنعهم من ذلك. لكن إن كان الساهرون (أي اليقظون) هم كثيرون، فإن الخطر لن يكون كبيرًا بهذا القدر، لأنه إن أشعل واحد أو أثنين سراجًا وظل ساهرًا، بينما كان الآخرون نيام، تمامًا مثلما يحدث في منتصف الليل، يكون الخطر أقل. ولذلك ينبغي علينا أن نتحلَىَ بالكثير من اليقظة والكثير من الحذر، حتى لا نُصاب بشرور لا تُعالج أبدًا. ألا يبدو لنا الآن كيف أن النهار مشرق؟ ألا نعتقد أننا استيقظنا وأننا هادئون؟ لكننا جميعاً ـ ربما تسخرون من الكلام، لكنني سأقوله ـ نُشبه أولئك الذين يَغطّون في نوم عميق. إن الأكثرية تَغِط في نوم عميق، بينما الشيطان يثقب الأسوار ويفترس كل النائمين، ويسلب كل ما يوجد في الداخل، صانعًا كل هذا بكل اطمئنان، كمن يعمل في ظلام دامس. أو من الأفضل أن نقول، إن الشيطان يعرف أنه يستحيل على أحد من النائمين أن يراه، ليتنا نفكر في عدد الذين إنزعجوا من جراء الرغبات الشريرة، والذين سيطر عليهم إدمان الفجور الفظيع، وكم عدد الذين يطفئون نور الروح تمامًا. ولهذا فإن النائمون يَرون أمورًا غير حقيقية ويسمعون وساوس وهمية، ولا يصغون لكل ما يُقال لهم هنا.

لكن إن كنت أنا أكذب عندما أتحدث عن هذه الأمور، وأنت متيقظًا، أخبرني، ماذا حدث اليوم هنا، إن لم تكن قد سمعت هذه الأمور كأنها في حُلم؟ وأنا أعرف بالطبع أن البعض يتساءلون لماذا لم أتحدث عن هذه الموضوعات في مواجهة الجميع[٤٧٦]. لكن يا مَنْ أنت مُذنب فيما يختص بالأمور

[٤٧٦] يقصد هنا مواجهة حتى الذين تغيبوا عن الحضور.

السالفة، ويا مَنْ دخلت هنا بلا فائدة، تكلم: أي نبي، وأي رسول حدّثنا اليوم، وعن أي الأشياء تحدَّث. ولكنك أنت لا تستطيع أن تقول، لأنك سمعت وساوس كثيرة هنا، كما في حلم، دون أن تستمع للأمور الحقيقية. لكن دَعنَا نتكلم عن هذه الأمور للنساء، خاصةً وأن النوم عندهن كثير، وليته هو نوم، لأن من ينام لا يتكلم بالشر، ولا بالصلاح، بينما اليقظ مثلكم يتكلم كثيراً عن شره، مُحصيًا المكاسب، وحاسبًا الأرباح والقروض، حاملاً في ذاكرته تجارته القذرة، زارعًا الأشواك في نفسه بكثافة، غير تارك البذرة قليلاً حتى تثمر. عليك أن تستيقظ تمامًا، وإنزع هذا الشوك من الجذور، وإلقي عنك السكر، لأن من هنا يأتي النوم. لكنني لا أقصد بالسكر، سكر الخمر فقط، بل الإنشغال بالهموم المعيشية أيضًا، والتي بسببها، يأتي إدمان الخمر المُسكِر.

وأنا لا أنصح الأغنياء فقط بهذه الأمور، بل والفقراء أيضًا، وبخاصةً أولئك الذين يصنعون موائد للأصدقاء. لأن هذه خالية من أي إستمتاع ولا تجلب راحة، بل جزاءاً وعقوبة. لأن الإستمتاع ليس أن نتكلم كلاماً وقحاً، بل أن نتكلم بوقار، أن نشبع، لا أن نُتخَم، أما إن اعتقدت أن في هذه الموائد لذة، فإظهر لي في المساء هذه اللذة. إنك لا تستطيع أن تُظهرها، وأنا لم أتكلم بعد عن الأضرار الناتجة من جراء هذه الموائد. بل أكلمك أولاً عن اللذة التي تذبل على الفور. لأنه في لحظة واحدة تنفَض المائدة ويختفي الفرح. لكن عندما أشير إلى القيء، وأوجاع الرأس، والأمراض التي لا تُعَد، وعبودية النفس، ماذا ستقول في كل هذه الأمور؟ فهل لأننا فقراء، يجب أن نسلك بلا وقار؟ إنني أتكلم عن هذه الأمور، لا لكي أمنعكم أن تَعِدوا موائد مشتركة، ولا لكي أمنعكم عن أن تُقيموا طعام مشترك، بل لكي أمنعكم أن تسلكوا بلا وقار، ولأنني أريد للمتعة أن تكون متعة حقيقية، وألا تكون عقابًا، وسكرًا، وعربدة. وليعلم الأمم، أن المسيحيين يعرفون على أية حال كيف يتمتعوا بوقار. يقول المرنم "*افرحوا في الرب بخوف*"[477].

[477] مز ٢:١١ (س).

وكيف يكون ممكنًا أن نفرح؟ نفرح ونحن نقول التسابيح، ونرفع الصلوات، ولتحل المزامير محل تلك الأناشيد السفيهة.

وهكذا فإن المسيح سيكون حاضرًا بجوارنا على المائدة، يبارك كل الطعام والشراب، عندما نصلي، وعندما نُرنِّم روحيًا، وعندما ندعو فقراء إلى الشركة في الطعام المقَدَم، وعندما نُدبر كل شيء بطاعة ووقار على المائدة. هكذا أيضًا يتناول أعضاء الكنيسة الطعام والشراب، ويسبح الجميع الرب، ويحل هذا التسبيح مكان الصياح والأغاني غير اللائقة. ولا تقل لي، إنه قد سَّاد ناموس آخر، بل عليك أن تصحح التصرفات الشريرة، هكذا يقول: "*فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئًا فافعلوا كل شيء لمجد الله*"[٤٧٨]. خاصةً وأن الرغبات الشريرة تتولد من هذه الموائد، ومنها يأتي الفجور، ومن هنا أنتم تَحتَقِرون نساءكم، بينما تُكرمون العاهرات، من هنا يأتي التفكك الأسري، وتأتي شرور لا حصر لها، وتَعُم الفوضى في كل شيء، فبعدما تركتم النبع النقي، ركضتم إلى مجرى الوَّحل. وحيث إن جسد الزانية هو وحل، فإنني لا أسأل أحداً في هذا الأمر، بل أسألك أنت يا من تتمرغ في الوَّحل، إن لم تخجل من نفسك، إن لم تتصور إلى أي مدى تكون نجاستك بعد إرتكاب الخطية.

٤ ـ ولهذا أتوسل إليكم أن تتجنبوا الزنا، ومصدره الذي هو السُكر. لماذا تزرع حيث لا يمكن أن تحصد، أو ربما حتى وإن حصدت بعد، فإن الثمر يحمل لك كثيراً من العار؟ لأنه، حتى وإن وُلد طفل من هذه العلاقة الآثمة، فإن هذا يُخجِلك، ويكون هذا الطفل قد ظُلِم بسببك، طالما أنه يعتبر أبناً غير شرعي، ومن أصل سيء. حتى وإن كنت تترك له أموالاً طائلة، فهو يصير محتقراً في البيت، ومحتقرًا في المدينة، ومحتقرًا أمام القضاء: هذا هو المولود من زانية، هذا هو المولود من خداع، بل وأنت أيضًا تكون، مُحتقراً حين تعيش، وحين تموت. لأنه حتى وإن مت بعد، تظل ذكريات أعمالك المشينة باقية. لماذا إذًا تلصق العار بالجميع؟ لماذا تبذر، في مكان يخنق الثمر

[٤٧٨] ١كو ١٠: ٣١.

الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح"، وأيضًا "*فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت*" و "*لا يُخسِّركم أحد الجعالة*"[481]. بل ويكتب إلى أهل غلاطية بدقة كبيرة ويطلب من هؤلاء الإيمان والكمال في موضوعات مثل هذه . لكنه هنا لا يستخدم هذا الإسلوب بسبب انهم كانوا حديثي الإيمان . إذًا لا يجب أن نقول هذه العبارة "*فليتيقن كل واحد في عقله*"، عند مناقشة أي موضوع، لأنه حين يكون الكلام عن العقائد أسمع ماذا يقول: "*إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما*"[482]. وأيضًا "*أخاف إنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح*"[483]. ويكتب إلى أهل فيليبي قائلاً: "*أنظروا الكلاب أنظروا فعلة الشر أنظروا القطع*"[484]. أما بالنسبة إلى أهل رومية. فنظرًا لأن الوقت لم يكن مناسبًا لتصحيح هذه الأمور. فهو يكتب قائلاً: "*فليتيقن كل واحد في عقله*". خاصة وأن الكلام كان عن الصوم أيضًا، وهو قد تكلم عن هذه الأمور لكي يمحو تفاخر أولئك ولكي يبدد الخوف عند هؤلاء.

" الذي يهتم باليوم فللرب يهتم والذي لا يهتم باليوم فللرب لا يهتم. والذي يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله. والذي لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله" (رو١٤-٦).

هنا أيضًا هو مستمر في الإهتمام بهذه الأمور. بالطبع ما يقوله يعني الآتي: أن الأمر لا يتعلق بالمبادئ الأساسية. فإذا كان هذا الأمر يفعله هذا وذاك لأجل الله، فإن ما يُطلب هو أن الاثنين (أي الذي يهتم والذي لا يهتم والذي يأكل والذي لا يأكل) يجب أن يختما بالشكر على ما يقومان به، خاصةً أن كليهما يشكران الله . إذًا فإن كان الإثنان يشكران الله، فسيكون

---

[481] كو٢: ١٨.

[482] غلا١-٩.

[483] ٢كو١١-٣.

[484] في٣-٢.

إذن ليظهر المسيح من داخلنا من كل الوجوه. وكيف سيظهر؟ إن فعلت ما يفعله. وماذا فعل هو؟ "*أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه*"[٤٧٩]. هذا ما يجب أن تتشبه به أنت أيضًا. **كان يجب أن يحيا متمتعًا بالطعام، فأكل خبز الشعير، كان يحتاج للسفر فلم يجد خيولاً، ودواباً، فمشى مسافات طويلة جدًا، حتى أنه تعب أيضًا، كان يحتاج أن ينام، لكنه رقد وجعل من مقدمة السفينة وسادة لرأسه. احتاج أن يُجلسهم للطعام، فأمر أن يجلسوا فوق العشب. بل وملابسه أيضًا كانت زهيدة، وفي حالات عديدة بقى وحده، دون أن يُحضر أحد معه**، وطالما أنك تعرف كل ما حدث في الصليب، والإهانات، وكل شيء بشكل عام، فلتفعل كل هذا، ولا تهتم بإشباع شهوات الجسد، وبذلك تكون قد لبست المسيح. لأن إشباع الشهوات لا يحمل في طياته أي سعادة، طالما أن هذه الشهوات تَلِد أيضًا أشياء أخرى مؤلمة، ولن تكتفِ أبدًا بالشبع. إن الذي يعيش في الشهوات دوماً يشبه من يظل عطشاناً، وحتى ولو كانت بالقرب منه آبار مياه لا حصر لها، فإنه لن يربح شيئاً من ذلك، طالما أنه لا يستطيع أن يُطفئ شهوته.

أما إذا تدرب الجسد على الحرمان، فلن يصاب مطلقًا بلهيب الشهوات، بل سيفارقك السكر، وأعمال الفجور. إذاً عليك أن تأكل بقدر ما توقف الجوع، وتلبس، بقدر ما تتغطى فقط، ويجب ألا تزين الجسد بالملابس، لكي لا تهلكه بأفعالك المشينة، خاصةً وأنك بهذا تجعله أكثر وهنًا، وتضر بالصحة، بعدما تضعفه بكثير من الحماقة. لكي يكون لك هذا الجسد مثل عربة حسنة للنفس، لكي يجلس القائد بأمان أمام عجلة القيادة، ولكي يستخدم الجندي الأسلحة بسهولة، فعليك ممارسة كل ذلك كما ينبغي. لأن ما يجعلنا لا نقبل الهزيمة، ليس هو أن نمتلك الكثير، بل هو أن نحتاج للقليل، لأن ذاك (أي الذي يمتلك الكثير)، حتى وإن لم يُعتَدىَ عليه بعد، يخاف، بينما ذاك (الذي لا يحتاج إلاّ للقليل)، حتى وإن أُعتُدىَ عليه، سيكون في حالة أفضل من أولئك الذين لم يُعتَدىَ عليهم بعد، ولهذا

---

[٤٧٩] لو ٩:٥٨.

سيكون دائمًا في بهجة أكثر. إذًا يجب ألا نطلب الكثير، وكذلك نطلب ألا يصيبنا أحد بالضرر، بل وحتى إذا كان يريد بعد أن يؤذينا، فإنه لن يستطع. وهذا لن يحدث بأي حال على الإطلاق، حين نحتمل الحرمان، ولا نشتهي المزيد. لأنه هكذا إنطلاقًا من هذا السلوك، سنستطيع أن نحيا حياة مملوءة بالسعادة، وسننال خيرات الدهر الآتي، بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة إلى دهر الدهور آمين.

+ + + + + + +

الأصحاح الرابع عشر

الإصحاح الرابع عشر

العظة ٢٦ :

" مَن هو ضعيف في الإيمان فاقبلوه لا لمحاكمة الأفكار. واحد يؤمن أن يأكل كل شيء وأما الضعيف فيأكل بقولاً" (رو١٤: ١-٢).

١ـ أعرف إن ما قيل هو أمر غير مفهوم لدى الكثيرين. ولهذا يجب أولاً أن أتكلم عن موضوع هذا الجزء في مجمله، وعن ما يريد الرسول بولس أن يُصححه وهو يكتب عن هذه الأمور. إذًا ماذا يريد أن يُصحِّح؟ هناك كثيرون من اليهود قد آتوا إلى الإيمان، بيد أنهم لم يتحرروا بعد من الضمير الناموسي، هؤلاء ظلوا حتى بعد الإيمان، متمسكين بالتمييز بين الأطعمة، ولم يكونوا قد تجرأوا بعد على الإبتعاد بشكل نهائي عن الناموس. ثم بعد ذلك وحتى لا ينكشف أمرهم، تَجنَّبوا فقط أكل لحم الخنزير، ثم أمتنعوا فيما بعد عن كل اللحوم وأقتصر طعامهم على البقول. حتى يبدو ذلك صومًا، وليس حفظًا للناموس. البعض الآخر أيضًا كانوا أكثر كمالاً، دون أن يصنعوا تمييزًا مشابهًا، وقد صاروا مزعجون وغير محبوبين لأولئك الذين يحفظون هذه الأمور، وسببوا لهم ضيقًا من جراء تبكيتهم وإدانتهم المستمرة لهم.

إذن فخشية الرسول بولس، هي ربما وهم يشرعون في تصحيح شيئًا بسيطًا، من الممكن أن يحطموا كل شيء، وفي محاولتهم الرامية إلى إثناء المؤمنين عن الاهتمام بالأطعمة، يجعلونهم يخسرون الإيمان أيضًا، مبادرين إلى تصحيح كل شيء قبل الوقت المناسب، فيتسببوا في وقوع الخسارة في الأوقات المناسبة، ويبلبلوا أفكار هؤلاء في إعترافهم بالمسيح، من جراء توبيخهم الدائم، فيبقوا هكذا بلا تقويم في كلا الجانبين، أي في الحياة الجسدية، وفي الحياة الروحية، أنظر إلى رؤية الرسول بولس وكيف إنه يعتني بالجانبين معًا، بحكمته المعتادة . لأنه لا يريد أن يقول لأولئك الذين قاموا بالتوبيخ، إنكم سلكتم بصورة سيئة، حتى لا يبدو إنه يدعم أولئك في حفظهم للناموس، ولا أيضًا يقول لهم إنكم صنعتم حسنًا، حتى لا يجعلهم أكثر عنادًا في التمسك بموقفهم، لكنه يؤنِّب بحكمة، ومَن الواضح إنه

يؤنب من هم أكثر قوة على المستوى الروحي، لكنه كان يوجه مجمل حديثه للذين يحفظون الناموس، وبعد ذلك يحوّله تجاه الذين قاموا بالتوبيخ، هذا النُصح هو في كل الأحوال أقل إزعاجًا، عندما يوجهه المرء لآخر، أي عندما يمس شخصًا آخرًا، حتى لا يترك مَنْ يوبخه ليصل إلى مرحلة الغضب، وفي نفس الوقت وبدون أن يشعر أحد، يقدم دواءً للعلاج.

لاحظ إذًا كيف إنه يصنع هذا بتعقل وفي اللحظة المناسبة. لأنه بعدما قال: "*ولا تصنعوا تدبيرًا للجسد لأجل الشهوات*"[٤٨٠]، فإنه وجَّه كلمته نحو هؤلاء، لكي لا يبدو إنه يتكلم مدافعًا عن أولئك الذين يوبخونهم، ويحرضونهم على الأكل من جميع الأطعمة، خاصةً وأن العضو الضعيف يحتاج دومًا لرعاية أكثر. ولهذا يتوجه مباشرة نحو العضو القوي قائلاً: "*ومن هو ضعيف في الإيمان*". أرأيت أول ضربة وجهت مباشرة للقوي؟ لأنه يقول "*من هو ضعيف*"، لقد أظهر كيف أن ذاك هو مريض. ثم وجَّه بعد ذلك لطمه ثانية، قائلاً: "فاقبلوه" إذًا فقد أظهر مرة أخرى كيف أن الضعيف يحتاج إلى كثير من الرعاية، مُعتَبرًا الضعف نموذج لأسوأ مرض. " لا لمحاكمة الأفكار"، وها هي الضربة الثالثة التي يُضيفها. هكذا يوضح أن هذه هي خطيئته (أنه ضعيف في الإيمان)، حتى يُحدِد ويُميّز أولئك الذين لا يفعلون هذه الخطية، لكن الذين هم أصدقاء يقبلون علاجه. أرأيت كيف إنه يعطي إنطباع بأن كلامه موجَّه لهؤلاء الضعفاء، لكنه في الحقيقة يوبخ الأقوياء، دون أن يشعر به أحد، ودون أن يسبب إزعاجًا لأحد؟. وبعدما أشار للاثنين في آن واحد، أشار إلى أحدهما بالمديح، بينما أشار للآخر بالإتهامات. لأنه أضاف قائلاً: " واحد يؤمن أن يأكل كل شيء"، يُحَكم عليه من خلال الإيمان، "*أما الضعيف فيأكل بقولاً* " فهو يؤنب ذاك أيضًا، لأجل ضعفه.

٢ـ ولأنه وجّه ضربة مؤثرة، أخذ يُعزيهم مرة أخرى قائلاً:

---

[٤٨٠] رو١٣: ١٤.

" لا يزدرِ من يأكل بمن لا يأكل" (رو١٤-٣).

لم يقل "ليترك"، ولم يقل " لا يتهم"، ولم يقل "لا يُصحّح"، بل قال " لا يزدري" به، ولا يسخر منه، لكي يُظهر انهم صنعوا أمرًا يستحق السخرية. ولكنه لا يتكلم هكذا عن الذي لا يأكل، فماذا يقول؟ يقول " ***ولا يَدِن مَنْ لا يأكل مَنْ يأكل***". لأنه تمامًا كما أن الكاملين في الإيمان قد قلّلوا من شأن الذين لا يأكلون كقليلي الإيمان ومرائين ومزَيفين، بل ومتهودين، بالمثل الذين لا يأكلون قد أدانوا من يأكلون كمخالفين أو كشرهين، ومن الطبيعي أن يكون من بين الذين يأكلون، أناس من الأمم. ولهذا أضاف أيضًا "***لأن الله قبله***". أما من جهة الذي يأكل فهو لا يتكلم هكذا. وإن كان الإزدراء قد أرتبط بمَنْ يأكل، لأنه كان شرهًا، بينما اللوم للذي لم يأكل، لأنه كان قليل الإيمان . لكنه عَكَس هذا الوضع، لكي يُظهر أن مَنْ يأكل لا يستحق فقط الإزدراء، بل أيضًا الإدانة: إلا أن الرسول بولس لا يُقر بإدانته، ولهذا أضاف أن "*الله قبله*".

إذن لماذا تدينه لأنه خالف الناموس؟ فالله قد قبله، إذ يقول، "لأن الله قبله". أي أن الله أظهر له نعمته غير الموصوفة، وخلّصه من كل الإدانات. ثم بعد ذلك أيضًا يقول للقوي:

" من أنت الذي تدين عبد غيرك" (رو١٤-٤).

وبناء عليه فمن الواضح أن هؤلاء (الذين لا يأكلون) لم يزدروا فقط بالذين يأكلون بل أدانوهم أيضًا. "***هو لمولاه يثبت أو يسقط***"، ها هو يوجه لطمه أخرى. ومن الواضح أن الغضب موجه للقوي، لكنه موجه أيضًا للضعيف. لأنه عندما يقول "***ولكنه سيثبت***"، يُظهر انه ما زال بعد متزعزعًا، ويحتاج لكثير من الإهتمام ولقدر كبير من العناية، حتى إنه يدعو الله طبيبًا لهذه الأمور، لأنه يقول "***لأن الله قادر أن يُثبّته***"، الأمر الذي نقوله لمن هم في حالة يأس شديد. ولكي لا ييأس فهو يدعوه عبدًا، على الرغم من إنه ضعيف، قائلاً: "*من أنت الذي تدين عبد غيرك؟*". هنا هو يوبخ الضعيف

أيضًا، بصورة غير مباشرة. لا بإعتباره إنه يصنع أمور لا تستحق الإدانة، بل لأنه عبد للغير، أي ليس عبدًا لك، بل هو عبد لله.

بعد ذلك يعزيه مرة أخرى، فلم يقل، إنه "يسقط"، لكن ماذا قال؟ قال: "*يثبت أو يسقط*". سواء حدث هذا أو حدث ذاك، فإن الرب يهتم في كلتا الحالتين، طالما أن الضرر يتلاشى، تمامًا مثلما يحدث مع الغني، عندما يثبت. فإن هذه الأمور، تكون غير جديرة بالمرة بالإهتمام الذي يليق بالمسيحيين، إن لم نفهم أيضًا هدف القديس بولس منها، والذي لا يريد أن يوبّخ هؤلاء قبل الوقت الملائم. أيضًا، الأمر الذي أقوله دائمًا، أنه يجب علينا أن نفحص القصد، والدافع من وراء هذه الأقوال، وما الذي يريد أن يحققه الرسول بولس بهذا الكلام. فهو لم يتورط حين قال هذه الأقوال. لأنه إن كان الله الذي كابد الضرر وتحمل إصلاحه، لم يصنع شيئًا مسبقًا للإنسان الساقط، فكيف تكون أنت فضوليًا أكثر مما ينبغي، ومتثاقلاً على هذا الإنسان وتدينه أيضًا، وتكون سببًا في ضيقه، وذلك في الوقت غير المناسب؟

٣-" واحد يعتبر يومًا دون يوم، وآخر يعتبر كل يوم " (رو١٤-٥).

يبدو لي هنا إنه يلمح رويدًا رويدًا إلى الصوم. خاصة وإنه كان أمرًا طبيعيًا أن البعض ممن كانوا يصومون، قد أدانوا وبشكل مستمر كل من كان لا يصوم، أو كان أمرًا طبيعيًا بحسب هذه التمييزات، أن البعض كانوا يأكلون في بعض الأيام، ويصومون في أيام أخرى. ولهذا قال "***فليتيقن كل واحد في عقله***". هكذا بدّد خوف أولئك الذين صنعوا هذه التمييزات، قائلاً إن الأمر لا يستحق الإهتمام، وأبطل عداوة أولئك الذين شنوا هجومًا عنيفًا على هؤلاء، مظهرًا إنه لا يجب إطلاقًا أن يسببوا ضيقًا فيما يتعلق بهذه الموضوعات. وهذا الأمر غير مُستحَب بالمرة، لا بسبب طبيعته، بل بسبب توقيت الحديث عنه، وأيضًا من أجل أنهم حديثي الإيمان. كذلك وهو يكتب إلى أهل كولوسي بحرص شديد، نجده يمنع هذا الأمر، قائلاً "*أنظروا أن لا يكون أحدكم يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد*

الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح"، وأيضًا "*فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت*" و "*لا يُخسّركم أحد الجعالة*"[481]. بل ويكتب إلى أهل غلاطية بدقة كبيرة ويطلب من هؤلاء الإيمان والكمال في موضوعات مثل هذه. لكنه هنا لا يستخدم هذا الإسلوب بسبب انهم كانوا حديثي الإيمان. إذًا لا يجب أن نقول هذه العبارة "*فليتيقن كل واحد في عقله*"، عند مناقشة أي موضوع، لأنه حين يكون الكلام عن العقائد أسمع ماذا يقول: "*إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما*"[482]. وأيضًا "*أخاف إنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح*"[483]. ويكتب إلى أهل فيليبي قائلاً: "*أنظروا الكلاب أنظروا فعلة الشر أنظروا القطع*"[484]. أما بالنسبة إلى أهل رومية. فنظرًا لأن الوقت لم يكن مناسبًا لتصحيح هذه الأمور. فهو يكتب قائلاً: "*فليتيقن كل واحد في عقله*". خاصة وأن الكلام كان عن الصوم أيضًا، وهو قد تكلم عن هذه الأمور لكي يمحو تفاخر أولئك ولكي يبدد الخوف عند هؤلاء.

" الذي يهتم باليوم فللرب يهتم والذي لا يهتم باليوم فللرب لا يهتم. والذي يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله. والذي لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله" (رو١٤-٦).

هنا أيضًا هو مستمر في الإهتمام بهذه الأمور. بالطبع ما يقوله يعني الآتي: أن الأمر لا يتعلق بالمبادئ الأساسية. فإذا كان هذا الأمر يفعله هذا وذاك لأجل الله، فإن ما يُطلب هو أن الاثنين (أي الذي يهتم والذي لا يهتم والذي يأكل والذي لا يأكل) يجب أن يختما بالشكر على ما يقومان به، خاصةً أن كليهما يشكران الله. إذًا فإن كان الإثنان يشكران الله، فسيكون

[481] كو ٢:١٨.

[482] غلا ١-٩.

[483] ٢كو ١١-٣.

[484] في٣-٢.

الفرق بينهما ضئيلاً. ولكن عليك أن تلاحظ، كيف إنه هنا أيضًا يوجه ضربة إلى المتهود خفية، لأنه إن كان المطلوب هو الشكر، فإنه من الجليّ أن ذاك الذي يأكل هو الذي يشكر، وليس ذاك الذي لا يأكل، لأنه كيف يكون من الممكن للذي لا يأكل أن يشكر، طالما أنه لا يزال ملتزمًا بالناموس! هذا تحديدًا ما قاله بالضبط لأهل غلاطية: "*أيها الذين تتبررون بالناموس. سقطتم من النعمة*"[485]. إنه يشير بالطبع إلى هذا الأمر، لكنه لا يوضحه هكذا، لأن الوقت المناسب لذلك لم يكن قد حان بعد، بل إنه يُقيمه أولاً، ثم يوضحه أكثر بالكلام اللاحق. قائلاً:

" لأن ليس أحد منا يعيش لذاته ولا أحد يموت لذاته. لإننا إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت. فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن" (رو١٤: ٧-٨).

إنه يُشير هنا إلى الحياة مع المسيح بأكثر وضوح من خلال هذه العبارات. لأن مَنْ يحيا للناموس، كيف يمكن أن يحيا للمسيح؟ لكنه لا يبرهن على هذا ـ أي الحياة للمسيح ـ من خلال ما قاله فقط، بل إنه يشدد مَن هو حديث في الإيمان وقد بدأ في تصحيح مسيرته، ويُقنعه أن يكون طويل الأناة، موضحًا أنه من المستحيل أن يزدرى الله بهم، لكنه سيُغيّرهم في الوقت الملائم.

٤ـ إذن ماذا يعني بقوله: "*ليس أحد منا يعيش لذاته؟*" يعني إننا لسنا أحرارًا، لنا رب يريد لنا أن نحيا، ولا يريد لنا أن نموت، والأمران يختلفان بالأكثر بالنسبة لنا. لأنه بهذا يُظهر أن الله يعتني بنا أكثر جدًا من اعتنائنا بأنفسنا، ويعتبر أن حياتنا ثمينة، والموت خسارة. لأننا لا نموت لأنفسنا فقط، بل ونموت للرب إذا ما تعرَّضنا للموت. بيد أن الموت الذي يعنيه هنا، هو الموت الذي يأتي بسبب التمسك بالإيمان، بالطبع كان هذا كافيًا لكي يُقنع أن الله يعتني بنا، وأننا نحيا له، ونموت له. لكنه لم يكتف بهذا، بل يضيف أمرًا أخرًا لأنه بعدما قال: "*فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن*" وبعدما ذهب من

[485] غلا٥ـ٤.

موت الإيمان إلى الموت الطبيعي، ولكي لا يبدو أن كلامه قاسيًا، يقدم دليلاً آخرًا يؤكد عنايته الفائقة بنا. إذًا ما هو هذا الدليل؟ يقول:

" لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يسود على الأحياء والأموات" (رو١٤-٩).

ذلك لكي يُقنعك أيضًا، بأن المسيح يعتني بخلاصنا وإصلاحنا. لأنه إن لم يكن هو يعتني بنا بهذا القدر الكبير، فهل كانت هناك حاجة للتدبير[٤٨٦]؟ إذًا فإن كان قد أظهر هذا القدر الكبير من الإهتمام، لكي نصير له، فهل يزدري بنا؟ هذا أمر غير ممكن، ولن يكون، وأيضًا لن يترك هذه الرسالة العظيمة. من أجل هذا يقول: "لهذا مات". مثلما يمكن للمرء أن يقول إن هذا الشخص لن يحتمل أن يحتقر عبده، لأنه يعتني بمدخراته أو يهتم بحفظ بخزينته. فمحبتنا للمال، لن تكون بقدر ما يشتهي هو خلاصنا، إذ إنه لم يدفع مالاً من أجل خلاصنا، بل دفع دمه. ومن أجل هذا لن يحتمل أن يترك هؤلاء، الذي من أجلهم دفع هذا الثمن الكبير جدًا. لكن إنتبه لقوته أيضًا، كيف يُظهر إنها قوة لا يُعبر عنها. "*لهذا مات وعاش لكي يسود على الأحياء والأموات*". وفيما سبق قال: " *فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن*".

أرأيت مثل هذه السيادة المطلقة؟ أرأيت مثل هذه القوة التي لا تُقهَر؟ أرأيت الاهتمام التام والكامل؟ ولكي لا تقول لي إنه يعتني بالأحياء، يُشير إلى إهتمامه بالأموات أيضًا. وإن كان يعتني بالأموات، فمن الواضح إنه يعتني بالأحياء أيضًا. إذن لا شيء قد غاب عن هذه السيادة، إذ أعطي لذاته الحق بالإعتناء بنا نحن البشر أكثر مما نحرص نحن عليه، بدون النظر إلى أي أمور أخرى[٤٨٧]. لأن الإنسان بالطبع يدفع أموالاً، ولهذا فإن عبده يُبدي قدرًا كبيرًا من الاحتمال، بينما المسيح دفع الكثير مقدمًا نفسه للموت، ولن يقدم حسابًا لأحد من أجل خلاص ذاك الذي اشتراه بهذا الثمن الباهظ، ذاك الذي ربح السلطان بواسطة هذه العناية الفائقة، وهذا العمل. وهو يتكلم عن

---

[٤٨٦] يقصد تدبير تجسده.

[٤٨٧] يقصد هنا بدون أن نكون قد دفعنا أي مقابل نظير إعتناؤه بنا.

هذه الأمور مُبكّتًا المتهود ومُقنعًا إياه أن يتذكر عظمة العمل (الإلهي)، وإذ كان ميتًا، فقد عاش، وأن لا شيء قد ربحه من الناموس، وإن ما يُعَد نموذجًا لأسوأ أنواع الجحود، هو أن يرجع للناموس الذي سبق وهجره، بالرغم من أنه نال الكثير لأجل خلاصه.

٥ـ فبعدما أنتقد اليهودي، يتركه مرة أخرى قائلاً:

"وأما أنت فلماذا تدين أخاك أو أنت أيضًا لماذا تزدري بأخيك؟" (رو١٤-١٠).

ومن الواضح إنه يتكلم بالتساوي عن هذه الأمور، لكن من خلال الكلام يُظهر أن الفرق أو الإختلاف كبير. أولاً فمن خلال تسمية الآخر أخًا يكون قد أبطل كل عداوة، ثم بعد ذلك بأن يُذكّر بذلك اليوم المخوف (يوم الدينونة). لأنه بعدما قال: "*لماذا تزدري بأخيك؟*" أضاف: "***لأننا جميعًا سوف نقف أمام كرسي المسيح***". ومن الواضح أيضًا إنه يقول هذه الأمور، لكي يُوبخ من هو أكثر كمالاً في الإيمان، بينما يجعل المسيحي المتهود، يضطرب بشدة، ليس فقط مؤنبًا إياه، بسبب الإحسان الذي ناله، بل ويخيفه من العقاب الآتي. لأنه يقول:

" لأنه مكتوب أنا حي يقول الرب إنه لي ستجثو كل ركبة وكل لسان سيحمد الله. فإذًا كل واحد منا سيُعطي عن نفسه حسابًا لله" (رو١٤: ١١-١٢).

أرأيت كيف إنه مره أخرى يثير الحيرة في ذهن اليهودي، بينما من الواضح إنه يوبخ الأخر؟ لأنه يقصد شيئًا مثل هذا، كما لو أنه يقول، ماذا يهمك؟ هل سوف تُعَاقَب من أجل ذاك؟ لكنه بالطبع لم يقل هذا، بل ألمح إليه، وأورده بصورة هادئة، قائلاً: "*لأننا جميعًا سوف نقف أمام كرسي المسيح*" وأيضًا "*كل واحد منا سُيعطي عن نفسه حسابًا لله*".

ويُشير إلى إشعياء النبي، الذي يؤكد على خضوع الجميع لله، وهو خضوع تام، خضوع البشر الذين عاشوا في العهد القديم، وبشكل عام جميع

البشـر. لأنـه لم يقـل فقـط أن كـل واحـد "سيسـجد" بـل "*وسـيحمد*"[٤٨٨]، أي سيُعطي حسابًا عن أعماله. إذًا فقد كـان يشعر بـالقلق مـن أجلـك، نـاظرًا إلى إلهنا وهو يجلس على العرش، حتى لا تُقسِّم وتجـزئ الكنيسـة، وأنـت تفصـل نفسك عن النعمة راكضًا نحو الناموس، طالما أن الناموس أيضًا هو ناموسـه. وعن ماذا أتكلم، هـل أتكلم عـن النـاموس؟ وعـن الـذين عاشـوا بالنـاموس، والذين عاشوا قبل الناموس. ولن يطلب الناموس منك أن تُعطي حسابًا، بل أن المسيح هـو الـذي سيطلب منـك هـذا، بـل ومـن كـل الجنس البشـري، أرأيـت كيف إنه أبطل الخـوف مـن النـاموس؟ ولكـي لا يبـدو إنـه يقـول هـذه الأمـور عمدًا، لكي يخيف ذاك المتهود، بل إنقاد إلى هذا الأمر كتسلسل منطقـي، إذ أتى أيضًا لنفس الموضوع قائلاً:

" فلا نحاكم أيضًا بعضنا بعضًا. بل بالحري أحكموا بهذا أن لا يُوضع للأخ مصدمة أو معثرة " (رو١٤-١٣).

لكن هذه الأمور لا تُذكَر بهذا القدر الكبير بالنسبة لمَنْ هو غير كامل في الإيمـان، بقـدر مـا تُـذكَر للكامـل في الإيمـان. ولهـذا فمـن الممكـن أن يطبقها الأثنان، الكامل في الإيمان الذي يتعثر بسبب تمييز الأطعمة، وأيضًـا غير الكامل الذي يُصدم بالتوبيخ الشديد.

٦ـ ولكـن أرجو أن ننتبه، كم سنُعَاقَب نحن الذين نُعثِر غيرنا بشكل عام. لأنـه إن كـان الأمـر مخالفـًا، بسـبب إنهـم وبّخـوا في وقـت غـير مناسـب، فـإن الرسول بولس عمـل علـى إعاقـه حـدوث هـذا التـوبيخ، حتـى لا يُعثر أو يُصدم الأخ، فعنـدما نُعثـر الآخـر، دونُ أن نُصـلح شـيئًا، فـأي عقـاب سـنكون مستحقين لـه؟ إذًا إن كنـا لا نسـاهم في خـلاص شـخص مـا، وهـذا يُعد أمـر يستحق الإدانـة، وقـد بـرَّهن عليـه الـذي حفـر الأرض وأخفـى وزنـة الفضـة[٤٨٩]، فهذا أيضًا نحن نُعثره، أي عقـاب نستحقه، بسـبب سـلوكنا هـذا؟ مـاذا إذًا إن كـان يَعثر وحـده، هـكـذا يقـول، لأنـه ضـعيف في الإيمـان؟ إذا كـان الأمـر

---

[٤٨٨] وردت عند ذهبي الفم بمعنى "سيعترف لله".

[٤٨٩] أنظر مت٢٥: ١٤-٣٠.

هكذا، عليك أن تكون عادلاً، مُظهِرًا إحتمالاً وصبرًا. لأنه لو كان قويًا، لما أحتاج كل هذه العناية، أما الآن فلأنه أكثر ضعفًا، فهو يحتاج لعناية كثيرة. لنمنحه هذه الرعاية ولنحميه من كل جهة. لأننا لن نُعطي حسابًا عن شرورنا فقط، بل عن سلوكنا الذي به أعثرنا آخرين. لكن إن كانت تلك العقوبات في حد ذاتها فرعية، فكيف سنخلص؟ عندما تضاف إليها هذه العقوبات، لا تعتقد إذًا إن لدينا مبرر، إن وجدنا مَنْ يشاركنا في إرتكاب خطايانا، لأن هذا يعني بالنسبة لنا عقابًا إضافيًا أيضًا، خاصةً وأن الحية قد عُوقِبت أكثر من المرأة (أي حواء)، تمامًا مثلما أن المرأة قد عُوقِبت أكثر من الرجل (أي آدم). وبينما أختطف آخاب الكرم، عُوقِبت إيزابل بأكثر قسوة، لأنها كانت هي التي إبتدعت كل الأمر، وأعثرت الملك. لأن الخطية تُهلِك، ولكن العقاب الأكثر يكون من نصيبنا عندما نقود آخرين أيضًا لإرتكاب الخطية. ولهذا يقول الرسول بولس: "*لا يفعلونها فقط بل أيضًا يسرّون بالذين يعملون*"[٤٩٠]، حتى إنه عندما نرى أن البعض يُخطئون، فلا يجب أن نكتفي فقط بألا نشجعهم على الخطية، بل علينا أن نخرجهم أيضًا من وحل الشر، لكي لا نعاني نحن أنفسنا العقاب، بسبب هلاك الآخرين. ولنتذكر دائمًا المنبر المخوف (أي منبر العدل الإلهي)، وبحيرة النار، والقيود التي لا تُحل، والظلام الحالك، وصرير الأسنان، والدود السام الذي لا يموت.

قد يقول قائل لكن الله مُحِب للبشر. وبناء على ذلك، فإن هذه الأمور (التي تكلمنا عنها) هي مجرد كلام. إذًا فلا ذلك الغني الذي إزدرى بلعازر سيُعَاقب، ولا العذارى الجاهلات سيُطردَون من العرس، ولا الذين لم يُطعموه يذهبون إلى النار التي أُعدت للشيطان، ولا ذاك اللابس ملابس دنسه، بعدما يُقيد من اليدين والرجلين، سيهلك، ولا ذاك الذي طلب المائة دينار، سيُسلم للمعذبين، ولا ما قيل عن الزُناة هو أمر حقيقي، "*حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ*"[٤٩١]، بل إن كل هذا هو فقط تهديدات. أخبرني من أين لك بكل

---

[٤٩٠] رو ١:٣٢.

[٤٩١] مر ٩:٤٤.

هذه الجرأة، وكيف تبرهن على أمر بهذا الحجم، وأن تصدر الحكم من خلال حجج خاصة بك؟ لكنني أستطيع من خلال كل ما قاله، وكل ما فعله، أن أبرهن على العكس. إذًا لو إنك لا تؤمن بما سيحدث في المستقبل، فعلى الأقل آمن بتلك الأمور التي حدثت بالفعل، خاصة وأنها ليست مجرد تهديدات وكلام.

إذن مَنْ الذي غمر كل المسكونة، وأحدث ذلك الطوفان المخيف، ودمَّر كل جنسنا البشري؟ ومَنْ ألقي تلك الصواعق المخيفة والنار من السماء على سدوم بعد كل ما حدث ؟ مَن أنهك مصر كلها؟ من أهلَّك الستمائة ألف في البرية؟ ومن أَمرّ الأرض أن تفتح فاها لتبتلع أولئك الذين كانوا مع قورح وداثان؟[٤٩٢]. مَنْ أهلَّك سبعين ألف في لحظة واحدة، في زمن داود؟ وهل أتكلم عن أولئك الذين عوُقِبوا كل على حِدىً؟ هل أتكلّم عن قايين الذي سُلّم لعقاب دائم؟ أو عن عخان بن كرمي الذي رُجم؟ وعن ذاك الذي عانى نفس الأمر تحديدًا، لأنه جَمَع خشب يوم السبت؟ هل أتكلم عن الأربعين شابًا الذين افترستهم الوحوش ولم ينالوا عفوًا أو مسامحة، ولا حتى بسبب أعمارهم؟ وإذا كنت تريد بعد النعمة أن ترى نفس الأمور، ففكر كم عانى اليهود، كيف إلتهمت النساء أولادهن، وبعضهن طهوا الأولاد، وبعضهن أكلوهم بطريقة أخرى، كيف برغم إنهم سُلّموا إلى مجاعة لا تُحتَمل، وإلى حروب متنوعة ومخيفة، فقد طغت كوارثهم التي فاقت كل حد على تلك المآسي التي ذُكرت.

إذن من حيث أن المسيح قد أشار إلى هذه الأمور، فلتسمع إليه لأنه سبق وقال هذا بأمثال، وبأسلوب واضح وقاطع. فيقول: "*أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي*"[٤٩٣]، ويوضح ذلك أيضًا في مثل الكرم ومثل العرس[٤٩٤]. وأيضًا، عندما يهدد: "*ويقعون بفم*

---

[٤٩٢] أنظر عدد١٦.

[٤٩٣] لو ١٩:٢٧.

[٤٩٤] أنظر مت ١٢:٣٣-٤٦، ٢٢:١-١٥.

السيف ويُسَبْوَن إلى جميع الأمم وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تُكمَّلَ أزمنة الأمم. وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم وعلى الأرض كَربُ أممٍ بحيرةٍ. البحر والأمواج تضج، والناس يُغشى عليهم من خوف"[٤٩٥]، *"ويكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ إبتداء العالم إلى الآن ولن يكون"*[٤٩٦]. وتعرفون جميعكم كيف عُوقِب حنانيا وسفيرة، لأنهما اختلسا جزءًا من ثمن الحقل المبيع، ولكن ألا ترى الكوارث اليومية؟ أم أن هذه أيضًا لم تحدث؟ ألا ترى أولئك الذين يهلكون من الجوع كل يوم؟ ألا ترى أولئك الذين يسوَّد عليهم داء الفيل والجذام؟ ألا ترى أولئك الذين يحيون في الفقر الدائم؟ ألا ترى أولئك الذين يُعانون من آلام لا حصر لها وهي غير قابلة للشفاء؟ إذًا كيف يمكن أن يتبرر البعض، هل عن طريق أن يُدان البعض، ولا يُدان البعض الآخر؟ لأنه إن كان الله عادلاً، وهو بالحق كذلك، فأنت أيضًا ستُدان على كل حال، طالما إنك تُخطئ، فإذا كنت ترى أن الله لا يُعاقِب باعتباره محب البشر فلا يجب لهؤلاء أيضًا أن يُعاقَبوا.

أما الآن بسبب كلامكم هذا، فإن الله سيُعاقِب كثيرين هنا(أي في هذه الحياة)، لكي تؤمنون على الأقل بتلك الأمور المختصة بالعقاب، وعندما لا تؤمنوا بما تعتبرونه مجرد تهديدات. ولأن الأمور المختصة بالعهد القديم لا تخيفكم، فإنه يُصحح مسار اللامبالين في كل عصر، عن طريق تلك الأمور التي تحدث في كل جيل. ولأي سبب، يقول إنه لا يُعاقِب الجميع هنا (أي في هذه الحياة)؟ يقول هذا لكي يُعطي للآخرين فرصة للتوبة. إذًا فلماذا يُعاقِب الجميع هناك (أي في الدهر الآتي)؟ لكي لا يتشككوا تمامًا في عناية الله. قد تسألني: كم عدد اللصوص الذين قُبض عليهم، وكم عدد الذين ماتوا بدون عقاب؟ أين هي إذًا محبة الله للبشر؟ وأنا أيضًا بدوري أسألك الآن. إن لم يُعاقَب أحد بشكل عام، فهل يمكنك أن تلجأ إلى الله لتتوب؟ لكن عندما يُعَاقَب البعض، والبعض الآخر لن يُعَاقَب، على الرغم من إنهم صنعوا

---

[٤٩٥] لو ٢١:٢٤-٢٦.

[٤٩٦] مت ٢٤:٢١

أسوأ الخطايا، فكيف يمكن أن يكون هناك عذرًا لإرتكاب نفس الخطايا، وألا يكون هناك نفس العقوبات. وكيف لا يكون واضحًا، أن أولئك الذين عُوقبوا، قد ظُلِموا؟ إذا لأي سبب لا يُدان الجميع هنا (أي في هذه الحياة)؟ إسمعه وهو يدافع عن نفسه، لأجل هذه الأمور. لقد مات البعض، عندما سقط فوقهم البرج، وهنا يقول لأولئك الذين يتشككون من جهة هؤلاء، "*أتظنون أن هؤلاء كانوا مذنبين أكثر من جميع الناس؟ كلا أقول لكم. بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون*"[٤٩٧]، ناصحًا إيانا، ألا تأخذنا الجرأة، عندما يُدان البعض، متصورين إننا لا نُدان، على الرغم من إننا نصنع خطايا كثيرة، لأنه إن لم نتغير، فإننا سُندان حتمًا.

قد يتساءل أحد قائلاً: كيف يقول، إننا سُندان دينونة أبدية، بينما نخطئ هنا في *هذه الحياة الحاضرة* لفترة زمنية قصيرة؟ كيف يُحكم على الإنسان الذي يرتكب جريمة قتل في لحظة زمنية قصيرة بالأشغال الشاقة المؤبدة؟ إن الإنسان المتشكك يتصور أن الله، لا يصنع هذا. وأنا بدوري أقول: كيف أُمسك المفلوج لمدة ٣٨ سنة في هذه العقوبة الكبيرة؟ وكون أن الله عَاقَبه لأجل خطاياه، إسمع ماذا يقول "*ها أنت قد برئت فلا تُخطىء أيضًا*"[٤٩٨]. أيضًا يُجيب بإنه شُفيَ، إلا أن الأمور ليست هكذا في الحياة الأخرى، ومن جهة أن العقوبات لن يكون لها نهاية في الدهر الآتي، إسمعه حين يقول: " *حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ*"[٤٩٩] و " *يمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية*"[٥٠٠]. إذًا إن كانت حياة الدهر الآتي أبدية، وأن الجحيم سيكون أبديًا، ألا ترى إلى أي مدى كان ينذر اليهود؟ تُرى، هل رأيت أن التهديدات قد تحققت، في الكلام الذي سبق؟ إنه يقول: "*لا يُترك ههنا*

[٤٩٧] لو١٣: ٤-٥ .

[٤٩٨] يو٥: ١٤ .

[٤٩٩] مر٩: ٤٤.

[٥٠٠] مت٢٥: ٤٦.

حجر *على حجر لا يُنقَض*"[٥٠١]. هل رأيت إذًا حجرًا قد تُرك؟ وماذا عن قوله "*يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله*"[٥٠٢]. ألم يحدث هذا؟ أقرأ تاريخ يوسيفوس[٥٠٣]، ولن تتمكن حتى من أن تتنفس، وأنت تسمع فقط عن تلك الأمور التي حدثت، والتي عاناها اليهود.

٧ـ أتكلم عن هذه الأمور، لا لكي أحزنكم، بل لأجعلكم في أمان، لأحفظكم وأحميكم، ويكون إعدادي لكم له فائدة، وحتى تصبروا على تحمل الصعاب . أخبرني إذًا لماذا لا تقبل أن تُدان، حين تُخطىء؟ ألم يخبرك بكل هذا من قبل؟ ألم ينذرك؟ الم يُساعدك؟ ألم يصنع أمورًا لا تُحصى من أجل خلاصك؟ ألم يهبك معمودية الميلاد الجديد؟ أليس هو الذي غفر لك كل خطاياك السابقة؟ ألم يعطِك أيضًا العون بعد هذا الغفران، وهذه المعمودية ـ عن طريق التوبة ـ عندما تخطىء؟ وبعد هذا الغفران لخطاياك، ألم يُمهد لك الطريق ويجعله سهلاً؟ إسمع إذًا أي وصية قد أعطى "*إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي*"[٥٠٤]، هكذا يقول، وأية صعوبة في هذا الأمر، "*أطلبوا الحق، وإنصفوا المظلوم، وأقضوا لليتيم. حاموا عن الأرملة* " ثم يقول "*إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيّض كالثلج. إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف*"[٥٠٥]. وأي جهد يحمله هذا الأمر؟ يقول "*ذكّرني فنتحاكم معًا. حدث لكي تتبرر*"[٥٠٦]. أية صعوبة في هذا الأمر؟ كذلك يقول "*أيها الملك فلتكن مشورتي مقبولة لديك وفارق خطاياك بالبر وآثامك بالرحمة للمساكين لعلة يُطال إطمئنانك*"[٥٠٧]. أية متاعب تكمن في

---

[٥٠١] مت٢٤:٢.

[٥٠٢] مت٢٤:٢١.

[٥٠٣] يوسيفوس هو مؤرخ يهودي كبير عاش في القرن الأول الميلادي.

[٥٠٤] ٦:١٤.

[٥٠٥] أش١:١٧–١٨ .

[٥٠٦] إش٤٣:٢٦.

[٥٠٧] دا٤:٢٧.

هذا المسلك؟ لقد قال العشار "*اللهم أرحمني أنا الخاطئ*"[508]، ونزل مبررًا. أي جهدًا تحتاج لكي تتمثل بالعشار؟

لكن ألا تريد أن تقتنع، بعد كل هذه الأمور الكثيرة المشار إليها، انه يوجد جحيم وعقاب؟ حينئذ سيمكنك بهذا المنطق أن تقول، ولا الشيطان يُعَاقَب. لأنه يقول" *إذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته*"[509]. إذًا إن لم يكن الجحيم موجودًا، وأن الشيطان لن يُعَاقَب (لكان لك الحق فيما تقول)، لكن بما إن الشيطان سوف يُعَاقَب، فمن الواضح إننا سنُعَاقَب نحن أيضًا. فإننا بالتأكيد أيضًا قد عَصَينا، وإن كان ليس في تلك الأمور ذاتها. لكن كيف لا ترتعب، وأنت تتكلم بكل هذه الجرأة؟ لأنه عندما تقول، بإن الله محب للبشر، ولا يُعَاقِب، فإن عَاقِب، سيكون ـ طبقًا لما تقولون ـ ليس بعد محبًا للبشر. أرأيت إلى أي حديث يقودكم الشيطان؟ ماذا إذًا؟ هل الرهبان الذين سكنوا الجبال، وعاشوا في نسكٍ فائق، سيَرحَلون عن هذا العالم غير مُتوَجَّين؟ فإن كان الأشرار لا يُدَانون، ولا يوجد تعويض لأي أحد، فربما يقول شخص آخر، إنه ولا الأتقياء أيضًا سيُتوَجون، ويقول آخر أنه يوجد ملكوت فقط، وليس هناك وجود لجهنم، لأن هذا يليق بالله. وبناء على ذلك هل الفاجر والزاني، والذي أرتكب شرورًا لا حصر لها، سيتمتع بنفس الهبات، التي سيتمتع بها مَنْ عاش في تعقل وقداسة، وهل القديس بولس سيقف أمام الله (على نفس المستوى) مع نيرون، أو من الأفضل القول هل سيكون موقف الشيطان أمام الله، على نفس المستوى من موقف الرسول بولس؟.

إذن إن كان لا يوجد جحيم، وهناك قيامة للجميع، حينئذ فإن الأشرار أيضًا سينالوا نفس الهبات التي ينالها الصالحون. وأنا بدوري أسأل: من يستطيع أن يقول هذا الكلام، حتى وإن كان يعد من بين أكثر الناس جنونًا؟ أو من الأفضل أن أقول مَنْ مِن الشياطين يستطيع أن يقول هذا القول؟

---

[508] لو١٨: ١٣.

[509] مت٢٥: ٤١.

حيث إن الشياطين يعترفون بوجود جحيم، ولهذا يصرخون قائلين: "*أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا*"[٥١٠]، إذًا كيف لا نخاف ولا نرتعب، فحين تعترف الشياطين (بوجود الجحيم)، أنت ترفض هذا الأمر؟ وكيف لا تنتبه لمعلم هذه العقائد الخبيثة؟ لأن ذاك (أي الشيطان) الذي خدع الإنسان منذ البداية، وحرَّمه من الخيرات التي كانت بين يديه، بواسطة إقتراح يتضمن رجاء زائفًا، هو الذي يمنع المؤمنين الآن أن يقولوا وأن يفكروا في هذه الأمور، ولهذا فإنه يُقنِع البعض أن يستنتجوا إنه لا يوجد جحيم، لكي يلقيهم في جهنم، بينما الله على العكس من ذلك، ينذر بالجحيم، وقد أعدّه، حتى أنه بعدما تعرف (طبيعة الجحيم)، يدفعك هذا لكي تحيا في تقوى، حتى لا تسقط في جهنم، فإذا كان الجحيم موجودًا في الحقيقة، فكيف لا يكون له وجود، إن كانت الشياطين قد إعترفت بوجوده، هؤلاء الشياطين الذين يحرصون جدًا على ألا نؤمن بمثل هذا الأمر، حتى أنه من خلال لا مبالاتنا بوجود الجحيم، ومِن خلال عدم خوفنا مِنه، نسقط معهم في تلك النار (نار جهنم)؟ إذًا كيف إعترفوا بجهنم عندئذ؟ السبب في ذلك هو أنهم لم يحتملوا العقوبة التي هُددوا بها.

إذن بعدما نكون قد فهمنا كل هذا، لنُوقف هؤلاء الذين يتكلمون بهذا الكلام، هؤلاء الذين يخدعون أنفسهم أيضًا، ويخدعون الآخرين، لأنهم سيُدَانون عن هذا الكلام، إذ يسخرون من تلك الأشياء المخوفة (أي العقاب الأبدي)، ويُضعِفون رغبة الكثيرين في الإهتمام بذلك كله، وحتى البرابرة لا يُحَاكَموا[٥١١]. لأن أولئك بالرغم من إنهم كانوا جميعًا عديمي الخبرة، إلا إنهم عندما سمعوا أن المدينة ستهلك، ليس فقط قد آمنوا، بل أيضًا تنهدوا ولبسوا مسوحًا، وإضطربوا، ولم يَكُفوا عن بذل ما في وسعهم لوقف غضب الله[٥١٢]. بينما أنت الذي عرفت أمورًا كثيرة بهذا القدر، إذا سفّهت الكلام

---

[٥١٠] مت٨:٢٩.

[٥١١] الإشارة هنا إلى أهل نينوى.

[٥١٢] يونان ٣:١-١٠.

السابق، سيحدث لك العكس. لأنه كما أن هؤلاء قد سمعوا الكلام وخافوا، فإنهم لم يُدَانوا عن الأمور التي أرتكبوها، هكذا أنت أيضًا، لأنك إحتقرت كلام الوعيد، ستنال العقاب بسبب الأمور التي صنعتها. وإن كان الكلام الآن يبدو لك خرافه، لكنه لن يبدو لك هكذا، عندما سُتقنعك الأمور ذاتها في حينه.

ألا ترى هنا أيضًا ماذا صنع؟ كيف أخذ لصين، ولم يعتبرهما مستحقين لجزاء واحد، بل أن الواحد قاده إلى ملكوت السموات، بينما أرسل الآخر إلى جهنم؟ ولماذا أتكلم عن لص وقاتل؟ لأن المسيح له المجد، قد حزن حتى على التلميذ (أي يهوذا)، لأنه صار خائنًا، بل ونظر إليه وهو يندفع إلى حبل ويشنق نفسه، ويشق جسده من المنتصف (لأنه بالحقيقة فتح بطنه وإنسكبت كل أحشاءه)، لكن بالرغم من إنه عرف كل شيء من قبل، إلا إنه قد تركه ليعاني كل هذه المآسي، لكي يُقنعك من خلال الأمور الحاضرة، بكل ما سيحدث هناك (أي في الدهر الآتي). إذًا لا تخدعوا أنفسكم، وتقتنعوا بكلام الشيطان، لأن هذه أفكاره. فإذا كان القضاة والسادة، والمعلمون، والبرابرة يكرمون الصالحين، بل ويُعَاقِبون الأشرار، فكيف يمكن أن يكون هناك مبررًا لمن يتصور أن الله يفعل عكس ذلك، ويتساوى الصالح مع الشرير أيضًا؟

لكن متى سيتخلصون من شرورهم؟ الآن رغم أنهم ينتظرون العقوبة ويواجهون مخاوف كثيرة جدًا، إلا إنهم لا يبتعدون عن الشرور ولا حتى بهذه الطريقة، ويقولون إنه عندما ينتقلون إلى الحياة الأخرى، ويتبدد أي خوف، فإنهم ليس فقط سوف لا يسقطون في الجحيم، بل وسوف ينالوا ملكوت السموات أيضًا، فمتى سيتوقفون عن أن يكونوا أشرارًا؟ أخبرني هل الدليل على محبة الله للبشر، هو ألا يُدين الشر، وأن يُعطى له مكافأة، فهل يعتبر العفيف والفاسق، والمؤمن والجاحد، بولس والشيطان، مستحقين لنفس الكرامة؟ إذًا فإلى متى وإلى أي مدى سنهذي نحن أيضًا؟ ولهذا فأنا أترجاكم بعدما تتخلصوا من هذا الجنون، وبعدما تصبحون سادة أنفسكم

أن أن تخافوا وأن ترتعدوا، لكي تُنقَذوا من الجحيم المقبل، وطالما إنك تحيا بالتعقل في الحياة الحاضرة، فستنال خيرات الدهر الآتي، والتي ليتنا جميعًا ننالها بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة إلى الأبد أمين.

+ + + + + + +

عظة ٢٧:

" إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجسًا بذاته إلا من يحسب شيئًا نجسًا فله هو نجس" (رو١٤ـ١٤).

١ـ بعدما وبخّ أولاً ذاك الذي يُدين أخاه، وبعدما أبعده هكذا بالتوبيخ، تكلّم عندئذ عن العقيدة أيضًا، وبهدوء بدأ يُعلّم عن الأكثر ضعفًا في الإيمان، مُظهرًا هنا أيضًا كثيرًا من الوداعة. لأنه لم يقل، إنه سُيدان، ولا أي شيء من هذه الأمور، بل ترك الخوف وحده يحركه نحو التغير في الأمر، حتى يقتنع ذاك بكلامه بطريقة أكثر سهولة، ويقول: "*إني عالم ومتيقن*". بعد ذلك ولكي لا يقول أحد من غير المؤمنين، وماذا يهمنا نحن، إن كنت أنت متيقن؟ لأنك لستَ موضع ثقة لتحل محل ناموس عظيم بهذا القدر، ووصايا نافعة نزلت من السماء، أضاف: "في الرب يسوع" أي إنني تعلّمت هذه الأمور من السماء، وأُخبرت بها من الرب يسوع. وبناء عليه فإن الحكم لا يتعلق بفكر إنساني . إذًا فلتقل ما هو يقينك وماذا تعرف؟ ما يعرفه "أن ليس شيء نجسًا بذاته". أي إنه يقول، لا يوجد شيء نجسًا بطبيعته، لكنه يصير نجسًا بواسطة إرادة الذي يفحصه. هكذا يصبح نجسًا بالنسبة له وحده، وليس لآخرين. لأنه يقول: "*من يحسب شيئًا نجسًا فله هو نجس*".

إذًا لماذا لا تُصحّح تفكير الأخ، حتى لا يعتبر أن شيئًا نجس؟ ولماذا لا تُبعده عن عادة مثل هذه، وفكر مثل هذا، بكل ما لك من حق، هكذا يقول إنني أخشى (من فعل هذا) ربما أُحزنه. ولهذا أضاف:

" فإن كان أخوك بسبب طعامك يُحزَن فلستَ تسلك بعد حسب المحبة" (رو١٤:١٥).

أرأيت كيف إنه إنتزع قبوله أولاً، مُبيّنًا كيف إنه تحدث طويلاً لأجل ذاك (الأخ)، حتى لا يُحزنه، بل ولا أن يأمره بالإقدام على فعل الأمور الضرورية جدًا، من البداية، بل يجذبه بالأكثر بواسطة الغفران والمحبة؟ لأنه لا يستميله، ولا يُلزمه أيضًا بأن ينزع خوفه، بل يتركه سيد نفسه. وبالطبع ليس هو نفس الشيء أن يقنعه بالإبتعاد عن بعض الأطعمة، وأن يؤنّبه بكلام

يقود إلى الحزن. أرأيت كم هو مهتم بالمحبة؟ لأنه يعرف أن المحبة تستطيع أن تُصحّح كل شيء، ومن أجل هذا فهو هنا أيضًا يطلب من هؤلاء شيئًا أكبر. لأنه لا يقول فقط، لا ينبغي أن تمنعوهم إجبارًا، بل إن إحتاج الأمر أن تظهروا تسامحاً، ولا تترددوا في فعل هذا. ولهذا فقد أضاف قائلاً: "***لا تهلك بطعامك ذاك الذي مات المسيح لأجله***".

أم إنك لا تعتقد أن أخاك مستحق لمثل هذا الأمر الكبير، حتى تتجاهل خلاصه، وقد قَبِل المسيح بالطبع أن يصير عبدًا، ومات لأجله، فكيف لا تترك أنت بعض الأطعمة، لكي تخلّصه؟ وإن كان المسيح لم يربح الجميع، لكنه مات لأجل الجميع، مُتممًا كل ما يجب عمله، فهل تعرف أنت إنه بسبب الطعام، تحَرم أخاك من الأمور العظيمة؟ وذاك الذي يُعَد مهمًا في نظر المسيح، تعتبره بأن ليس له أهمية مطلقًا، وذاك الذي أحبه المسيح، أتحتقره أنت؟ والمسيح مات ليس فقط لأجل الضعيف، بل ولأجل العدو أيضًا، المسيح أيضًا أظهر الأمر الأعظم، بينما أنت لم تظهر أقل شيء، وإن كان بالطبع هو الرب، بينما أنت تُدعى الأخ. إن هذا الكلام كان كافيًا، لأن يلوم ذاك (الذي تجاهل أخاه)، لأنه يُظهر كيف أن نفسه صغيرة، فبينما هو تمتع بعطايا عظيمة من الله، لكنه لم يُبادل هذا العطاء الإلهي، ولو بأشياء بسيطة .

٢- " فلا يُفترَ على صلاحكم. لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشربًا" (رو١٤:١٦-١٧).

يقصد بالصلاح هنا، إما الإيمان، أو الرجاء المستقبلي لنيل مكافآت، أو التقوى الكاملة. إذًا فأنت لن تفيد الأخ، وليس هذا فقط، بل وتسيء إلى الإيمان ذاته، وتسيء إلى نعمة الله وعطيته. أنت تثير اضطرابًا عندما تتشاجر، وتسبب ألمًا، وعندما تقسم الكنيسة، وعندما تهين الأخ وتبغضه، فإن من هم خارج الكنيسة يجدفون علينا . وبناء على ذلك ليس فقط لن يتحقق شيء من وراء هذا، بل إن العكس تمامًا هو ما سيحدث، لأن الصلاح بالنسبة لكم هو المحبة، محبة الأخوة، والوحدة والترابط فيما بينكم، وأن

تحيوا بالسلام، وبالرأفة. وبعد ذلك أيضًا، يُزيل خوف هذا، وعداوة ذاك، فيقول "*لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشربًا*". إذًا هل نستطيع أن نُسّر أو ننمو بهذه الأمور (الأكل والشرب)؟ هذا بالضبط ما يقوله في موضع آخر "لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص"[٥١٣]، وهو ليس في حاجة لدليل، لكنه يكتفي بالحكم. إن ما يقوله يعني الآتي: هل إذا أكلت، سيقودك هذا الطعام إلى ملكوت الله؟ ولهذا يزدري بهؤلاء، لأنهم تباهوا من جهة هذا الأمر (أنهم يأكلون ويشربون)، ولم يقل فقط أكلاً، بل وشربًا.

إذن ما هي تلك الأمور التي تقود إلى الملكوت؟ هي البر، والسلام، والفرح، الحياة الفاضلة، السلام مع الأخ، والذي فيه يتم التصدي لهذه العداوة، الفرح الناتج عن الوفاق، والذي به يزول هذا التوبيخ. لكنه لم يتكلم بهذه الأمور ليواجه بها واحدًا فقط، بل في مواجهة أثنين أيضًا، لأنه ستتاح له فرصة للكلام عندما يواجه اثنين. بعد ذلك ولأنه تكلّم عن السلام، والفرح، ولأنه يوجد سلام وفرح حتى في الأمور الشريرة، ولذلك أضاف: "*في الروح القدس*". حتى أن ذاك الذي يُحطِم أخاه، يكون قد قضى على السلام، وتعّدى على الفرح، والأكثر من ذلك هو الذي يسلب المال. والأكثر سوءًا من هذا، هو بينما أن المسيح قد خلّص الجميع، فأنت تظلم وتُحطم. فإذا كان الطعام والكمال الظاهري لا يستطيع أن يُدخِل إلى النفس البر، والسلام، والفرح بل يُدخِل ما يمحو البر، والسلام، والفرح، فكيف لا نزدري بالأمور البسيطة، حتى ننال الأمور العظيمة؟ بعد ذلك لأن هذا التوبيخ قد صار تدريجيًا بسبب المجد الباطل، أضاف قائلاً:

"لأن من خدم المسيح في هذه فهو مَرضِيُ عند الله ومزكى عند الناس" (رو١٤:١٨).

لأن الجميع لن يُعجَبوا بك بهذا القدر لأجل الكمال، بقدر ما سيُعجَبوا بك لأجل السلام والوفاق، بالطبع هذا الخير سيتمتع به الجميع، بينما ذاك (أي من يتجاهل أخاه)، لن يتمتع ولا حتى بواحدة من هذه الخيرات.

---

[٥١٣] ١كو ٨:٨.

٣- " فلنعكف إذًا على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض" (رو١٤: ١٩).

هناك أمر يتوجه به لذاك، لكي يهتم بالسلام، والأمر الآخر يتوجه به لهذا الذي يحيا لنفسه، لكي لا يهلك أخاه. لكن هذين الأمرين، جعلهما مشتركين فيما بينهما أيضًا، قائلاً "***بعضنا لبعض***"، واظهر إنه بدون السلام لا نستطيع أن نبني بسهولة.

" لا تنقض لأجل الطعام عمل الله" (رو١٤-٢٠).

أنه يسمي خلاص الأخ "**عمل الله**"، ويُزيد فأكثر من مقدار الخائف، مُظهرًا إنه يفعل عكس ما يسعى نحوه . لأنه ليس فقط أنك لا تبني ما تعتقد فيه، بل و تنقضه، وليس فقط تنقض بناءً إنسانيًا، بل تنقض بناء الله، وليس من أجل أمر عظيم، بل من أجل شيء زهيد أو تافه. "لأجل الطعام" هكذا يقول الرسول بولس. بعد ذلك ولكي لا يُرسّخوا كل هذه المسامحات لمن هو أكثر ضعفًا من حيث قبوله الفكر الشرير، فإنه يضع مرة أخرى مبدأ قائلاً: "***كل الأشياء طاهرة لكنه شر للإنسان الذي يأكل بعثرة***" أي أنه شر لمن يأكل بضمير شرير.

حتى وإن ألزمته بعد (على السلوك بمحبة) وأكل، فلن تكون هناك أية منفعة. لأنه أن يأكل أحد فإن الطعام لا يجعله نجسًا، بل إن ما يجعله نجسًا هو الضمير الذي يأكل به. إذًا إن لم تُصلح هذا الضمير، فكل ما تفعله سيضيع سُدىً، وبالأكثر تكون قد صنعت ضررًا، لأنه لا يجب عليك أن تعتقد في شيء إنه نجس، ثم تأكله. إذًا فأنت تصنع خطيئتين هنا، تُزيد من المعوقات بالتشاجر مع الآخر، وتجعله يأكل طعامًا نجسًا. ولذلك فعليك أن تُقنعه، ولا تجبره (على فعل شيء).

"حسن أن لا تأكل لحمًا ولا تشرب خمرًا ولا شيئًا يصطدم به أخوك أو يعثر أو يضعف" (رو١٤-٢١).

مرة أخرى يطلب ما هو أكثر، ليس فقط يجب ألا تُلزمه، بل أيضًا أن تظهر له تسامحًا. كذلك فإن الرسول بولس نفسه قد صنع هذا الأمر في

مرات كثيرة، مثلما حدث عندما تمم شريعة الختان، وعندما حلق رأسه، وعندما قدم تلك الذبيحة اليهودية. ولم يقل لذاك أصنع هذا الأمر، بل يَعرض كلامه كرأي، لكي لا يجعل بالأكثر مَنْ هو ضعيف في الإيمان، متراخيًا أو غير مبالي. وماذا يقول؟ "*حسن أن لا تأكل لحمًا*". ولماذا أقول لحمًا؟ فسواء كان هذا نبيذًا، أو أي شيء آخر يمكن أن يُعثر، فلنتجنبه.

إذن لا يوجد شيء يمكن أن يعادل خلاص الأخ. وهذا ما أظهره المسيح، بعدما آتى من السموات، وجاز كل الآلام من أجلنا. لكن أرجو أن تلاحظ، كيف يصل إلى ذلك الضعيف، بقوله: "*يصطدم أو يعثر أو يضعف*". لا تقل لي ـ هكذا يقول الرسول بولس ـ إن هذا الأمر غير معقول، لكنني أقول لك، كلما أمكنك (أن تصحح هذه الأمور) فلتصححها. خاصةً وأن الضعيف في الإيمان له كل الحق أن تُعينه في ضعفه" وبالنسبة لك لن يُصيبك أي ضرر، وبالطبع فإن هذا التصرف لا يُعد نفاقًا، بل هو بناء وتدبير. لأنه إذا ألزمته ثم هلك، فإنه سيتهمك أنت، وبالأكثر سيُصمّم على عدم الأكل، بينما لو إنك تُظهر له ترفقًا أو مسامحه، فسينتج عن ذلك، محبة كبيرة يتوجه بها لشخصك، ولن يتشكك فيك حين تُعلّمه، وستحظى بالسيادة من الآن فصاعدًا، وتزرع في داخله التعاليم المستقيمة. أما إذا أبغضك مرة واحدة، فستكون قد أغلقت المدخل للحديث معه. إذًا لا تجبره، بل أنت نفسك فلتبتعد عن كل ما يُعثره، وذلك لأجل خلاصه، لا لأنه نجس، بل لأن ذاك الأخ يُعَثر، وبهذا سيُحبك بالأكثر. هذه الوصية هي التي أعطاها الرسول بولس، قائلاً: "*حسن أن لا تأكل لحمًا*"، لا لأن أكل اللحم نجس، بل لأنه يُعثر ويضعف أخاك.

٤ـ " ألك إيمان؟ فليكن لك بنفسك أمام الله" (رو١٤: ٢٢).

يبدو لي هنا إنه يُلمّح بطريقة هادئة إلى المجد الباطل بالنسبة لمَنْ هو كامل في الإيمان. ما يقوله يعني الآتي: أتريد أن تُظهر لي، انك كامل وتام؟ لا تظهر هذا لي، بل لتحتفظ به في ضميرك. أما الإيمان الذي يقصده هنا، فليس هو الإيمان الخاص بالعقائد، بل الإيمان الخاص بالموضوع الذي يَجري

الحديث بشأنه. لأنه يقول عن ذلك الإيمان: "*الفم يعترف به للخلاص*"[٥١٤] وأيضًا "*من استحى بي وبكلامي فبهذا يستحي ابن الإنسان*"[٥١٥]. لأنه إذا لم يعترف بهذا الإيمان فسيؤدي ذلك إلى الهلاك، بينما يعتبر الجهر والإعتراف بهذا الإيمان الخاص بموضوع حديثنا، هو أمرًا غير ملائم. ثم يقول "***طوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه***". هكذا يوجه حديثه مرة أخرى للأكثر ضعفًا، ويعطيه تاجًا مُرضيًا، تاج ضميره، لأنه حتى وإن لم يراك إنسان، يكفيك ضميرك، لكي تصير مطوبًا. إذًا فقد قال "**فليكن لك بنفسك**" حتى لا تَعتَبر هذا القضاء (قضاء الضمير) أمرًا بسيطًا، فما يُمليه عليك ضميرك يُعتَبر بالنسبة لك، أفضل من المسكونة كلها. وحتى إن كان الجميع يدينك بعد، فعندما لا تُدين أنت نفسك، وضميرك لا يعذبك، فستكون مُطوبًا. وهو لم يُشر إلى هذا الأمر متكلمًا بشكل عام تجاه الجميع. لأن هناك كثيرون لا يُدينون أنفسهم، على الرغم من إنهم يصنعون أخطاء كثيرة جدًا، وهم أكثر تعاسة من الجميع. لكنه يُشير أولاً إلى الموضوع الذي يجري الحديث بشأنه.

" وأما الذي يرتاب فإن أكل يُدان" (رو١٤: ٢٣).

يقول هذا مرة أخرى، راجيًا ذاك الذي هو كامل في الإيمان أن يتألم لِمَنْ هو أكثر ضعفًا. لأن ما هي الفائدة، إذا أكل وهو يرتاب، ثم بعد ذلك يُدين نفسه؟ لأنني أقبل ذاك الذي يأكل ولا يُدين نفسه. أرأيت كيف إنه يُحثه ليس فقط أن يأكل بل وأن يأكل بضمير نقي؟ بعد ذلك يتحدث عن السبب الذي من أجله أُدين، فيضيف قائلاً: "***لأن ذلك ليس من الإيمان***" ليس بسبب أنه نجس، بل لأن موقفه هذا لم يأتِ من الإيمان. لأن الذي يأكل لم يؤمن إنه طعام طاهر، بل أكله كطعام نجس. بيد أن ما يتضح من خلال هذه الأمور، هو مقدار الضرر الذي يسببونه ــ عندما يجبروا هؤلاء دون أن

---

[٥١٤] رو ١٠: ١٠.

[٥١٥] لو ٩: ١٦.

يقنعوهم ـ أن يأكلوا تلك الأطعمة التي تبدو أولاً نجسة بالنسبة لهم، لكي يتجنبوا على الأقل التأنيب من خلال هذا. ثم يُكمل قائلاً: "***وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية***". إذًا عندما يقول، ليس لديه ثقة (أي يرتاب)، ولا يؤمن بأنه طعام طاهر، فكيف لا يكون قد فعل خطية؟ كل هذا قاله الرسول بولس بخصوص الموضوع الذي جرى الحديث بشأنه، فذلك ليس موجهًا للجميع. وإنتبه إلى مدى حرصه الشديد على ألا يُعثر أحدًا. لأنه قال منذ قليل "فإن كان أخوك بسبب طعامك يحزن فلست تسلك بعد حسب المحبة". فإن كان لا يجب عليك أن تُسبّب حزنًا، فكم بالأولى لا ينبغي أن تُعثر أحدًا.

وأيضًا "*لا تنقض لأجل الطعام عمل الله*". لأنه إن كان أمرًا مخيفًا وأحمق أن تهدم كنائس، فكم بالحري جدًا هو أمر مخيف أن تهدم هيكلاً روحيًا، خاصة وأن الإنسان هو أكثر أهمية من المبنى. لأن المسيح لم يمت من أجل الجدران، بل من أجل هذه الهياكل الروحية.

٥ـ إذن لنفحص كل أمورنا من كل الجوانب، ولا نعطي أقل دافع "للعثرة"، خاصةً وأن الحياة الحاضرة هي مرحلة مؤقته، ويجب أن تكون لنا أعين يقظة من كل جانب، ولا نتصور أن عدم المعرفة يكفي ليكون مبررًا. لأنه من الممكن، نعم من الممكن، أن تُدان عن عدم المعرفة، عندما تكون عدم المعرفة في أمر غير قابل للصفح. كذلك فإن اليهود أظهروا جهلاً، لكن لم يكن جهلهم مستحقًا للصفح، وأظهر اليونانيون جهلاً، ولم يكن ذلك مبررًا لهم. لأنه بالطبع عندما تجهل الأشياء التي لا يمكن معرفتها، فإنك لن تتُهم بأي شيء، أما عندما تجهل الأمور السهلة، التي من الممكن معرفتها، فإنك ستُعاقَب بأشد العقاب. من ناحية أخرى، إن لم تتقصنا الشجاعة، بل ونُقدم كل مالنا، فإن الله سيمد لنا يد المعونة، في تلك الأمور التي نجهلها أيضًا، الأمر الذي قاله الرسول بولس في رسالته إلى أهل فيلبي "*فليفتكر هذا جميع الكاملين منّا وإن افتكرتم شيئًا بخلافه فالله سيُعلن لكم هذا أيضًا*"[516].

---

[516] في٣-١٥.

لكن عندما لا نُريد أن نُصلح أي شيء يتعلق بتلك الأمور التي في استطاعتنا، فإننا ولا حتى في هذه سنصل إلى أتفاق بشأنها، وهو الأمر الذي حدث لليهود. "*من أجل هذا أكلمهم بأمثال. لأنهم مبصرين لا يُبصرون*"[517]. **كيف بينما أبصروا لم يُبصروا؟ أبصروا كيف كان السيد المسيح يطرد الشياطين، بيد أنهم قالوا أن به شيطان، وأبصروا كيف أنه أقام الموتى، ومع ذلك لم يسجدوا له، بل وحاولوا أن يقتلوه**. لكن كرنيليوس لم يكن هكذا، ولهذا تحديدًا، لأنه صنع كل ما كان في إستطاعته برغبة حسنة، فقد أكمل الله له كل شيء.

إذن لا تقل لماذا سمّح الله لهذا الإنسان أن يكون ساذجًا بالإضافة إلى أنه وثني؟ لأنه لو كان هناك شخصًا بطبيعته ساذج، فمن غير الممكن أن يكون هذا معروفاً لدى البشر، بل أن ذلك يُعرف فقط لدى خالق القلوب. بعد ذلك نستطيع أن نقول أيضًا، إن هذا الساذج يهتم بموضوع خلاصه في كثير من المرات، بل ويحاول. وقد يتساءل أحد: كيف كان في إستطاعته أن يهتم بخلاصه، بينما كان ساذجًا إلى حدٍ كبير جدًا؟ أرجو أن تلاحظ هذا الساذج أيضًا، كيف إنه يُظهِر دقة شديدة في أموره الحياتية، والتي إن أراد بالطبع أن يُظهِرها في الأمور الروحية أيضًا، فإنه لن يتغافل عنها. خاصة، وأن تلك الأمور التي تدعم الحقيقة هي أكثر إشراقًا من الشمس، وفي أي مكان أو حيثما وصَّل الإنسان، من السهل أن يتمم خلاصه، إن كان بالطبع يريد أن يكترث بهذا الخلاص، ولا يعتبر هذا عملاً نافلاً. إذًا هل أمور الخلاص إنحصرت في فلسطين؟ هل إقتصرت على ركن صغير في المسكونة؟ ألم تسمع النبي الذي يقول: "*كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم*"[518]. ألا ترى أن هذه الأمور موضع تصديق؟ إذًا كيف سينال هؤلاء الغفران، وهم يرون أن تعليم الحق منتشر في كل مكان، ولا ينشغلون به، ولا يحرصون على إقتناءه.

---

[517] مت١٣-١٣.

[518] ار ٣١-٣٤

وأيضًا قد يتساءل أحد، ويقول: هل هذه الأمور تطلبها من شخص فظ وبربري؟ وأنا بدوري أقول، وليس فقط من شخص فظ وبربري، بل وأكثر بربرية من البربر الموجودين الآن. أخبرني لماذا يعرف هذا البربري كيف يحتج عندما يُظلَّم في شيء يتعلق بأموره الحياتية، ويقاوم عندما يُجبَر على فعل شيء، ويُدبر كل أموره، حتى إنه لا يريد أن يُضار مطلقًا ولا حتى لأجل أمر قليل أو يسير، بينما في الأمور الروحية لا يعمل بنفس هذا التعقل؟ وفي الوقت الذي فيه يسجد لحجر ما، ويعتبره إلهًا، ويقيم احتفالات، وينفق أموالاً، ويُظهر مخافة شديدة وإهتمام يعكس عدم سذاجته، فحين أقول عليه أن يطلب الإله الحقيقي، تَذكُر أنت لي السذاجة والبساطة. هذه الأمور ليست صحيحة، فالإدانة هنا تتعلق فقط بعدم المبالاة. لأنه مَنْ هم السذج والأكثر فظاعة في إعتقادك، هل هم أولئك الذين عاشوا في عصر إبراهيم، أم الذين يعيشون الآن؟ من الواضح جدًا إنك تعتقد أن الأكثر سذاجة وفظاظة، هم الذين عاشوا في عصر إبراهيم. وهل التقوى الآن أيسر، أم في عصر إبراهيم؟ من الواضح جدًا إنها الآن. لأن الجميع الآن ينادون بإسم الله، والأنبياء بشّروا، والأمور إكتملت، وأفكار اليونانيين نُقِضت، لكن في عصر إبراهيم، كان الكثيرون بعد جهلاء، وقد سادت الخطية، ولم يكن هناك ناموس لكي يُعلِّم، ولا أنبياء، ولا معجزات، ولا تعليم، ولا ذلك الجمع الذي يعرف الأمور الدينية جيدًا، ولا أي أمر آخر مشابه، بل إن كل الأشياء كانت قائمة كما لو إنها داخل ظلام دامس، وليل شتاء غير مُقمر.

لكن ذلك الرجل العجيب والكريم (أي إبراهيم)، فعلى الرغم من وجود عقبات كثيرة فقد عَرِف الله، ومارس الفضيلة، وقاد الكثيرين إلى غيّرة مشابهة، وأتم ذلك كله دون أن يعرف الحكمة الإنسانية، لأنه كيف كان له أن يعرفها في اللحظة التي لم تُكتشف فيها المعارف والعلوم؟ ولأنه بذل من جانبه قُصَارى جهده، فإن الله قدّم له بعد ذلك كل ما له. وبالطبع لا يمكنك أن تقول أن إبراهيم قد قَبِل التقوى من آبائه، فهو كان عابدًا للأوثان، وعلى الرغم من إنه كان من نسلهم، وكان بربريًا ونمى وسط

برابرة، ولم تكن له بوادر التقوى، إلا إنه عَرف الله، ونالَ كرامة أكثر بكثير من كل نسله الذي تمتع بالناموس وبالأنبياء أيضًا، وبصورة لا يمكن التعبير عنها. تُرى، لماذا؟ لأنه لم يهتم بالأمور الحياتية بشكل مُبَالغ فيه، لكنه كرّس نفسه بالكامل للجانب الروحي. وماذا عن ملكيصادق؟ ألم يُولد في تلك الأزمنة، ألم يكن متميزًا جدًا، حتى إنه كان كاهن الله؟ فقد كان من المستبعد، بل ومن المستبعد جدًا، أن يُغلَق على هذا الإنسان الوديع أو أن يظل مجهولاً.

إذن يجب ألا تقلقكم هذه الأمور، بل تعرفون أن الجدارة في كل مكان ترتبط بالإرادة، فلنفحص أمورنا، كي نصير أفضل. وعلينا ألا نُلقي المسئولية على الله، ولا أن نفحص لماذا ترك أو أهمل هذا، ودعا ذاك. خاصةً ونحن نصنع نفس الأمر، وهذا يشبه خادمًا، أخذ يفحص بالتدقيق عن ما وراء تدابير قد أتخذها سيده، لأنه سخط عليه. أيها التعس والشقي، بينما كان يجب عليك أن تهتم بتحمل مسئولياتك، وتتصالح مع السيد الرب، تنشغل بشأن الأمور التي لن تقدم عنها حسابًا، وتتنصل من تلك الأمور التي ستقدم عنها حسابًا بالضرورة.

٦- إذن قد تتساءل، هل أقول هذه الأقوال لليوناني والوثني؟ أنا بدوري أقول لك، إنتبه ليس فقط المهم ما ستقوله للوثني، بل كيف تقوِّم ذاتك. فإذا كان من الممكن أن يعثر وهو يفحص حياتك، فلتفكر ماذا ستقول، لأنه بالطبع أنت لن تُعطي حسابًا عن ذاك، ولو كان يعثر بعد، ولكن إذا أصابه ضرر بسبب طريقة حياتك، فإنك ستُعاني خطرًا مُخيفًا جدًا، عندما يرى إنك تفلسف الأمور عن ملكوت الله، وترتعب من الشدائد في الحياة الحاضرة، عندئذً فلتنتبه. إذًا عندما يرى هذه الأمور، فسيقع هو في الإدانة، ويقول لك إذا كنت تحب الملكوت، فلماذا لا تزدري بالأمور الحاضرة؟ فإن كنت تنتظر القضاء المخوف، فلماذا لا تحتقر المصاعب الحاضرة؟ ولو إنك تترجى الحياة الأبدية، فلماذا لا تسخر من الموت؟ إذًا عندما يقول كل هذه الأمور، فعليك أن تجد ما ستدافع به عن نفسك. عندما يرى إنك ترتعب من فقدان

المال، أنت يا من تنتظر ملكوت السموات وتترجاه، وإنك تفرح جدًا بفلس واحد، وأنك أيضًا تُعطي، حتى نفسك، نظير قليل من المال، عندئذ فلتفكر، لماذا كل ذلك، نعم إن هذه الأمور هي التي تُعثر الوثني.

بناء على ذلك فإن كنت قد حَرِصت على خلاصه، فلتدافع عن نفسك، ليس بالكلام، بل بالأعمال، وبذلك لن يجدف أحد على الله مطلقًا بسبب ذلك الموضوع.

بينما بسبب طريقة الحياة الشريرة، أنتشرت تجاديف لا تُحصى في كل مكان. إذًا فهذا ما يجب أن تُصححّه، لأن الوثني سيقول لك أيضًا، من أين أعلم أن الله أمرَّ بأمور يمكن أن تحدث؟ لأنه، وبينما أنت مسيحي وأسلافك مسيحين، ونشأت في هذه الديانة الحسنة، فإنك لا تصنع شيئًا من الأمور الحسنة. بماذا ستُجيب؟ إنك ستُجيب في كل الأحوال، أن هناك آخرين يصنعون هذه الأمور الحسنة، وهم الرهبان الذين يعيشون في البراري. ألا تخجل بعد ذلك من الإعتراف بإنك بالطبع مسيحي، وأنت تُحيله لآخرين، إذ لا يُمكنك أن تُظهر السلوك اللائق بالمسيحيين؟ خاصةً وأن ذاك الوثني سيقول على الفور، إذًا ما هي الحاجة أن أسير في الجبال وأن أسعى نحو البراري؟ فإن كان من غير الممكن أن يؤمن المرء وهو يعيش داخل المدن، ألا تكون إدانة طريقة الحياة هذه كبيرة، خاصةً إن كان المطلوب أن نركض نحو الصحاري ونهجر المدن؟، بل سيقول لك أشِر لي على شخص له زوجة وأولاد ومنزل، ويحيا بالتقوى. فماذا سنُجيب عن هذا؟ ألا ينبغي أن نُنَكِس رؤوسنا خجلاً؟ خاصة وأن المسيح لم يوصي بهذا، فبماذا أوصى؟ أوصى قائلاً: "*فليضيء نوركم هكذا قدام الناس*"[519]، ليس في الجبال، ولا في الصحراء ولا في الطرق غير المسلوكة.

وأقول ذلك، لا لكي أُسيء للذين سكنوا الجبال، بل لكي أُرثي لحال الذين يعيشوا في المدن، لأنهم تجردوا من الفضيلة. ولهذا ليتنا نسلك هنا في المدن بالفضيلة التي يحيا بها الرهبان في الجبال، لكي تصبح المدن بالحقيقة

---

[519] مت٥:١٦.

مدنًا. هذا السلوك يمكن أن يُصلح الوثني، ويقيه من عثرات لا حصر لها. حتى إن أردت، فذاك أيضًا يمكن أن تحميه من العثرة بصفة عامة. وأنت نفسك ستتمتع بمكافأت عديدة، وتُصلح حياتك، وتجعلها مشرقة من كل جانب "*لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات*"[٥٢٠]. لأنه هكذا سنتمتع نحن أيضًا بالمجد العظيم المدَّخر لنا، والذي ليتنا نناله جميعًا بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة إلى دهر الداهرين أمين.

+++++++

---

[٥٢٠] مت١٦:٥.

الأصحاح الخامس عشر

الإصحاح الخامس عشر

عظة ٢٨:

إذًا بعدما أعطى القديس بولس المجد للمسيح، نجده ينتقل مرة أخرى من الطلب إلى النصيحة، محولاً كلمته تجاه الأقوياء أي الأكثر قوة في الإيمان، قائلاً: " **فيجب علينا نحن الأقوياء**"، أي إننا لسنا بصدد تقديم إحسان بل هو أمر يجب أن نفعله. فماذا يجب علينا؟

" **أن نحتمل أضعاف الضعفاء" (رو١٥:١).**

أرأيت كيف إنه بالمديح رفع من قدر هؤلاء الأقوياء، ليس فقط بأن يدعوهم أقوياء، لكن بأن يعتبر نفسه واحدًا منهم؟ وليس ذلك فحسب، بل يحثهم على كل ما هو مفيد و مُفرح. فيقول أنت قوي، وعندما تُظهِر تسامحًا، فإنك لن تُضار على الإطلاق، أما بالنسبة للضعيف، فإن خطر مواجهة أسوأ أنواع الشرور، يظل قائمًا، ما لم تكن لديه القدرة على الإحتمال. ولم يقل، "*أن نحتمل الضعفاء*"، بل " أن نحتمل أضعاف الضعفاء"، وذلك لكي يحث القوي ويقوده إلى السلوك بالرأفة، كما يقول في موضع آخر "*إن إنسبق إنسان فأخذ في زلة، فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة*"[٥٢١] هل صرت قويًا؟ فلترد المكافأة لله الذي جعلك قويًا، وستردها حين تصلح مريضًا ضعيفًا. خاصةً وإننا نحن أيضًا ضعفاء، ولكننا صرنا أقوياء بالنعمة. ولا يجب أن تُظهر هذا الاحتمال في هذه الحالة فقط، بل وتسلك به أيضًا مع الذين يُعانون من أمراض مختلفة، فلو أن هناك شخص سريع الغضب، أو شتّام، أو كان يتصف بعيب أو نقص مشابه، فيجب عليك أن تحتمله.

وكيف يمكن أن يحدث هذا، إسمع الكلام الآتي، لأنه بعدما قال: "*يجب أن نحتمل*" أضاف "***ولا نُرضى أنفسنا***".

---

[٥٢١] غل٦ـ١.

" فليرض كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان" (رو١٥: ٢).

ما يقوله يعني الآتي: هل أنت قوي؟ فليتعرف الضعيف على قوتك، ليعلم قوتك، ولتصنع ما يُرضيه. ولم يقل فقط "فلترضي" بل قال "لخيره"، وليس فقط لخيره، لكي لا يقول الكامل في الإيمان، ها أنا أجذبه للخير، بل أضاف: "*لأجل البنيان*". وبناء على ذلك فسواء كنت غنيًا، أو في موضع سلطة، فيجب عليك ألا تصنع ما تُرضي به نفسك، بل إصنع تلك الأمور التي تُرضي بها الفقير، والمحتاج. وهكذا ستتمتع بالمجد الحقيقي، وستكون سببًا في فوائد كثيرة. لأن مجد الأمور العالمية يختفي سريعًا، بينما مجد الروحيات لا يزول، إن فعلت هذا لأجل بنيانه. ولهذا فهو يطلب ذلك من الجميع، أي ليس فقط من هذا وذاك، بل من "*كل واحدٍ*".

بعد ذلك، ولأنه أوصى بشيء عظيم، وأوصى أهل رومية أن يتركوا الاهتمام بأنفسهم، لكي يصلحوا ضعف الآخر، نجده مرة أخرى يتحدث عن المسيح، قائلاً:

" لأن المسيح أيضًا لم يُرض نفسه" (رو١٥: ٣).

وهذا ما إعتاد عليه القديس بولس، خاصةً عندما كان يتكلم عن الرحمة، فيقول: "*فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح إنه من أجلكم أفتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره*"[٥٢٢]. وعندما كان ينصح بالمحبة، كان يُحدِّد توجهه، قائلاً: "*كما أحب المسيح*"[٥٢٣]. وعندما نصح بالصبر على الخزي والأخطار، نجده يضع المسيح نموذجًا لذلك، قائلاً: "*الذي من أجل السرور الموضوع أمامه أحتمل الصليب مستهينًا بالخزي*"[٥٢٤]. هكذا وهنا أيضًا يُوضح مدى إحتمال المسيح، وأن داود النبي قد سبق وأنبأ بذلك من قبل. ولهذا أضاف: "***كما هو مكتوب تعييرات مُعيِّريك وقعت عليّ***"[٥٢٥]. لكن ماذا

---

[٥٢٢] ٢كو٨: ٩.

[٥٢٣] أف ٥: ٢٥.

[٥٢٤] عب١٢: ٢.

[٥٢٥] مز ٦٩: ٩.

يعني بعبارة "*لم يُرض نفسه؟*" لقد كان من الممكن للمسيح أن لا يسمح لأحد أن يُهينه، وأن لا يعاني ما عاناه، لو كان قد أراد أن يهتم إهتمامًا منصبًا على ما هو لصالح نفسه، لكنه لم يرد ذلك، بل تجاوز ما هو لخيره، لأنه إهتم بما هو لخيرنا. ولماذا لم يقل (هنا) أخلى ذاته، بل قال " لم يرض نفسه"؟ لأنه لم يكن يُريد أن يُظهر هذا الجانب فقط، أي إنه صار إنسانًا، لكنه أراد أن يظهر أنه أُهين أيضًا، ووقع عليه شر عظيم من كثيرين، إذ أُعثُبرَ ضعيفًا. وقيل له: "*إن كنت إبن الله فأنزل عن الصليب*" وأيضًا "*خَلّص آخرين وأما نفسه فلم يقدر أن يخلصها*"[٥٢٦].

ولهذا فقد أشار إلى النبوءة التي تؤكد حقيقة ما قاله، بل ويُظهر أكثر بكثير من ذلك الذي وُعِد به. لأنه لم يُبيّن فقط أن المسيح قد أُهين، بل والآب أيضًا. "*تعييرات مُعييرك*" هكذا يقول "*وقعت عليّ*". ما يقوله يعني الآتي: أنه لا شيء جديد قد حدث، ولا شيء غريب، لأن أولئك الذين فكروا أن يُهينوا الآب في العهد القديم، هم الذين حنقوا جدًا على الابن. وهذه الأمور كُتِبت، لكي نحذو حذوه (أي نسلك كما سلك هو). هنا هو يُعدّهم للإحتمال والصبر حين تقع التجارب.

"لأن كل ما سبق فكُتب كُتب لأجل تعليمنا حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء" (رو١٥: ٤).

أي لكي لا نفقد الرجاء، لأن الجهاد الروحي متنوع من الداخل ومن الخارج، هذا الجهاد يدعونا إلى الصبر، فننال قوة وتعزية من الكتب، لكي نتمسك بالرجاء، ونعيش بالصبر. أي أن هذين الأمرين أي الصبر والرجاء يصنع أحدهما الآخر، فالصبر يُنشئ رجاء، والرجاء يُنشئ صبرًا، والاثنان يأتيان من الكتب المقدسة.

٣ـ ثم ينتقل بعد ذلك إلى الطلبات، قائلاً:

---

[٥٢٦] مت٢٧: ٤٠ـ٤٢.

" وليعطكم إله الصبر والتعزية أن تهتموا إهتمامًا واحدًا فيما بينكم بحسب المسيح يسوع" (رو١٥: ٥).

أي إنه بعدما قدَّم نصيحته، أخذ يتحدث عن السلوك بحسب المسيح، وعن الشهادة التي من الكتب المقدسة، لكي يُبيّن أن المسيح يُعطي الصبر، بالإضافة إلى الكتب، ولهذا قال: "*وليعطكم إله الصبر والتعزية أن تهتموا إهتمامًا واحدًا فيما بينكم بحسب المسيح يسوع*" لأن ما يعتبر دليل محبة، هو أن يهتم الشخص بالآخر مثل إهتمامه بنفسه تمامًا. بعد ذلك لكي يُبيّن أيضًا، أنه لا يطلب محبة فقط، أضاف: "*بحسب المسيح يسوع*"، الأمر الذي يفعله في كل موضع، لأنه يوجد نوع آخر من المحبة. وما هو فائدة الإهتمام الواحد؟ يقول:

" لكي تمجدوا الله أبا ربنا يسوع المسيح بنفس واحدة وفم واحد" (رو١٥: ٦).

لم يقل فقط "بفم واحد"، لكنه أمر أن نصنع هذا "بنفس واحدة". أرأيت كيف أنه وّحَدَ كل الجسد (أي الكنيسة)، وختم الحديث مرة أخرى بالتمجيد، ومن خلاله حث الجميع، وبشكل خاص، على الوئام والتوافق. وبعد ذلك، وإنطلاقًا من هذا الحديث، يعود أيضًا إلى نفس النصائح قائلاً:

" لذلك إقبلوا بعضكم بعضًا كما أن المسيح أيضًا قبلنا لمجد الله " (رو١٥: ٧).

النموذج إلهي أيضًا والفائدة التي تجنيها لا يُعبر عنها، لأن هذا الوئام والإهتمام الواحد يُمجّد الله بقوة. وبناء على ذلك فحتى وإن كنت تختلف مع أخيك، إلا إنك تأسف لأجله، إذ تدرك أنك بهذا تُمجّد إلهك، أي عندما تُوقف الغضب، وإن لم يكن لأجل أخيك، فعلى الأقل لأجل أن تتصالح مع نفسك بصفة خاصة، أو من الأفضل أن نقول، عليك أن تتصالح أولاً مع نفسك لأجله. خاصةً وأن المسيح يذكر هذا في كل موضع، مُتحدثًا مع الآب قائلاً: "*ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني*"[٥٢٧].

---

[٥٢٧] يو١٧ــ٢١.

٤ـ إذن فلنخضع للجميع، ولنكن واحدًا فيما بيننا. لأن النصيحة لا توجّه هنا للضعفاء فقط، بل إلى الجميع، وحتى إن أراد أحد أن ينفصل عنك، لا تنفصل أنت عنه، ولا تقل كلامًا فاترًا مثل: إن أحبني أحبه، إن لم تحبني عيني اليمنى، سأقلعها. لأن هذا الكلام هو كلام شيطاني ويليق بالعشارين وصغار النفوس وعبده الأوثان. أما أنت يا من دُعيت لمدينة عظيمة وحُسبت من مواطني السماء، فإنك مسئول عن تنفيذ وصايا عظمى. ينبغي إذًا ألا تتكلم بهذا الكلام، بل حين يُعبِّر أحد عن رغبته في عدم محبتك، فلتُظهر أنت محبتك بصورة أقوى، لكي تجذبه للمسيح. خاصةً وأنه عضو في جسد المسيح، والعضو عندما ينفصل عن باقي الجسد لسبب خارج عن إرادته، فإننا نفعل كل شيء، لكي نوحّده معنا مرة أخرى، وعندئذ نُظهر له عناية أكبر. لأن المكافأة تكون أكثر عندما يتمكن المرء من أن يجذب الآخر الرافض للمحبة. إذًا فإن كان يأمرنا أن نوّجه دعوة لمأدبة غداء للذين لا يتمكنون أن يردوا لنا الدعوة، فذلك لكي يزداد عدد الذين يأتون نتيجة هذه المجازاة، فبالأولى كثيرًا يجب أن نفعل هذا إنطلاقًا من المحبة. لأن ذاك الذي يُحَب ويُحِب، يرد لك المكافأة، بينما ذاك الذي يُحَب ولا يُحِب، فقد جعل الله، هو المدين لك بدلاً منه[٥٢٨]. وبالإضافة إلى كل هذا، فعندما يُحبك ويرد لك الدعوة، فإنه لا يكون في حاجة لرعاية كبيرة، أما عندما لا يحبك ولا يستطيع أن يدعوك، فحينئذًا يكون محتاجًا لمساعدتك.

إذن لا ينبغي أن تجعل رعايتك له سببًا للخمول، ولا تقل إنني أهمله لأنه مريض. خاصةً وأن مرضه ناتج عن تجمّد مشاعر المحبة، لكن إملأ ذاك الذي يُعاني من تجمّد مشاعر المحبة، بدفء محبتك، إذًا ماذا سأفعل، هكذا يقول، لو أنه لم يشعر بالدفء؟ أقول عليك أن تصر على بذل قُصَارى جهدك، وماذا إن لم يحدث تغيير إلى الأفضل؟ هذا أيضًا يمنحك جزاء البر، ويُظهرك بالأكثر مشابهًا للمسيح في محبته للآخر. لأنه إن كان لنا محبة

---

[٥٢٨] أي الذي إستجاب لدعوتك، ولكنه لا يستطيع أن يرد لك هذه الدعوة، هذا يجعل الله هو المدين لـك نيابة عنه، لأنه فقير وغير قادر على الرد.

بعضنا نحو بعض، فهذه صفة يتسم بها تلاميذ المسيح، لأنه يقول "*بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حبًا بعضًا لبعض*"[٥٢٩]، فكّر في كم تكون عظيمًا عندما تحب من يبغضك، لأن إلهك أيضًا أحب وعزّى الذين أبغضوه، وبقدر ما كانوا مرضى، بقدر ما قدم لهم رعاية أكثر، وكرز قائلاً: "*لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى*"[٥٣٠]، وأَعتَبَر العشارين والخطاة مستحقين لنفس المائدة، وبقدر ما إهانة اليهود، بقدر ما أظهر كرامة وعناية بهم، بل والأفضل أن نقول إنه قد أظهر أكثر من ذلك بكثير. هذا هو الذي يجب أن تحذو حذوه أنت أيضًا . وبالطبع فإن هذا الإنجاز ليس بالأمر الهين، بل بدون المحبة، فإنه ولا حتى ذاك الذي يشهد للإيمان، يمكن أن يصير مقبولاً لدى الله بهذا القدر الكبير، كما يقول الرسول بولس[٥٣١].

إذن لا تقل، أنهم يبغضونني ولذلك فأنا لا أُحِب، بل من أجل هذا تحديدًا يجب أن تُحِب . ومن ناحية أخرى فمن غير الممكن أيضًا حين تُحِب أن تُبغض سريعًا، وحتى إذا كان الذي تحبه وحشًا، فإنه يحب الذين يحبونه. لأن الكتاب يقول "*أليس العشارون أيضًا يفعلون ذلك*"[٥٣٢]. لكن لو أن كل واحد يُحب أولئك الذين يحبونه، فهل هناك مَن لا يحب، أولئك الذين يحبون مُبغضيهم، وحتى في نفس اللحظة التي يَتعرضون فيها للبغضة؟ هذا إذًا ما ينبغي أن تُظهره، ولا تتوقف عن الكلام في هذا الأمر هنا، أي مهما أبغضتني، فلن أتوقف عن أن أحبك .

فينبغي أن تُبطل كل صراع، وكل المشاعر الجافة التي للنفس. لأن هذا المرض (أي البُغضة) يأتي إما من لهيب الشهوة أو من تجمد مشاعر النفس، أما قوة المحبة فغالبًا ما تصحح الأمرين (أي اللهيب الداخلي وتجمد مشاعر النفس)، ألا ترى أن أولئك الذين يعشقون النساء العاهرات يُلطَمون ببذاءة،

---

[٥٢٩] يو١٣ــ٣٥.

[٥٣٠] مت٩ــ١٢.

[٥٣١] أنظر ١كو ١٣:١ــ٤.

[٥٣٢] مت٥ــ٤٦.

ويُبصَق عليهم، ويُشتَمون، ويعانون شرورًا لا حصر لها؟ فهل الشتائم قد وضعت نهاية لعشقهم، لا على الإطلاق، بل أشعلته بالأكثر. وإن كان أولئك النساء اللواتي يفعلن هذه الأمور بالإضافة إلى عهارتهن، ينحدرون بالطبع من أصل وضيع، بينما يمكن أن يكون الذين يعانون (هذه الإهانات في كثير من الأحيان)، هم من أصل راقي ومرموق ويتمتعون بمزايا عديدة، ورغم ذلك فلا شيء من كل هذا يثنيهم، ولا يُبعدهم عن عشيقاتهم.

ألا نخجل بعد كل هذا، فمهما كانت قوة عشق إبليس والشياطين، ألا نستطيع إظهار مدى عظمة المحبة التي تتفق مع إرادة الله؟ ألا تفهم أن هذا العمل، هو سلاح قوي جدًا ضد الشيطان، ألا ترى أن ذلك الشيطان الخبيث قائم، لكي يجذب إلى نفسه ذاك الذي يُبغَض ويريد أن يخطف عضوًا من أعضاء الجسد، بينما أنت لا تبالي وتسلم جائزة النصرة في المعركة، خاصةً وأن الأخ قائم في المنتصف كجائزة، فإن إنتصرت، فأنت الذي تفوز بالإكليل، لكن إن كنت لا تُبالي، فأنت تمضي وأنت غير متوج. إذًا فلنكف عن التكلّم بذلك الكلام الشيطاني، مثل: لو أن عيني أبغضتني، فلن أستطيع أن أعتبرها جزء مني. لأنه لا يوجد كلام أكثر تفاهة من هذا الكلام، على الرغم من أن الكثيرين يعتبرونه دليلاً على نفس نبيلة. إلا إنه لا يوجد مَنْ هو أكثر دناءة من ذاك (الذي يتحدث بهذه الأمور)، ولا يوجد ما هو أكثر غباءً وأكثر حماقة من هذا. ولذلك فعلى أية حال فإني أحزن، لأن الشرور، قد أُعتبِرتْ فضيلة، وأن الازدراء والاحتقار يبدو أمرًا مستحقًا للإحترام والتقدير، وكون أن الشر يُحَاط بهالة من المجد فهذا ما يُعتَبر فخًا شيطانيًا، ولهذا فإنه من الصعب أن يزول هذا الشر، خاصة وإني قد سمعت كثيرين وهم يفتخرون، لأنهم لا يريدون أن يقتربوا من أولئك الذين يبتعدون عنهم، إلا أن إلهك يسعى وهو مملوء بالطبع فرحًا نحو مَنْ يتحول عنه.

إذن كم مرة أحتقر الناس المسيح له المجد، وكم مرة تحوّلوا عنه؟ أما هو فلم يتوقف عن أن يُسرع ويقترب منهم. إذًا لا تقل أنني لا أستطيع أن أقترب من الذين يبغضونني، بل بالحري قل، إنني لا أستطيع أن أحتقر الذين

يحتقرونني. هذا كلام يتحدث به تلميذ للمسيح، بينما الآخر فهو كلام الشيطان. كلام تلميذ المسيح يجعل الناس مُشرقين ومُمَجَدين، بينما الآخر (الذي للشيطان)، يجعلهم سفهاء وموضع سخرية. ولهذا فنحن نُعجب بموسى، لأنه عندما قال له الله: "*أتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم*"[٥٣٣]، لم يستطع أن يحتقر الذين تحولوا عنه مرات عديدة، ولكنه قال: "*والآن إن غفرت خطيئتهم وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت*"[٥٣٤]. لأنه كان محبًا لله وحذا حذوه.

فلا يجب أن نفتخر بأمورٍ، كان ينبغي أن نشعر بخجل منها، ولا أن نتكلم بكلام مُبتذل وتافه، يتفوه به السوقة، لدرجة أن أحدًا منهم يقول إنني في موضع يجعلني أبصق في وجوه بشر لا حصر لهم، لكن وإن كان هناك مَن يتحدث بهذه الأمور، فلنسخر منه، ولنُلجم لسانه، لأنه يفتخر بأمور كان ينبغي أن يخجل منها.

ماذا تقول؟ أخبرني، هل تبصق في وجه إنسان مؤمن، وهو الذي حين كان غير مؤمن، لم يبصق المسيح في وجهه؟ ماذا أقول؟ أقول أنه لم يبصق في وجه، بل أحبه بصورة كبيرة جدًا، وبالرغم من إنه كان بذيئًا وسيئًا، إلا أنه قد مات من أجله.

وبعد كل هذا، فأنت الآن تحتقر ذاك الذي أحبه المسيح بهذا القدر الكبير، رغم إنه كان (بذيئًا وسيئًا)، وتفعل ذلك بعدما أصبح صالحًا وبارًا. أخبرني (كيف يحدث هذا)، بينما هو عضو في جسد المسيح، وصار هيكلاً للرب؟ ألا تفهم ماذا تقول؟ ألا تشعر بفداحة ما تتجرأ على (التكلم به)؟ فالمسيح هو رأسه، وله: المائدة، والرداء، والحياة، والنور، والعريس، وكل ما له، هو لذاك (أي لمن خلّصه)، وتتطاول قائلاً، أبصق في وجه؟ وليس هذا فقط، بل تفعل هذا الأمر مع آلاف آخرين. مهلاً أيها الإنسان، كف عن جنونك، ولتعترف بقيمة أخيك، تعلّم أن هذا الكلام هو دليل حماقة وخَبَلْ،

---

[٥٣٣] خر ٣٢ـ١٠.

[٥٣٤] خر ٣٢ـ٣٢.

ولتتكلم بعكس ما تكلّمت به، ولتقل حتى وإن بصق عليَّ مرات عديدة، فإنني لن أبتعد عنه. هكذا ستريح أخاك، وستحيا لمجد الله، وسيكون لك نصيب في خيرات الدهر الآتي، التي ليتنا جميعًا ننالها بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس، المجد والقوة والكرامة، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور أمين.

+ + + + + + +

عظة ٢٩:

" وأقول إن يسوع المسيح قد صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يُثبّت مواعيد الآباء" (رو١٥: ٨).

١ـ مرة أخرى يحدثنا عن عناية المسيح، مستمرًا في نفس الحديث وموضحًا كم صنع من أجلنا وكيف تَخَلَى عن المجد اللائق به. وبالإضافة إلى هذا، يُظهر أن القادمين من الأمم، مديونون لله بالأكثر. لكن إن كانوا مديونين أكثر، فسيكون من العدل أن يحتملوا الضعفاء الذين آمنوا من اليهود. إذًا فقد أدان هؤلاء اليهود بشدة، لكي لا يجعلهم يفتخرون، إذ ضبط إفتخارهم أيضًا، مُبيّنًا أن الخيرات تُعطيَ لهم بسبب الوعود التي أُعطيت لآباءهم، بينما تُعطيَ للقادمين من الأمم بسبب رأفته ومحبته للبشر فقط. ولهذا قال أيضًا:

" وأما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة" (رو١٥: ٩).

وحتى يكون الكلام أكثر وضوحًا، فإنه يستحق أن تسمع أيضًا ما أقول، لكي تعرف ماذا يعني أن "المسيح قد صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يُثبّت مواعيد الآباء".

إذن ماذا يعني هذا الكلام؟ أن الله أعطى وعدًا لإبراهيم، إذ قال: "*لنسلك أُعطي هذه الأرض*" وأيضًا " *ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض*"[٥٣٥]. بيد أن نسل إبراهيم جلب بعد ذلك عقابًا لنفسه. لأنهم عندما خالفوا الناموس، آثار ذلك عليهم غضب الله، وحرمهم فيما بعد مما أُعطيَ لآباءهم. أخيرًا عندما أتى الإبن، عمل مع الآب على تحقيق تلك الوعود. لأنه بعدما تممّ كل الناموس، ومارس الختان، خلّصهم بواسطة صليبه من لعنة مخالفة الناموس، وهكذا لم يترك الوعد يبدو كاذبًا. حسنًا عندما يقول "خادم الختان"، فهذا ما يعنيه، أنه بعدما أتى وتممّ الناموس كله وأُختتن وصار من نسل إبراهيم، أزال اللعنة، وأوقف غضب الله، وجعل أولئك الذين سيقبلون الوعد فيما بعد مستحقين له، بعدما تحرروا للأبد من عداوتهم لله.

---

[٥٣٥] تك١٢: ٧، ٢٢: ٨.

إذن لكي لا يقول أولئك اليهود، كيف أُختتن المسيح، وحفظ كل الناموس؟ فإن الرسول بولس يُحول معنى الختان وحفظ الناموس إلى عكس ما كانوا يعتقدونه. ويوضح أن المسيح قد فعل هذا، **لا لكي يُبقي الناموس، بل لكي يُبطله، ولكي يُخلّصك من لعنته، ويحررك تمامًا من سلطانه. ولأنك خالفت الناموس، لهذا تمّمه المسيح، وقد فعل هذا لا لكي تُتممه أنت، بل لكي يحقق فيك الوعود التي أُعطيت لآبائك، تلك التي جعلها الناموس تبدو كاذبة، مُظهرًا أنك صِرت عدوًا، وإنك غير مستحق للميراث.** إذًا لا تتمرد، ولا تتشاجر، لأنك تُحدّق في الناموس بلا هدف، خاصة وأنه هو الذي كان سيحرمك من الوعد، لو لم يكن المسيح قد تألم كل هذه الآلام لأجلك. وهو قد عاني كل هذا، لا لأنك مستحقٌ للخلاص، بل لكي يكون الله صادقًا.

٢ـ بعد ذلك، ولكي لا يجعل القادم من الأمم ينتفخ بسبب هذا الكلام، يقول: " *وأما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة*". ما يقوله يعني الآتي: أن اليهود الذين آمنوا بالمسيح لهم على الأقل وعود، حتى وإن كانوا غير مستحقين، أما أنت أيها الأممي فليس لك هذه الوعود، بل إنك خَلُصت بالرحمة فقط. وما كان لليهود أن يتمتعوا بأي شيء من الوعد، ما لم يكن المسيح قد آتى. ولكن لكي يُشركهم، وحتى لا يسمح لهم أن يثوروا ضد الضعفاء، يُذكّرهم بالوعود. ولهؤلاء الأمم يقول، أنهم خلصوا فقط من أجل الرحمة. ولهذا فمن العدل أن يُمجدوا الله. إلا أن مجد الله يتحقق حين نكون مرتبطين فيما بيننا بشدة، وعندما نكون متحدين، ونمجد الله بروح واحد، علينا أن نتحمل الأكثر ضعفًا، وألا نحتقر أي عضو منّا عندما يُقطع. ثم يضيف بعد ذلك شهادات يُظهر من خلالها أنه ينبغي على القادم من اليهود أن يتحد مع نظيره القادم من الأمم، قائلاً:

" كما هو مكتوب من أجل ذلك سأحمدك في الأمم وأرتل لأسمك، ويقول أيضًا تهللوا أيها الأمم مع شعبه. وأيضًا سبحوا الرب يا جميع الأمم وامدحوه يا جميع الشعوب. وأيضًا يقول إشعياء سيكون أصل يسىّ والقائم ليسود على الأمم عليه سيكون رجاء الأمم" (رو١٥: ١٠ـ١٢).

ولكنه يشير إلى كل هذا، لكي يبيّن أنه ينبغي علينا أن نكون مُتحِدين فيما بيننا وأن نمجد الله، وفي نفس الوقت لكي يضبط القادم من اليهود، لكي لا يفتخر في مواجهة الأممي، طالما أن جميع الأنبياء قد دعوهم، وأيضًا لكي يُقنع القادم من الأمم بأن يكون معتدلاً، بإظهار كيف إنه مسئول أمام النعمة الكبيرة التي نالها. بعد ذلك يُنهي حديثه أيضًا بطلبه، قائلاً:

"وليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام في الإيمان لتزدادوا في الرجاء بقوة الروح القدس" (رو١٥ـ١٣).

أي ليتكم تتخلصون من الحزن الذي بينكم ولا تتركوا التجارب تتغلب عليكم، وستتمكنوا من ذلك عندما يكون لديكم رجاءً وفيرًا. لأن الانتصار على التجارب هو سبب كل الخيرات، وهذا سيتحقق بالروح القدس. لكن علينا أن لا نتكاسل متواكلين على الروح القدس فقط، بل علينا أن نُقدم ما لدينا. ولهذا يقول: "*في الإيمان*"، لأنه هكذا يمكنكم أن تمتلئوا بالفرح، إن كنتم تؤمنون، وإن كنتم تترَّجون. لكنه لم يقل فقط، إن كنتم تترَّجون، بل قال "*لتزدادوا في الرجاء*"، حتى لا تجدوا فقط عزاء في الضيقات، بل وأن تقتنوا فرحًا أيضًا بسبب زيادة الإيمان والرجاء. وبذلك تَجذِبوا الروح القدس، وعندما يأتي المسيح، ستكون كل الخيرات محفوظة لكم على الدوام.

٣ـ تمامًا كما أن الطعام يحفظ حياتنا، وبهذه الطريقة يُحفظ الجسد، هكذا إن كانت لنا أعمالاً صالحة، فسنقتني الروح القدس، وإن ربحنا الروح القدس سنقتني أعمالاً صالحة، والعكس صحيح تمامًا، فإن لم نمتلك أعمالاً صالحة، سيختفي الروح، وإن حُرِمنا من الروح القدس سنكون مُجرَدين من الأعمال الصالحة. لأنه عندما تُفارقنا نعمة الروح القدس سيأتي الروح النجس، وهذا كان واضحًا مما حدث مع شاول. لأنه ماذا يحدث إذا

كان لا يخنقنا الشيطان بنفس الطريقة التي خنق بها شاول؟ إنه في الحقيقة يشنقنا بطريقة مختلفة بواسطة أعمال شريرة . إذًا نحن نحتاج قيثارة داود ، لكي نُرنم للنفس تلك الألحان الإلهية والتي تنبعث من المزامير، ومن الأعمال الصالحة، بينما إن صنعنا أمرًا واحدًا فقط من الأمرين، فحتى وإن كنا نسمع الترنيم، إلا أننا، بواسطة الأعمال الشريرة نحارب داود الذي يرنم هذه الألحان، تمامًا كما صنع شاول في ذلك الوقت سيتحول الدواء إلى سُم، والهوس الذي أصاب شاول، سيصير فينا أكثر وحشية. لأنه في البداية عندما نسمع لكلمة الله يخاف الشيطان الخبيث، وعندما ننصت لها نتمكن من ممارسة الأعمال الصالحة، أما حين يرانا قابعين كما نحن، على الرغم من إننا نسمع، يتبدد خوفه سريعًا.

لنُرنم إذًا الترنيمة التي تأتي بواسطة الأعمال، لكي نُبعِد الخطية المخيفة جدًا التي تأتي من الشيطان. بالطبع لا يستطيع الشيطان في كل الأحوال، أن يحرمنا من ملكوت السموات، ولكنه كثيرًا ما يحاول أن يُبعد النفس عن ملكوت الله، والخطية على إية حال تُبعدنا عن ملكوت السموات. لأن الخطية هي شيطان إرادي أو طوعي، وهوس جائر، ولهذا تحديدًا، فهي لا تعرف أولئك الذين يرحمون ولا الذين يصفحون. لنُرنم إذًا للنفس التي تحمل مثل هذه الرغبة من نصوص الأسفار المقدسة الأخرى، ومن مزامير المطوب داود، وليُرنم الفم، وليتعلم الذهن. وهذا الأمر ليس باليسير، لأنه إذا علَّمنْا اللسان أن يُرنم، فإن النفس ستستحي عندما يُرنم اللسان، وتقرر الصواب، وهكذا سنربح ليس فقط هذا الأمر الحسن، بل وسنعرف أمورًا كثيرة تهمنا: عن الأمور الحاضرة، والمستقبلة، والأمور المرئية، والكون غير المرئي.

وإن أردت أن تعرف شيئًا عن السموات، وما هو الذي سيبقى هكذا، وما الذي سيتحول من (الأمور المرئية وغير المرئية)، يُجيبك الكتاب بوضوح ويقول: "*هي تبيد وأنت تبقى وكلها كثوب تبلى كرداء تغيرهن فتتغير*"[٥٣٦]. وإذا أردت أن تسمع شيئًا عن شكل السماء، ستسمع أيضًا: "*الباسط*

[٥٣٦] مز ١٠٢: ٢٦.

السموات كشُقَّة"[٥٣٧]. وإذا أردت أن تعرف شيئًا أكثر عن الجزء الذي هو فوق السماء، سيقول لك أيضًا: "*المسقف علاليه بالمياه*"[٥٣٨]. ولم يتوقف عند هذا الحد، بل يكلمك عن عرض السماء وإرتفاعها، مبينًا أن العرض والطول في الأمور الروحية لهما نفس المقاييس الخاصة بالأمور المادية. لأنه يقول: "*لأنه مثل إرتفاع السموات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه. كبعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا*"[٥٣٩]. وإن كان لديك فضولاً لتعرف شيئًا عن أساسات الأرض، فهو لن يُخفي عنك هذا الأمر، بل ستسمعه يُرنم ويقول: "*على البحار أسسها*"[٥٤٠]. وأن أردت أن تعرف عن الزلازل والأسباب التي تؤدي إليها، فإنه سيُخلِصك من كل حيرة، قائلاً: "*الناظر إلى الأرض فترتعد*"[٥٤١]. وإن طلبت معرفة ضرورة الليل، فإن هذه ستعرفها، متعلمًا من داود القائل: "*تجعل ظلمة فيصير ليل فيه يدب كل حيوان الوعر*"[٥٤٢].

وما الفائدة من الجبال، يجيبك: "*الجبال العالية للوعول*"[٥٤٣]. لماذا يوجد الشجر غير المثمر؟ يجيب: "*حيث تعيش هناك العصافير*"[٥٤٤]. لماذا توجد منابع في الصحراء؟ لأنه: "فوقها طيور السماء تسكن"، "*وتسقي كل حيوان البر*"[٥٤٥]. لماذا الخمر؟ لا لكي تشرب فقط، لأن الماء يكفي، بل لكي تفرح: "*وخمر تفرح قلب الإنسان*"[٥٤٦]. وحين تعرف هذا ستدرك إلى أي حد يجب أن تستخدم الخمر. ومن أين تقتات الطيور والحيوانات المتوحشة؟ ستسمعه يقول: "*كلها إياك تترجى لترزقها قوتها في حينه*"[٥٤٧]. وإن سألت عن الحيوانات

---

[٥٣٧] مز ١٠٤: ٢.
[٥٣٨] مز ١٠٤: ٣.
[٥٣٩] مز ١٠٣: ١١ـ١٢.
[٥٤٠] مز ٢٤: ٢.
[٥٤١] مز ١٠٤: ٣٢.
[٥٤٢] مز ١٠٤: ٢٠.
[٥٤٣] مز ١٠٤: ١٨.
[٥٤٤] مز ١٠٤: ١٧.
[٥٤٥] مز ١٠٤: ١١، ١٢.
[٥٤٦] مز ١٠٤: ١٥.
[٥٤٧] مز ١٠٤: ٢٧.

المستأنسة؟ يجيبك، أن هذه قد صارت لأجلك. لأنه يقول: "*المنبت عشب للبهائم وخضرة لخدمة الإنسان*"[548]. وما هي الحاجة للقمر؟ إسمعه وهو يقول: "*صنع القمر للمواقيت*"[549]. وكل الأمور المرئية وغير المرئية هي صائرة، وهذا قد علَّمه بوضوح قائلاً: "*لأنه قال فكان هو أمر فصار*"[550].

ومن جهة أنه يوجد خلاص من الموت، فهذا أيضًا علَّمه، قائلاً: "*اللّه يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني*"[551]. ومن أي شيء خُلِقَ (الإنسان) جسديًا؟ وهذا أيضًا قاله: "لأنه يعرف جبلتنا". "*يذكر إننا تراب نحن*"[552]. إلى أين يذهب أيضًا؟ "*إلى ترابها تعود*"[553]. ولماذا كل هذه الأشياء؟ هي من أجلك "بمجد وبهاء تكلله. تسلطه على أعمال يديك"[554]. وهل لنا نحن البشر شيئًا مشتركًا مع الملائكة؟ فهذا ما قاله مرنمًا: "وتنقصه قليلاً عن الملائكة". وعن محبة الله يقول: "*كما يتراءف الآب على البنين يترآف الرب على خائفيه*"[555]. وعن تلك الأمور التي تتبعنا بعد كل هذا، وعن تلك النهاية الهادئة يقول: "*إرجعي يا نفسي إلى راحتك*"[556]. لماذا السماء كبيرة بهذا المقدار؟ يقول: "*السموات تحدث بمجد الله*"[557]. لماذا صارا الليل والنهار؟ لا لكي يُنيرا ويُريحا فقط، بل ولكي يُعلّما. "*في كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم*"[558]. كيف يوجد البحر حول اليابسة؟ "*كسوتها الغمر كثوب*"[559].

---

[548] مز ١٠٤: ١٤.
[549] مز ١٠٤: ١٩.
[550] مز ٣٣: ٩.
[551] مز ٤٩: ١٥.
[552] مز ١٠٣: ١٤.
[553] مز ١٠٤: ٢٩.
[554] مز ٨: ٥ـ٦.
[555] مز ١٠٣: ١٣.
[556] مز ١١٦: ٧.
[557] مز ١٩: ١.
[558] مز ١٩: ٤.
[559] مز ١٠٤: ٦.

لكن إذ نبدأ من الأمور السابقة، ستعرفون كل ما يتعلق بالمسيح، وبالقيامة، وبحياة الدهر الآتي، وبالراحة الأبدية، وبالجحيم، والموضوعات الأخلاقية، وكل ما هو متعلق بالعقائد، وستجدوا أن الكتاب مليء بخبرات لا تُحصى. وحتى إن وَقَعتَ في تجارب، فستأخذ من الكتاب المقدس عزاء كثيرًا، وإن سقطت في خطايا، ستجد فيه أدوية لا حصر لها، وإن سقطت في براثن الفقر، أو في ضيقة، فسترى مواني كثيرة، وإن كنت بارًا، ستتنعم هناك بالأمان، وإن كنت خاطئًا ستربح عزاءً كبيرًا، لأنه إن كنت بارًا وتعاني من مآسي، ستسمعه يقول: "*لأننا من أجلك نُمات اليوم كله. قد حسبنا مثل غنم للذبح. هذا كله جاء علينا وما نسيناك ولا خُنّا عهدك*"[٥٦٠]. وإن كانت إنجازاتك تجعلك تفتخر ستسمعه يقول: "*لا تدخل في المحاكمة مع عبدك فإنه لن يتبرر قدامك حي*"[٥٦١]. وستتواضع على الفور. وإن كنت خاطئ وتوجد في حالة يأس ستسمعه وهو يرنم باستمرار "*اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما في مريبة*"[٥٦٢]. وستقف بسرعة منتصبًا. وإن كنت تحمل أكليلاً فوق رأسك، وتنظر إلى ذاتك بإعجاب كبير، ستعلم إنه "*لن يخلص الملك بكثرة الجيش الجبار لا يُنقذ بعظم القوة*"[٥٦٣]، وعندئذ يمكن أن تكون متواضعًا.

إن كنت غنيًا وممجدًا، ستسمعه أيضًا وهو يُرنم ويوجه الويل للذين: "*يتكلمون عن ثروتهم وبكثرة غناهم يفتخرون*"[٥٦٤] و "*الإنسان مثل العشب أيامه*"[٥٦٥] و "*عند موته كله لا يأخذ لا ينزل وراءه مجده*"[٥٦٦]، ولن تعتبر أن هناك شيء عظيم من الأمور الأرضية. لأنه حين يكون المجد والسلطان الذي يعتبر الأكثر إشراقًا أو بهاءً من كل شيء، هو أمر بلا قيمة إلى هذا الحد،

---

[٥٦٠] مز٤٤: ٢٢، ١٨.
[٥٦١] مز١٤٣: ٢.
[٥٦٢] مز٩٥: ٧ـ٨.
[٥٦٣] مز٣٣: ١٦.
[٥٦٤] مز٤٩: ٦.
[٥٦٥] مز١٠٣: ١٥.
[٥٦٦] مز٤٩: ١٧.

فهل سيكون هناك ما يستحق التقدير والإهتمام من الأمور الأرضية؟ وعندما تكون في ضيق، إسمعه وهو يقول: " *لماذا أنت منحنية يا نفسي ولماذا تئنين في ترجي الله لأني بعد أحمده*"[567]. هل ترى أن الناس يحيون في رفاهية دون أن يستحقوا؟ "*لا تَغَر من الأشرار ولا تحسد عمال الإثم فإنهم مثل الحشيش سريعًا يُقطعون ومثل العشب الأخضر يذبلون*"[568]. أرأيت كيف أن الأبرار والأشرار يُدَانون؟ إسمع كيف إنه ليس لنفس السبب (يُدَانون)، لأنه يقول: " *كثيرة هي نكبات الشرير*"[569]. أما بالنسبة للأبرار، فلم يقل نكبات بل " *كثيرة هي أحزان الصديق ومن جميعها ينجيه الرب*"[570]. وأيضًا " *الشر يميت الشرير*"[571] و " *الرب حافظ البسطاء*"[572].

لنتكلم بهذه الأمور بصفة دائمة. يجب أن نتعلم من هذه الكلمات الإلهية، لأن كل كلمة من هذه الكلمات تَحوي معان كثيرة لا حصر لها. نحن قد عَبَرنا عليها في عجالة سريعة، لكن أنتم إن أردتم أن تفحصوا بدقة ما قيل، سوف ترون غنى وفيرًا. بل وأيضًا من الممكن أن تتخلص من الشهوات التي تهاجمك، وذلك عن طريق ما ذكرناه. لأنه عندما لا تسمح لك كلمة الله أن تحسد، ولا حتى تندم، ولا تتضايق بشكل غير لائق، وعندما لا تتركك ترى أن شيئًا في ذاته هو غنى، ولا الحزن، ولا الفقر يمكن أن يؤثر فيك، ولا أن تعتقد أن الحياة ذاتها تساوي شيئًا، فإنه بهذا يكون قد خلّصك من كل الآلام والشهوات. إذًا فلنشكر الله من أجل كل هذا، ولنستخدم الكنز (أي الكلمة الإلهية)، " *حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء*"[573]، ونتمتع بخيرات الدهر الآتي التي ليتنا جميعًا ننالها بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور أمين.

---

[567] مز ٤٢: ١١.
[568] مز ٣٧: ١ـ٢.
[569] مز ٣٢: ١٠ (س).
[570] مز ٣٤: ١٩ (س).
[571] مز ٣٤: ٢١.
[572] مز ١١٦: ٦.
[573] رو ١٥: ٤.

عظة٣٠ :

" وأنا نفسي أيضًا متيقن من جهتكم يا إخوتي أنكم أنتم مشحونون صلاحًا ومملوءون كل علم. قادرون أن ينذر بعضكم بعضًا" (رو١٥:١٤).

١ـ لقد سبق أن قال: " *بما إني رسول للأمم أُمجد خدمتي*"[٥٧٤]، وقال أيضًا: " *فلعله لا يشفق عليك أيضًا*"[٥٧٥]، وأيضًا: "*لا تكونوا حكماء عند أنفسكم*"[٥٧٦]، وأيضًا "فلماذا تدين أخاك" و " *من أنت الذي تدين عبد غيرك*"[٥٧٧]، وأمور أخرى كثيرة جدًا مثل هذه. إذًا لأنه في مواضع أخرى كثيرة تكلّم بصورة أكثر قسوة، إلا إنه قد جعل حديثه أكثر ليونة بعد ذلك، وما قاله عندما بدأ الكلام، هذا ما يقوله الآن حين يُنهي كلامه. فعندما بدأ قال: "*أشكر إلهي بيسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم ينادى به في كل العالم*"[٥٧٨]، بينما هنا يقول: " *وأنا نفسي مُتيقن من جهتكم يا أخوتي أنكم أنتم مشحونون صلاحًا ومملئون كل علم. قادرون أن ينذر بعضكم بعضًا*"، وهذا ما يُعَد أهم من مجرد السماع. ولم يقل "سمعت"، بل "متيقن"، ولست في حاجة أن أعلم من آخر، "وأنا نفسي"، أي أنا الذي أنتقد والذي أتهم. ثم يُضيف "*أنتم مشحونون صلاحًا*"، هذا له علاقة بالنصح السابق، كما لو إنه قال، إنني لم أنصح بهذه الأمور كمن يوجه نصيحة لقساة أو لمبغضي الناس، بمعنى أنه ينبغي عليكم أن تقبلوا الإخوة، ولا تتركوهم، ولا تُبطِلوا عمل الله، لأنني أعرف أنكم مشحونون صلاحًا.

يتضح لي كيف أنه هنا يدعو كل الفضيلة صلاحًا. ولم يقل "لديكم"، بل قال: "أنتم مشحونون". ثم تحدث بعد ذلك بنفس التشديد "مملؤون كل علم". ماذا إذًا إن كانوا مُحبين، لكنهم لم يعرفوا كيف ينبغي أن يتعاملوا

---

[٥٧٤] رو١١:١٣.
[٥٧٥] رو١١:٢١.
[٥٧٦] رو١٢:١٦.
[٥٧٧] رو١٤:١٠، ٤.
[٥٧٨] رو١:٨.

مع أولئك الذين أحبوهم؟ ولهذا أضاف: " *كل علم قادرون أن ينذر بعضكم بعضًا*"، أي ليس فقط أن تتعلموا بل وأن تُعلّموا.

"ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم جزئيًا أيها الأخوة" (رو١٥:١٥).

لعلك لاحظت إتضاع القديس بولس، وحكمته، كيف تحدث جزئيًا وبعمق في الأمور السابقة، ولأنه حقق ما أراد، فإنه يستخدم مرة أخرى علاجًا بأنواع شتى. لأنه كان قادرًا أن يُهدّئ من لهجتهم، هذا تحديدًا هو ما تجرأ أن يعترف به، هذا أيضًا يفعله عندما يكتب للعبرانيين، قائلاً. " *ولكننا قد تّيقنا من جهتكم أيها الأحباء أمورًا أفضل ومختصة بالخلاص*"[٥٧٩]. وأيضًا يكتب إلى أهل كورنثوس قائلاً: " *فأمدحكم أيها الأخوة على أنكم تذكرونني في كل شيء وتحفظون التعاليم كما سلمتها إليكم*"[٥٨٠]. وإلى الغلاطيين يكتب رسالته قائلاً: " *..أثق بكم في الرب أنكم لا تفتكرون شيئًا آخر*"[٥٨١]. وفي كل موضع في رسائله سيجد المرء أنه يمدح الأخوة، إذا كان البحث في مجال متسع، لكن المديح هنا يتم بدرجة أكبر.

بالحقيقة هم مقيمون في مرتبة عظيمة، وكان ينبغي عليه أن يضبط نفوسهم المليئة بالشهوات، ليس فقط بالشدة، بل أيضًا بالإلزام، وهو يصنع هذا بإسلوب مختلف. ولهذا فإنه يقول هنا: " *بأكثر جسارة كتبت إليكم*"، ولم يكتف بهذا، ولكنه أضاف "*جزئيًا*"، أي بهدوء. ولم يتوقف عند هذا الحد، لكن ماذا يقول؟ " ***كمذكر لكم***". لم يقل " لكي أُعلّمكم"، ولم يقل هذا "لمجرد تذكرة"، بل "كمذكر لكم"، بمعنى إني أُذكّركم قليلاً. أرأيت النهاية التي تتفق مع البداية؟ لأنه تمامًا مثلما قال هناك: " *إيمانكم يُنادى به في كل العالم* "، هكذا في نهاية الرسالة قال: " *طاعتكم ذاعت إلى الجميع*"[٥٨٢]. وكما أنه عندما بدأ قال: "*لأني مشتاق أن أراكم لكي*

[٥٧٩] عب٦:٩.
[٥٨٠] اكو١١:٢.
[٥٨١] غلا٥:١٠.
[٥٨٢] رو١٦:١٩.

أمنحكم هبة روحية لثباتكم. أي لنتعزى بينكم بالإيمان الذي فينا جميعًا إيمانكم وإيماني"[٥٨٣]، هكذا قال هنا: "كمذكر لكم". وبعدما نزل من عرش المعلم، يتكلم سواء هناك أو هنا، كما لأخوة وأصدقاء متساويين في الكرامة، الأمر الذي هو بالحقيقة سمة المعلم، أي أنه يُنوّع حديثه حسب فائدة الذين يسمعونه.

لاحظ إذًا كيف إنه بعدما قال: "ولكن بأكثر جسارة كتبت لكم" و"جزئيًا" و " كمذكر لكم"، فإنه لم يكتفِ بهذا، بل جعل حديثه أيضًا أكثر إتضاعًا، فأضاف: "***بسبب النعمة التي وُهبت لي من الله***"، هذا ما قاله في البداية "*إني مديون*"[٥٨٤]. كما لو أنه قال، إنني لم أختطف وحدي الكرامة، ولا قفزت لاقتناصها أولاً، لكن الله أمرَّ بهذا وتلك من البداية، ليس لأنه ميّزني كمستحق لهذه الكرامة. إذًا لا تغضبوا، لأنني أنا أيضًا لا أغتاظ، فإن الله هو الذي أَمرَ. وكما إنه يقول: "*الذي أعبده بروحي في إنجيل إبنه*"[٥٨٥]، هكذا هنا أيضًا بعدما قال:

" بسبب النعمة التي وُهبت لي من الله"، أضاف: "حتى أكون خادمًا ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشرًا لإنجيل الله ككاهن" (رو١٥:١٦).

بعد هذه الشهادة الكبيرة المشار إليها من خلال كل ما قيل، يتوّجه بكلامه إلى ما هو أكثر وقارًا، متكلمًا ليس فقط عن العبادة، مثلما تكلم في البداية، بل عن الخدمة والليتورجية الكهنوتية أيضًا. لأن هذا (كما يُعلن ق. بولس) هو أمر كهنوتي، أن أكرز، وأعلن البشارة، هذه هي الذبيحة التي أقدمها . بيد أنه لا يستطيع أحد أن يُدين الكاهن، الذي يحرص على تقديم الذبيحة بلا لوم. قال هذه الأمور، لكي يُشدّد أفكارهم، ولكي يُظهر في نفس الوقت كيف إنها ذبيحة، وأيضًا لكي يُدافع عن

---

[٥٨٣] رو ١:١١ــ١٢.

[٥٨٤] رو ١:١٤.

[٥٨٥] رو ١:٩.

نفسه من جهة الأمور الخاصة به، ولا سيما أن هذا قد أُمِر به. لأنه هكذا يقول أن السيف الذي أحمله هو الإنجيل، أي كلمة الكرازة.

وليس الدافع هو أن أتمجد أنا، ولا لكي أبدو بهيًا، بل: "*ليكون قربان الأمم مقبولاً ومقدسًا بالروح القدس*". أي لكي يقبل الله نفوس الذين يَتَعَلمون. لأن الله قادني إلى هذا، مُكرمًا إياي بقدر ما، لكن ليس بقدر إعتناءه الكبير بكم. وكيف سيتمكن الأمم من أن يصيروا مقبولين؟ سيحدث هذا بنعمة الروح القدس. إننا لا نحتاج للإيمان فقط، بل للسلوك الروحي لكي نمتلك الروح الذي أُعطى لنا مرة. لأن ما هو لنا ليس خشبًا ونار، ولا مذبحًا وسكينًا، بل أن كل شيء هو روحي. لهذا إفعل كل شيء، لكي لا تُطفيء تلك النار (نار الروح)، فضلاً عن ذلك فهذه هي الوصية التي أخذتها. إذًا لماذا تتكلم بهذه الأمور لأولئك الذين ليس لديهم إحتياج لها؟ لهذا تحديدًا، لا أعلّم بهذا، بل أُذكّر به مرة أخرى، هكذا يقول، فكما أن الكاهن يوجد بجوار المذبح لكي يُشعل النار، هكذا أنا أيضًا لكي أُحفز رغبتكم. ولاحظ أنه لم يقل، لكي تصير تقدمتكم مقبولة بل قال: **"ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدسًا بالروح القدس"**. لكن عندما يقول "الأمم"، فهو يقصد المسكونة، أي كل الأرض، والبحر، ضابطًا لأفكارهم حتى لا يزدروا بأن يكون معلمهم هو الذي أسرع أو بادر إلى تبشير كل المسكونة، الأمر الذي قاله في البداية: "*إني مديون لليونانيين والبرابرة للحكماء والجهلاء*".

٢ـ" فلي افتخار في المسيح يسوع من جهة ما لله" (رو١٥: ١٧).

إذن لأنه أخضع نفسه بشكل فائق، فإنه يسمو بالحديث مرة أخرى، وهو يصنع هذا لأجل هؤلاء، لكي لا يبدو أنه بلا قيمة. كما أنه يرفع نفسه، مُتذكرًا طباعه وأخلاقه، قائلاً: "*فلي افتخار*". يقول أفتخر، لا من أجل نفسي، ولا من أجل محاولتي، بل من أجل نعمة الله.

" لأني لا أجسر أن أتكلم عن شيء مما لم يفعله المسيح بواسطتي لأجل إطاعة الأمم بالقول والفعل. بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله" (رو١٥: ١٨-١٩).

لا يستطيع المرء أن يقول، كما يقول الرسول بولس، إن كلامي هو إفتخار، لأنني ـ كما يقول ـ أستطيع أن أبيّن رموز عملي الكهنوتي، وكذلك دلائل كثيرة على صدق رسامتي، ليس فقط رداء (أي رداء الكهنوت) وأجراس، كما كان يفعل القدماء، ولا تاج وإكليل، بل ما هو أهم بكثير من هذه العلامات والعجائب. ولا يمكن للمرء بالطبع أن يقول (كما قال ق. بولس)، أنه أستأمني على شيء، هكذا يقول بأنني لم أفعل ما أُمرت به، أو من الأفضل القول، لم أفعله أنا، بل المسيح (هو الذي فعله)، ولهذا فإنني أفتخر في المسيح، ولست أفتخر لأمور عَرَضية (أي أرضية زائلة)، بل من أجل أمور روحية. لأن هذا هو معنى "من جهة ما لله". إذًا فقد تَمَّمت هذا الذي من أجله أُرسلت، وأن الإفتخار ليس بالكلام، لأن (هذا الإفتخار) قد أظهرته المعجزات التي حدثت، وإطاعة (الإيمان) في جميع الأمم. (هذا إذًا ما أراد أن يؤكد عليه) حين قال: " لأني لا أجسر أن أتكلم عن شيء مما لم يفعله المسيح بواسطتي لأجل إطاعة الأمم بالقول والفعل بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله". أرأيت كيف إنه مُتعجل أن يُبيّن أن كل الأمور تعتمد على الله، ولا شيء يعتمد عليه هو؟ إذًا فسواء كنت أتكلم، أو أفعل شيئًا، أو أصنع عجائب، فإن كل هذا يصنعه الله، كل شيء يُنسب للروح القدس. وهو يقول هذه الأمور، لكي يظهر عمل الروح. أرأيت كيف أن هذه الأمور هي مثار للدهشة والإعجاب، وأكثر قوة من الأمور القديمة، أي الذبيحة الدموية، والتقدمات وفق الناموس، والرموز؟ لأنه عندما يقول: "بالقول والفعل بقوة آيات وعجائب " فإنه يقصد الآتي: أي التعليم، حكمة الحديث عن ملكوت الله، عرض للأعمال والسلوك، الأموات الذين يقومون، الشياطين الذين يُطرَدون، العميان الذين يُبصرون، العرج الذين يقفزون، والمعجزات الأخرى، التي صنعها الروح القدس فينا. ثم بعد ذلك يأتي برهان هذه الأمور، لأنه قبل كل شيء، قد أقرَّ التلاميذ بكل هذه الأمور. ولهذا

أضاف: "*حتى إني من أورشليم وما حولها إلى الليريكون قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح*". إذًا فقد أحصى المدن، والبلاد والأمم والشعوب، ليس فقط أولئك الذين هم تحت سيادة البرابرة، بل من فضلك لا تسلك فقط الطريق الذي يعبر من خلال فينيقيا، وسوريا، وكليكيا، وكبادوكية، لكن عليك أن تضع في حسبانك الأجزاء الخلفية أيضًا، موطن أهل سراكي[٥٨٦] والفُرس، والأرمن، وموطن البرابرة، والآخرين. هذا ما قاله: "وما حولها"، لكي لا تسير فقط إلى الأمام، بل أن تتجول بذهنك في كل جنوب آسيا. وكما أنه بواسطة حديث واحد ذكر إجراء معجزات كثيرة جدًا، قائلاً: "بقوة آيات وعجائب"، هكذا أيضًا فإن مدنًا، وأممًا، وشعوبًا، وبلادًا لا تُحصى قد أجملها أيضًا بهذا الحديث الواحد، وهذا ما تعنيه عبارة "وما حولها". لقد كان بعيدًا كل البعد عن كل تباهي، وهذه الأمور قد قالها لهؤلاء، لكي لا يفتخرون بأنفسهم كثيرًا. ويقول في بداية الرسالة: "*ليكون لي ثمر فيكم أيضًا كما في سائر الأمم*"[٥٨٧]، بينما هو هنا يذكر المكان كله، حتى يضبط تفكيرهم من كل جهة. ولم يقل فقط بّشرت بالإنجيل، بل قال "*قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح*".

٣ـ "ولكن كنت محترصًا أن أبشر هكذا. ليس حيث سُمّي المسيح" (رو١٥: ٢٠).

ها هو أمر فائق أيضًا، أنه ليس فقط قد بشّر كثيرين بالإنجيل وأقنعهم، لكنه لم يذهب لأولئك الذين بُشّروا بالمسيح. لأنه لم يفكر قط في أن يذهب إلى أماكن قد بَشَّر فيها تلاميذ آخرين، وأن يفعل هذا من أجل الحصول على مجد، لأنه أسرع نحو هؤلاء الذين لم يسمعوه، لكي يُبشرهم. فهو لم يقل، "حيث لم يؤمنوا"، بل "ليس حيث سُمّي (بُشِر) بالمسيح"، الأمر الذي هو أكثر أهمية. ولماذا كان محترصًا هكذا؟ "**لئلا يبني على أساس آخر**".

---

[٥٨٦] وهم شعب كان يقطن المنطقة التي تقع بين البتراء العربية والفرات.
"Θρησκευτική και Ηθική Εσκυκλοπαίδεια" Αθήνα, 1967, σελ. 1154.

[٥٨٧] رو ١: ١٣.

وهو يقول هذه الأمور بهدف أن يُبيّن، أنه هو نفسه غريب عن المجد الباطل، ولكي يُعلّمهم أنه لم يَكتُب إليهم مُشتهيًا أن يحصل على المجد والكرامة من هؤلاء (الذين بشرهم)، بل لأنه أكمل الخدمة، وأتم عمل الخدمة، وأشتهى خلاصهم جدًا. ويقول عن أساس الرسل، أنه أساس آخر، لا من حيث ما يتعلق بمكانة الشخص، ولا فيما يتعلق بطبيعة البشارة، بل من حيث طبيعة العلاقة الخاصة بالأجر. لأن الأجر أو المكافأة عن تلك الأمور التي تحققت من قِبل آخرين، كانت غريبة بالنسبة له.

ثم بعد ذلك يُشير إلى نبوءة قد إكتملت[٥٨٨] قائلاً:

" بل كما هو مكتوب الذين لم يخبروا به سيبصرون والذين لم يسمعوا سيفهمون " (رو١٥: ٢١).

أرأيت كيف إنه يُسرِع إلى حيث يكون التعب أكثر، وحيث الجهد أعظم؟

" لذلك كنت أعاق المرار الكثيرة عن المجئ إليكم" (رو١٥: ٢٢).

لاحظ كيف أن ما قاله في البداية، يقوله في النهاية؟ خاصةً وأنه عندما بدأ الرسالة قال: "*أنني مرارًا كثيرة قصدت أن آتي إليكم ومُنعت حتى الآن*"[٥٨٩]، لكنه هنا يذكر السبب الذي لأجله أُعيق، وليس لمرة واحدة، لكن لمرتين ولمرات عديدة، تمامًا مثلما يقول هناك: " مرارًا كثيرة قصدت أن آتي إليكم"، هكذا هنا أيضًا يقول: " كنت أُعاق المرار الكثيرة عن المجئ إليكم". الأمر الذي يظهر رغبته الحقيقية في المجئ إليهم، إذ شرع في ذلك مرات عديدة.

---

[٥٨٨] أش ١٥:٥٢.

[٥٨٩] رو ١٣:١.

" وأما الآن فإذ ليس لي مكان بعد في هذه الأقاليم، ولي اشتياق إلى المجئ إليكم منذ سنين كثيرة. فعندما أذهب إلى أسبانيا آتي إليكم. لأني أرجو أن أراكم في مروري وتشيعوني إلى هناك إن تملأت أولاً منكم جزئيًا" (رو١٥: ٢٣ـ٢٤).

أرأيت كيف أظهر أنه كتب إليهم وسوف يأتي إليهم، لا لأنه أراد مجدًا منهم؟

إذن لكي لا يُظهر أنه يُهينهم، كما لو أنه قال: ونظرًا لأنه لا يوجد لديّ شيء أفعله، ولهذا سآتي إليكم، فإنه مرة أخرى يستخدم كلام المحبة قائلاً: "*لي اشتياق إلى المجئ إليكم منذ سنين كثيرة*". فهو يقول لم أرغب إذًا أن آتي لأجل هذا، أي لا لأجل أنني ليس لديّ ما أفعله، بل لكي أحقق الرغبة التي كانت داخلي منذ سنين كثيرة . ثم بعد ذلك، ولكي لا يجعلهم ينتفخون بسبب هذا الكلام، لاحظ كيف يضبطهم، بقوله "*فعندما أذهب إلى أسبانيا آتي إليكم*". وقد أشار إلى ذلك، لكي لا يتفاخروا، فهو يريد أن يُظهر المحبة، وفي نفس الوقت يمنعهم من التفاخر. ولذلك فهو يُكرّر هذا الأسلوب بصفة دائمة، فيطرح تركيبة تتكون من هذين الأمرين بالتتابع (أي إظهار المحبة والنصيحة بعدم التفاخر). ولهذا تحديدًا، فإنه أيضًا لكي لا يجعلهم يقولون أنه وضعنا على هامش عمله في رحلته، أضاف: "وتشيعوني"، أي لكي تكونوا شهودًا لي، أنني لم أعبر سريعًا عنكم إحتقارًا مني، بل لأن الضرورة تُلزمني. ونظرًا لأن هذا أيضًا يُسبّب حزنًا، فإنه يُعالجه بطريقة مُهذبة، قائلاً: "*إن تملأت أولاً منكم جزئيًا*". لأنه بأن يقول " في مروري"، يُظهر أنه لا يشتهي منهم مجدًا، بينما قوله: "إن تملأت"، يظهر بأنه يشتهي محبتهم، وليس فقط مجرد شهوة، بل يشتهي هذا الأمر بشدة، ولهذا لم يقل "أتملئ"، بل قال: "جزئيًا" (أي لوقت قليل). لأنني لا يُمكنني أن أشبع منكم مهما كانت الفترة ـ التي سأقضيها معكم ـ ولا يمكن أن تُسبّب شركتي معكم أي تعب لي.

أرأيت كيف أنه يُظهر محبته لهم، فبالرغم من تعجّله، فإنه لا يهم بالرحيل قبل أن يتملئ منهم؟ أن إستخدام كلمات بهذا الدفء الشديد يدل

على حنوه. لأنه لم يقل "سأراكم" بل قال: "إن تملأت منكم"، مستخدمًا نفس كلمات الوالدين. لقد قال في البداية: "*ليكون لي ثمر*" (رو١ :١٣)، بينما هنا يقول "إن تملأت"، وهذان أسلوبان يخصان إنسانًا ساميًا، فالتعبير الأول يعبر عن مديح عظيم لهؤلاء، طالما انهم سيعطونه ثمر طاعتهم، وهذا أمر مؤكد، والآخر كان دليلاً حقيقيًا على محبته. وعندما كتب إلى أهل كورنثوس، هكذا قال: "*لكي تشيعوني إلى حيثما أذهب*"[٥٩٠] مبرهنًا على محبته الكاملة نحو تلاميذه، والتي ليس هناك شيئًا يُعادلها، ولهذا وهو يبدأ رسائله بالمحبة (أي من إعلان المحبة)، وعندما يختم، فإنه ينتهي أيضًا بالمحبة . لأنه كما أن الآب يُحب إبنه الوحيد، هكذا أحب كل المؤمنين، ولهذا قال القديس بولس أيضًا: "*من يضعف وأنا لا أضعف. من يعثر وأنا لا ألتهب*"[٥٩١].

٤. فالمحبة هي بالحقيقة ما ينبغي أن يتصف بها المعلّم، قبل كل شيء. لذلك قال المسيح له المجد لبطرس: "*أتحبني...أرع غنمي*"[٥٩٢]. لأن مَنْ يُحِب المسيح يُحِب رعيته. بل وموسى قد عينّه الله آنذاك قائدًا للشعب اليهودي، عندما أظهر رضاءه عن اليهود، وداود أيضًا ارتقى المُلك، بعدما أظهر أولاً حنوه عليهم . فقد تألم كثيرًا من أجل الشعب، بينما كان لا يزال صغيرًا، حتى إنه فضّل أن يُضحي بنفسه، عندما قتل ذلك البربري (جليات). ولكن إذا كان قد قال: "*ماذا يُفعل للرجل الذي يقتل ذلك الفلسطيني*"[٥٩٣]، فهو لم يقل ذلك بهدف طلب مكافأة، بل لأنه أراد أن يَثِقوا فيه، وأن يعهدوا له بالمعركة ضد جليات الفلسطيني. إذًا عندما وقف أمام الملك شاول بعد الانتصار، لم يذكر شيئًا من هذه المكافآت، وصموئيل أيضًا كان حنونًا إلى أقصى حد، ولهذا قال: "*وأما أنا فحاشا لي أن أخطئ إلى الرب فأكف عن الصلاة لأجلكم*"[٥٩٤]. هكذا كان بولس أيضًا، أو من الأفضل القول،

---

[٥٩٠] ١كو١٦ :٦.

[٥٩١] ٢كو١١ :٢٩.

[٥٩٢] يو٢١ :١٦.

[٥٩٣] ١صم١٧ :٢٦.

[٥٩٤] ١صم١٢ :٢٣.

إنه لم يكن هكذا فقط، بل كان مُشتعلاً بالمحبة نحو تلاميذه، أكثر بكثير من الجميع . ومن أجل هذا فقد جعلهم أن يسلكوا هكذا بالمحبة نحوه، حتى إنه يقول: "*أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتم عيونكم وأعطيتموني*"[٥٩٥].

لذلك أدان الله معلّمي اليهود قبل كل شيء من أجل هذا السبب، قائلاً: "*ويل لرعاة إسرائيل الذين كانوا يرعون أنفسهم. ألا يرعى الرعاة الغنم*"[٥٩٦]. إن هؤلاء قد فعلوا العكس. لأنه يقول: "*تأكلون الشحم وتلبسون الصوف وتذبحون السمين ولا ترعون الغنم*"[٥٩٧]. ومن جهة أخرى فقد حدّد المسيح قانون الراعي الصالح، فقال: "*الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف*".[٥٩٨]. هذا ما صنعه داود مرات عديدة في موضع آخر، بل أيضًا حين نزل ذلك الغضب المخيف من السماء على الشعب، لأنه عندما كان الجميع يُذبحون، قال: "*ها أنا أخطأت وأنا أذنبت وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا*"[٥٩٩]. ولهذا فعند اختيار العقوبات ـ التي عرضها عليه الرب ـ لم يُفضِل الجوع، ولا الهروب أمام الأعداء، بل فضّل الموت من قِبل الله، والذي ترجّى أن يُخلّص به الآخرين، أي فضّل أن يموت قبل الجميع. ولأن هذا لم يحدث، فقد ناح وقال: " فلتكن يدك عليّ" وإن لم يكن هذا كافيًا، فلتكن "على بيت أبي" لأني "أنا الراعي قد أخطأت" كما لو أنه قال، برغم أن هؤلاء قد أخطأوا، فإني أنا الذي لم أسلك في الطريق الصحيح، أنا المسئول عن الخطية، وما دامت هي خطيئتي، فإنه من العدل أن أُعاقَب أنا . كذلك إذ كان يريد أن يُزيد من الإدانة، فقد أورد أسم الراعي. هكذا توقف الغضب، وهكذا أُلغيَ الحكم . إن الإعتراف يُعَد أمرًا عظيمًا جدًا فإن: "*البار يدين نفسه أولاً*"[٦٠٠]. فرعاية ولطف

---

[٥٩٥] غل٤:١٥.

[٥٩٦] حز٣٤:٢.

[٥٩٧] حز٣٤:٣.

[٥٩٨] يو١٠:١١.

[٥٩٩] ٢صم٢٤:١٧.

[٦٠٠] أم١٨:١٧(س).

الراعي الصالح هي عظيمة للغاية، لقد تمزق قلبه بالحق (أي قلب داود) عندما سقط هؤلاء موتى، كما لو كان الذين ماتوا هم أبناءه فعلاً، ولهذا فضَّل أن يأتي الغضب عليه هو. ففي بداية المذبحة والتي وقعت على الشعب بيد "ملاك الرب" كان قد تَرجَّى قبلها أن يأتي عليه هذا الغضب الإلهي، لأنه رأى أن هذا الغضب مُستمرًا. عندما رأى أن ذلك لم يحدث، بل أن الكارثة كانت تلتهم هؤلاء، لم يحتمل بعد، بل اضطرب جدًا، وكانت حالته أسوأ من الحالة التي كان فيها حين قُتل إبنه البكر أمنون. فهو لم يطلب الموت آنذاك، أما الآن يطلب أن يموت قبل الآخرين.

هكذا ينبغي أن يكون القائد، وأن يحزن لمصائب الآخرين أكثر من حزنه لمصائبه. وقد عانى هذا الأمر في حالة إبنه، لكي تعلم إنه لم يحب إبنه أكثر من الآخرين، على الرغم من أن الفتى كان فاسقًا، وشرع في قتل أبيه، لكنه قال: "*يا ليتني مت عوضًا عنك*"[٦٠١]، ماذا تقول أيها المطوب والوديع أكثر من جميع الناس؟ فقد حاول إبنك أن يقتلك، وأحاطك بشرور لا تُحصى، وعندما رحل، وأُقيم نُصب الانتصار، هل تترجى حينئذًا أن تُذبَح؟ نعم، هكذا يقول، لأن الجيش لم ينتصر لي، بل إني أحارب بعد وبشدة، وأحشائي الآن تتمزق أكثر من أي وقت مضى.

إذن فهؤلاء جميعًا إهتموا برعاية الذين تعهدوهم، أما المطوب إبراهيم فقد أظهر عنايته الكبيرة بأولئك الذين لم يُكرموه، إلى حد أنه أحاط نفسه بأخطار مُخيفة. فقد صار واضحًا أن ما فعله لم يكن فقط من أجل إبن أخيه (أي لوط)، بل ومن أجل أهل سدوم أيضًا، حيث أنه لم يتوقف عن مطاردة أولئك الفرس في السابق، حتى حرَّرهم جميعًا[٦٠٢]. لقد كان بإمكانه بكل تأكيد أن يعود، بعدما أخذ إبن أخيه معه، لكنه لم يرِد، لأنه حرص على إتمام نفس الشيء للجميع (أي تحريرهم جميعًا). وهذا قد جعله واضحًا في الأحداث التي وقعت بعد ذلك. عندما كان ينوي أن يطوقهم ليس بجيش من

---

[٦٠١] ٢صم١٨:٣٣.

[٦٠٢] أنظر تك١٤:١٤ـ١٦.

البربر، بل بغضب الله المرسل الذي حطم مدنهم من الأساسات، ولم يكن وقت حمل السلاح قد حان بعد، ولا معارك وإصطفاف، بل وقت للتفرغ (للصلاة والطلبة) لقد أظهر كل هذه الرعاية لأجل خلاصهم، بقدر ما كان سيظهرها إذا تعرض هو نفسه للهلاك. ولهذا تحديدًا إقترب من الله مرة ومرتين ومرات عديدة، وتحدث من واقع طبيعته الفانية، قائلاً: "*أنا تراب ورماد*"[٦٠٣]، ولأنه رأى كيف أنهم سلّموا أنفسهم بأنفسهم، حكم بأنهم مستحقين أن يخلصوا، بسبب آخرين. ولهذا فقد قال الله: "*هل أخفي عن عبدي إبراهيم ما أنا فاعله*"[٦٠٤]، لكي نعرف نحن كيف أن البار هو محب للناس، وأنه لم يتوقف عن التوسل لله حتى يوقف غضبه، ومن الواضح بالطبع إنه يترجى لأجل خلاص الأبرار، لكنه قدم كل ما في استطاعته لأجل خلاص أهل سدوم.

إن أنفس القديسين هي حقًا وديعة جدًا ومحبة للبشر، أو لأقربائهم وللغرباء، وتمتد بهذه الوداعة لتشمل حتى الحيوانات غير العاقلة. ولهذا قال أحد الحكماء "*الصديق يُراعي نفس بهيمته*"[٦٠٥]. فإن كان يهتم بأنفس البهائم، فكم يكون بالحري إهتمامه بأنفس البشر؟ ولأنني تذكّرت الحيوانات، فلنفكر في رعاة الخراف الذين هم في كبادوكية، كيف وكم يُعانون من أجل حماية الحيوانات. لقد غطتهم الثلوج مرات عديدة وظلوا هكذا على مدى ثلاثة أيام متتالية. ويُقال أن الرعاة الذين في ليبيا قد عانوا مصاعب ليست بأقل من أولئك الرعاة، مُشرَدين لشهور كاملة في تلك الصحراء المخيفة والمليئة بالوحوش المفترسة. إن كانت رعاية الحيوانات غير العاقلة هامة بهذا القدر، فأي دفاع سنُقدم نحن الذين أستؤمَنا على نفوس عاقلة، ونَغِط في هذا النوم العميق؟ فهل ينبغي أن نستريح تمامًا؟ هل ينبغي أن

[٦٠٣] تك١٨: ٢٧.

[٦٠٤] تك١٨: ١٧.

[٦٠٥] أم١٢: ١٠.

نهدأ بالكامل؟ ألم يكن من الواجب علينا أن نركض في كل مكان، وأن نُسلِّم أنفسنا إلى آلاف الميتات من أجل هذه الخراف؟

أم لستم تعرفون قيمة هذا القطيع؟ ألم يتألم سيدك مرات عديدة لأجل هذه الخراف، وسفك دمه من أجلها في النهاية؟ وأنت تطلب راحة؟ وهل من الممكن أن يكون هناك حالة أسوأ مِن حالة هؤلاء الرعاة؟ ألم تُفكر في هذا، إن هناك ذئاب تُحيط بهذه الخراف أكثر إيذاءً وشرًا وأكثر وحشية؟ ألم تفكر في ما هية النفس التي ينبغي أن تكون لِمَنْ يمارس عمل الراعي؟ وبالطبع فإن قادة الشعب عندما يتشاورون لكي يقرروا شيئًا يختص بأمور مؤقتة وزائلة، يسهرون مواصلين النهار بالليل، بينما نحن الذين نجاهد من أجل السماء (أي من أجل ملكوت السموات) ننام حتى أثناء النهار؟ ومن سينقذنا من هذا العقاب الآتي من جراء التهاون؟ لأنه إن إحتاج الأمر أن نُمزق أجسادنا، وأن نجتاز ميتات لا حصر لها، ما كان ينبغي أن نركض كما لو كنا ذاهبين إلى احتفال؟ بيد أن هذا السهر وهذه الرعاية، لا تقتصر على الرعاة فقط، بل هي عمل الخراف أيضًا، لكي يجعلوا الرعاة أكثر رغبة في الرعاية، ولكي يسعوا بالأكثر نحو مزيد من العمل، مُقدمين كل ثقة وطاعة، وليس شيئًا أقل من ذلك. هكذا فإن الرسول بولس أيضًا أمر قائلاً: "*أطيعوا مُرشديكم وأخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حسابًا*"[٦٠٦]. لكن عندما يقول "يسهرون"، فهو يقصد أتعابًا لا حصر لها، ورعاية مستمرة، وأخطارًا.

إذن فالراعي الصالح، الذي كما يُريده المسيح، يجاهد ومعه شهود لا حصر لهم، لأن المسيح بالطبع مات لأجله مرة واحدة، بينما الراعي، يموت مرات عديدة من أجل الرعية، إن كان راعيًا حقيقيًا كما يجب أن يكون. لأن مثل هذا الراعي يمكن أن يموت كل يوم. ولهذا فأنتم أيضًا تعرفون الجهد الذي يُبذل في الرعاية، والذي تبذلونه مع الصلوات، والرغبة في البذل، والمحبة، لكي نصير إفتخاركم، وتصيروا إفتخارنا. ومن أجل هذا

---

[٦٠٦] عب١٣:١٧.

فإن هامة الرسل أي بطرس والذي أحبه المسيح أكثر من الآخرين، بعدما سأله أولاً، إن كان يحبه، بعد هذا إستأمنه (على مسئولية الرعاية)، لكي تعلم أن الرعاية تُعتبر برهان المحبة للمسيح، خاصةً وأن هذه الرعاية تحتاج إلى نفس شابة وقوية. هذه الأمور بالطبع قد قالها لرعاة صالحين، وليس لي ولا لأخصائي، ولكن إن وُجِدَ شخص كهذا، كما كان بولس، وبطرس، وموسى، فهذا ما ينبغي أن نقتدي به، سواء حكام أو محكومين، لأنه من الممكن أن يكون المحكوم بدرجة ما، راعيًا للبيت، للأصدقاء، للخدم، للزوجة، لأولاده. وإن كُنا نُرتب أمورنا هكذا، سننال كل الخيرات، والتي ليتنا ننالها جميعًا، بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به المجد والقوة والكرامة إلى الأبد أمين.

+ + + + + + +

عظة٣١ :

" ولكن الآن أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعًا لفقراء القديسين الذين في أورشليم. إستحسنوا ذلك وإنهم لهم مديونون" (رو١٥:٢٥-٢٧).

١. لأنه قال، "*ليس لي مكان بعد في هذه الأقاليم ولي اشتياق إلى المجئ إليكم منذ سنوات كثيرة*"، لكنني سأؤجل قدومي إليكم، ولكي لا يظنوا أنه يُراوغهم، فإنه يُورد السبب الذي لأجله يؤجل رحلته الآن أيضًا، ويقول: "*أنا ذاهب إلى أورشليم*". والواضح بالطبع أنه يتكلم عن سبب التأجيل، لكنه بهذه الأمور يهدف إلى شيء آخر، أي أن يحثهم على عمل الرحمة، وأن يجعلهم أكثر حيوية ونشاطًا. لأنه إن لم يكن قد حاول أن يحقق هذا الأمر، لكان كافيًا أن يقول: " أنا ذاهب إلى أورشليم"، لكنه الآن يُضيف سبب رحلته إذ يقول " أنا ذاهب لأخدم القديسين". ويمتد بحديثه إلى هذه الجزئية، ويطرح أفكارًا، قائلاً إنهم مديونون، وإنه: "*إن كان الأمم قد اشتركوا في روحياتهم يجب عليهم أن يخدموهم في الجسديات أيضًا*"، لكي يتعلموا أن يقتدوا به.

ومن أجل هذا ينبغي أن نُدهش بصورة كبيرة جدًا لحكمة الرسول بولس، لأنه أبتكر هذه الطريقة للنصيحة، لأنه هكذا جعلهم يحتملوه أكثر مما لو أنه قال هذا الكلام كوصية أو كأمر. كذلك فإنهم كانوا سيَبْدون محتقرين، لو أنه ساق كمثال لهذا السلوك، أهل كورنثوس وأهل مكدونية، لكي يحثهم على فعل الخير. من أجل هذا فقد حث أولئك، قائلاً: "*ثم نُعرفكم أيها الأخوة نعمة الله المعطاة في كنائس مكدونية*"[٦٠٧]، أيضًا يُحرِّض أهل مكدونية على فعل هذه الأمور قائلاً: "*وغيرتكم قد حرضت الكثيرين*[٦٠٨] "، بل وفي رسالته لأهل كورنثوس يفعل نفس الشيء، قائلاً: "*فكما أوصيت كنائس غلاطية هكذا أفعلوا أنتم أيضًا* "[٦٠٩] أما

---

[٦٠٧] ٢كو٨:١.

[٦٠٨] ٢كو٩:٢.

[٦٠٩] ١كو١٦:١.

بالنسبة لأهل رومية، فلم يسلك هكذا، بل سلك بأكثر حرص وحذر. وفي الكرازة كان يصنع هذا (أي يُشجع ويُحفز)، كما قال: "*أم منكم خرجت كلمة الله. أم إليكم وحدكم انتهت*"[٦١٠]. لأنه لا يوجد شيء قوي بهذا القدر، مثل الغيرة. ولهذا يُشير إلى هذا الأمر في مواضع كثيرة، كذلك يقول أيضًا في موضع آخر: "*كما أعلّم في كل مكان في كل كنيسة*"[٦١١]. لكن بالنسبة إلى أهل كولوسي يقول: "*في كلمة حق الإنجيل الذي قد حضر إليكم كما في كل العالم أيضًا وهو مثمر كما فيكم أيضًا*"[٦١٢]. إذًا هذا أيضًا ما يفعله هنا في حالة ممارسة عمل الرحمة.

ولاحظ كيف أنه يستخدم الكلمات بوقار، لأنه لم يقل إنه ذاهب حاملاً لإحسانات، بل قال: "*لأخدم القديسين*". لكن لو أن القديس بولس كان يقدم خدمة، فعليك أن تفكر في كم يكون عظيمًا أن يقبل مُعلّم المسكونة أن يأخذ معه عطايا لفقراء القديسين. وبينما كان ينوي أن يذهب إلى روما وله اشتياق كبير لأهلها، يفضل الذهاب لأورشليم بدلاً من روما. "*لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعًا لفقراء القديسين*". وهو لم يذكر عبارة "*توزيعًا*" (أي بعض المساهمات) هكذا مصادفةً، بل لكي لا يظهر وكأنه ينتقد هؤلاء، ولم يقل فقط "للفقراء"، بل قال "*لفقراء القديسين*"، لكي يجعل عبارته مزدوجة، من جهة تحمل معنى الفضيلة، ومن جهة أخرى تعني الفقر. ولم يكتف بهذا فقط، بل أضاف: "*وإنهم لهم مديونون*". ثم بعد ذلك يُبيّن كيف هم مديونون. "*لأنه إن كان الأمم قد اشتركوا في روحياتهم يجب عليهم أن يخدموهم في الجسديات أيضًا*"، ما يقوله يعني الآتي: إن المسيح قد أتى لهؤلاء، أي للذين آمنوا من اليهود الذين نالوا كل المواعيد، ومنهم آتى المسيح ولهذا قال: "*الخلاص هو من اليهود*"[٦١٣]، ومن اليهود أتى الرسل والأنبياء، وقد إشترك الأمم في كل

---

[٦١٠] ١كو ١٤: ٣٦.
[٦١١] ١كو ٤: ١٧.
[٦١٢] كو ١: ٥ـ٦.
[٦١٣] يو ٤: ٢٢.

الخيرات، وفي كل هذه الأمور.

إذن لو أنكم، كما يقول الرسول بولس، قد صِرتم شركاء في الأمور العظيمة (الروحيات)، وعلى الرغم من أن الولائم الروحية أُعدت لهؤلاء (أي لليهود)، وإن كنتم قد دخلتم وتمتعتم بالخيرات المقدمة، وفقًا للمثل الإنجيلي[٦١٤]، فأنكم مديونون أن تخدموهم في الجسديات، وأن تنقلوا إليهم الأمور المادية. ولم يقل أن يصيروا شركاء، بل قال: "أن يخدموهم"، واضعًا هؤلاء (أي الأمم) في موضع الخدام، الذين يدفعون الضرائب إلى الملوك. ولم يقل (في خيراتكم المادية)، مثل قوله في روحياتهم (لأن البركات الروحية تتعلق بهؤلاء (أي اليهود)، بينما الخيرات المادية لم تكن خاصة بهم فقط، بل هي عامة للجميع، لأنه حدَّد أن الأموال هي مِلك للجميع، وليس فقط أولئك الذين حصلوا عليها.

" فمتى أكملت ذلك وختمت لهم هذا الثمر" (رو١٥: ٢٨).

أي بعدما وضعته (أي الثمر) كما في خزائن كنوز ملكية، كما في مكان حصين ومؤَّمن. ولم يقل "إحسانًا"، بل قال مرة أخرى "الثمر"، لكي يُظهر أن أولئك الذين يعطون، سينالوا ربحًا، "**فسأمضي مارًا بكم إلى أسبانيا**". يذكر أسبانيا مرة أخرى، لكي يُبيّن اهتمامه المستمر الذي لا يكلّ بهؤلاء (أي أهل روما).

" وأنا أعلم أني إذا جئت إليكم سأجي في ملء بركة إنجيل المسيح" (رو١٥: ٢٩).

إما أنه يتحدث عن الأموال، أو يتحدث بشكل عام عن كل الإنجازات، لأنه إعتاد في مرات عديدة أن يدعو الصدقة بالبركة، كما قال: " *كأنها بركة لا كأنها بخل*"[٦١٥]. ومن جهة أخرى فقد كانت عادة قديمة أن تُسمى الصدقة هكذا. ولكن لأنه أضاف هنا كلمة "إنجيل"، لهذا نقول، إنه لم يتكلم عن هذا الأمر (البركة) من حيث المال فقط، بل من جهة كل الأمور

---

[٦١٤] يقصد المثل كما جاء في: (مت٢١: ٩ـ١١).

[٦١٥] ٢كو٩: ٥.

الأخرى. وكأنه قال، لكنني أعرف أنه عندما آتي سأرى كيف أنكم تبتهجون في كل شيء، وكيف أنكم تفتخرون من أجل الخيرات، وكيف أنكم مستحقون لمديح غير محدود والذي هو وفقاً للإنجيل، وهذا نوع مدهش من النصيحة، أي أنه يمتدح هؤلاء، قبل أن يصير الحدث حقيقة. لأنه عندما يتجنب هذا (أي المديح)، فهذا معناه أنه بدلاً من تقديم النصيحة، يأتي لكي يُصحِّح الطريقة (أي طريقة سلوكهم).

٢- " فأطلب إليكم أيها الأخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح" (رو١٥: ٣٠).

مرة أخرى يذكر هنا المسيح والروح القدس، ولم يتطرق إلى ذِكر الآب، قال هذا، حتى أنه عندما تراه وهو يذكر الآب والإبن، أو يذكر الآب فقط، لا ترفض الإبن ولا الروح. ولم يقل : "الروح" بل قال: "*بمحبة الروح*". لأنه كما أن المسيح أحب العالم، وكما أحب الآب العالم، هكذا أحبه الروح القدس أيضًا. لكن أخبرني، ماذا تطلب؟.

" أن تجاهدوا معي في الصلوات من أجلي إلى الله. لكي أُنقذ من الذين هم غير مؤمنين في اليهودية" (رو١٥: ٣١).

بناء على ذلك فقد كان أمامه جهادٌ عظيمٌ، ولهذا يطلب صلواتهم، ولم يقل لكي لا أصطدم، بل قال: "*لكي أُنقذ*"، كما أوصانا المسيح أن نصلي "*حتى لا نقع في تجربة*"[٦١٦]. قال هذا فأظهر أن بعض الذئاب الخبيثة تنوي الهجوم عليه، وربما هم وحوش أكثر منهم بشر، لكنه كان يهدف لأمر آخر من وراء ذلك، فقد أراد أن يثبت أنه يوجد ما يبرر خدمته للمسيحيين في أورشليم، طالما أن غير المؤمنين كانوا كثيرين بهذا القدر، حتى أنه طلب أن يُصلّوا من أجله لكي يُنقذ من غير المؤمنين، لأن هؤلاء المؤمنين كانوا مُحَاطِين بأعداء كثيرين، وكانوا سيهلكون جوعًا، ولهذا فبسبب الاحتياج، أحضر إليهم خيرات مادية من مكان آخر "***ولكي تكون خدمتي لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين***". أي لكي تكون تقدمتي مقبولة،

[٦١٦] مت٢٦: ٤١.

لكي يقبلوا التقدمة باستعداد حسن.

أرأيت كيف أنه مرة أخري يسمو بقيمة أولئك الذين تُقدِّم لهم (العطية)، حيث أنه يحتاج لصلوات شعب كثير العدد، لكي يقبلوا العطايا المُرسلة؟ لكنه يُريد أن يظهر شيئًا آخر من وراء هذا، وهو أنه ليس كافيًا أن نُعطي صدقة لكي يقبلوها. لأنه حين يقدم شخص عن إضطرار، من مال ظلم، قاصدًا المجد الباطل، فإن الثمر يُبطَل.

" حتى أجئ إليكم بفرح بإرادة الله " (رو١٥: ٣٢).

مثلما قال في بداية الرسالة: "*عسى الآن أن يتيسر لي مرة بمشيئة الله أن آتي إليكم*"[٦١٧]. هكذا هنا أيضًا يُعلن نفس الرغبة، ويقول من أجل هذا أنا مُتعجل وأرجو أن أُنقذ من غير المؤمنين، لكي أراكم سريعًا، وأن أراكم بفرح، دون أن أحمل من هناك أي حزن. " ***وأستريح معكم***". أنظر كيف يُظهر تواضعه أيضًا. لأنه لم يقل " *أن أعلّمكم وأن أبُشّركم*"، بل قال: "*وأستريح معكم*". بالرغم من أنه هو الذي جاهد، وصارع، إذًا كيف يقول: " *أستريح معكم*"؟ يقول هذا لكي يقدم لهم خدمة في هذا الأمر، ويجعلهم مستعدين بالأكثر، بأن يكونوا شركاء في المكافأت، ويظهر كيف أن هؤلاء أيضًا يجاهدون ويتعبون. بعد ذلك وهو الأمر الذي أعتاد دومًا أن يفعله، يضيف الطلبة بعد النصح، قائلاً:

" إله السلام معكم أجمعين أمين" (رو١٥: ٣٣).

هكذا إعتاد أن يطلب لهم أن يحل السلام بواسطة إله السلام، في نفوس الجميع.

---

[٦١٧] رو١: ١٠.

الأصحاح السادس عشر

الإصحاح السادس عشر

" وأوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة للكنيسة التي في كنخريا" (رو١٦:١).

لاحظ إلى أي حد يمتدحها، خاصة وأنه يذكرها قبل الجميع، ويدعوها أختًا، وليس بالأمر اليسير أن تُدعى أختًا لبولس، ثم أضاف رتبتها، داعيًا إياها خادمة.

" كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين" (رو١٦:٢).

أي أن تقبلوها لأجل الرب، لكي تتمتع بكرامة من قِبَلكم، ان الذي يقبل شخصًا بإسم الرب يفعل ذلك، حتى لو كان ذلك الشخص غير ذي شأن وليست له مهابة. ولكن بالحري إذا كان ذلك الشخص قديسًا فهو يقبله بإرادة كاملة وإستعداد، ومن ثم فلابد أن يكون واضحًا لك كيف أن إظهار الرعاية لـ "فيبي"، له ما يبرره. ولهذا أضاف: "*كما يحق للقديسين*"، أي كما ينبغي أن نستقبل هؤلاء القديسين. إذًا هناك دافعان لكي تعتنوا بها، **أولاً** أنتم قد قبلتموها في إسم الرب، **ثانيًا** أنها قديسة. ثم يُضيف "***وتقدموا لها في أي شيء إحتاجته منكم***". أرأيت كيف أن الأمر ليس مزعجًا؟ لأنه لم يقل، لكي تخلّصوها من دَينٍ ما، بل قال لكي تقدموا لها مما لكم، وتساعدوها، وبصفة خاصة " في أي شيء إحتاجته منكم"، ليس فقط في أي شيء، بل تلك الأشياء التي تحتاجها منكم. وستحتاج تلك الأشياء التي تمتلكونها. ثم يمتدحها بمديح فائق، قائلاً: "***لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولي أنا أيضًا***".

أرأيت التعقل؟ فهو بدأ بالمديح ثم تحدث عن الرجاء والثناء أيضًا، محصورًا من الجانبين، الإحتياج (أي ما تحتاجه)، والمديح لتلك المرأة الطوباوية . لأنه كيف لا تكون طوباوية تلك التي تحظى بكل هذه الشهادة العظيمة من الرسول بولس، والتي استطاعت أن تُساعد ذاك الذي بشّر المسكونة؟ خاصة وأن هذا هو قمة صلاحها، لهذا فإنه قد ذكر ذلك في النهاية، قائلاً: " ولي أنا أيضًا". وماذا يعني بقوله: "ولي أنا أيضًا؟" يعني لي أنا مُبشّر المسكونة، أنا الذي عانيت الكثير، وأنا الذي أنجزت أمورًا لا حصر

لها. ليتنا نتشبه أيضًا رجالاً ونساءًا بهذه القديسة، وبتلك المرأة التي ذكرها بعد ذلك هي وزوجها، (يقصد بريسكلا وأكيلا). لكن مَن هما هذان الزوجان؟ يقول:

" سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معي في المسيح يسوع" (رو١٦ـ٣).

هذان يشهد لهما القديس لوقا بالفضيلة، أولاً حين يقول: " *ولكونه من صناعتهما أقام عندهما (ق. بولس)*"[٦١٨]، ثم بعد ذلك عندما يُبيّن أن المرأة أخذت أبولس بالقرب منها وشرحت له طريق الرب بأكثر تدقيق[٦١٩]. ان ذلك يعتبر بالطبع عملاً عظيمًا، ولكن الأكثر عظمة يظهر في ما يقوله القديس بولس، ماذا يقول إذًا؟ أولاً يدعوهما عاملين معه، مُبرهنًا أنهما شريكان في أتعابه التي لا تُوصف، وفي المخاطر التي تعرّض لها، يقول بعد ذلك:

" اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي" (رو١٦:٤).

أرأيت شهادات كاملة مثل هذه، خاصةً وأنه كان من الطبيعي أن يكون هناك أخطار لا حصر لها في عصر نيرون، الذي اصدر أمرًا في ذلك الوقت بأن يرحل كل اليهود عن روما. "***اللذين لست أنا وحدي أشكرهما بل أيضًا جميع كنائس الأمم***". هنا هو يمتدح ضيافتهما ودعمهما المالي، مقدرًا أياهما، لأنهما سفكا دمهما، وقدما ثروتهما للجميع . أرأيت نساء يتصفن بالشجاعة مثل هؤلاء، واللاتي لم يتخلفن أبدًا بسبب طبيعتهن الضعيفة، عن السلوك في طريق الفضيلة؟ بالطبع نعم، بل وكثيرات أيضًا. لأنه: "*ليس ذكر وأنثى في المسيح يسوع*"[٦٢٠]. وما قاله عن المرأة قبلاً (أي فيبي)، هذا يقوله عن هذه أيضًا (أي بريسكلا). لأنه قال عن فيبي أنها " *صارت مساعدة لكثيرين ولي أنا أيضًا*"، ولهذه (أي بريسكلا) قال "*لست أنا وحدي*

---

[٦١٨] أع١٨:٣.

[٦١٩] أع١٨:٣٦.

[٦٢٠] غل٣:٢٨.

أشكرها بل أيضًا جميع *كنائس الأمم*". إذًا ولكي لا يبدو أنه يقول هذا كله، متملقًا إياها، فهو يعرض لشهود آخرين، أكثر بكثير من النساء.

" وعلى الكنيسة التي في بيتهما" (رو١٦ـ٥).

لقد كان بيتهما مميزًا جدًا حتى إنهما جعلاه كنيسة، وبأنهما قد جعلا الجميع مؤمنين، من خلال إستقباله لكل الغرباء. فلم يكن معتادًا بالطبع أن يدعو البيت كنيسة، بدون سبب، إن لم تكن تقوى بريسكلا وأكيلا قوية، وإن لم تكن جذور مخافة الله متأصلة فيهما. ولذلك فعندما كتب إلى أهل كورنثوس قال: "*يُسلّم عليكم في الرب كثيرًا أكيلا وبريسكلا مع الكنيسة التي في بيتهما*"[٦٢١]. وعن أنسيمس كتب قائلاً: "*بولس..إلى فليمون المحبوب..وإلى أبفية المحبوبة..وإلى الكنيسة التي في بيتك*"[٦٢٢]. لأنه من الممكن أن يصبح المرء سخيًا، ونبيلاً، وإن تزوج بعد. إذًا فهذان (أي أكيلا وبريسكلا) كانا زوجين، وكانا مُشرِقان بشكل فائق، على الرغم من أن مهنتهما لم تكن مبهجة (لأنهما كانا صانعي خيام). بيد أن الفضيلة غطت على كل شيء، وقدمهما الرسول بولس بإعتبارهما أكثر بهاءًا من نور الشمس، فلم يتجاهل عملهما، ولا إرتباطهما بالزواج، بل ذكر إنهما قد أظهرا للمسيح تلك المحبة التي طلبها. وهي" *ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه*"[٦٢٣].. وهذا يُعَد سمة يتميز بها تلميذ المسيح، وهذا ما حققاه (أي المحبة)، لأنهما حملا الصليب وتبعا المسيح. إذًا فهذان اللذان صنعا محبة من أجل بولس، سيُظهرا بالأكثر جدًا الكرم والسخاء لأجل المسيح.

٤ـ فليسمع الأغنياء والفقراء هذه الأمور. لأنه إن كان اللذين عاشا على أعمال أيديهما، وكانا يُديران ورشة صغيرة لصنع الخيام، قد أظهرا نبلاً إلى هذا الحد الكبير، حتى أنهما صارا نافعين لكنائس كثيرة، فأي عذرًا

---

[٦٢١] اكو١٦: ١٩.

[٦٢٢] فل١: ١.

[٦٢٣] يو١٥: ١٣.

يمكن أن يقدم أولئك الذين على الرغم من أنهم أغنياء، إلا إنهم يحتقرون الفقراء؟ لماذا لم يتردد هذان (أي أكيلا وبريسكلا)، في تقديم ذاتهما حتى سفك الدم، من أجل تتميم إرادة الله، بينما أنت تحزن من أجل تقديم قليل من المال، دون أن تحزن حتى من أجل نفسك، وهذا كثيرًا ما يحدث؟ هل أكيلا وبريسكلا، قد أظهرا مثل هذا السلوك تجاه المعلم (أي ق. بولس)، ولم يُظهراه للتلاميذ؟ إننا لا نستطيع أن نقول هذا أيضًا، لأن كنائس الأمم، كما يقول الرسول بولس، تشكرهما. وبرغم أنهما كانا من اليهود، إلا أن قوة صدق إيمانهما دفعتهما للخدمة برغبة كاملة. وقد تطرق القديس بولس لزينة النساء وذكر إنها يجب أن تكون هكذا: "*لا بضفائر أو ذهب أو لآلي أو ملابس كثيرة الثمن*"[٦٢٤]، بل بما حققته بريسكلا. أخبرني إذًا، أي ملكة أشرقت وأمتدحت بهذا القدر، مثل زوجة الخيّام (أي بريسكلا)، والتي صارت موضع حديث الجميع، ليس لعشرة سنوات أو عشرون سنة، بل سيظل الجميع يُدعَوّن للتشبه بها حتى مجئ المسيح الثاني، لأجل ما صنعته، أي تلك الأعمال التي تُزيّنها، أكثر من زينة التاج الملوكي.

إذن هل هناك أعظم من أنها كانت مساعدة لبولس، وأنها أنقذت مُعلّم المسكونة، مما عرض حياتها للأخطار؟ لكن لاحظ: كان هناك ملكات كثيرات ولم يذكرهن أحد قط، بينما زوجة الخيّام كانت تجول في كل مكان مع زوجها، وبقدر ما تُشرق الشمس على الأرض، بقدر ما كان مجد المرأة (أي بريسكلا) يسطع في كل المسكونة . إن الفرس والسكيثيون، وأهل ثراكي، جميع الساكنين في أقاصي الأرض، يمتدحون، ويطوبون إيمان هذه المرأة. ألا يجعلك هذا تلقي بعيدًا عنك وبفرح، هذا الكم من الثراء، والتيجان، والثياب الأرجوانية، لكي تنال هذه الشهادة؟ وبالطبع لن يستطيع أحد أن يقول، أنهما في الأخطار كانا (شجعانًا)، وفي الأموال كنا يقدمان بسخاء، بينما أهملا البشارة، خاصةً وأن الرسول بولس، يدعوهما عاملين معه، وشركاءه في الخدمة، أي في مجال الكرازة. ولا يخجل ذاك

---

[٦٢٤] ١تيمو ٢:٩.

الذي هو الإناء المختار من الله أن يدعو المرأة (بريسكلا) عاملة معه، بل إنه يفتخر بذلك، فهو لم يلتفت إلى طبيعتها كإمرأة، بل كان يُقدِّر رغبتها في الخدمة والكرازة. فما الذي يعادل هذه الجوهرة؟ أين هو ثراؤكم الذي يُنفَقْ في كل موضع؟ أين هي زينة الوجه، وأين هو المجد الباطل؟

لقد عرفت بريسكلا جيدًا أن الزينة الحقيقية للمرأة، ليست هي زينة الجسد، بل هي تلك التي تُزين النفس، والتي لا تُفقَد مطلقًا، ولا تُخزَّن في صندوق، بل تُحفظ في السموات. أنظر إلى تعبها لأجل الكرازة، إلى الإكليل في الشهادة، إلى السخاء في تقديم الأموال، إلى محبتها لبولس، وإلى محبتها للمسيح، قارن هذه الأمور، بما تصنعه أنت، من جهة الإهتمام بجمع الأموال، والصراع لأجل مصاحبة الساقطات، والمشاجرة لأجل الحصول على العشب (أي أمور الدنيا الزائلة)، وحينئذًا سترى، مَن هما هذين (بريسكلا وأكيلا)، ومَنْ تكون أنت. أو من الأفضل أن نقول لا تعقد مقارنة فقط، بل أن تحذو حذو تلك المرأة (بريسكلا) في غيرتها، وتُلقي عن كاهلك أحمال العشب (كل أمور العالم)، لأن هذه هي الثياب الفاخرة. أجّل، لتأخذ الزينة من السماء، وتتعلم كيف أصبح الذين كانوا مع بريسكلا هكذا (مُحبين للخدمة). لقد تمثلوا بهما في محبتهما حين رأوا أنهما قد إستضافا بولس سنتين. لكن ماذا عن الإقامة معهما لمدة سنتين، ما هو تأثير إقامة بولس عندهما طوال هذه المدة؟ وماذا أفعل أنا، الذي لم أستضف بولس، هكذا يقول المرء؟ إن كنت تريد فسيكون بولس عندك أنت أيضًا وبصورة أكثر وضوحًا من (بريسكلا وأكيلا)، لأن وجه بولس ليس هو الذي جعلهما هكذا، بل كلامه. وبناء على ذلك، إن أردت، فسيكون لديك بولس، وبطرس، ويوحنا، وكل جماعة الأنبياء، وسيتحدثون معك بصفة دائمة. إذًا لتأخذ كتب هؤلاء الطوباويين، وأقرأ كل ما كتبه هؤلاء، وحينئذ ستجعلك هذه الكتابات، مثلما كانت زوجة الخيّام (أي بريسكلا).

ولماذا أتكلم عن بولس؟ لأنه إن أردت، فسيكون لديك رب بولس نفسه، لأنه سيُكلّمك من خلال لغة بولس، وبطرق مختلفة أيضًا سيمكنك أن

تستقبل الرب، عندما تستقبل القديسين وعندما تعتني بكل مَنْ يؤمن بالرب، فحين يرحل هؤلاء، سيكون لديك تذكارات للتقوى. لأن الذي يستقبل القديسين يعرف المائدة التي أكل عليها القديس، والمقعد الذي جلس عليه، والمخدع الذي نام عليه، ويعرف التأثير الذي يتركه رجل الله على الشخص الذي أستقبله، حتى بعد أن يرحل. إذًا كيف لك أن تتصور تأثر تلك الشونمية[٦٢٥]، حين دخلت إلى العُلّيه التي أقام فيها إليشع النبي ورأت المائدة، والمخدع الذي نام عليه هذا القديس؟ ما هي درجة القداسة التي تظن أن هذه المرأة قد نالتها من مكان إقامته؟ لأنه إن لم يكن هذا قد حدث، إن لم يقم اليشع النبي في العُلّية، ما كانت لتلقي إبنها وهو ميت هناك في المخدع الذي نام عليه اليشع النبي، وما كانت قد إكتسبت بحضوره فائدة كبيرة . إذًا لو أنه بعد هذا الزمن الطويل، عندما ندخل إلى هناك، حيث أقام بولس، هناك حيث قُيّد، وجلس مع آخرين وتحاور، هل لنا أن نتشجع، وننتقل من الأماكن إلى تلك الذكرى (أي ذكرى حضوره في كل هذه الأماكن)، وهل يكون أمرًا طبيعيًا أن يُعاني أولئك الذين بورعٍ يستضيفون القديسين، عندما تكون الأمور حادثة في وقت ليس بالبعيد؟

إذن ونحن عارفون هذه الأمور فلنستقبل القديسين، لكي يُضيء المنزل، لكي يتخلص من الأشواك، لكي تصير الحجرة ميناء، لنستقبلهم ولنغسل أرجلهم، فأنتِ لست أفضل من سارة، ولا أكثر سخاءً ولا أكثر ثراءً منها، حتى وإن كنتِ ملكة. فقد كان لديها ٣١٨ عبد في منزلها، وفي ذلك الوقت مَنْ كان لديه إبنان، هذا كان يُعد غني، إلا أنها لم تشعر بعظمة الغنى في هذا كله . ولماذا أتكلم عن ٣١٨عبدًا؟ فكل المسكونة كانت لنسلها، وفي الوعود (التي أُعطيت لها)، كان زوجها خليل الله، الله نفسه كان معينًا له، الأمر الذي كان أعظم من أي مملكة. لكن على الرغم من إنها كانت معروفة جدًا، وكانت تعيش في مجد عظيم جدًا، فإنها عجنت الدقيق،

[٦٢٥] أنظر ٢ملوك٤:٨ـ٣٧(التي إستقبلت إليشع النبي، وصنعت له علّيه صغيرة ووضعت هناك سريرًا وكرسيًا ومنارة، ليبيت فيها).

وخدمت ضيوفها خدمة كاملة، هكذا أخذت وضع الخادمة[٦٢٦]. أنت لست أكثر نبلاً من إبراهيم، الذي قام بأعمال الخدم، بعد أن أقام أقواس النصر البهية[٦٢٧]، بعد الإنتصارات التي حققها، وبعد الكرامة التي نالها من ملك مصر، والذي طرد ملوك الفرس.

ولا تنظر بإزدراء إلى القديسين الذين ينزلون في بيتك، لأنهم زاهدون في مظهرهم الخارجي، وفقراء، وكثيرًا ما يرتدون ثيابًا رثة، بل لنتذكر ذلك الصوت القائل: " *بما أنكم لم تفعلوه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا*"[٦٢٨] وأيضًا "*أنظروا لا تحتقروا احد هؤلاء الصغار لأني أقول لكم إن ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات*"[٦٢٩]. عليك أن تستقبل بكل مودة وبقبلات السلام، أولئك الذين يحملون لك خيرات لا حصر لها. وبالإضافة إلى التفكير في سارة، فلتفكر في رفقة التي أخذت ماء وسقت الجميع، ودعت الإنسان الغريب إلى بيتها، بعدما تخلّت عن أي شعور بالتباهي[٦٣٠]. ولهذا تحديدًا فقد نالوا هؤلاء جزاءًا عظيمًا نتيجة إستضافتهم. أما أنت ـ إن أردت ـ فستأخذ مكافآت أعظم منهم. لأن الله لن يكتفي بأن يُعطيك الأولاد كثمر، بل سيعطيك السماء، وخيراتها، والخلاص من الجحيم، وغفران الخطايا، لأن ثمر الضيافة عظيم، بل وعظيم بشكل فائق. هكذا كان يثرون، فهو وإن كان بربريًا، جعل ذاك الذي أمرَّ البحر بسلطان عظيم، زوجًا لأبنته، خاصةً أن بناته قد إجتذبوا هذا الصيد الثمين[٦٣١].

إذن أيتها المرأة وأنت تُدركين هذه الأمور، مُقدّرة نبل وشهامة أولئك النسوة، وكذلك إيمانهن، فلتحتقري الحماقة الحاضرة، أي زينة الملابس،

---

[٦٢٦] أنظر تك١٨: ١ـ٨.

[٦٢٧] أنظر تك إصحاح١٢، ١٤.

[٦٢٨] مت٢٥: ٤٠.

[٦٢٩] مت١٨: ١٠.

[٦٣٠] انظر تك٢٤: ١٥ـ٣٣.

[٦٣١] انظر خر٢: ١٥ـ ٢٢.

المصوغات الذهبية الفخمة، وضع العطور، وأيضًا عليك بترك حياة الفجور، كذلك الزينة (الخارجية)، والخطوة الرنانة (أي التي تُصدر إيقاعًا معينًا)، ضعي كل هذا الاهتمام في نفسك، وأشعلي في ذهنك الرغبة في ملكوت السموات، لأنه إن ساد عليكِ هذا العشق (عشق التزيين والفجور)، ستتزلقين في الوحل والطين، وستسخر منك النساء اللواتي الآن هن موضع إعجاب، لأنه من غير الممكن للمرأة المُزينة بإمكانات روحية أن تطلب هذا الأمر المثير للسخرية . إذًا فلتنزعي عنكِ كل هذه الأمور، التي تمتلكها الساقطات والراقصات، والعازفات، بحماس شديد، إرتدِيّ التقوي، إحرصي على إستضافة الغرباء، ومساعدة القديسين، إسلكي بخشوع، وبالصلوات الدائمة. هذه الفضائل هي أثمن من الثياب المطرزة بالذهب، وأهم من الأحجار الكريمة، والقلادات. هذه الفضائل تجعل الناس يكرمونك، وتمنحك مكافأة سمائية عظيمة . هذه الزينة هي زينة الكنيسة، أما الزينة الخارجية، فهي زينة المسارح، الزينة الداخلية تؤهل لملكوت السموات، أما هذا العالم المحيط بكِ فهو عالم الاهتمام بالخيول والبغال، هو عالم الجسد المائت الذي ليست له أهمية، أما عالم الزينة الداخلية فهو لا يشرق بالصلاح، إلا داخل النفس التي يسكن فيها المسيح. إذًا هذه الزينة هي ما ينبغي أن نسعى إليها، لكي نُمتدح نحن أيضًا في كل مكان، ونقدم الشكر للمسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة إلى دهر الدهور أمين.

عظة ٣٢ :

" سلموا على أبينتوس حبيبي الذي هو باكورة أخائية للمسيح" .

١ـ أعتقد أن كثيرين، ممن يتصورون بقناعة كبيرة جدًا أنهم مهمين، سيتجاهلوا هذا الجزء من الرسالة، كما لو كان جزءًا زائدًا، وليس له أهمية كبيرة، واعتقد أنهم يجتازون نفس الأمر وسيفعلوا ذلك أيضًا بالجزء الذي يختص بسلسلة النسب المسجلة في الإنجيل. فلأنه مجرد سجل أسماء، يعتقدون أنهم لن يستفيدوا منه شيئًا. إن صائغي الذهب يهتمون بدقة بالبرادة الصغيرة (التي تخرج من الذهب)، بينما هؤلاء (أي الذين يتصورون أنهم مهمين)، فلا يكترثوا بالأجزاء الكبيرة من الذهب . إذًا فهذا الكلام يكفي لإبعادهم عن اللامبالاة هذه، وحيث إن الفائدة الناتجة عن كلامنا ليست قليلة، فإننا قد أظهرناها من خلال كل ما قيل من قبل ـ بعدما جذبنا انتباهكم إلى هذه التحيات الرسولية ـ إلا إننا سنحاول اليوم أيضًا أن نستثمر نفس الجزء، لأنه من الممكن أن نحصل على كنز عظيم، من خلال هذه الأسماء البسيطة. إذًا لو انك عرفت لماذا دُعي إبراهيم بهذا الأسم، وهكذا أيضًا بالنسبة لأسماء مثل سارة وإسرائيل وصموئيل ستعرف من خلال هذا المدخل، أمور تاريخية كثيرة.

بل وينطبق نفس الأمر أيضًا على الأزمنة والأماكن، وسيُمكنك أن تجمع الكثير من المعلومات عنها، ومن هذا المنطلق فإن الشخص المهم، سيصبح غنيًا، بينما ذاك الذي فَقَد الغيرة والحماس لن يستفيد شيئًا، ولا من تلك الأمور التي هي بالغة الوضوح . حقًا فإن إسم آدم يُعلمنا فلسفة ليست بالقليلة، كذلك إسم إبنه، وإسم زوجته ذاتها، كذلك أكثر الأسماء الأخرى. لأن الأسماء تُذكّر بأمور كثيرة، وبإحسان الله، وتُظهر فرح النساء، خاصةً عندما حملن وأعطين أسماء لأولادهن، من خلال عطية الله. لكن لماذا نفلسف مسألة الأسماء الآن، في اللحظة التي تُظهر فيها لامبالاة لكثير من المعاني، بل أن الكثيرين لا يعرفون ولا حتى أسماء أسفار الكتاب المقدس؟ لا ينبغي علينا رغم ذلك أن نترك الإهتمام بهذه الأمور. يقول الكتاب

" *فكان يجب أن تضع فضتي عند الصيارفة* "[٦٣٢]. ولهذا وإن كان لا يوجد بعد أحد كي يقبل هذه الكنوز، لنؤدي نحن دورنا، ولنبين أن الكتب المقدسة لا يوجد فيها شيء زائد، ولا طرق بلا هدف. لأنه إن لم يكن هناك ربحاً أو فائدة من وراء ذِكر هذه الأسماء، فما كان لها أن تُضاف في الرسالة، ولا كان الرسول بولس قد كتب ما كتب.

إلا أن هناك البعض مماً هم عديمي الحياء، وفاقدي البصيرة، الذين هم غير مستحقين لملكوت السموات، حتى أنهم يعتقدون أنه ليس فقط الأسماء هي الزائدة أو التي لا ضرورة لها، بل وكتب أو أسفار كاملة، مثل اللاويين ويشوع ابن نون، وأسفار أخرى كثيرة. هكذا العهد القديم أيضًا، فإن الكثيرين من الحمقى، قد رفضوه، وبسبب هذه العادة الشريرة، تقدموا نحو العهد الجديد وإقتطعوا أسفارًا كثيرة منه. ولكن نظرًا لأن هؤلاء سكارى، ويحيون للجسد، فلن أتحدث طويلاً، ولكن إذا وُجد أحد عاشق للحكمة، ومحب لسماع الأمور الروحية، فسيجد أن تلك الأمور التي تبدو صغيرة في الكتاب المقدس ليست بلا هدف، أو بدون سبب، وكذلك الأمور القديمة أيضًا تحمل فوائد كثيرة. " *فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً وكُتبت لإنذارنا* "[٦٣٣]. كما يقول الرسول بولس. ولهذا قال لتيموثاوس: " *أعكف على القراءة والوعظ* "[٦٣٤]، دافعًا إياه إلى قراءة الكتب القديمة (أي أسفار العهد القديم)، وقد كان إنسانًا صاحب فكر ورؤية كبيرة جدًا، حتى أنه كان يطرد شياطين، ويقيم موتى. لنأتِ الآن للآية محل البحث. " *سلموا على أبينتوس حبيبي* ". يجدر بنا إنطلاقًا من هنا، أن نرى كيف إنه يمتدح كل واحد بطرق متنوعة. لأن هذا المديح ليس بالقليل، بل هو مديح كبير بشكل فائق، ومؤشر على فضيلة كبيرة، أي أن يكون الرسول بولس حبيبه، بولس الذي لا يقبل أن يحب مقابل خدمة، بل إن محبته راسخة ويحمل الكل في

---

[٦٣٢] مت٢٥:٢٧.

[٦٣٣] ١كو١٠:١١.

[٦٣٤] ١تي٤:١٣.

فكره. ثم بعد ذلك نجد مديحاً أخر في عبارة "*الذي هو باكورة أخائية*" . إذًا فهذا ما يقصده أي إما أنه تغيّر وآمن قبل الآخرين، الأمر الذي يستحق كثيرًا من المدح، أو أنه يتميز بتقوى وورع أكثر من الجميع . ولهذا فإنه لم يكتفِ بقوله "*الذي هو باكورة أخائية*"، لكي لا تظن انه يعطيه مجد العالم، بل أضاف "للمسيح". فإن كان المتقدم في الأمور السياسية، يظهر أنه شخص عظيم وبهيّ، فبالأكثر جدًا في الأمور الروحية. إذن لأنه كان من الطبيعي أن ينتمي أبينتوس لنسل متضع، فهو يشير إلى النبل الحقيقي، والتقدم، مكرمًا إياه من هذا المنطلق . ويقول عنه أنه باكورة، ليس فقط لكورنثوس، بل لكل منطقة أخائية، كما لو كان قد أصبح بابًا ومدخلاً للآخرين. والمكافأة التي ينالها مثل هذا الإنسان ليست بالقليلة، فإن واحدًا مثل هذا سيربح بالتأكيد مكافأة كثيرة نتيجة الأمور الروحية التي حققها آخرون، لأنه ساهم كثيرًا في جذب هؤلاء للمسيح، من خلال البداية التي صنعها إذ هو باكورة أخائية للمسيح.

٢ـ "سلموا على مريم التي تعبت لأجلنا كثيرًا" (رو١٦:٦).

ما هذا؟ إن تتويج إمرأة مرة أخرى والاعتراف بها كمنتصرة، يدعونا نحن الرجال للخجل، أو من الأفضل أن نقول لا نخجل فقط، بل أن نفتخر أيضًا. إذًا فلنفتخر، لأن مثل هؤلاء النسوة، هن نساؤنا، لكننا نخجل لأننا نتضاءل كثيرًا جدًا أمامهن، فإذا عَلِمنا من أين يأخذ هؤلاء النساء الجوهرة أي الحياة مع المسيح، فإننا نحن أيضًا سنلحق بهن على الفور. إذًا ماذا كانت زينتهن؟ فليسمع الرجال والنساء، فهن لا يتزينَ بالأساور، ولا بالأقراط، ولا بالخصيان والخادمات، ولا بالملابس المطعمة بالذهب، بل يتزينَ بالأتعاب من اجل أن يصل الحق للآخرين. إن مريم كما يقول، "*تعبت لأجلنا كثيرًا*". ليس فقط لأجل نفسها، ولا لأجل أن تكتمل في الفضيلة، الأمر الذي تصنعه الآن نساء كثيرات، بأن يَصمن وأن ينمن على الأرض، لكنها تعبت لأجل آخرين، وسلكت طرق الرسل والإنجيليين. إذًا كيف يقول "*لستُ آذن للمرأة*

أن تُعلم"[٦٣٥] **هو هنا يمنعها عن قيادة الاجتماعات وعن التحدث على المنبر المقدس، وليس عن كلمة التعليم.** لأنه لو كان الأمر كذلك، كيف قال للمرأة التي لها زوج "*كيف تَعلَمين أيتها المرأة هل تخلصين الرجل*"[٦٣٦]، كيف كان ينبغي أن ينصحن الأولاد، قائلاً: "*ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثَبتنَ في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل*"[٦٣٧].

كيف علّمت بريسكلا، أبولس؟ إذًا لم يقل (ق. بولس) هذا (أي عدم السماح للمرأة بالتعليم)، لكي يُعيق التعليم الذي يهدف إلى المنفعة، بل لكي يمنع التعليم العلني الذي يوجه للعامة، وفي المسرح العام، والذي يُناسب المعلمين. وهذا يحدث عندما يكون الرجل مؤمنًا، وكاملاً بشكل تام، ويمكن أن يُعلّم المرأة، لأنه إن كانت هي أكثر حكمة، لا يمنعها أن تُعلّم، وأن تصحح أخطاء الآخرين، ولم يقل، التي علّمت كثيرًا، بل قال: "التي تعبت كثيرًا"، بهدف أن يُظهر أنه بالإضافة إلى خدمة الكلمة، فقد خدمت أيضًا في مجال الاحتياجات الأخرى، التي تحتاج إلى جرأة بسبب الأخطار، وبسبب الإحتياج إلى المال، وبسبب الأسفار (أي التنقلات)، لأن النساء في ذلك الوقت كن أكثر شجاعة من الأسود، طالما كن يتقاسمن الأتعاب مع الرسل من أجل الكرازة، ولهذا سافرن معهم، وخدمن في كل الإحتياجات الأخرى. فضلاً عن ذلك فإنه في حالة الخدمة مع المسيح، فقد تبعته نساء، مُقدمين له خدمات وكن ينفقن من أموالهن، معتنين بالرب المعلم.

٣- "سلموا على أندورنِكوس ويونياس نسيبيّ" (رو١٦: ٧).

من الواضح أن هذا السلام هو مديح، لكن الكلام الذي يأتي بعد ذلك هو أعظم جدًا. إذًا فماذا قال: "*المأسورين معي*". لأن هذا هو التاج الأكثر عظمة، والإعتراف العلني والكبير بهما. وأين كان بولس أسيرًا، حتى أنه يقول "المأسورين معي؟". بالطبع لم يكن أسيرًا، بل كان يقاسي أكثر جدًا

[٦٣٥] ١تي٢: ١٢.
[٦٣٦] ١كو٧: ١٦.
[٦٣٧] ١تي٢: ١٥.

من المأسورين، ليس فقط لأنه قد حُرِم من وطنه وبيته، بل لأنه صارع الجوع، والموت يوميًا، ومصاعب أخرى لا حصر لها. **لأن أسير الأمور الصعبة هو ذاك الذي يُحرم من أقربائه،** فيصير مرات عديدة، عبدًا بدلاً من أن يكون حرًا، بينما هنا من الممكن أن نتكلم عن تجارب لا تُحصى، والتي صَبر عليها هذا المطوب (أي ق. بولس)، إذ كان يُقاد للمحاكمات، ويُزدَرىَ به هنا وهناك، وقد جُلِدَ بالسياط، وسُجن، رُجم بالحجارة، وتعرّض للغرق، إذ كان له أعداء كثيرين. إن الأسرى بعد خطفهم لا يصبح لهم عدوًا بعد اعتقالهم، بل يكونوا متمتعين بعناية كبيرة من أولئك الذين أسروهم، بينما الرسول بولس، فكان يُحتَقَر من الأعداء بإستمرار، ويضرب في كل مكان بالعصيّ، وبسيوف حادة، وكان يواجه جماعات مُنظمة ويدخل في معارك. إذًا فنظرًا لأن هذين (أي أندرونيكوس ويونياس) من المحتمل أن يكونا قد شاركا معه في أخطار كثيرة، فهو دعاهما المأسورين معي، كما يقول في موضع آخر: "*أرسترخس المأسور معي*"[٦٣٨].

ثم بعد ذلك يقدم مديحًا آخر " **اللذين هما مشهوران بين الرسل**". فبرغم من كونهما رسل، وهذا أمرًا عظيم، لكن أن يكونا مشهورين بين الرسل، فلك أن تفكر في مدى عظمة هذا المديح. لكنهما كانا مشهورين بسبب عملهما، وبسبب ما حققاه من إنجازات. ولم يتوقف عند هذا الحد، بل يضيف مديحًا آخر، قائلاً: "***وقد كانا في المسيح قبلي***". بالحقيقة، فعندما يذكر أنهما يسبقاه وقد آتيا، بآخرين للمسيح، فهذا ما يعتبر إشاده عظيمة بعمل المسيح في النفوس، لكن أرجو أن ننتبه إلى كيف كانت النفس المقدسة نقية وبعيدة عن المجد الباطل. لأنه بعد كل هذا المجد، يضع آخرين قبله، ولا يخفي أنه أتى للمسيح بعدهما، ولا يخجل أن يعترف بهذا. ولماذا تندهش، خاصة وإن كان هو نفسه لا يستحي أن يعترف بهذا، في اللحظة التي لم يتوقف فيها عن إسترجاع ما حدث في حياته السابقة، داعيًا نفسه مجدفًا ومضطهدًا؟ إذًا لأنه لم يستطع أن يضع هذين (أي أندرونيكوس

---

[٦٣٨] كو ٤: ١٠.

ويونياس) قبل الآخرين، فقد أشار إلى نفسه إنه أتى للمسيح بعد الآخرين. ومن هنا وَجَدَ أنه من المناسب أن يسجل مدحًا لهذين، قائلاً: "*وقد كانا في المسيح قبلي*".

٤ـ "سلموا على أمبلياس حبيبي في الرب" (رو١٦:٨).

أيضًا يمتدح أمبلياس بالمحبة. لأن محبة بولس كانت لله، وقد كانت تحمل في طياتها خيرات لا تحصى. فإذا كانت هناك عظمة عندما يحب الملك شخصًا ما، فكم تكون عظمة المديح، أن يُحِب بولس ذلك الشخص؟ وبالطبع ما كان له أن يُحِب أمبلياس، لو لم يكن صاحب فضيلة كبيرة. لأنه إعتاد ليس فقط ألا يحب أولئك الذين يعيشون في الشرور والخطايا، بل ويُطبق عليهم قانون الحرمان أيضًا، فيقول: "*إن كان أحد لا يحب الرب يسوع المسيح فليكن اناثيما (محرومًا)*"[٦٣٩]. وأيضًا: "*إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم به فليكن أناثيما*"[٦٤٠].

"سلموا على أوريانوس العامل معنا في المسيح" (رو١٦:٩).

هذا المدح هو أعظم من الموجه لأمبلياس، لأنه يشمل كلاهما في آن واحد. "*وعلى إستاخيس حبيبي*". مرة أخرى يتوج إستاخيس بالمحبة.

" سلموا على أبلس المزكي في المسيح" (رو١٦:١٠).

لا يوجد شيء مساو أو يعادل هذا المديح، أي أن يكون في موضع لا تطوله فيه الإتهامات، وأن لا يتهاون في الأمور التي تتفق مع وصايا الله. لأنه حين يقول: "*المزكي في المسيح*"، هو يذكر كل فضيلة.

ولكن لماذا لا يتحدث عن أي شخص بعبارة، سيدي فلان؟ يرجع ذلك إلى أن المدح الذي يوجهه الرسول بولس لأحبائه يعد أعظم من هذا المديح، كما تعتبر هذه العبارة دليل تكريم فقط، بينما مديح بولس لهؤلاء هو دليل فضيلة. بل ويكون بهذه الطريقة قد كرَّمهم بشكل كبير جدًا، بمعنى أنه

---

[٦٣٩] ١كو١٦:٢٢.

[٦٤٠] غل١:٨.

يُرسل سلامه لكثيرين من البسطاء، وأصحاب المكانة السامية، وللعظماء. وكون أنه يُسلّم عليهم، وأن يُسلّم على الواحد تلو الآخر في نفس الرسالة، فإنه يكون قد كرَّم الجميع بشكل مماثل، بينما إمتداحه لكل واحد بشكل خاص، فإنه يُقدم لنا الفضيلة الخاصة بكل أحد، حتى أنه بهذا لا يثير حسدًا، إذا كان يُكرِّم البعض، ولا يُكرِّم البعض الآخر، ولا أن يخلق لا مبالاة وحيرة، إذا اعتبر الجميع مستحقين للمديح من أجل ممارسة نفس الأمور، بينما هم لم يكونوا مستحقين لهذا المديح في نفس المجال.

إذن لاحظ كيف أنه يأتي مرة أخرى إلى ذكر النساء موضع الإعجاب. لأنه بعدما قال: " *سلّموا على الذين هم من أهل أرستوبولس*" .

قال: " سلّموا على هيروديون نسيبي. سلّموا على الذين هم من أهل نركيسوس"(رو١٦: ١١).

ومن المحتمل أن يكون هؤلاء ليسوا على نفس مستوى الذين سبق وتحدث عنهم، ومن أجل هذا لم يذكرهم جميعًا بأسمائهم، وبعدما أعطى المديح اللائق بهم، باعتبارهم مؤمنين، لأن هذا هو معنى " *الكائنين في الرب*"، يحمل مرة أخرى سلامًا لنساء، قائلاً:

وأيضًا " سلّموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين في الرب" (رو١٦: ١٢).

من جهة مريم قال إنها تعبت لأجلنا، بينما لهاتين (تريفينا وتريفوسا)، يقول أنهما قد تعبتا بصفة مستمرة. وهذا المديح ليس بالقليل عندما يُذكَر، أنهما قد عملتا على الدوام، وليس فقط عملتا، بل وتعبتا. أما بالنسبة لبرسيس، هو يدعوها المحبوبة، مبرهنًا على أنها كانت أسمى من هاتين. يقول " *سلّموا على برسيس المحبوبة*". ويؤكد على أنها تعبت كثيرًا، قائلاً: " *التي تعبت كثيرًا في الرب*". هكذا كان يعرف كيف يدعو كل واحد بحسب إستحقاقه، جاعلاً هؤلاء أيضًا أكثر رغبة في العمل والخدمة، بأن لا يحرمهم من ذكر مواهبهم، بل ويذكر أيضًا وبشكل علني إمتيازاتهم، مبرهنًا على أنه يهتم بالآخرين إهتمامًا كبيرًا، دافعًا إياهم لنفس الغيرة، لأجل نوال المديح بسبب أعمال المحبة والخدمة.

٥ـ " سلموا على روفس المختار في الرب وعلى أمه أمي" (رو١٦: ١٣).

كل الصلاح يوجد هنا أيضًا ، حين يكون الإبن هو هكذا مُختار ، والأم هي هكذا بمثابة أم بولس ، والبيت مملوء بركة ، والجذر يتوافق مع الثمر. لأنه ما كان له أن يقول "*وعلى أمه أمي*" ، ما لم يكن قد شهد على فضيلة كبيرة في هذه المرأة.

" سلموا على أسينكريتس فليغون هرماس بتروباس وهرميس وعلى الأخوة الذين معهم" (رو١٦: ١٤).

هنا لا تنظر إلى أنه يذكر هؤلاء بدون مديح ، بل على الرغم من أنهم كانوا أقل كثيرًا من الآخرين ، كما يبدو ، إلا إنه لم يعتبرهم غير مستحقين لسلامه. أو من الأفضل أن نقول أنه لا يُعَد مدحًا بسيطًا ، أن يدعوهم أيضًا أخوة ، تمامًا مثلما يدعو الذين يذكرهم فيما بعد ، قديسين.

" سلموا على فيلولوغس وجوليا ونيريوس وأخته وأولمباس وعلى جميع القديسين الذين معهم" (رو١٦: ١٥).

الأمر الذي يُعَد مقام عظيم جدًا ، وكرامة عظيمة لا تُوصف . بعد ذلك ، وحتى لا ينشأ أي شجار أو نزاع ، بأن يدعو البعض هكذا ، ويدعو الآخرين بطريقة مختلفة ، ويدعو البعض بأسمائهم ، والبعض الآخر بدون تحديد ، والبعض يوجه لهم مديحاً كثيرًا ، وللبعض الآخر أقل ، فإنه يمزجهم معًا بكرامة متساوية في المحبة ، وبالقبلة المقدسة ، قائلاً :

" سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة" (رو١٦: ١٦).

وهو بهذا السلام يكون قد نزع عنهم كل فكر يمكن أن يُثير فيهم إضطرابًا ، وكل دافع لصغر النفس حتى لا يحتقر العظيم من هو أقل ، ولا يحسد الأقل ، من هو أعظم ، بل ولا يكون هناك مجالاً للافتخار أو الحسد ، لأن هذه القبلة المقدسة ، تخفف أو تُلطّف وتساوي بين الجميع . ومن أجل هذا فهو لا يطلب فقط أن يسلم بعضهم على البعض ، بل وأن يرسل لهم سلامًا من الكنائس ، قائلاً : "*يُسلّم عليكم*" ، ليس هذا وذاك بشكل منفصل ، بل كل الكنائس معًا ، "*كنائس المسيح*". أرأيت كيف أننا نربح الكثير من

هـذا السـلام الرسـولي؟ كـم مـن الكـنـوز كنـا سـنفقدهـا، مـا لم نفحـص بالتدقيق ـ وبالطبع على قدر ما نستطيع ـ هذا الجزء من الرسالة (أي الخاص بالسلام الرسولي)؟ لأنه إن وُجِد شخص حكيم وروحاني، وينزل إلى العمق، فإنه سيرى لآلئ كثيرة.

٦ـ ولأن البعض طلبوا مرات عديدة أن يعرفوا، لماذا أرسل سلامه إلى كثيرين في هذه الرسالة، الأمر الذي لم يفعله في رسالة أخرى، نستطيع أن نقول أنه فعل هذا، لأنه لم يكن قد رأى روما بعد. ولكنه كما يقول، لم يرى كولوسي أيضًا، ومع ذلك فلم يفعل هذا. أقول إن يهود روما، كانت لديهم خبرة روحية أكثر من غيرهم، وهاجروا إلى هناك، كما إلى مدينة أكثر أمانًا وسلطانًا. إذًا فنظرًا لأنهم عاشوا في بلد غريب وكان ينبغي أن يتمتعوا بأمان كبير، ولأن البعض ممن اعتنوا به وتعبوا من أجل كثيرين، كانوا معروفين لديه، لذلك فكان من الطبيعي جدًا أن يكتب إليهم. لأنه من المؤكد أن شهرة الرسول بولس لم تكن بالقليلة في ذلك الوقت، بل كانت كبيرة جدًا، حتى أنه من خلال الكتابة فقط، يكون لدى أولئك الذين يستقبلون رسائله، حماية كبيرة، لأنهم ليس فقط كانوا يخدمون القديس بولس، بل أيضًا كانوا يهابونه. إذًا إن لم يكن هذا قد حدث (أي فيما يتعلق بتقديم العون الكثير للقديس بولس)، ما كان له أن يقول "*صارت مساعدة لكثيرين ولي أنا أيضًا*" وأيضًا "*كنت أود لو أكون أنا نفسي محرومًا*"[٦٤١]. وعندما كتب إلى فليمون قال: "*نظير بولس الشيخ والآن أسير يسوع المسيح*"[٦٤٢]، وإلى أهل غلاطية كتب يقول: "*قبلتموني كالمسيح يسوع*"[٦٤٣]، وكذلك بعث برسالة إلى أهل كورنثوس، قال فيها: "*فانتفخ قومًا كأني لست آتيًا إليكم*"، وأيضًا: "*فهذا أيها الأخوة حولته تشبيهًا إلى نفسي وإلى أبلوس من أجلكم لكي تتعلموا فينا أن لا تفتكروا فوق ما هو*

[٦٤١] رو ٩: ٣.
[٦٤٢] فل ١: ٩.
[٦٤٣] غل ٤: ١٤.

مكتوب كي لا ينتفخ أحد لأجل الواحد على الآخر"[٦٤٤]. من الواضح من خلال كل هذا، أن الجميع كان يحمل تقديرًا كبيرًا للقديس بولس.

إذن فقد أراد أن يكون كل هؤلاء في أمان أو طمأنينة، وكرامة، فأرسل سلامه لكل واحد بشكل منفصل، وقدمهم بصورة جميلة على قدر إستطاعته. إذًا فقد دعي الواحد محبوبًا، والآخر نسيبي، والآخر المأسور معي، والأخر العامل معي، والآخر المزكي، والآخر المختار، والواحدة دعاها برتبتها (أي خادمة أو شماسة)، لأنه لم يقل فقط تلك التي تخدم أو توفر الإحتياجات، لأنه لو كان الأمر هكذا، لكان قد دعَى أولئك اللاتي كنّ مع تريفينا وبرسيس (خادمات)، أما هذه (أي فيبي) فقد رُسمت شماسة، الأخرى دعاها عاملة معه، ثم دعي واحدة أُم، والأخرى دعاها التاعبة بسبب ما عانته من أتعاب، وآخرين دعاهم بالبيت (الذي يقيمون فيه). "سلّموا على الكنيسة التي في بيتهما"، آخرين دعاهم بإسم الإخوة، وغيرهم دعاهم قديسين، والبعض كرّمهم بالسلام نفسه المُرسل إليهم، وغيرهم كرّمهم بأن أرسل سلامه بأسمائهم، وأخرين كرّمهم بأن دعاهم باكورة، والبعض الآخر كرّمهم بسبب طول الوقت الذي خدموا فيه، لكنه كرّم أولئك الذين كانوا مع بريسكلا وأكيلا، أكثر من الجميع. لأنه على الرغم من أن الجميع كانوا مؤمنين، لكنهم لم يكونوا جميعًا متساويين، بل كانوا مختلفين في الجهاد الروحي، ولأنه أراد بصفة خاصة أن يقودهم جميعًا إلى غيرة أكبر، فهو لم يُخفِ المديح عن أي أحد. لأنه إذا كان الذين تعبوا أكثر (من الآخرين)، لم يأخذوا مكافأة أكثر، فإن الأغلبية تصير في لا مبالاة أكثر.

إن الكرامة لن تكون متساوية في ملكوت السموات أيضًا، فالتلاميذ لم يكن لهم قدرًا واحد من الكرامة، ثلاثة منهم كانوا متميزين على الآخرين (أي بطرس ويعقوب ويوحنا). وكانت هناك فروقًا كبيرة بين هؤلاء الثلاثة. لأنه عند الله توجد دقة شديدة تصل إلى أبعد حد. "*لأن نجمًا يمتاز*

---

[٦٤٤] ١كو٤:١٨، ٦.

عن نجم في *المجد*"[٦٤٥]. وعلى الرغم من أن الجميع كانوا رُسلاً، وسيجلسون جميعًا على أثنى عشر كرسيًا، وجميعهم هجروا ممتلكاتهم، وكانوا مع المسيح، إلا أن المسيح أخذ الثلاثة معه[٦٤٦]. وأيضًا قال أنه من المنتظر أن البعض من هؤلاء أنفسهم سيمتازون: "*وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أُعد لهم*"[٦٤٧]. أما عن بطرس فقد وضعه قبل هؤلاء، قائلاً: "*أتحبني أكثر من هؤلاء*"[٦٤٨]، وبالنسبة ليوحنا، فقد أحبه أكثر من الآخرين. إن الله سيفحص الجميع فحصًا دقيقًا، وسيتضح ما إذا كنت قد تميزت قليلاً عن القريب، وما إذا كان (هذا الإمتياز)، لفترة زمنية قصيرة جدًا، والله لن ينسى هذا البر حتى لو كان بقدر ضئيل، وهذا الأمر يمكن للمرء أن يراه ساطعًا من البداية. إذ كان لوط بارًا، ولكن ليس بقدر ما كان إبراهيم، وحزقيا أيضًا كان بارًا، لكن ليس بقدر ما كان داود، والأنبياء جميعًا كانوا أبرارًا، لكن ليس بقدر ما كان يوحنا المعمدان.

٧ـ إذن أين هؤلاء، الذين بعد كل هذه الدقة الشديدة، يرفضون حقيقة وجود جهنم؟ لأنه إن كان الأبرار جميعًا لن يتمتعوا بقدر واحد من المجد، حتى لو كانوا بعد يمتازون قليلاً عن الآخرين، (لأنه يقول: "*نجم يمتاز عن نجم في المجد*")، فكيف يمكن أن يكون الخطاة في نفس الوضع مع الأبرار؟ لأنه لا يمكن للإنسان، ولا الله أيضًا، أن يُثير هذا الإلتباس أو الحيرة. لكن إن أردتم، سأبيّن لكم هذا الفرق، وهذه الدينونة العادلة الدقيقة، للخطاة، وتلك الأمور التي حدثت حتى الآن. لاحظ إذًا، لقد أخطأ آدم، وأخطأت حواء، وبالطبع فإن الأثنين قد خالفا الوصية، لكنهما لم يَرتكِبا نفس الخطية، وبناء على ذلك لم يُدانا بنفس العقاب، لأن الفرق كان كبيرًا جدًا، حتى أن الرسول بولس يقول: "*وآدم لم يغو لكن المرأة*

---

[٦٤٥] اكو١٥: ٤١.

[٦٤٦] كما حدث في إقامة إبنة يايروس، وفي التجلّي، وفي صلاة جثسيماني.

[٦٤٧] مر١٠: ٤٠.

[٦٤٨] يو٢١: ١٥.

أغويت فَحَصَلت في التعدي"[٦٤٩]. فإذا كانت الغواية واحدة، لكن لأن حكم الله، كان دقيقًا للغاية لذلك أظهر أن الفرق بينهما كبير جدًا، حتى أن القديس بولس قال ذلك الكلام. أيضًا قد عُوقِب قايين، بينما لامك الذي إرتكب جريمة قتل بعد قايين، لم يُعانِ شيء مثل هذا (أي لم تُنفذ العقوبة في حقه). إن القتل قد حدث في الحالتين، بل أن جريمة لامك كانت أكثر رعبًا، فهو لم يكن أفضل، مقارنة بقايين، ولكن نظرًا لأن لامك، لم يسمع تحذيرًا من الله قبل الشروع في القتل، ولا تعامل بصفاقة أو عدم حياء على تساؤلات الله، بل ودون أن يراقبه أحد، أدان نفسه، وحكم عليها بأشد أنواع العقاب، لذلك نال غفرانًا. أما الآخر أي قايين، لأنه فعل العكس، فقد أُدين.

أرأيت مقدار الدقة التي يفحص بها الله تلك الأمور التي تحدث؟ ومن أجل هذا فقد عَاقَب (البشر) بالطوفان وعَاقَب أهل سدوم بطريقة مختلفة، وبطريقة مختلفة أيضًا، عَاقَب الإسرائيليين، وأهل بابل، وكل مَن عاش في عصر أنتيخوس، مُبرهنًا هكذا، أنه يُعطي قيمة عظمى للأمور المختصة بنا. والبعض ظلوا عبيدًا سبعين سنة، والبعض أربعمائة سنة، والبعض أكلوا أولادهم، وجازوا كوارث أخرى لا حصر لها أكثر رعبًا وفزعًا، ولا هكذا قد أُنقَذوا، لا هؤلاء ولا أولئك الذين حُرقوا أحياء في سدوم. هكذا يقول الرب: "*ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر إحتمالاً مما لتلك المدينة*"[٦٥٠]. إذًا لو لم يكن الله مهتمًا بأمورنا، فلن يهتم بشيء، لا عندما نخطيء، ولا عندما نسلك بالفضيلة، وربما سيكون لدى المرء حينئذًا مبررًا ليقول إنه لا يوجد جحيم. لكن طالما أنه يعتني بنا إلى هذا الحد الكبير، حتى لا نُخطئ، بل ويصنع الكثير جدًا، حتى نتمكن من أن نسلك بالفضيلة، فمن الواضح جدًا أنه عندما نُخطئ، فإنه يعاقبنا، وعندما نسلك الفضيلة، يتوّجنا.

---

[٦٤٩] ١تيمو ٢:١٤.

[٦٥٠] مت ١٠:١٥.

لكن أرجو أن تلاحظ تقلّب رأي الكثيرين. لأنهم، يتهمون الله بأنه كثيرًا ما يكون طويل الأناة ويتحمل أناسًا دنسين، وفاسقين، ومتجبرين، وهؤلاء لم يُعاقَبوا بعد، وإن هدد بعقابهم في الجحيم، يتهمونه بالقسوة والعنف[٦٥١] ولكن إن كان هذا التهديد، يثير الحزن، فكان ينبغي عليهم أن يقبلوا طول أناة الله، وأن يقدِّروها. لكن يا لها من حماقة، ما هذا الرأي غير المعقول والسمج! يا للعجب لنفسٍ تحب الخطية وتتجه نحو الشر! من هنا، تأتي كل هذه التعاليم، حتى أن أولئك الذين يتكلمون وينشرون هذه الآراء، لو أرادوا أو كانت لديهم الرغبة أن يمارسوا الفضيلة، فإنهم سيقتنعون سريعًا بوجود جهنم أيضًا، ولن تكون لديهم شكوكًا. إنه يقول أين وفي أي مكان ستكون جهنم؟ وماذا يعنيك في هذا؟ لأن المطلوب أن تقر بأنها موجودة، وليس تحديد مُوضعها على وجه اليقين. بالطبع هناك البعض ممن يَحكون أساطير، مُدّعين أن جهنم توجد في يهوشفاط، حيث يُشار بهذا إلى حرب كانت قد إشتعلت قديمًا، ويعتبرونها هي جهنم. لكنه يقول، في أي مكان ستكون؟ كما أعتقد أنا، أنها في موضع ما خارج هذا العالم. لأنه كما أن السجون والمناجم، توجد بعيدًا عن القصور الملكية، هكذا تمامًا، فإن جهنم ستكون في مكان ما خارج هذا العالم.

إذن لا ينبغي أن نسأل أين توجد جهنم، بل نسأل عن كيف يمكن أن نتجنبها. ولا يجب أن تكون فكرة أن الله لا يُعَاقِب الجميع هنا، تجعلنا لا نؤمن بأمور الدهر الآتي (أي الدينونة)، بإعتبار أن الله مُحب للبشر وطويل الأناة. ولهذا فهو يهدد، لكنه لا يُلقي على الفور في جهنم، إذ يقول: "*لأني لا أسر بموت الخاطئ*"[٦٥٢]. ولكن إن لم يكن هناك موت للخاطئ، فإن ما قيل يكون أمرًا زائدًا. وأنا أعرف بالطبع، أنه لا شيء أكثر كرهًا لديكم منه، لكن بالنسبة لي لا شيء أكثر بهجة من هذا الكلام. وليتنا، نتكلم

[٦٥١] هذا بحد ذاته يوضح مدى التقلب في الرأي، إذ هم يتهمون الله، مرةً بطول الأناة وكثرة الإحتمال، ومرةً يتهمونه بالقسوة والشدة في حالة معاقبة الخطاة.

[٦٥٢] حز١٨: ٣٢(س)

عن جهنم قدر إستطاعتنا، حين نتناول طعام الإفطار، وعندما نتناول طعام العشاء، وحين نستحم، وفي كل مكان. وبالطبع إن لم نحزن على إرتكابنا للشرور في هذه الحياة الحاضرة، فلن نفرح بالخيرات في حياة الدهر الآتي. وعن أي شر يمكن أن تحدثني؟ هل عن الفقر، أو المرض، هل عن الأسر، وعن عجز الجسد؟

إن كل هذه أمور تدعو للسخرية، مقارنةً بالجحيم. وحتى وإن تحدثت عن أولئك الذين يتعذبون كثيرًا جدًا بسبب الجوع، وإن تحدثت عن المُقعَدين أو العاجزين منذ طفولتهم، والذين يتسولون، إن هؤلاء يتمتعون بحياة سعيدة برغم كل هذا، إذا ما قُورنت حالتهم بالعذابات التي ستكون في الحياة الأخرى. بعد ذلك، فلنتكلم عن هذه الأمور، لأن هذا لا يتركنا نسقط في جهنم، إن كنا نتذكرها. ألم تسمع الرسول بولس يقول "*الذين سيُعَاقَبون بهلاك أبدي من وجه الرب؟*"[٦٥٣]. ألم تسمع كيف صار نيرون، ذاك الذي دعاه بولس أيضًا، سر الإثم (ضد المسيح)؟ "*لأن سر الإثم الآن يعمل*"[٦٥٤].

إذن هل نيرون لن يُقاسي من العذاب؟ هل ذاك الذي هو ضد المسيح لن يُقاسي؟ هل تعتقد أن الشيطان لن يتعذب؟ هل ضد المسيح، والشيطان، سيظلان دومًا في جهنم؟ إنهما لن يبتعدان بالطبع عن إرتكابهما للشرور، إلا إنهما سيُدانان. هكذا يؤكد، أما عن وجود جهنم، فهذا بالطبع واضح لكل أحد، إلا أن غير المؤمنين سيسقطون فيها. أخبرني، لأي سبب؟ لأن المؤمنين عرفوا إلههم. وما أهمية هذا؟ الأهمية تعود إلى أنه عندما تكون حياتهم دنسة، فإنهم لهذا السبب سيُعَاقَبون، وبعقوبة أشد من تلك التي لغير المؤمنين. "*لأن كل من أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك. وكل من أخطأ في الناموس فبالناموس يُدان*"[٦٥٥]. "*وأما ذلك العبد الذي يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته فيُضرب كثيرًا*"[٦٥٦]. لكن هذا يحدث إن لم

---

[٦٥٣] ٢تس١:٩.

[٦٥٤] ٢تس٢:٧.

[٦٥٥] رو٢:١٢.

[٦٥٦] لو١٢:٤٦.

نقدم حسابًا عن حياتنا الصحيحة، لكنني (أعتقد) أن الحديث عن أن الشيطان لن يُعَاقَب يعد مجرد كلام قيل عفوًا، لأن الله يعرف، بل ويعرف أفضل جدًا من الناس، أن الشياطين جميعها أيضًا يعرفون الله، ويرتعدون منه، ويعترفون به ديانًا. إذًا إن لم يكن من الممكن أن نُعطي حسابًا عما فعلناه في حياتنا، وعن الأعمال الشريرة، فإن هؤلاء الشياطين سيفلتون من العقاب، ولا يمكن أن يحدث هذا، فلا تخدعوا أنفسكم أيها الأحباء. لأنه إن لم تكن هناك جهنم، كيف سيُدين الرسل أسباط إسرائيل الأثنى عشر؟ وكيف يقول الرسول بولس: "*ألستم تعلمون إننا سنُدين ملائكة فبالأولى أمور هذه الحياة؟*"[657]. وكيف قال المسيح له المجد: "*رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه*"[658]. وأيضًا "*إن أرض سدوم تكون لها حالة أكثر إحتمالاً يوم الدين*"[659].

إذن لماذا تتلاعب بأمور لا يمكن للمرء أن يتلاعب بها؟ لماذا تخدع نفسك وتخالف الصواب؟ لماذا تُصارع ضد محبة الله للبشر؟ لأنه أعدَّ جهنم وهدَّد بها حتى لا نسقط فيها، بعدما نصبح أفضل بالخوف منها. وبناء على ذلك فإن من يُنكر الكلام عن هذه الأمور (المختصة بجهنم)، لا يفعل شيئًا آخر، سوى أنه يدفع نفسه باتجاه جهنم، ويلقي الآخرين فيها بواسطة هذا الخداع. إذًا لا تُطلق أيدي أولئك الخاملين الذين يجاهدون من أجل إقتناء الفضيلة، ولا تَزِد من حجم لا مبالاة أولئك، لأنه لو آمن الكثيرون، بعدم وجود جهنم، فمتى سيبتعدون عن الشر؟ وأين سيُستَعلَن البر، لا أتحدث عن خطاة وأبرار، بل عن خطاه فقط؟ إذًا لماذا يُعَاقَب الواحد هنا (أي في هذه الحياة)، بينما الآخر لم يُعَاقَب على الرغم من أنه صنع نفس الخطايا، أو أسوأ منها بكثير؟ فإن لم يكن هناك جهنم، فلن تستطيع أن تدافع عن نفسك بأي شيء، تجاه أولئك الذين يتطاولون. من أجل هذا أتمنى، بعدما نُوقف هذا الهزل، أن نسد

---

[657] اكو٦: ٣.

[658] مت١٢: ٤١.

[659] مت١١: ٢٤.

أفواه أولئك الذين يعارضوننا بشأن هذه الأمور (المختصة بجهنم). لأن الإختيار سيكون بالحقيقة في غاية الوضوح في الأمور الدقيقة، وفي الخطايا (التي نقترفها) وفي الأعمال التي نعملها، وسنُدان عن نظرتنا غير النقية أو الشريرة، وعن الكلام البطّال، وعن إدانتنا لغيرنا بشكل عام، وسنُعَاقَب عن السُكر، وسننال أجر عن كوب ماء بارد، وعن أي تنهد، كقول الكتاب؟ "*وَسِم سمة على جباه الرجال*" هكذا يقول الرب" *الذين يئنون ويتنهدون على كل الرجاسات*"[٦٦٠].

إذن كيف تتجرأ أن تقول إن الله الذي يفحص أمورنا بكل هذه الدقة، يُهدِّد فقط بجهنم دون أن تكون موجودة، أرجو أن لا تُهلِك نفسك وكل من يقتنع بك، بواسطة هذا الرجاء الباطل. لأنه إن كنت لا تؤمن بكلامنا، اسأل اليهود، وعبدة الأوثان، وكل الهراطقة، وجميعهم سيجيبون كما بفم واحد، أن الدينونة ستحدث، وأيضًا سننال المكافأة. لكن ألا يكفي البشر لتسألهم؟ بل أسأل الشياطين أنفسهم أيضًا، وستسمعهم وهم يصرخون: "*أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذّبنا*"[٦٦١]. وبعدما تجمع كل هذا، إقنع نفسك بأن لا تتكلم بحماقات بلا هدف، حتى لا تدخل جهنم عمليًا، بل لكي تستطيع، بعدما تتعقل هنا في الحياة الحاضرة، أن تنجو من عذابات الدهر الآتي، وتنال أيضًا الخيرات في الحياة الأبدية، التي ليتنا جميعًا نشترك فيها، بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس، المجد والقوة والكرامة، إلى أبد الآبدين آمين.

[٦٦٠] حز ٩:٤.
[٦٦١] مت٨:٢٩.

عظة ٣٣ :

" وأطلب إليكم أيها الأخوة أن تلاحظوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافًا للتعليم الذي تعلمتموه وأعرضوا عنهم. لأن مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم. وبالكلام الطيب والأقوال الحسنة يخدعون قلوب السلماء" (رو١٦: ١٧ـ١٨).

١ـ مرة أخرى يقدم نصيحة، ثم يتمنى، لأنه بعدما قال إن يلاحظوا الذين يصنعون الشقاقات، وأن لا يطيعونهم، أضاف: "*وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعًا*" و "*نعمة ربنا يسوع المسيح معكم*". لكن لاحظ كيف أنه ينصح بوداعة، وهو يصنع ذلك ليس بسلطان، بل كمتضرع وكمن يُعطي كرامة كبيرة لهم، لأنه يدعوهم أخوة، ويتضرع إليهم أيضًا. يقول "*أطلب إليكم أيها الأخوة*". بعد ذلك يُعِدهم للجهاد، مُبينًا خداع أولئك الذين يهددون. لأنه، كما لو كان هؤلاء في ذواتهم، غير ظاهرين أي "*كمخادعين*"، فيقول "*أطلب أن تلاحظوا*"، أي أن تُراقبوا بدقة، وتتعلموا جيدًا، وتفحصوا (كل شيء) بحرص. لكن أخبرني، ممن (ينبغي الحذر)؟ يقول من "*الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافًا للتعليم الذي تعلمتموه*". لأن هذه تحديدًا أي الإنقسامات هي التي تُدّمر الكنيسة، وهذا هو سلاح الشيطان، وهذا يحوّل كل شيء إلى فوضى تامة. لأنه بقدر ما يكون الجسد ـ أي الكنيسة التي هي جسد المسيح ـ متحدًا، بقدر إستحالة وجود مدخل للشقاقات، لأن من الشقاقات تأتي العثرات.

لكن من أين تأتي الشقاقات؟ تأتي من التعاليم التي هي عكس تعاليم الرسل. ومن أين تأتي مثل هذه التعاليم؟ من حيث إن معلميها هم عبيد للبطون وللشهوات الأخرى. "*لأن مثل هؤلاء*" كما يقول: "*لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم*". حتى أنه ما كان لتحدث عثرة، ولا إنشقاقات، لو لم يكونوا قد إبتدعوا عقيدة ما، بالإضافة للتعليم الآريوسي، ولكي يوضح ذلك هنا، قال "*خلافًا للتعليم*". ولم يقل "*الذي علمناه*" بل قال "*الذي تعلمتموه*"، رابحًا هؤلاء مقدمًا، وموضحًا أنهم آمنوا، وسمعوا، وقبلوا التعليم، وماذا سنفعل في أولئك الذين يُحدثون شرورًا مماثلة؟ لم يقل إندفعوا

نحوهم أو ضدهم ووجهوا لهم الكلمات، بل قال "*أعرضوا عنهم*". لأنه سواء كانوا قد صنعوا هذا (أي الإنشقاقات والعثرات)، بجهل أو بخداع، فكان يجب إصلاحهم، لكن لأنهم أخطأوا بإرادتهم، فلتبتعدوا عنهم. وهذا ما يقوله في موضع آخر: "*أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب*"[٦٦٢]. وعندما تحدث لتيموثاوس عن النحاس[٦٦٣]، قدم مثل هذه النصائح، قائلاً: " فإحتفظ منه أنت أيضًا"[٦٦٤].

بعد ذلك يسخر من أولئك الذين يصنعون هذه الأمور، ويتحدث عن السبب، الذي منه أثاروا هذه الإنشقاقات، إذ يقول: "*لأن مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم*". هذا ما قاله عندما كتب إلى أهل فيلبي "*الذين إلههم بطنهم*"[٦٦٥]. لكنه هنا، كما يبدو لي، يقصد أولئك المسيحيين الذين آمنوا من اليهود، والذين إعتاد أن يتهمهم على الدوام بأنهم عبيد للبطن. كذلك عندما بعث برسالة إلى تيطس، تكلم عن هؤلاء بأنهم "*وحوش ردية بطون بطالة*"[٦٦٦]. والمسيح أدان هؤلاء من ناحية أخرى، من أجل هذا الأمر، قائلاً: "*تأكلون بيوت الأرامل*"[٦٦٧]. والأنبياء أيضًا وجهوا لهم مثل هذه الإتهامات، فيقول موسى النبي "*سمنت وغلظت .فرفضت الإله*"[٦٦٨]. ولذلك فقد نصح موسى قائلاً: " *متى أكلت وشبعت ..فأحترز لئلا تنسى الرب إلهك*"[٦٦٩]. بل وفي الأناجيل عندما قالوا للمسيح "*أية آية تُرينا*"[٦٧٠]، وبعدما تغافلوا عن كل الأمور الأخرى، تذكّروا المن. هكذا يظهرون في كل

---

[٦٦٢] ٢تس٣:٦.

[٦٦٣] يقصد إسكندر النحاس.

[٦٦٤] ٢تيمو٤:١٥.

[٦٦٥] في٣:١٩.

[٦٦٦] تيط١:١٢.

[٦٦٧] مت٢٣:١٤.

[٦٦٨] تث٣٢:١٥.

[٦٦٩] تث٦:١١ــ١٢.

[٦٧٠] يو٢:١٨.

موضع، تحت سطوة هذه الشهوة (الأكل). إذًا كيف لا تخجل يا من أنت أخ للمسيح، أن يكون لك معلمين عبيدًا لبطونهم؟

وبالطبع فإن سبب الخداع هو هذا الأمر، بيد أن أسلوب المكيدة، هو مرض آخر أيضًا، وهو النفاق أو المداهنة، لأنه يقول: "*وبالكلام الطيب والأقوال الحسنة يخدعون قلوب السلماء*"، وحسنًا قال "*بالكلام الطيب*"، لأن التظاهر بطيبة القلب إلى حد التعبير بالكلام اللطيف، بينما نفوسهم ليست هكذا (طيّبة)، بل هي مليئة بالخداع . ولم يقل "يخدعوكم"، بل يخدعون "*قلوب السلماء*". ولم يكتف بهذا فقط، بل لكي يخفف من شدة تأثير الكلام السابق يقول:

" لأن طاعتكم ذاعت إلى الجميع" (رو١٦: ١٩).

وهو يفعل هذا، لا لكي يسمح لهم أن يسلكوا بسفاهة أو عدم حياء، بل لكي يؤمّنهم بالمديح ويحيطهم مقدمًا بجمع من الشهداء. لأن هذا الأمر لست أنا وحدي الذي أُؤكده، بل المسكونة كلها. ولم يقل "*تعقلكم*"، بل قال "*طاعتكم*"، أي خضوعكم، الأمر الذي يشهد لهم بالوداعة الشديدة. "**فأفرح أنا بكم**"، وهذا المديح ليس بالأمر الهين.

بعد ذلك أي بعد النصح، تأتي الوصية. لكي لا يجعلهم، دون قصد، لامبالين أكثر، بعدما يُسقِط عنهم الإتهامات، يُلّمح لهؤلاء، قائلاً: "***وأريد أن تكونوا حكماء للخير وبسطاء للشر***". أرأيت كيف أنه يتهم هؤلاء مرة أخرى، ودون أن يتشكك أو يشتبه أحد فيه؟ لأن هذا الكلام يشير إلى تلميح الرسول بولس إلي أن البعض من هؤلاء، لا زالوا يخدعون.

" وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعًا" (رو١٦: ٢٠).

إذًا ولأنه تكلّم عن أولئك الذين يُثيرون الإنشقاقات والعثرات، فهو يذكر إله السلام، لكي يتشجعوا، ويتحرروا من هؤلاء. لأن ذاك الذي يفرح بالسلام، سيُبطل كل ما يُفسد هذا السلام. ولم يقل "سيخضع"، بل قال "سيسحق"، الأمر الذي هو أقوى من مجرد الإخضاع، وليس فقط سيسحق أولئك المخادعين، بل سيسحق الشيطان أيضًا الذي هو قائدهم في هذه

الأعمال، حتى يربح هؤلاء النُصرة، ويصيروا مشرقين بأقواس النصر. والعزاء سيتحقق من خلال الزمن أيضًا، لأنه أضاف "سريعًا". لكن هذا كان تمنيًا ونبؤة معًا. " **نعمة ربنا يسوع المسيح معكم أمين**".

هنا هو يُذكّرهم بالنعمة، كأعظم سلاح، والحائط الذي لا يُهدم، والبرج الحصين، لكي يجعلهم أكثر إستعدادًا . لأنه إن كنتم قد تخلصتم من الأمور الأكثر سوءً، وتخلصتم منها بمعونة النعمة فقط، فبالأولى جدًا ستتخلصون من الأمور الأقل سوءً، حين صرتم أحباء، وساهمتم بكل ما لكم أو بكل ما تملكون . أرأيت كيف أنه لا يذكر طِلبة بدون أعمال، ولا أعمال بدون طِلبة؟ لأنه بعدما أكد على طاعتهم، حينئذ طلب من أجلهم، مبينًا أننا نحتاج الأمرين، ما نقدمه نحن، وما يأتي من الله، إن كنا نريد أن نخلص حقًا، خاصةً وأنه ليس في السابق فقط، بل والآن أيضًا ـ حتى إن كنا بعد عظماء ونتميز بالفضيلة ـ فنحن في إحتياج لنعمته؟

٢ـ "يسلم عليكم تيموثاوس العامل معي" (رو١٦:٢١).

أرأيت المديح المعتاد مرة أخرى؟ " ***ولوكيوس وياسون وسوسيباترس أنسبائي***". ياسون هذا يذكره لوقا، ويذكر لنا شجاعته، قائلاً أنهم جروا ياسون هذا إلى حكّام المدينة صارخين[٦٧١]. أما الآخرين فمنطقيًا أن يكونوا من المتميزين، لأنه لا يشير مصادفةً إلى أنهم أنسبائه، إلا إذا كانوا مماثلين لياسون في التقوى.

" أنا ترتيوس كاتب هذه الرسالة أسلم عليكم في الرب" (رو١٦:٢٢).

وهذا ليس بالمديح الهين، بأن يكون ترتيوس كاتبًا للرسول بولس. لكنه لا يقول هذا الكلام، لكي يمتدح نفسه، بل لكي ينتزع من هؤلاء المحبة الدافئة بسبب خدمته.

---

[٦٧١] أع١٧:٦.

"يسلم عليكم غايس مضيفي ومضيف الكنيسة كلها" (رو١٦: ٢٣).

أرأيت أي نوع من التيجان نسج لغايس، إذ أكد على ضيافة عظيمة بهذا القدر، ووضع الكنيسة كلها في بيته؟ لأن كلمة "مُضيف"، يعني بها المُحب للضيافة. لكن عندما نسمع، أنه استضاف القديس بولس، لا تُعجب به من أجل كرمه فقط، بل من أجل حياته الورعة. لأنه إن لم يكن ذاك مستحقًا للفضيلة التي كانت فيه بالفعل، ما كان للرسول بولس أن يقيم عنده . إذًا فذاك الذي عانى من أجل أن يتفوق في تنفيذ كثير من وصايا المسيح، لن يخالف ذلك القانون الذي يحث على أن نختبر بتدقيق أولئك الذين يستضيفوننا، وأن نقيم لدى أُناس مستحقين.

"*يسلم عليكم أراستس خازن المدينة وكوارتس الأخ*". لم يضف مصادفةً "*خازن المدينة*"، بل كما كتب إلى أهل فيلبي "*يسلم عليكم جميع القديسين ولا سيما الذين من بيت قيصر*"[٦٧٢]، لكي يبين أن البشارة قد وصلت إلى المناصب الكبرى أيضًا، هكذا هنا أيضًا يذكر المنصب، صانعًا نفس الأمر عينه، ومُظهرًا أن الشخص الحذر أو المنتبه، لن يقف الغنى أمامه عائقًا، ولا الاهتمام بالسلطة، ولا أي شيء آخر من الأمور المماثلة.

" نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم أمين" (رو١٦: ٢٤).

أرأيت من أين يجب أن نبدأ وإلى أين ننتهي؟ لأن من هنا قد وضع أساس الرسالة، وفي نفس الوقت تمنى أن تكون النعمة التي هي مصدر كل صلاح مع هؤلاء ، مُذكّرًا بكل الإحسانات. كذلك فإن هذا ـ هو على أية حال ـ ملمح أو سمة المعلم الشجاع، أن يُفيد تلاميذه، ليس فقط بواسطة الكلام، بل وبالطلبات أيضًا. ولهذا قال الرسل: "*وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة*"[٦٧٣].

٣ـ إذن مَنْ سيُصلي من أجلنا بعدما رقد بولس؟ الذين سيُصلّون هم أولئك الذين يحذون حذو بولس، فقط لنهيئ أنفسنا لنكون مستحقين لهذا الدفاع

[٦٧٢] في٤: ٢٢.
[٦٧٣] أع٦: ٤.

وللطلبة من أجلنا، لكي لا نسمع فقط صوت بولس هنا في هذه الحياة، بل وحين نرحل للحياة الأخرى، نكون مستحقين لرؤية المسيح. أو من الأفضل أن نقول، إن كنا نسمعه هنا، فسنراه هناك في حياة الدهر الآتي، حتى وإن كنا لا نقف بالقرب منه، لكننا سنراه على كل الأحوال وهو يشرق بجوار العرش الملوكي، حيث الشاروبيم يمجدون، والسيرافيم يطيرون، وسنرى بولس مع بطرس، وسنرى إحتفال القديسين، ويكون هو في القمة والأول في الترتيب، وسنتمتع بمحبته الحقيقية. لأنه إن كان وهو في هذه الحياة الحاضرة، قد أحب الناس بهذا القدر الكبير، حتى أنه يشتهي أن ينطلق لكي يكون مع المسيح، إلا أنه فضّل أن يبقى هنا في هذه الحياة ليُتمِّم رسالته، فبالأكثر جدًا ستَظهر محبته في الحياة الأبدية أكثر دفئًا.

ولأجل هذا فأنا أحب رومية، على الرغم من أنني استطيع أن أمتدحها لأسباب أخرى، مثل مساحتها، وآثارها، وجمالها، وكثافة سكانها، وسلطتها، وبسبب ثرائها، وانتصاراتها في الحروب، **لكنني أترك كل الأمور الأخرى، وأراها سعيدة الحظ، لأن الرسول بولس كان يعيش بين أهلها وكتب لهم رسائل، وأحبهم بشكل فائق، وعندما كان يقيم هناك تكلّم لهؤلاء، وهناك إنتهت حياته.** ولهذا السبب صارت مدينة رومية معروفة ومشهورة، أكثر من أي سبب آخر، وأصبح جسدا بطرس وبولس، مثل جسد كبير وقوي له عينان مشرقتان. إن إشراقه السماء ـ عندما ترسل الشمس أشعتها ـ ليست بقدر إشراقه مدينة رومية، التي تُرسل هذين المشعلين إلى كل أجزاء المسكونة. من هناك سيُختطفا بولس وبطرس إلى السماء. فَكِّروا وأرتعدوا، أي مشهدًا سترى رومية، سترى بولس وهو يقوم فجأة مع بطرس من ذلك القبر، ويقف لمقابلة المسيح، أي زهرة سترسل روما إلى المسيح، أي تاجًا مزدوجًا سترتدي روما، أي سلاسل ذهبية ستلبس، أي منابع تملكها.

ولهذا أنا مُعجب بالمدينة، ليس بسبب الذهب الكثير الموجود فيها، وليس للأعمدة، ولا لأي أمر آخر يتعلق بمظهرها، بل لأجل عامودي الكنيسة: بولس وبطرس.

٤ـ مَنْ الذي جعَلني الآن أتحول إلى جسد بولس وأُحدِّق النظر في قبره، **وأرى رماد جسد ذاك الذي تحمّل نيابة عن المسيح القليل من الآلام، الذي تحمّل آثار الضربات، الذي نشر البشارة في كل مكان؟ رماد ذلك الجسد الذي ركض به في كل مكان، رماد هذا الجسد الذي تكلّم به المسيح، وأبرق بالنور الأكثر بهاء من كل برق، وتحدث في مواجهة الشياطين بصوت أكثر قوة ورُعبًا من كل رعد، والذي قال به ذلك الكلام الطوباوي:** " *كنت أود لو أكون أنا نفسي محرومًا من المسيح لأجل أخوتي*"[٦٧٤]، **وقد تحدث به ضد ملوك ولم يخجل، والذي عرفنا به مَنْ هو بولس وإله بولس؟ إن الرعد لا يخيفنا بالقدر الذي تخاف به الشياطين من صوت بولس. لأنه إن كانوا قد إرتعبوا من ملابسه، فبالأكثر جدًا سيرتعبون من صوته. هذا الصوت هو الذي ساقهم مقيدين، هذا الصوت هو الذي جاب المسكونة، وشفى مرضى، وأبعد الشر، وإستحضر الحق مرة أخرى، هذا الصوت كان يحمل المسيح داخله ومعًا ذهبا إلى كل مكان.**

لقد كان صوت بولس بمثابة الشاروبيم. لأنه كما أن المسيح يجلس فوق هذه القوات، هكذا يجلس فوق كلام بولس. خاصةً وقد صارت كلماته مستحقة أن تحمل المسيح للجميع، بعدما نطق بتلك الكلمات وتكلّم بهذا الحديث الذي كان محبوبًا للمسيح، وطار إلى ارتفاع لا يمكن وصفه، تمامًا مثل السيرافيم. إذًا هل يوجد ما هو أعلى من ذلك الصوت الذي قال " *فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة. ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن*

---

[٦٧٤] رو٩:٣.

محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا "[٦٧٥]. كم من الأجنحة يحمل هذا الصوت كما يبدو لك؟ كم من الأعين يمتلك هذا الصوت؟ ومن أجل هذا هربت الشياطين، ليس فقط حين كانوا يسمعونه وهو يتكلم، بل حين رأوا رداءه وهو عن بُعد. لقد أردت أن أرى رماد الفم، الذي بواسطته تكلّم المسيح بالعظائم والأسرار، بل وأعظم مما تحدث بها عن نفسه، لأنه كما أنه صنع عظائم مع تلاميذه هكذا تكلّم بعظائم أيضًا، والتي بها أعطى أولئك المدهشون النافعون، الروح القدس لكل للمسكونة.

إذن أي صلاح لم يتكلم به ذلك الفم؟ طرّد شياطين، صفح عن الكثير من الخطايا، سد أفواه طغاة ومستبدين، ألجم ألسنة فلاسفة، قاد المسكونة إلى الله، أقنع برابرة بالإيمان، غيرّ كل أمور الأرض. بل وأمور السموات أدارها كما أراد، ربطّ وحلّ كل من أراد بحسب السلطان الذي أُعطى له. لكن ليس رماد فمه فقط، بل رماد قلبه أيضًا أردت أن أراه، ولن يرتكب المرء خطأً لو دعاه قلب المسكونة، ومصدر صلاح لا حصر له، ومبدأ ترتكز عليه حياتنا. لأن روح الحياة من هناك مُنح للجميع، ووُزع على أعضاء المسيح، وأُرسل ليس عبر شريان، بل بواسطة الصالحين، هذا القلب كان متسعًا بهذا القدر الكبير، حتى أنه إحتوى مدنًا كاملة، وشعوبًا، وأممًا. يقول: " *قلبنا متسع*"[٦٧٦]. لكن هذا القلب المتسع بهذا القدر الكبير، قد ذبحته وأثارت حزنه مرات كثيرة هذه المحبة التي جعلته متسعًا. يقول: "*لأني من حزن كثير وكآبة قلب كتبت إليكم*"[٦٧٧].

كم كنت أتمنى أن أرى بصفة دائمة ذلك القلب (قلب ق. بولس) الذي كان يحترق عندما يعثر أحد، والذي وَلد كل مَنْ تمخض بهم، ولادة جديدة، لأن كل من لهم قلب نقي يقول عنهم الكتاب " ***يعاينون الله***"[٦٧٨]،

---

[٦٧٥] رو٨: ٣٨ـ٣٩.

[٦٧٦] ٢كو٦: ١١.

[٦٧٧] ٢كو٢: ٤.

[٦٧٨] مت٥: ٨.

القلب الذي صار ذبيحة "ذبائح الله هي روح منكسرة"[٦٧٩]، القلب الذي كان أعلى من السموات، وأوسع من المسكونة. الأكثر إشراقًا من أشعة الشمس، والأكثر وهجًا من النار، والأقوى من الماس. القلب الذي عاش الحياة الجديدة بحق لأنه يقول: "*فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ*"[٦٨٠]. إذًا فقلب كان قلب المسيح، وكان إناء للروح القدس، وكتابًا للنعمة. إنه القلب الذي كان ينزعج من الشرور والخطايا التى هي غريبة عن الطبيعة الجديدة. يقول: "*أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثًا*"[٦٨١]. "*وكما خدعت الحية حواء بمكرها*"[٦٨٢]، "*لأني أخاف إذا جئت لا أجدكم كما أريد*"[٦٨٣]، بينما هذا القلب كان يخاف لأجل نفسه، وكانت لديه الشجاعة (لأنه يقول: "*حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضًا*"[٦٨٤] وأيضًا "*فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ملائكة.. تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا*"[٦٨٥]، هذا القلب إستحق أن يحب المسيح، كما لم يحبه أحد قط، واستهان بالموت وإحتقر جهنم، وإنسحق بدموع الأخوة، لأنه يقول: "*ماذا تفعلون تبكون وتكسرون قلبي*"[٦٨٦]، وكان قلبًا صبورًا إلى أقصى حد، ولم يحتمل أن يبتعد عن أهل تسالونيكي ساعة واحدة.

أردت أن أرى رماد يديه اللتين كانتا في سلاسل، فمن خلال وضعهما على الآخرين كان يُمنح الروح القدس، واللتين كُتِبَت بهما الحروف الإلهية "*أنظروا ما أكبر الأحرف التي كتبتها إليكم بيدي*"[٦٨٧]، وأيضًا "*السلام*

---

[٦٧٩] مز ٥١: ١٦.
[٦٨٠] غل ٢: ٢٠.
[٦٨١] غل ٤: ١١.
[٦٨٢] ٢كو ١١: ٣.
[٦٨٣] ٢كو ١٢: ٢٠.
[٦٨٤] ١كو ٩: ٢٧.
[٦٨٥] رو ٨: ٣٨.
[٦٨٦] أع ٢١: ١٣.
[٦٨٧] غل ٦: ١١.

بيدي أنا بولس "[688]. أردت أن أرى رماد هاتين اليدين، اللتين بمجرد أن رأتهما الأفعى سقطت في النار.

أردت أن أرى رماد تلك العينين اللتين أُصيبتا بعمى حسن، العمى الذي نظر إلى خلاص كل المسكونة، واللتين إستحقتا أن تنظرا المسيح بالجسد، اللتين نظرتا الأمور الأرضية والأمور غير المرئية. العينان اللتان لم تعرفا النوم، وظلتا متيقظتان في منتصف الليل، واللتان لم تُعاينا تلك الأمور التي تعانيها الأعين. أردت أن أرى رماد الرجلين اللتان ركضتا في أرجاء المسكونة، دون أن تتعبا. الرجلان اللتان كانتا مقيدتين في المقطرة الخشبية، عندما حدثت زلزلة في السجن، واللتان ذهبتا إلى مناطق آهلة بالسكان ومناطق مُقفرة، وسارتا على الطريق مرات عديدة.

ولماذا يجب أن أراهما بشكل منفصل؟ أردت أن أرى القبر، الذي فيه حُفظت أسلحة البر، أسلحة النور، الأعضاء التي هي حيّه اليوم، بل التي جازت الموت وهي حية، التي كان المسيح يحيا فيها، الأعضاء المصلوبة لأجل العالم، أعضاء المسيح، اللابسة المسيح، هيكل الروح القدس، البناء المقدس، الأعضاء الموثوقة في الروح القدس، الراسخة في خوف الله، التي إقتفت آثار خطوات المسيح.

هذا الجسد الذي كان مثل سياج يحمي هذه المدينة، وهو أكثر أمانًا من كل برج، ومن أسوار (تحيط بالمدن). ومع هذا الجسد يوجد جسد بطرس. لأنه في حياته أيضًا، كرّمه إذ قال " *صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس* "[689]. ولهذا عندما رقد، أقرّت النعمة بأنه مستحق أن يكون تحت خيمة واحدة مع بطرس. أردت أن أرى الأسد الروحي، لأنه مثل أسد يبث نيران في قطعان من الذئاب، هكذا وقع بين حزب الشياطين والفلاسفة، ومثل هجوم الصاعقة نزل على كتائب الشيطان. لأن (الشيطان) لم يجرؤ على دخول معركة في مواجهة بولس، بل كان يخاف جدًا ويرتعد، حتى عن

---

[688] اكو ١٦:٢١.

[689] غل ١:١٨.

بُعد، وكان يرحل سرًا، إذًا رأي ظل بولس فقط أو سمع صوته. هكذا فإن ذاك الذي صار زانيًا، قد سلّمه للشيطان، وبالرغم من أنه كان بعيدًا، إلا أنه إختطفه مرة أخرى من يده. وهكذا صنع بآخرين، لكي يتعلموا ألا يجدفوا.

لكن لاحظ كيف يقود أولئك الذين ينضمون تحت لوائه في المعركة، فيَحث إياهم ويُشجعهم لهم، وكان الرسول بولس قد سبق وقال لأهل أفسس: "*فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين*"[٦٩٠]، ثم بعد ذلك يذكر المكافأة، قائلاً: "*في السماويات*". لأننا لا نصارع من أجل الأمور الأرضية، بل من أجل السماويات، ومن أجل الأمور السمائية. وقد كتب أيضًا لآخرين يقول: "*ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة. فبالأولي أمور هذه الحياة*"[٦٩١].

إذن ونحن نتفهم هذه الأمور، لنقف (ثابتين) بشجاعة. كذلك فإن بولس كان إنسانًا، له نفس طبيعتنا، وكل الأمور المشتركة معنا، لكنه أظهر محبة كبيرة للمسيح، عَبَر إلى السموات، ووقف بجوار الملائكة. بناء على ذلك فإن أردنا أن ننهض قليلاً، وأن نشعل داخلنا تلك النار، سنستطيع أن نتمثل بالقديس بولس. لأنه إن كان هذا مستحيلاً، ما كان له أن يصرخ، قائلاً: "*كونوا متمثلين بي كما أنا بالمسيح*"[٦٩٢].

إذن لا يجب علينا أن نعجب به فقط، ولا أن نكتفي بالإندهاش، بل علينا أن نقتدي به لنكون مستحقين أن نراه عندما نرحل من هذه الحياة، ونشارك في المجد المحفوظ لنا. والذي ليتنا جميعًا نكون مستحقين له بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور أمين.

---

[٦٩٠] أف٦:١٢.

[٦٩١] ١كو٦:٣.

[٦٩٢] ١كو١١:١.

" وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح حسب إعلان السر الذي كان مكتومًا في الأزمنة الأزلية. ولكن ظهر الآن وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الإله الأزلي لإطاعة الإيمان لله الحكيم وحده بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد أمين" (رو١٦: ٢٥-٢٧).

١- لقد إعتاد الرسول بولس أن يختم نصيحته بتمنيات وتمجيدات، لأنه يعرف كيف أن الأمر يحمل نتيجة عظيمة. وإعتاد أن يصنع هذا بحنو وورع. خاصةً وأن سمات المعلّم الذي يحب التلاميذ، ويحب الله، أن لا يُعلّم فقط بالكلام، بل وبالتضرعات أيضًا، وأن يُدخل إلى نفوس تلاميذه، فكرة العهد مع الله، الأمر الذي صنعه هنا أيضًا. لكن الصلاة هي هذه: "*وللقادر أن يُثبتكم. له المجد إلى الأبد أمين*". أي إنه مرة أخرى يعود إلى الضعفاء، ويوجه حديثه إليهم. لأنه حين وّبخ، جعل التوبيخ عامًا، أما الآن عندما يطلب أو يتمنى، فإنه يتضرع من أجل الضعفاء. ولكنه بعدما قال "*أن يثبتكم*"، أضاف، الطريقة التي سيتم بها هذا التثبيت "*حسب إنجيلي*". هذا بالطبع كان يعني، إنهم لم يكونوا بعد ثابتين في الإيمان، وإن كانوا حقًا قائمين في الإيمان، إلا أنهم كانوا مهتزين. ولكي يجعل كلامه موضع تصديق، أضاف "*والكرازة بيسوع المسيح*"، أي الكرازة التي كرز بها القديس بولس. لكن إن كان قد كرز بهذه الكرازة، فإن التعاليم - التي نعلّم بها - ليست لنا، بل إنه هو الذي وضع المبادئ أي مبادئ الكرازة.

ثم بعد ذلك يقدم رؤية حكيمة للكرازة، ويُظهر أن هذه العطية هي دليل إنعام كبير، وكرامة فائقة. ويُدلل أولاً على ذلك من خلال الكرازة بيسوع المسيح، وعن طريق الأمور ذاتها التي كُرز بها، لأنها كانت بشائر مفرحة، وأيضًا من حيث أنه لم يُكرز بها لأحد آخر قبلنا. وهذا ما أشار إليه قائلاً: "*حسب إعلان السر*"، الأمر الذي هو دليل على محبة عظيمة جدًا، أي إنه يجعلنا شركاء في الأسرار التي لم يطلّع عليها أحد آخر قبلنا. "*الذي كان مكتومًا في الأزمنة الأزلية. ولكن ظهر الآن*". أي إنه منذ القديم سبق وتقرر، لكنه أُعلن الآن. كيف أُعلن "*بالكتب النبوية*". هنا أيضًا يُزيل خوف الضعيف في الإيمان. إذًا فممّا تخاف؟ هل تخاف أن تبتعد عن الناموس؟ أهذا

ما يريده الناموس؟ هذا ما بشر به منذ البداية، لكن إن كنت تفحص عن سبب إعلان السر الآن، فإنك تصنع أمرًا خطيرًا، بأن تفحص بتدقيق في أسرار الله، وتُحمّل الله المسئولية. لأنه لا ينبغي أن نبحث كثيرًا في مثل هذه الأمور، بل يجب أن نقبلها بحب، وأن نفرح. ولهذا فإن القديس بولس أيضًا يُوقف هذه الرغبة، عندما أضاف "***حسب أمر الإله الأزلي لإطاعة الإيمان***"، لأن الإيمان يحتاج إلى طاعة، وليس إلى كثير من البحث والتفكير، وعندما يأمر الله، فيجب أن نخضع، وليس أن نبحث كثيرًا.

ثم يُعطيهم بعد ذلك شجاعة من جهة أخرى، قائلاً: "***وأُعلم به جميع الأمم***". أي ليس أنت وحدك، بل أن كل المسكونة هكذا تؤمن، لأن الرسول بولس إتخذ الله، وليس شخصًا آخرًا، معلمًا له. ولهذا أضاف "*بيسوع المسيح*". وليس فقط قد صار معلومًا، بل وتأكد بعد. ولهذا يجب أن يُقرأ هكذا أيضًا، "*وللقادر أن يُثبتكم بيسوع المسيح*". لأنه كما سبق وذكرنا أن الرسول بولس يشير إلى الأمرين أيضًا (أي التثبيت وإعلان السر) يُشير من جهة يسوع المسيح، أو من الأفضل أن تقول، إنه لم يشير إلى هذين الأمرين فقط، بل إلى المجد الذي يُعطى للآب. ولهذا قال: "***له المجد إلى الأبد آمين***". يُمجد مرة أخرى أيضًا. متعجبًا لهذه الأسرار غير المدركة. لأنه ولا حتى الآن حيث ظهر (في الجسد) يمكن أن نفهم هذه الأسرار بواسطة التفكير، بل أن نختبرها بالإيمان، لأنه بغير ذلك لا يمكننا فهمها. وحسنًا جدًا قال: "**لله الحكيم وحده**". أي إنه عندما تدرك كيف انه قاد الأمم وضمهم لأولئك الذين سلكوا بإستقامة منذ سنوات عديدة، وقد كانوا يائسين، أنقذهم، وكانوا غير مستحقين للأرض، أصعدهم إلى السموات، وبينما قَلَ شأنهم في الحياة الحاضرة، قادهم إلى تلك الحياة الأبدية السرية، وبينما داست الشياطين عليهم، جعلهم مساويين للملائكة في الإستحقاق، وفتّح لهم الفردوس، ومَحَا كل الشرور القديمة، وتم ذلك كله في فترة وجيزة، وبطريقة سهلة وسريعة جدًا، حينئذٍ ستعرف الحكمة، عندما ترى

أن الملائكة ورؤساء الملائكة لم يعرفوه، لكنه عرَّف أولئك بهذا السر العجيب وبصورة فجائية، أولئك الذين آتوا من الأمم بواسطة يسوع.

إذن بينما كان يجب عليك أن تندهش لحكمته، وتمجده، إلا إنك تتحول وتبحث في الأمور الصغيرة، وتجلس بعد في الظل، الأمر الذي ليس من سمات ذاك الذي يُمجدّ بالحقيقة، فالذي ليس لديه ثقة في المسيح، ولا في الإيمان، لا يمكنه أن يشهد لعظمة الأحداث. بيد أن القديس بولس أشار إلى المجد من أجلهم، حاثًا هؤلاء أيضًا على الغيرة ذاتها. أما عندما تسمعه يقول: "*لله الحكيم وحده*"، لا تعتقد أن هذا يُقال لإنكار حكمة الإبن. لأنه إن كان كل هذا قد صار عن طريق المسيح، وبرهن على حكمة الإبن، والذي بدونه ما تحقق شيء واحد، فإنه من الواضح جدًا، أن حكمته مساوية لحكمة الآب. إذًا لأي سبب قال "وحده؟" قال هذا للتمييز بينه وبين المخلوقات[٦٩٣].

فلنُعطي المجد والقدرة والكرامة والسلطان للآب والإبن والروح القدس الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

---

[٦٩٣] هنا كلمة "وحده" للتشديد على أن الله واحد، وهذا يأتي ضد إيمان الوثنيين بتعدد الآلهة. والقديس أثناسيوس وهو يشرح آية يوحنا: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي **وحدك** ويسوع المسيح الذي أرسلته". يوضح نفس الفكرة أن "وحدك" هنا لتمييز الآب عن آلهة الوثنيين. أنظر الرسالة الثالثة ضد الآريوسيين. إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد و د. مجدي وهبة، الطبعة الثانية، فصل ٢٤ ص٢١ــ٢٦.

فهرس لبعض الكلمات الموجودة بالنص

(أ)

أبدية، .... ٢٠١، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٣٩، ٥٦٣.

إبليس، .... ٤٨٠، ٥٨٩

ابن، .... ٩٢، ١١١، ١١٧، ١٢٣

إثم، .... ١١٩، ١٣٦، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٨٦.

أحباء، .... ٩٥، ٩٦، ٤٧٦، ٦٤٨.

احسانات، .... ٥١، ١٧١، ١٧٢، ٢٨٩، ٣٠٢، ٣٥٢، ٣٨٩، ٤٨٥، ٥٣٢، ٥٣٥.

اختيار، .... ٤٤، ١٥٢، ١٨٧، ١٩٠، ٢٤٣، ٣١٩، ٤٠٨، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٣، ٦٠٩.

إسرائيل، .... ٧٤، ١١٤، ٢١٦، ٣٥٠، ٣٥١، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٦، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٥٢، ٤٦١، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٩٣، ٥٠٥، ٦٠٩، ٦٤٣.

أعضاء، .... ٥٧، ٦٦، ٧٨، ١٢٥، ١٧٧، ١٧٨، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٧، ٤٨٦، ٤٩٤، ٤٩٧، ٥٢٤، ٥٣٠، ٥٤٤، ٥٨٩، ٦٥٢، ٦٥٤.

أعمال، .... ٣٦، ٤٤، ٥١، ٦٥، ٧١، ٧٨، ٧٩، ٩١، ٩٦، ١٤٩، ١٥٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٥، ٢٠٨، ٢٨٤، ٣٤٧، ٣٤٨، ٤٠٦، ٤١٢، ٤٣٣، ٤٧٣، ٥٣٨، ٥٩٥، ٥٩٧، ٦٢٣، ٦٣٥، ٦٤٨.

إفتخار، .... ٦٨، ٧٢، ٢٠٦، ٢١١، ٢٤٠، ٤٣١، ٤٣٨، ٤٥٠، ٦٠٣، ٦٠٤.

اقتناء، ...... ١٧٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٦٤٣.

الإثم، .... ١٤٥، ١٤٦.

الأمم، .... ٥١، ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ١٠٠، ١٠٨، ١١٠، ١٣٦، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٧١، ١٨٣، ١٨٨، ٢١٤، ٢٢٨، ٣٠٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٣، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٥٠، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٥٢٩، ٥٤٣، ٥٥٣، ٥٦٢، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦٢٢، ٦٢٤، ٦٥٦، ٦٥٧.

الإنسان، .... ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣.
الإيمان، .... ٨٨، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ١٠٠، ١٠٨، ١١٣، ١١٤، ١١٥.
البر، .... ١١٣، ١١٦.
التقوى، .... ١٤١، ١٤٧.
التوبة، .... ١٤٣، ١٤٤.
الجحيم، .... ٥٠، ٥٣، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٦، ٢٤١، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٩، ٣٤٦، ٣٤٨، ٤٠٧، ٤١٣، ٤٢٥، ٤٣٥، ٤٥٦، ٤٦٤، ٤٨٠، ٥٠٧، ٥٦٣، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٦٢٧، ٦٤١.
الجسد، .... ٩١، ٩٢، ٩٧، ١٠٤، ١٢٧، ١٣١، ١٣٤.
الحرية، .... ٩٦.
الحسد، .... ٥١، ١٣٦، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٢٧، ٣٥٥، ٤٣٣، ٥١٢، ٦٣٦.
الحق، .... ٩٣، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢١، ١٣٠.
الحياة، .... ٩٦، ١١٤، ١١٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٥.
الختان، .... ١١٢، ١٤٧، ١٤٨، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧.
الخطية، .... ٨٨، ٩٧، ١٢٩، ١٣١، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨.
الخلاص، .... ١١٠، ١١٣، ١١٦.
الدينونة، .... ١١٧، ١١٩، ١٣٥.
السلام، .... ٥٢، ٦٤، ٧٦، ٧٨، ٩٦، ١٣٣، ١٤٨، ١٧٩، ٢٣٣، ٣٧٠، ٥٢٧، ٥٧١، ٥٧٢، ٦١٨، ٦٢٧، ٦٣٢، ٦٣٦، ٦٤٥، ٦٤٧، ٦٥٣.
السلوك، ....٥٨، ٥٩، ٧٠، ٧٥، ٩٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٥٦، ١٧٥، ١٧٧، ١٩٩، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٦، ٢٧٦، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٦٩، ٤١٢، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٧، ٥٢٣، ٥٤٧، ٥٧٢، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨٣، ٥٨٦، ٦٢٢، ٦٢٤.
السيادة، .... ٢٠٠، ٢٥٠، ٢٨٦، ٣٤٩، ٥٥٧.
الصالح، .... ٩٧.
العهد، ....٩٠، ١١٣، ١١٤.
الغرلة، .... ١١٢، ١٦٤، ١٦٦.
الغصن، .... ٤٧١.

الغضب، .... ١٤٤، ١٤٦، ١٥٣.
القداسة، .... ٩٢، ٩٦.
الكرازة، .... ٤٨،
٩٠، ١٠٠، ١٠٩، ١١٠، ٦٠٣،
٦١٥، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٣٢، ٦٥٦.
اللوم، .... ١٤٥،
٢٤٣، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٢٤، ٥٥٣.
الم، .... ١١٢، ١١٩،
١٢٥، ١٩٩، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٦،
٢٣٣، ٢٨٢، ٣٣٧، ٣٥٢، ٣٦٢،
٤٠٥، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٦،
٤٥٩، ٥٠٩، ٥١٩، ٥٣٣، ٥٦٤،
٥٧٦، ٥٧٨، ٦١٢، ٦٤٢.
المعرفة، .... ٨٧، ٩٤،
١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢.
الموت، .... ٩٢، ٩٧، ١٣١، ١٣٨.
الناموس، .... ١٠٣،
١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١،
١٥٢، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢،
١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧.
اليهود، .... ٨٨، ١١٦، ١٢٦.
اليهودى، .... ١٤٦، ١٤٩،
١٥١، ١٦١، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧.
اليونانى، .... ١٤٥،
١٤٧، ١٤٩، ١٥١، ١٥٩.
أمانة، .... ١٧٢، ١٧٣، ٤٥٤.

امتياز، .... ٧١، ١٠٦، ٢٣٩، ٢٥٤،
٢٩٦، ٣٠٦، ٣١٨، ٣٢٢، ٥٣٣.
أمم، .... ٨٣، ٥٦٢، ٥٩٢.
إناء، .... ٤١٢، ٤١٣،
٤١٤، ٤١٥، ٤٥٥.
أناة، .... ٥٦، ١٤٣،
٤١٥، ٤١٦، ٦٤١.
أنبياء، .... ٩٠، ١٥٥،
٣٥١، ٣٦٥، ٤٦٣، ٤٦٤، ٥٧٧.
إنتصار، .... ٣١٢.
إنجيل، .... ٨٩، ٩١، ١٠١، ١٠٣.
إنسان، .... ٥٣، ٦٢، ٨٠،
٨٣، ٩١، ١٠١، ١٣٢، ١٣٧،
١٤٦، ١٥٧، ١٧٣، ١٧٦، ١٨٨،
٢١٥، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٨،
٢٤٩، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٦٨، ٣٠٥،
٣٤١، ٣٥٣، ٣٧٢، ٣٨٠، ٤٥٤،
٤٦١، ٤٧٧، ٤٨٧، ٤٩٢، ٤٩٤،
٤٩٥، ٥١٦، ٥٧٤، ٥٨٣، ٥٩٠.
أهواء، .... ١٢٧،
٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٩، ٥٣٩.
إيمان، .... ٥٢، ٧٢، ٩٤،
٩٩، ١٠٩، ١١٣، ١٧٢، ١٧٣،
٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥،
٢١٦، ٢١٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٦،

٣٢٢، ٤٢٩، ٤٥٩، ٤٦٥، ٤٧١،
٤٧٤، ٥٧٣، ٦٢٤، ٦٥٨.

(ب)

بالأعمال، .... ٩٠.
بالروح، .... ٨٨، ٩٠، ٩٣.
بر، .... ٤٢، ٥٢، ٥٦، ٦٧، ٧١،
٧٦، ١١٣، ١٧٤، ١٨٠، ١٨١،
١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٥،
٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٧١، ٢٧٢،
٢٨٦، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٢٠، ٤٢٥،
٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٤٠.
بركة، .... ٧٤، ٩٩،
٥٤٥، ٦١٦، ٦٣٦.
برية، .... ٤٧٠، ٤٧٤.
بشارة، .... ٨٩.
بصبر، .... ١٤٥.
بقية، .... ٤٠، ٥٧، ٤٠٦، ٤٥٣.

(ت)

تبرير، .... ١٢٧،
١٤٢، ١٥٨، ١٧٢، ١٨٦، ١٨٩،
١٩٦، ١٩٧، ٢٧٦، ٢٨٤، ٣٠٥.
تبني، .... ٣٥٣، ٣٧٥، ٥٧٢.
ترنيمة، .... ١٧٦، ٥٣٤.
تطويب، .... ٢٠٨.
تعدى، .... ١٦٥.
تكريس، .... ٢٠٧.
توبة، .... ٥٦، ١٣٧،
١٤٤، ٣١٠، ٥٣٤.

(ث)

ثروة، .... ٤٣٢، ٤٨٠.
ثمر، .... ٥٤، ٩٧، ١٠٨، ١١٠،
٢٣٦، ٢٦٧، ٢٨٤، ٢٨٧، ٣١١،
٤٩٩، ٥٠٦، ٦٠٥، ٦٠٨، ٦٢٧.

(ج)

جحود، .... ٥١، ١٧٢، ٤٦٣.
جديد، .... ٤٣، ٦٤، ٧٥،
١٨٢، ٢٢٧، ٣٣٣، ٤٨٦، ٥٨٥.
جديدة، .... ٤٤، ٤٥، ٧١،
٧٦، ١٣٣، ١٩٥، ٢٠١، ٢٧٩.
جسد، .... ٥٥، ٦٦، ٧٣،
١٢٥، ١٩٢، ٢٢٥، ٢٥٠، ٢٦٨،
٢٨٢، ٢٨٦، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٣٠،
٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٤، ٣٤٥،
٣٦١، ٤٩٧، ٥١٢، ٥٤٤، ٥٨٧،
٥٩٠، ٦٤٥، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٤.

جسدية، .... ١٠٢، ٢١١، ٢٢٦، ٢٤٢، ٣٢٣، ٣٣٤، ٤٨٥، ٥٢٤.

جهل، .... ٣٩، ١٣٦، ٢٠٨، ٣١٧.

(ح)

حرية، .... ٧٣، ٢٠٠، ٢٧٦، ٣٣٤، ٣٥٩، ٤١٣، ٤١٤، ٤٥٦، ٤٦١.

حق، .... ٧٧، ١٢٤، ١٢٧، ٢٢٦، ٣٣٠، ٤٠٣، ٤٥٤، ٥٢٩، ٥٦٩، ٦١٥.

حقيقة، .... ٤٥، ٦٧، ١٦١، ١٦٥، ٢٠٨، ٢١٠، ٢٢٣، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٠، ٢٨٨، ٢٩٩، ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٨١، ٤٠٨، ٤٨٩، ٥٨٥، ٦١٧، ٦٣٩.

حكماء، .... ٦٩، ١٢٠، ١٢١، ٣٥٣، ٣٥٦، ٤٧٥، ٥١٣، ٦٠٠، ٦٤٧.

حكمة، .... ٣٨، ٧٠، ٨١، ٩٣، ١٠٥، ١١٣، ١٢١، ١٣٧، ١٦٣، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٩٥، ٣١٦، ٣١٩، ٣٤٨، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٦٤، ٣٧٩، ٣٨٣، ٤٠١، ٤١٦، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٥١، ٤٦٤، ٤٧٠، ٤٧٨، ٤٩١، ٤٩٤، ٥٢٤، ٥٢٨، ٦٠٤، ٦٣٢، ٦٥٨.

حياة، .... ٣٣، ٣٤، ٤٤، ٤٥، ٥٥، ٦٧، ٦٨، ٧٦، ١٠٠، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١١٨، ١٣٠، ١٥٣، ١٧١، ١٩٠، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠١، ٢١٥، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٨٤، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٢٣، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٥١، ٣٧٣، ٣٨٦، ٣٩٩، ٤٥٤، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٦، ٥١١، ٥١٨، ٥٢٨، ٥٣٦، ٥٤١، ٥٤٧، ٥٦٣، ٦٢٨، ٦٤٢، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٣.

(خ)

خبز، .... ١٩٦، ٤٣٣، ٤٦٥، ٥٠٦، ٥٤٦.

خدمة، .... ٣٤، ٣٧، ١١٠، ٢٤٠، ٣٣٧، ٣٦٤، ٤٢٥، ٤٧٦، ٤٩٨، ٥٢٩، ٦١٥، ٦١٨، ٦٢٧، ٦٣٠، ٦٣٢.

خصماً، .... ١٩١.

خضوع، .... ٥٨، ١٧٨، ٢٨٧، ٣٢٠، ٣٥٨، ٥٥٨.

خطية، .... ٥٢، ١٢٣،
١٣١، ١٣٣، ١٤٢، ١٤٣، ١٩٣،
٢١٧، ٢١٩، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٤٩،
٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٦٩، ٢٨٧،
٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣١٠،
٣١٦، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٣٠، ٣٣١،
٣٣٩، ٤٠٩، ٤١٠، ٥٣٣، ٥٧٥.

خلاص، .... ٣٣، ٥٦،
٦٩، ١٢٣، ١٥٧، ١٨٨، ٢٤٨،
٢٧٣، ٣٦٤، ٤١٥، ٤٢٥، ٤٦٣،
٤٦٦، ٥٣٧، ٥٥٧، ٥٥٩، ٥٧٢،
٥٧٣، ٥٩٧، ٦١١، ٦٥٤.

خلاصنا، .... ٥٢، ٥٨،
٥٩، ١٥٥، ١٥٨، ١٨١، ١٩٥،
٢٠١، ٢١٩، ٢٤٠، ٢٧٦، ٢٩٥،
٢٩٨، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٦٦، ٤٣١،
٤٥٧، ٤٦٦، ٤٦٩، ٥٣٢، ٥٣٧،
٥٣٨، ٥٥٧.

خليقة، .... ٥٥، ٣٢٢، ٣٨٦، ٦٥١.

خوف، .... ١٠٠، ١٣٣،
١٧٩، ٢٥٢، ٢٩٥، ٣٠٨، ٣٥١،
٣٦١، ٥٥٤، ٥٦٢، ٥٦٧، ٥٧١،
٦٥٤، ٦٥٦.

خير، .... ١١٦، ٣٦٤.

(د)

دعوة، ..... ٥٩، ٨٩، ٩٤، ٤٧٦، ٥٨٧.

دين، .... ٢٠٧، ٢٠٩،
٣٤٧، ٥٣٠، ٦٢١.

دينونة، .... ٥٤، ١١٢، ١١٨،
١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٣، ١٧٤،
١٧٨، ٢٠٥، ٢٣٦، ٥٢٥، ٥٦٣.

(ذ)

ذبيحة، .... ٧٥، ١٢٢، ٢٥٢،
٢٦٢، ٢٦٥، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٩٤،
٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٦٠٢.

ذهن، .... ٧٠، ١٣٦، ٥٥٨.

(ر)

رأفة، .... ١٠١، ٢٧٨،
٤٩١، ٥٠٣، ٥١٧، ٥١٨.

رجاء، .... ٦٧، ٨٢،
١٣٦، ١٨٥، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٥٣،
٢٨٨، ٣٠٣، ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٥٩،
٤٢٦، ٤٦٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٥١١،
٥١٥، ٥٦٦، ٥٨٥، ٥٩٤، ٥٩٩.

رحمة، .... ٥٨، ١٣٧، ١٩٦، ٣٦٨، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٩، ٤٣٣، ٥٠٩، ٥٣٤.
رسول، ....٤٦٧، ٤٨٥، ٥٤٣، ٦٠٠.
روح، .... ٣٢، ٦٦، ٧٣، ٩٢، ٩٣، ١٠١، ١٠٢، ١٨٩، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٦٤، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٨٧، ٥٠٦، ٦٠٤، ٦٥٢.

(ز)

زلة، ....١٨٦، ٥٨٣.
زمان، ....٥١.
زيتونة، .... ٤٧٠، ٤٧٤.

(س)

سبات، .... ٤٦١، ٤٦٢.
سعادة، .... ٩٧، ٢٤٢، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٧١، ٣٩٨، ٤٣٥، ٥٤٦.
سقوط، .... ٦٩، ٧٣، ٤٠٣.
سلام، .... ٤٤، ٦٨، ٧٩، ٩٧، ٢٢٣، ٢٣٣، ٣٠٨، ٣٣٢، ٣٤١، ٤٤٠، ٥٠٩، ٥٣٣، ٥٧١.
سلطان، .... ٤٠، ٧٥، ٩٢، ١٤٦، ٢٧٤، ٢٨٧، ٢٩٦، ٣٢٣، ٣٣٧، ٤١٢، ٤١٣، ٥٢٣، ٥٢٤.
سمو، .... ٣٦، ٤٥٥.
سيادة، .... ١٤٧، ١٩٣، ٢٨٦، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٣، ٤٧٣، ٦٠٥.

(ش)

شاهد، .... ١٠١، ١٣٢، ٣٩٣.
شر، .... ٥١، ٥٨، ١١٢، ١٧٦، ١٧٨، ٢٥٢، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٨، ٣٣٦، ٤٧٤، ٥١٤، ٥٢٩، ٥٧٢، ٥٨٥، ٦٤٢.
شركة، .... ١٠٦، ٣٨٧.
شعب، .... ٤١٧، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٩، ٤٥٤، ٦٠٥، ٦١٨.
شهوة، .... ٥٥، ٥٦، ١٢٩، ١٣٦، ١٧٧، ٢١٩، ٢٤٢، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٩، ٣١٧، ٣٢١، ٣٣٢، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٥، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٩، ٦٠٧.
شيطان، .... ٢٥٤، ٢٧١، ٣٤٢، ٣٨٠، ٥٧٦، ٥٩٥.

(ص)

صبر، .... ٦٣٣.

صخرة، .... ٣٥١، ٤٩٦.

صدق، .... ١٧٤، ٢٨٧، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٩، ٤٥٣، ٥٩٢، ٦٠٤، ٦٢٤.

صفح، .... ١٣٦، ٤٣٠، ٦٥٢.

صلاح، .... ٥٩، ٨٢، ٩٥، ٩٦، ١٤٤، ١٩٤، ٢٤٥، ٢٨٧، ٣٣٦، ٤٧٨، ٦٤٩، ٦٥٢.

صهيون، .... ٤٢١، ٤٧٦.

(ض)

ضعف، ....٣٩، ٥٩، ١٩٧، ١٩٨، ٢٢١، ٢٤٣، ٢٨٦، ٢٩٧، ٣٠٦، ٣٢٨، ٤٠١، ٤٨٧، ٥٨٤.

ضمير، .... ٤١٠، ٥٢٧.

ضيقات، .... ١٢٦، ٢٤٤.

ضيقة، .... ٧٤، ٣٨٣، ٥١٠، ٥٩٨.

(ط)

طاعة، ....١٤٦، ٦٥٧.

طبيعة، .... ٤٥، ٦٩، ١١٣، ١٣١، ١٦٤، ٢٠٦، ٢٤٥، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٧٠، ٣٠٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٧٧، ٤١٩، ٤٢٥، ٤٦١، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٤، ٥١٨، ٥٣٨، ٥٦٦، ٦٠٦.

طريق، .... ٥١، ٥٤، ٥٦، ٦٣، ٦٧، ٧٩، ٨١، ٨٢، ١٠٠، ١١٦، ١١٧، ١٢٠، ١٣٤، ١٦٧، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٧، ١٩٢، ١٩٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٣، ٢٤٠، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٩٨، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٣٨، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٧٢، ٣٨٠، ٤٠٧، ٤٢٠، ٤٢٨، ٤٥٥، ٤٦٣، ٤٧٣، ٥٠٠، ٥١٨، ٥٣٩، ٥٤٥، ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٩٩، ٦٢٢، ٦٥٦، ٦٥٨.

طريقة، .... ٤١، ٤٧، ٥٣، ٨٨، ٩٢، ١١٥، ١٥٠، ١٦٣، ١٩٠، ١٩٢، ٢١٤، ٢٢٠، ٢٤٦، ٢٦٧، ٢٧١، ٣١٦، ٣٢٩، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٨، ٤١٨، ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٥٧، ٤٦٣، ٤٧٩، ٤٨٦، ٤٩٣، ٥٧٨، ٥٧٩، ٦١٧.

(ظ)

ظلم، .... ١١٨، ١٩١، ٣١٢، ٤١٠، ٥١٨، ٥٤٤، ٦١٨.

(ع)

عالم، .... ١٤٣، ٢٦٥، ٥٦٩، ٦٢٨.

عبادة، .... ٤٣، ٧٠، ١٠٢، ١٢٢، ١٧٧، ٣٩٧، ٤٨٨، ٥٤٥.

عبودية، .... ٧٣، ٧٩، ٢٤٢، ٢٥٩، ٢٧١، ٢٧٥، ٣٥١، ٣٥٩.

عتق، .... ٢٥٩.

عثرة، .... ١٠٩، ١٦٤، ٤٢١، ٥١٤، ٦٤٥.

عجز، .... ٦٤٢.

عدل، .... ١٧٧.

عصيان، .... ٢٤٧.

عضو، .... ٢٢٥، ٢٨١، ٤٩٧، ٥٨٧، ٥٩٠، ٥٩٣.

عطية، .... ٥٤، ٥٦، ٧٢، ٩٣، ٩٤، ٩٧، ١٠٨، ١١٣، ١٥٩، ٢١٥، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٨، ٢٧٢، ٣٦٣، ٤٠٠، ٤٥٢، ٤٩٧، ٥٠٤، ٥٤٥، ٦٢٩.

عفة، .... ٣١٣، ٣١٤.

علامة، .... ٧٢، ١٦٣، ٢٠٩، ٢١١، ٣٧٩، ٤١٤، ٥٠٨.

علم، .... ٤٦، ٩٣، ١٢٢، ٤٠٨، ٤٣٤، ٤٩٢، ٦٠٠.

عمق، .... ٩٦، ٢٢٤، ٣٨٦، ٤٦٤، ٤٧٧، ٦٥١.

عهد، .... ١٣٧، ٣١٦.

عهود، .... ٤٠٢.

(غ)

غاية، .... ٥٦، ١٨٩، ٤١١، ٤٢٦، ٦٤٤.

غرباء، .... ٤١٧، ٤٧٩.

غرلة، .... ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٧١، ١٨٧.

غضب، .... ٦٩، ١٠٦، ١١٦، ١١٧، ١٤٤، ١٥٠، ١٥٣، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤٣٨، ٤٦٩، ٥٠٨، ٥١٣، ٥١٥، ٥٢٧، ٥٦٦، ٥٩٢.

غفران، .... ١٨٠، ١٨٢، ٣٨٤، ٤١٤، ٤٥٨، ٥٠٠.

غني، .... ٥٩، ١٤٦، ٣٤٠، ٥١٢، ٥٤١، ٥٨٤، ٥٩٩، ٦٢٦.

(ف)

فحص، .... ١٠٤، ١١٥، ٣٠٨، ٣٦٩.

فخرًا، .... ١٢٥.

فداءً، .... ١٥٣.

فرح، .... ٤٢، ٧٧، ٩٧، ٣٤٥، ٦٢٩.

فرعون، .... ٤٠٦، ٤١١، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤٩٣.

فقر، .... ٢٤٤، ٣٤٠، ٣٧٠، ٣٧٧.

فكر، .... ٧٤، ١٠٧، ١٩٠، ٢٣٤، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٦٨، ٢٨٠، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٧٦، ٣٨٠، ٣٩٤، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧٧، ٤٧٨، ٥٠٧، ٥٨٨، ٦٣٠، ٦٣٦.

فيض، .... ٥٣، ٦٩، ٧٢، ١٨٥، ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٧١، ٤٠٤، ٤٣١.

(ق)

قداسة، .... ٨٢.

قرابة، .... ٨١، ٢١٥، ٢٢٦، ٤٧٩.

قسوة، .... ١٤٤.

قصاص، .... ١٨٠، ١٨١.

قلق، .... ٣٤٥.

قوة، .... ٤٤، ٥٤، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٨، ٩٧، ١٠٠، ١٠٧، ١١٢، ١١٣، ١٦٣، ١٨٧، ٢٠٥، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٨٨، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣١٢، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٢، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٧٣، ٣٨٥، ٣٩٣، ٤٠٢، ٤١٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٦٦، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٩٥، ٤٩٧، ٥١٤، ٥١٨، ٥٢٧، ٥٣٨، ٥٥٢، ٥٥٧، ٥٨٣، ٥٨٥، ٥٨٨، ٥٨٩، ٦٠٤، ٦٢٤، ٦٥١.

قيامة، .... ٤٠، ٩٢، ١٤٥، ٢٦٧، ٤٦٩، ٥٦٥.

(ك)

كارز، .... ٤٤٠.

كرامة، .... ٥٨، ١٦٥، ٢٠٧، ٢٢٧، ٢٦٨، ٢٧٦، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٧٤، ٣٩٠، ٤٤٣، ٤٥٨، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٢٩، ٥٧٨، ٥٨٨، ٦٤٥.

كفارة، .... ١٥٣، ١٨٤.
كمال، .... ٤٢٦.
كيان، .... ٩٧، ٣٠٦، ٣٠٧، ٤٨٩.

(ل)

لطف، .... ٧١، ١٤٣، ٤٧٢، ٤٧٣.

(م)

مثال، .... ٢١٨، ٢٤٧، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٥٧، ٥٠٨.
مجد، .... ٥١، ٥٥، ٦٧، ٧٠، ٧٣، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٨٣، ١٨٨، ١٩١، ١٩٢، ٢١٩، ٢٣٤، ٢٤٥، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٣، ٤١٥، ٤١٦، ٤٥٣، ٤٥٦، ٥٨٤، ٥٩٣، ٦٠٥، ٦٢٤، ٦٢٦، ٦٣١.
محبة، .... ٥٠، ٥٢، ٥٥، ٥٧، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٧٨، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١٣٧، ١٤٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٧، ١٨٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٥٩، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٤٣، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤١٥، ٤١٦، ٤٢٥، ٤٨٢، ٤٨٥، ٥٠١، ٥٠٣، ٥١٣، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٣، ٥٦٢، ٥٦٧، ٥٧٠، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٩٧، ٦٢٣، ٦٣٤، ٦٤٣، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٥، ٦٥٦.
مديون، ....٨٢، ١١٠، ٢٥٠، ٣٨٩، ٤٧٨، ٦٠٢، ٦٠٣.
مسرة، .... ٤٠٠، ٤٢٥.
معرفة، .... ٣٨، ٣٩، ٥١، ٥٦، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٨٢، ١٠٨، ١١٨، ١٢١، ١٢٣، ١٣٣، ١٤١، ١٤٢، ١٤٧، ١٥٩، ١٦١، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥، ٣٠٢، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٩، ٣٩٣، ٤١٠، ٤٩٠، ٥٩٦.
معمودية، .... ٢٦٩، ٥٦٤.
ملائكة، .... ١١٧، ١٥٥، ٢٣٧، ٢٤٠، ٣٥٣، ٣٨٦، ٣٩٨، ٤٣٨، ٦٤٣، ٦٥١، ٦٥٣، ٦٥٥.
ملاك، .... ٢٤٠، ٣٤١، ٣٥٣، ٦١٠، ٦٣٤.

موت، .... ٤٤، ٥٤، ٦٣، ٧٢، ٧٩، ١٥٥، ٢٢٩، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٦٧، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٣٢، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٦١، ٣٧٧، ٣٨٦، ٥١٨، ٥٥٧، ٦٤١، ٦٥١، ٦٥٣.

(ن)

ناموس، .... ٥٤، ٧٣، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٦٤، ١٨٢، ١٨٦، ١٨٧، ٢١٣، ٢٤٦، ٢٥٢، ٢٧٨، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٤، ٤١٩، ٤٤٥، ٤٨٦، ٤٩١، ٥٢٦، ٥٤٤، ٥٦٩، ٥٧٧.

ندامة، .... ٤٧٦.

نسل، .... ٩١، ٩٢، ٢١٤، ٢١٦، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٤٩، ٤٥٠، ٥٩٢.

نعمة، .... ٥٦، ٥٧، ٧٦، ٧٨، ٨٢، ٨٣، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ١٠١، ١١٢، ١٢٥، ١٧١، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٨٨، ٣٠٦، ٣٢٨، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٤٧، ٣٤٩، ٤١٦، ٤٢٦، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٦٩، ٤٩١، ٤٩٨، ٥٠٥، ٥٧٠، ٥٨٤، ٦٠٣، ٦١٤، ٦٤٥، ٦٤٨، ٦٤٩.

نفس، ....٤٠، ٤١، ٤٤، ٤٦، ٤٨، ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٦٢، ٧٤، ٧٥، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٩١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٩، ١١٢، ١٢٧، ١٣٤، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦، ١٥١، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٩، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٨، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣١٠، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥١، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٨٧، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٧، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٤٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٧١، ٤٧٥، ٤٧٩، ٤٨٢، ٤٨٩، ٤٩٤، ٤٩٧،

٥٠٢، ٥١١، ٥١٢، ٥١٩، ٥٢٣،
٥٢٤، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٣٣، ٥٥٢،
٥٦١، ٥٦٣، ٥٦٥، ٥٦٩، ٥٧٨،
٥٨٦، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٢، ٥٩٤،
٥٩٦، ٦٠٢، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦١٠،
٦١١، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٨، ٦٢٩،
٦٣٥، ٦٣٩، ٦٤٣، ٦٤٩، ٦٥٥،
٦٥٨.

نفع، .... ٤٢، ١٣٢، ١٣٦،
١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥،
١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ٢٢٢، ٣٢٩،
٤٣٢، ٤٥٨، ٤٥٩، ٥١٦.

نور، .... ٣٧٢، ٥٤٢.

(هـ)

هبة، .... ٥٤، ٦٥، ٧٩،
١٠٤، ١٠٨، ٢٣٨، ٢٨٩، ٦٠٢.

هيكل، .... ٥٩، ٢٨٢، ٣٧٤، ٦٥٤.

(و)

والغرلة، .... ١٤٧، ١٤٨، ١٦٤،
١٦٦.

والكرامة، .... ١٤٥، ١٤٨،
١٤٩، ١٥٦، ١٥٨.

والمعمودية، .... ١١٢.

ورثة، .... ٧٤، ٢١٢، ٢١٣، ٣٥٤.

وصية، .... ١١٠، ١٩٤،
١٩٥، ١٩٦، ٣٠٥، ٤٢٩، ٤٣٣،
٤٥٧، ٥١٥، ٥٣٠، ٥٦٤.

وعد، .... ٥٢، ٥٥، ٩٠، ٢٠٦،
٢١٣، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٣٤،
٢٣٧، ٢٣٨، ٣٠٧، ٣١١، ٣٦٢،
٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٣،
٤٢٩، ٤٥٣، ٤٧٥، ٤٧٦، ٥٨٥.

(ي)

يُبرر، .... ١٥١.

يهودي، .... ١٤٦، ٣٩٤،
٤٤٩، ٥٦٤.

يوناني، .... ١٠٩، ١١٢، ١٤٦.

فهرس لبعض أسماء الأشخاص الموجودة بالنص

(أ)

إبراهيم، .... ٥١، ٥٢، ٦١،
٧٢، ٩٠، ٩١، ٩٩، ١١٤، ١١٥،
١٦٣، ١٦٤، ١٨٢، ١٨٣، ٢٠٥،
٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠،
٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥،
٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٨،
٢٢٩، ٢٣٨، ٢٤٦، ٢٥٢، ٢٦٢،
٢٧٦، ٣٥٤، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٥،
٤٢٠، ٤٢٨، ٤٤٩، ٤٦٠، ٤٦٩،
٤٧٤، ٤٧٩، ٥٠٥، ٥٧٧، ٥٩٢،
٦١٠، ٦٢٧، ٦٢٩، ٦٣٩، ٦٧٣.

أبلِس، .... ٦٣٤، ٦٧٣.

أبينتوس، .... ٦٧٣.

إرميا، .... ٨٨، ١١٩،
٢٢٤، ٣٦٦، ٣٦٧، ٤٦٣، ٦٧٣.

آساف، .... ٤٠٢، ٦٧٣.

اسحق، .... ٩١، ١٨٣، ٢١٦، ٤٠١،
٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٥، ٥١٣، ٦٧٣.

اسطفانوس، .... ٤٣٨، ٦٧٣.

إشعياء، .... ٣٥، ١١٦،
١٦٢، ١٧٩، ١٨٠، ٢٤٠، ٣٥٨،
٤١٨، ٤٢١، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢،
٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٦٢، ٤٦٤،
٥٥٨، ٥٩٤، ٦٧٣.

أكيلا، .... ٦٣، ٧٧، ٦٧٣.

إليشع، .... ١٢٦، ٥٠٦، ٦٧٣.

اندرونيكوس، .... ٧٧، ٦٧٣.

إيليا، .... ٥٧، ٢٠٠، ٣٩٥، ٤٣٨،
٤٥٠، ٤٥١، ٤٨٨، ٥٠٦، ٦٧٤.

أيوب، .... ٣٦، ٤٧، ٩٩،
١٤٧، ٢٦٣، ٢٦٤، ٣٧٩، ٦٧٤.

(ب)

بتروباس، .... ٦٧٤.

برسيس، .... ٦٧٤.

بريسكلا، .... ٧٧، ٦٧٤.

بطرس، .... ٤٤، ٦٣، ٦٤،
٧٥، ٨٣، ٨٧، ١٥٦، ١٨٨،
١٩٩، ٢٢١، ٢٦٢، ٣٣٣، ٤٥١،
٦١٣، ٦٧٤.

(ت)

ترتيوس، .... ٦٨، ٦٤٨، ٦٧٤.

تيطس، .... ٤٥، ٧٦، ٦٤٦، ٦٧٤.

تيموثاوس، .... ٧٥، ٧٧، ٨٠،
٤٨٠، ٦٤٨، ٦٧٤.

(ح)

حزقيال، .... ٨١، ٣٦٧،
٥٣٥، ٦٧٤.

حنانيا، ٥٦٢

(د)

دانيال، .... ١٢٥، ٢٥٢، ٣٦٧، ٤٦٣، ٤٨٧، ٦٧٤.

داود، .... ٩١، ٩٢، ١٥٤، ١٦٢، ١٨٠، ١٨٣، ١٩٢، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٧٧، ٣٣٣، ٣٥٨، ٣٦٥، ٤٠٩، ٤٦١، ٤٦٢، ٥٣٤، ٥٦١، ٥٨٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٦٠٩، ٦٣٩، ٦٧٤.

(ر)

رفقة، .... ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٧، ٥٣٣، ٦٢٧، ٦٧٤.

(س)

سارة، .... ٦١، ٢١٦، ٤٠٢، ٤٢٩، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٩، ٦٧٤.

(ش)

شاول، .... ٨٧، ١١٥، ١٩٢، ٣٦٧، ٥١٣، ٥٣٤، ٥٩٤، ٦٠٨، ٦٧٤.

(ط)

طابيثا........................... ٣٧٤، ٦٧٤.

(ع)

عيسو، .... ٢٢، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٩، ٥٣٣، ٦٧٤.

(غ)

غايس، .... ٣٢، ٦٤٩، ٦٧٤.

(ف)

فوطيفار، .... ٥٣٥، ٦٧٥.

فيبي، .... ٣١، ٦٦، ٧٨، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٣٨، ٦٧٥.

(ق)

قايين، ...... ١٩٣، ١٩٤، ٢٢٦، ٣٠٨، ٥١٨، ٥٣٣، ٥٦١، ٦٤٠، ٦٧٥.

قطورة، .... ٤٠٥، ٤٠٧، ٦٧٥.

قورح، .... ٥٦١، ٦٧٥.

(ك)

كرنيليوس، .... ١٤٧، ١٨٨، ٥٧٦، ٦٧٥.

(ل)

لامك، .... ٦٤٠، ٦٧٥.

لعازر، .... ٤٠، ٢٤٤، ٦٧٥.

لوط، .... ١٣٣، ٥٠٥، ٦١٠، ٦٣٩، ٦٧٥.
لوقا، ....٣٦، ٨٧، ٩٣، ٦٢٢، ٦٤٨، ٦٧٥.

(م)

متى، .... ٢٥، ٣٥، ٨٧، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣، ١٥١، ١٥٢، ١٥٩، ١٦٥، ١٧٣، ١٨٣، ١٩٥، ٣٠٣، ٣٦٧، ٤٠٨، ٤٣٩، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٧٦، ٥٢٩، ٥٦٧، ٦٤٦، ٦٧٥.
موسى، .... ٨٧، ٨٨، ٩١، ١٧١، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٦٤، ٢٧٨، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٢٨، ٣٥٢، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٩٦، ٤١٠، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٦٣، ٥٠٢، ٥١٣، ٦٤٦، ٦٧٥.

(ن)

نابال، .... ٤٩٤، ٦٧٥.

(هـ)

هابيل، .... ١٣٦، ٢٢٦، ٢٤٦، ٢٥٢، ٥١٨، ٥٣٣، ٥٣٤، ٦٧٥.
هرماس، .... ٣١، ٦٣٦، ٦٧٥.
هوشع، .... ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٦٧٥.

(ي)

ياسون، .... ٦٤٨، ٦٧٥.
يثرون، .... ٦٢٧.
يشوع، .... ٢٢٠، ٦٧٥.
يعقوب، ....٢٥، ٨٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٩، ٤٥١، ٤٧٦، ٥٣٣، ٦٧٥.
يفتاح، .... ٢٦٥، ٦٧٥.
يهوذا، .... ٣٦، ٢٢٥، ٢٦٤، ٣٠١، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٦٧، ٦٧٥.
يوحنا المعمدان، .... ٤٣٨، ٦٣٩، ٦٧٥.
يوسف، .... ١٣٦، ٥١٩، ٥٣٥، ٦٧٥.
يونان، .... ٨١، ٩٢، ٥٦٦، ٦٧٥.

فهرس لبعض اسماء المدن الموجودة بالنص

(أ)

أخائية، .... ٣١، ٧٩، ٦٢٩، ٦٣١، ٦٧٦.

أسبانيا، .... ٣٠، ٦٥، ٦٠٧، ٦١٦، ٦٧٦.

أفسس، .... ٦٣، ٧٤، ٧٧، ٧٨، ٩٣، ٢٦٤، ٦٥٥، ٦٧٦.

أورشليم، .... ٤٣، ٤٥، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٧٩، ٩٤، ٥٦٢، ٦٠٥، ٦١٤، ٦١٧، ٦٧٤.

(ت)

تسالونيكي، .... ٧٩، ١٠٠، ٤٥٢، ٦٥٣، ٦٧٦.

(ر)

رومية، .... ٣٣، ٣٦، ٤٨، ٤٩، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٩، ٩٤، ٩٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ٥٨٤، ٦١٥، ٦٥٠، ٦٧٦.

(س)

سراكي، .... ٦٠٥، ٦٧٦.

سوريا، .... ٧٠، ٦٧٦.

(ف)

فيلبي، .... ٣٩، ٧٧، ٧٩، ٦٤٦، ٦٤٩، ٦٧٦.

(غ)

غلاطية، .... ٦٥، ٨٠، ٨٢، ١١١، ٢٥٣، ٢٧٧، ٣٣٣، ٥٥٥، ٥٥٦، ٦١٤، ٦٣٧، ٦٧٦.

(ك)

كبادوكية، .... ٦١١، ٦٧٦.

كليكيا، .... ٦٧٧.

كورنثوس، .... ٦٣، ٧٤، ٧٧، ٧٩، ٨٢، ٩٣، ١١٠، ١٢١، ١٣٧، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٣٥، ٥٣٧، ٦٠١، ٦٠٨، ٦١٤، ٦٢٣، ٦٣٧، ٦٧٧.

كولوسي، .... ٧٣، ٧٤، ٨٠، ٨١، ٥٥٤، ٦١٥، ٦٣٧، ٦٧٧.

(م)

مكدونية، .... ٣٠، ٧٩، ١٠٠، ٦١٤، ٦١٥، ٦٧٧.

فهرس لشواهد الآيات الكتابية الواردة بالهوامش

أولاً: العهد القديم:

سفر التكوين:

تك١:٢٦..................٥٣٢

تك٢:١٨..................٥٣٢

تك٢:٢٤..................١٢٩، ٥٠٢

تك٣:٥..................٢٦٥

تك٣:١١..................٥٣٢

تك٣:١٧، ١٩..................١٩٤

تك٤:٦..................٥٣٣

تك٤:٧..................٥٣٣

تك٤:٩..................٢٢٧، ٤٩٤، ٥٣٤

تك٤:١٠..................٢٢٦، ٥٣٤

تك٤:١١..................١٩٣، ٥٣٤

تك٦:٣..................٣٣٥

تك١٢:٣..................٤٠١

تك١٢:٧..................٣٩٦

تك١٤:١٤-٤٦..................٦١٠

تك١٧:٥..................٢١٤

تك١٨:١-٨..................٦٢٧

تك١٨:٣..................٥٠٥

تك١٨:١٧..................٦١١

تك١٨:٢٧..................٦١١

تك١٩:١٢-٣٠..................١٣٢

تك٢١:١٢..................٤٠١

تك٢٤:١٥-٣٣..................٦٢٧

تك٢٧:٤٥..................٥٣٣

تك٣٩:٧-٢٣..................٥١٨

سفر الخروج:

خر٢:١٣س..................٥٠٢

خر٢:١٥-٢٢..................٦٢٧

خر٤:٢٢..................٣٥٠

خر٥:٢..................٤٩٤

خر٢٠:٥..................٥٣٥

خر٢٣:٢٢س..................٥٣٥

خر٢٨:٢..................٤٩٣

خر٣٢:١٠..................٣٦٥

سفر العدد:

عد١٣:٣١-٣٣..................١١٥

عد٢٤:٩..................٤١٣

سفر التثنية:

تث٤:٢٤..................٤١٣

تث٥:٢٦..................١٧١

تث٦:١١-١٢..................٦٤٦

تث٣٢:١٥..................٦٤٦

تث٩:٢٨..................٣٩٧

سفر القضاة:

قض١١: ٢٩ـ٤٠........................٢٦٥

سفر صموئيل الأول:

١صم٢: ٣٠........................٢١٩
١صم١٢: ٢٣........................٦٠٨
١صم١٥: ٩ـ١١........................١١٥
١صم١٧: ٢٦........................٦٠٨
١صم٢٥: ٢ـ٢٨........................٤٩٤

سفر صموئيل الثاني:

٢صم١: ٢١........................٥٣٤
٢صم١٨: ٣٣........................٦١٠
٢صم٢٤: ١٧........................١٥٤، ٦٠٩

سفر ملوك الاول:

١مل١٧: ٧ـ١٦........................٢٠٠
١مل١٨: ١٩........................٤٣٩
١مل١٨: ٢١........................٤٣٨
١مل١٩: ١٠........................٤٥٠
١مل١٩: ١٨........................٤٥٠

سفر ملوك الثاني:

٢مل٤: ٨ـ٣٧........................٦٢٦
٢مل٢١: ١ـ١٨........................٣٣٣

سفر أخبار الأيام الثاني

٢أخ٣٣: ١ـ٢٠........................٣٣٣

سفر أيوب:

أي١: ٢١........................٢٤٣

سفر المزامير:

مز١: ٤........................٢٦٠
مز٢: ١١(س)........................٥٤٣
مز ٥: ٩........................١٧٩
مز٨: ٥ـ٦........................٥٩٧
مز١٠: ٢٧........................١٧٩
مز١٤: ١........................٤٩٤
مز١٤: ٣........................١٧٩
مز١٩: ١........................١١٩، ٥٩٧
مز١٩: ٤........................٥٩٧
مز٢٤: ٢........................٥٩٦
مز٣٠: ١٢........................٤٦٢
مز٣٢: ١........................٢٠٨، ٢٧٧
مز٣٢: ١٠ (س)........................٥٩٩
مز٣٣: ٩........................٥٩٧
مز٣٣: ١٦........................٥٩٨
مز٣٤: ٨........................٥٣٦
مز٣٤: ١٩ (س)........................٥٩٩

مز٣٤: ٢١.......................٥٩٩
مز٣٥: ١.......................١٧٩
مز٣٧: ١-٢.......................٥٩٩
مز٤٢: ١١.......................٥٩٩
مز٤٤: ٢٢، ١٨.......................٥٩٨
مز٤٤: ٢٢.......................٤٧، ٣٨٣
مز٤٩: ٦.......................٥٩٨
مز٤٩: ٧.......................١٥٣
مز٤٩: ١٥.......................٥٩٧
مز٤٩: ١٧.......................٥٩٨
مز٥٠: ١٣-١٤.......................٤٨٦
مز٥٠: ١٦.......................١٧٦
مز٥٠: ٢٣.......................٤٨٦
مز٥١: ٤.......................١٧٣
مز٥١: ١٦.......................٦٥٣
مز٥١: ١٧.......................٤٨٧
مز٥٣: ٣.......................١٧٩
مز٦٨: ١١.......................٩٠
مز٦٩: ٩.......................٣٦٥، ٥٨٤
مز٦٩: ٣١-٣٢.......................٤٨٦
مز٧٣: ٢٢.......................٢٤٤
مز ٧٣: ٢٥.......................١٥٧
مز٨٢: ٦.......................٣٥٠
مز٩٥: ٧-٨.......................٥٩٨
مز١٠٢: ٢٥-٢٦.......................٣٥٨
مز١٠٢-٢٦.......................٥٩٥
مز١٠٣: ١١-١٢.......................٥٩٦
مز١٠٣: ١٣.......................٥٩٧
مز١٠٣: ١٤.......................٥٩٧
مز١٠٣: ١٥.......................٥٩٨
مز١٠٣: ٢٠.......................٢٤٠
مز١٠٤-٢.......................٥٩٦
مز١٠٤-٣.......................٥٩٦
مز١٠٤: ٦.......................٥٩٧
مز١٠٤: ١١،١٢.......................٥٩٦
مز١٠٤: ١٤.......................٥٩٧
مز١٠٤: ١٥.......................٥٩٦
مز١٠٤: ١٧.......................٥٩٦
مز١٠٤: ١٨.......................٥٩٦
مز١٠٤: ١٩.......................٥٩٧
مز١٠٤: ٢٠.......................٥٩٦
مز١٠٤: ٢٧.......................٥٩٦
مز١٠٤: ٢٩.......................٥٩٧
مز١٠٤: ٣٢.......................٥٩٦

مز١٠٥:١٥..................... ٨٨
مز١١٦:٦..................... ٥٩٩
مز١١٦:٧..................... ٥٩٧
مز١١٩:٩١..................... ٨٨
مز١٣٧:٢..................... ١٧٧
مز١٣٧:٤..................... ١٧٦
مز١٤٠:٣..................... ١٧٩
مز١٤٣:٢..................... ٥٩٨
مز١٤٧:٢٠..................... ١٧١

سفر أمثال:

أم١:١٦..................... ١٧٩
أم٥:٨..................... ٣١٠
أم١٢:١٠..................... ٦١١
أم١٨:١٧(س)..................... ٦٠٩
أم١٨:١٠..................... ٢٢١
أم١٩:١٤..................... ٥٢٤
أم٢٢:١..................... ١١٨

سفر إشعياء:

إش١:٢..................... ٣٥٠
إش١:١٢..................... ٤٨٥
أش١:١٧-١٨..................... ٥٦٤
إش١:١٨..................... ٤٥٦
إش١:١٩-٢٠..................... ١١٦
إش٥:٢١..................... ٥١٣
إش٦:١-٧..................... ٢٤٠
إش٦:١١..................... ٣٦٧
إش١٠:٢٢..................... ٤٠٦
إش١٤:١٣..................... ٤٩٣
إش٢٨:١٦..................... ٤٣١
إش٢٩:١٣..................... ٤٥٤
إش٣٢:٦..................... ٤٩٣
إش٤٣:٢٦..................... ٥٦٤
إش٥١:٦..................... ٣٥٨
إش٥٢:٥..................... ١٦٢
إش٥٢:١٥..................... ٦٠٦
إش٥٢:٧..................... ٩٠، ٤٤٠، ٤٤٣
إش٥٩:٧..................... ١٧٩

سفر إرميا:

إر١:٥..................... ٨٩
إر٢:١٣..................... ١٢٠
إر٢:٢٢..................... ٣٣٦
إر٤:١٩..................... ٢٢٤
إر٧:١٦..................... ٣٣٦
إر٧:١٧..................... ٣٣٦

إر٢٥:٩..........................٨٨

إر٣١:٣٤........................٥٧٦

سفر حزقيال:

حز٩:٤..........................٦٤٤

حز١٨:٣٢(س)..................٦٤١

حز٣٤:٢........................٦٠٩

حز٣٤:٣........................٦٠٩

سفر دانيال:

دا٣:١٥..........................٤٩٣

دا ٣:٣٨ـ٣٩....................٤٨٧

دا٣:٣٩..........................٣٦٧

دا٤:٢٧..........................٥٦٤

سفر هوشع:

هو٩:٤..........................٤٨٦

هو١٣:٨........................٤١٣

سفر يونان

يونان٣:١ـ١٠....................٥٦٦

سفر ميخا:

ميخا٦:٣........................١٥٥

سفر ناحوم:

ناحوم١:١٥......................٩٠

سفر حبقوق:

حبقوق ٢:٤.......................١١٣

سفر يوئيل:

يوئيل٢:٢٥........................١١٢

يوئيل٢:٣٢........................٤٣٢

سفر ملاخي:

ملا٢:١٠..........................٣٥٢

ثانيًا: الأسفار القانونية الثانية:

سفر يشوع بن سيراخ:

حكمة سيراخ ١٣:١٥............١٣٧

إبن سيراخ ٢١:٢...............٢١٩

ثالثًا: العهد الجديد:

إنجيل متي:

مت١:١..........................١٨٣

مت٣:٧..........................٤٣٨

مت٥:٣..........................٤٩٢

مت٥:٨..........................٦٥٢

مت٥:١١........................٥١٠

مت٥:١١ـ١٢....................٢٦٣

مت٥:١٦........................٢١٨، ٥١٤، ٥٧٩، ٥٨٠

مت٥:٢٠..................٢٧٣، ٢٩٨

مت٥:٣٩........................٣١٢

مت٥: ٤٤........................٤٨٠
مت٥: ٤٥........................٢٤٠
مت٥: ٤٦........................٥٨٨
مت٥: ٤٨........................٤٨٠
مت٦: ٣٣........................١٩٧
مت٧: ٧........................٧٧
مت٧: ١٨........................٣٣٣
مت٨: ١١-١٢........................٣٥٤
مت٨: ٢٢........................٢٧٧
مت٨: ٢٩........................٥٦٦، ٦٤٤
مت٩: ١٢........................٥٨٨
مت٩: ٢٠-٢٢........................٢٢١
مت١٠: ٦........................٤٦٧
مت١٠: ١٥........................٦٤٠
مت١٠: ٢٨........................١١٢، ٢٧٧
مت١٠: ٣٧........................٢٦٢
مت١٠: ٤١........................٥٠٦
مت١١: ٢٤........................٦٤٣
مت١٢: ٣٩........................٩٢
مت ١٢: ٣٣-٤٦........................٥٦١
مت١٢: ٤١........................١٦٦، ٦٤٣
مت١٣: ١٣........................٥٧٦
مت١٣: ١٧........................٩١
مت١٣: ٢٩........................٣٣٤
مت١٥: ٢٤-٢٦........................٤٦٥
مت١٨: ١٠........................٦٢٧
مت١٨: ٢٠........................٢٢٢
مت١٨: ٢٣-٣٥........................١٩٥
مت١٩: ٤........................٣٢٣
مت١٩: ٤-٥........................٥٢٤
مت٢١: ٩-١١........................٦١٦
مت٢١: ٣٣-٣٦........................٤٦٥
مت٢١: ٤١........................٣٥٤
مت٢٢: ١-١٤........................٤٦٥
مت٢٢: ١-١٥........................٥٦١
مت٢٢: ٣٢........................٢٧٦
مت٢٢: ٣٨-٣٩........................٥٣١
مت٢٢: ٤٠........................٥٣٠
مت٢٣: ١٤........................٦٤٦
مت٢٤: ٢........................٥٦٤
مت٢٤: ١٢........................١٣٧
مت٢٤: ٢١........................٥٦٢، ٥٦٤
مت٢٤: ٢٩........................٣٧٢
مت٢٥: ٩........................٤٥٦

مت٢٥: ١٤ـ٣٠..................٥٥٩

مت٢٥: ٢٧..................٦٣٠

مت٢٥: ٤٠..................٦٢٧

مت٢٥: ٤١..................٥٠٩، ٥٦٥

مت٢٥: ٤٦..................٥٦٣

مت٢٦: ٤١..................٦١٧

مت٢٦: ٥٥..................٥٠٨

مت٢٧: ٤٠ـ٤٢..................٥٨٥

إنجيل مرقس:

مر٩: ٤٤..................٥٦٣، ٥٦٠

مر٩: ٤٤..................٢٧٩

مر١٠: ٤٠..................٦٣٩

مر١٦: ١٥..................٨٩

إنجيل لوقا:

لو٦: ٢٦..................٤٣٥

لو٨: ١٠..................٩٣

لو٨: ٤٣ـ٤٨..................٢٢١

لو٩: ١٦..................٥٧٤

لو٩: ٥٥..................٥٠٦

لو٩: ٥٨..................٥٤٦

لو١١: ١٩..................٤٦١

لو١٢: ٤٦..................٦٤٢

لو١٢: ٤٧.. ....١٧٨

لو١٣: ٤ـ٥..................٥٦٣

لو١٥: ١١ـ٣٢..................٢٦٠

لو١٦: ٦..................٤٥٧

لو١٦: ٢٦..................٤٥٦

لو١٧: ١٠..................١٩٥

لو١٨: ١٣..................٥٦٥

لو١٩: ٢٧..................٥٦١

لو٢١: ٢٤ـ٢٦..................٥٦٢

لو٢٢: ٣٣..................١٥٧

لو٢٢: ٤٨..................٥٠٧

لو٢٣: ٣٤..................٥٠٧

لو٢٤: ٤٥..................٩٣

إنجيل يوحنا:

يو١: ٤٢..................٨٧

يو٢: ١٨..................٦٤٦

يو٢: ١٩..................٩٢

يو٤: ٢٢..................٦١٥

يو٤: ٢٣..................٩٠

يو٤: ٢٤..................١٠٢

يو٥: ١٤..................٥٦٣

يو٥: ٤٤..................٤٣٢

يو٦:٥٦..............................٥٤٠
يو٦:٦٨..............................١٥٧
يو٧:٧..............................٣٣٦
يو٨:٢٨..............................٩٢
يو٨:٥٦..............................٩٠
يو٩:٣٤..............................١٦٠
يو١٠:١١..............................٦٠٩
يو١٣:٣٤..............................١٩٥
يو١٣:٣٥..............................٥٨٨
يو١٣:٣٦..............................١٥٧
يو١٥:١٣..............................٦٢٣
يو١٥:١٤..............................٥٤٠
يو١٥:١٩..............................٣٦٦
يو١٥:٢٢..............................٣٠٢
يو١٦:١٢..............................٩٣
يو١٦:٣٣..............................١٢٦
يو١٧:٣..............................٩٠
يو١٧:١٠..............................١٠٣
يو١٧:٢١..............................٥٨٦
يو٢١:١٥..........٨٣، ٢٦٢، ٦٣٩
يو٢١:١٦................٥٣١، ٦٠٨

سفر أعمال الرسل:

أع٣:٦..............................٩٤
أع٤:١٦..............................٣٨٥
أع٤:٣٤..............................٤٥٩
أع٦:٤..............................٦٤٩
أع٧:٥١..............................٤٣٨
أع٩:١٥..............................٤٥٥
أع٩:٣٦ـ٤٢..............................٣٧٤
أع١٠:١ـ١١، ١٨................١٨٨
أع١٣:٢..............................٩٣
أع١٣:١٥..............................٤٩٩
أع١٣:٤٦..............................٤٦٦
أع١٤:١٣..............................٧٨
أع١٧:٦..............................٦٤٨
أع١٨:٣..............................٦٢٢
أع١٨:٣٦..............................٦٢٢
أع١٩:١٢..............................٢٢١
أع٢٠:٢٨..............................٩٣
أع٢١:١٣..............................٦٥٣

الرسالة إلي أهل رومية:

رو١:٤..............................٤٣٠
رو١:٨..............................٦٠٠

رو١:٩........................٦٠٢
رو١:١٠........................٦١٨
رو١:١١........................٧٩
رو١:١١-١٢........................٦٠٢
رو١:١٣........................٦٠٥، ٦٠٦
رو١:١٤........................٦٠٢
رو١:١٤-١٥........................٨٢
رو١:١٦........................٤٦٦
رو١:١٧........................١٨٣، ٢٠٥
رو١:١٩-٢٠........................١٤٨
رو١:٢٠........................١٢٨
رو١:٢٤........................١٢٤
رو١:٢٥........................١٢٤، ١٢٧
رو١:٢٧........................١٤٢
رو١:٣٢........................٥٦٠
رو٢:١........................١٦٠، ١٦٥
رو٢:٢........................١٤٢
رو٢:٥........................١٥٣
رو٢:١٢........................٢٧٨، ٦٤٢
رو٢:١٣........................١٦١
رو٢:١٤........................١٦٤
رو٢:٢١........................١٥١، ١٦٥
رو٢:٢٥........................١٦٦
رو٣:١........................٢٠٥
رو٣:٣-٤........................٤٥٤
رو٣:٦........................٢٦٧
رو٣:٩........................٢٠٥
رو٣:٢٧........................٢٠٥
رو٣:٢٣........................٤٠٣
رو٣:٢٩-٣٠........................٤٣١
رو٤:٢........................٤٢٠
رو٦:٤-٥........................٥٤٠
رو٤:١٠........................١٦٤
رو٤:١٥........................٢٩٩
رو٤:١٨-٢١........................٤٢٩
رو٤:٢١........................٢٣٨
رو١٥:١٥........................٢٥٧
رو٥:١٧........................٤٠٤
رو٥:٢٠........................١٧٥، ٢٩٩
رو٦:١-٢........................١٧٥
رو٦:٢........................١٧٥
رو٦:١-٢........................١٧٥
رو٦:٤-٥........................٥٤٠
رو٦:٥........................٢٥٨

رو٦:٦..........................٢٧٧
رو٦:٧..........................٢٩٣
رو٦:١٤..................٢٩٨، ٢٩٩
رو٦:١٧ـ١٨......................٨٨
رو٧:٨..........................٣١٦
رو٧:٧ـ٨........................١٨٢
رو٨:١٠.........................٥٤٠
رو٨:١٨، ٢٢ـ٢٦..................٣٧٦
رو٨:٢٧.........................٣٣٢
رو٨:٣١.........................٢٦٤
رو٨:٣٤.........................٥٤٠
رو٨:٣٥.........................٣٩٨
رو٨:٣٨.........................٦٥٣
رو٨:٣٨ـ٣٩......................٦٥٢
رو٩:٣...................٦٣٧، ٦٥١
رو٩:٤..........................٣٥٠
رو٩:٥..........................٤٧٩
رو٩:٢٠.........................١٠٧
رو٩:٢٧.........................٤٤٤
رو٩:٢٧ـ٢٩......................٤٥٢
رو٩:٣٠ـ٣١......................٤٤٥
رو١٠:١.........................٤٠٠
رو١٠:٢ـ٣.......................٤٤٠
رو١٠:٣..................١٨٠، ٤٠٧
رو١٠:٩.........................٤١٨
رو١٠:١٠........................٥٧٤
رو١٠:١٣........................٤٤٠
رو١٠:٣٧........................١٩٩
رو١١:١٣........................٦٠٠
رو١١:٢١........................٦٠٠
رو١٢:٣.........................٤٩٨
رو١٢:٨.........................٥٠٢
رو١٢:١٦........................٦٠٠
رو١٣:١٤.................٣٤٨، ٥٥٢
رو١٤:١ـ٢.......................٨١
رو١٤:١٠، ٤.....................٦٠٠
رو١٥:٤.........................٥٩٩
رو١٥:١٥........................٨٢
رو١٥:٢٥........................٧٩
رو١٦:١٩........................٦٠١

رسالة كورنثوس الأولي:

اكو١:٢٥........................١٢١
اكو٣:١٦........................٢٨٢
اكو٤:١٧........................٦١٥

اكو٤:١٨، ٦......................٦٣٨
اكو٥:٢..........................١٣٧
اكو٥:٦..........................٦٦
اكو٦:٣..........٤٣٨، ٦٤٣، ٦٥٥
اكو٦:١٨..........................١٣١
اكو٦:١٩.................٢٩٦، ٣٤٧
اكو٦:٢٠..........................٢٦٩
اكو٧:١...........................٨٢
اكو٧:١٥..........................٥١٤
اكو٧:١٦..........................٦٣٢
اكو٧:٢٣.................٢٩٦، ٣٤٧
اكو٧:٢٩..........................٥٣٧
اكو٧:٣١.................٣٦١، ٤٨٩
اكو٨:٨...........................٥٧١
اكو٩:٢٧..........................٦٥٣
اكو١٠:٣-٤.......................٣٥١
اكو١٠:١١.........................٦٣٠
اكو١٠:١٣.........................٢٨٦
اكو١٠:٣١.........................٥٤٤
اكو١٠:٣٢.........................٥١٤
اكو١١:١..........................٦٥٥
اكو١١:٢..........................٦٠١
اكو١١:٣٢.........................١١٧
اكو١٢:٨...........................٩٣
اكو١٢:١١........٩٣، ٣٦٥، ٤٩٨
اكو١٢:٣١.........................٤٩٨
اكو١٣:١-٤.......................٥٨٨
اكو١٤:٣٢.........................٣٦٤
اكو١٤:٣٦.........................٦١٥
اكو١٥:٩..........................١٥٤
اكو١٥:١٠.........................٤١٦
اكو١٥:٢٦.........................٢٧٥
اكو١٥:٤١.........................٦٣٩
اكو١٥:٥١.........................٤٧٥
اكو١٥:٥٤.........................٣٦١
اكو١٦:١..........................٦١٤
اكو١٦:٤...........................٧٩
اكو١٦:٦..........................٦٠٨
اكو١٦:٩...........................٦٩
اكو١٦:١٩.........................٦٢٣
اكو١٦:٢١.........................٦٥٤
اكو١٦:٢٢.........................٣٩٤
اكو١٦:٢٢.........................٦٣٤

رسالة كورنثوس الثانية:

٢كو٢:٢..........................٥٣٥
٢كو٢:٤..........................٦٥٢
٢كو٢:٥..........................٤٧٥
٢كو٢:٥ـ٨..........................٣٣٣
٢كو٢:٩..........................٧٩
٢كو٢:١١..........................٢٦٥
٢كو٣:٦..........................٢٧٤
٢كو٤:١٦..........................٣٥٦
٢كو٤:١٧..........................٣٣٧
٢كو٥:١٤ـ١٥..........................٣٤٧
٢كو٥:١٥..........................٢٩٦
٢كو٥:٢٠..........................٨٩، ١٥٥، ٣٨٢، ٥٤٠
٢كو٦:١١..........................٦٥٢
٢كو٨:١..........................٦١٤
٢كو٨:٩..........................٥٨٤
٢كو٩:٢..........................٦١٤
٢كو٩:٥..........................٦١٦
٢كو٩:٦ـ٧..........................٤٩٩
٢كو١١:٢..........................٥٤٠
٢كو١١:٣..........................٥٥٥، ٦٥٣
٢كو١١:٦..........................٨٣
٢كو١١:٢٩..........................٦٠٨
٢كو١٢:٨..........................١٠٤
٢كو١٢:٩..........................٣٧٦، ٤٥٥
٢كو١٢:١٠..........................٣٧٦
٢كو١٢:٢٠..........................٦٥٣
٢كو١٣:٧..........................٤١٥

الرسالة إلي أهل غلاطية:

غل١:٨..........................٦٣٤
غل١:٩..........................٥٥٥
غل١:١٨..........................٦٥٤
غل٢:٢٠..........................٥٤٠، ٦٥٣
غل٣:٤..........................٣٣٧
غل٣:٢٣..........................٢٥٣
غل٣:٢٨..........................٦٢٢
غل٤:٦..........................٣٥٣
غل٤:١١..........................٦٥٣
غل٤:١٤..........................٦٣٧
غل٤:١٥..........................٦٠٩
غل٤:٢١ـ٢٢..........................١٨٠
غل٥:٤..........................٥٥٦
غل٥:١٠..........................٦٠١
غل٥:٢٢..........................٩٧

غل٥: ٢٤......................... ٢٧٧
غل٦: ١......................... ٥٨٣
غل٦: ١١......................... ٦٥٣
غل٦: ١٤......................... ١١١، ٤٣٧

الرسالة إلي أهل أفسس:

أف١: ٣......................... ٩٩
أف١: ٢٣......................... ٥٤٠
أف٣: ١٧......................... ٥٤٠
أف٥: ١......................... ٤٨٠
أف٥: ٢٥......................... ٥٨٤
أف٦: ١٢......................... ٦٥٥

الرسالة إلي أهل فيلبي:

في١: ٧......................... ٧٧
في٣: ٢......................... ٥٥٥
في٣: ١٥......................... ٥٧٥
في٣: ١٩......................... ٦٤٦
في٣: ٢١......................... ٣٦١
في٤: ٢٢......................... ٦٤٩

الرسالة إلي أهل كولوسي:

كو١: ٥-٦......................... ٦١٥
كو٢: ١٨......................... ٥٥٥
كو٢: ٢٠-٢٣......................... ٨١
كو٣: ٣-٤......................... ٥٢٩
كو٣: ٥......................... ١٧٨، ٢٧٧
كو٣: ٣......................... ٣٥٦
كو٣: ١٢......................... ٣٦٧
كو٤: ٧-٩......................... ٨٠
كو٤: ١٠......................... ٦٣٣
كو٤: ١٧......................... ٨٠

رسالة تسالونيكي الأولي:

١تس١: ٨......................... ١٠٠
١تس٢: ١٤-١٥......................... ٤٥٢
١تس٤: ٥......................... ١٣٦
اتس٤: ٩......................... ٧٩
١تس٤: ١٣......................... ١٣٦

رسالة تسالونيكي الثانية:

٢تس١: ٦......................... ٣٣٧
٢تس١: ٩......................... ٦٤٢
٢تس٢: ٧......................... ٦٤٢
٢تس٣: ٦......................... ٦٤٦

رسالة تيموثاوس الأولي:

١تيمو١: ٢......................... ٤٨٠
١تيمو٢: ٢......................... ٥٢٨
١تيمو٢: ٩......................... ٦٢٤

١تيمو٢:١٤.......................٦٤٠

١تيمو٥:٢٣.......................٥٤١

١تيمو٦:١٠.......................٢٧٩

رسالة تيموثاوس الثانية:

٢تيمو٤:٦.................٨٠، ٤٨٨

٢تيمو٤:١٥.......................٦٤٦

الرسالة إلى تيطس

تيط١:١٢.........................٦٤٦

الرسالة إلى فليمون

فل١:١............................٦٢٣

فل١:٩....................٨٠، ٦٣٧

الرسالة إلي أهل العبرانين:

عب١:١...........................٣٥١

عب٦:٩...........................٦٠١

عب٨:١٣.........................٢٥٩

عب٩:٢٦ـ٢٨.....................٢٦٩

عب١٠:٢٨ـ٢٩...................٢٧٨

عب١٠:٢٩.......................٣٠٢

عب١٠:٣٤.......................٢٦٣

عب١٠:٣٧.......................٥٣٧

عب١١:٣١.......................١١٤

عب١٢:٢.........................٥٨٤

عب١٣:٣.........................٥١٣

عب١٣:١٧.......................٦١٢

عب١٣:٢٤.......................٨٠

لقد احتضن الرسول بولس كل المسكونة وحمل الجميع داخله. واعتبر أن الاتحاد بالله هو أهم وأعظم بكثير من أي قرابة أخرى. إذ كان هدفه أن يلدهم جميعًا من أجل أن يتصور المسيح فيهم. هكذا أحبهم، حتى أنه أظهر أحشاء رأفة أكثر جدًا من أي أب جسدي.

هذه هى نعمة الروح القدس التى تنتصر على الآلام الجسدية وتظهر شوقًا روحيًا ملتهبًا. وهذا ما يراه المرء بشكل خاص جدًا في شخص الرسول بولس الذي من أجل محبته للجميع، صار مثل طائر يتنقل من موضع إلى آخر دون أن يبقى في مكان واحد. لأنه سمع المسيح يقول لبطرس «أتحبني. ارع خرافي» (يو٢١:١٥) وأخذ على عاتقه هذا الأمر كأعظم قانون للمحبة، وقدمه بأسلوب فاق الجميع.

كم كنت أتمنى أن أرى بصفة دائمة ذلك القلب (قلب ق. بولس) الذي كان يحترق عندما يعثر أحد، والذي وَلد كل مَنْ تمخض بهم، ولادة جديدة، لأن كل من لهم قلب نقي يقول عنهم الكتاب «يعاينون الله». القلب الذي صار ذبيحة «ذبائح الله هي روح منكسرة»، القلب الذي كان أعلى من السموات، وأوسع من المسكونة. الأكثر إشراقًا من أشعة الشمس، والأكثر وهجًا من النار، والأقوى من الماس. القلب الذي عاش الحياة الجديدة بحق، لأنه يقول: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ». إذًا فقلب بولس، كان قلب المسيح، وكان إناء للروح القدس، وكتابًا للنعمة. إنه القلب الذي كان ينزعج من الشرور والخطايا التى هي غريبة عن الطبيعة الجديدة.

من المقدمة والعظة ٣٣
للقديس يوحنا ذهبى الفم
فى تفسير الرسالة

يُطلب هذا الكتاب من :

- المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ت : ٢٢٤١٤٠٢٣.
- بيت التكريس ت : ٢٤٦٧٠٨٦٢
- ومن المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم .

سعر النسخة
٦٠,٠٠ جنيه